مَوْسُوعَةُ
أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى
فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

لِلْفَقِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ
مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التويجري

الْجُزْءُ الأَوَّلُ

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

موسوعة

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى ربه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م

دار أصداء المجتمع

المملكة العربية السعودية

القصيم - بريدة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

دار أصداء المجتمع

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

القصيم – بريدة

هاتف : ٠٠٩٦٦٦٣٢٣٦٣٣٣

فاكس : ٠٠٩٦٦٦٣٢٣٦٢٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة

أسماء الله الحسنى

مقدمة

موسوعة أسماء الله الحسنى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء/ ١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٠-٧١].

أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

إن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله هو أعظم العلوم ، وأوجب الواجبات ، وأول الفرائض ، لأنه يثمر الإيمان بالله وتوحيده ، وتعظيمه وتكبيره ، ومحبته وتمجيده ، وحمده وشكره، وعبادته وحده لا شريك له.

ويثمر كذلك خشية الله وتقواه ، وحسن الظن به ، والتوكل عليه ، وكمال الإفتقار إليه ، وكمال العبودية له : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

ولأهمية هذا العلم ، وحاجة الناس إليه ، أظهره الله في آياته الكونية المشهودة ، وبينه في آياته الشرعية المقرؤة، ليعبد الناس ربهم بعد أن يعرفوه بكمال الحب والتعظيم والذل له .

وقد أرسل الله جميع الأنبياء والرسل لتعريف الناس بربهم ، وما يجب له من التوحيد والإيمان، والعبادة والطاعة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا

﴿ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].
وقد طويت أكثر صفحات هذا العلم العظيم عند أكثر الخلق ، وأشغل الشيطان عنه كثيراً من المسلمين ، وجرهم للتوسع في علم الأحكام ، وإختلاف الآراء في المسائل، وزين لهم التعصب للمذاهب الفقهية ، وتكلف الأدلة على الآراء الشاذة ، وتقديم العقل على الوحي ، والفروع على الأصول ، وحصر العبادة في الشعائر التعبدية دون الشرائع الدينية ، وتقسيم الدين إلى فرائض وسنن ، وواجبات ومستحبات، ومحرمات ومكروهات.

ورافق ذلك قلة الزاد من علم التوحيد والإيمان ، خاصة العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله الذي هو مقصود الرب من خلقه .

ونتج عن هذا وذاك تفرق الأمة إلى فرق وشيع وأحزاب يعادي بعضها بعضا ، ويحطم بعضها البعض الآخر ، مما أورث الشك في الدين، والانصراف عنه الى أمور الدنيا.

ورافق ذلك تمزيق الأعداء لبلاد المسلمين إلى قبائل وشعوب ودويلات يأكل بعضها بعضاً ، ويفترس بعضها بعضا ، مما أثار الرعب والخوف بين الناس: ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤ ﴾ [قريش: ٣ – ٤] .

ورافق ذلك هجمة العدو الشرس على البلاد ، ودين العباد ، تجهيلاً بأحكام الدين ، وتضليلاً للناس عن الحق ، وعرض الوان الباطل في صورة الحق ، وتخويف الناس من الفقر والمرض والجوع ، واشغال الناس بكسب المعاش عن إقامة الدين .

ورافق ذلك زرع الأعداء الفتنة بين الحكام والعلماء والعامة ، مما نتج عنه فتح أبواب الخوف ، والتماس الأمن عند غير الله ولو كان كافراً: ﴿ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ١٧ ﴾ [الجن: ١٧].

ورافق ذلك كله عرض الإعلام الكاذب للباطل بصورة فاتنة تجر الناس إليه ، وترك الدين الذي هم عليه ، وفتح أبواب الشهوات والملذات في المأكل والمشرب ، والملبس والمسكن ، والمنكح والمركب ، كما هو واقع الأمة الآن ، فاستغنى أكثر

الأمة بتكميل شهوات نفسه عن تكميل محبوبات ربه ، وانشغل أكثر الناس بالشهوات عن امتثال أوامر الله ﷻ ، وتعلقوا بالدنيا ، وزهدوا في الآخرة: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦].

وهذه أمور عظيمة ، وتحولات خطيرة ، وانزلاق كبير في العلم والعمل ، لابد من علاجه ، لتشفى الأمة من أسقامها ، وتعود إلى ربها ، وليس لعلاج ذلك، والخروج من تلك المصائب، إلا مفتاح واحد هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم التعبد لله بموجب ذلك : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها من الإيمان والتقوى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

لهذا رأيت من واجبي مشاركة إخواني في تذكير الأمة بربها العظيم ، وبيان أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة ، في ضوء القرآن والسنة ، عسى أن تكون هذه الموسوعة تذكرة لنفسي ، وإخواني المؤمنين ، والناس أجمعين ، بالرب العظيم ، والإله الرحمن الرحيم، وما يجب له من التوحيد والإيمان ، والتعظيم والحب ، والطاعة والعبادة ، في ضوء القرآن والسنة .

وقد جاءت هذه الموسوعة ولله الحمد وافية بالمقصود ، محققة للمطلوب ، من التعريف بالرب المعبود ، وما يجب له من التوحيد والإيمان والعبادة: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء: ٧٠].

نسأل الله ﷻ أن تكون بعد الوحيين خير زاد للقلوب ، تثمر التوحيد والإيمان في القلوب ، وتحرك الجوارح بالعبودية ، وأنواع العبادة ، مع كمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ .

كما نسأله ﷻ أن يكتب لهذا العمل القبول ، وأن يجعله من العمل الصالح المقبول .

ولا ريب أن القرآن الكريم هو أعظم كتاب بين الله فيه أسماءه الحسنى ، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة ، ونعوته الجميلة، ومخلوقاته العظيمة، ونعمه الكثيرة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

ويكاد القرآن كله أن يكون حديثاً مفصلاً عن الله وأسمائه وصفاته وافعاله ، وبيان عظمة قوته وقدرته ، وكمال علمه وإحاطته ، وسعة رحمته ومغفرته ، وكمال عظمته وكبريائه ، وجميل حلمه وعفوه ، وشدة أخذه وانتقامه ، وجلال ملكه وسلطانه ، وكمال عزته وجبروته ، وعظمة حكمه وأحكامه ، وكمال غناه وكرمه ، وعظمة نعمه وإحسانه ، وكمال وحدانيته وصمديته ، وعموم مشيئته وإرادته ، وعظمة علوه وقهره، وكمال حياته وقيوميته ، وحسن خلقه وتصويره ، وعظمة عطائه وأرزاقه ، وكمال تدبيره وتصريفه ، وعظمة كفايته لمخلوقاته ، وكمال قربه ومشاهدته لكل من في ملكه، وحسن بره ولطفه بعبيده ، وجميل وده ورحمته بخلقه ، وجمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وحسن مخلوقاته وأحكامه ، وثوابه وعقابه ، ووجوب توحيده وطاعته وعبادته وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] .

وأحب العباد إلى الله ، وأكرمهم عليه ، وأشدهم له خشية ، وأرفعهم درجة عنده ، هم العالمون بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، العارفون بما يتصف به مولاهم من صفات الجلال والجمال والكمال ، المقرون بما أسداه ربهم إلى خلقه من الإنعام والإحسان والإفضال ، وبما يستحيل عليه سبحانه من العيوب والنقائص والآفات ، وبما يجوز له فعله من الأمر والنهي ، والجزاء والحساب ، والثواب والعقاب : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

فهؤلاء هم صفوة البشر الذين عرفوا ربهم ، فهم لا يعبدون سواه ، ولا يبغون إلا رضاه، ولا يخشون إلا إياه ، ولا يتوكلون إلا عليه ، ولا يدعون إلا إياه ، ولا يشكون

أمورهم إلا إليه ، ولا يلتفتون لأحد سواه ، لأنهم عرفوا ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، فسارعوا إلى كل ما يحبه ويرضاه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

فأفضل أعمال العباد معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، لأن معرفته سبحانه أوجب الواجبات ، وأعظم الفرائض ، لأن متعلقاتها أفضل المتعلقات ، وثمارها أحسن الثمرات ، وحسناتها أعظم الحسنات ، وسعادتها أفضل السعادات : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

ثم يلي ذلك عبادة الله بما شرعه من العبادات ، فإن عبادته أحسن العبادات ، وإجابته أحسن الإجابات ، وطاعته أحسن الطاعات ، ومحبته أفضل المحبات ، ومهابته أعظم المهابات ، والخوف منه أجل المخاوف : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] .

وذكره جل جلاله أعظم من كل ذكر ، وشكره أفضل من كل شكر ، ودعاؤه أفضل من كل دعاء ، والفكر في أوصافه أفضل من كل فكر ، والبكاء من خشيته أفضل من كل بكاء ، والحياء منه أعظم من كل حياء ، والصبر لحكمه أفضل من كل صبر: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

والتصاغر لكبريائه أفضل التصاغر ، والتذلل لعزته أفضل التذلل ، والتضرع لجلال هيبته أفضل التضرع ، والفرح بمعرفته ولقائه أعظم الفرح ، والتجمل بعبادته أفضل التعبد ، والإنشراح لأمره أفضل الإنشراح : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

ومن عرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله نشأت في قلبه قوتان :
قوة الهيبة لله ﷻ.. وقوة الحب له .
وقوة المهابة لله جل جلاله أعظم من المحبة ، لأن الهيبة لله نشأت عن معرفة جلال الله وعظمته ، وجبروته وكبريائه ، وقوته وقدرته ، وسعة علمه ، وكمال إحاطته .
ثم يليها محبة الله الناشئة عن معرفة إنعامه وإحسانه إلى عباده بأنواع الإحسان.
ثم يليها التوكل على الله وحده في كل حال، لأن منشؤه رؤية توحد الله بالأفعال.
ثم يلي ذلك الخوف والرجاء، لأنهما ناشئان عن ملاحظة الخير والشر، فلا يرجى من يعجز عن فعل الخير، ولا يخاف من لا يقدر على دفع الشر: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].
ومقصود الرب من خلقه أن يعرفوه ويعبدوه وحده لا شريك له.
والتعبد لله ﷻ بأسمائه وصفاته مبني على معرفة الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].
فمن عرف الكبير كبره ، ومن عرف العظيم عظمه ، ومن عرف الواحد وحده ، ومن عرف الغني توجه إليه في حاجته ، ومن عرف الكريم سأله ، ومن عرف المعطي مد إليه يده ، ومن عرف الرحيم استرحمه ، ومن عرف الغفور استغفره ، ومن عرف الهادي استهداه ، ومن عرف الوهاب استوهبه ، ومن عرف الرزاق طلب منه رزقه ، ومن عرف القريب دعاه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].
ومن عرف القوي استعان به ، ومن عرف القادر استغاث به ، ومن عرف الوكيل توكل عليه ، ومن عرف الجبار هابه ، ومن عرف القهار خافه ، ومن عرف العزيز ذل له ، ومن عرف النصير استنصره ، ومن عرف السميع دعاه ، ومن عرف البصير استحى منه، ومن عرف المجيب سأله ، ومن عرف العفو اعتذر إليه ، ومن عرف الحليم إستقاله عثرته ، ومن عرف التواب تاب إليه ، ومن عرف الحكيم حكّمه ، ومن عرف الكافي استغنى به : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

ومن عرف ربه الواحد الأحد أغناه عن كل أحد ، ومن عرف أن ربه الكبير لم يلتفت إلى المخلوق الصغير ، ومن عرف الملك لم يتوجه إلى العبيد ، ومن عرف القوي لم يبال بالعبد الضعيف ، ومن عرف الغني لم يسأل العبد الفقير ، ومن عرف الكريم لم يسأل العبد البخيل ، ومن عرف الخالق لم يعبا بالمخاليق: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١].

ومن عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة ، ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى، ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم ، ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة، ومن عرف نفسه بالذلة عرف ربه بالعزة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

إن من عرف الله ﷻ آمن به وأحبه ، ومحبة الله هي قوت القلوب ، وغذاء الأرواح ، ومحرك اللسان والجوارح إلى عبادة الله ﷻ .

ومحبة الله المثمرة لعبادة الله هي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات ، وهي النور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات ، وهي الشفاء الذي من عدمه حلت به الأسقام والأمراض ، وهي السعادة التي من لم يظفر بها فحياته كلها هموم وآلام وشقاء: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

وكل حب لله ورسوله دون إتباع وطاعة لله ورسوله ، فهو جهل وضلال ، وكذب ونفاق : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

هو سبحانه الملك العزيز الرحيم الذي فطر القلوب على محبته ، والإقرار بربوبيته ، والأنس بعبوديته: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

[الروم: ٣٠].

فكل أحد شاهد بوحدانيته ، ومسبح بحمده ، ومستجيب لمشيئته ، ومسرع إلى إرادته، ومذعن لطاعته ، وقانت لعظمته ، وساجد لكبريائه ، وذليل لعزته ، وخاضع

لقوته، وراج لرحمته ، وطامع في مغفرته ، وفار إليه من ذنبه ، بريء إليه من حوله وقوته : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

هو سبحانه الرحمن الرحيم الذي جعل المحبة في قلوب عباده سبيلاً للوصول إليه ، ونصب طاعته وعبادته دليلاً على صدق محبته ، وحرك بذلك النفوس التي أحبته إلى ذكره وحسن عبادته، وحلاوة مناجاته.

هو جل جلاله القوي القادر ، العظيم ملكه ، النافذ أمره ، الواسع فضله ، الدائم بره ، القريب نصره ، الشديد بطشه ، الحفيظ لكل من في ملكه ، السميع البصير بكل ذرة في كونه .

هو الحكيم الخبير الذي أنزل القرآن تبياناً لكل شيء ، وهدىً ورحمة للعالمين ، وجمع فيه أخبار الأولين والآخرين: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾ [النحل: ٨٩].

وجعل رسوله محمداً ﷺ خيرة الله من خلقه ، وحجته في أرضه ، والهادي إلى ربه.

آخر الأنبياء في الدنيا عصراً ، وأولهم يوم القيامة ذكراً ، وأعظمهم عند ربه مقاماً ، وأحسنهم أخلاقاً ، وأرفعهم درجة وإكراماً ، وقدراً ومكاناً: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

هو سبحانه الفتاح الذي بيده مفاتيح أبواب الخير ، الفتاح الذي يفتح أعلى العلوم لمن شاء من عباده ، فيغرف منه على قدر سعة إنائه ، على حسب همته وجهده وعنائه .

هو سبحانه علام الغيوب ، المحيط الذي بيده مقاليد الأمور ، وأزمة القلوب ، العليم بخائنة الأعين ، وما تخفي الصدور: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ﴾ [السجدة: ٦].

هو سبحانه الملك الذي بيده الملك كله ، الخالق الذي بيده الخلق كله ، الكريم الذي بيده الخير كله ، العظيم الذي بيده الأمر كله ، الكبير الذي يرجع إليه الأمر كله:

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢٣] .

والكلام له أعلى وأدنى ، وأعلى أنواع الكلام هو الكلام عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والكلام عن عظمة ملكه وسلطانه ، والكلام عن عظمة نعمه وإحسانه ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم وهو الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وفضل معرفة الله على معرفة غيره كفضل الله على خلقه ، وفضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢].

وأعظم من شهد لنفسه بالأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، هو الله ﷻ كما قال سبحانه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨] .

ومن أدخله الله في الدنيا جنة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، أسعده الله في الدنيا ، وأدخله جنة الآخرة يوم القيامة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

وطريق معرفة الله ﷻ ثلاثة أمور:

التفكر في عظمة آياته الكونية التي هي مخلوقاته.. والتفكر في عظمة آياته التكوينية التي هي أفعاله التي نراها كل يوم.. والتدبر لآياته القرآنية التي هي كلامه ﷻ .

ولما كان العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله هو أصل دين الإسلام ، وأول أركان الإسلام والإيمان والتوحيد ، وأساس جميع أعمال الدين ، ومن أجله خلق الله السموات والأرضين، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وشرع الشرائع ، وخلق الجنة والنار : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

ولما كانت معرفة أسماء الله الحسنى سبب لتعظيم الرب ﷻ ، ومحبته ، وحمده ، وشكره ، والحياء منه ، والخوف منه ، والرجاء له ، والإفتقار إليه ، والسكون إليه ،

وعدم الإلتفات إلى غيره .
ومعرفتها سبب للإكثار من ذكر الله ﷻ ، وحسن عبادته ، وطاعة أوامره ، واجتناب نواهيه ، ولزوم استغفاره ، وكثرة التوبة إليه ، والإنكسار بين يديه .
وإحصاء أسماء الله الحسنى سبب لدخول الجنة ، ودعاء الله بها سبب لإجابة الدعاء، وفهم معانيها سبب لمعرفة جلال الرب وجماله، وفهم القرآن الكريم، وفهم القرآن والعمل به سبب للفوز والفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة .
وإحصاء أسماء الله الحسنى غير عدها ، فمن أحصاها فقد استوفاها ، وفهم معانيها ، ودعا الله بها كلها ، وأثنى عليه بجميعها ، وعبد الله بمقتضاها : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] .
ويستحيل على من عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ثم لا يحبه ، وأن يحبه ثم لا يطيعه ، وأن يطيعه ثم لا يسعد بقربه في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥] .
وما عبد الله من أحبه ولم يطعه ، أو أطاعه ولم يحبه ، فالعبادة المقبولة أن تحب الله، ثم تطيعه، وتتبع هدي رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١] .
فلهذه الأسباب وغيرها من حب الله ورسوله ودينه وأوليائه ، شرح الله الصدر ، وحبب إلى القلب ، إحصاء أكثر من مائة وستة أسماء من أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن والسنة ، منها (٩٢) اسماً من القرآن، و(١٢) اسماً من السنة، مع شرحها ، وبيان آثارها في الكون ، مع بيان كيفية التعبد لله بموجبها، ودعاء الله بها ، في ضوء القرآن والسنة ، مستعيناً بالله وحده ، ثم بكتابه الكريم ، وسنة رسوله الأمين، ثم بكتب العلماء الربانيين، ودروسهم، وكتب التوحيد والإيمان، وكتب التفسير والحديث والأصول وغيرها من الكتب والرسائل في هذا الباب العظيم.
وقد بدأت أولاً بأسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم ، ثم ذكرت بعدها أسماء الله الحسنى الثابتة في السنة النبوية .

وكل ما في هذه الموسوعة القيمة من الأسماء والصفات والأفعال ، ومن العلوم والأخبار ، والمسائل والأحكام ، قد حررناه وحققناه بعون الله كلمة كلمة ، وجملة جملة ، ومسألة مسألة ، رجاء أن يكون الجميع طيباً مباركاً ، في ضوء القرآن والسنة، بفهم سلف الأمة .

وقد توجنا كل مسألة بما يناسبها ، ويدل عليها ، من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الصحيحة .

وقد جمعت هذه الموسوعة إلى جانب إحصاء أسماء الله الحسنى ، وشرحها ، وبيان كيفية التعبد لله بها ، فوائد جمة ، وعلوماً نافعة ، وأحكاماً محكمة ، وبصائر قيمة ، تتعلق بكل اسم من أسماء الله الحسنى ، كالحديث عن مظاهر الخلق عند شرح اسم الله الخالق ، والكلام عن أنواع الأرزاق عند شرح اسم الله الرزاق ، والكلام عن مظاهر الرحمة عند شرح اسم الله الرحمان.. وهكذا .

وقد أخذنا المادة العلمية لهذه الموسوعة من كتاب ربنا ﷻ ، ومن سنة نبينا محمد ﷺ ، واستخلصناها من كلام العلماء الربانيين ، والأئمة المجتهدين ، وفحول العلماء العارفين ، مع ما فتح الله به علينا من فضله العظيم .

فجاءت هذه الموسوعة بفضل الله وحده سهلة الأسلوب ، حسنة الألفاظ ، واضحة العبارة ، غزيرة المعاني ، حلوة الطعم ، عظيمة الثمرات ، تقود القارئ والمستمع إلى تعظيم الله ، ومحبته ، وطاعته ، والسجود له، والشكر له، وإخلاص العبادة له.

وتجري حلاوة معانيها في القلوب كجري الماء في بطن العود ، لتملأ القلوب بأعظم الأنوار ، وتثمر أحسن الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، والثواب .

حتى إذا اشتد عودها ، واكتمل نصابها ، أذن الله بخروجها ، فظهرت هذه الموسوعة الجامعة للناس بأسلوب جميل ، وعلم بديع ، تعرف الناس بربهم وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وما يجب له من التوحيد والإيمان والعبادة ، مقرونة بالأدلة من القرآن والسنة ، والبراهين القطعية ، والشواهد الحسية .

ولما تمت ولادة هذا المولود الجديد ، وظهر للعباد والعبيد ، كان لابد من وسمه باسم يعرف به بين الناس ، فهداني الله بعد الإستشارة والإستخارة أن أسميه باسم

(موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة) .

فالحمد لله الذي أتم ما أردناه ، وأظهر ما أحببناه .

والحمد لله الذي وهب لنا هذا العلم الإلهي ، وجعله نوراً نهتدي به ، وصراطاً مستقيماً يصلنا به: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

وحيث أن هذه الموسوعة زاد للقلوب ، وغذاءً للأرواح ، وروضة لأهل التوحيد، وقرة عين لأهل الإيمان، وسيقرؤها العلماء وطلاب العلم ، وعامة الأمة ، وسيطلع عليها المنتهي والمبتدي ، والخاص والعام ، كان لابد من عرضها بأسلوب علمي سهل يرضي الجميع ، ويفهمه الكل ، لا تنفر سهولته العالم ، ولا يعسر فهمه على من دونه ، ليأخذ كل أحد نصيبه منه على قدر سعة إنائه، بقدر فهمه وذكائه ، وهذه طريقة القرآن في التبليغ والأخبار والأحكام : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧] .

وقد أكدت أخبارها وأحكامها ومسائلها بالأدلة الشرعية ، والأمثلة الحسية ، والبراهين القطعية ، والأدلة العقلية ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور: ٣٥] .

وأسعد الناس في الدنيا والأخرة من جعل القرآن العظيم إمامه ، ومصباح قلبه ، وقائد سلوكه، وميدان تجارته : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩] .

والله حكيم عليم خلق كل شيء ليدل على كمال قدرته وعلمه ، وخلق كل شيء لحكمة مقصودة منه ، فخلق الإنسان بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسجد له ملائكته ، وخلقه في أحسن تقويم ، وكرمه أعظم تكريم ، وسخر له جميع ما في الكون تسخير تعريف ، ليؤمن بمن سخره له ، وتسخير تكريم ، ليشكر من سخره له : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: ٢٠] .

ووهب الله للإنسان نعمة العقل ، ليتعرف به على من خلقه ، ويميز به بين البدائل ، فيختار الحق الذي ينفعه ، ويحذر الباطل الذي يضره: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الملك: ٢٣].

وأودع فيه سبحانه حب الشهوات ، ليرقى بها شاكراً أو صابراً إلى أعلى الدرجات .

وأنزل عليه الشرع ليسير إلى ربه على صراط مستقيم ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، ليفعل ما يحبه الله ويرضاه ، ويترك ما يكرهه الله ويغضبه ، وجعل له فطرة تدله على خالقه ، وتعرفه بخطئه : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء: ١١٣] .

فما أعظم فضل الله على هذا الإنسان ، وما أحسن تكريمه له ، وما أشد عنايته به : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

والفطرة الربانية التي فطر الله الناس عليها تؤكد أن في القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله ﷻ ، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله ، وفيه شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله ، وفيه قلق لا يسكنه إلا الفرار إلى الله ، وفيه اضطراب لا يدفعه إلا الطمأنينة بذكر الله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

وفي القلب فاقة لا يسدها إلا الإيمان بالله ، ومحبة الله ، ودوام ذكره ، والإنابة إليه ، وإخلاص العمل له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥].

وفي القلب نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمر الله ونهيه ، والتسليم لقضائه وقدره، والثقة بوعده ووعيده : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠] .

لهذا أوجب الله على خلقه معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ليؤمنوا به، ويوحدوه ، ويطيعوه ، ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

فالتوحيد يملأ قلب العبد أمنا وإيماناً ، وطمأنينة وسكينة ، فلا تستبد به المخاوف التي يملأ بها الشيطان قلوب أهل الكفر والشرك والنفاق : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ويسد التوحيد منافذ الخوف التي فتحها الناس على أنفسهم من الخوف على الرزق، والخوف من الموت ، والخوف على الصحة ، والخوف على النفس والأهل ، والخوف من الجن والإنس وغيرهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

والله سبحانه بحكمته جعل القلوب أوعية الإيمان والكفر ، ومحل التوحيد والشرك، وإناء الحب والبغض ، ومنبع كل بر وإحسان ، وكل إثم وعدوان ، وجعل الجوارح أوعية الأعمال الحسنة والسيئة: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩].

فإذا صلح القلب بالمعرفة والإيمان صلح البدن كله بالطاعة والإذعان ، وإذا فسد القلب بالجهل والكفر فسد البدن كله بالمعاصي والطغيان: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة: ١٨ – ٢٠].

وقال النبي ﷺ : «**إنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب** » متفق عليه(١) .

هو سبحانه الحكيم الخبير الذي جعل القلوب أوعية للخير والشر ، فخيرها أوعاها للخير والحق والفضائل ، وشرها أوعاها للشر والباطل والرذائل .

وابتلاها بالشهوات البهيمية ، والأوامر الشرعية ، والمصائب القدرية ، وسلط عليها الهوى ، وحب الشهوات ، وابتلاها بمخالفة ذلك ، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، وأخرجه مسلم برقم (١٥٩٩).

ومن يتبع هدى ربه ممن يتبع هوى نفسه ، وليعلم الصادق من الكاذب ، والمؤمن من المنافق : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣] .

وجعل سبحانه الهدى مركب النفس المطمئنة إلى كل طاعة ، وجعل الهوى مركب النفس الأمارة بالسوء إلى كل معصية: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧ – ٤١].

ثم أوجب على العبد عصيان النفس الأمارة بالسوء ، ومجانبة هواها ، وردعها عن الإسراف في شهواتها التي في نيلها رداها ، ومنعها من الركون إلى لذاتها ، وأمرها بفعل ما تستطيع مما أمرها الله به ، وزجرها عن كل ما حرمه الله عليها ، والصوم عن كل ما نهى الله ورسوله عنه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧ – ١٠].

واخبرها أن معظم نهار الصيام قد ذهب ، وأن موعد أجل العبد قد اقترب ، لئلا يطول عليها الأمد ، فتقعد عن العمل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

ومن وفقه الله عرفه بمولاه ، وهداه إلى سبل رضاه ، وحبب إليه عبادته وتقواه ، ورضي الله عنه وأرضاه ، وأكرمه بجنته ورؤيته : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة: ٤] .

هذا صراط مستقيم موصل إلى رضوان رب العالمين ، وإتباع سيد الأنبياء والمرسلين، وهذا مقصود الرب من خلقه أن يعرفوه ويعبدوه وحده لا شريك له :
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [آل عمران: ٥١] .

فلله الحمد والفضل والمنة على إتمام هذا العمل ، وله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨].

ولله الحمد والشكر أولاً وأخراً على نعمة الجمع والتأليف ، والبسط والإختصار ، والتحقيق والتهذيب ، والتوفيق والتسديد ، وعل نعمة التيسير والتسهيل ، وعلى نعمة الصبر والعون ، وعلى نعمة البدء والختام ، وعلى نعمة الأجر والثواب : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

أسأل الله ﷻ أن يجعل هذه الموسوعة غيثا يسقي بستان التوحيد في القلوب ، وينبت به شجرة التوحيد الخالص ، والإيمان الصادق ، واليقين الكامل ويروي به حدائق الطاعات والعبادات.

وأن يجتث بهذه الموسوعة جرثومة الكفر والشرك من القلوب ، ويدفع بها وباء الشك والنفاق ، والبدع والكبر .

كما أسأله ﷻ أن يجعل هذه الموسوعة قرة عين للموحدين ، وأن ينور بما فيها قلوب المؤمنين ، وأن يجعلها زاداً للطالبين والمعلمين والمتعلمين والناس أجمعين .

كما أسأله ﷻ أن يجعل جميع ما فيها صواباً خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبل منا ما فيها من الحق والصواب ، وأن يغفر لنا الزلل والخطاء ، والسهو والنسيان .

فكل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، ما كان في هذه الموسوعة من حق وصواب فمن الله وحده ، وما كان فيها من خطاء فمن نفسي والشيطان ، واستغفر الله منه ، والله ورسوله بريئان منه : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠] .

ولما تم تحرير وكتابة هذه الموسوعة قسمتها إلى أربعة أجزاء ، ليسهل على القارئ حمل كل جزء ، والإنتفاع به بلا كلفة ولا مشقة .

ووضعت في الجزء الأول المقدمة ، وحكم العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وفقه أسماء الله الحسنى ، وحكم التعبد لله بموجبها ، ثم شرعت في بداية أسماء الله الحسنى .

وجعلت في كل جزء من الأجزاء الثلاثة الباقية مجموعة من أسماء الله الحسنى ، مع

شرحها ، وبيان آثارها في الكون ، وبيان متعلقاتها ، وبيان كيفية التعبد لله بها .

وقد جاءت هذه الموسوعة القيمة، في ثمانية عشر باباً من أبواب العلم الإلهي العظيم.

أولها: مقدمة في إثبات أسماء الله الحسنى ، والقواعد المثلى في أسماء الله الحسنى.

وأوسطها: إحصاء وبيان معاني أسماء الله الحسنى، وشرحها وبيان آثارها وكيفية التعبد لله بها.

وآخرها: دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى من القرآن والسنة، ودعاؤه بما يوافقهما من الأدعية.

فلله الحمد والمنة على نعمة البدء والختام، ونعمة الشرح والبيان، ونسأله المغفرة والرضوان.

نسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، موافقة لما جاء في القرآن والسنة من الحق المبين .

كما أسأله ﷻ أن يتقبلها بقبول حسن ، وأن ينفع بها عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

وحسبي أني أحب الله ورسوله ودينه ، وأحب نفع كل مسلم ومسلمة ، ليعبد الكل ربه على بصيرة بكمال الحب والتعظيم والذل لله ، بعد أن عرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨] .

وبما أن الكمال لله وحده ، والعصمة للأنبياء والرسل ، ونحن محل الخطاء والصواب، والجهل والنسيان ، والقصور والتقصير ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ ، فإني أحمد الله ﷻ على إكمال هذه الموسوعة ، وارجوا من إخواني المسلمين الإنتفاع بهذه الموسوعة ، وأنتظر منهم تذكيري بكل خطأ وقع سهوا أو جهلا ، فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، رحماء بينهم ، نصحة لبعضهم ، لأنهم جميعاً يريدون الحق ، ويحسنون الظن ، ويحبون الإحسان لكل إنسان:

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾ [التوبة: ٧١].

فرحم الله إمرءاً أهدى إلي عيوبي ، ونبهني على زلتي ، وأحسن الظن بي ، والتمس العذر لي ، واقالني عثرتي، فأنا عبد ضعيف، ووعادئي صغير، وعلمي قليل.

إن التعريف بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ووجوب توحيده وعبادته ، عمل عظيم لا حد له ، ولا منتهى له: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وهذا جهد عبد ضعيف عاجز رام صعود قمة الجبل الأشم ، ولكنه عجز عن بلوغها، فلم يستطع أن يعرف ربه العظيم كما يجب إلا بقدر إنائه المحدود ، وعقله الصغير ، وعلمه القاصر ، وفهمه القليل ، وجهده الضعيف ، ووعائه الضيق .

فنستغفر الله مما تجشمناه ولسنا أهلا له ، ونستغفر الله ونتوب إليه من جهلنا بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، وجهلنا بعظمة ملكه وسلطانه ، وجهلنا بعظمة نعمه وإحسانه ، وجهلنا بعظمة دينه وشرعه ، وجهلنا بعظمة وعده ووعيده ، وجهلنا بعظمة حقوقه ، وتقصيرنا في عبادته ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

نسأل الله أن يثبت قلوبنا على الصراط المستقيم، وأن يجعلنا وإياكم رحمة على الناس أجمعين: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ ﴾ [آل عمران: ٨].

ثم إني أشكر الله ﷻ على إتمام هذا العمل ، وأشكر من عباده كل من ساهم في تحرير هذه الموسوعة ، وساهم في تخريج آياتها وأحاديثها ، وشارك في تحقيق مسائلها ، وتصحيح ألفاظها ومعانيها وعباراتها ، لتقترب من درجة الكمال ، وتنتقل من درجة الحسن إلى الأحسن ، وتضع الدواء على الداء ، وترفع الجهل عن الجهلاء .

وأعوذ بالله العظيم أن أقول قولاً فيه رضا الله ألتمس به أحداً سواه ، وأعوذ بالله من فتنة القول، ومن فتنة العلم ، ومن فتنة العمل ، ومن فتنة الرياء ، ومن فتنة الشهوة والشهرة.

وأعوذ بالله أن أتكلف ما لا أحسن ، وأعوذ به من العجب فيما أحسن ، وأن أقول ما لا أفعل ، وأن يكون أحد أسعد بما علمني الله مني .

وأعوذ بالله العظيم من شر كل ظلوم جهول حسود، وأستجير به من عداوة كل عدو لدود، سيء الظن والسيرة والسريرة، إن رأى خيراً دفنه وكتمه، وإن رأى شراً أذاعه ونشره .

قد استأجر الشيطان عقله ولسانه ، وأرواه هواه من كأس الجهالة والغرور ، فركب مركب الظلم والضلالة والعداوة ، وزاغ عن الصراط المستقيم إلى الصراط المعوج: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٧٩] .

ولقد استغرق تأليف وتهذيب وتحرير هذه الموسوعة أكثر من ثلاثة عشر عاماً ، أصابتني أثناء تأليفها مصائب قدرها الله علي بحكمته ورحمته .

إلى جانب صوارف ومشاغل أحاطت بي ، وظروف قاسية عصرتني حتى آلمتني ، وأحوال شديدة قرصتني حتى أوجعتني .

ولكني بفضل الله وعونه صبرت على أوجاعها وآلامها رجاء الثواب ممن أرسلها إلي، وتجاوزتها إلى ما هو خير منها ، وهو هذا الخير الذي أظهره الله بين يديك .

وأنا على يقين أن الولي الحميد سيفرج كربتي ، وييسر أموري ، ويغفر ذنوبي ، إنه نعم المولى ، ونعم النصير : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة: ٥١] .

وفي الختام نحمد الله ﷻ على إتمام هذا العمل ، ونسأله أن يتقبله بمنه وكرمه ، وأن ينفع به المسلمين إلى يوم الدين ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وهو حسبنا ، ونعم الوكيل: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وأسأل الله العليم بمرادي، وما يجري في فؤادي ، أن يغفر لي ولوالدي ، وأهل بيتي،

وذريتي ، وأن يعمنا جميعاً بعفوه ورحمته ، وجميع المؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات .

كما أسأله ﷻ أن يغفر لمن كتبه ، وحققه ، ولمن قرأه وسمعه ، ولمن علمه ونشره ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجري

المملكة العربية السعودية – بريدة – جوال:(٠٥٠٨٠١٣٢٢٢) (٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢)

موقعنا على الأنترنت : (هذا الإسلام) hatha-alislam.com/index

البريد الإلكتروني : Mb_twj@hotmail.com

موسوعة

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

البـاب الأول

ويشتمل هذا الباب على مايلي :

١ – فقه التوحيد والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

٢ – حكم العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

٣– أهم القواعد الشرعية في تأصيل أسماء الله وصفاته وأفعاله.

٤ – شرح أسماء الله الحسنى على وجه الإجمال.

فقه التوحيد والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله

لا ريب أن الفقه في الدين هو أفضل الأعمال وأحسنها، وأزكاها وأشرفها، وأعظمها وأجلها ، وأنفعها وأكبرها، وأعلاها وأنفسها . ولماذا ؟

لأن موضوعه معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة ثوابه وعقابه ، ومعرفة أنبيائه ورسله ، والعمل بموجب ذلك ، ظاهرًا وباطنًا ، قولًا وعملًا، أخلاقاً وسلوكًا﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

ولا ريب أن من اجتمعت له هذه المعارف العالية ، فقد إكتمل له النصاب ، ونطق بالتوحيد قلبه ولسانه وجوارحه : ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد/ ٢١] .

والإنسان مركب من جسد وروح ، وإذا خرجت الروح فسد هذا الجسد ، ثم رُد إلى التراب الذي خُلق منه ، والدنيا كلها كالجسد ، روحها الدين ، فإذا خرج منها الدين فسدت حياة الخلق، وصار الناس كالبهائم والسباع ، كل يرتع فيما يشتهي بلا حد ولا قيد، ولا أمر ولا نهي .

وهذا ما حصل و يحصل في العالم الآن ، وشواهد الانحلال الخلقي، والهزال الروحي، والضعف الإيماني، والخواء الفكري، والفساد الاجتماعي، والاضطراب الأمني ، ظاهر ساطع بمعرض البشرية لا يحتاج إلى دليل .

وقد ظهر في زماننا كما حصل من قبل أقوام استخلفهم الشيطان على نقض عرى الإسلام، وهدم بنيانه، وإبطال شرائعه:﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الصف: ٨ – ٩].

وظهرت في ميدان الحياة أمور منكرة، ظهرت أقوال وأفعال جمعت إلى الكفر والكذب ، إفراط الجهل والحسد، وقلة الحياء، وسؤ الأدب، والجرأة على الرب

ورسله ودينه وأوليائه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: ١٨].

وهذا أمر عظيم وخطير يعرق له جبين المؤمن ، وتتفطر له الأكباد ، وينذر بعقوبة عاجلة ؛ لما فيه من الكفر والسفاهة والوقاحة، وعدم الحياء والخوف من الجبار الذي نأكل من رزقه، ونسكن في أرضه، ونتقلب في نعمه.

وهذا الوباء العظيم يزداد يومًا بعد يوم ، ويفتح له الأبواب كثير من شياطين الإنس والجن في مشارق الأرض ومغاربها.

فقد زج أعداء الإسلام بأمهات الدواهي في بلاد المسلمين ، وغرسوا في عقولهم ما يفسد حياتهم ؛ ليزدادوا بُعدًا عن دينهم، ويتناحروا فيما بينهم، ويهلك بعضهم بعضًا بالحديد والنار بعد التراشق بالكلام ، وهذا ما حصل ويحصل كل يوم، بل كل لحظة.

فما الواجب علينا ؟

الواجب : أنه لا بد من صد هذا الوباء الخطير ، وكشف هذه الأقنعة الخرقاء التي رفرفت على عقول كثير من المسلمين وغيرهم ، ولا بد من هتك غاشية البلاء العظيم، والفساد الذي عم وطم ، وإزالة الغطاء عن مسارب الهلاك الخفي الذي غرسه العدو الماكر بيننا فأنبت كل مر وشر، وفتنة وبلاء: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧].

فقد زاد الأمر سوءًا، وضرب سهم الباطل قلب الأمة المسلمة ، حتى صار أكثر العالم الإسلامي منبع الضلالة، ومنجم الجهالة، ومعرض الرذيلة، ومسرح الظلم، وميدان القتل والسجن والرعب، ومأوى الخوف، ومركز الفقر، ومصدر الفتن، وتعليم الشرك والرذيلة، ومدرسة المعاصي والكبائر.

وتم ذلك متى ؟ بعد أن سوق لنا العدو أخبث ما في سوقه ، وأنجس ما في بلاده ،

فاجتمعت الخبائث والنجاسات في أعز إنسان، وأعظم مكان.
وهذه صولة الباطل حين يغيب الحق، والدعوة للحق ، صولة الباطل على بلاد المسلمين عظيمة، فقد استباحوا أنفسهم وأموالهم وديارهم بغير حق.
ومتى تم هذا ؟، بعد أن احتل الشيطان قلوب الناس ، فمكن هذا الشيطان للعدو الظاهر أن يأتي إلى بلاد المسلمين، ويغير أفكارهم، وأخلاقهم، ودينهم .
وحصل بعد هذا أن نزفت جراحات الألم في كل مكان ، وانتشرت الفتن بين الخاص والعام ، وصار هذا الوباء العظيم قِبلة يتوجه إليها الرجال والنساء والأطفال في أنحاء الأرض ، فلا ينكر ما حصل إلا جاهل أعماه حمقه وشهوته ، أو مكابر أعماه منصبه وشهرته ، أو حاسد أعماه كفره وحقده ، أو منتفع أعماه حرصه وطمعه ، فهذا العالم المضروب كله ظاهر لنا في الشاشة أقوالًا وأعمالًا وأخلاقًا .
فما الحل ؟ هذا الضلال والإضلال، والفساد والإفساد، لا يمحوه إلا صدق الصلاح والإصلاح ، بكمال التوحيد والإيمان والتقوى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٦ – ٦٨].
إن السبيل للنجاة من تلك الدواهي لا يمكن إلا بتفريغ القلوب من الهوى، ليدخل الهدى ، وغسل درن الشرك والمعاصي، ليدخل نور التوحيد والطاعات ، وتنقية السنة من البدعة والشوائب ؛ ليظهر الحق صافيًا، ويولي الباطل هارباً: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].
ولا ريب أن الدنيا لا تصلح أبدًا إلا بالدين ، والإنسان لا يصلح إلا بالإيمان ، والدين لا يكمل إلا بالتوحيد والإيمان والتقوى.
والناس صنفان :
إما صالح ومصلح .. وإما فاسد ومفسد، ولكل راية وغاية، وثواب وعقاب: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨ – ٩].
ولا ريب أنه إذا صلح هذا الإنسان صلح العالم ، وإذا فسد هذا الإنسان فسد العالم:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

فما هو الحل ؟ ما هو السبيل للنجاة ؟ ما هو السبيل لإنقاذ النفوس، وإنقاذ البشرية كلها مما وقعت فيه الآن ؟: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وتوحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هو الدرس الأول، الدرس الحق الذي يجب أن يتعلمه كل إنسان وكل مسلم قبل كل شيء، ليعبد الله بمقتضاه، ويسعد في دنياه وأخراه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

ومن أجل توحيد الله ﷻ خلق الله السماوات والأرض ، وخلق الشمس والقمر ، وخلق الليل والنهار ، وخلق الإنس والجان ، وخلق الجنة والنار ، وخلق جميع الخلائق في العالم العلوي، والعالم السفلي : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢] .

فما هو التوحيد الموجود ؟ وما هو التوحيد المطلوب ؟ وما هو التوحيد المفقود ؟ .

وكم الإيمان الموجود؟، وكم الإيمان المفقود؟، وما هو الإيمان المطلوب؟: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

لا بد أن نبدأ حياتنا من جديد ، نية وفكرًا، وعلماً وفهماً، وقولًا وعملًا ، ولا بد أن نجلس في المجالس الإيمانية بالصفات التي كان يجلس بها الصحابة مع النبي ﷺ ، نجلس في هذه المجالس مجالس الذكر والإيمان والتوحيد بالتعظيم لله ﷻ، وبالتعظيم لكلامه جل جلاله ، وبالمحبة لله ﷻ، والمحبة لكلامه ودينه.

ونجلس كذلك بالتعظيم والتوقير لرسول الله ﷺ، وتعظيم كلامه ﷺ ، ونجلس كذلك

بالافتقار، إلى الله في كل حال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

نجلس مفتقرين محبين لله ولرسوله ، معظمين لكلام الله وكلام رسوله ، مفتقرين إلى الله وحده ، وكما نحتاج للطعام والشراب كل يوم ، كذلك نحتاج إلى الذكر والتذكير يوميًّا، حتى يقوى الإيمان في القلب، فتتحرك الجوارح بأنواع العبادات، وتصل إلى أعلى الدرجات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فتوحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هو من الدين بمنزلة القلب من الجسد: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

أول العلم أن نعرف المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونعرف خزائنه ، ونعرف وعده ونعرف وعيده جل جلاله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

لا بد أن نعرف إلى من نتوجه ؟ ومن نسأل ؟ ومن ندعو ؟ هل هو حي ؟ هل هو قيوم ؟، هل هو عليم؟ هل هو سميع؟ هل هو بصير؟ هل هو كريم؟ هل هو رزاق ؟ هل هو رحيم؟ هل هو غفور؟ هل هو قوي ؟ هل هو قاهر ؟ هل هو قادر ؟ لا بد أن نعرفه، حتى نعظمه ونحبه ونعبده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

والله برحمته فطرنا على التوحيد والإيمان، لكن لا بد من الإيمان والتوحيد الكسبي ؛ حتى يزيد الإيمان في القلب ، ثم يُقبل على الطاعات بالتعظيم والمحبة والذل لله ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

هذا التوحيد هو الدرس الأول الذي يبدأ مع الإنسان إلى أن يلقى الله ، وهو الدرس

الحق الذي يجب أن يتعلمه كل إنسان في كل يوم ، وكل مسلم قبل كل شيء: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

هذا التوحيد أعظم شيء ، وهو مراد الله من خلقه ؛ توحيده بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وتوحيده بأفعال العباد، بأن نجعل جميع أعمالنا موجهة لربنا ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥].

التوحيد أساس كل عمل، ومفتاح كل خير ، ومن صدق الله في طلبه أعطاه الله إياه، واستعمله بمقتضاه، ورضي عنه وأرضاه.

هذا التوحيد أغلى شيء في خزائن الله، هذا الدين أعظم شيء، وأفضل شيء، وأحلى شيء، وأحسن شيء: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء: ١٢٥].

فمتى نشعر بهذه المشاعر الإيمانية؟ لا بد من معرفة الإله العظيم بأسمائه وصفاته ، وكيف نعبده بمقتضاها ؟ وكيف نتصف بها على شاكلة العبودية ؟: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فمن عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى ، وعرف أفعاله الجميلة، وخزائنه العظيمة ، وعرف دينه وشرعه ، وعرف وعده ووعيده ، وعرف أنبياءه ورسله ، وعرف كلماته المنزلة ، وعرف أقداره الحكيمة ؛ فقد نال هذا الإنسان متين العلم وصفوته ، وذاق طعمه وحلاوته، ووصل الى غايته وحقيقته: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وإذا عرف الإنسان ذلك كله وحد الله بأسمائه الحسنى: كالسميع والبصير، والعليم والقدير، والكريم والرحيم، والعفو والغفور ، وغيرها من الأسماء الحسنى التي

ستمر بنا إن شاء الله تعالى .
ووحد الله بصفاته العلى: كالسمع والبصر، والعلم والقوة، والقدرة والعزة، والرحمة والحكمة ، وغيرها من الصفات العلى.
ووحد الله بأفعاله العظيمة: كالخلق والرزق، والإحياء والإماتة، والتصريف والتدبير .
هذه معارف لا بد للقلب أن يعلمها ، ولهذا فتح الله لنا وسائل العلم الإلهي فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨] .
هذه العين ترى ، وهذه الأذن تسمع ، وهذا اللسان يتكلم ، وكل هذه الوسائل توصل الكلام والمرئيات والمسموعات إلى القلب ، فيتأثر هذا القلب الذي هو عرش الصفات ، القلب عرش الصفات التي يحبها الله ﷻ من : الإيمان، والتوحيد، والتقوى، والخوف، والخشية، والحب لله ﷻ ، وغير ذلك من الصفات القلبية .
ووحد كذلك هذا الإنسان الله ﷻ بأفعال العباد ، فلا يدعو إلا الله وحده.
إذا عرف العبد ربه بأسمائه، وصفاته، وحده بأسمائه، ووحده بصفاته ، وهذه أفعال الله ﷻ وأسماؤه وصفاته ، ووحد الله بالفعل الصادر منه ، وحد الله بأفعال العباد : فلا يدعو إلا الله ، ولا يكبر إلا الله ، ولا يتوكل إلا على الله ، ولا يحب إلا الله ، ولا يخاف إلا منه ، ولا يرجو إلا إياه ، ولا يعبد إلا هو ، ولا يستعين إلا به: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾
[الأنعام: ١٠٢].
وكذلك وحد العبد رسوله ﷺ بالإتباع : فيطيعه فيما أمر ، ويصدقه فيما أخبر ، ويجتنب ما نهى عنه وزجر ، ولا يعبد الله إلا بما شرع .
وبقدر تلك المعارف الربانية، والأعمال المرضية، يمتلئ القلب بالتوحيد الخالص، والإيمان الكامل ، وينشرح الصدر بالأنوار الإلهية بقدر معرفة الأمور الغيبية من أركان الإيمان الستة، وبقدر معرفة الأمور الغيبية يمتلئ القلب بنور الإيمان ، ويزداد نور الإيمان في القلب ، ثم يأتي اليقين على أن الله وحده بيده كل شيء، وغيره ليس

بيده شيء: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فإذا انشرح الصدر لهذه الأنوار الإلهية ، انقادت الجوارح إلى العمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق الظاهرة والباطنة .

وقد خلق الله في كل إنسان مخلوقين عظيمين هما: الروح، والنفس ؛ فالنفس محل الشهوات ، والروح محل الطاعات ، وإذا غلب نور التوحيد والإيمان شهوات النفس ورغباتها سار هذا الإنسان إلى ربه على صراط مستقيم ، على مطية الجسد الصالح، بالعمل الصالح، إلى السكن الصالح: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وإذا امتلأ القلب بالإيمان، انقاد هذا القلب لطاعة مولاه ، ووجد حلاوة هذا التوحيد والايمان في قلبه، وتحركت الجوارح بما يرضي الله من أنواع العبادات والقربات.

وبهذه الأمور تكمل للعبد جميع أنواع التوحيد ، فيذوق طعم الإيمان، ويجد حلاوة التوحيد، وحقيقة اليقين، ولذة الطاعة لمولاه الحق جل جلاله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

وأبواب المعارف الإلهية كلها، وأبواب التوحيد كلها، وأركان الإيمان كلها ، لا يمكن للعبد تحصيلها إلا من طريقين لا ثالث لهما، وهذان الطريقان معلومان وظاهران في القرآن والسنة :

أحدهما : النظر في الآيات الكونية: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١] .

والثاني : التدبر في الآيات القرآنية: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

- **وأعظم مخلوقات الله في السماوات والأرض ستة عوالم كبرى هي :**

عالم الملائكة.. وعالم الجن.. وعالم الإنس.. وعالم الحيوان.. وعالم النبات.. وعالم الجماد.

هذه العوالم الستة لا بد أن نتعرف عليها ، ونعرف أنواعها وأصنافها ، ونعرف من خلقها، وما مراده من خلقها : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ [ق/٦-٩] .

ونعرف من خلقها وسخرها لنا، لنحمده ونعبده وحده لا شريك له: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

فهذا النظر في الكون نظر بالبصيرة عن طريق البصر ، فنحن نشترك مع الحيوانات والكفار في البصر ، لكن نفترق عنهم بالبصيرة التي تعرف الخالق من المخلوق ، وتتجاوز الصور إلى لمصور ، وتتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، وتتجاوز ما تحبه النفس إلى ما يحبه الرب: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

أما النظر في الآيات القرآنية ، فكتاب ربنا ﷻ كتاب عظيم كريم .

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٢].

فيه بيان عظمة الله، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة أوامره ووعده ووعيده: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء/ ٨٢] .

نبدأ في تدبر القرآن العظيم، فننظر في الآيات الكونية، وننظر في الآيات القرآنية ،

فينشأ في قلوبنا عظمة الله، وحب الله، وزيادة الإيمان، وحقيقة اليقين، وكثرة الذكر والإستغفار: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

هذا الإيمان هو الذي بعث الله به الأنبياء والرسل قاطبة.

لا بد للإنسان أن يكمل النصاب ، وإذا اكتمل النصاب تحقق وعد الله ونصرته: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾ [غافر: ٥١ – ٥٢].

زكاة هذا القلب أن يعرف ربه ومعبوده بأسمائه وصفاته وأفعاله، وزكاة البدن أن يشغله بطاعة الله ، بالدعوة إلى الله ، بتعليم شرع الله ، بالاحسان إلى خلق الله، بحمد الله ، بذكر الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فإذا اكتمل للإنسان هذا النصاب رضي الله عنه، ورضي العبد عنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة: ٧ – ٨].

ومن وفقه الله ﷻ لحسن النظر والتدبر في هذا وهذا ؛ فقد أدرك من العلم أحسنه وأنفعه وأكمله ، وأخذ من أوله وآخره، وظاهره وباطنه، وغيبه وشهادته: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة: ٤].

وإذا اكتمل هذا النصاب، واجتمع للعبد معرفة كتاب الرب، ومعرفة سنة سيد الخلق ﷺ صار ربانيًّا : يُعلم ويتعلم ، ويسمع ويطيع ، ويركع ويسجد لربه الواحد الأحد لا شريك له: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤].

وقال الله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

ومن عرف أن ربه الحق ، عرف أن دينه الحق، وأن رسوله حق، وأن كتبه حق، وأن وعده حق ؛ فعمل بالحق، ونال من ربه الثواب الحق : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٣٠] .

فسبحان الملك الحق المبين ، الذي جميع ما في الكون مُلكه ، وجميع المخلوقات متصاغرة لكبريائه، وخاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وشاهدة بوحدانيته، ومسبحة بحمده: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨].

هو الواحد الأحد الذي جعل جميع النفوس تأكل من رزقه، وجعل جميع القلوب مخاطبات بوحيه ، وجعل جميع المخلوقات دالة على عظمته، ومسبحة بحمده وشاهدة بوحدانيته : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

نحمد الله ﷻ أن مَنَّ علينا بأن جعلنا من الآدميين ، وجعل آباءنا وأجدادنا هم الأنبياء والمرسلين: أبونا الأول آدم ﷺ ، وأبونا الثاني نوح ﷺ ، وأبونا الثالث إبراهيم ﷺ وأكرمنا بأنواع التكريم: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

الله ﷻ يخاطبنا بأن آباءنا وأجدادنا هم أنبياء ورسل ، فلتكن طريقتنا كطريقتهم، وحياتنا كحياتهم، وعملنا كعملهم ؛ وهذه الأمة أعطيت ما أعطي الأنبياء والرسل من تحمل أمانة هذا الدين ، والقيام به علمًا وعملًا، ودعوة وتعليمًا للبشرية إلى يوم القيامة: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فلا ريب أن نهاية العلم الإلهي كمال التوحيد والايمان ، ونهاية العمل كمال التقوى، وهذا هو المقصود ، هذا ملخص الدين ، هذا هو الدين : أن يأتي الإيمان، فتأتي معه ثمرته وهي كمال التقوى ، وكمال التقوى : ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى

ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

فهذه الأبدان تأكل من فضل الله ، وتأكل من رزق الله، والقلوب والجوارح تعبد الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

والله ﷻ جعل الجوارح لكل البشرية ، فهذا الوحي لو نزل على هذا القلب امتلأ بالإيمان فأنبت كل طيب ، أنبت المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والصائمين والصائمات ، والمحسنين والمحسنات ، ينبت كل ثمرة وصفة طيبة كما أن الماء إذا نزل على الأرض أنبت الزروع والأشجار والثمار الطيبة: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والوحي واحد، لكن القلوب مختلفة، منها ما هو قابل، ومنها ما هو غير قابل ، ومنها ما ينبت الحلو، ومنها ما ينبت المر ، كالمطر الذي ينزل من السماء فتخرج منه الأشجار الحلوة، الأشجار المرة: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

[إبراهيم: ٢٤ – ٢٧].

فالمقصود من العلم والتفكر والعبادات والأوامر كلها ، أن يأتي اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأنه واحد لا شريك له في ملكه وسلطانه ، وفي خلقه وفي أمره، وفي حكمه وعبادته.

فإذا جاء ذلك في قلب العبد جاء اليقين على كلام الله وأحكامه وأوامره ، ثم جاء

اليقين على وعده ووعيده ، ثم جاء كمال الحب لله، والذل له، والتعظيم له، والتعظيم لأمره، والعمل بشرعه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .

وهذا هو التوحيد الذي يريده الله ﷻ من جميع خلقه ، إذا عرفت الله بأسمائه وصفاته وأفعاله رغب القلب بالاتصال به، والعمل بما يرضيه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩].

وهذا التوحيد له ركنان: توحيد الله بالعبادة.. وتوحيد الرسول ﷺ بالاتباع: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

- **واتباع الرسول ﷺ يكون في خمسة أمور هي:**

اتباعه ﷺ في نيته وفكره .. وفي توحيد وإيمانه.. وفي أقواله الحسنة.. وفي أعماله الصالحة.. وفي أخلاقه الكريمة.

فهذا اليقين لا بد أن يأتي في قلوبنا، ومن اكتملت له أركان اليقين الكبرى: اليقين على الله ﷻ . . واليقين على أوامره . . واليقين على وعده ووعيده .

من اكتملت له أركان اليقين الثلاثة، وحد الله ربه بأسمائه وصفاته ، ووحده بأفعاله ودعائه ، ولم يلتفت لأحد سواه ، وأقبلت نفسه على طاعة ربه ، وسارعت للخيرات ، ونفرت من المعاصي والمنكرات ، وصار عبدًالربه لا لهواه ؛ فرضي الله عنه وأرضاه ، وأسعده في دنياه وأخراه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

فتوحيد الرب ﷻ هو مقصود الرب من خلقه :
توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيده بأفعالنا من صلاة وصيام ودعاء وذكر، هذا مقصود الرب من خلقه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].
فمن اكتملت له هذه الأركان الثلاثة وحد ربه بأسمائه وصفاته ، ووحده بأفعاله، ووحده بعبادته، ولم يلتفت لأحد سواه ، وأقبلت نفسه على الطاعات ، وسارع إلى الخيرات: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١ – ١٢].
توحيد الله مقصود الرب من خلقه ، فالله ﷻ عظيم لا يحتاج إلى أحد من خلقه ، هو الملك الغني عن العالمين ، هو عظيم قبل أن نعظمه ، وكبير قبل أن نكبره.
ولكن مقصود الرب جل جلاله من هذا الدين العظيم توحيده ، مقصوده أن يتصل هذا المخلوق بالخالق ، ليس مقصود الدين أن نصل إلى المخلوق، فالله ما ربط المخلوق بالمخلوق ؛ لأن المخلوق كله ضعيف فقير عاجز محتاج، وإنما دعاه لمعرفة ربه وعبادته وحده لا شريك له: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].
الله ﷻ أكرمنا بأن جعل مقصود هذا الدين العظيم توحيد الخالق ، كيف أعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله ؟ وكيف أرضيه ؟ وكيف أعمل بما أمرني ربي، وأجتنب ما نهاني عنه؟: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].
مقصود الخلق الوصول إلى الرب ، أن أتصل بالرب فأعظمه وأكبره وأحبه، وأحمده على نعمه، وأمتثل أمره، وأجتنب نهيه ؛ فالله مقصود كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم/ ٨٥] . الرحمن.
والجنة موعود كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

المقصود: كيف أن نصل إلى ربنا؟ كيف نتصل بهذه الصلاة بربنا، ونكبره ونحمده، ونسأله ونستغفره، ونقدم التحية له على نعمه التي لا تعد ولا تحصى؛ نِعم علينا، ونعم على غيرنا، هو وحده الذي أعطاني كل خير، وصرف عني كل شر: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فنعم الله ظاهرة وباطنة لا تخفى على أحد، وهي أبين من كل بين: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

هذه المعارف العظيمة تثمر في القلب التعلق بالله بالإيمان والتوحيد، والخوف والرجاء، والتوكل والمحبة، والإفتقار والتقوى وغير ذلك من الأعمال القلبية.

وتعلق الأجساد بالله ذكراً ودعاء، وصلاة وصيامًا، وحجًّاوطاعة لله ﷻ، وتحرك الجوارح بهذه الأعمال: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

والأنبياء جميعاً جاءوا بأمرين:

الأول: تعليق القلوب بالله عن طريق التوحيد والإيمان.

الثاني: تعليق الأجساد بالله عن طريق عمل الجوارح.

لسانه ذاكر وحامد، وداعٍ ومعلم لشرع الله، وبدنه يستعمل جوارحه في طاعة مولاه بجميع الأعمال الاجتماعية، والأعمال الانفرادية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ٧٧﴾

[الحج: ٧٧].

والإيمان له لفظ، وله صورة، وله طعم، وله حلاوة، وله حقيقة.

هذا القلب متى يتذوق طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان، وحقيقة الإيمان كما تتذوق النفوس لذة الطعام والشراب من حلو وحامض، وحار وبارد، وسائل وجامد؟.

هذه النفوس تتلذذ بالمطعومات التي تشاركها فيها الحيوانات.

والله جعلنا في مقام الافتقار حتى نفتقر إليه جسديًّاوقلبيًّا ، هذا القلب لا يرتاح ولا يطمئن ولا يسكن إلا بذكر الله والتعلق بالله وحده لا شريك له: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

والأجساد كذلك ، فلا يمكن أن يبقى هذا البدن حياً سليمًاحتى يأكل من الطيبات، ويجتنب الخبائث : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

فلا بد للإنسان لصلاح جسده وقلبه أن يتصل بالله الذي يأمره بالأكل من الطيبات ، والإقبال على الله ، وملء قلبه بالإيمان والتوحيد، عن طريق النظر في الآيات الكونية، وتدبر الآيات القرآنية .

التوحيد هو مقصود الرب من خلقه ، ولهذا فطر الله عليه جميع المخلوقات ؛ لأنه أحب شيء إليه ، وهو حق الله على جميع عباده كما قال سبحانه : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨] .

هذا مقصود الرب ﷻ من خلقه ، أن يوحدوه في ملكه وسلطانه ، وفي أسمائه وصفاته ، وفي عبادته ، وفي أمره ونهيه.

هو الواحد الأحد الذي بيده كل أحد، القادر على كل أحد، الغني عن كل أحد: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص] .

- **والناس اثنان :**

إما قاعد على موائد التوحيد والإيمان، والطاعات والعبادات.

أو قاعد على بساط الكفر والشرك، والمعاصي والشهوات .

لا ثالث لهما ، إما قاعد على موائد الرحمن ، وإما قاعد على موائد الشيطان .

فهل يستويان مثلاً؟ :﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ

﴿فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠﴾ [السجدة: ١٨ – ٢٠].

ونحن ولله الحمد الله مَنَّ علينا وأجلسنا في هذا المجلس العلمي المبارك ، متكلمًاومستمعًا ، كاتباً وقارئاً، جعلنا برحمته في هذه البيئة الإيمانية التي نُكرم فيها بست كرامات كما قال النبي ﷺ : «**لَا يَجْلِسُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَﻷ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**» أخرجه مسلم[1] .

ثم يناديهم مناد، انصرفوا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات.

هذا العلم أعظم شيء، وأفضل شيء، وأحسن شيء ، نتعلم هذا العلم الإلهي الذي نحتاجه ، ليس في كل دقيقة ؛ بل في كل ثانية.

ولهذا الله سبحانه جعل محل التوحيد والإيمان في القلب ، والقلب يضخ الدم ليسقي مزرعة البدن ، ويسير ويتجول في هذا البدن، ليسقي السمع والبصر، والمخ والشعيرات والمفاصل والأظافر ، ويسقي كل ذرة في هذا البدن ، ويسير في هذا البدن بمسافة تزيد على مائتين وثمانين كيلو متر.

فالله سبحانه جعل التوحيد والإيمان في هذا القلب ، لتمشي كل قطرة من الدم إلى كل عضو في هذا البدن وهي تسير بالتوحيد ؛ ليتكلم اللسان بالتوحيد ، وتسمع الأذن بالتوحيد ، وترى العين بالتوحيد ، ويتحرك هذا البدن بالتوحيد: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

هذا مقصود الرب من خلقه أن يوحدوه جل جلاله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويوحدوه بأفعالهم هم ، حتى يعلموا أنه ليس في الكون إلا اثنان : خالق ومخاليق ، وملك وعبيد ، وغني ومحاويج: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٦٩٩.

فلا بد للقلب أن يتحصل على جميع هذه الجواهر الثمينة ، كما نجتهد لجمع النقود والأموال، لنشتري كل شيء ، نحن كذلك لابد أن نجتهد لتحصيل الإيمان الذي يحرك البدن بجميع أنواع الطاعات، ويوسع صدر هذا الإنسان لأنواع الطاعات بالمحبة والتعظيم والذل لربه: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فالتوحيد أعظم شيء، وأفضل شيء، وأوجي شيء: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) ﴾ [محمد: ١٩].

هذا التوحيد هو الذي أرسل الله به الرسل عليهم الصلاة والسلام، ليبينوا للناس ثلاثة أمور :

الأول: تعريف الناس بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده .

الثاني: تعريفهم بالطريق الموصل إليه ، وهو الدين الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه .

الثالث: تعريفهم بما لهم بعد القدوم عليه من الثواب أو العقاب، والجنة أوالنار: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾ [النحل: ٣٦].

هذه الدنيا دار الايمان والعمل ، فالدنيا مطية يركبها الإنسان ويستثمر فيها مع ربه بالأعمال الصالحة ، ويسير فيها في جميع أوقاته وأحواله بالأعمال الصالحة ، ليس له حق في ثانية واحدة يصرفها في غير طاعة مولاه ؛ لأن العبد ليس عنده عمل إلا امتثال أوامر سيده: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

ومن عاش في الدنيا عبدًاعاش يوم القيامة ملكًابقرب ملك الملوك: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤- ٥٥] .

فالتوحيد هو مقصود الرب من خلقه ، ولهذا فطر الله عليه جميع المخلوقات ؛ لأنه أحب شيء إليه ، وهو حق الله على جميع العباد: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١ – ١٢].

وهذا التوحيد له لفظ كقولنا: لا إله إلا الله، وله صورة، كأن أكتب كلمة التوحيد ، وله طعم ، وله حلاوة ، وله حقيقة ، وله ثمرة ، وله ثواب: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وبين التوحيد الصوري الذي يقوله اللسان، والتوحيد الحقيقي الذي يعتقده القلب، كما بين المشرق والمغرب ، والمطلوب من التوحيد أعلاه لا أدناه ، وحقيقته لا صورته ، هذا اللسان متكلم باسم مخلوق عظيم وهو القلب ، فهذا اللسان يتكلم أحيانًابما في القلب، وأحيانًا بخلاف ما في القلب ، كما هو حاصل من المؤمنين، يتكلمون بألسنتهم، وقلوبهم توافق السنتهم، يترجمون عما في قلوبهم بألسنتهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

والمنافقون يتكلمون بألسنتهم بما ليس في قلوبهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [المنافقون: ١ – ٢].

فمدار العمل كله على خشوع القلب وخضوعه لربه جل جلاله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

هذا التوحيد يجب أن نملأ القلب به في كل يوم ، في كل لحظة نحتاج إلى تقوية التوحيد، وزيادة الايمان، فلا بد للبدن من محرك للطاعات، هذا المحرك هو الإيمان الذي يحرك الألسنة بالذكر، ويحرك الجوارح بالطاعات والتحريك بأمرين:

بالنظر في الآيات الكونية ، كل يوم ننظر نظر تدبر وتفكر ، والنظر الثاني في تدبر

الآيات القرآنية.

فإذا جاء التوحيد جاء كل شيء ، كما أنه إذا جاء المال جاء كل شيء، وإذا جاء الماء نبت كل شيء: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج: ٥ – ٧].

إذا جاء التوحيد جاءت الطاعات كلها ، وجاءت الأخلاق كلها ، والأقوال الحسنة كلها ، والأعمال الصالحة كلها ، إذا جاء التوحيد جاء كل خير، وإذا فقد الانسان التوحيد لن يحصل للإنسان أي خير بل يحصل له ما هو ضد هذا الخير: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦] .

ما هو التوحيد الحقيقي ؟ هو رؤية الواحد الأحد جل جلاله فقط ، وعدم الالتفات إلى أحد سواه ، هو الملك الحق المبين الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر: ١٣].

فالتوحيد الحقيقي هو رؤية الواحد الأحد يفعل ما يشاء، ويقضي ما يشاء ، لا إله غيره، ولا رب سواه ، مالك الملك ، مدبر هذا الكون جل جلاله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

التوحيد الحقيقي هو رؤية الواحد الأحد جل جلاله، وعدم الالتفات إلى أحد سواه ، توحيد ينطق به اللسان ، ويطمئن به القلب ، وتعمل به الجوارح ، وتدمع به العين ، ويقشعر منه الجلد ، ويوجل به القلب ، وتذوق به الروح حلاوة الذكر والعبادة ، ويذوق به الإنسان طعم السمع والطاعة للملك الحق جل جلاله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المائدة: ٨٣].

هذا التوحيد هو الذي أرسل الله به الرسل ، وأنزل به الكتب ، وشرع من أجله الدين،

وخلق الجنة والنار: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[البينة/ ٥] .

توحيد يحرك القلب والبدن بالعبودية لله وحده: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾[التوبة/ ٣١] .

التوحيد مفزع أولياء الله وأعدائه كما قال سبحانه عن الكفار: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥﴾[العنكبوت: ٦٥].

التوحيد مع الإنسان من حين يولد إلى أن يلقى الله ، ليس التوحيد فقط في الصلاة، وإذا خرجنا تركنا التوحيد، وحكمنا الهوى، وتمرغنا في الشهوات ، لا بد من التوحيد داخل الصلاة، وخارج الصلاة ، بالليل والنهار ، بالخلوة والجلوة ، بالظاهر والباطن ، توحيد يمشي كالدم ، إذا توقف أصيب الإنسان بالموت.

كذلك هذا التوحيد لا بد أن يمشي معك في هذا البدن ، حتى هذه الجوارح لا تفلت، ويستلمها الشيطان، ويحركها في المعصية ، في كل صغيرة ، في كل كبيرة ، في كل محرم: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾[يس: ٦٠ – ٦٢].

ولهذا الله بين التوحيد بياناًعظيمًافي القرآن ، القرآن كله كتاب التوحيد والإيمان ، وكتاب الدعوة الى الله، وكتاب العلم والأحكام ، وكتاب الهداية ، وكتاب الأجر والثواب ، هذا التوحيد الذي يريده الله هو التوحيد الإيماني القلبي العملي.

هذا التوحيد الخالص للرب جل جلاله الواحد الأحد به يجيب الله دعاء السائلين فورًا، ويفرج كرب المكروبين فوراً: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾[الأنبياء: ٨٧ – ٨٨].

إبراهيم ﷺ دعا فحول الله النار وجعلها عليه بردًاوسلامًا ، حول الذي يحرق إلى الذي ينقذ ، حول ما يهلك إلى ما يسعد: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾[الأنبياء: ٦٨ – ٦٩].

هذا التوحيد هو الذي حين ضرب موسى البحر انفتح اثني عشر طريقًا يبسا.
هذا التوحيد هو الذي ضرب به موسى ﷺ الحجر بالعصا التي معه ، ضربه بالتوحيد فانفجر اثنتي عشرة عينًا.
المرة الأولى ضرب موسى البحر بالعصا فخرج الحجرَ اثنا عشر طريقًا يبساً: ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٦١ – ٦٣].
والثانية ضرب الحجر بالعصا فانفتح بحرًا اثنتي عشرة عينًا: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [البقرة: ٦٠].
هذا هو التوحيد الذي يفجر من الحجر بحرًا ، ويقلب البحر إلى حجر، بضربة عصا ، هذا بقوة اليقين ، فهذا التوحيد له طعم، وله حلاوة، وله حقيقة ، فمتى نتذوق هذا ؟.
حتى إذا سألنا الله ﷻ أجابنا ، إذا دعوناه جل جلاله أعطانا .
نحن ندعو وندعو، ونسأل كثيرًا ، لكن لا نجد إجابة ، ليس مقصود الدعاء أن يستجيب الله فقط ، الله ﷻ أمرنا بالدعاء ليستجيب ، فالله ﷻ بين أنه سوف يستجيب أمر قطعي أمر مفصول فيه كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].
لماذا أمرنا الله بالدعاء ؟ أمرنا ليأتي في قلوبنا اليقين على أنه لا يدعى إلا الله، ولا يسأل إلا الله ، لا يليق بي أن أسأل ما هو مثلي أو دوني مما هو مختص بالله، بل أسأل من هو أعلى مني، وأقوى مني، وأكبر مني، وأعظم مني، وهو ربي.
قال النبي ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» أخرجه أحمد(١) .

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم: ٢٧٦٣.

هذا هو التوحيد الذي يريده الله ﷻ من الخلق ، فإذا جاء هذا التوحيد أجاب الله دعاء السائلين ، وفرج كرب المكروبين ، وأعز المؤمنين ، ونصر الموحدين ، ورد كيد المعتدين: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠].

وبه تُفتح أبواب البركات ، وتنزل الهدايات ، ويكرم الله ﷻ المؤمنين بالجنة ورضاه، ويقيهم من النار وسخط الجبار: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

هذا العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، إذا امتلأ به القلب ، زاد الإيمان في القلب، وزادت الطاعات، وتزكت به هذه النفوس؛ فهذه النفوس التي خلقها الله لا بد من تزكيتها ، ولا يمكن تزكيتها إلا بالإيمان والتوحيد: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤ – ١٩].

والتزكية معناها : طهارة الظاهر والباطن من كل سوء ونجاسة، ومن كل شرك وجهل، ومن كل معصية وذنب. .

- **والتزكية لها ثلاثة متعلقات :**

الأول : تزكية في حق الله ، بأن يزكي الإنسان قلبه، ويطهره من الشرك والنفاق والرياء وغير ذلك من الأخلاق السيئة، فيعبد الله مخلصًا له الدين، فإذا طهر قلبه من ذلك صار أهلاً أن ينزل فيه الطيب من الأقوال والأعمال والاعتقادات كالتوحيد والإيمان والتقوى.

الثاني : تزكية في حق الرسول ﷺ ، بأن يتزكى ويتطهر من الابتداع ، فيعبد الله على مقتضى الشرع فقط: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧].

الثالث : تزكية في حق الناس ، بأن يزكي نفسه، ويطهرها من الأخلاق السيئة ، كالغل والكبر، والحسد والكذب، والغيبة والنميمة، والاعتداء على الخلق ، ويعامل الناس بخلق حسن، ويجمل نفسه بأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ

﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

ومن رُزق هذه الفضائل الكريمة ، نال الدرجات العالية في الإيمان والعلم والخُلق والجنة ، كما قال ﷻ : ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس/ ٧-١٠] .

وقال ﷻ : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلى/ ١٤– ١٥] .

والفلاح هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب في الدنيا والآخرة .

وهذا المجموع القيم الذي بين أيدينا الآن بينا فيه بفضل الله ﷻ التوحيد وأقسامه ودلائله، وثماره وآثاره في الدنيا والآخرة ، وبينا فيه أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، وكيفية توحيد الله بها ، والاعتبار بها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها ؛ وذلك كله في ضوء القرآن والسنة الصحيحة .

وجمعنا فيه ولله الحمد من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، وغذاء القلوب ، ما تقر به العيون، وتسعد به النفوس، وتطمئن به القلوب، وتزكوا به العقول، وتحصل به حلاوة الذكر والعبادات، وخشية الله وتقواه: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: ١٥ –١٧].

وعرضنا في هذه الموسوعة المسائل العلمية الغيبية بما شهدت به أنوار الأدلة الشرعية، من القرآن والسنة الصحيحة ، سالمة من الأهواء الشخصية، وبريئة من العصبية المذهبية .

ولا ريب أن هذا جهد مقل، وقليل مما يجب ، ولكنه غزير المعاني والفوائد، وحلو الطعم، بما فيه من الآيات والأحاديث ، وبيان عظمة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة نعمه واحسانه، وما يجب لله من التوحيد والتعظيم، والحمد والعبادة والتقوى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦﴾ [الجاثية: ٣٦].

والحمد لله الذي وفقنا لهذا العرض للتوحيد العلمي والعملي وفق القرآن والسنة ؛ ليثمر للإنسان كمال التوحيد والإيمان والتقوى، وحب الله وتعظيمة، وحسن عبادته، ويقبل ليل المسائل المشتبة نهارًا ، ويكشف النقاب عن جمالها ؛ ليستبين سبيلها، ويشرب الناس من عذب مائها .

فأعظم شيء في بيان التوحيد والإيمان هو هذا القرآن العظيم ، ولهذا تم تحرير هذه الموسوعة: (في ضوء القرآن والسنة) .

فنور القرآن منثور في هذه الموسوعة، وموجود في هذا الكتاب بالآيات القرآنية، وبالأحاديث النبوية ، ونحن إنما نكتب مقدمات يسيرة عما ذكره الله ﷻ من العلم الإلهي في كتابه العزيز، وذكره النبي ﷺ في سنته: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

وهذه الموسوعة تحرير موجز يطرد الجهل، ويزيل الشك والريب ، ويحقق التوحيد الخالص، والإيمان الصادق، والعلم النافع، والعمل الصالح، بإذن الله ﷻ.

وهذا من فضل الله ﷻ وحده ، ونرجو الله ﷻ أن يكون ذلك قرة للعيون، وممتعٌ للأسماع، والأبصار والبصائر، والعقول والقلوب: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

جمعنا في هذه الموسوعة بفضل الله وحده بين القول والنقل، والمعقول والمحسوس ، فهي تسبح في فلك التوحيد والإيمان والشريعة، وتحطم الشرك والبدع والرذيلة ، وتقيم بنيان الحق والسنة والفضيلة بإذن الله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

فلله الحمد على جزيل العطاء والإحسان، وله الشكر على تمام الإكرام والإنعام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وهذه الموسوعة المقصود منها بيان التوحيد والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وترغيب الخلق في لزوم الصراط المستقيم ، ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه ، وبشارة المؤمنين بما أعد الله لهم من الجنات ، وبيان جزاء كل من خالف هدي الله ورسوله بالنار: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعل هذه الموسوعة غذاء نافعًاللعقول ، وقوتًا للقلوب ، ومحركًا للقلوب والجوارح إلى أجل مطلوب ، ومثيراً لساكني العزمات إلى روضات الجنات ، كما أسأله ﷻ أن يجعلها نورًا للسائرين ، ومنارًا للتائهين ، ومصباحًا للمتعبدين ، وقرة عين للموحدين ، وروضة للمتعلمين: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود: ٨٨].

والحمد لله رب العالمين الذي مَنَّ علينا بنعم لا تعد ولا تحصى ، فاطلعنا على كثير من المراجع العلمية النافعة، واستخلصنا منها المسائل التي تغذي العقول والقلوب ، وتملأ القلوب بالعلم والإيمان والتوحيد ، والحب لله، والحب لرسوله ، والحب لكلام الله، وكلام رسوله ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء: ٧٠].

إن المسلم الذي يعبد الله ﷻ لابد له – ليحصل على الفلاح، وينجو من الخسارة – من علم متين بحقائق الدين ، لا بد من علم متين محيط ، يعني أن أدخل في الدين هذا شيء ، وأن يدخل الدين فيَّ شيء آخر أعظم، فإذا دخلت في الدين دخلت في هذا السوق العظيم ، لكن ماذا اشتريت من هذا السوق العظيم؟: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [الحجرات: ١٤].

هذه الدنيا ساحة كبيرة، ووقت طويل ، لابد أن أضع في هذا الوقت ما يحبه الله ويرضاه . لا بد أن يكون عندي علم متين بمقصود الله ﷻ من خلقه ، ولم خلق هذا الكون ؟ وماذا يريد الله مني ؟ وماذا أريد أنا من الله ؟ وكيف أسير على أفضل طريق، حتى أصل إلى أفضل مكان ؟ لا بد أن تكون عندي هذه المعارف الإيمانية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

هذه المعارف صعبة على النفوس ، لا بد لها من محرك ، هذا المحرك هو الإيمان ، فإذا جاء الإيمان في القلب جاء كل شيء من الأعمال الصالحة، وإذا فقدنا الإيمان فقدنا كل شيء.

فلا بد للمسلم الذي يرجو الفلاح والنجاة من علم متين بحقائق الدين ، يميز به بين الحق والباطل ، وبين العالي والسافل ، وبين الغالي والرخيص ، وبين الحسن والقبيح: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩].

وهذا الدين العظيم لا ريب ولا شك أنه لمن آمن به، وعمل به، وذب عنه، وصبر على كل أذى في سبيله ، وبذل وترك كل شيء من أجل تحصيله، ومن أجل نشره: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ – ٣].

أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم والمؤمنين والمؤمنات من هؤلاء: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨].

فجاء هذا الكتاب الواسع ولله الحمد وظهر لنا ، وللقارئ غنمه، وعلى مؤلفه غرمه.

أسأل الله ﷻ أن يعفو عنا، ويتجاوز عنا ، عن كل سهو، وعن كل ما ورد فيه من أخطاء ؛ فالكلام عن الله عظيم ، والكلام عن هذا الدين عظيم ، ولا يستطيع أن يقوم به الإنسان بمفرده ، ولكن حسبي أني وضعت قطرة، ليأتي من يفجر البحار، ومن يجري الأنهار، في بستان العالمين إن شاء الله تعالى.

هذا الكتاب الذي يتكلم عن العظيم سبحانه، وما يجب له من التوحيد والعبادة هو أعظم شيء هديت إليه وأحب شيء إلي ، وأنا أهديه مسروراً لكل مسلم ومسلمة على وجه الأرض ، هو أغلى ما أملك ، وهو أحسن ما جمعت ، وأحلى ما رأيت ، وأنفس ما أهديت.

وأبواب هذه الموسوعة لكم مفتوحة ، وكنوزها مطلوبة ، وثمارها مجلوبة ؛ فلنقطف من ثمارها ما أحببنا بفضل الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو

﴿ ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤ ﴾ [الجمعة: ٤].

وهذا الكتاب هدية المسلم لأخيه المسلم ، فاقبله قبلك الله في مجموعة الفائزين ، وغفر الله لنا ولك أيها القاري والمستمع ، غفر الله لنا ولك وللمسلمين ، وجمعنا جميعًافي الدنيا على الايمان والعمل الصالح ، وفي الآخرة في جنات النعيم: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥ ﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥] .

فاستعن بالله العظيم، وأقبل على طلب العلم ، وأبك أمام الله ، وتوجه إلى الله أن يعلمك ما لم تكن تعلم ؛ فالكلام عن الرب العظيم عظيم لا نهاية له ، والحديث عن الكبير كبير لا حد له، والكلام عن الواسع واسع لا طرف له، والأمر أكبر من أن يحاط به ، وأوسع من أن يوقف على خفاياه ؛ لكن أول العلم قطرة ، ومن استهدى فسيُهدى ويُعطى ويُكرم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

نسأل الله ﷻ في جميع أمورنا إصابة الصواب إلى سواء الحكمة، وحسن الخطاب ، وأن نكون قد وُفقنا لجمع ما لذ وطاب من غذاء العقول، وقوت القلوب.

ونسأل الله ﷻ أن يهدينا وإياكم سواء السبيل ، وأن يجعلنا هداة مهتدين ، وأن يجعلنا شمسًاينور الله بها قلوب العالمين: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت: ٣٣].

- **وميادين الدعوة بين الناس ثلاثة :**

كافر.. وجاهل.. وغافل .

- **فالناس ثلاثة أقسام :**

الأول: كافر تدعوه إلى الله لعله يهتدي: ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣ ﴾ [السجدة: ٣].

الثاني: جاهل نعلمه الشرع: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

الثالث: عاص لله ورسوله، فهذا نواسيه، ونحسن إليه، وننصحه، ونرغبه، ونذكره بالله ﷻ: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

- والدين خطوتان : خطوة للعبادة ، وخطوة في الدعوة .

فالمؤمن بين أمرين ، إما بين يدي ربه عابداً بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣﴾ [المزمل: ١ – ٣].

أو بين يدي خلقه داعياً بـ :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾ [المدثر: ١ –٧].

- **والدين يقوم على أصلين عظيمين :**

عبادة الحق . . والإحسان الى الخلق .

فالدين كله مجموع في أمرين : عبادة الحق ، ومحاسنة الخلق: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾[فصلت/ ٣٣] .

دعا إلى الله : محاسنة الخلق ، عمل صالحًا : عبادة الحق .

﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[النساء/ ٣٦] : هذه عبادة الحق .

﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾[النساء/ ٣٦] : محاسنة الخلق .

نقول للناس حُسنًا ، ونقول لهم القول السديد ، وأحسن القول هو : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

ونحسن عبادة الله ، ونحسن كما أحسن الله إلينا، ونحسن إلى خلقه، ونتشبه بصفات الرب ، فالله ﷻ محسن إلى خلقه ، فنحسن نحن إلى الخلق: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص: ٧٧].

نحسن إلى الكافر بدعوته إلى الله ، ونحسن إلى الجاهل بأن نعلمه ، ونحسن إلى الفقير بأن نواسيه ، ونحسن إلى الضعيف بأن نقف معه ، وهكذا نحن بين عبادة الحق، وبين محاسنة الخلق: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

والقرآن كله في كل سورة ؛ بل في كل آية ، موضوعه دعوة الى عبادة الحق، ومحاسنة الخلق ، تحبيب الخلق إلى الخالق بالعبادة، وتحبيب الخالق إلى الخلق بالدعوة.

متى يحب الله الناس ؟ باتباع الرسول ﷺ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

فهذا الإنسان الذي خلقه الله يريد منه بعد الايمان كمال الأخلاق ، وكمال الأقوال ، وكمال الأعمال ، وكمال الصفات ، والله ﷻ بين لنا أسماءه وصفاته لنتخلق بها: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

مقصود الله ﷻ من خلقه عبادته بموجب أسمائه وصفاته ، لا يكفي أن أعرف الله معرفة مجملة فقط ، معرفة الله فقط بالفطرة هذا لا يكفي لمحبته وتعظيمه وعبادته؛ لا بد من معرفة ربنا العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

فلكي نعبده حقاً لابد أن نعرفه حقاً، ولهذا بين الله لنا أسماءه وصفاته وأفعاله في كتابه لكي نعرفه ثم نعبده فقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر/ ٢٢-٢٤] .

وقال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال ﷻ: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨].

فلا بد لهذا القلب أن يمتلئ بالإيمان بالله ﷻ ومعرفة أسمائه وصفاته، ليحرك هذا البدن ، بالأعمال الصالحة.

بالطعام نعطيه القوة البدنية ، وبالقوة الروحية، والقوة الإيمانية، نحرك هذا الجسد بما يحبه الله ويرضاه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

وكلنا من أمة محمد ﷺ ، وكلنا نأخذ من العلم الإلهي كلٌّ بحسبه وطلبه، وجهده وقدرته، وذكائه وفكره ، لكن الله حكم على كل إنسان وعلى كل الأمة بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾[الإسراء/ ٨٥] .

وأمر سبحانه أعلم الخلق به بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه: ١١٤].

ومن ادعى أنه يعلم كل شيء، وأنه أعلم الناس، وأعرف الناس ؛ فليعد الكلمات الطائرة منه، وليعد شعر رأسه ، وليعد أنفاسه، فضلًا عن أنفاس العالم، وشعور العالم وذرات العالم، ورمال العالم ، وقطرات الماء في العالم.

فنحن نعمل ونتواضع وننكسر بين يدي علام الغيوب، العليم الذي لا يخفى عليه شيء ، القادر على كل شيء ، المحيط بكل شيء ، نعمل ونستغفر ؛ نعمل بالافتقار والتواضع ، ونستغفر الله من أعمالنا وأقوالنا ؛ لأننا لم نعبد الله كما يجب ، ولا علمنا شرعه كما يجب ، وما تعرفنا عليه كما يجب: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

فالإنسان يقعد دائمًا على موائد العلم، ويتعلم ويعلم ، وينتقل المؤمن من بيئة الذكر إلى بيئة الغفلة حتى يخرج غافلين، ويجعلهم ذاكرين ، ثم يحولهم بأمر الله إلى مذكرين : ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾[الغاشية/ ٢١] .

فنستعين بالله ، ونقرأ ونتدبر ، ونتعلم ونعلم، ونشكر الله ﷻ ، ونتزود ونستغفر ، ونقول كما قال الله ﷻ لنبيه ﷺ : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾[طه/ ١١٤] .

ومن أمامنا من الخلق أشكال وألوان، ونافع وضار، ومحسن وظالم، وشكور وحاسد، ومستقيم ومنحرف.

فبعض الناس نراه سفيهًا في صورة حكيم ، وجاهلًا في صورة عالم ، وفقيرًا في صورة غني ، وحاسداً في صورة شاكر، فنصبر على ما يأتينا ، وعلى ما نراه ونسمعه ، ونعتصم بحبل الله وحده ، ونقطع ما سواه من الحبال ، ونكون للناس كما كان النبي ﷺ للناس رؤفًا رحيمًا، ناصحًا شكورًا: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

ونقتدي بالأنبياء والرسل والقرن الأول في أمور الدين كلها، ونبتعد عمن تفرقت بهم سبل الجهالات، وتنوعت بهم طرق الضلالات، من كل شيطان ضار في صورة إنسان بار ؛ وهذا من أعظم المصائب ، ونبتعد من كل لئيم في صورة كريم ، ومن كل خائن في صورة أمين ، وغيرهم ممن شغله الشيطان بالضلال والإضلال: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٨].

وحق هؤلاء علينا جميعًاالدعاء لهم بالهداية ، بدعوتهم إلى من أمرنا بالصبر على أذاهم ، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة والرفق واللين ، ولا نطلق الكلام بلا خطام، فما خرج من الإنسان لا يمكن رده ، وما فات لا يمكن محوه .

كذلك نحن في هذا العمل المبارك نقدم ما يحبه الله على ما تحبه النفس ، ونتزود من زاد المعاد بأحسن زاد ، ونتخذ من الإيمان والعلم والعمل سلماً نرقى به الى جنات النعيم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[النساء/ ٦٩-٧٠] .

أكثرنا لا يتدبر هذه الآية، ولا يفقه معناها ، هذه الأمة أمة عظيمة : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

[آل عمران: ١١٠].

هذه الأمة أمة عظيمة مكرمة، ذنوبها مغفورة ، وعيوبها مستورة ، وأعمالها مضاعفة ، واعمارها قصيرة لا يجوز لنا أن ننتقد أحدًافي هذه الأمة ، بل من رأيناه مقصراً ومخطئًاواجبنا نصيحته، والرفق به، ورحمته، وتحبيب الدين له، حتى يُقبل على ربه ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

هذه الأمة تُحشر مع الأنبياء : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠].

نحشر مع الأنبياء لأننا نقوم بعمل الأنبياء ، ما هو عمل الأنبياء ؟ الدعوة والعبادة ، نُحشر مع الأنبياء إذا قمنا بجهد الأنبياء ، فالله ﷻ جعل هذه الأمة خير أمة لأنها تقوم بعمل الأنبياء : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

خير أمة في اليقين ، في التوحيد ، في الإيمان ، في الصدق ، في الإحسان ، في الدعوة ، في التعليم ، في العبادات، في الصلاة ، في الصيام، في الآداب، في الأخلاق، في المعاملات.

- **وقد توج الله هذه الأمة بأربعة تيجان لم تكن لغيرها من الأمم وهي:**

تاج ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

وتاج ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ [الحج/ ٧٨] .

وتاج ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

وتاج ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

لماذا ؟ لأنها نائبة عن النبي ﷺ في أمته.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**» أخرجه البخاري (١) .

ولهذا الله ﷻ يذكر في القرآن كل نبي لوحده : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗا﴾ [الأعراف/ ٧٣] .

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗا ﴾ [الأعراف/ ٦٥] .

لكن النبي ﷺ لا يذكر في القرآن إلا ومعه أمته : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٢٢٠).

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة/ ٢٨٥] .

وقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح/ ٢٩] .

في القرآن إشارات عظيمة، وإيضاحات ساطعة بينة لكل إنسان، إنه دائمًا يذكر النبي ويذكر هذه الأمة ؛ لأن هذه الأمة نائبة مناب النبي ﷺ إلى يوم القيامة ، فالواجب علينا أن نعد أنفسنا بأن نكون نواب النبي ﷺ في أمته:

في نيته وفكره ، وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الحسنة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب: ٢١].

وهكذا نحن هداة إلى الله ، دعاة إلى الله ، لا بد أن ننشر الفضيلة والحق والتوحيد والايمان في العالم ، هذا النشر يسره الله لنا في هذا الزمن بواسطة هذه الأسباب والوسائل، فننوي بما نكتب أن يراه كل إنسان على وجه الأرض ، ما نكتبه دعوة إلى الله ، ننوي بهذا أن يراه كل مخلوق على وجه الأرض ، فالله يعطينا بهذه الأسطر التي نكتبها أجر كل البشرية ؛ لأن النية تجارة العلماء ، أنوي بما أكتبه وأقوله هداية البشرية كلها: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم: ٥٢].

عن عُمَرَ بن الخطَّابِ رَضِي الله عَنْه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى** ». متفق عليه(١).

البشرية كلها في الظلمات إلا من آمن، البشرية كلها في جاهلية إلا من آمن.

فنكتب ونملأ هذه الشاشات والأوراق بكل ما يحبه الله ويرضاه، ليخرج الناس من الهوى الى الهدى، ومن الظلمات إلى النور: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾[الحديد: ١٦ – ١٧].

وقال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (١) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٩٠٧).

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١].

ونتعاون على البر والتقوى ، لأن الحق ينتشر بالتعاون، والباطل ينتشر بالتعصب .
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة: ٢].

كل واحد منا هو المسئول عن الدين، ونحن تبع له ، إذا أَذن جئنا للصلاة جميعاً، وإذا أقمنا الصلاة جاء كل خير: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وإذا اتصلنا بالكبير فنحن كبار ، إذا اتصلنا بالصغير فنحن صغار ، إذا اتصلنا بالقوي فنحن أقوياء، وإذا اتصلنا بالعزيز فنحن أعزاء، وإذا اتصلنا بالمؤمن فنحن آمنين: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

والله خلق لنا هذا الكون ، وخلق هذه السماوات، وهذه الأرض ، وجعلنا محلًّا لاستثمار هذه الأرض، وهذا العمر ، فنتكلم بألسنتنا ، ونكتب بأيدينا، ونسمع بآذاننا، ونعبد الله بجوارحنا وألسنتنا وقلوبنا، ونُري الله ﷻ منا ما يحبه ويرضاه : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج: ٧٨].

والصلاة أعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤].

ولا شك أن هذه الصلاة تصل العبد بربه جل جلاله ، وأقوى روابط الإيمان هي هذه الصلاة التي تجمع بين المخلوق وخالقه، فيقف بين يدي ربه مكبراً له ، حامداً له ، سائلاً له ، مستغفراً له ، مقدماً التحية له ، ومصليًا على من كان سببًا في الاتصال به .

وكما يُجمع بين أجزاء القماش بالخيط ، ويجمع بين الطوب بالطين ، ويجمع بين الحديد باللحام ؛ كذلك الذي يربط البشرية برباط وثيق، ويجعلها كالجسد الواحد هو الإيمان ، وأقوى رابطة تربط هذا الإنسان بالإنسان ليست رابطة الجنس، ولا اللون، ولا اللغة، ولا الوطن ، أقوى الروابط التي تجمع البشرية على شيء واحد، وعلى شيء نافع، وعلى شيء فيه العزة هي رابطة الإيمان: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

رابطة الإيمان أعظم الروابط، وأكبر الروابط على الإطلاق ، ولشدة قوتها ربطت بين الخالق والمخلوق ، وربطت بين السماء والأرض ، وربطت بين الأمة ورسولها ﷺ ، وربطت بين بني آدم في الأرض ، وربطت بين بني آدم والملائكة ، وربطت بين بني آدم والجن ، وربطت بين الدنيا والآخرة: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فرابطة الايمان رابطة عظيمة تجعل الأمة كالجسد الواحد ، دينهم واحد ، وربهم واحد، وكتابهم واحد، ورسولهم واحد، وعبادتهم واحدة ، ومن أجل إيجاد هذا الرابط الله ﷻ خلق السماوات والأرض وما فيهما، وخلق الجنة والنار: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٢﴾ [الجاثية: ٢٢].

ومن أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع : ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة/ ٧١] .

ومن أجلها كان الله ولي المؤمنين، والشيطان ولي الكافرين: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة/ ٢٥٧] .

فلا بد للإنسان أن يرتبط بأخيه المسلم بهذا الترتيب الإيماني ؛ ليكون مؤمنًاأصغر مرتبطًابالمؤمن الأكبر ، قوياً أصغر مرتبطًابالقوي الأكبر ، عزيزاً أصغر مرتبطًا بالعزيز الأكبر جل جلاله ، فهذه الرابطة رابطة عظيمة ، وأقوى الروابط هي هذه الرابطة: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات: ١٧].

- **والله ﷻ خلق المخلوقات على أربعة أقسام :**

الأول: قسم خلقهم الله ﷻ عقولًابلا شهوات ، وهؤلاء هم الملائكة : ﴿ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

الثاني: خلق خلقهم الله ﷻ شهوات بلا عقول ، وهؤلاء هم الحيوانات .

الثالث: خلق خلقهم الله بلا عقول ولا شهوات، وهم عالم الجماد والنبات.

الرابع: خلق خلقهم الله ﷻ فيهم عقول، وفيهم شهوات، وهم الجن والانس.

العقول يعقلون بها عن ربهم معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، ودينه ووعده ووعيده.

وبهذه العقول السليمة تطيع أيها الإنسان ربك، وتعبده، وتوحده، وتتبع رسله.

وأفضل بني آدم هو المؤمن ، ومهمته تقديم الوحي على العقل، وعبادة الله وحده لا شريك له: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

فبنوا آدم فيهم عقول وشهوات ؛ عقول تجعلهم يخترقون الصور إلى المصور، والمخلوق إلى الخالق، ويخترقون الدنيا إلى الآخرة ، ويقدمون ما يحب الرب على ما تحب النفس . والجزء الثاني من هذا الإنسان هو الشهوات المتعلقة بالنفس ، فلا بد من التذكير لتقوى الروح على النفس ، ويقوى العقل على الهوى ؛ حتى يقدم الإنسان الوحي على العقل: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧ – ١٠].

وإبراهيم عليه السلام لما أوقدت له النار ، والعقل يقول له : تودد إلى هؤلاء الناس ، قدم لهم شيئًا ، تنازل عما أرسلت به، لتنجو من النار ، لكنه قدم الوحي ،

وتوجه إلى الله ، فالله ﷻ خاطب النار مباشرة، وجعل المهلك منقذاً: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٨ – ٦٩].

لأن إبراهيم ما توجه إلا إلى ربه ، فالله نصره وأنجاه فورًا ، فبقدر قوة اليقين تأتي النصرة فورًا ، الله قلب هذه النار وجعلها بردًا وسلامًا ، وجعلها حارسة لإبراهيم ﷺ ؛ لأنه قدم الوحي على العقل ، العقل يقول : ابتعد عن النار ، ادفع ما تستطيع، حتى تنجو من النار ، فلما قدم الوحي سخر الله له النار، وسلبها قوتها، وجعلها بردًا وسلاماً عليه .

فنحن هذا الصنف من الخلق فينا عقول، وفينا شهوات ، فينا روح، وفينا نفس ، هذه الروح محبوباتها علوية، وهي بحر الطاعات ، والنفس محبوباتها أرضية، وهي بحر الشهوات ، لابد من التذكير بالله، لتقوى الروح على النفس، حتى تدير هذا الإنسان بالأعمال الصالحة: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ٩ – ١٩].

وإذا لم يوجد المذكر قويت النفس، والتحم بها الشيطان، فأصبحت تدير هذا الجسد بكل ما يغضب الله، : تسمع ما حرم الله ، وترى ما حرم الله ، وتتكلم بما حرم الله، وتأخذ ما حرم الله: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦].

- **وإيمان الخلق درجات:**

الأول: إيمان الملائكة ثابت لا يزيد ولا ينقص ، فهم دائماً : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم/ ٦] .

فكما طُبعت الشمس على الإنارة، والأرض على الإنبات، واللسان على الكلام ، كذلك طُبعت الملائكة على الإيمان الموحد لا يزيد ولا ينقص فهم: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم/ ٦] .

وهم مُبرءون من الشهوات ، لا ينامون، ولا يأكلون، ولا يشربون، أجسامهم صمد، يعني ليس بها جوف، وهم مجبولون على طاعة الله ﷻ:﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٢٠].

الثاني: إيمان الأنبياء والرسل، فإيمانهم يزيد ولا ينقص ؛ لكمال معرفتهم بالله ، وهم درجات ، ولهذا الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون كما ورد في الحديث الصحيح ، لكمال معرفتهم بالله ، يحبون عبادة الله ، لا ينقطعون عنها أبدًا ، الله مَنَّ عليهم، وجعلهم أحياء في قبورهم يصلون .

القسم الثالث : إيمان سائر المسلمين ، إيماننا هذا يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية ، ومن أعظم الطاعات والعبادات الفكر والتفكر ، لا بد من تغيير الفكر، ليتغير العمل، لتتغير طريقة الحياة.

والتفكر لا بد أن ينظر الإنسان في الآيات الكونية، وينظر في الآيات القرآنية ، ويتفكر في خلق هذا الكون العظيم، وهذا الملك الكبير ، ويتفكر في أسماء الله وصفاته وأفعاله، ويتفكر ما رتبتي في هذا الكون ؟ وماذا يريد الله مني ؟ وماذا أريد أنا منه ؟ وكيف أقضي حياتي ، على طريقة النبي ﷺ، أو على طريقة الحيوانات ، أو على طريقة الشياطين ، أو على طريقة الكفار ؟: ﴿ إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[البقرة: ١٦٤].

هكذا يكون عند الإنسان هذا الفكر ، فأعظم العبادات هي التفكر والنظر والتدبر، لأن ذلك يثمر تعظيم الله ومحبته، وتوحيد الله، والإيمان به: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِى ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس: ١٠١].

ثم تأتي العبادات الجسدية سهلة محبوبةمن صلاة وقراءة قرآن وأذكار وأدعية: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ

تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩].

وبعد معرفة الله تأتي قوة التعظيم له، وقوة المحبة له، وقوة العبادة له: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

- **والإيمان درجات :**

فأول درجات الإيمان : تجعل المسلم يحب الله، ويعظمه، ويؤدي العبادة لله ﷻ، ويتلذذ بها، ويحافظ عليها ، لكن لحسن المعاملة مع من فوقه أو مثله من الناس يحتاج إلى إيمان أقوى يحجزه عن ظلم نفسه، وظلم غيره .

ولحسن المعاشرة لمن دونه من الضعاف من الخلق ، كالحاكم مع رعيته، والرجل مع أهله ، يحتاج إلى إيمان أقوى يحجزه عن ظلم من دونه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

وكلما زاد الإيمان زاد اليقين، وزاد العمل الصالح، وزادت الأخلاق الطيبة، وصار العبد يؤدي حق الله، وحق عباده، في جميع الأحوال ، فهو حسن الخلق مع الخالق، ومع المخلوق ، فهذا بأرفع المنازل في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وكل إنسان في هذه الحياة سائر لا واقف ؛ إما إلى فوق، وإما إلى أسفل ، إما إلى أمام وإما إلى وراء ، وليس في الطبيعة، بل ولا في الشريعة، وقوف البتة ، فالإنسان شجرة تثمر الحلو والمر ما دامت حية: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٢ – ٣].

وكل عبد ما هو إلى مراحل تُطوى أسرع طيٍّ ، عمره يُطوى أسرع طي بحسب

العمل، إلى الجنة أو النار ، فمسرع ومبطئ، ومتقدم ومتأخر ، وليس في الطريق واقف البتة ، وإنما يختلف الناس في جهة المسير : أين نتجه ؟ وفي السرعة والبطء ، وفي الربح والخسارة، فمن لم يتقدم إلى الجنة بالإيمان والعمل الصالح ، فهو متأخر بلا شك إلى النار بالكفر والأعمال السيئة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾﴾[محمد: ١٢].

والقرآن كله، والدين كله، نذيرٌ للبشر، لمن أراد أن يتقدم أو يتأخر: ﴿نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾[المدثر/ ٣٦ ، ٣٧] .

فنحمد الله ﷻ أن مَنَّ علينا بهذا الدين العظيم ، وجعلنا من خير أمة أُخرجت للناس ، وأعطانا هذا الدين الكامل، وأمرنا أن نكمله في أنفسنا، ونكمله في حياة غيرنا: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾[العصر: ١ –٣].

هذا فضل عظيم من الله به علينا، وإلا فالله قادر أن يهدي الناس جميعًا ، لكن الله جعلنا من خير أمة أُخرجت للناس، وأنزل لنا أحسن دين، وأحسن أعمال، وكلفنا بأفضل عمل ، فإذا قمنا بالعمل انتشر النور في العالم ، وإذا تأخرنا عن العمل أصبح العالم ضائعًاتائهًايعيش في الظلمات: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام: ١٢٢].

فالإسلام أعظم نعمة أنعم الله بها على البشرية كلها ، ونبينا أفضل الرسل، وكتابنا أفضل الكتب ، والله ﷻ أورث هذا الكتاب من اصطفاه من خلقه الذين هم هذه الأمة ، بعد الأمم السابقة أورثنا هذا الكتاب ، وبين سبحانه أن هذه الأمة تنقسم إلى ثلاثة أقسام كما قال سبحانه : ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[فاطر/ ٣٢] .

فليعلم كل واحد أنه أحد هؤلاء الثلاثة ، فهذه الأمة ورثت الكتاب ، لم ترث الأموال والمباني، والقصور والمزارع ، إنما ورثت هذا الكتاب ، وهم مع هذا الكتاب ثلاثة أقسام :

ظالم لنفسه . . ومقتصد . . وسابق بالخيرات .

من هو الظالم لنفسه ؟ ولماذا بدأ به الله ﷻ ؟ .

الظالم لنفسه : هو الذي يطيع ربه مرة ، ويعصيه مرة ، ويخلط العمل الصالح بالعمل السيئ ، هذا هو الظالم لنفسه ؛ لأنه عرف ربه ، وخالف أمره مرة ، وأطاع ربه مرة.

فهذا ظالم لنفسه ، وبدأ به في الآية لئلا يقنط من رحمة الله، لكثرة معاصيه، وإظهاراً لفضل الله عليه في التوبة وقبوله ، ولأن أكثر أهل الجنة هم الظالمون لأنفسهم ؛ لأنه لا يستطيع أحد أن يؤدي حق الله كما يجب .

والمقتصد : هو الذي يؤدي الواجبات فقط، ويترك المحرمات فقط .

وأما السابق بالخيرات : فهو الذي يؤدي الواجبات، ويترك المحرمات، ويتقرب إلى الله بكل ما يحبه ربه ويرضاه من الفرائض والنوافل ، وبكل ما أمر به من الفرائض والنوافل ، وأخر الله ﷻ ذكره في الآية، لئلا يُعجب بعمله فيحبط عمله ، ولأنه أولى الناس بدخول الجنة ، وأول الناس بدخول الجنة التي ذكرها بعدها .

وأكثر أهل الجنة الظالمون لأنفسهم، ثم المقصدون، وأقلهم السابقون.

وقد وعد الله جميع الأقسام الثلاثة بفضله ومَنِّه بدخول الجنة كما قال سبحانه بعد ذِكر أعمال الأنبياء، وجهد الأنبياء السابقين اصطفى منا الرسول، واصطفانا من الأمم : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر: ٣٢ – ٣٣].

فلله الحمد والشكر أن اصطفى منا سيد الرسل، واصطفانا من بين الأمم.

فهذا نعمة كبيرة أن الله ﷻ قسم هذه الأمة ثلاثة أقسام، وقبلهم جميعًافي دخول الجنة ، لا بد أن أصنف نفسي أن أكون في الصف الأول في الدين، وفي الصف الأخير من الدنيا ، وليس الزهد في الدنيا معناه ترك الأموال، وترك الكسب، وأن

الإنسان لا يتنعم بهذه الخيرات ؛ لا ، الدنيا المذمومة هي الحركة المخالفة لمنهج الله ، الدنيا التي تشغلك عن الدين ، الدنيا التي تشغلك عن طاعة مولاك ، ما أشغلك عن طاعة الله فهو من الدنيا ، وما أعانك على طاعة الله فهو من الدين ، البس لباسًا جميلًا ، كُل أكلًا جميلًا ، اسكن مسكنًا جميلًا ، اركب سيارة جميلة ؛ هذا كله من الدين ، لكن نستعين بهذا على طاعة الله، وابلاغ دينه، والإحسان الى خلقه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

أنتم أيها المؤمنون أهل أن تنعموا بهذه النعم، وتأكلوا من الطيبات: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

أما الكفار فهم يعيشون في الدنيا بنعمة الربوبية ؛ لأنه ليس فيه خالق ولا رزاق إلا الله، ولا فيه أرض إلا لله ، فالله أطعمهم وسقاهم وأسكنهم بعطاء الربوبية ، لكنهم جحدوا ذلك ، وسوف يحاسبون على أعمالهم التي خالفوا فيها أمر الله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣ ﴾ [الحجر: ٩٢ –٩٣].

فلا يغتر أحد بما أعطى الله الكفار من الأموال والأولاد: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥ ﴾ [التوبة: ٥٥].

أما أنت أيها المؤمن، فأنت جدير بكل نعمة أن تأخذها، وتستعين بها على طاعة الله ، فتأخذ المال وتخرج منه الزكاة والصدقة وتنفق منه في سبيل الله، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى ، وتلبس اللباس الجميل، وتسكن السكن الجميل لتظهر نعمة الله عليك، وإذا وسع الله عليكم فوسعوا، واستعينوا بذلك على طاعة من خلقكم ورزقكم: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

لكن لا تشغلك هذه الطيبات، وهذه الدنيا عن الدين ، لا تشغلك النعم عن المنعم جل جلاله ، والنبي ﷺ عاش الحياة التي فيها كثرة الأموال، وعاش الحياة التي فيها

الشدة ، لكن أغلب حياته أنه زهد في هذه الدنيا، ومات على الافتقار التام لربه جل جلاله.

والله ﷻ مَنَّ عليه بأن وضع كنوز كسرى وقيصر تحت قدميه ، ووضع غنائم حنين تحت قدميه : أعطاه أربعين ألف رأس من الغنم ، وأربعة وعشرين رأسًامن الإبل ، وستة آلاف من السبي، وثلاثة آلاف أوقية من الذهب، وهذه كلها وضعها تحت قدميه ، وأنفقها كلها على الصحابة والمؤلفة قلوبهم، وعاش بصفة العبودية: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

فهذا الإيمان إذا دخل في القلب حرك الجوارح بالأعمال الصالحة، وأصبحت أُحب كل شيء يحبه الله ويرضاه ، كالمال إذا كان عندي اشتريت به كل شيء أحبه.

والإيمان له طعم، وله حلاوة، وله حقيقة.

طعم الإيمان بينه النبي ﷺ بقوله : «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**» أخرجه مسلم[1] .

أما حلاوة الإيمان فتكون بعد التذوق؛ لأنه بعد التذوق يتبين لي أن هذا حلو أو مر ، حلاوة الإيمان بعد الطعم ، وهي درجة فوق الطعم ، وقد بينها النبي ﷺ في قوله : «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**» متفق عليه[2] .

نحن نكره الصفات التي في الكفار ، لكن أجساد الكفار وقلوبهم خلقها الله لطاعته، ونحن تركناها حتى استولى عليها الشيطان، وأشغلها بالمعاصي والكفر والشرك والبدع .

فنحن يكون كرهنا لصفات الكفار، والكفر سبب للتقرب منهم ودعوتهم، ولا بد من رحمة الكفار، ولا بد من رحمة العصاة :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٣٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦)، وأخرجه مسلم برقم (٤٣).

نحن لا نحب الكافر ولا كفره ، لكن نجتهد لنحول الكافر بإذن الله إلى مسلم، وأن تكون صفاته صفات المؤمن ، لا بد من إكرام هذا الإنسان أو هذا المخلوق الشارد عن ربه ، الشارد عن بيئة المؤمنين ، الشارد عما ينفعه إلى ما يضره ، هذا لا بد من تأليف قلبه بالقول الحسن، والكلام الحسن، والإكرام الحسن، واستقباله وإكرامه بالطعام والشراب، والهدية والمؤانسة، والكلام الجميل ، حتى يزول عنه هذا الغبار والضلال، فيخرج إنساناً صالحاً ومصلحاً، وذاكراً مذكراً، وداعياً ومعلماً ، لا نتركه على غباره يلقى الله بكفره: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

نحن مسئولون عن البشرية كلها، المؤمن كيف نتعاون معه على نشر الحق ؟ والكافر كيف يهتدي ؟ والجاهل كيف يتعلم ؟ وهكذا نحن من أعمال إلى أعمال حتى نلقى الله في دار الجزاء، وهناك النعيم المقيم: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾** ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال رسول الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه[١] .

جميع المؤمنين إخواني ، لا بد أجتهد على الصالح حتى يكون مصلحًا ، وعلى الذاكر ليكون مذكراً ، وهكذا يكون جهدي على نفسي وعلى غيري، فكل شريحة من شرائح الأمة كلها تعمل من أجل إعلاء كلمة الله، ومن أجل إقامة دينه ونشره في العالم: ﴿ **هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾** ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

فمن سمع بالعسل أحبه، ومن ذاقه وجد حلاوته، ومن وجد حلاوته أكل منه، وهكذا إذا عرفت الله بأسمائه وصفاته ، وعرفت ما يحبه ويرضاه؛ فليس لي عمل غير امتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ **فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣)، وأخرجه مسلم برقم (٤٥).

﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

المخاطب بهذا الكلام هو نحن ، أول المخاطبين هو هذا المتكلم الذي يتكلم الآن ، هو أول المخاطبين ؛ لأن لسانه يخاطب قلبه ، ثم السامع يسمع فيصل الكلام إلى قلبه ، ليعلم هذا القلب أنه لا بد من إصلاحه.

قال النبي ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ**» متفق عليه [١] .

إذا صلح هذا القلب جاء اليقين، وإذا رفع المؤمن يديه يُستجاب دعاؤه فوراً وتقضى حاجته فوراً.

فهو إن توجه إلى الله وحده استجاب دعاءه فورًا ، موسى وقف أمام البحر فدعا ربه ففتح له الطريق فورًا ، وضرب الحجر فانفجر له الماء فورًا: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠﴾ [البقرة: ٦٠].

والكفار وصلوا إلى النبي ﷺ في الغار، فتكلم بعضهم مع بعض وقال : أما تعقل ؟ ! أيأتي هنا رجل ؟ ! أيجلس في هذا المكان إنسان ؟ ! ، سلب الله عقولهم ، وهم لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرأى النبي ﷺ .

وأبو بكر يقول : يا رسول الله لو نظر أحدهم الى قدميه لرآنا، فقال له رسول الله ﷺ ، « **يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا** » متفق عليه [٢] .

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، وأخرجه مسلم برقم (١٥٩٩).
(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٣)، وأخرجه مسلم برقم (٢٣٨١).

إذا كان الله معنا فمعنا كل شيء . لماذا الله ﷻ لا يستجيب دعائنا؟، دعاء كثير، لكن ثناء قليل ؟ الله لا يريد هذا ، الذي يريد الله ذكر وثناء كثير عليه جل جلاله ، وأن يتأثر هذا القلب، ليأتي عنده اليقين على أن السميع واحد، والبصير واحد، والقوي واحد، والعزيز واحد، والرزاق واحد، والمجيب واحد، والرحمن واحد، والشافي واحد، والهادي واحد، والحليم واحد، والرءوف واحد ، لكن من رحمته أعطى خلقه، ومن علمه أعطى خلقه، ومن رزقه أعطى خلقه .

فالله يريد مني أن أتصف بصفاته على شاكلة العبودية ، وأعبد الله بمقتضى هذه الصفات ، فلا بد أن أعبد الله كأني أراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

كيف أراه ؟ تراه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميله، تراه بهذه الصورة : ترى رباً له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى ، ترى ربك خالقًا ، رازقًا ، يحيي ويميت ، يعز ويذل ، ويعطي ويمنع ، ويبسط ويقبض ، ويخلق ويرزق ، ويأمر وينهى، ويدبر ويصرف ، تراه هكذا ، بأسمائه وصفاته، وتخاطبه كأنك تراه، فيستجيب لك بحسب ما عندك من اليقين: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

هذا اليقين هو الحقيقة ، حقيقة الإيمان تحصل لمن كان عنده كمال اليقين، وحقيقة الدين ، وقام بجهد الدين عبادة ودعوة، وهجرة ونصرة، وجهداً وجهاداً وإنفاقاً، وصدقاً وصبراً، وبذلاً وتركاً.

ولا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

[الأنفال: ٢ – ٤].

الله فاطر السماوات والأرض، الملك الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال العظيمة، العزيز الكريم ، الكبير المتعال ، هذا الملك العظيم جل جلاله هو الذي خلق العرش العظيم ، والعرش محيط بالكرسي، والكرسي محيط بالسماوات السبع ، والسماوات كل سماء محيطة بسماء ، والسماوات محيطة بالأرضين السبع ، وفي هذه الأرض العليا يعيش هذا الإنسان الضعيف الفقير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦ – ٨].

هذا الملك العظيم يتودد لهذا الإنسان المخلوق الضعيف بذكر نعمه وإحسانه إليه ، ويتودد إليه بتعريفه بأسمائه وصفاته وأفعاله فيقول: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

ويتودد إليه ليتوب إليه، فيقول له: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

ويتودد إلى هذا العبد بالنعم، ليعمل صالحاً، ويكسب أجراً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

فالله ﷻ عظيم، إذا ذكر اسمه وجلت القلوب، كم مرة ذكر اسم الله في القرآن ؟ ذُكر ألفين مرة تقريباً.

هل توجل قلوبنا عند ذكره: ؟: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

إذا ذكر المؤمن ربه صدقاً من قلبه وجل من ذلك قلب المؤمن والكافر، والبر والفاجر.

وروح الايمان اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥].

وروح الرسالة الرحمة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وحينما أراد الأعرابي قتل النبي ﷺ فقوة الرحمة في قلب النبي ﷺ منعته أن ينتقم من هذا الظالم، وهو مستحق للعقوبة، وقوة اليقين في قلب الرسول ﷺ على الله منعت الكافر من قتل النبي ﷺ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ الله ﷺقَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ وَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ قَالَ جَابِرٌ فَنِمْنَا نَوْمَةً ثُمَّ إِذَا رَسُولُ الله ﷺ يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ لِي مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قُلْتُ اللهُ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ» ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ الله ﷺ. متفق عليه[(١)].

الآن المسلم لا يتأثر من كلمة الله ؛ ولذلك الله أمرنا بذكره كثيرًا ، لماذا ؟ حتى نمتثل أوامره، ونستحضر عظمته، وجلاله، وهيبته، ونعمه وإحسانه، ونوقره، ونستحيي منه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

متى يتأثر قلب المسلم من كلمة «الله» ؟ إذا حضر في البيئات الإيمانية ، وتجدد الإيمان، وزاد اليقين ، يقول : يا ربي خلقتني في أحسن تقويم ، ومننت عليَّ بأنواع النعم ، وعلمتني ما لم أكن أعلم ، كنت ضالًّافهديتني ، وكنت فقيرًافأغنيتني ، وكنت جاهلاً فعلمتني، وكنت عاريًافكسوتني ، أنعمت عليَّ بنعم لا تعد ولا تحصى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

لا يليق بالإنسان أن يسكن في ملك الله، ويأكل من رزق الله، ويعصي الله بنعم الله ،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩١٣)، وأخرجه مسلم برقم (٨٤٣).

فيتأثر المؤمن من هذه المعاني ، فيقبل على ربه مستغفرًا وحامدًا وشاكرًا لربه جل جلاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر: ٣].

وإذا كانت القلوب لا تطمئن إلا بذكر الله ، بالذكر والدعاء، والتسبيح والاستقامة والطاعات ، فتنبت هذه في القلوب الطيبة التي اطمأنت بذكر الله ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

نحن الآن غالبا ليس عندنا وجل كما ينبغي لا من الله، ولا من كتابه، ولا من أوامره ، نتفلت ونركن ونتبع سنن اليهود والنصارى، ونترك هذا الدين العظيم ، ولانلتفت إلى هذه السنن العظيمة التي هي مصدر حفظنا، ومصدر عزنا، ومسئوليتنا في العالم الإنساني: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢].

الايمان يزيد بالذكر والتدبر والتفكر: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩١] .

الإيمان يزيد بذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الإيمان يزيد بالعلم والعمل: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥–١٨] .

وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ

﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾

[ق: ٦ – ١١].

فنقرأ القرآن بهذا اليقين: المتكلم هو الله، والسامع أنا، ومطلوب مني بعد الاستماع أن أُسمع، وأن أستقيم على أمر الله، فالله ﷻ وكلني بنشر الهداية كما وكَّل السحب بنشر المياه في العالم، ووكل الشمس بالإنارة في العالم، ووكل الأرض بالإنبات في العالم:﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ونتوكل على الله الوكيل على كل مخلوق، هو وكيل على سمعي، وعلى بصري، وعلى طريقة حياتي، وعلى بدني، وعلى ظاهري، وعلى باطني.

السيارة الفلانية وكيلها فلان، والسجاد الفلاني وكيله فلان، والماكينة الفلانية وكيلها فلان، والله ﷻ وكيل على كل شيء: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

العرش شيء، والسماوات شيء، والأرض شيء، والجبال شيء، والبحار شيء، والإنسان شيء، والحيوان شيء، والطيور شيء، والملائكة شيء، والجن شيء، والله خالق كل شيء، ومالك كل شيء: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر/ ٦٢].

هو الذي خلق جميع المخلوقات، وهو الذي يدبر هذه الكائنات، لا تخرج عن تدبيره أبدًا، لكن الله أعطانا حرية الاختيار: إما اختيار هدى رب العالمين، أو إتباع هوى أنفسنا: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣٠].

والدين كله محاسن، فهو بين حسن وأحسن، وجميل وأجمل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا

﴿ مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ [النساء: ١٢٥].

فأنا بين إحسان العبادة لربي ، والإحسان إلى خلقه ؛ لأقربهم إلى ربهم ، وأعرفهم بعظمته ليعظموه ، وبنعمه ليشكروه ، وبوعده ليقبلوا على طاعته ، وبوعيده لينفروا من معصيته: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[الأنفال/ ٣] ، عبادة الحق .

ومحاسنة الخلق : ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾[الأنفال/ ٣] .

نلاحظ هذا في جميع آيات القرآن ، لا تكاد توجد آية إلا وفيها عبادة الحق، ومحاسنة الخلق.

فمن جاء بالحقيقة إيمانًاوقولًاوعملًا ، أخذ الحقيقة رضواناً من رب العالمين، وجنة عرضها السماوات والأرضين: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾[الأنفال: ٧٤].

فالكرم والاحسان لا ينقطع أبدًا : سماع كلام الرب ، ورؤيته، والقرب منه ، ونعيم الجنة ، وأنهار الجنة ، وحلي الجنة ، والولدان المخلدون ، والحور، وما فيها من أنواع النعيم، كل هذا رزق كريم مستمر : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص/ ٥٤] .

هذا جزاء الإيمان الحقيقي، والعمل الصالح المقبول:﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٥].

أهذا خير أم الذهب والفضة وأنواع الشهوات في هذه الدنيا؟:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤ – ١٥].

فهذه الشهوات شهوات نأخذ منها بقدر الحاجة، ونستعين بها على طاعة الله أما تكميل الشهوات فهو في يوم القيامة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

والايمان القلبي لابد له من برهان عملي يدل عليه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات/ ١٥] .

هذا الصنف الذي يريده الله ﷻ، ويحبه الله ﷻ ، أن نسعى إلى حقيقة الإيمان ، إذا ملكنا حقيقة المال أنفقنا مالًا ، إذا ملكنا حقيقة الصفات أنفقنا الصفات ، إذا ملكنا حقيقة الإيمان أنفقنا إيمانًا ، إذا ملكنا حقيقة الأخلاق أنفقنا أخلاقًا .

لكن متى نَملك حتى نُملك ؟ هذه الرءوس محشوة بالفكر والثقافة والأمور العلمية في الشريعة ، هذا وحده لا ينفع ، ليس المقصود من العلم العمل فقط ؛ المقصود العلم والعمل مع الخشية ، لُب الأعمال هو الخشية: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١ –٣].

المنافقون يعملون ، لكن القصد خشية الله استقامة وإقامة ، عبادة ودعوة ، القصد أن تستقيم هذه القلوب ، تستقيم لله ، لا تلتفت يمينًاولا شمالًا ، تُولي وجهها قبلة المسجد الحرام ، تولي وجهها لله ﷻ وحده: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

وجهت وجهي لله وحده، توحيداً وإيماناً، وذكرًاوعبادة، واستقامة على أوامر الله جل جلاله: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

- **شروط العمل الصالح:**

العمل الصالح له شروط:

العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور ، سواء كان عبادة، أو دعوة، أو صلاة .

الأول: كل عمل صالح لا بد أن يكون خالصًالله ﷻ ؛ لأن الله ﷻ يقول : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

الثاني : أن يكون العمل موافقًالما جاء به الرسول ﷺ ؛ لأن الله ﷻ يقول : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر/ ٧] .

الثالث : أن يكون القائم بهذا العمل من المؤمنين ، يكون فاعل هذا العمل مؤمنًا ؛ لأن الله يقول : ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

- الحياة الطيبة هي حياة الرسول ﷺ التي فيها ثلاثة أمور:

فرائض الحياة.. وطريقة الحياة.. ومقصد الحياة.

الأول: فرائض الحياة: هي الواجبات اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية أو العمرية من صلاة وصيام وحج وغيرها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

الثاني: طريقة الحياة : أن آكل وأشرب وأنام وأسافر وأعمل أي عمل بسنة: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

الثالث: مقصد الحياة : وهو الدعوة إلى الله وتعليم الشريعة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ [الأحزاب/ ٤٦] .

لا بد لكل عمل من هذه الثلاثة الشروط ، فمن اجتمعت له هذه الشروط قَبِل الله العمل منه، وأثابه عليه ، وإذا اختل شرط منها بطل العمل، وعوقب عليه صاحبه:

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦].

وقال ﷻ في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»أخرجه مسلم [1] .

فلا بد من اجتماع هذه الشروط، ليقبل العمل: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف/ ١١٠] .

هذا العمل الصالح جسد كبير ، لا بد له من روح ، إذا فُقدت منه الروح لا يُقبل.

ولا بد لكل عمل من صلاة أو صيام، أو عبادة أو دعوة، أو صلة رحم أو أي عمل صالح، أو أي أمر من أوامر الدين ، لا بد أن يُؤدى بصفات ، لا يُؤدى تأدية الإنسان الذي يريد أن يفرغ من العمل، يريد أن يفرغ من الصلاة ، ويستريح منها، فالراحة والأنس بمناجاة الله ، بعبادة الله، باستغفار الله ، بتكبير الله ، بحمد الله ، بالاتصال بالله ، كما كان النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، تعظيماً لله، وشكراً له: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩].

إذًا كل عمل لا بد له من صفات يؤدى بها ليكون صالحًا مثمرًا مقبولًا .

سواء كان من العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها ، أو كان من المعاملات كالبيع والشراء، والقرض، والإجارة، والصلح والوكالة وغيرها ، أو كان من الآداب المختلفة التي هي أكثر من ألف أدب ، أو من المعاشرات ، أو الأذكار ، أو الأدعية ، أو غيرها من أوامر الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

[المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٢٩٨٥).

هذه الأعمال الحركية لا بد لها من آداب قلبية ، القلب يشعر بها قبل أن يؤديها ، لا بد لها من آداب، سواء كانت أعمالاً إنفرادية كالذكر والدعاء، والصلاة والصوم وغيرها من العبادات، أو كانت هذه الأعمال أعمالًامتعدية إلى الغيركالدعوة إلى الله ، وتعليم الشرع ، والنصيحة ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.
وأهم الصفات التي يجب توفرها في كل عمل ليكون مثمرًاومقبولًاعند الله، ما يلي :
الأمر الأول : أن يكون عندي اليقين بأن هذا العمل الذي أمر الله ورسوله به فيه فقط فوزي وفلاحي ونجاتي في الدنيا والآخرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة/ ٢] .
لا بد أن يكون عندي اليقين على أن أي سنة في الدين ، أي عمل من أعمال الدين ، هو السبيل الوحيد للفلاح والنجاة والفوز في الدنيا والآخرة ؛ بل فيه قضاء حاجاتي في الدنيا والآخرة : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب/ ٧١] .
لم يجعل الله الفوز والفلاح بالأموال والأشياء ، بل جعل الفلاح فقط بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ٢].
والفلاح : هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب ، وأعز مطلوب الجنة ورضوان الله ، والنجاة من المرهوب سخط الله والنار.
فأؤدي هذا العمل ليس بنية أني أكسب الحسنات فقط ؛ بل بنية أنه هذا وحده طريق السعادة والنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة وهو إتباع النبي ﷺ في كل حال، وفي كل عمل: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].
الأمر الثاني : اخلاص العمل لله وحده لا شريك له ؛ لأنه هو الذي خلقنا، وهدانا إلة الإيمان والعمل الصالح ، وأعاننا عليه ، وهو الذي يثيبنا عليه . وأعمال الدين كلها غالية ، لا يستطيع أحد أن يدفع قيمتها إلا الله وحده .
حسنة واحدة : سبحان الله، أوالحمد لله ، لا يقدر أحد أن يدفع أجرها، لا من الأولين ولا من الآخرين ، لا أهل السماوات ولا أهل الأرض ، لا يستطيع أحد أن

يدفع قيمة ذرة من إيمان ، قيمة حسنة واحدة ؛ لأن العمل الصالح غالٍ عند الله ، ولذلك لا يستطيع أحد أن يدفع أجره، ولذلك الله أخر أجره إلى يوم القيامة، ليعطينا فرصة الاستكثار من الأعمال ، وتنويع الأعمال الصالحة ، والمسابقة في الأعمال الصالحة: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

مثقال ذرة من إيمان أجرها عظيم عند الله ، مثقال ذرة من إيمان لمن جاء بها يوم القيامة له مثل هذه الدنيا عشر مرات ، فكيف بمن جاء بالصلاة والصيام ؟ كيف من جاء بالدعوة وتعليم شرع الله ؟، كيف من جاء بصلة الرحم ؟، كيف من امتثل أمر الله عند الطعام والشراب، وعند النوم والحركة ، وفي اللباس ، وفي الكلام ، وفي الإنفاق ، حسنات عظيمة لها أجور عظيمة: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فيجب علينا إخلاص العمل لله وحده لا شريك له ، لا يليق أن يُشرك مع الله غيره ، وهو الملك الحق ، وهو الذي أنعم علينا بكل نعمة ، وصرف عنا كل بلية ، وهو مالك الملك ، هو القوي الذي بيده الشمس التي يجريها من المشرق إلى المغرب ، بيده ملكوت السماء والارض، بيده هذه النجوم العظيمة ، بيده هذه الأرض التي أنبتت جميع المواليد ، بيده هؤلاء البشر ، وهؤلاء الجن، وهؤلاء الملائكة ، بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

هو الملك لذي بيده الملك: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١] .

فنخلص العمل لله وحده ، نخلص العمل لمن وعدنا بالأجر العظيم عليه، وهو الله وحده لا شريك له: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

﴿وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

الأمر الثالث : من الصفات التي تؤدى بها الأعمال اتباع الرسول ﷺ في كل عمل ، بأن أفعل هذا العمل كما فعله النبي ﷺ ، أجلس كما جلس النبي ﷺ ، وأسمع كما يسمع النبي ﷺ ، وأنوي كما نوى النبي ﷺ ، وأتخلق كما يتخلق النبي ﷺ : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

فنتبع الرسول ﷺ في كل ما جاء به، لا نزيد ولا ننقص ، نتبعه ﷺ في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله، وفي أعماله، وفي أخلاقه ، فنفعل كما فعل النبي ﷺ ، ونستحضر في كل عمل لو كان النبي ﷺ حاضرًا، أو كان في مكاني، ماذا سيفعل في هذه الحالة ؟ .

سأفعل ما علمت به من سنته ، وإن جهلت أسأل ماذا كان يعمل النبي ﷺ في حال كذا، وفي وقت كذا ، عند المرض ، عند الخوف ، عند الجوع، عند الكرب.. ؟ .

الأمر الرابع: من الصفات التي تؤدى بها الأعمال حتى تكون خفيفة ولذيذة وميسرة ومحبوبة : استحضار فضيلة العمل ، ليسهل القيام به، لأن بعض الأعمال ثقيلة ، فالصلاة وإن كانت لله فالله قال عنها : ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ [البقرة/ ٤٥] .

إذا استحضرت فضيلة العمل خف عليَّ العمل ، فالأعمال ثقيلة ، وإذا عرفنا فضائلها سهل القيام بها ، لوقلنا مثلًا : من ذهب إلى مكة مثلًا ، من حين قدومه سيعطى هناك سيارة من السيارات، وقصراً في ذلك المكان ، كلنا ننزل إلى مكة ؛ لأنه وُعد بشيء ثمين، والنفوس مجبولة على حب الخير، وكذلك لما نذكر فضائل الأعمال يسهل علينا القيام بها والرغبة في أدائها.

ومن فضائل الأعمال

قال النبي ﷺ: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**» أخرجه مسلم [1] .

وقال ﷺ: «**لَغَدْوَةٌ في سَبِيلِ الله أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**». متفق عليه[2].

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٨٩٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٢)، ومسلم برقم (١٨٨٠).

وقال ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». متفق عليه(١).

وقال ﷺ: «**مَنْ حَجَّ للهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَومِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». متفق عليه(٢).

فنستحضر فضيلة كل عمل، لنؤديه بالرغبة والحب والتعظيم والذل لله ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾**﴾[فصلت/ ٣٣] .

وفضل العمل الإجتماعي على العمل الإنفرادي كفضل الجبل على الذرة، وفضل البحر على القطرة.

﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾**﴾[آل عمران/ ١٠٤] .

فاستحضار فضيلة كل عمل مطلوبة، لتنشط هذه الروح على العمل ، وتُقبل النفس كذلك على الطاعة، وتسارع الى كل عمل صالح: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾**﴾

[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

فالأعمال ثقيلة على النفوس، وإذا عرفنا فضائلها سهل القيام بها، والمداومة عليها، والإكثار منها، والدعوة إليها.

والتجار يسوقون سلعهم بالدعايات للبضائع حتى الناس يُقبلون على شرائها .

كذلك تتعلم فضائل الاعمال، حتى يتحرك الجسد والقلب والجوارح بطاعة الله في كل وقت، فعلينا أن نعرف فضائل الذكر، وفضائل الصلاة والصوم والحج، والدعوة إلى الله، وصلة الرحم وغيرها من أعمال البر ؛ ليسهل القيام بها، والمداومة عليها، ونشرها: ﴿**وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾**﴾[البقرة: ٢٥].

الأمر الخامس : الإحسان ، بأن تعبد الله كأنك تراه بالخشوع والافتقار، وبالتعظيم

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٩).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥٢١) واللفظ له، ومسلم برقم (١٣٥٠).

والإجلال ، فالإحسان «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

فالإنسان منا يتجمل لزوجه أو لزوجته ، يتجمل إذا ذهب للعمل ، وهذا مطلوب : قال ﷺ: «**إن الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**»أخرجه مسلم(1) .

أتجمل لخالقي بالتوحيد والإيمان، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة ، وهذا الجمال الأكبر : أتجمل لخالقي جل جلاله ؛ لأنه يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، في طعامه ، في مسكنه ، في مركبه ، أكون جميلًافي قلبي ، في جوارحي ، أكون في منتهى الجمال للجميل، ومنتهى الإحسان للمحسن والمحسنين والناس أجمعين.

إن جمال الأخلاق، وجمال الأقوال والأعمال على الأجساد، أجمل من الأزهار والثمار على الأشجار ؛ هذه محبوبات النفس، وتلك محبوبات الرب ، وإذا أحبك الرب ماذا يعطيك ؟ .

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

فنعبد الله كأننا نراه ؛ نستحضر أن الله يرانا في كل عمل ، فنستحضر أن الله ﷻ يرانا، ويسمع كلامنا، ويعلم أحوالنا، ويراقب تصرفاتنا ، فهذا هو العبد المحسن حقًّاالذي يعمل لله في الخلوة أو مع الناس على حد سواء ، ويتوجه إليه وحده بقلبه ، ولا يلتفت لأحد سواه:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

أما من أحسن عمله لله بحضرة الناس، وأساء عمله في الخلوة، فقد استحضر عظمة المخلوق لاعظمة الخالق ، وهذا هو النفاق الذي حذر الله ﷻ منه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ٩١.

الأمر السادس : المجاهدة ، نجاهد أنفسنا أن تسارع إلى كل عمل صالح ، ونوجه نفوسنا إلى ما يحب الله ويرضاه، ونبذل كل ما نملك من أجل رضا الله، وفعل ما يحب، واجتناب ما يكره جل جلاله ، فهذا هو العبد حقًّاالذي يقول الله عنه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾[العنكبوت/ ٦٩] .

هذا العبد حقًّاالذي قدم مراد الله على مراد نفسه ، وقدم ما يحب الله على ما تحب النفس ، وهذا هو العبد الموفَّق: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨) ﴾[الزمر: ١٧ – ١٨].

فإذا قمنا بالأعمال بهذه الصفات انتشر العلم والعمل والصفات ، وإذا أدينا هذه الأعمال بهذه الصفات انتشرت ثلاثة أشياء :

العلم النافع . . والعمل الصالح . . والصفات الطيبة .

وإذا قمنا بالعلم والعمل بدون هذه الصفات ، انتشر العلم والعمل بدون الصفات ، فجاءت النتيجة : بأن يكثر الجدل، والخلاف، وطلب الرخص، والكسل، والرياء وهبت الفتن، وانتشرت الفرق والأحزاب، والمذاهب والأهواء: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) ﴾[الروم/ ٣٠-٣٢] .

فمن قام بالعمل بهذه الصفات حصل على موعودات الله في الدنيا والآخرة ، ومن قام بالعمل وقد أخل بإحدى هذه الصفات لم يحصل على الموعود على العمل ، ولا ينجو من الخسارة إلا من أكمل وسائل النجاة الأربعة كما قال سبحانه : ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾[العصر/ ١-٤] .

والله ﷻ خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم ، وخصه من بين المخلوقات بأن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له ملائكته، وجعله

خليفة في الأرض: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

هذا الإنسان خلقه الله ﷻ ليكون خليفة في الأرض، يمتثل أوامر الله، ويجتنب نواهيه، ويحكم في أرضه بأمر الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠].

فالله ﷻ خلق هذا الإنسان ليكون في الدنيا خليفة في الأرض، ويوم القيامة جليسه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

- **حكمة خلق الإنسان:**

والله ﷻ خلق هذا الإنسان وخلق فيه ثلاث أوانٍ هي:

آنية المطعومات.. وآنية المعقولات.. وآنية الإيمانيات.

الأولى: آنية الطعام، وهي المعدة التي أُمر الله هذا الإنسان أن يأكل من الطيبات، ويجتنب الخبائث؛ ليكون هذا الجسم سيارة مُتقنة، تنقله من حالٍ إلى حال، ومن مكانٍ إلى مكان، ويتعبد لله بهذا الجسد الصحيح: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

الثانية: آنية العقل التي يعقل بها الأمور، وهي الدماغ، هذه آنية المعلومات، تجمع أنواع المعلومات، وتخزنها في ملفات في هذا العقل الذي يحفظ ويتسع لمليارات الجمل والفوائد والمعلومات: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

الثالثة: آنية القلب، وهي آنية الإيمان، وهي محل نظر الله ﷻ، وهذا القلب هو عرش الصفات التي يحبها الله ﷻ من الايمان والتقوى، والخوف والرجاء، واليقين والتوكل، والحب والرحمة، والعفو والمغفرة، والصدق والصبر وغيرها من الصفات الإيمانية كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً

وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والله أنزل الكتب، وأرسل الرسل، ليمتلئ هذا القلب بالإيمان والتوحيد، وبالصفات التي يحبها الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

ومعرفة أسماء الله الحُسنى من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، لا بد أن أعرف ألآمر قبل أمره، وأعرف الحكيم قبل معرفة أحكامه، وأعرف المعبود قبل العبادة ، لا بد أن أعرف معبودي ، ومن أعبد ؟ وماذا له من الأسماء، وماذا له من الصفات، قبل أن أعبده: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

فهذه الآنية هي محل نظر الله.

قال النبي ﷺ: «**إِنْ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَجْسَادِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»أخرجه مسلم(١) .

ماذا في قلوبكم من الإيمان والتوحيد ؟ وماذا على أجسادكم من الأعمال الصالحة التي بينكم وبين ربكم، وبينكم وبين خلقه جل جلاله ؟ .

فهذه الآنية لا بد أن تمُلأ بالإيمان حتى ينشط الجسم للطاعة، والذكر، والعبادة والإستقامة، وغذاء البدن كما نعلم هو من الطعام والشراب والنبات والحيوان.

- **أما هذا القلب فله مغذيات ، ومغذيات القلب سبعة :**

معرفة الله . ومعرفة أسمائه . ومعرفة صفاته . ومعرفة أفعاله . ومعرفة خزائنه . ومعرفة وعده . ومعرفة وعيده .

فمعرفة الله بأسمائه وصفاته أعظم شيء، وأفضل شيء، وأوجب شيء.

فهذه مغذيات القلوب ؛ التي ترفع العبد عن الرتبة البهيمية، والرتبة السبعية، والرتبة الإبليسية ، إلى الصفات العالية الملائكية التي مزاجها السمع والطاعة والانابة :

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٥٦٤.

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فالملائكة لكمال معرفتهم بالله عابدون لربهم في كل حال: ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

ولملائكة في غاية الأدب والطاعة لكمال معرفتهم بربهم: ﴿ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٨].

لكن أعظم مخلوق خلقه الله هو هذا الإنسان الذي خلقه الله بيده.

وعلم آدم انتقل إلى الأنبياء ، وعلم آدم وجميع الأنبياء انتقل إلى النبي ﷺ الذي كان خُلقه القرآن: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣ ﴾ [النساء: ١١٣].

فكيف نحن نغذي هذا القلب بالإيمانيات ؛ حتى يمتلئ إيمانًا ورحمةً وشفقةً، وخشوعًا للرب، وتوكلًا عليه، وخشية له ، وحباً له، وتعظيماً له، لا بد من معرفة المعبود قبل العبادة ، ومعرفة الآمر قبل أمره، فلا بد أن نعرف الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله، لتأتي عظمته ومحبته وكبرياؤه في قلوبنا، ثم تلهج السنتنا بذكره وحمده وتمجيده، وتسارع جوارحنا الى امتثال أوامره، وفعل كل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

حكم العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله

العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أشرف العلوم على الإطلاق ، وأعظم أبواب التوحيد ، وأول أركان الإسلام ، وأصل أركان الإيمان ، وأساس بنيان الدين ، فهو بمنزلة الرأس من الجسد ، ومكانة القلب من البدن ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الله جل جلاله : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أزكى العلوم وأعلاها ، وأفضلها وأحسنها ، وأعظمها وأوجبها ، لأنه أساس بنيان الدين ، ومتى كان الأساس قوياً حمل البنيان ، وعلى قدر إحكام الأساس يكون علو البنيان ، ومتى كان الأساس ضعيفاً سقط عليه البنيان من فوقه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦].

وأوثق أساس يبني عليه العبد بنيانه مركب من أمرين :

الأول : معرفة الله وتوحيده بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة .

الثاني : تجريد الإنقياد لله ورسوله بالقلب واللسان والجوارح .

والقرآن الكريم كله بيان لهذا الأساس العظيم ، وترسيخ له ، ودعوة إلى إتقانه وإحكامه ، والعمل بموجبه ، والنهي عن ضده : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

والعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعبادته بموجب ذلك ، هي الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨] .

فمقصود الرب من خلقه أن يعرفوه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ليؤمنوا به ، ويوحدوه ، ويعبدوه بموجب تلك المعرفة .

والإيمان بالله وتوحيده، ومحبته، وتعظيمه، وطاعته، وعبادته، كل ذلك مبني على كمال معرفته بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه ، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه ، ومعرفة عظمة دينه وشرعه، ومعرفة عظمة وعده ووعيده، ومعرفة سعة علمه ، وكمال قدرته كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

وقد أمرنا الله ﷻ بتعلم هذا العلم العظيم ، والاستكثار منه ، ودوام التزود منه ، والعمل بمقتضاه ، لعظم شأنه ، وعلو مقامه ، وكثرة بركاته ، وعظيم حسناته : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم كثيراً من أسمائه وصفاته وأفعاله ، وأظهرها في ملكه وآياته ومخلوقاته ، لُيعرف عباده بها ، ليدعوه بها ، ويعبدوه بموجبها كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾
[الحشر: ٢٢ – ٢٤].

وأسماء الله ﷻ أحسن الأسماء ، وصفاته أحسن الصفات ، وأفعاله أحسن الأفعال ، وأخباره أحسن الأخبار ، وأحكامه أحسن الأحكام : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ (٨) ﴾ [طه: ٨].

وأسماء الله وصفاته وأفعاله أحب شيء إليه ، لما فيها من الحسن والجمال والجلال، ويحب من عباده أن يتصفوا بها على شاكلة العبودية ، ويتعبدوا لله بموجبها ، وهي أفضل شيء في القرآن وأعظمه وأحسنه ، لأنها صفات الخالق العظيم جل جلاله : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فأول واجب على العبيد معرفة الواحد الأحد بالتوحيد، ثم عبادته مع العبيد.

لهذا أعظم الواجبات ، وأول الواجبات ، هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم عبادته بموجب ذلك : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩] .

فنعرف الحكيم قبل معرفة أحكامه ، ونعرف الآمر قبل معرفة أوامره ، فنعرف من الرب الذي نعبد أولاً ، ثم نعبده بما شرع ثانياً : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥] .

ومن عرف الله حقاً آمن به حقاً ، وأحبه حقاً ، وكبره حقاً ، وعبده حقاً : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

ومن عرف ربه العظيم آمن بالله العظيم ، واتبع كتابه العظيم ، وأمتثل أمره العظيم ، وأطاع رسوله الكريم ، ونال ثوابه العظيم : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩] .

ومن عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم عرف أوامره الشرعية ، أحبه وكبره، وعظمه ومجده ، وحمده وشكره ، وتفانى في عبادته وطاعته : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

ومن عرف أوامر الله الشرعية ، ولم يعرف ربه كما أمره ، ضعف عن عبادته ، وتفنن في التفلت من أوامره : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

والقرآن الكريم كله بيان وتعريف بالملك الحق من ثلاثة أوجه :

الأول : التعريف بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وبيان وجوب توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠١ – ١٠٢].

الثاني : التعريف بالأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله بدينه إلى الناس ، ليعبدوا الله وحده لا شريك له : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦] .

الثالث : التعريف باليوم الآخر ، وما فيه من الوعد والوعيد ، والجنة والنار ، والحساب والجزاء : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

إن التعريف بالعظيم سبحانه لابد أن يكون عظيماً ، والكلام عن الكبير لابد أن يكون كبيراً ، والحديث عن الواسع لابد أن يكون واسعاً ، والتعريف بالقوي لابد أن يكون قوياً ، والكلام عن الجميل لابد أن يكون جميلاً ، والحديث عن المحيط لابد أن يكون محيطاً ، والتعريف بالمتين لابد أن يكون متيناً ، والكلام عن المبين لابد أن يكون مبيناً ، والتعريف بالعلي الأعلى لابد أن يكون أعلى الكلام وأحسنه وأبينه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

إن أشرف العلوم وأعلاها ، وأزكاها وأنفعها ، وأنفسها وأوجبها ، هو فقط العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأخباره وأحكامه ، ووعده ووعيده فإن ثمرة ذلك لا تعدلها ثمرة ، وحسرة حرمانها لا تعدلها حسرة ، والحاجة إليها لا تعدلها حاجة .

بل كل علم لا يوصل إلى معرفة الله ، ولا يعين عليها ، فهو مضيعة للوقت ، مجلبة للمقت : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

ومعرفة الله جل جلاله لها حالتان :

الأولى : معرفة عامة ، وهي الإقرار بوجود الله ، وهذه المعرفة فطرية يشترك فيها كل الناس، المؤمن والكافر، البر والفاجر ، والمطيع والعاصي ، كما قال سبحانه عن الكفار : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ

﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [لقمان: ٢٥] .

وهذه المعرفة لا تنفع ولا تقدم ولا تؤخر ، لأنها لم تحمل على طاعة الله ، ولا على عبادة الله ، ولا على حب الله ، ولا على الخوف منه ، كما قال إبليس: ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الحجر: ٣٦] .

وحين لم يقترن إيمانه بطاعة من آمن به صار كافراً كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

الثانية : معرفة خاصة ، وتكون بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله .

وهذه المعرفة تثمر الإيمان بالله ، والحب له ، والخوف منه ، والرجاء له وتوحيده ، وعبادته وحده لا شريك له ، ورقابته ، والحياء منه ، وتعلق القلب به ، وخشيته ، وطاعته ، والتسليم لأمره ، والتوكل عليه ، والإنابة إليه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ السجدة: ١٥ – ١٧].

وهذه المعرفة هي المطلوبة ، وهي التي يريدها الله ، وهي معرفة الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى ، وأفعاله الجميلة: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢].

وهذه المعرفة العظيمة لها بابان واسعان :

الأول : باب النظر والتفكر في آيات الله الكونية كما قال سبحانه : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس: ١٠١] .

الثاني : باب النظر والتدبر في آيات الله القرآنية كما قال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد: ٢٤] .

والنظر والتدبر والتفكر في آيات الله الكونية ، وآياته الشرعية ، يثمر للعبد قوة الإيمان بالله ، وتوحيده ، وتكبيره ، ومحبته ، وحمده، وشكره، والحياء منه ،

والإنابة إليه ، وامتثال أوامره ، واجتناب معاصيه ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

ومن قرأ القرآن قراءة تعبد فهو مأجور ، ومن قرأه قراءة تدبر زاد إيمانه بربه ، وحبه له، وتعظيمه له، وعبادته له ، وحصل له الأجر : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩] .

ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله آمن به وأحبه ، ومن أحبه أطاعه ولم يعصه ، وشكره ولم يكفره ، وذكره ولم ينسه : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

فأنت يا عبد الله بالكون تعرفه ، وبالشرع تعبده ، وبالقلب تحبه وتعظمه ، وباللسان تذكره وتسأله ، وبالجوارح تطيعه وتعبده : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

هو سبحانه الظاهر الذي لا يخفى على أحد ، الظاهر الذي أظهر كل شيء ، فيجب أن نتكلم عنه ، ونسمع عنه ، حتى يكون لنا ولغيرنا أظهر من كل ظاهر : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣] .

هو سبحانه المبين الذي بان وظهر لكل أحد ، المبين الذي بين كل شيء ، فيجب أن نتكلم عنه ، ونسمع عنه ، حتى يكون لنا ولغيرنا أبين من كل بين : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

يجب على قلب العبد أن يعرف أن الكبير واحد ، وأن العظيم واحد ، وأن الملك واحد ، وأن القوي واحد ، وأن الجبار واحد ، وأن القهار واحد ، وأن العزيز واحد ، وأن القادر واحد، وأن السميع واحد، وأن البصير واحد: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨].

فإذا عرف القلب ذلك آمن بالله ووحده، وكبره وعظمه، واستعان به، وتوكل عليه، وأناب إليه، وخاف ربه ورجاه، وخشيه وأتقاه، وسأله ودعاه، وسارع إلى طاعته وعبادته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

ويجب على القلب كذلك أن يعلم أن الرب واحد، وأن الإله واحد، وأن الغني واحد، وأن الكريم واحد، وأن الرزاق واحد، وأن المعطي واحد، وأن المحسن واحد، وأن الرحيم واحد، وأن العليم واحد، وأن الوهاب واحد، وأن الودود واحد، وأن الخالق واحد: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

فإذا عرف القلب ذلك آمن بالله وحده، وأحبه ومجده، وحمده وشكره، ودعاه وسأله، وخافه ورجاه، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فأسماء وصفات الجلال توجب تكبير الله وتعظيمه، والخوف منه، والخشية له.

وأسماء وصفات الجمال توجب الحب له، والشكر له، والحياء منه، والتوبة إليه، والإنابة إليه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

واعلم يا عبد الله أن كل مرض خارجي سببه مرض داخلي، وكل مرض داخلي سببه مخالفة منهج الله ﷻ: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وسبب مخالفة منهج الله هو الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وذلك يثمر الإعراض عن عبادته، والتهاون بطاعته، وعدم المبالاة بمعصيته: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠].

وعلاج الجهل بالعلم، وعلاج النسيان بالذكر، وعلاج الغفلة بالتذكير: ﴿ فَذَكِّرْ إِن

نَفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ٩ – ١٣].

ولهذا أمرنا الله ﷻ بالإكثار من ذكره وتسبيحه ، وتذكر عظمته وجلاله ، وتذكر نعمه وإحسانه ، لأن من ذكر الله أطاعه ولم يعصه ، لأن ذكر الله يذكره بصفات جلاله فيخافه ، ويذكره بصفات جماله فيحبه ، وذلك يثمر له كمال الانقياد لربه ، والإذعان لأمره ، والتسليم لحكمه ، بكمال الحب والتعظيم والذل له.

وهذه هي العبودية التي يريدها الله من عباده : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

وكل عبادة لها وقت محدود كالصلاة والصوم ونحوهما ، أما العبودية فوقتها مطلق غير محدود ، وقد جمع الله بينهما في قوله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والعمل بموجب ذلك ، هو الدين كله ، والفلاح كله ، والفوز كله .

وهل هناك أعظم من علم موضوعه بارئ البريات ، ومبدع الكائنات ، وخالق الأرض والسموات: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

هو الرب العظيم الذي ملك العقول ببديع خلقه ، وحارت الألباب في عظمة شرعه ، وسعدت القلوب بلذة مناجاته ، واستنارت بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرفت بعلم أخباره وأحكامه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

هو الملك الحق المبين الذي له الملك كله ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧] .

وهل هناك أشرف من علم من أعظم ثمراته رؤية الملك العزيز الجبار ، القوي القادر القهار ، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد .

يحيي ويميت ، ويعز ويذل ، ويكرم ويهين ، ويأمر وينهى ، وينصر ويخذل ، ويدبر الخلق ، ويصرف الأمور : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس: ٣١ – ٣٢] .

وهل هناك أعظم من علم من أكبر ثمراته رؤية الإله الحق، ورؤية الرب الخالق البارئ المصور ، ومشاهدة الغني المحسن الكريم ، ورؤية اللطيف الرحمن الرحيم، ورؤية العفو الغفور الحليم:

يخلق ويرزق ، ويعطي ويمنع ، ويبسط ويقبض ، ويكرم ويحسن ، ويرحم ويغفر ، ويعفوا ويصفح : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

وهل هناك أجل من علم من أعظم ثمراته إخلاص التوحيد لله ، وصدق الإيمان واليقين ، وحسن الاستقامة ، وقوة العبادة، وحلاوة العبودية.

السابق فيه مع النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠] .

والمعرض عنه هو الشقي الخاسر الذي خسر دنياه وأخراه : ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٦] .

وهل هناك من علم الجهل به يؤدي إلى الكفر بالله ، والشرك به ، والإعراض عنه ، والصد عن سبيله ، وفعل المحرمات ، والوقوع في المعاصي والفواحش والمنكرات، ويؤدي إلى غضب الرحمان ، ودخول النار : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

وهل هناك أحسن من علم يربط المخلوق بخالقه ، فيؤمن به ، ويوحده ، ويكبره ، ويحبه ، ويحمده ، ويعبده ، ويمتثل أمره ، ويجتنب نهيه ، وينال أعظم ثوابه .

ويربط المخلوق بالمخلوق ، فيحبه ، ويكرمه ، ويحسن إليه كما أحسن الله إليه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

وهل هناك أنبل من علم يحمل النفس على التحلي بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الآداب ، وأفضل الأعمال ، ويرفعها عن سفلة الأنام ، ويخلصها من التشبه بالأنعام، فتزكو وتطهر ، وتؤمن بمن خلقها ، وتتزين لمولاها بأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء: ١٢٥] .

وهذا مقصود الرب من خلقه ، وجامع أبواب الخير في شرعه، هو تحصيل الصفات التي يحبها الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

وبالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله تكمل معرفة الرب في القلب ، ويقوى الإيمان، ويصفوا التوحيد ، وتستنير البصيرة ، وتحسن العبادة ، وتحمد السيرة والسريرة ، ويعبد المؤمن ربه كأنه يراه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ

وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

لهذا كان الاشتغال بهذا العلم العظيم عنوان السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ، والاشتغال عنه أصل الهلاك والشقاوة في الدنيا والآخرة : ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦] .

والعلم الأعظم الذي أرسل الله به رسله إلى خلقه ثلاثة أقسام :

الأول : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

الثاني : العلم بدين الله وشرعه وأحكامه .

الثالث : العلم بالوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، والجزاء والحساب .

والقرآن كله بيان لذلك، وبهذا أكمل الله لهذه الأمة دينها كما قال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وعلى قدر علم العبد بربه وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والعلم بدينه وشرعه ، والعلم بوعده ووعيده ، والعمل بمقتضى ذلك العلم ، تزكو نفسه ، ويطمئن قلبه ، ويكمل يقينه ، وتنشط جوارحه ، ويثمر غرسه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

فالدنيا مزرعة الآخرة ، وصلاح العباد بصلاح العلم والعمل، والآخرة دار الخلود والثواب أو العقاب.

وأشرف ما في الدنيا معرفة الله، وتعظيمه، ومحبته ، وعبادته وحده لا شريك له .

وأشرف ما في الآخرة رضوان الله ، ورؤيته ، والقرب منه ، وسماع كلامه ، والخلود في جنته : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢] .

فما أجدر هذا العلم العظيم بصرف أنفس الأوقات في سبيل تحصيله ، وتقديم أعظم

التضحيات من أجل بلوغه ، وبذل أعظم الجهود في سبيل الوصول إلى ذروته :
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

فأعظم ما يزيد الإيمان في القلب هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله الواردة في القرآن والسنة ، لأن ذلك أصل الإيمان ، ومعرفة ذلك تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة .

توحيد الرب بأسمائه وصفاته ، وتوحيد الرب بأفعاله ، وتوحيد الرب بأفعال العباد :
﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩] .

ومعرفة أسماء الله الحسنى لها ثلاث مراتب :

إحصاء الفاظها وعددها.. وفهم معانيها.. والتعبد لله بموجبها : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

وقال النبي ﷺ : « **إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً، مِائَةً إِلَّا وَاحِداً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجنة** » متفق عليه [1].

وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما عرفوا ربهم حقاً آمنوا به حقاً، وأحبوه حقاً، وعبدوه بموجب تلك المعرفة حقاً ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم وأوقاتهم في سبيل إبلاغ دين الله في مشارق الأرض ومغاربها ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعزهم وأكرمهم في الدنيا والآخرة : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

والعلم الإلهي ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

علم بالله وأسمائه وصفاته.. وعلم بآياته ومخلوقاته.. وعلم بدينه وشرعه .

فالعلم بالله فرض عين على كل إنسان ، ليعلم العبد من يعبد.

والعلم بخلقه ، والعلم بشرعه ، فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين.

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢) ، ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

والعلم بالله يحتاج إلى جهد ومجاهدة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

والعلم بخلقه وشرعه يحتاج إلى دراسة ومدارسة : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

فلكي تؤمن بالله لابد أن تعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وآياته ومخلوقاته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

ولكي تعبد الله لابد أن تعرف أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه وأحكامه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

وفي هذه الحياة الدنيا طرق كثيرة :

طريق يوصلك إلى الثروة ، وطريق يوصلك للشهرة ، وطريق يوصلك إلى المنصب، وطريق يوصلك إلى الله ﷻ ، وطريق الوصول إلى الله هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والتفكر في آياته ومخلوقاته الكونية ، والتدبر لآياته الشرعية : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس: ١٠١] .

وقد أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، ليعرف الناس ربهم ، ثم يعرفوا الطريق الموصل إليه ، ثم يعرفوا ما لهم بعد القدوم عليه يوم القيامة ، ثم يعبدوا الله وحده بموجب تلك المعارف : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾ [النحل: ٣٦] .

وكل كتاب له موضوع يستقل به ، وموضوع كتاب الله شيء واحد ، هو التعريف بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ودينه ، ووعده ، ووعيده ، ووجوب عبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ

وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦] .

فالزم هذا الصراط المستقيم تنجوا وتفلح ، ولا تخرج عنه إلى الصراط المعوج فتهلك وتخسر : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

إن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم العلوم نفعا ، وأوجبها حكما ، وأحسنها ثمراً : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩] .

وثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله كثيرة لا تحصى .

ومن أعظم تلك الثمرات ما يلي :

الأولى : أن معرفة الله ﷻ هي قوت القلوب ، وقرة العيون ، وغذاء الأرواح ، فهي الحياة التي من فقدها فهو من جملة الأموات .

ومعرفة الله ومحبته نور وشفاء من جميع الأمراض والأسقام ، ومن فقد هذا النور فهو في بحار الظلمات، وأنهار الجهالات ، وحياته كلها هموم وآلام وشقاء : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

ومحبة الله ﷻ منزلة عالية شريفة ، من وصل إليها تعلق قلبه بالله وحده ، ولم يلتفت لأحد سواه ، ولن تصل إلى هذه المنزلة إلا إذا عرفت الله بأسمائه وصفاته وأفعاله :

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩] .

الثانية : أن معرفة الله ﷻ تثمر في القلب عظمة الله ، وإجلال الله وتكبيره ، وتفيض على النفس الذل والإنكسار بين يدي الله ، والتصاغر لكبريائه ، والذل لعظمته ، وشدة الحياء منه : ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾

﴿ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠ ﴾ [نوح: ١٣ – ٢٠].

ومن عرف الله حقاً رأى أن كثير الطاعات قليل، ورأى أن قليل المعاصي كثير ، وأن صغيرها كبير ، لأن الله عظيم في قلبه ، وإذا سجد القلب لعظمة الله سجدت معه الجوارح: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾ [الزمر: ٩].

فلا تستصغر المعصية مهما صغرت ، ولا تستعظم الطاعة مهما كبرت ، لتكون ممن يعظم رب العالمين بقلبه ولسانه وجوارحه : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ [الزمر: ٦٧].

الثالثة : أن معرفة الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة ، تثمر في قلب المؤمن خشية الله ، والخوف منه ، والحياء منه: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وكلما زادت في القلب معرفة الله زاد معها الإيمان بالله، ومحبته، وتعظيمه، وخشيته: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ ﴾ [فاطر: ٢٨].

الرابعة : أن معرفة الله ﷻ تثمر في القلب صدق التوكل على الله ، وحسن التضرع إليه بالدعاء ، وطلب الحاجات منه وحده لا شريك له ، والفرار من غيره إليه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

الخامسة : أن معرفة الله ﷻ تثمر في القلب الرضا بقضاء الله وقدره ، والتسليم لأمره، لأنه يعلم أن تدبير الله له خير من تدبيره لنفسه ، واختياره له خير من اختيار نفسه ، وأن ربه أرحم به من نفسه : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

السادسة : أن معرفة الله ﷻ تثمر في القلب السكينة والطمأنينة ، وحسن الظن بالله ، وإخلاص العبادة له : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ

ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾

[الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

السابعة : أن معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الحب لله، والتعظيم له ، والخوف منه ، والرجاء له ، والتوكل عليه ، والإفتقار إليه ، وغير ذلك من العبادات القلبية : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

والقرآن الكريم كلام الله ﷻ ، تجلى فيه لعباده بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ليعرفوه ، ويوحدوه ، ويكبروه ، ويحبوه ، ويحمدوه ، ويعبدوه ، فقال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

فتارة يتجلى الله لعباده بصفات الجلال والجبروت ، والكبرياء والعظمة ، والقوة والقدرة ، وغيرها من الصفات الدالة على كمال الذات ، فتخضع الأعناق لعظمته ، وتنكسر النفوس لكبريائه ، وتخشع الأصوات لهيبته ، ويذوب الكبر في القلب كما يذوب الملح في الماء : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [السجدة: ١٥] .

وتارة يتجلى الله لعباده بصفات الجمال والإكرام ، والإنعام والإحسان وغيرها من الصفات الدالة على كمال الذات ، فيستنفد حب الله من قلب العبد قوة الحب كلها ، لما يراه من جمال صفات الله ، وحسن أقواله وأفعاله ، فيصبح فؤاد العبد فارغاً إلا من حب الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .

وإذا تجلى الله ﷻ لعباده بصفات الرحمة والرأفة ، والبر واللطف ، والعطاء والإحسان، إنبعثت في قلب المؤمن قوة الرجاء ، وانبسط أمله ، وقوى طمعه فيما

عند ربه مما يحبه ويسعد به: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

وكلما قوى الرجاء في قلب المؤمن جد في العمل والسير إلى ربه ، كما أن الزارع إذا قوي طمعه في كثرة الغلة ملأ أرضه بالبذر : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠].

وإذا تجلى الله جل جلاله بصفات العدل والانتقام ، والغضب والسخط ، والأخذ والعقوبة ، انقمعت النفس الأمارة بالسوء ، وضعفت عن قواها السيئة من الشهوة والغضب ، والحرص والطمع ، واللهو واللعب ، وانقبضت عن جهالتها ورعونتها ، وأخذت حظها من الصفات الحسنة من الخوف والخشية ، والحذر والوحشة : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود: ١٠٢ – ١٠٣].

وإذا تجلى الله سبحانه بصفات الأمر والنهي ، وإنزال الكتب ، وإرسال الرسل ، وشرع الشرائع ، نشأت في القلب قوة التنفيذ لأوامر الله ، والتبليغ لها ، وتصديق الأخبار ، وامتثال الأوامر ، واجتناب المناهي : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وإذا تجلى الله ﷻ لعباده بصفات الكفاية والحسب ، والقيام بمصالح العباد ، وسوق أرزاقهم إليهم ، ودفع المضار عنهم ، ونصر أوليائه ، وخذلان أعدائه ، إنبعثت من قلب العبد قوة التوكل على الله ، وتفويض جميع الأمور إليه ، والرضا بأقداره ، وحسن الظن به ، وخشوع القلب والجوارح لعظمته : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ

فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

وإذا تجلى الله ﷻ لعباده بصفات السمع والبصر ، والعلم والإحاطة ، انبعثت من قلب العبد قوة الحياء من الله ، فيستحي من ربه أن يراه على ما يكره ، أو يسمع منه ما لا يحبه ، أو يخفي في سريرته ما يمقته عليه ، فتبقى خواطره وحركاته ، وأقواله وأفعاله ، موزونة بميزان الشرع والهدى ، لا بميزان الشهوات والهوى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١] .

فالله ﷻ له جميع صفات الجلال والجمال .

تارة يتعرف إلى عباده بصفات ربوبيته ، وتارة بصفات ألوهيته ، فيوجب للعبد إذا شهد صفات ربوبيته التوكل عليه ، والاستعانة به ، وتفويض أموره إليه ، والإفتقار إليه ، وكمال الخضوع والذل له : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن: ١٣] .

وإذا تجلى الله لعباده بصفات العز والكبرياء ، أثمر ذلك للعبد الذل لعظمته ، والإذعان لعزته ، والتصاغر لكبريائه ، والتسليم لأمره: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١ – ١٠٣] .

ويوجب للعبد إذا شهد صفات ألوهيته الحب لله ، والفرح به ، والشوق إلى لقائه ، والإسراع إلى طاعته ، والإكثار من ذكره ، والأنس بعبادته ، والتودد إليه بحسن الثناء عليه ، والإنكسار بين يديه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

وشكر المنعم على النعم التي لا تعد ولا تحصى واجب ، ولا يمكن شكره إلا بعد

معرفته ، لأن الشكر فرع على معرفة المشكور ، وما نشكره به ، وما نشكره عليه ، والمعرفة أعلى مراتب شكر النعمة : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩] .

وكل من العقل ، والقلب ، واللسان ، والجوارح ، له شكر خاص يناسب حاله: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾ [سبأ: ١٣] .

فشكر العقل بالعلم والمعرفة ، وشكر القلب بالإيمان والإذعان ، وشكر اللسان بالذكر والدعاء ، والحمد والتسبيح ، وشكر الجوارح بالأعمال الصالحة : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ [النحل: ٧٨] .

ومن تدبر القرآن العظيم أشهده أن الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الكبرى ، هو الملك الحق ، الحي القيوم ، السميع البصير ، العزيز الرحيم ، العليم الحكيم ، الغني الكريم، القوي المتين ، العظيم الذي استوى على عرشه العظيم برحمته ، القادر الذي يدبر الأمر كله في ملكه العظيم : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

له الملك كله ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣ ﴾ [هود: ١٢٣] .

وأشهده القرآن الكريم أن ربه هو الملك العزيز الحكيم الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

يأمر وينهى ، ويرسل الرسل ، وينزل الكتب ، ويشرع الشرائع : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ ﴾ [فاطر: ١٣].

يخلق ويرزق ، ويعطي ويمنع ، ويبسط ويقبض ، ويحيي ويميت ، ويثيب ويعاقب ، ويكرم ويهين ، ويعز ويذل ، ويرفع ويخفض ، ويرضى ويغضب ، ويحب ويكره ،

ويرحم وينتقم، ويعفوا ويعاقب: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧].

يرى جل جلاله جميع خلقه ، ويسمع كل ذرة ، ويعلم السر واخفي ، لا تتحرك ذرة أو مجرة إلا بإذنه وأمره وعلمه ، موصوف بصفات الجلال والجمال والكمال ، منزه عن كل آفة وعيب ونقصان : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وقد أمرنا الله ﷻ بالإكثار من ذكره في كل وقت ، لأن ذكر الله بأوصاف الجلال موجب للهيبة منه ، وذكره بأوصاف الجمال موجب للحب له ، وذكره بأوصاف التوحد في الأفعال موجب للتوكل عليه ، وذكره بأوصاف الرحمة موجب للرجاء له ، وذكره بأوصاف الانتقام موجب للخوف منه ، وذكره بأوصاف الإنعام والإحسان موجب للحب والحمد والشكر له ، وذكره بأوصاف السمع والبصر والعلم موجب للحياء منه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣] .

ومعرفة الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، يثمر للعبد التعبد لله بها على شاكلة العبودية ، كالرحمة والإحسان ، والعطاء والكرم ، والعفو والحلم ، فإن الله يحب أسمائه وصفاته ، ويحب ظهور آثارها في عباده، وهذا مقصود الرب من خلقه.

فالله مؤمن يحب المؤمنين ، محسن يحب المحسنين ، شكور يحب الشاكرين ، تواب يحب التوابين كما قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

فأول فرض فرضه الله على عباده هو معرفته ، ثم عبادته بموجب هذه المعرفة ، فالله خلق الكون كله من أجل أن يعرف ثم يعبد : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

فمن عرف ربه حقاً آمن به وعبده وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وأساس دعوة الأنبياء والرسل هو تعريف الناس بربهم ، وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعظمة نعمه وإحسانه :

فإذا عرفوه عبدوه وحده لا شريك له : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦] .

ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان :

أحدهما : التعريف بالطريق الموصل إليه سبحانه ، وهو دينه المتضمن لشرعه وأمره ونهيه كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

الثاني : تعريف الخلق بما لهم بعد القدوم عليه يوم القيامة .

فالمؤمنون خالدون في الجنات كما قال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

والكفار خالدون في النار كما قال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة: ٦٨] .

وكلما حقق العبد أسماء الله وصفاته علماً وعملاً وتعبداً كان أكمل توحيداً ، وأقوى إيماناً ، وأصدق يقيناً ، وأحسن تعبداً ، وأكثر ذكراً : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا

وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١] .

وكل كفر أو شرك أو ظلم أو فساد في العالم سببه الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلو عرفوه لآمنوا به وأحبوه، وأطاعوه ولم يعصوه، وشكروه ولم يكفروه: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

وكل من عصى الله فهو جاهل بربه العظيم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ومن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله أكثر من ذكر ربه ، ودعائه ، وسؤاله ، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

وفي ذكر الله ودعائه وسؤاله إشارة إلى أنه موجود ، وأنه حي، وأنه قريب، وأنه سميع، وأنه بصير ، وأنه غني ، وأنه كريم ، وأنه رحيم ، وأنه قادر ، وأنه مجيب : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله عرف أن الملك كله بيده ، وأن النعم كلها منه وحده لا شريك له ، وبذلك يتوكل على ربه ، ويستعين به ، ويسلم من الغرور والعجب والكبر : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

ومن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله أحسن الظن به ، ووثق به ، لأنه يعلم أن الله حكيم يضع الشيء في موضعه ، وأفعاله كلها في منتهى الحكمة والرحمة ، والعدل والإحسان : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠] .

ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله الصبر على الطاعات ، والصبر عن المعاصي ، والصبر على المكروهات والمصائب النازلة بالعبد.

فالله حكيم عليم رحيم يربي عباده بما ينفعهم ويصلحهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة، ولا يظلم ربك أحدا : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) ﴾ [التغابن: ١١] .

ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله حسن خُلقه مع ربه فعبده كما أمره ، وأطاعه ولم يعصه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾ [فاطر: ٢٨].

وحسَّن خُلقه مع خلق الله ، وسلم من الآفات كالعجب والكبر ، والفخر والرياء ، والظلم والحسد: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

وثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله كثيرة لا تعد ولا تحصى ، كأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) ﴾ [محمد: ١٩] .

فيجب علينا تعلم هذا العلم العظيم طاعة لله ورسوله ، ولأنه أساس الدين ، وأول أركان الإسلام والإيمان ، ولما يثمره من الثمرات العظيمة في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾ [فاطر: ٢٨] .

أهم القواعد الشرعية في تأصيل أسماء الله وصفاته وأفعاله

الله ﷻ له الأسماء الحُسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧].

وأسماء الله الحُسنى، وصفاته العلى كثيرة، وليس لها حصر، ولا تُحد بعددٍ معين ، ولا يحيط بعلمها إلا الرب الذي تسمى بها، واتصف بها جل جلاله، وتقدست أسماؤه.

وأسماء الله ﷻ كلها حسنى ؛ ولهذا أمرنا الله بالتعبد بها، ودعائه بها، وتوحيده بها فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

- **وأسماء الله ﷻ على ثلاثة أقسام :**

الأول: ما استأثر الله بعلمه، فلم يُطلع عليه أحداً من خلقه.

الثاني: ما علَّمه الله بعضَ خلقه، ولم يُنزله في كتابه .

الثالث: ما بينه الله في كتابه، أو سماه به رسوله ﷺ .

ولله جل جلاله من الأسماء الحُسنى تسعة وتسعون اسمًا ، من أحصاها، وحفظها، وعمل بمقتضاها، ودعا الله بها، أدخله الله الجنة.

فالحمد الله رب العالمين ، قد أحصينا بفضل الله منها في هذا المجموع ((موسوعة أسماء الله الحسنى)) أكثر من مائة وأربعة أسماء ، ذكرناها مقرونة بالأدلة الشرعية من القرآن والسنة كما سيأتينا مفصلًا إن شاء الله تعالى .

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم معرفتها، وحفظها، وفهمها، والتصديق بها، ودعاء الله بها، وحُسن التعبد لله بها، ونيل ثوابها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

وقال النبي ﷺ : «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ**

الجَنَّةَ» متفق عليه[1] .

وقال النبي ﷺ : «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حَزَنٌ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، وَابْنُ عَبْدِكَ ، وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي**» أخرجه أحمد[2] .

وقال النبي ﷺ في حديث الشفاعة : «**ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**» أخرجه البخاري[3].

وقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» أخرجه مسلم[4] .

- **حسن أسماء الله ﷻ:**

أسماء الله الحُسنى بالغة في الحُسن والجمال كماله ومنتهاه ، ولها الحُسن الكامل التام المطلق ، فلا أحسن منها بوجه من الوجوه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾[طه/٨] .

فأسماء الله ﷻ أحسن الأسماء ، وصفاته أحسن الصفات ، وأفعاله أحسن الأفعال ، ومخلوقاته أحسن المخلوقات ، وأحكامه أحسن الأحكام ، وشرائعه أحسن الشرائع، وكتبه أحسن الكتب ، ورسله أحسن الرسل ، وأوامره أحسن الأوامر ، وثوابه أحسن الثواب، وعقابه أحسن العقاب: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٤٣١٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

وأسماء الله ﷻ كلها حُسنى ، لماذا ؟ لأنها تدل على صفات الكمال والجلال والجمال لله ﷻ ، فهي أسماء مدح وحمد وثناء ، وأسماء تمجيد وتعظيم وإجلال ، وأسماء رحمة ولطف وإحسان : ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الإسراء/ ١١٠] .

والله ﷻ لجلاله وجماله ، وعظمته وكبريائه ، وإحسانه وإنعامه ؛ لا يُسمى إلا بأحسن الأسماء ، ولا يوصف إلا بأحسن الصفات ، ولا يُحمد إلا بأحسن المحامد ، ولا يُعبد إلا بأحسن العبادات : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢- ١٠٣] .

ولهذا ؛ الله ﷻ مَنَّ علينا فأظهر لنا من أسمائه وصفاته ما هو موجود في كتابه، وما هو موجود في سنة رسوله، وما هو منثور في مخلوقاته ، نقرؤه في آياته الكريمة، ونراه في مخلوقاته العظيمة : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢] .

وإذا عرفنا ذلك وحّدنا الله، وعظمناه وكبرناه، وأحببناه وحمدناه وعبدناه وأطعناه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

- **كيفية إثبات أسماء الله وصفاته وأفعاله:**

أسماء الله ﷻ، بينها الله بصريح القرآن ، وبينها النبي ﷺ في سنته ، فأسماء الله وصفاته، وأفعاله، ثابتة بالوحي المنزل، فلا نتجاوز القرآن والحديث.

أسماء الله وصفاته توقيفية نصية، فنثبت لله من الأسماء والصفات ما أثبته الله لنفسه في كتابه ، أو أثبته له رسوله في سنته ، وننفي عن الله من الأسماء والصفات ما نفاه عن نفسه في كتابه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ في سنته، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، على حد قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

فلا نتجاوز القرآن والحديث ، ولا نقدم الرأي على الوحي ؛ بل نجعل الوحي هو

الحاكم ، ولا نقول على الله بلا علم ، ولا نعمل إلا بما أنزل الله من كتاب : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل/ ١١٦-١١٧] .

وأسماء الله ﷻ وصفاته الواردة في القرآن والسُنة ، نؤمن بها كلها، ونعبده بموجبها ، وأسماء ربنا أحسن الأسماء ، وصفات ربنا أوسع من أسمائه ، وأفعاله أوسع من أسمائه وصفاته ، وأسماؤه وصفاته وأفعاله كلها دالة على ذاته وجلاله وجماله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر: ٦٤].

ربنا ﷻ أسماؤه أحسن الأسماء ، وصفات ربنا ﷻ أوسع من أسمائه ، فالأسماء أخص من الصفات ، الصفات واسعة ، فلا نسمي الله إلا بما سمى به نفسه ، ولا نصفه إلا بما وصف به نفسه ، وأفعاله أوسع من أسمائه وصفاته ، وأسماؤه وصفاته وأفعاله كلها دالة على ذاته وجلاله وجماله: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فكل اسم من أسماء الله الحُسنى نشتق منه صفة له ، فالله سمى نفسه : الخالق.. الرزاق.. المصور ، ووصف نفسه بأنه يخلق ويرزق ويصور.

وليس كل صفة من صفات الله جل جلاله يشتق منها اسماً لله ﷻ.

فالله وصف نفسه : أنه يُرسل وينزِّل ، ويكشف ، ويُقلِّب ، ويشاء، ويريد ، ولا يسمى : بالمرسل والمنزل والكاشف والمقلب والشائي والمريد ؛ لأنه لم يسم به نفسه ، وإنما وصف به نفسه ، فنصفه بذلك، ولا نسميه به، ولا نتجاوز القرآن والحديث: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وليس كل فعل لله يؤخذ منه صفة له ، فالله أخبر أنه يمكر، ويكيد، ويخدع، وينسى، ويفتن ونحو ذلك ، فلا يوصف الله بذلك إلا مقرونًا بسببه ، ولا يسمى به كذلك ، فلا يقال : الماكر والفاتن ؛ بل يقال : يمكر الله بمن مكر بأوليائه ، يعني مقيدًا ،

ويكيد من كاد أولياءه ، ويخدع من يخادعه : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ [النساء/ ١٤٢] .

وينسى من نسيه : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾ [التوبة/ ٦٧] .

ويُزيغ من زاغ عن الحق : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾ [الصف/ ٥] .

وهكذا في باقي الأفعال المماثلة لا يوصف الله بها إلا مقرونًا بسببه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩] .

- **ومقصود الدين أمران :**

معرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله . . وعبادته بموجب تلك المعرفة .

أولًا نعلم أنه لا إله إلا الله ، ثم تأتي العبادة بالاستغفار والدعاء وأنواع الطاعات والعبادات: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩].

- **أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته ثلاثة :**

أسماء الله الحُسنى في باب التوحيد بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة القلب من البدن، وأركان الإيمان بأسماء الله وصفاته ثلاثة:

الأول : تنزيه خالق السماوات والأرض عن مشابهة المخلوقين ، في الذات والأسماء والصفات والأفعال ، نُنزه خالق السماوات والأرض ، ربنا جل جلاله الكبير المتعال الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم، عن مشابهة المخلوقين المُحدَثين في الذات والأسماء والصفات والأفعال كما قال سبحانه: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى: ١١].

الثاني : الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله، من الأسماء والصفات والأفعال كما قال سبحانه: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية أسماء الله وصفاته وأفعاله .

فمثلًا الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ، والمعروف عن المخلوق أنه إذا نزل من مكان إلى مكان، أو انتقل من مكان إلى مكان ؛ خلا منه المكان الأول ، لكن الله ﷻ قد استوى على عرشه ، وهو ينزل إلى السماء الدنيا ، لكن لا نعلم كيفية نزوله، كما لا نعلم كيفية ذاته ، نعلم أن الإنسان يتكلم بفم ولسان وأسنان ، والله ﷻ يتكلم ؛ لكن كلامه على ما يليق بجلاله ، لا يشبهه شيء من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى/ ١١] .

فنحن نقطع الطمع عن إدراك كيفية أسماء الله وصفاته وأفعاله ، فكما لا نعلم كيفية ذاته سبحانه ، لا نعلم كيفية أسمائه وصفاته وأفعاله ، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

فلا بد من معرفة هذه الأمور العظيمة في باب الأسماء والصفات.

ومقصود الدين كله معرفة الله ﷻ ، وتعظيمه وتمجيده ودعاؤه وعبادته؛ لما يستحقه من الإجلال والتعظيم والتكبير، لا للمنفعة فقط، المنفعة عبادة العبيد ، فالناس يدفعون لهم أجرهم على قدر العمل ، لكن العارف الذي وصل لدرجة اليقين يعبد الله، لأنه أهلٌ أن يُعبد، وأهلٌ أن يحمد، وأهلٌ يشكر، وأهلٌ أن يكبر ؛ وأهل أن يطاع، لما له من الأسماء الحُسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى جل جلاله: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فهذه عبادتنا لله عبادة حب وتعظيم وإجلال، ولا نستحق على ذلك شيئاً، لأننا عبيده، لكن الله كريم يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة ، لكن نحن نعبده لذاته وجلاله وجماله، وعظمة أسمائه، وعظمة صفاته.

هذه هي عبادة الأحرار الذين عرفوا من يستحق العبادة فعبدوه كما يليق بجلاله ، لما له من الأسماء الحُسنى، والصفات العلى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فأعظم شيء في الدين معرفة الله ﷻ، وعبادته بموجب تلك المعرفة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ

﴿إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

- **وعبادة الله بموجب تلك المعرفة تكون بثلاث صفات :**

الأولى: صفة التعظيم لله ؛ لأن الله هو العظيم الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، الرازق الذي خلق كل رزق، وأوصله إلى كل مرزوق ، القادر على كل شيء ، القاهر لكل شيء ، المحيط بكل أحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

الثانية: صفة الذل لله ﷻ، والإفتقار إليه، والإنكسار بين يديه، والخضوع له، والتصاغر لكبريائه، والذل لعظمته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

الثالثة: صفة كمال الحب لله ﷻ، لما له من الأسماء الحسنى، وصفات الجلال والجمال، وعظيم الإكرام والإحسان والإنعام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وأسماء الله ﷻ كما مر بنا بأقسامها الثلاثة كثيرة لا تُعد ولا تُحصى ، أعلمنا الله منها بأسماء ، وحجب عنا أسماء ، وسيُظهر الله من أسمائه وصفاته في يوم القيامة في وقت حشر الناس، والفصل بينهم، ما لم يعرفوه من قبل، ثم يظهر لعبده المؤمن من جلاله وجماله، في الجنة من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ، ما لم يكن يعرفه من قبل.

فالجنة المخلوقة معدن الحواس ، التلذذ فيها بأنواع الطعام والشراب، والنكاح واللباس والمساكن والمراكب وغيرها.

فالجنة معدن الأشياء الحسية من أنهار الماء واللبن، الخمر والعسل ومن أنواع المطعومات والمشروبات: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥].

وكذلك في الجنة ما هو أعظم منها الذي هو رضوان الله ﷻ ، حيث إن الله ﷻ يعلمنا من أسمائه وصفاته ما لا نحسنه الآن ، فالجنة روح وريحان : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢].

حتى تسعد القلوب، وتمتلئ محبة وتعظيمًا لله ، وكذلك تأنس الأجساد بالطعام والشراب الذي لا ينقطع أبدًا : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[ص/ ٥٤] .

فالجنة الحسية معدن الحواس البدنية ، ولذة القلب هو بمعرفة معبوده وفاطره جل جلاله ، وحصول رضوانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة: ٧ –٨].

فلا بد من التعرف على الله ، لا بد أن نعرف العظيم والكبير، والقوي والقادر ، والعليم والغني، والسميع والبصير، حتى يمتلئ القلب بالإيمان والتقوى ، كما امتلأت المعدة بالطعام فاستفاد الجسم ، كذلك هذا القلب حتى يرتفع منسوب الإيمان فيه لا بد من ملئه بالإيمانيات التي هي غذاؤه وقوته وحياته: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٢].

- **وأركان الإيمان ستة :**

الإيمان بالله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره وشره .
وجبريل عليه الصلاة والسلام حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان، قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». أخرجه مسلم(١).

وبمعرفة هذه الأركان تمتلئ القلوب بالإيمان المُحرك للأعمال الصالحة.

هذه الإيمانيات تملأ القلب إيمانًا، وتوحيدًا، وتعظيمًا، وتكبيرًا، ويقينًا، وحباً لله، فيأمر هذا القلب الجوارح بالطاعة والتسليم والانقياد لأمر الله فعلًا أو تركًا: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨).

ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥].

فبالبيئة الإيمانية نتعلم الإيمان الذي ينشط البدن للطاعة، ويحرك الجوارح للعبادة ، ويجعل هذا البدن يتحرك بالأعمال الصالحة التي يحُبها الله ﷻ، ثم ينال أحسن الدرجات والكرامات في الجنة: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

- **دلالة أسماء الله الحُسنى :**

أسماء الله الحُسنى كلها مترادفة في الدلالة على الذات ، فكلها تدل على ذات الله ﷻ ، متباينة في الدلالة على الصفات ، ف(الله) اسم يدل على ذات الله ﷻ ، وهو اسم الله الأعظم ، و(الحكيم) اسم يدل على ذات الله، ويدل على صفة أخرى وهي الحكمة ، و(الرزاق) يدل على ذات الله، وعلى صفة الرزق التي يرزق بها الله عباده.. وهكذا.

فأسماء الله ﷻ كلها مترادفة في الدلالة على الذات ، متباينة في الدلالة على الصفات ؛ لدلالة كل اسم منها على معنى خاص مستفاد منه : كالخالق والرازق والكريم ، وغيرها من الأسماء الحُسنى.

فكل أسماء الله ﷻ تدل على ذات الله، وتدل على صفات متُعددة للرب : كالخلق والتصوير والعلم والقدرة والرزق والكرم وهكذا ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ١١٠] .

وأسماء الله ﷻ الحُسنى أعلامٌ وأوصاف ؛ أعلامٌ تدل على الذات ، وأوصاف تدل على صفة لله ﷻ، وأنه مختص بالصفات العلى ، فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات ، وأوصاف باعتبار دلالتها على الصفات.

وبقدر عظمة العظيم تكون أسماؤه عظيمة ، وكتبه عظيمة ، وأوامره عظيمة ، وثوابه عظيم ، وعقابه عظيم، فكل عظيم له أسماء عظيمة وكبيرة.

فالله ﷻ أسماؤه أعلام باعتبار دلالتها على الذات ، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه

من المعاني وصفات الجلال والجمال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤].

هذا الكلام الذي نقوله لا بد أن يعقله العقل ، ثم يعبد الله بموجبه، وظيفة الأذن السمع ، وظيفة العين الإبصار ، هذه أوانٍ للمبصرات، وهذه أوانٍ للمسموعات ، والعقل آنية للمعقولات: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

هذه أمور لازمة تكون بين يدي معرفة الخالق جل جلاله بأسمائه وصفاته، فأسماء الله الحسنى أعلام باعتبار دلالتها على الذات ، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني من صفات الجلال والجمال لله ﷻ.

فالحي القيوم ، والسميع البصير ، والعزيز العليم، وغيرها من الأسماء الحُسنى كلها أسماء لمسمًّى واحد : هو الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨].

ولكل اسم معنى خاص به فللحي معنى خاص ، وللقيوم معنى خاص ، وللسميع معنى خاص ؛ فالحي يدل على صفة الحياة، بكمال الأسماء والصفات، فاسم الحي يقتضي أن يكون سميعاً بصيراً وخالقاً وعالماً، وقادرًا وقويًّا، وقاهرًا وعزيزاً، وغنياً وكريماً، فله من كل الأسماء والصفات أكملها، وله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أعلاها: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

فالحي يدل على صفة الحياة ، والسميع يدل على صفة السمع، وأنه يسمع كل شيء بل يسمع الكلام قبل أن نتكلم به ، والعليم يدل على صفة العلم المطلق، فهو يعلم ما في السماوات وما في الأرض، وهو عالم الغيب والشهادة ، ويعلم ما في الدنيا والآخرة: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج: ٧٠].

ويعلم سبحانه السر وأخفى ، والسر : هو ما أسررته الآن في قلبي ، أسررته عن فلان أو فلانة ، وأخفى : ما سوف أُسره في المستقبل اللهُ يعلمه قبل أن يأتي في قلبي :

﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨ ﴾ [طه: ٧ – ٨].

وأسماء الله الحُسنى كما أنها متعددة في الألفاظ ، فهي كذلك متفاضلة في المعاني ، وفيها اسم الله الأعظم الذي أخفاه جل جلاله في أسمائه الحُسنى ؛ ليتعبد الخلق بجميع أسمائه الحُسنى ، فالله أخفى ليلة القدر في الليالي ، وأخفى ساعة الجمعة من بين الساعات ، وأخفى جل جلاله اسمه الأعظم في أسمائه الحُسنى حتى نعبد الله ﷻ بجميع أسمائه الحُسنى، وصفاته العلى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

فالله ﷻ اسمه الأول ، وحظي من هذا الاسم أن أكون الأول : في التوحيد، في الايمان، في العبادة ، في الدعوة ، في الأمر بالمعروف ، في النهي عن المنكر ، في قيام الليل ، في الإحسان إلى الخلق ، في التعليم ، في أي أمر من الأمور التي أمر الله ورسوله بها.. وهكذا في بقية الأسماء الحسنى.

- **والقرآن العظيم ينقسم إلى قسمين :**

أخبار . . وأوامر.

- **والأخبار قسمان :**

خبر عن الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٤ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

وخبر عن المخلوق أيًا كان من سماء وأرض وإنس وجن وملائكة وغيرهم من المخلوقات من جماد ونبات وحيوان، وكذا أخبار الرسل واليوم الأخر والجنة والنار: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢ ﴾ [الطلاق: ١٢].

- **والأوامر قسمان كذلك :**

أوامر الفعل . . وأوامر الترك .
فأوامر الفعل مثلاً: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النور/ ٥٦].
وقال ﷻ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].
وأوامر الترك مثلاً: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء/ ٣٢].
وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

فاسم الله الأعظم مخفي في أسماء الله الحُسنى، لنعبد الله بموجب تلك الأسماء كلها، والمطلوب أن نتخلق بهذه الأسماء ، فالله ﷻ هو الرزاق، وأنا الله ﷻ رزقني مالًا أو علمًا أو خُلقًا ، لا بد أن أتخلق بهذا، وأكون رزاقًا ، أُنفق مما رزقني ربي: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج/ ٣٥] .

أنفق علمًا ، أنفق سماحةً ، أنفق رحمةً ، أنفق دعوةً ، أنفق إحسانًا إلى الخلق ، أنفق مالاً، تنفق مما أعطاك الله ، الله أعطاني فأعطيتُ ، وعلمني فعلمت ، وأكرمني فأكرمت ، كل شيء من فضله جل جلاله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾ [النحل: ٥٣].

والله ﷻ حكيم ، وحظي من هذا الاسم ما هو ؟ الحكمة في كل الأمور: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة/ ٢٦٩] .

والله بيَّن أسماءه وصفاته لنتعبد بمقتضاها على شاكلة العبودية ، هو له الكمال المطلق في المُلك والرحمة والعفو والكرم والاحسان، وأنا دون ذلك ، الله يحب من يتصف بصفاته ، كما أحب من يتصف بصفاتي في الدنيا وآنس به ، كذلك الله ﷻ يكون جليسه يوم القيامة أهل الصفات التي يحب، أهل التقوى، وأهل الإيمان، وأهل الفضائل ، فلا بد من معرفة هذه الأسماء ، ونعطي كل الوقت لمعرفة الإله المعبود ؛ حتى نعبده بمقتضى أسمائه وصفاته: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

- **أقسام أسماء الله الحُسنى :**

أسماء الله ﷻ كلها حُسنى ، وهي من حيث معانيها أربعة أقسام :

الأول : الأسماء الدالة على الصفات الذاتية للرب جل جلاله.

والصفة الذاتية هي كل صفة لا تنفك عن الذات، ولا تعلق لها بالمشيئة ، والله ﷻ له صفات ذاتية لا تنفك عنه أبدًا، ولا تعلق لها بالمشيئة، ومن هذه الأسماء : الله ، الحي ، القيوم ، السميع ، البصير ، العليم ، الخبير، القوي ، العزيز وأمثالها.

فالعليم صفة ذاتية لله لا تنفك عنه أبدًا ، فهو يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون ، وهو الخبير الذي يعلم بجميع ما في النفوس، وجميع ما يكون من الأسرار، والشاهد والغائب وغير ذلك من كل شيء يقع في ملكه.

هو القوي الذي لا أقوى منه جل جلاله ، والقوة لا تنفك عنه أبداً، هو قوي قبل أن نعرف أنه قوي ، هو قوي وليس في الكون قوي غيره ، وكل قوة في المخلوقات من قوته ، هو أعطاها القوة فقويت، ولو سلب عنها القوة لعادت ضعيفة .

هو العزيز ، هو القوي ، هو الكبير الذي لا أكبر منه، فهذه الصفات ذاتية لا تنفك عن الرب جل جلاله أبداً: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦].

القسم الثاني : الأسماء الدالة على الصفات الفعلية للرب جل جلاله.

والصفة الفعلية هي كل صفة تتعلق بالمشيئة والإرادة ؛ إن شاء الله فعلها، وإن شاء لم يفعلها ، ومن هذه الأسماء : الخالق ، وهذا من أعظم الأسماء الفعلية ، الرازق ، التواب ، العفو ، الغفور ، الرحيم ، وأمثالها .

فالخالق يخلق إذا شاء ما شاء، في أي وقت شاء ، ويرزق من يشاء، من أي رزق شاء، لأي أحدٍ شاء ، ويتوب على من يشاء، في أي وقت شاء ، ويغفر لمن يشاء، في أي وقت شاء جل جلاله : ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ [الفتح/ ١٤] .

هذه صفات فعلية ، الله ﷻ يفعلها إذا شاء ، يفعل إن شاء، ويترك إن شاء: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨].

القسم الثالث : الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب عما لا يليق بجلاله ، ومن هذه الأسماء : القدوس ، السلام ، السبوح ، وأمثالها . هو سبحانه السلام من كل نقص وعيب وآفة ، القدوس السبوح المنزه عن جميع النقائص والعيوب ، وعن كل ما ينافي صفات كماله وجماله وجلاله ، المنزه عن الولد والند ، والكفؤ والمثل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

القسم الرابع: الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة للرب جل جلاله.

ومن هذه الأسماء: العظيم، الحميد، المجيد، الملك، وأمثالها.

فالعظيم من له كمال العظمة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وملكه وسلطانه.

والحميد يدل على كثرة الحمد له، وعلى كثرة الحامدين له، وعلى كثرة ما يُحمد عليه من النعم والآلاء.

والمجيد يدل على عظمة أسمائه وصفاته، وكثرتها وكمالها، وعلى عظمة ملكه وسلطانه، وتفرده بالمجد والكمال، والجلال والجمال... وهكذا.

فالله ﷻ له هذه الأسماء الحُسنى العظيمة ، فنثبتها له، ونحرك اللسان بالكلام عن الله، والإكثار من ذكره حتى يتأثر القلب ، حتى لا يعبد إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يحب إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

الله ﷻ هو العظيم الذي خلق العرش العظيم ، وهذا العرش العظيم الذي خلقه الله، واستوى عليه برحمته، محيط بالسماوات والأرض ، وكل سماء محيطة بالسماء التي دونها من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ، والعرش محيط بالكرسي ، والكرسي محيط بالسماوات والأرض : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

حتى نعرف الكبير ونكبره، لا بد أن يعرف القلب أن الله كبير في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، لا بد أن نكرر هذا حتى يتأثر هذا القلب بالكبير، ولا ينظر للصغير ، يعرف الكبير القوي الذي يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ

كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر: ٤١].

لابد للقلب أن يعرف الكبير الذي هو أكبر من كل شيء في الكون ، هو الكبير الذي لا أكبر منه ، هو الكبير الذي له الكبرياء في السماوات والأرض: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

لا بد أن يعرف القلب ربه الكبير ، الكبير الذي استوى على العرش العظيم، والعرش مخلوق عظيم، الله خلقه وأعطاه صفة الكمال ، وجعله أعلى المخلوقات، وأوسعها، وأنورها، وهو سقف المخلوقات كلها ، والله ﷻ استوى على هذا الكامل من المخلوقات برحمته: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥].

والله سبحانه يريد منا أن نكون أعلى الخلق بتوحيدنا وإيماننا وأخلاقنا، أعلى من الكفار، وأعلى من الحيوانات، وأعلى من الشياطين وأعلى من كل مخلوق ، أعلى من جميع المخلوقات ؛ لأن جميع المخلوقات مُسخرة مجبولة على التسبيح والتقديس والطاعة: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

لكن نحن عباد لهم اختيار : إما أن نؤمن أو نكفر: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

سبيل الإيمان أن أعرف من أؤمن به ، أعرف المؤمن جل جلاله ، وأعرف الكبير، وأعرف الرحمن، ثم أعبده.

فالله لا بد أن أعرفه حتى أرجوه، وأخافه، وأهابه، وأحبه، وأسأله واستغفره: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

ألذ شيء لهذا القلب أن يمتلئ بالإيمان ، هذا القلب الصغير يتسع لجميع أنواع الطاعات، ويتسع لمعرفة الكبير جل جلاله، ويمتلئ بالنور ، وإذا انشرح الصدر بالنور انقاد لطاعة مولاه جل جلاله: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزمر: ٢٢].

فالله ﷻ هو الكبير العظيم المحيط بكل مخلوق، انظر الى الفضاء العظيم، انظر إلى القمر ، انظر إلى الشمس ، مخلوق عظيم محيط ، انظر إلى عظمة الشمس التي تجري في هذا الفضاء، وهذه النار الملتهبة في الفضاء، والتي درجة الحرارة في داخلها عشرون مليون درجة تقريباً، وفي خارجها ستة آلاف درجة تقريباً: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧].

هذه الشمس الملتهبة التي تتجول في العالم ، هذه من خلقها ؟ ومن يوقدها ؟ ومن يسيرها؟، هذه النار الملتهبة تُذكرنا بنار جهنم ، ننظر إلى مساحة هذه الشمس بالنسبة للفضاء حتى نعرف العظيم جل جلاله ، ونعرف هذه الأرض العظيمة ، وما فيها من الجبال العالية ، وما فيها من الأنهار الجارية ، وما فيها من البحار الواسعة ، وما فيها من النباتات المختلفة ، وما فيها من الدواب التي تدب عليها.

السماوات والأرض، وما فيهن، وما عليهن، وما بينهن، مع الكرسي الكريم، مع العرش العظيم ، كل هذه المخلوقات لا تساوي ذرة من مُلك الله الكبير: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠].

أنظر للبحر هل تحيط به العين ؟ أنظر إلى الفضاء هل تحيط به العين ؟ أنظر إلى السماء الأولى ، هل تحيط بها العين؟ فاللهُ ﷻ عظيم كبير لا يُحاط به ، بل هو محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء جل جلاله ؛ لأنه الكبير الذي لا أكبر منه جل جلاله ، هو الكبير المحيط بكل كبير وصغير ، لا بد أن نعرف هذا الكبير: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

هل يليق بنا أن ننساه ؟ أن نخالف أوامره ؟ أما نستحيي منه، نسكن في أرضه، ونأكل من رزقه، ونعصيه، ونغفل عنه، ونمجد غيره؟: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧].

فلا بد للإنسان أن يكون له لب وفكر ؛ لب يعقل به الخالق من المخلوق ، ويعرف به الصور من المصور ، ويعرف به الدنيا من الآخرة ، ويعقل به الأعمال التي تقربه إلى مولاه من الأعمال التي تبعده عن مولاه جل جلاله : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد/ ١٩] .

فرق بين إدارة الحياة كجهلاء، وإدارة الحياة كعقلاء ، هذا الصغير ليس همه إلا اللعب والشهوات ، أما العاقل فهو ينظر إلى الملكوت، ومُلك الله العظيم ، ويعرف الكبير، ويعرف الرازق، ويعرف الحي، ويعرف مَن بيده ملكوت كل شيء ويعرف من خلقه، ليؤمن به ويعبده، فما أجهل أكثر الخلق بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

بالنظر والتدبر والتفكر نعرف الخالق من المخلوق، ونعرف الملك من العبيد، ونعرف من يستحق أن يعبد ويشكر: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

لا بد للقلب أن يعرف مثل هذه المعارف العظيمة، ويكون على بينة من ربه وأمره ، حتى هذا القلب يتأثر ، هؤلاء هم الذين يعقلون، هؤلاء هم أولو الألباب: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد/ ٢٠- ٢١] .

لماذا هذه الفضائل فيهم ؟ لأنهم عرفوا ربهم، فلما عرفوا أحبوا ربهم وعظموه ، فتقربوا إليه بما يحبه ويرضاه كما جاء عن رسوله ﷺ ، هذه صفات الذين عرفوا.

أولو الألباب هم هؤلاء الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم اتصلوا بالخالق جل جلاله يكبرونه ويحمدونه، ويسألونه ويستغفرونه، ويقدمون التحية له في هذه الصلاة ، فالصلاة أعظم رابط يربط المخلوق بخالقه ، يربط المخلوق الضعيف الفقير العاجز

بالغني القوي القادر جل جلاله .

هؤلاء الذين : ﴿صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد/ ٢٢] .

أنفقوا من كل فضيلة عندهم : من علم أو جاه أو مال، أو قضاء حاجة، أو إطعام مسكين، أو تعليم جاهل، أو دعوة كافر : ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد/ ٢٢-٢٤] .

هؤلاء هم الذين يريدهم الله ﷻ ، هؤلاء هم أولو الألباب ، صاحب اللب هذا هو الذي يجلس على مائدة الإيمان، ويسمع الكلام بنية التعلم والتعليم؛ حتى يعظم الله في قلبه، ويعظم هو في عين الله جل جلاله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

العاقل هو الذي يجلس في مجالس الإيمان حتى يستقبل وحي ربه، ويعبد ربه ، ويجلس بنية طلب العلم، وبنية العمل، وبنية تعليم من يحتاج إلى تعليم، ودعوة، من يحتاج إلى دعوة : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧ - ١٨] .

المجنون أو الصغير ليس عنده تفكير، وليس عنده عقل ، لكن إذا نضج العقل فلا بد أن أقعد أو أجلس في مجالس الإيمان التي يربي الله فيها عباده على معرفته، وعبادته، وذكره، وحمده، وشكره جل جلاله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

يقنت لربه لماذا ؟ لأنه عرفه ، فلا بد أن نجلس في هذه المجالس بهذه النية ، نجلس بنية أن نتعلم، وأن نعمل، وأن ندعو إلى ما علمنا، وألا يكون لنا هم في هذه الحياة إلا العمل بالشريعة، وإبلاغ هذا الدين : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ

﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

لا بد أن يجلس المسلم في حلقات العلم بهذه النيات الكبيرة ، ليس العلم ثقافة ، ليس العلم للزينة ، ليس العلم فقط فاكهة نتفكه بها، ونجلس فيها لنجمع الحسنات فقط ، العلم بعده عمل ، بعده خشية ، بعده تقوى ، بعده استصلاح للأراضي ، استصلاح للأمة ، استصلاح للبشرية.

بعده الجهد على البشر حتى ينتج منتج صالح جديد من المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات، والصابرين والصابرات، والخاشعين والخاشعات: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ينتج التائبون العابدون السائحون الراكعون الساجدون: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

وهكذا ينتج هذا المنتج الذي يحبه الله ﷻ ، ويكرمه بأنواع الكرامات والتكريم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ١١].

- **وأسماء الله ﷻ من حيث دلالتها قسمان :**

القسم الأول : الأسماء الدالة على صفة ذاتية لازمة ، وهي كل اسم لا يُتعدى أثره

فاعله ، ولا يجاوزه الى المفعول به .

ومن هذه الأسماء الواحد والأحد، والعلي والعظيم، والكبير والوتر، والأول والآخر، والظاهر والباطن.

وأنا لا بد أن يكون لي حظ من كل هذه الأسماء ، كيف يحبني الناس ؟ لماذا يحبني الناس ؟، يحبني الناس لأني أعظم العظيم ، وأكبر الكبير ، وأحمده وأحبه ، وأحب الخير للناس ، وأصل من قطعني ، وأعطي من حرمني، وأعفو عمن ظلمني ، وأُحسن لمن أساء إليَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

لماذا الناس يحبون الله ﷻ ؟ لماذا نحب الله ؟ لما له من الأسماء الحُسنى، والصفات العلى ، والافعال الجميلة، لا بد أن أتخلق بهذه الأسماء الحسنى، حتى يحبني الله، وتحبني الملائكة، ويحبني الناس.

فهذه الأسماء والصفات هي زينة الإنسان: حلمًا، وحمداً وعبادة لله، وعلمًا، وذكراً، وعفواً، وأدبًا، وإحسانًا، وتعليمًا وغير ذلك من الأسماء والصفات التي تؤثر في البشرية: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

- **وهذه الأسماء الذاتية لله تتضمن أمرين :**

الأول : ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ ، كالواحد الأحد الصمد .

الثاني : ثبوت الصفة التي تضمنها ، فالواحد مثلًا يتضمن إثبات الواحد اسمًا لله ، وإثبات الوحدانية صفة له.

والواحد و الأحد يتعلق بهما كتاب التوحيد كله ، كتاب التوحيد أعظم كتاب ، كتاب ربنا هو كتاب التوحيد ، فكتاب التوحيد يفسر اسم الله الواحد الأحد ، كيف نثبت الوحدانية لله ؟ ونثبت دلائل الوحدانية لله ﷻ ؟ وثمرات التوحيد ؟ وواجبات هذا التوحيد ؟ وجزاء أهل التوحيد، هذا كله نأخذه من اسم الله الواحد الأحد ، فكيف ببقية الأسماء ؟: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

فكل اسم يحتاج إلى كتاب تفصيلي ، الرزاق يحتاج إلى كتاب ، حيث نذكر النعم، ونذكر المنعَم عليهم، ونذكر الأرزاق، وأجناسها، وأنواعها، وتكرارها، وبسطها، وقبضها: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ –٥٨].

وإسم الله العليم يحتاج الى كتاب، هذا العلم العظيم الذي هو صفة من صفات الله ﷻ، كيف نعرف أن الله ﷻ عليم محيط بكل عليم ، أعطانا من علمه فتعلمنا ، ولو لم يعلمنا ما تعلمنا ، هو الذي زكانا، فالله يزكي من يشاء من عباده ، فلا نزكي أنفسنا ، هو الذي يزكينا جل جلاله ، فالمطلوب منا بعد أن علمنا الله ﷻ، وأعطانا آلات العلم أن نوحده، ونؤمن به، ونعبده، ونشكره، ونعرِّف الناس به: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل/ ٧٨] .

فنحن لا بد أن نجلس في مجالس الإيمان، ومجالس العلم.

مكان الصلاة في المسجد ، مكان الصوم في رمضان، ومكان الحج في مكة ، ومكان تعلم الإيمان هي مجالس الإيمان التي نحن فيها الآن ، مجالس العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأوامره ونواهيه ، ووعده ووعيده، هذه المجالس لا بد أن نكونها نحن ، فالله خلق لنا الأذن للسمع ، والعين للرؤية، والعقل للتفكير، لنعرف الخالق من المخلوق، ونعرف الرزاق من المرزوق، ونعرف المعبود من العبيد: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١].

كما جعل الله لنا مكانًا للصلاة، ومكانًا للصيام، ومكانًا للصدقة، ومكانًا للحج ، لا بد نحن أن نكون البيئة الإيمانية التي يزيد فيها الإيمان، ونلزمها مع أخواننا المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة/ ١١٩] .

ولابد من الصبر، ولزوم هذه البيئة الايمانية، والإنقطاع عن الجو الغافل، حتى تحصل الهداية، وتستمر الإستقامة: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا

قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

لماذا ؟ حتى يقوى الإيمان ، وإذا قوي الإيمان يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه، ويعبد الله كما يجب، ويُحسن إلى الخلق كما أمر، ويزيد حبه لربه، وتعظيمه له، وشكره له، وإحسان العبادة له كما قال الله عن الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

- **فالدين كله يقوم على أصلين:**

الأول: معرفة الحق : لنعبده وحده لا شريك له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

الثاني: محاسنة الخلق : نعاملهم بالأخلاق الطيبة، وندعوهم إلى الله بالحكمة والرفق واللطف واللين، حتى نقربهم إلى ربهم ، نُذكرهم بالله وبأسمائه وصفاته، ليعظموه، ويكبروه، ويطيعوه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

ونذكرهم بنعمه وإحسانه، ليشكروه، ويحبوه ، فإذا عرفوا عظمته عظموه ، وإذا عرفوا إحسانه أحبوه، فعبدوه، وأطاعوه ، وعبدوه بالصفات التي يحبها: بالتعظيم الكامل ، والذل الكامل ، والحب الكامل لله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

ولهذا كان النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ؛ لما يعرفه من عظمة الله، وعظمة أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة، ولما يعرفه من عظمة إحسانه وفضله جل جلاله على خلقه ، فهو يعبد الله ﷻ لأنه أهل أن يُعبد، وأهل أن يُكبر، وأهل أن يُعظم، وأهل أن يمجد، وأهل أن يحمد: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

وكَانَ النَّبِيُ ﷺ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا

رَسُولَ الله وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً**». متفق عليه(١).

ولهذا خلق الله الجنة على درجتين :

درجة للسابقين المقربين . . ودرجة للأبرار المؤمنين .

فالسابقون هم الذين سبقوا إلى كل فضيلة، وإلى كل خير، وإلى كل عمل صالح ، فأدوا أنواع العبادة لله ﷻ ابتغاء وجه الله بالمحبة والتعظيم والذل له: ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾** ﴾ [الواقعة: ١٠ – ١٤].

وهؤلاء عبدوه عبادة حر ، عبادة من عرف أن ربه الكبير فلا يكبر غيره ، وعرف أنه العظيم فلا يعظم غيره ، وأنه الرحيم فلا يسترحم غيره ، وأنه الغفور فلا يستغفر غيره ، وأنه الشافي فلا يطلب الشفاء إلا منه ، وأنه الملك فلا يطلب أي شيء إلا من عند الملك العظيم الذي يعطي بلا مِنة جل جلاله: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾** ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

فهذه الأسماء الذاتية لله ﷻ ، والعظيم يتضمن إثبات : العظيم اسمًا لله ، وإثبات العظمة صفة له، وهكذا في بقية الأسماء .

وأما الأبرار فهم عامة المؤمنين، وهم درجات، وهم أصحاب اليمين: ﴿ **وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾** ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٢].

القسم الثاني: الأسماء الدالة على صفة فعلية متُعدية من الخالق إلى المخلوق ، ومن الفاعل إلى المفعول ، ومن الملك إلى المملوك .

ومن هذه الأسماء : الخالق ، البارئ ، المصور، العفو ، الغفور ، الكريم ، الرحيم ، التواب، الرزاق ، السميع ، البصير ، الرب ، اللطيف وغيرها من الأسماء الحُسنى .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٠).

- **وما كان من هذه الأسماء فإنه يتضمن ثلاثة أمور :**

ثبوت ذلك الاسم لله اسمًا..وثبوت الصفة التي يتضمنها.. وثبوت حُكمها ومقتضاها.

فالرحيم مثلًا يتضمن : إثبات الرحيم اسمًا لله ﷻ ، وإثبات الرحمة صفةً له ، وإثبات مقتضاه وهو أن الله يرحم من يشاء ، فصارت صفة متُعدية من الرحمن إلى من يرحم من خلقه: ﴿ **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** (٧) ﴾ [غافر: ٧].

هو جل جلاله الرحمن الرحيم الذي رحمنا فخلقنا، وهدانا، ومَنَّ علينا بالنعم المادية، والنعم الروحية ، وهو الرحيم الذي رحمنا ، وطلب منا أن نرحم.

قال النبي ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يرحمكم من في السماء** » أخرجه أبوداود والترمذي (١) .

هو الرحمن الذي أعطانا الرحمة، وأمرنا أن نرحم بها ؛ فله الفضل أولًا وآخرًا: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** (١٥٩) ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فنعبد الله بمقتضى هذه الأسماء الحسنى، فنطلب الرحمة من الرحمن، ونرحم الخلق، ونطلب العفو من العفو، ونعفو عن الناس ، ونطلب الرزق من الرزاق، ونرزق الناس، ونطلب الشفاء من الشافي، ونطلب الأمن من المؤمن، ونطلب السلام من السلام وحده لا شريك له ، وهكذا في بقية الأسماء: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٨٠) ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فمعرفة أسماء الله الحسنى غذاء القلوب، وقوت القلوب، وطمأنينة القلوب: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** (٢٨)

---

(١)**صحيح**/ أخرجه أبوداود برقم (٤٩٤١)، وأخرجه الترمذي برقم (١٩٢٤).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

لا بد أن نتعرف على أسماء ربنا وصفاته وأفعاله، حتى يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان، ويُقبل على طاعة ربه وعبادته بالحب والتعظيم والذل له، ويعرض عما سواه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

فأعلى العبادة أن يعرف العبد ربه وأن يستأنس بربه، ويستوحش من غيره ، ويعبد الله بنيته وقلبه،ولسانه وجوارحه، وتدبره وفكره، وأقواله وأعماله وأخلاقه، ويكون آلة أعمال تُنتج أعمالًا صالحة، يحبه الله من أجلها، ويثيبه عليها: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

والله ﷻ يريدنا بعد هذه المعرفة أن نتعبد لله بتلك الصفات ، ويكون لنا حظ من كل أسم من أسماء الله الحُسنى ، نحن نعرف أسماء الله الحُسنى، ونحفظها بأذهاننا ، لكن إذا لم تنزل إلى قلوبنا، وتظهر على جوارحنا ؛ فهي حجة علينا لا لنا: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢﴾ [الأنفال: ٢٢].

ولهذا من أركان الإيمان : الإيمان بقضاء الله وقدره ، فما يجُريه الله على الإنسان كله خير وحكمة وعدل وإحسان، وفضل من الله ﷻ ، لا بد أن نؤمن بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله، نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره لابد أن نجدد إيماننا كل يوم، ليزيد الإيمان ويقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

هذه أغذية القلوب ، إذا امتلأ القلب بتلك المعارف الإلهية صار ملكًا على جوارح الإنسان، ملكًا على لسانه فلا يتكلم إلا بما يحبه الله ، ملكًا على أذنه فلا تسمع إلا ما يحب الله ، ملكًا على بصره فلا يقع بصره إلا على ما يحب الله ﷻ ، ملكًا على

وقته فلا يقضيه إلا في طاعة الله ، ملكًا على ماله وشهواته فلا يفعل شيئًا فيه سخط الله ﷻ ؛ طاعته وشهواته لمولاه جل جلاله ، شهوته في قصور الجنة وفي عبادة ربه ، وفي دعوة الناس إليه.

ولهذا الرسول ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : «**أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**»متفق عليه [1] .

أكون عبدًا شكورًا لمن أكرمني بأنواع الكرامات، ما جعلني الله ترابًا يُبال عليه، ولا حيوانًا يُركب عليه ، ما جعلني من هذه المخلوقات التي هي دوني، بل جعلني خليفة في الأرض، وأكرمني بأنواع التكريم: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

يكون المؤمن عنده هذه المعاني العظيمة، ويسعى للترقي في هذه المعارف الالهية، ليكون مؤمناً حقاً، عابداً حقاً لينال أحسن الثواب حقاً: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

نحن نجلس في مجالس العلم والايمان بهذه النية ، نجلس لنكون ربانيين : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران/ ٧٩].

موائد الطعام والشراب يجلس عليها البر والفاجر، والمطيع والعاصي، والمؤمن والمنافق، والإنسان والحيوان، لكن موائد الإيمان الله يختار لها من يشاء من عباده، فالله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين الا من يحب، لكن لابد من الجهد والمجاهدة: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٧) وأخرجه مسلم برقم (٢٨٢٠).

والإيمان بالله أغلى شيء في خزائن الله، وتحصيله أعظم عبادة نتقرب بها إلى الله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

- **وهذا الإيمان كالمال، يحتاج إلى أربعة جهود :**

الأول: جهد على تحصيل الإيمان بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، بالنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية، ومعرفة دين الله وشرعه، ومعرفة وعده ووعيده: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الثاني: جهد على حفظه بالجو الإيماني والبيئة الصالحة: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

الثالث: جهد على الاستفادة من الايمان بكمال اليقين، فحين أرفع يدي فالله يستجيب دعائي فوراً: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧ – ٨٨].

والنبي ﷺ رفع يديه في بدر يدعو ربه قائلاً: «**اللهم إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ لَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ جِيَاعٌ فَأَطْعِمْهُمْ، وَحُفَاةٌ فَاحْمِلْهُمْ، وَعُرَاةٌ فَاكْسُهُمْ**»أخرجه مسلم(١).

فالله ﷻ أرسل جبريل معه ألف من الملائكة ، ثم جاء بثلاثة آلاف ، ثم جاء بخمسة آلاف ، وكان يكفي ملك واحد ، جبريل يكفي أن يدمر الأرض ومن فيها ، بطرف جناحه رفع خمس قرى من قرى قوم لوط الى السماء ثم قلبها عليهم ، لكن الله فرح بمن ينصر دين الله ﷻ، وأيدهم بالملائكة الكثيرة: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣ – ١٢٦].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٦٣).

والنبي ﷺ دعا إلى الله في مكة ، وأوذي حتى خرج إلى المدينة ، وكان أول لقاء بالسيوف في بدر ، حيث لا عدد ولا عُدة مع المسلمين، أمام عدد وعدة الكفار ، فالله ﷻ يريد أن يظهر نصرته لأوليائه، ويحق الحق، ويبطل الباطل : ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢]. والله وحده هو القوي الذي يملك خزائن القوة، وأقوى البشر هو المؤمن الذي آمن بالقوي جل جلاله.

- **فالمؤمن له قوتان:**

قوة على نفسه بأن حملها على الإيمان.. وقوة على غيره من الكفار بأن قام ودعاه، وأمره بالمعروف، ونهاه عن المنكر ، بل قاتل في سبيل الله من صد عن سبيل الله.

أما الكافر فليس عنده قوة على نفسه فلم يستطع حملها على الإيمان ، لكن عنده قوة على غيره ممن يسلطه الله عليه امتحاناً وابتلاءً، لانه يدافع عن شهواته أو رئاسته.

أما المنافق فليس عنده قوة على نفسه، ولا على غيره؛ فليس عنده قوة على نفسه فيؤمن، ولا عنده قوة على غيره فيقاتل : ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر: ١٤].

فالمؤمن قوي ؛ لأنه اتصل بالقوي فصار قويًا ، فهو قوي في عبادته ، في دعوته ، في جهاده، في كلامه ، في جميع أعماله ، فاستفاد القوة من القوي كما استفاد الرزق من الرزاق، والعلم من العليم جل جلاله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: ١٧١].

فالله قوي، وأنا كيف أكون قويًا؟ كيف أكون قويًا في أعمالي، وفي طاعتي، وفي عبادتي ؟ قال النبي ﷺ:«**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**» أخرجه مسلم(١).

الرابع: جهد على نشر الايمان في العالم، فالتاجر يفتح في كل بلد متجراً، لتزيد أمواله، وهكذا المؤمن يستكثر من الحسنات بدعوة الناس الى الاسلام، ليرضي

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٦٦٤.

ربه، وليزيد إيمانه، وتكثر وحسناته، ويؤدي ما أوجب الله عليه من الدعوة، ليكون الدين كله لله: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

- **أقسام أسماء الله الحُسنى:**

أسماء الله الحُسنى من حيث معانيها ستة أقسام:

القسم الأول : الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته مثل: الله ، الإله ، الواحد ، الأحد ، الحق ، الحي ، القيوم ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، وأمثالها من الأسماء الحُسنى ، فهذه الأسماء تدل على ذات الله ﷻ ووحدانيته .

القسم الثاني : الأسماء الدالة على المُلك والقدرة ، مثل : الملك ، العزيز ، الجبار ، المهيمن ، القهار ، القادر ، القوي ، الغني، المقدم ، والمؤخر ، وأمثالها .

القسم الثالث : الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد ، مثل : الخالق ، البارئ ، المصور ، الرزاق ، الوهاب ، الكريم ، البر ، المقيت، وأمثالها .

القسم الرابع : الأسماء الدالة على العلم والإحاطة ، مثل : السميع ، البصير ، العليم ، الخبير ، الرقيب ، الشهيد ، الحفيظ ، المحيط ، وأمثالها .

القسم الخامس : الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة ، مثل : الرب ، الرحمن ، الرحيم ، الرءوف ، الحليم ، الحميد ، الشكور ، الودود ، الولي ، النصير ، القريب ، المجيب ، العفو ، الغفور ، التواب ، وأمثالها .

القسم السادس : الأسماء الدالة على الهداية والبيان ، مثل : الهادي ، المبين ، الوكيل ، وأمثالها .

- **أبواب معرفة أسماء الله الحسنى:**

جميع أسماء الله الحُسنى واحدة في الدلالة على الذات ، متُعددة المعاني والصفات ، كما قال الله سبحانه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨] .

- **وهذه الأسماء الحسنى لا بد للقلب أن يعلمها من طريقين :**

الطريق الأول : طريق النظر في الملك والملكوت: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٍ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس: ١٠١].

والطريق الثاني : النظر إليها في الآيات الشرعية في القرآن الكريم كما أخبر الله ﷻ عن أسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ليعلمنا بعظمته، ويعلمنا بإحسانه إلى عباده ، لنتخلق بذلك ونعبد الله بمقتضاها ، فالله لم يكلفنا بما ليس في وسعنا ، بل بيَّن لنا أسماءه الحُسنى وصفاته العلى ، ورغبنا في التخلق بها، وعبادة الله بموجبها فقال: ﴿ **هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾** ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

وأمرنا كذلك بالنظر في المُلك والملكوت حتى الإنسان يكون على بينة ممن يعبد، يعرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ **إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾** ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فهذا القلب هذا غذاؤه : لا بد أن يعرف الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويعرف عظمة ملكه وسلطانه ، ويعرف عظمة نعمه وإحسانه، فإذا عرف ربه عبده بموجب تلك المعرفة: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾** ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

والله ﷻ فطر الناس على التوحيد ، لكن هذه الفطرة لا تكفي ، لأن الشياطين تأتي وتُخرج الناس من هذه الفطرة، وتجعلهم يعصون الله، ويخالفون أمره، ويُلحدون في أسمائه وصفاته: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾** ﴾ [الروم: ٣٠].

فكل شيء بيد الله وحده، وكل النعم من الله وحده، وكل البشرية في الضلالة إلا من هداه الله، وكلهم في المجاعة إلا من أطعمه الله.

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي**

أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.
يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.
يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.
يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.
يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم (1) .
فأول علم يجب على الإنسان أن يتعلمه هو العلم الإلهي ، وأول العلم الإلهي هو : معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة خزائنه ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده ، هذا العلم الإلهي هو أغلى شيء، وأعظم شيء وأول شيء يجب تعلمه: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

- **والعلوم تنقسم الى قسمين :**

العلم الإلهي . . والعلم الإنساني .
فالعلم الإنساني هو الذي نراه اليوم في الصناعة والتجارة والزراعة وغيرها، وهو جزء من العلم الإلهي ، فالله ﷻ وهب هذا الإنسان الذي خلقه من عِلمه، وعلَّمه ما لم يكن يعلم ، وفتح على بعض عباده من العلوم ما يُصلح معايش الناس، وما يسهل حياتهم، في أكلهم، وشربهم، ومساكنهم، ومراكبهم، وملابسهم.
وفي هذا كله راحة للجسد، والحمد لله على هذه الصناعات، وهذه الأمور الميسرة

---
(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

في زماننا هذا تهيئ للإنسان فرصة الدعوة إلى الله، والعمل بالدين، والإنتقال من بلد إلى بلد بسهولة وراحة: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ [النحل: ٧٨].

وهذا العلم الإنساني بأنواعه وأشكاله لا يساوي ذرة من العلم الإلهي.

أما العلم الإلهي فهو أصل العلوم كلها وأنفعها، وهو أعظم شيء أرسل الله به الأنبياء والرسل ، أرسل به إلينا أفضل الأنبياء والرسل ؛ لأننا خير أمة أُخرجت للناس ، ولا بد أن تخرج إلى الناس، وتعلم الناس الدين ، فمن علم أنه لا إله إلا الله ، وعلم بما جاء به رسول الله، فهذا هو العالم الرباني ، لماذا ؟ لأن الله أكرمه بالعلم الإلهي، والعمل بموجبه: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣ ﴾ [النساء: ١١٣].

- **وهذه الأمة أفضل الأمم، وقد توجها الله بأربعة تيجان :**

تاج : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ١١٠ ﴾ [آل عمران/ ١١٠].

في العلم ، في الدعوة ، في العبادة، في الأخلاق، في المعاملات، في المعاشرات.

وتاج : ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ [الحج/ ٧٨] .

فلما اجتبى الله الأنبياء والرسل من الناس، اجتبى هذه الأمة من بين الأمم.

وتاج : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

فهي أمة وسط بين الغلو والتقصير، عدول خيار، يدلون الخلق على خالقهم، ليوحدوه ويعبدوه، ويعظموه، ويحبوه، ويحمدوه، ويشكروه، فيحبهم ويحبونه.

وكذلك تاج : ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

يشهدون على الناس أنه بلغهم الحق، ويشهدون للرسل أنهم بلغوا رسالة ربهم الى أممهم.

فهذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، لا بد أن تدعو الناس إلى رب الناس، ليعبدوا الله وحده لا شريك له، وهذا يتطلب التضحية بالأوقات، والأموال، والأنفس، والشهوات، والديار، والأهل وكل شيء، من أجل إقامة دين الله في الارض: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ [الحجرات: ١٥].

فنبذل المحبوب لما هو أحب ، ونبذل الأدنى لما هو أعلى ، ونكمل محبوبات الرب في الدينا، والله ﷻ يكمل محبوباتنا يوم القيامة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

ومحبوبات الرب: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

ومحبوبات العبد: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

فهذه أهم القواعد الكبرى في تأصيل أسماء الله الحسنى، وقد أدرجنا بعض القواعد الأخرى عند شرح أسماء الله الحسنى كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

شرح أسماء الله الحسنى على وجه الإجمال

الله ﷻ هو الإله العظيم، والرب الكريم، والملك القدير جل جلاله ، لا بد أن نعرف عظمته وكبرياءه، وجلاله وجماله، ونعرف عظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، لنوحده بها، ونعبده بمقتضاها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فأوجب العلوم على الإطلاق هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد: ١٩]

ونحن سنبدأ إن شاء الله تعالى بشرح أسماء الله الحُسنى، في ضوء القرآن والسنة، على وجه الاجمال، ونبدأ بأولها وهو اسم (الله) و(الإله)، ونسأله أن ييسر لنا احصاءها، وحسن شرحها، والعمل بمقتضاها، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فالله ﷻ له الأسماء الحُسنى، لا بد أن نمر على هذه الأسماء بشرح مجمل؛ حتى نعرف من نعبد،، وما يجب له؟، وما يجب أن نفهمه؟، وما يجب أن نحفظه؟، وما يجب أن نتخلق به، ونعبد الله بمقتضاه؟: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فمن أراد أن يعبد الله حقاً، ويعظمه حقاً، ويحبه حقاً، ويحمده حقاً، فليعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله.

فأولًا نعرف الاسم، ثم نفهم معناه، ثم نعبد الله بمقتضاه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

فهذه بداية بيان أسماء الله الحُسنى بشكل مجمل بدءاً باسم الله.

الله ﷻ علم على الذات ، ويدل على جميع الأسماء والصفات وما سواه من الأسماء يدل على الذات، ويدل على الصفات.

فالله هو المألوه المعبود المحبوب ، يُحب لكمال ذاته وأسمائه وصفاته، وأفعاله، وكمال نعمه وإحسانه ، نحبه ؛ لأنه هو الله المألوه المعبود الذي تألهه الخلائق، وتحبه، وتعظمه، وتخضع له، وتحمده، وتفزع إليه في الحوائج ، لماذا ؟ لما له من الأسماء الحُسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾ [طه: ٨].

فمعرفة أسماء الرب تملأ القلب توحيدًا وإيمانًا، وتعظيماً وحباً، ومعرفة وطاعة، وخضوعًا للرب، وخشوعًا له، وتوكلًا عليه، وإيمانًا به: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ ﴾ [فاطر: ٢٨].

معرفة هذه الأسماء تغذي القلوب بأعظم معرفة، نعرف ربنا أنه كبير ، فنوجه عبادتنا إلى كبير، وإلى عظيم، وإلى ملك، وإلى حق، وإلى رحمن، وإلى رحيم، والى كريم، وإلى سميع، وإلى بصير، والى حليم، والى عفو، والى غفور: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥] .

هو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصلت رحمته إلى كل مخلوق: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ ﴾[الحشر: ٢٢].

وهو الملك الذي ملك الخلائق كلها، في العالم العلوي، والعالم السفلي.

وهو المالك الذي ملك الممالك والملوك والعبيد ، وكل من في السماوات ومن في الأرض عبيده ، وهو الملك وحده لا شريك له: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ ﴾ [الحشر: ٢٣].

وهو المليك الرحيم بعباده، بيده المُلك، يؤتي المُلك من يشاء، وينزع المُلك ممن يشاء: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وهو القدوس المنزه عن النقائص والعيوب ، الموصوف بصفات الكمال.

وهو السلام الذي سلم من كل عيب وآفة ونقص ، بيده السلام كله، ومنه السلام ، وكل سلام في العالم من سلامه.

وهو المؤمن الذي أمن خلقه من أن يظلمهم ، خلق الأمن، ومَنَّ به على من شاء من عباده.

هو المؤمن الذي خلق الأمن في كل مؤمن ، فلا أمن إلا منه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢] .

وهو المهيمن الشاهد على خلقه بما يصدر منهم ، القادر الذي لا يغيب عنه شيء في السماوات ولا في الأرض، المهيمن القوي القاهر لكل ما سواه.

وهو العزيز الذي له العزة كلها ، هو العزيز الذي لا يُرام جنابه ، القاهر الذي لا يُغلب ، القوي الشديد الذي خضعت له جميع المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة: ١].

وهو الجبار العالي على خلقه كلهم ، القاهر لهم على من أراد ، قهر السموات على هذه الصفة ، وقهر الأرض على هذه الصفة، وقهر الجبال على هذه الصفة، وقهر البحار على هذا الحد ، ذو الجبروت والعظمة الذي يجبر عباده، ويصلح أحوالهم، ويقضي حوائجهم.

وهو المتكبر الذي تكبر عن صفات الخلق فلا شيء مثله ، الذي تكبر عن كل سوءٍ ونقص وعيب وظلم : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

الله أكبر من كل ما نتخيل أو نتصور، الله أكبر مما عرفنا ومما لا نعرف، وله الكبرياء في السماوات والأرض.

هو الكبير الذي لا أكبر منه ، هو خالق كل كبير، وخالق كل صغير ، وعظمته في خلقه الكبير العظيم كالعرش والكرسي، والسماوات والأرض ، وفي خلقه الصغير

كالذرات والهباءات: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

هو الله الواحد الأحد، الخالق لكل أحد، المالك لكل أحد، القاهر لكل أحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤] .

وهو الكبير الذي كل شيء دونه صغير :﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٧].

وهو الخالق المبدع للخلق على غير مثال سابق، خلق السماء على هذه الصفة من غير مثال سابق ، وخلق الأرض كذلك ، وخلق الجبال ، وخلق البحار ، وخلق النيران ، وخلق النباتات، وخلق الحيوانات ، وخلق الطيور وغيرها على غير مثال سابق.

هو الخالق الذي خلق كل شيء وحده لا شريك له بلا مشير ولا معين: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١ – ١٠٢].

هو الخلاق الذي خلق ويخلق كل شيء بقدرته متى شاء ، وكيف شاء، وبأي عدد شاء، وعلى أي صفة شاء، وخلق الإنسان وجعله بهذه الصورة، وخلق جميع المخلوقات على صور مختلفة ، وخلق البحار وجعلها بهذا الحجم.

ويخلق الخلاق في كل ثانية مليارات المخلوقات التي لا يعلمها ولا يُحصيها إلا هو، كم يخلق من الخلائق والأنفاس ؟ كم يخلق من المجرات والذرات ؟ كم يخلق من النباتات ؟ كم يخلق من الحيوانات ؟: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر/ ٨٦] .

فالخالق من أعظم أسماء الرب وصفاته، وبصفة الخلق خلق هذا الكون العظيم: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [الزمر: ٦٢].

خلق العرش العظيم ، وخلق الكرسي الكريم ، وخلق السماوات السبع وما فيهن ، وخلق الأراضين السبع وما فيهن ، وخلق ما بين السموات والأرض، وخلق البحار ، وخلق الجبال ، وخلق الإنس والجن والملائكة، وخلق الجمادات والنباتات والحيوانات، باسم واحد من أسمائه الحسنى خلق كل شيء: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١ ﴾ [لقمان: ١١].

بحرفين من كلامه خلق هذا الكون العظيم وما فيه: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨٣ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣].

هذه قوة كلامه جل جلاله ، بحرفين من كلامه خلق كل ما في الكون، قادر لا يعجزه شيء، وعليم لا يغيب عنه شيء ، و محيط لا يند عنه شيء ، وقاهر لا يفر منه شيء.

ومن هذا خلقه، وهذه قدرته، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهو الباري الذي برأ الخلق فأوجدهم بقدرته ، وميز بعض خلقه عن بعض بحكمته، وجعلهم أبرياء حسب أنواعهم وأجناسهم.

وهو المصور الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ، من الطول والقصر، والكبر والصغر، والحجم واللون والشكل.

سبحان الله ! كم صورة صورها، وأحسن تصويرها هذا الخالق البارئ المصور ؟: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٤ ﴾ [الحشر: ٢٤].

وهو الوهاب الذي يجود بالعطاء والنعم على الدوام ، ويهب ما شاء، لمن يشاء، بأي قدر شاء.

هذا الحوت العظيم الذي هو من مخلوقات الله ﷻ يأكل أربعة أطنان يوميًّا ! كم حوتًا في البحر يأكل كل يوم أربعة أطنان ؟ من يسوق له رزقه ؟ لو لم يأكل هذا الحوت هذه الأسماك الصغيرة لتحول البحر إلى قطعة لحم من السمك.

هذا الحوت العظيم الذي وزنه مائة وخمسون طنًّا تقريباً ، وطوله ثلاثون مترًا ، ووجبته اليومية أربعة أطنان ، ولسانه نصف طن ، ورضعته لولده ثلث طن، هذا الحوت من ربه ؟، ومن وهبه رزقه؟ ومن يرزقه ويرزق غيره؟:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس: ٣].

سبحانه ربنا العزيز الوهاب الرزاق، من أين تأتي الأرزاق؟ من الرازق الرزاق، فالله خلق الرزق والأرزاق والمرزوقين، وهو الرازق وحده لا شريك له.

وهو سبحانه الرزاق الذي خلق الأرزاق، وأوصلها إلى خلقه بفضله ورحمته وقدرته:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات: ٥٨].

هوالرازق الرزاق الذي وسع الخلق كله برزقه ، رزق الله ﷻ وسع جميع خلقه.

هو الذي وسع الخلق كلهم رزقه ، فكل أحد يأكل من رزقه، ويسكن في مُلكه، ويتقلب في نعمه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣].

هو الرزاق الذي خلق جميع الأرزاق، وأوصلها إلى جميع خلقه بفضله وقوته ورحمته.

رزق الطير في الفضاء، والبهائم في الارض، والاسماك في البحر.

هناك طيور من خلق الله تطير ثلاثًا وثمانين ساعة في الجو ثم تقف، هذه الطيور لا تعرف الراحة ، تُسبح بحمد ربها، وهي تسير في هذا الجو ، ويعطيها الله رزقها وهي تطير ، وهناك طيور ودواب تدب على وجه الأرض، والكل يأكل من رزقه الله في

كل مكان وزمان: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾[هود/ ٦] .

كل رزق له سجل عند الله ، وكل مرزوق له سجل عند الله، وكل كلمة لها سجل عند الله ، وكل دعاء له سجل عند الله ، وكل طاعة لها سجل عند الله ، وكل معصية لها سجل عند الله ، وكل رحمة لها سجل عند الله ، وكل توبة لها سجل عند الله ، فكل شيء محفوظ : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النبأ: ٢٩].

وهو جل جلاله الغفور الغفار، المعروف بالغفران والعفو والصفح، لكمال رحمته ورأفته بخلقه: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠].

وهو الغفار الغافر الساتر لذنوب عباده جل جلاله : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء/ ١١٠] .

وهو سبحانه القاهر القهار، القاهر فوق عباده : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنعام/ ١٨] .

هو القاهر العالي، والقاهر فوق عباده، والقهار والقاهر لكل ما سواه، الذي خضعت له الرقاب كلها، وذلت له الجبابرة كلهم.

وهو القهار الذي قهر الخلائق كلها على ما أراد، نوعاً، وحجماً، ولوناً، وطعماً، وشكلاً، وحركة، وسكوناً وقوة، وضعفاً: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤].

فجميع المخلوقات مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته ، وخاضعة لأمره ، ومتصاغرة لكبريائه، وشاهدة بوحدانيته ، ومسبحة بحمده، ومسرعة إلى إرادته: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

هو القهار الذي قهر الخلائق كلها على ما أراد ، فهو القاهر وكل ما سواه مقهور:

خلق الرياح وقهرها بالجبال التي تفرقها ، وخلق الجبال وقهرها بالحديد الذي يكسرها ، وخلق الحديد وقهره بالنار التي تذيبه ، وخلق النار وقهرها بالماء الذي

يطفئها ، وخلق الماء وقهره بالرياح التي تقلب البحار بالمد والجزر.

فهو سبحانه قاهر لكل قاهر ، ومحيط بكل محيط: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

وهو الفتاح الذي يحكم بين عباده بالحق: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبأ: ٢٦].

هو الفتاح الذي يحكم بين عباده بالحق والعدل، ويفتح لهم أبواب الرحمة والرزق ، الناصر لعباده المؤمنين ، المتفرد بعلم مفاتح الغيب : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام/ ٥٩] .

فهذا الإله العظيم، والرب الكريم، والخلاق العليم، هو الذي يستحق أن يُعبد، وأن يشكر، وأن يحمد، وأن يُمتثل أمره، وأن تُجتنب معصيته ، وأن يُعبد لكمال جلاله، وجماله، وإحسانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

وهو العليم جل جلاله الذي لا يخفى عليه شيء في العالم العلوي، والعالم السفلي ، العالم بالسر والخفيات ، والظواهر والبواطن ، فكل شيء مكشوف أمام الله: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج: ٧٠].

هو العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء ، المحيط بكل شيء ، العالم بالأسرار والخفيات ، والظواهر والبواطن ، والأقوال والأفعال ، والغيب والشهادة: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

هو علام الغيوب ، يعلم الكلمة قبل أن يقولها من قالها، ويعلم ما تحت الأرض ، ويعلم ما في السماء وما في الأرض من كل شيء: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦﴾[السجدة/٦] .

ومع علمه وقدرته، وكمال أسمائه وصفاته، فهو رحمن رحيم بعباده: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر: ٢٢].

وهو المجيد الذي تمجد بأفعاله، ومجده خلقه، لعظمته وجلاله وجماله.

فهو المحمود على مجده، وعظمته، وإحسانه، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

هو محمود قبل أن نحمده، وكبير قبل أن نكبره، وعظيم قبل أن نعظمه ، وخالق قبل أن يخلقنا: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج: ١٣ – ١٦].

وهو سبحانه الرب المالك لكل شيء ، رب الأرباب، ومالك الخلائق كلها ، الذي يربي خلقه بنعمه المادية والروحية ، ويقوم بأمورهم في الدنيا والآخرة ، لا إله غيره يُعبد، ولا رب سواه يُسأل: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهو سبحانه العظيم ذو العظمة والجلال في ذاته وأسمائه وصفاته، وأفعاله، وفي مُلكه وسلطانه ، وفي أحكامه وأوامره.

هو العظيم ذو العظمة والجلال، والكبرياء والجبروت، والقوة والعزة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وهو سبحانه الواسع الذي وسعت رحمته كل شيء ، ووسع علمه كل شيء ، ووسع رزقه الخلق أجمعين ، واسع العظمة ، واسع المُلك ، واسع السلطان ، واسع

الفضل، واسع الإحسان: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [البقرة: ١١٥].

واسع الملك ، فيوم القيامة يعطي لكل مؤمن من المؤمنين مثل هذه الدنيا عشر مرات ، ولكل طاعة أو معصية نوع من النعيم أو العذاب، وكل من إزداد من الخير زادَ مُلكه، وزادت أنواع النعيم له، فلكل طاعة نوع من النعيم ، ولكل معصية نوع من العذاب ، على كل طاعة نوع من النعيم ، ولذلك الله نوع لنا الطاعات : صلاة ، صيام ، ذكر ، دعوة ، تعليم ، إحسان إلى الخلق، لكل طاعة نوع من النعيم ، ولكل معصية نوع من العذاب ، فليقل المسلم أويستكثر.

فربنا عظيم، إذا أعطى لا يعطي على قدرالسؤال، لكن يعطي على قدر شأنه وعظمته؛ ولذلك يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

مخلوق من مخلوقاته يعطي على الحبة بأمر الله سبعمائة حبة، فكيف بالقادر على كل شيء: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[البقرة/ ٢٦١] .

فالله ﷻ غني لا يحتاج إلى مَدد، ولا إلى عُدة ولا الى تجميعٌ ، يقول للشيء كن فيكون : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس/ ٨٢- ٨٣] .

هو وحده الغني، وكل ما سواه فقير إليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥].

وبحسب العمل تكون سعة القصر، وتكون سعة المُلك يوم القيامة، وسعة النعيم في الجنة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢].

وهو جل جلاله الكريم ، الذي له قدر عظيم ، كريم لأنه جميل الأسماء والصفات، وهو الكثير الخير دائمه، فضله ونعمه وإحسانه لا يُعد ولا يُحصى ، المنزه عن النقائص والآفات: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٧٨].

وهو الأكرم الذي عم الجميع بعطائه ، من مسلم أو كافر أو حيوان ، عم الجميع بعطائه لأنه الكريم الذي لا رازق غيره، ولا كريم غيره، ولا خالق غيره.

هو الكريم الذي عم الجميع بعطائه وفضله وإحسانه ، الذي العطاء أحب إليه من المنع ، والعفو أحب إليه من الانتقام: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: ٤٠].

وهو الودود جل جلاله، المحب لمن أطاعه، وأناب إليه، المثني عليه ، المُحسن إليه وإلى غيره ، الذي يتودد إلى خلقه بنعمه : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

يتودد إلى الخلق بالنعم التي تقربهم إليه، وتجعلهم يحبونه ويعبدونه جل جلاله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ [البروج: ١٣ – ١٤].

وهو جل جلاله المقيت الحافظ لكل شيء ، حافظ الحركات والسكنات، والأقوال والأفعال، والنيات والارادات، صورةً ولفظًا ، فكل شيء محفوظ لديه: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة/ ٦-٨] .

وبعد هذا يكون الحساب، ويكون الثواب والعقاب: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة: ٦ – ١١].

وهو المقيت الحافظ لكل شيء ، القائم على كل شيء، المعطي لكل رزق: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء: ٨٥].

هو القائم على كل نفس ، المعطي لأقوات الخلق كلهم ، يعطي من في البحر، ومن في البر، ومن في الجو، ومن في السماء، ومن في الأرض.

هو المعطي للأقوات كلها : غذاء القلوب منه ، وغذاء الأبدان منه ، وغذاء الإنسان منه ، وغذاء البهائم منه ، وغذاء الأسماك منه ، وغذاء الطير منه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

هو جل جلاله المقيت لكل الخلائق في الدنيا والآخرة، فكم سعة خزائنه التي يأكل منها جميع مخلوقاته ؟ يعطي منها ولا تنقص مما عنده مثقال ذرة ، ولا تنقص إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر ، ماذا يأخذ المخيط من البحر ؟ فهذا القول للتقريب ، وإلا الله لا تنقص خزائنه أبداً : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤].

الغني حقاً هو من لا ينقص مُلكه، ولا تنقص خزائنه أبدًا مع كثرة الإنفاق ، لماذا لا تنقص ؟ لأن المحدود إذا أُخذ من المحدود نقص ، مائة أخذنا منها عشرة تنقص .

لكن الله ﷻ يعطي الأرزاق، ويقيت الخلائق من فضله ونعمه ما لا يُعد ولا يُحصى ، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة، ولو نقصت لعاد فقيراً الى ما نقص، وهو منزه عن ذلك: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨].

وخزائنه من غيبه، أظهرها في هذه الخزائن.

والله يقضي القضاء في السماء، وتسليم الأرزاق في الأرض: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الذاريات/ ٢٢] .

فكم في غيب الله من الأرزاق ؟ وكم في خزائن الله من الأرزاق ؟ وكم نحن نرى من الأرزاق ؟ كم نرى من الخلائق ؟ من خلق هذه المخلوقات، ومن يسوق إليها أرزاقها ؟: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هذا الرزاق العظيم أنا أحتاج إليه، لأني فقير أحتاج إلى الرزق ، ضعيف أحتاج إلى القوة ، خائف أحتاج إلى الأمن ، مريض أحتاج إلى الشفاء ، وعاجز أحتاج إلى العون منه جل جلاله ، فلا بد أن أتصل به، وأسأله وأدعوه، ليعطيني من فضله:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠].

وهو جل جلاله الشكور الذي يضاعف الحسنات، ويجزل العطيات.

شكور : نأتي بالحسنة يعطينا عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، الى أضعاف كثيرة: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن: ١٧].

وهو الشاكر الذي يغفر الذنوب، ويمحو السيئات مهما كثرت وتنوعت:﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧].

والله تواب يحب التوابين، وشكور يحب الشاكرين، ويحب أن يغفر ذنوبهم ، والمغفرة أحب إليه من الانتقام ، فيعطي الثواب الجزيل على العمل القليل، ويعطي الكثير من النعم، ويرضى باليسير من الشكر : ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر/ ٣٤] .

وهو الحليم الذي لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم ، بل يمهلهم ليتوبوا.

هو الحليم الذي لا أحد أحلم منه، حلمه وسع كل شيء ، حتى إن الله ينعم على العاصي حتى يظن العاصي أنه أفضل العباد ! ويدر عليه النعم لعله يتوب ، لعل كل نعمة تُذكره بربه فيطيعه ويتوب إليه ، لكن الإنسان ظلوم كفار، فالنعم المتوالية تطغيه وتلهيه: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾[العلق/ ٦- ٧] .

فسبحان الحليم الذي وسع حلمه كل من عصاه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وهو جل جلاله الخبير الذي لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه ، من متحركٍ وساكن ، وناطق وصامت ، وصغير وكبير ، وظاهر وباطن، والعليم له معنى، والخبير له معنى.

فأنا أعلم أن فلانًا جاء، والله يعلم أن فلانًا جاء ، لكن لا أعلم ما في قلبه، لماذا جاء ؟ فالخبير العليم هو الذي يعلم الظواهر والبواطن جل جلاله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

وهو الحفيظ الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بكل شيء ، وأنا لا بد أن أكون حفيظًا : أحفظ سمعي وبصري ووقتي من أن يضيع سُدًى بلا فائدة ، ولا بد أن أتعرف على الطاعات التي تقربني إلى الله فأعمل بها ، وأعرف المعاصي حتى أجتنبها ، وأعرِّف الخلق بذلك .

هو الحافظ الذي حفظ أعمال العباد ، وحفظ أولياءه من الوقوع في الذنوب: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود: ٥٧].

وأنت: لا بد أن تكون حافظًا للعباد، أمرًا بالمعروف، وناهياً عن المنكر، حتى لا يقع الناس في النار.

فسبحان الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه جل جلاله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

وهو سبحانه السميع الذي يسمع جميع الأصوات من سائلٍ، وذاكرٍ، وشاكر، وعابد، وداعٍ، ومعلم، ومنادي، يسمع جميع الألسن الناطقة ، يسمع كل صوتٍ قبل أن ينطق به صاحبه.

هو السميع الذي وسع سمعه جميع الأصوات في كل وقت، في العالم العلوي، والعالم السفلي، ويعلم ما يُراد بها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال: ١٧].

هو السميع الذي يسمع جميع أصوات الخلائق في البر والبحر والجو ، يسمع جميع أصوات خلقه : فمنهم من يسأل ، ومنهم من يشكر ، ومنهم من يدعو ، ومنهم من يكبر ، ومنهم من يُثني، ومنهم من يشكو: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩].

هو السميع البصير الذي أثنى على نفسه بهاتين الصفتين العظيمتين بقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هو السميع الذي يسمع جميع الأصوات ، وسع سمعه جميع الأصوات ، لا يُشغله سمع عن سمع، مع اختلاف الألسنة واللغات والحاجات ، يستوي عنده السر والعلانية، والقريب والبعيد، والقليل والكثير: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان: ٢٨].

وهو سبحانه البصير الذي يبصر كل شيء في العالم العلوي، والعالم السفلي، من عالم الغيب، وعالم الشهادة ، العليم بحاجات وأعمال العباد ، ومن يستحق الهداية، ومن يستحق الضلالة ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، ولا يغيب عنه شيء، ولا يفوته شيء، ولا يند عنه شيء.

فسبحان من وسع سمعه وبصره كل ما في ملكه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١].

وهو سبحانه العلي الأعلى المتعال ، ذو العلو والارتفاع ، الأعلى بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله الذي كل شيء تحت قهره وسلطانه، المتعالي عن صفات النقص والعيب فهو العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وهو سبحانه الحكيم الذي يضع الأشياء في محلها بحكمته وعدله ، الحكيم في قضائه وقدره، الحكيم في أمره ونهييه، ما كلفنا ما لا نطيق ، خلقَ كلَّ شيء بيده، وأمرُ كلِّ شيء بيده : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو الحكيم في أقواله وأفعاله ، وأمره ونهيه: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٩] .

هو الحكيم في ثوابه وعقابه : كم يعطي من الأجور ؟ وكم يعاقب ؟ إذا أخذ فأخذه

أليم شديد ، وإذا أعطى أعطى عطاء الكريم جل جلاله: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠].

هو أحكم الحاكمين، والحكم الذي حكم الملك والملكوت : حكم السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وحكم الرياح أن تتجه إلى جهة إلا بإذنه وعلمه ، وحكم البحار أن تفيض على الخلق ، وحكم الجبال ، وحكم الأجساد حتى لا تزيد على ما أراد: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة: ١].

هو الحكيم الذي سلم له الحكم فلا يجور ولا يظلم أحدًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠].

وهو سبحانه الحي الذي لا يموت ، وكل ما سواه يموت ، الباقي الذي لا يجري عليه الموت ولا الفناء أبدًا : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص: ٨٨].

هو وحده الحي بجميع صفات الجلال والجمال والكمال: ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

وهو القيوم القائم بنفسه فلا يحتاج إلى أحد ، المقيم لغيره ، القائم بتدبير الخلائق كلها جل جلاله ، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، لأنه هو الرازق الخالق الذي يدبر أمر هذا المُلك والملكوت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وهو سبحانه الواحد الأحد الذي توحد بجميع الكمالات ، لا يشاركه فيها أحد : لا في ذاته ، ولا أسمائه ، ولا صفاته ، ولا أفعاله .

هو الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، القادر على كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

وهو الحاسب الحسيب ، الكافي لعباده ، الذي لا غنًى لهم عنه أبدًا ، الذي يحاسب عباده، الذي أحصى كل عمل، وسوف يحاسب صاحبه عليه: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وهو سبحانه الشهيد المطلع على جميع الأشياء ، الذي أحاط علمه بكل شيء ، والذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه ، وسوف يشهد على كل إنسان بما عمل: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [المجادلة: ٦].

وهو القوي التام القوة ، الذي لا يغلبه غالب ، ولا يفوته هارب.

القوي الذي قهر كل قوي، وأحاط بكل قوي: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [هود: ٦٦].

هو سبحانه المتين القوي الذي لا تنقطع قوته ، المتين الذي له القوة المطلقة التي لا نهاية لها : قوته لا بداية لها ولا نهاية ، علمه لا بداية له ولا نهاية ، حياته لا بداية لها ولا نهاية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وهو سبحانه الولي ، مالك التدبير في ملكه العظيم: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى: ٢٨].

المولى المحب الناصر المعين لعباده المؤمنين: ﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨].

وهو سبحانه الحميد الذي استحق الحمد ، المحمود على عظمة أسمائه وصفاته، وأفعاله وأقواله ، المحمود على إحسانه وشرعه وقدره ، المحمود على ثوابه وعقابه.

الحميد الذي يشكر لعباده كل ذرة من خير: ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان: ٢٦].

وهو سبحانه الصمد الذي بلغ الكمال في سؤدده وعظمته وجوده ، الذي يُصمد إليه في قضاء الحوائج وحده لا شريك له ، لأنه قاضي الحاجات وحده لا شريك له: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

وهو سبحانه القدير القادر المقتدر كامل القدرة ، القادر الذي لا يُعجزه شيء ، ولا يفوته شيء ، الذي له القدرة التامة الدائمة الشاملة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك: ١].

القدير الذي خلق القدرة في كل قادر وخلق القوة في كل قوي: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠].

وهو سبحانه الوكيل القائم بأمر الخلائق كلها في العالم العلوي، والعالم السفلي : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢] .

وهو الكفيل المحيط الحفيظ لكل شيء، القائم على كل نفس ، المتكفل بأرزاق الخلائق، ورعاية مصالحهم، الكفيل الذي يُمد جميع خلقه بالأقوات: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ٩١﴾ [النحل: ٩١].

وهو سبحانه الحق الذي لا شك ولا ريب في وجوده ، الذي لا يخفى على خلقه، الظاهر لكل أحد: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ٦٢﴾ [الحج: ٦٢].

وهو سبحانه المبين الذي كل شيء يدل عليه، وهو المبين الظاهر للبصائر ، الذي أوضح لخلقه سبل النجاة في الدنيا والآخرة ، ومن قوة ظهوره وبيانه جل جلاله أن الأبصار لا تراه ، لا يمكن أن تراه من قوة ظهوره ، لكنه ظاهر للبصائر أعظم ظهور.

فسبحان المبين الذي أوضح لخلقه سبل النجاة في الدنيا والآخرة بما أنزله من شرعه.

وهو النور الذي أنار السماوات والأرض ، ونور قلوب المؤمنين بمعرفته، والإيمان به: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور: ٣٥].

وهو جل جلاله ذو الجلال والإكرام الذي يستحق أن يُهاب ويثنى عليها وحده ، ذو العظمة والكبرياء، وذو الرحمة والإحسان: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾ [الرحمن: ٧٨].

وهو سبحانه البر الرحيم بعباده ، العطوف عليهم ، المحسن إليهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ [الطور: ٢٨].

وهو جل جلاله التواب الذي يتوب على التائبين ، ويغفر ذنوب المذنبين ، خلق التوبة، وقبلها من عباده: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾ [التوبة: ١٠٤].

هو التواب الذي يتوب على عباده مع عظمة ذنوبهم، وكثرة سيئاتهم: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة: ٣٩].

وهو العفو الذي وسع عفوه ما يصدر من ذنوب عباده ، لاسيما مع التوبة والاستغفار: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾ [النساء: ١٤٩].

وهو جل جلاله الرءوف ذو الرأفة والرحمة واللطف بخلقه كلهم، الذي يتودد إلى خلقه بأنواع النعم، ليحبوه ويعبدوه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد: ٣].

وهو سبحانه الوارث الباقي بعد فناء خلقه ، وإليه المرجع في كل شيء، ومصير كل شيء إليه ، الحي الذي لا يموت: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ٢٣﴾ [الحجر: ٢٣].

وهو سبحانه المحيط الذي أحاط بكل محيط ، الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه جل جلاله ، فلا يقدرون على فوته أو الفرار منه ، أحاط بكل شيء علمًا، وأحاط بالعرش والكرسي، والسموات والأرض، وأحصى كل شيء عددًا ، أحصى الكلمات والحروف، والحركات والسكنات، وكافة المخلوقات: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ [النساء: ١٢٦].

وهو سبحانه القريب من كل أحد ، والقريب من الداعي، الذي يسمع كل صوت، ويرى كل مخلوق،﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١].

هو القريب جل جلاله من كل من سأله ودعاه، والمتقرب إليه بأنواع القرب والإحسان: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وهو سبحانه الهادي الذي هدى سائر الخلق إلى مصالحهم ، الهادي عباده إلى كل خير ، المبين لهم طريق الحق من الباطل: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج: ٥٤].

هو بديع السموات والأرض، الذي لا مثيل له ولا شبيه ، الذي فطر المخلوقات كلها على غير مثال سابق: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة: ١١٧].

مخلوقاته من عالم النبات أكثر من أربعين مليون صنف ، ومخلوقاته من عالم الحيوان أكثر من مليون نوع، ومخلوقاته في البحار أكثر من مليون مخلوق، ومخلوقاته في السماء لا يعلمها إلا الله ﷻ.

هو البديع الذي أبدع خلق كل شيء: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وهو جل جلاله فاطر السموات والارض الذي خلق جميع المخلوقات، وفطر السماوات والأرض، وقد كانتا عدمًا ، كان الله، ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق هذه الخلائق: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

﴿ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ١ ﴾
[فاطر: ١].

وهو سبحانه الكافي الذي كفى عباده جميع ما يحتاجون إليه، ويضطرون إليه: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[الزمر: ٣٦].

وهو القاهر الغالب أبدًا ، الغالب لكل غالب ، لا يملك أحد أن يرد ما قضى، أو يمنع ما أمضى ، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه جل جلاله: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨ ﴾ [الأنعام: ١٨].

وهو جل جلاله الناصر النصير الذي ينصر رسله وأتباعهم على أعدائهم ، بيده النصر وحده لا شريك له: ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ [الحج: ٧٨].

وهو المستعان الذي لا يَطلب العون ؛ بل يُطلب منه العون ، يسأله أولياؤه وأعداؤه ، ويمد هؤلاء وهؤلاء ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم: ﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢ ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

وهو ذو المعارج جل جلاله الذي تعرج إليه الملائكة والروح ، وتصعد إليه الأعمال والأقوال الصالحة والطيبة .

وهو ذو الطَّول الذي بسط الفضل والنعم والمنن على خلقه في كل زمان ومكان .

وهو ذو الفضل الذي يملك كل شيء ، ويتفضل على عباده بكل شيء ، ويكرمهم بأنواع النعم التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ٣ ﴾ [غافر: ٣].

وهو سبحانه الرفيق الذي يحب الرفق وأهله، رؤوف بالعباد، رحيم بهم ، لطيف بهم .

وهو سبحانه الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، الذي خلق الجمال في كل جميل ، فالله ﷻ جميل يحب الجمال ، وأعظم الجمال أن أتجمل لله بالتوحيد والإيمان والطاعات، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة.

وهو جل جلاله الطيب المنزه عن النقائص والعيوب والآفات ، الطيب الذي خلق

الطيب في كل طيب، الطيب الذي لا يقبل من الأقوال والأعمال والأخلاق إلا ما كان طيباً: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[فاطر: ١٠].

وهو سبحانه الشافي لكل آفة وعاهة ومرض وحده لا شريك له ، وخزائن الشفاء عند واحد لا شريك له ، فالأدوية والعلاجات أسباب نفعلها امتثالًا لأمر ربنا ، لكن لا نتوكل إلا على الشافي الذي عنده خزائن الشفاء وحده لا شريك له.

ونحن أُمرنا بتناول الدواء، وطلب الشفاء، وفعل الأسباب ، لكن الشافي واحد لا شريك له ، خزائن الشفاء عنده ، وهذه أسباب نفعلها بجوراحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا، فهو الشافي لكل آفة وعاهة ومرض وحده لا شريك له ، هو الشافي الذي خلق الشفاء في كل دواء: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾ [الشعراء: ٨٠].

وهو سبحانه السبوح المنزه عن كل عيب ونقص ، الذي تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ، ويسبح بحمده كل شيء ؛ لما له من الأسماء الحُسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤﴾[الإسراء/ ٤٤].

وهو الوتر الواحد الأحد الذي لاشريك له ولامثيل ولانظير ولا شبيه، وتر يحب الوتر من الأعمال والطاعات: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

وهو سبحانه المقدم والمؤخر ؛ يقدم من يشاء، ويؤخر من يشاء ، ويرفع من يشاء، ويضع من يشاء ، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء.

وهو سبحانه المنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال ، كثير العطاء، المنان الذي يمن على عباده بأنواع الإحسان والإنعام والأرزاق والعطايا على مر الدهور .

وهو جل جلاله القابض الذي يطوي بره ومعروفه عما يريد ؛ لكمال علمه وحكمته ورحمته، وحسن تربيته: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٣٠﴾ [الإسراء: ٣٠].

وهو سبحانه الباسط الذي ينشر فضله، ويوسِّع رزقه، على من شاء من عباده ، وهو الحكيم الذي ما قبض إلا ليبسط ، ولا أذل إلا ليعز ، وما منع إلا ليعطي، ولا ابتلى إلا ليعافي: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهو سبحانه الحيي الستير الذي يحب أهل الحياء والستر من عباده ، ويستر على عباده الكثير من الذنوب والعيوب ، ويستحيي أن يرد من دعاه من خلقه.

كم ستر الله من الذنوب والمعائب التي لو كانت لها رائحة ما جلسنا مع بعض ، ولو كانت محسوسة لما استطعنا أن نجتمع مع بعض ، ولكنه سِتير يستر الذنوب ويعفو، ويغفرها لمن شاء من عباده: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ويستحيي من عباده أن يرد من دعاه ؛ لأنه هو الكريم: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وهو سبحانه المعطي الذي كل نعمة وعطاء وخير منه، ويعطي على العمل القليل الأجر العظيم، كم يعطي الله على الحسنة الواحدة ؟، يعطي عشر حسنات، الى سبعمائة ضعف، الى أضعاف كثيرة، كم يعطي عبده على مثقال ذرة من الإيمان ؟ يعطي مثل هذه الدنيا عشر مرات ، كل مؤمن يدخل الجنة له أقل شيء مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا عشر مرات، وللأنبياء بعدد من آمن بهم ، ولكل مسلم بعدد من اهتدى بسببه، ولمن آمن بالنبي ﷺ من الجنات صورة طبق الأصل من كل جنة: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤].

فالله ﷻ واسع عليم كريم لا يُعجزه شيء ، فكم تكون جنات النبي ﷺ ؟ ما دام له من الجنات بعدد من آمن به ؟ وكم للمسلم من الجنات؟، بقدر ما ندعو إلى الله ، كم الله ﷻ يوسع جناتنا ، ويرفع درجاتنا، وينوع النعيم لنا بقدر ما نضحي من أجل دينه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[البروج: ١١].

وهو سبحانه المحسن إلى عباده بأنواع الإحسان والإكرام، المحسن الذي أحسن كل شيء خلقه.

فهذه إشارة الى أعظم أسماء الله الحسنى، وعددها مائة وأربعة أسماء تقريباً.

فإذا جاء في قلب العبد معاني هذه الأسماء والصفات، عظم ربه وكبره، وأحبه وحمده وشكره، وخافه ورجاه، وعبده كأنه يراه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

وسيأتينا إن شاء الله شرح هذه الأسماء الحُسنى، والصفات العلى، مفصلة بالأدلة من القرآن والسنة، لنعرفها، ونحصيها، ونفهم أسرار معانيها، وكيف نعبد الله ﷻ بمقتضاها، ونتزين بالايمان والصدق والاخلاص، وحب الله، والتعظيم له، وإخلاص العبادة له: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠].

فهذا القلب يحتاج إلى هذا الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله.

إذا امتلأ القلب بالإيمان أحب ربه وكبره، وخافه ورجاه، وأقبل على طاعة مولاه، واجتنب ما يسخطه، وسارع الى ما يرضيه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

وذلك يثمر توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بدينه وشرعه، وتوحيده بعبادته وحده لا شريك له: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥].

وهذا التوحيد نحتاجه في كل لحظة ، هذا التوحيد لا يفارق المؤمن ، كالدم لا

يفارق العروق ، يذهب من القلب ويعود إلى القلب ، ويسري فى سائر البدن. ما دام حياً.

فالتوحيد والإيمان والتقوى محلها القلب ، وهي تسري فى أعضاء البدن، وتسير مع الدم إلى كل عضو ، لا بد لكل عضو ولكل جارحة أن يدخلها التوحيد، وأن يدخلها الإيمان، وأن تدخلها التقوى، حتى لا تعصي الله ، وحتى تكون مستسلمة لربها في كل حال: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

- والقرآن العظيم كله في بيان أربعة أمور:

بيان توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته.. وبيان أحوال الرسل مع أممهم.. وبيان أحكام الشريعة.. وبيان أحوال اليوم الآخر.

وأعظم ما بين الله في القرآن أصول ودلائل التوحيد والايمان، فعرف نفسه لعباده ليوحدوه ويحبوه ويكبروه ، ويعبدوه: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

ودلائل التوحيد كثيرة لا تحصى، دلائل التوحيد الله ﷻ نشرها في الكون، وبسطها ووضحها في القرآن ، كل سورة في القرآن ؛ بل كل آية في القرآن ، وكل ذرة في الكون، دالة على وحدانية الله ، وشاهدة بعظمته وجلاله ، مبينة كمال أسمائه وصفاته ، ناطقة بعظيم كرمه وإحسانه ، مقررة كمال رحمته بعباده ، شاهدة بعظمة مُلكه وسلطانه ، وحُسن أحكامه وأوامره: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

كل الخلائق شاهدة بوحدانية الله ، العرش والكرسي، والسماوات والأرض، وما فيها من المخلوقات الكثيرة، والآيات العظيمة، والخلق والأمر، والتدبير والتصريف ؛ كل ذلك شاهد بالوحدانية لله ﷻ ، وشاهد له بالأسماء الحُسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى.

وكلها تدل على عظمة الله وكبريائه، وعلى جلاله وجماله، وعلى كمال علمه وقدرته، وعلى عظمة ملكه وسلطانه ، وكلها تدل على كمال رحمته، وسعة حلمه، وعظيم كرمه جل جلاله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق: ٦-٨].

فلا بد لنا من التعرف على دلائل التوحيد ، ودلائل التوحيد تراها الأبصار والبصائر والعقول ، مبسوطة في الآيات الكونية، والآيات القرآنية.

ودلائل التوحيد لا نهاية لها ، ويستحيل على الأبصار والعقول الاحاطة بها، لكن لا بد أن نتعرف على أصولها ، حتى ندخل من هذه الأبواب إلى جنة المعرفة، من معرفة ربنا بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، ومعرفة عظمة ثوابه وعقابه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد: ١٩].

- **ودلائل التوحيد من كتاب الواحد الأحد جل جلاله تنقسم إلى سبعة أقسام :**

دلائل الخلق.. دلائل التدبير.. دلائل الجلال.. دلائل الجمال.. دلائل الإنعام.. دلائل النظر والتفكر.. دلائل القرآن والشرع .

كل القرآن يدور حول هذه الأمور السبعة، فلا بد أن نقرأ القرآن قراءة إيمان وتدبر، لنعرف الإله الذي نعبد، والرب الذي نحب، والملك الذي يستحق أن يطاع، والكريم الذي يستحق أن يشكر، والملك الذي يستحق أن يُعبد.

- وهذه أصول دلائل التوحيد والإيمان بالله ﷻ.

الأول: دلائل الخلق والإيجاد: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

الثاني: دلائل التدبير والتصريف في الكون : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة/ ١٦٤] .

الثالث: دلائل صفات جلال الرب : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

الرابع: دلائل صفات جمال الرب: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤] .

الخامس: دلائل الإنعام والإحسان : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠] .

ويقول الله ﷻ : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣] .

السادس: دلائل النظر والتفكر التي تقوي الإيمان في القلب : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ

﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران/ ١٩٠- ١٩١] .

وقال ﷻ: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥﴾ [الأعراف/ ١٨٥] .

وقال ﷻ: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ [ق/ ٦-٨] .

السابع: دلائل القرآن والشرع: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩﴾ [الإسراء/ ٨٨- ٨٩] .

ويقول ﷻ : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء/ ٨٢] .

ويقول ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر/ ٢٣] .

فهذه اصول دلائل التوحيد والايمان على وجه الاجمال، والتفصيل والبيان في كتاب الله ﷻ: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

ولا بد لنا من معرفتها حتى نصل إلى حقيقة التوحيد ، ونعبد الله حقًّا كلما عرفناه حقًّا.

فمعرفة دلائل التوحيد تقوي الإيمان في القلب ، وتدفع الإنسان لطاعة مولاه، وتعظيمه وتكبيره، وحبه وحمده، وطاعته وحسن عبادته: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

فأول علم، وأوجب علم، وأحسن علم، هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله،

لأنه يثمر للعبد أعظم الثمرات، من توحيد الله والايمان به، ومن تعظيم الله وتكبره، ومن خوف الله ورجائه، ومن حمده وشكره، ومن حبه والأنس به، ومن خشيته وتقواه، ومن طاعته وحسن عبادته: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾

[الطلاق: ١٢].

والله عظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، والكلام عن العظيم لابد أن يكون عظيماً، والحديث عن الكبير لابد أن يكون كبيراً، والتعريف بالواسع لابد أن يكون واسعاً، والكلام عن المحيط لابد أن يكون محيطاً، لأن المقصود من الدين معرفة الرب العظيم، ثم عبادته بموجب تلك المعرفة، بالتعظيم الكامل لله ﷻ، والذل الكامل له، والحب الكامل له.

وهذا الذي كتبناه عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له، جهد المقل، ولعل الله أن يسخر من عباده من يبين البيان المبين عن ربنا العظيم، ويغذي القلوب بما يسرها ويسعدها الى يوم الدين.

هذا أوان البدء في شرح أسماء الله الحسنى على وجه التفصيل، نسأل الله العون والتوفيق والسداد، والإخلاص في القول والعمل، وحسن القبول من الرب الكريم.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

الباب الثاني

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

١ – ٢ – اسم الله.. الإله.

التعبد لله عز وجل باسمه الله.. الإله.

٣– اسم الله الرب.

التعبد لله عز وجل باسمه الرب.

٤ –٥ – اسم الله الرحمن.. الرحيم.

التعبد لله عز وجل باسمه الرحمن.. الرحيم

٦ –٧– اسم الله الملك.. المليك.

التعبد لله عز وجل باسمه الملك.. المليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســــم

الله .. الإله

الله .. الإله

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في كل شيء: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾ [طه: ٨].

وأول وأعظم هذه الأسماء الحسنى هو اسم الله الذي ورد في القرآن أكثر من ألفي مرة.

فهذا هو الاسم الأعظم لله ﷻ .

- **وأصول أسماء الله الحسنى ثلاثة هي :**

الله.. الرب.. الرحمن .

وبقية أسماء الله الحسنى تدور عليها، وترجع إلى هذه الثلاثة .

فاسم الله ﷻ متضمن لصفات الإلوهية، واسم الرب متضمن لصفات الربوبية ، واسم الرحمن متضمن لصفات البر والإحسان.

وقد جمع الله ﷻ هذه الأسماء الثلاثة في أعظم سورة في القرآن وهي الفاتحة فقال ﷻ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ ﴾ [الفاتحة/ ١-٣] .

فهذه الأسماء الثلاثة هي أصول أسماء الله الحسنى ، واسم الله ﷻ أصلٌ لجميع أسماء الله الحسنى ، وسائر الأسماء مضافةٌ إليه ، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾ [الحشر: ٢٣ - ٢٤].

فاسم الله ﷻ مستلزم لجميع معاني أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، ولهذا كان أكثر الأسماء ورودًا في القرآن ، فقد ورد في القرآن أكثر من ألفي ومائتي مرة ، وأضيفت الأسماء الحسنى كلها إليه، واقترنت به ، فعامة الأدعية والأذكار مضافة إليه كسبحان

الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله وأمثالها.

والله ﷻ بيَّن أسماءه وصفاته في كتابه حتى نعبده بمقتضاها ، فالله هو الاسم الأعظم للرب جل جلاله، وجميع الأسماء الحسنى تعود إليه ، وجميع القلوب مفطورة على التوجه والافتقار إليه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

واسم الله علمٌ على الذات ، وعلمٌ على أسماء الله وصفاته ، علمٌ على الملك ، وعلمٌ على الخالق ، وعلمٌ على الرب ، وعلمٌ على العزيز ، وعلمٌ على الرحمن ، وعلمٌ على الرزاق : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣] .

والله ﷻ هو الإله العظيم الذي لا أعظم منه ، حارت في عظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله الألباب والعقول ، لكمال عظمته، وعظمة ملكه وسلطانه ، فالملك ملكه والخلق كله له والأمر كله له، والأمور كلها راجعةٌ إليه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

هو الله الذي بيده الملك كله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١] .

فسبحان الله لا نهاية لعظمته، ولا نهاية لكبريائه، ولا نهاية لجلاله، ولا نهاية لجماله، ولا نهاية لقوته، ولا نهاية لعلمه، ولانهاية لرحمته، ولا نهاية لملكه، ولا نهاية لكرمه.

فلا يعطي ولا يمنع إلا الله وحده لا شريك له ، ولا يعز ولا يذل إلا الله وحده لا شريك له ، ولا يحيي ولا يميت إلا الله وحده لا شريك له، ولا ينصر ولا يخذل إلا الله وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

والله ﷻ هو الإله المحبوب، المطاع المعبود الحق الحي القيوم الذي تألهه القلوب ، وتحبه، وتفزع إليه، لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا والأفعال الجميلة:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨] .

سبحانه هو الإله العظيم، ذو الإلوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، الذي له من الأسماء الحسنى، والصفات العلا، ما يستحق به أن يؤله ويحب ويعبد لأجلها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦﴾ [الزمر: ٦].

هو الإله العظيم الذي يألهه أهل السماء، وأهل الأرض : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٤﴾ [الزخرف/ ٨٤] .

وعباد الرحمن يألهونه ويعبدونه بحسب معرفتهم به : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩] .

الخلق كلهم عبيد لله، ولكن عباد الله ﷻ مصطفون منهم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣].

الناس كلهم عبيد خاضعون لله بقهر الربوبية : ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم/ ٩٣] .

فكل الخلائق من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في الكون كلهم عبيد مماليك لله ، كانوا معدومين فأوجدهم الله، وفقراء فأغناهم الله، وعراة فكساهم الله ، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده لا بأيديهم ، والخلق والأمر والملك بيده لا بأيديهم: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك: ١].

لابد من معرفة هذا الإله العظيم، والرب الكريم، والملك القدير، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة: ٩٨].

إن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أشرف العلوم على الإطلاق ، فمعرفة ربنا بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل علوم الدين، وأزكاها، وأحسنها، وأعظمها، وعبادة الله بموجبها أحسن الأعمال، وحمده وتمجيده، وتكبيره وتعظيمه، والثناء عليه بها، أشرف الأقوال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فعبادة الله، والدعوة إليه، أحسن الأقوال والأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله، وينال

أعظم الثواب حال القدوم عليه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت/ ٣٣].

دعا إلى الله، ليُعرف الناس بالله وأسمائه وصفاته، وعظمة ملكه، ودينه، وشرعه، وعظمة وعده ووعيده.

بموجب هذه المعرفة، معرفة الإله المحبوب، معرفة الإله العظيم، يأتي العمل الصالح.

وكلما زاد العلم بالله زاد التواضع له، فالمسلم كلما عرف الله بأسمائه وصفاته إزداد تواضعًا لربه، وخشيةً له، وانكسارًا بين يديه ، فهو يقول : إنني من المسلمين لست أول المسلمين، لست أحسن المسلمين، ولا أفقه المسلمين، ولا إمام المسلمين، ولا أعلم المسلمين وإنما هو من عامة المسلمين .

وهذه المعرفة من أعظم ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ لأن الله أرسلهم إلى خلقه بثلاثة أمور :

الأول: تعريف الخلق بالله :

بأسمائه.. وصفاته.. وأفعاله، ليعبدوه وحده لا شريك له، ويجتنبوا عبادة ما سواه .

الثاني: تعريفهم بالطريق الموصل إليه وهو عبادته وحده بالدين الذي شرعه.

الثالث: تعريفهم بما لهم بعد القدوم عليه في دار كرامته من النعيم الذي أجله وأعظمه رؤية الله ﷻ، ورضاه عن الأمة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل/ ٣٦] .

لابد من السير في الأرض بالقدم، ولابد من السير بالبصر والفكر والبصيرة في الملك والملكوت، لنرى الله يفعل ما يشاء، ونرى عظمته، ونرى عظمة ملكه وسلطانه : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق: ٦ – ٨].

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٖ لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٞ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٞ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦ ﴾ [الحج: ٤٦].

فلابد من النظر في الآيات الكونية المشاهدة، والنظر في الآيات الشرعية المتلوة في القرآن الكريم وبهذا وهذا يأتي الإيمان في القلب ويزيد، وإذا جاء الإيمان جاءت محبة الله، وجاء تعظيم الله، ثم تحرك القلب بالصفات التي يحبها الله، وأمر الجوارح بالطاعة، أمر اللسان بالكلام عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأمر اللسان بالذكر والدعاء، والدعوة والتعليم، والتسبيح والتقديس ، وأمر الجوارح بالصلاة والصيام والزكاة والحج، وغير ذلك من الأعمال الصالحة .

وكلما كانت معرفة العبد بربه أعظم، كانت محبته لله وخشيته وعبادته له أتم وأكمل ؛ لأن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تملأ القلب بالإيمان ، وتقوي محبة الله وتعظيمه في القلب، وتثمر أنواع العبادة، وعظيم الأجر والثواب : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٩ ﴾ [الزمر/ ٩] .

ولهذا كان الكلام عن العظيم عظيم، والكلام عن الكبير كبير، ولهذا نحن نتكلم في هذا الموضوع ونحن نستغفر الله ﷻ استغفارًا كثيرًا ؛ لأننا ما قدرناه حق قدره، ولا عرفناه حق معرفته ؛ لكنه أذن لنا بأن نتكلم عنه، وأن ندعو إليه، بحسب قدرتنا: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعٗا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ﴾ [الحج/ ٧٤] .

وحياة الإنسان بلا ريب بحياة قلبه وروحه لا بحياة بدنه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره جل جلاله ، ومحبته وتوحيده ، وعبادته وحده لا شريك له ، وذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤] .
﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنعام: ٧١].
فألذ شيء في هذه الحياة هو معرفة الله بأسمائه وصفاته، وأفعاله، وهذه أعظم جنة موجودة في الدنيا ، ومن لم يدخل هذه الجنة، فلن يدخل الجنة يوم القيامة ، فمن دخل جنة المعرفة في الدنيا، أدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة، ومن لم يدخل جنة المعرفة بالله في الدنيا لم يدخل جنة الآخرة.
ومفتاح جنة الدنيا: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].
وقد خلق الله في كل إنسان ثلاث أواني :
جسدٍ مادي.. وروحٌ ملكي . . ونفسٌ حيواني .
وهذا الجسد علبة، وهذه العلبة فيها روحٌ ملكي، ونفسٌ حيواني ، وهذه الروح تحب ذكر الله، والكلام عن الله، والثناء على الله ﷻ، والعمل بشرع الله ، والنفس تحب الشهوات من المطعومات، والمشروبات، والملبوسات، والمركوبات، والمنكوحات .
فأعظم شيء، وأحلى شيء، وأحسن شيء في الدنيا معرفة الله ﷻ، ولا يليق بالعاقل أن يخرج من الدنيا وما ذاق أطيب ما فيها ؛ بل عاش فيها عيشة البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس ، وغادر الدنيا وهو محرومٌ من أحسن ما فيها، وقدم على ربه غارقاً في معاصيه.
هذا الإنسان الذي عاش في الدنيا، وعرف كل شيء إلا الله، هذا ما عرف شيئًا ؛ لأنه عرف المخلوق ولم يعرف الخالق ، فأعظم المعارف معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وإذا عرفت ربي بأسمائه وصفاته أحببته وإذا أحببته أطعته وعبدته وعظمته ، فلابد للعاقل أن يدخل جنة المعرفة ، هذه الجنة هي معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].
ومن لم يعرف الله بأسمائه وصفاته، ولم يعبده بمقتضاها فهو أعظم الخاسرين : ﴿قُلۡ

﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾

[الكهف/١٠٣-١٠٥] .

معرفة الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الجميلة أجل المعارف على الإطلاق، وأكبر العطايا من الله لعبده ؛ لأنها روح التوحيد، ولب الإيمان، وزبدة اليقين، وبها يصل العبد الى مقام الإحسان: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩] .

استغفر الله من هذا التقصير في المعرفة ، ومن التقصير في امتثال الأوامر ، ومن التقصير في تعظيم العظيم، وعدم إجلال الكبير، والجرأة على معاصيه، وعدم المسارعة إلى طاعته : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩] .

فهذه معارف عظيمة وهذه جنة عظيمة من أعظم الجنات في هذه الدنيا، وليس في الدنيا إلا هذه الجنة ، وهذه الجنة هي معرفة الله، ومعرفة دينه وشرعه، والعمل بموجب هذه المعرفة، ومن فتح الله ﷻ له هذا الباب، انفتحت له أبواب الدين كلها، نيةً، وأقوالًا، وأعمالًا، وأخلاقًا، وأجوراً، ودرجات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

من عرف الله، وعرف عظمته، وعرف كبريائه، وعرف أسماءه وصفاته، فتحت له أبواب الدين كلها ، باب التوحيد الخالص ، وباب الإيمان الكامل، وباب الإحسان، وأبواب العمل الصالح، وأبواب الخلق الحسن ، وأبواب الأجر العظيم: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد/ ٢١] .

والطريق الوحيد إلى هذه المعرفة هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، واستحضار معانيها، وتحقيقها في القلوب، حتى تتأثر القلوب بمعانيها، وتتصف بصفاتها .

- **وهذا القلب إناء لابد من ملئه ، ففي الإنسان ثلاث أواني :**

آنية المطعومات . . وآنية المعلومات . . وآنية الإيمانيات .

آنية المطعومات هي المعدة التي تستقبل الطعام والشراب .

وآنية المعلومات هي العقل الذي يستقبل المعلومات أيًا كان نوعها من معلومات زراعية وهندسية وطبية وغيرها، ومعلومات دينية كمعرفة أحكام وكيفيات العبادات من صلاة وزكاة وحج ونحوها، وهي محل النظر والتدبر.

وآنية الإيمانيات هي القلوب، محل نظر الله ، الله اختارها، ونظر إليها؛ لأنها محل الإيمان والتوحيد والتقوى، والحب والتعظيم لله ﷻ .

- **وقد أكرم الله كل إنسان بنورين تصلح بهما أمور دينه ودنياه:**

الأول: نورٌ يبصر ويعرف به الأشياء، ويميز به بين المخلوقات، وهذا النور لابد له من نورين، حتى أرى الجبل والشجر والحجر والمباني والسيارات ، والأشخاص لابد من النور في العين، ولابد من نور الشمس أو القمر أو السراج، فيميز الإنسان بهذا النور بين الأحجام والألوان والأشكال، ويعرف الأشياء، ولكن بهذا النور لا نستطيع أن نميز بين الحق والباطل، والخير والشر؛ ولا نستطيع أن نميز بين ما ينفعنا وما يضرنا .

الثاني: فالله ﷻ أكرم هذا الإنسان بنورين آخرين هما نور الإيمان ، ونورٌ أنزله من السماء وهو القرآن.

لابد لمعرفة الحق وعبادته بموجب أسمائه وصفاته من نورين :

الأول: نورٌ داخلي وهو نور الإيمان، وهذا النور نتحصل عليه بأمرين :

بالنظر في الآيات الكونية . . والنظر في الآيات القرآنية .

الثاني: نور القرآن الذي انزله الله هدايةً لعباده، ونور الإيمان في القلب يستقبل نور القرآن الذي انزله الله، فيعظم ربه وكتابه ودينه، ويمتثل الأوامر التي في القرآن، ومن جمع الله له هذين النورين ابصر الحق من الباطل ،وسعد في الدنيا والآخره: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

[النور: ٣٥].

ونور الإيمان لا بد ان يسبق نور القرآن ، فمن آمن بالله العظيم ،آمن بكتابه العظيم، وامتثل أوامر الحكيم : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩].

لابد أن اعرف المعبود قبل العبادة، واعرف الآمر قبل الأمر، لابد أن أعرف ربي الذي أتوجه إليه بالعبادة تعظيمًا وذلًا ومحبة ، لابد أن أعرفه وأوحده بأسمائه وصفاته وأفعاله.

هذا النور للحصول عليه لابد من الجهد والمجاهدة، عبادة ودعوة وإحساناً إلى الخلق: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت/ ٦٩] .

وبهذا الجهد العظيم يأتي نور الإيمان في القلب، فإذا جاء هذا النور استقبل الوحي الإلهي، وعمل بأوامره وتأدب بآدابه، وأحل حلاله، وحرم حرامه ، وتخلق بالأخلاق الموجودة فيه ، فنحن نسعى لهذا الأمر أن يأتي نور الإيمان في القلب، ليستقبل الوحي الشرعي من الكتاب والسنة بالمحبة والذل والتعظيم لله ﷻ، فتأتي الطاعة الاختيارية بالمحبة والذل والتعظيم لله ﷻ: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

لابد أن يكون لي حظ من كل اسم من أسماء الله الحسنى ، فاسم الله هو الله المألوه المحبوب لعظمته ولإحسانه ، فلابد أن أكون أمام الناس متصفاً بالأخلاق العالية حتى الناس يحبون الله، ويحبون الإسلام من خلال تصرفاتي ، من خلال صفاتي ، من خلال أعمالي ، من خلال أقوالي ، وأتصف بهذه الصفات، وأجعل الناس يحبون الدين من خلال ما أتصف به من الأسماء الحسنى، والصفات العلا التي يحبها الله، والتي أمرنا الله بها، فالله مؤمن يحب المؤمنين، محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، تواب يحب التوابين، يحب المتقين، يحب الصابرين.

فإذا امتلأ القلب بهذه المعارف جاهد في حب الله وتعظيمه والذل له وإحسان عبادته، ثم انقادت الجوارح مع القلب في فعل كل طاعة لله، وترك كل معصية، ولزم الاستغفار في كل وقت... وهكذا: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩] .

فكيف أعرف الله؟، وكيف أعلم أنه لا إله إلا الله؟، وكيف يمتلئ قلبي بالتوحيد والأيمان؟.

لابد من النظر والتفكر ، لابد من النظر في الآيات الكونية ، لابد من النظر في الآيات الشرعية : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد/ ١٩] .

أول أمر لابد أن أعرف الإله العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله.

وكيف أعرف ربي جل جلاله ؟ .

أنظر في كونه وكتابه ، وأنظر ماذا قال الله عنه ، وكيف أن الله بيّن أسماءه وصفاته وأفعاله الجميلة في هذه الكون العظيم عن طريق الآيات المشاهدة، والآيات المتلوة ، أنظر في كتاب ربي، ولا يعلم الله على ما يليق بجلاله إلا الله ، ثم أقرب الخلق إليه من الملائكة والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، ثم المؤمن بقدر ما يعرف عن الله يعظم الله، ويحب الله، ويؤمن بالله، ويعبد الله، ويدعوا إلى الله: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

ولهذا الأنبياء لكمال معرفتهم بالله ﷻ يعبدون الله؛ لأنه أهلٌ أن يحمد، وأهلٌ أن يعبد، وأهلٌ أن يكبر، وأهل أن يوحد، وأهل أن يسأل، فهم يؤدون العبادة بالحب والتعظيم والذل لله، وشهواتهم ورغباتهم كلها دينية، في رضوان الله، ومحبة الله، وقصور الجنة، وما في الجنة من النعيم المقيم ، ليست شهواتهم دنيوية: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

لابد أن نعرف الله ، والله ﷻ عرف بنفسه في القرآن حتى يؤله ويعبد ويحب ، ولا يُتعلق إلا به ، ولا يلتفت القلب لأحد سواه.

فكتاب الله ﷻ أعظم كتاب بيّن كيف نعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم نعبده بموجبها: ﴿ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ

وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦].

أولًا : نعرف المعبود، وما يجب له من العبودية ، وما يجب له من الطاعة ، وما يجب له من تحقيق التوحيد جل جلاله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الله يعلم نفسه، ويعلم أسماءه وصفاته، لكن الله ﷻ من رحمته بنا أن خلقنا وهدانا ودلنا عليه بالشواهد والدلائل الكثيرة التي تدلنا عليه ، ومن تلك الشواهد التي تدلنا عليه هذه الآيات الكونية المنثورة في الكون ، وآيات ربنا المنزلة بالوحي المنزل .

وللاستفادة من القرآن لابد أن يمتلئ القلب بالإيمان ، الإيمان بأن الله هو الخالق الرازق، مالك الملك، واسع الملك والسلطان ، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض.

لابد أن نعرف هذا الإله العظيم ، لابد أن نعرفه بأسمائه وصفاته وافعاله، ولأهمية هذه المعرفة، الله ﷻ بيّن ذلك في القرآن ودعا عباده الى معرفته، لأنك إذا عرفت العظيم عظمت العظيم، وعظمت كتابه العظيم، وامتثلت أمره العظيم، ونلت ثوابه العظيم: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

لابد أن أعرف العظيم، وهو الله ﷻ، واسم الله علمٌ على الذات، ولا يسمى به غيره، وما سواه من الأسماء علمٌ على الذات لكن فيه زيادة صفات ، الله هو الخالق، هذه صفة الخلق صفة زائدة ، فاسم الله دالٌ على الذات، وعلى سائر الأسماء والصفات ، وما سواه من الأسماء دالٌ على الذات، ودالٌ على اسم من أسماء الله كالخالق والرازق والحي والقيوم وغير ذلك من الأسماء .

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

لابد بعد كل درس أن نستغفر الله، فما عرفناه بالنسبة لما لم نعرفه عن الله كالذرة

بالنسبة إلى ا لجبل، فالله ﷻ لا نهاية لعلمه، ولا نهاية لكرمه، ولا نهاية لعظمته ، من يحيط بهذا البحر العظيم ! من يحيط بالسموات والأرض ! من يحيط بنعيم الجنة ! فكيف نحن نحيط بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله! هذا محال ؛ ولكن الله ﷻعلمنا ما نحتاج إليه، حتى نرغب في عبادته، ونحذر من معصيته، ونثني عليه ونكبره، ونحبه ونحمده، وعرفنا بنفسه جل جلاله فقال : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة/ ١-٧] .

الله ﷻ عرف نفسه في كتابه جل جلاله فقال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

حيٌ لا يغيب عنه شيء حيٌ بكمال الصفات من القوة والقدرة، والسمع والبصر، والعلم والعزة، والكبرياء والعظمة : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

ولو أخذته سنةٌ من نوم لخرت السماء على الأرض ، لكنه يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وإذا نام الإله من يطعم من في السموات والأرض ؟ من يدبر هذا الكون ؟ ومن يمسك هذه الكائنات ؟ لو رفع الله ﷻ عنهم أمر البقاء لزالت في لحظة ، لكنه حيٌ قيوم لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويحيي ويميت : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك/ ١] .

الله إلهٌ عظيم وكبير، وحيٌ قيوم لا تأخذه سنةٌ ولا نوم ، ملكٌ عظيم مَلَك جميع الممالك، وقسم الملك على المماليك فهم عبيده وهم ملوك ، كلهم عبيده وهم ملوك : ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

له السموات السبع ومن فيهن من الملائكة ، وله الأرض ومن فيها من المخلوقات من حيوانات وطيور، وجبال وبحار وأنهار، وإنس وجن، وجماد ونبات.

سبحانه: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[البقرة/ ٢٥٥] .

هو الله المحيط بكل محيط : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

ولا يحيطون بشيءٍ من قدرته ولا يحيطون بشيءٍ من ملكه، ولا يحيطون بشيء من علمه، الله ﷻ هو المحيط بكل محيط، والقاهر لكل قاهر : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة/ ٢٥٥] .

وسع ملكه كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء، وقهر بقدرته كل شيء، وهو العلي القاهر فوق كل شيء.

هذا هو الله ﷻ، الله ﷻ يعرفنا بنفسه جل جلاله فيقول: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

من هو الله ؟: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ٢].

من هو الله ؟: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

من هو الله ؟: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤٠ – ٤١].

لابد أن يقول اللسان للقلب، حتى هذا القلب يتأثر، ويمتلىء إيمانًا وتوحيداً، وتعظيماً وحباً لله، ويستنير بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله جل جلاله.

من هو الإله الذي نعبد ؟ من هو الإله الذي نسجد ونركع له ؟ من هو الإله الذي يجب أن نطيعه ؟ .

لابد أن يكون هذا الإله كاملاً في ذاته وأسمائه وصفاته ، من يعرفنا بذلك ؟، من يدلنا عليه ؟:

آياته الكونية.. وآياته القرآنية.
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٥-٩٦] .
الله سبحانه فالق الحب والنوى بالنبات، وفالق الظلام بالإصباح، ومسير الشمس والقمر في الكون.
مليارات الكواكب والنجوم منثورة في السماء، كل نجمٍ له خط سير معين، وله إنارة خاصة، وله مسارٌ معين ، وله قوة خاصة ، وله مدارٌ ومسارٌ خاص : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٧-٩٨] .
فسبحان من خلق البشرية كلها من صلب آدم، وجعلها تنتقل من رحم إلى رحم، لها مستقرٌ في الأرحام، ومستودعٌ في الأرض : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].
كلنا خرجنا من رجلٍ واحد، الله خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له ملائكته تكريمًا له، وجعله خليفة في الأرض.
وهذا الإنسان الله يريده على أحسن صفة، لانه خليفة، فالله بيَّن أسماءه وصفاته لنا حتى نتصف بهذه الصفات، يكون لي حظ من اسم الله الكريم، ومن اسم العليم، ومن اسم الرزاق، ومن اسم العفو، ومن اسم التواب ، ومن اسم الرحمن، ومن اسم الرحيم، ومن اسم الملك ، ومن اسم السلام ، ومن اسم اللطيف، ومن اسم الخبير ، وهكذا يكون لي حظ من هذه الأسماء الحسنى، لابد أن يكون لي حظ من كل اسم من أسماء الله الحسنى ، حتى أكون جليسه يوم القيامة: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].
ومن عرف الله إتقاه وقرب منة: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ

مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

الإنسان الذي يملك شهواته، ويقود نفسه بما أمر الله رسوله به، هذا أقرب إلى الصفات الملكية، وأشبه الملائكة في عبادتها ، هذا الإنسان ارتقى ارتقاءً عاليًا عن عالم الحيوان، وعن عالم السباع، وعن عالم الشياطين، واقترب من الرتبة الملائكية الذين مزاجهم سمعنا وأطعنا الذين: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦].

لابد لهذا القلب أن يسمع من اللسان في كل وقت، يسمع من اللسان تعظيم الله، وحمد الله، والثناء عليه، والإذن لابد أن تسمع هذا الكلام، وترسله إلى القلب، حتى يتأثر هذا القلب فتأتي محبة الله فيه، والتعظيم لربه، والذل له ، ثم يأمر الجوارح بالطاعة، واللسان بالذكر والحمد والشكر: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١ –٤٣]. .

يوميًا لابد من هذا الغذاء الإيماني وإلا ينحدر الإنسان إلى الرتبة الحيوانية البهيمية، ثم الى الرتبة السبعية، ثم إلى الرتبة الإبليسية: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فلابد في كل يوم أن نعرف الإله العظيم، ونعرف آياته ومخلوقاته: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ٧٩-٩٨] .

سبحان الله هذه النجوم التي لا يحصيها الا من خلقها، من خلقها وأمسكها وحركها ونورها؟

وسبحان الله هذه الذرية المنتشرة في العالم في أكثر من مائتين وخمسة وأربعين دولة، في كل دولةٍ مدن، ويتبع كل مدينة قرى ، وفي كل قريةٍ بيوت ، وفي كل بيتٍ رجالٌ ونساءٌ وأطفال ، الله خالقهم، والله رازقهم، وهو مدبر أحوالهم ، يصرف أمورهم، ولا

يختار لهم إلا ما يسعدهم في دينهم ودنياهم: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

لابد أن يعرف القلب أن الله أرحم الرحمين ، والله يبتلى هذا العبد بالنعم والمصائب ليجره إليه ، ينعم عليه بنعمه التي لا تعد ولا تحصى حتى يحبه، ويقبل على طاعته ، ويصيبه بالمصائب والابتلاءات والمكاره إذا خرج عن طاعته ليرده إليه: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] .

فالله يبتلي ليربي: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة/ ٥١] .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

فمن رحمة أرحم الراحمين أن الإنسان إذا خرج عن الصراط المستقيم إلى الصراط المعوج أن يصيبه بمصيبة، ليعود إلى ربه ، فإذا عاد إلى ربه تاب الله عليه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

فالله يريد بعد أن اصطفى هذا الانسان وخلقه بيده يريد له العزة والكرامة والأمن في الدنيا والجنة في الآخرة: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

هذا الإنسان هو محل جهدنا ، جهدنا على البشرية لتنبت فيهم الصفات الإيمانية التي يحبها الله: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١١٢].

يتفوقون على الناس بأحسن الصفات، لينالوا عند ربهم أحسن الدرجات: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ

﴿وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

متى يتحرك القلب عبادةً ودعوةً، وتعليمًا وإحساناً، وتكبيراً وحمداً لله ؟ إذا عرف الإله، فلابد من معرفة الإله حتى الإنسان يتكلم عن ربه كما يليق بجلاله، ويدعو الناس إلى العظيم ، يدعو الناس إلى الكبير ، يدعو الناس إلى الخالق الذي خلق كل شيء، يدعو الناس إلى المؤمن الذي خلق الأمن ، يدعو الناس إلى السلام الذي خلق السلام من كل عيب وآفة.

يدعو الناس إلى الرزاق الذي خلق الأرزاق والمرزوقين وهكذا إذا عرف الإنسان هذه الأمور صارت هذه المعرفة محركة له لعبادة الله، والدعوة إليه، وحبه وتعظيمه وتكبيره.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾
[الأنعام/ ٩٩] .

فالله كما ينزل المطر من السماء على الأرض فتنبت من كل زوج بهيج، وتثمر الثمرات المختلفة ، مختلفة الألوان والأحجام والطعوم ؟ كذلك الله أَنزل الوحي من السماء لتنبت هذه القلوب الإيمان، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية .

فينظر الذي أنزل من السماء ماءً هو واحد ، هو معبودنا جل جلاله ، أخرج من الماء نبات كل شيء، أنزل من السماء ماءً فأنبتت هذه الأرض بأمر الله مواليد مختلفة أكثر من أربعين مليون مولود من النبات، وهذه المواليد قبائل وأمم وشعوب مختلفة .

النخل أممٌ وقبائل وشعوب ، والعنب أممٌ وقبائل ، والقمح أممٌ وقبائل ، أنواع القمح أكثر من ثلاثة ألاف وخمسمائة نوع عرفناها الآن ، كم أنواع الأسماك؟، كم أنواع الطيور؟، كم أنواع النباتات؟، كم أنواع الفواكه؟، كم أنواع الحبوب؟: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

﴿رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الله خالق كل شيء وهو على كل شيءٍ وكيل ، وكيلٌ عليه في لونه وطعمه، وشكله وحجمه، وحياته وموته ، هذا هو الإله الذي يجب أن يعبد : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فأعظم شيء هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته بموجب هذه المعرفة، وهذه جنة المعرفة، جنة المعرفة في الدنيا الموصلة إلى جنة النعيم في الآخرة ، ومن جهل الإنسان ومن ضلاله ، أن يجعل لله شريكاً، في ملكه، وفي تدبيره، وفي عبادته ، ويتعلق بالمخلوق من دون الخالق ، ويقضي أكثر وقته مع المخلوق معرضًا عن ربه الذي خلقه ورزقه : ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٠-١٠١] .

الله لا يحتاج إلى ولد ، الذي يحتاج إلى ولد هو المخلوق ، إذا مات يقوم مقامه ويدعو له ، أما الله فلا يحتاج إلى ولد، لأنه الغني عن كل ما سواه.

الله يقول : بديع السموات والأرض أبدعها على غير مثالٍ سابق ، هذه السموات العظيمة ، كل سماء محيطة بسماء ، والسموات محيطة بالأرض والأرضون السبع كل أرض محيطة بأرض ، فالسموات محيطة بالأرض، والكرسي محيطٌ بالسموات ، والعرش محيطٌ بالكرسي وسائر المخلوقات، والله محيط بكل محيط، وهو فوق العرش، لا يحتاج إلى العرش، بل العرش محتاج إلى الرب في خلقه وبقائه ، هو سبحانه الغني له ما في السموات وما في الأرض، هو الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام/ ١٠١] .

هو الخالق لكل شيء، العليم بكل شيء: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام/ ١٠١] .

من هو هذا الإله ؟ لابد أن نعرفه ، لنعبده وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ

﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وكيل على النجوم ، وكيل على الأمطار ، وكيل على الإنسان ، وكيل على البحار ، وكيل على النيران ، وكيل على السموات، وكيل على الأرض، وكيل على الملائكة ، وكيل على الدنيا ، وكيل على الآخرة ، وكيل على الإنس ، وكيل على الجن ، وكيل على الجمادات ، وكيل على النباتات ، وكيل على الحيوانات ، سبحان الله .

هو الذي خلق، وهو الذي يدبر هذه الكائنات كلها، وهو وكيل عليها ، وخزائنها عنده: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١] .

هذا هو الإله العظيم الذي يجب أن نعبده، هو لا يحتاج إلى العبادة ، بل كل مخلوق محتاج الى عبادته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

فالله ﷻ يقول : «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يُنْقِصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**» أخرجه مسلم (١)

الله سبحانه هو الغني جل جلاله، ومن جهل غناه توجه الى غيره من خلقه وعبيده.

فسبحان الله كم أضل الشيطان الناس عن ربهم: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١].

فالمؤمن يسعد بعبادة ربه، فلا يظن الكافر انه سيفلت من عذاب الله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾ [العنكبوت/ ٤] .

سيوقف الجميع عند ربهم للحساب والجزاء: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

فالله جعل الدنيا مكان الابتلاء والامتحان، يعيش فيها المسلم والكافر، والبر والفاجر، وكل يعمل على شاكلته بعد الدعوة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩].

فالله خلق هذه الحياة الدنيا ، وعلق عليها أنها دنيا ليست عليا ، العليا هي الآخرة : ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٤] .

فالله خلق الدنيا للابتلاء وزهدنافيها من أول يوم، حتى لا نتعلق بها.

هو سبحانه على كل شيءٍ وكيل : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٤] .

هذه الأبصار البشرية مخلوقة محدودة، لا تحيط لا بالسموات، ولا بالأرض، ولا بالبحار ، لم تحط بالمخلوق فكيف تحيط بالخالق ؟ الخالق جل وعز أن يحاط به ، فهو محيطٌ بكل محيط ، ولا يحيط به أحد ، ولا يدركه أحد ، إنما نحن نراه يوم القيامة، لكن لا نحيط به، لعظمته وكبريائه جل جلاله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

الله هو الكبير الذي لا أكبر منه، الله له الكبرياء في السموات والأرض جل جلاله ، وله الحمد على ذلك ، وعلى عظمة أسمائه وصفاته جل جلاله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

فلابد من معرفة العظيم الكبير، الغني الكريم، الواحد الأحد، وإذا عرفناه جل جلاله بأسمائه وصفاته وأفعاله أقبلنا على عبادته، وأكثرنا من ذكره وحمده، وامتلأت قلوبنا بحبه.

لابد لهذا القلب أن يعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله حتى يتأثر، ويؤدي العبادات بإخلاص وصدق، ومحبة وذل، وخشوع وانكسار بين يدي مولاه العظيم.

إذا أراد الإنسان أن يقف بين يدي ربه في العبادة لابد أن يعرف من يناجي ؟ ومن يسأل ؟ ومن يدعو ؟

لابد أن يتوجه القلب إلى عظيم، وإلى كبير، وإلى كريم، وإلى قادر، وإلى عليم، وإلى سميع، وإلى بصير، وإلى عظيم في خلقه، وعظيم في ملكه وملكوته، فإذا عرف القلب ذلك توجه إليه بالعبادة بالحب والتعظيم والذل له.

سبحانه ما أعظم خلقه، وما أعظم قدرته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد/ ٢] .

ننظر إلى هذه السموات العظيمة ، وننظر إلى حجم الشمس والقمر على كبرهما ماذا يشغلان من الفضاء ، من خلق هذه الفضاء العظيم الذي تسبح فيه الشمس والقمر والنجوم: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢ –٦٣].

فعلى الإنسان ألا يرفع بصره استحياءً من ربه، لتقصيره في عبادته، وعدم معرفة عظمته وجلاله ، ولا يعمل مع الله عمل الاجير مع من استأجره، الأجير الذي ينتظر الأجرة في المساء ، إذا عمل صباحًا أخذ أجره مساءًا ، هذه نظرة قاصرة، ولكن النظرة الأعلى منها أن أعظم العظيم ؛ لأنه عظيم ، وأكبر الكبير ؛ لأنه كبير ، وأعبد الله، لأنه أهلٌ أن يحمد، وأهلٌ أن يعبد، وأهلٌ أن يعظم جل جلاله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

متى ذاق القلب ذلك وجد حلاوة الإيمان، وجعل كل وقته في الصلاة، في الذكر، في الدعاء ، وجعل حياته كلها عبادة ؛ لأن العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، ومنها عبادات متعلقة بين العبد وربه كعبادات الصلاة والصيام، والذكر والدعاء، وغيرها ، وعبادات متعلقة بين العبد وبين الخلق من معاملات، ومعاشرات وغير ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ

﴿ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

[المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

فالعبادة هي التعبد لله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه ، فإذا الله هداني إليه فأحمد الله على هذه النعمة ، وأشغل جميع وقتي، وأصبغ جميع أيامي ولياليِ بطاعة الله امتثالًا لأمر الله في أكلي، وشربي، ولباسي ، وصلاتي، ووضوئي ، وسمعي، وبصري : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٣٨].

فليفرح المؤمن بذلك: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١ –١٦٣].

العبد إذا عرف ذلك سارع وسابق إلى الطاعات ونافس في الأعمال الصالحة ، ونوع الأعمال الصالحة ، كل نوع من الطاعات له نوع من النعيم في الجنة، كل أنواع الطاعات من وضوء وصلاة وزكاة وصيام وحج وذكر وتسبيح وغير ذلك من أنواع الطاعات له نوعٌ من النعيم في الجنة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

[النحل: ٩٧].

فإذا عمل الإنسان طاعة من صلاة، أو سماع علم، أو تعليم شرع، أو أي عملٍ صالح ، إذا عملته لله يرفع إلى السماء ، الملائكة ترفعه إلى الله ﷻ.

الله ﷻ يراه، ويأمر بهذا العمل إلى الجنة ليسبقك إلى الجنة، ويغرس لك بموجبه أشجارٌ في الجنة ، فإذا وصل إلى الجنة فورًا تأتي صاحبه الطمأنينة والراحة والسكنية من الجنة، وإذا عمل الإنسان عملاً صالحاً يجد اللذة والسرور والأنس بعده، بعد الصيام ، بعد الصلاة، بعد الصدقة، بعد أي عملٍ صالح نجد لذة وسروراً في الدنيا قبل الآخرة.

هذا العمل قبله الله، فلما قبله صار مكتوبًا لك، ومحفوظًا في الجنة ، وإذا وصل إلى الجنة جاء إشارة من لذة هذا العمل إلى قلبك، فيجد الإنسان السرور والطمأنينة في القلب بعده: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ

﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

فليفرح المؤمن إذا عمل الطاعة أيًا كانت من عبادة أو دعوة أو غيرها، فليفرح بهذا العمل إذا وجد لذة فيه ؛ لأن الله قبله وحفظه له وأودعه في الجنة ، ثم جاء منه إشارة من النعيم الذي في الجنة إلى هذا الإنسان .

وإذا عمل الإنسان معصية رفعت إلى ربنا جل جلاله ونظر فيها ثم ردها إلى النار ، ثم فورًا تأتي حرارة من النار ، دائمًا نجد الألم بعد المعصية ، هذا الألم موجود في النار ، وهذا إشارة منه، ومذكر للإنسان، ليرجع إلى ربه، ويتوب من هذا الذنب .

وكذلك الطاعة إشارة ومذكر للإنسان، إذا وجد اللذة فيها، ليسارع إلى طاعته أكثر ، ويداوم على الطاعات ، وينال المؤمن من النعيم بعد ما يطيع الله بقدر ما ينوع الطاعات .

فأهم شيء أن يعرف هذا القلب هذه الإله العظيم ، يعرف الله والإله الذي ورد أكثر من ألفين ومائتي مرة في القرآن ، وهذا اسم عظيم، لابد لهذا القلب أن يمتلئ بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، أن يعرف أن الله هو الخالق الرازق، وهو الكريم الرحيم، وهو العفو الغفور، ويعرف أنه القوي والقادر والقاهر جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرف العبد ذلك آمن بالله وأحبه وعظمه وعبده وحده لا شريك له.

الله ﷻ هو الذي يدبر الأمر في العالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد/ ٢] .

- **أوامر الله ﷻ ثلاثة أنواع:**

أوامر ملكية كونية.. وأوامر إلهية شرعية.. وأوامر ربانية جزائية

فالأولى عامة لكل المخلوقات، والثانية خاصة بالحن والانس، وهي الدين، والثالثة أوامر جزائية على الأعمال الحسنة بالثواب والجنة، وعلى الأعمال السيئة بالعقاب والنار: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ

﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

- **والأوامر الملكية الكونية من الله عَجَلَّ ثلاثة أقسام :**

الأمر الأول : أمرٌ ملكي صادر من رب العالمين على المخلوقات، متوجه إلى المخلوقات كلها بأمر الخلق فخلقت: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢] .

أمر الخلق والإيجاد متوجه من ربنا إلى كل مخلوق موجود الآن ، الله خلق السموات والأرض، والجبال والبحار، والأنهار والإنس والجن ، والجنة والنار ، لأنه الخالق الذي وجه هذا الأمر الملكي فكان ما أراد: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣].

الأمر الثاني : أمر البقاء متوجه من الله إلى من في هذا الكون ليبقى ، كل شيء هالك إلا وجهه جل جلاله : ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧].

أمر البقاء جعل هذه المخلوقات تبقى : ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر/ ٤١] .

ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، فأمر البقاء أمرٌ متوجه من الله إلى جميع المخلوقات بما فيهم الإنس والجن أن يبقوا أحياءً أو أمواتاً، وإذا رفع الله عنهم أمر البقاء فنوا فناءً نهائيًا لا وجود بعده.

والأمر الثالث : أمر التحريك والتسكين، والتدبير والتصريف، والنفع والضر، والعطاء والمنع، فهذا كله بيد الله وحده لا شريك له : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

هذه أفعاله في العالم، وهذا تدابيره في العالم، سبحانك ما أعظمك: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ [آل عمران/ ٢٧] .

سبحان الله ما أعظمه، هذه أوامره الملكية الكونية العظيمة جارية على عموم المخلوقات، في كل مكان وزمان: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٤].

أما أوامره الشرعية فهي خاصة بالعقلاء من الإنس والجن وهي الدين .

- **وأوامر الله الشرعية خمسة أقسام :**

إيمانيات . . عبادات . . معاملات . . معاشرات . . أخلاق .

فالايمانيات تتعلق بالقلوب من التوحيد والايمان واليقين والاحسان، والعبادات ثمرة الايمان، وهي ما يكون بين العبد وربه من صلاة وصيام وحج، وأدعية وأذكار ونحوها، والمعاملات هي ما يكون بين العبد وغيره من الناس من بيع وشراء، وقرض وإجارة ونحوها، والمعاشرات ما يكون بين الحاكم ورعيته، وبين المعلم وطلابه، وبين الزوج وأهله ونحوهم .

والأخلاق هي ما يكون بين المسلم وغيره من مكارم الأخلاق كالصدق والكرم، والرحمة والعفو، والحلم والاحسان وغيرها.

وهذه الأوامر الشرعية تاج المسلم، وعنوان كماله وفلاحه في الدنيا والآخرة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وبمعرفة الأوامر الكونية، ومعرفة الأوامر الشرعية يكمل إيمان العبد، وتحصل نجاته وفلاحه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢].

وقد أعلم الله وأخبر عن نفسه في آياته الكونية المنثورة والمشاهدة في الكون فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد/ ٢] .

هذا من تدبير الأمر، هو سخر الشمس والقمر، كلٌ يجري لأجلٍ مسمى ، الله ﷻ يدبر هذا الكون على مر الدهور.

بالفعل المضارع يدبر الأمر؛ يعني أمر الحر والبرد، والليل والنهار، والخلق والتقدير، والحياة والموت: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [الرعد/ ٢] .

لماذا ؟ ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ [الرعد/ ٢] .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الرعد: ٣].

هو الله الذي مد الأرض وأوسعها، وملائها بالمخلوقات التي تدل على وحدانية وعظمتة وقدرته، والله ﷻ من علينا ولله الحمد، فسرنا إلى أقصى الأرض من الغرب وأقصى الأرض من الشرق وأقصى الأرض من الشمال، وأقصى الأرض من الجنوب ، ورأينا هذا الكون العظيم وما فيه من المخلوقات العظيمة، وما فيه من هذا الهواء، وهذا النور، نور الشمس، وهذا الماء العذب، وهذه المخلوقات المختلفة، وهذه البحار الواسعة، وهذه الجبال العظيمة، وهذه النباتات المتنوعة، وهذه الحيوانات المختلفة، وكلها تدل على قدرة الله وعظمته، واختلاف الأجواء : ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [العنكبوت/ ٢٠] .

لماذا هذا النظر؟، حتى نعرف من نحن، وماذا يراد منا، وماذا يراد بنا .

هذا هو العاقل الذي يريد أن يعبد الله ﷻ لابد أن يكون له هذا النظر، وهذا التفكر، ولا يقف عند المخلوق، بل يتجاوز المخلوقات إلى خالقها ، ويتجاوز الصور إلى المصور ، ويتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، ويتجاوز إضاعة الأوقات في الشهوات إلى الاستفادة من الأوقات بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وإرضاء الرحمن جل جلاله : ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

فسبحان الله، ما أعظم قدرته في خلق الجبال بأحجامها، وألوانها، وثرواتها، وخزائنها.
أكثر من مائة نوع من المعادن اكتشفت الآن ، منها الذهب والفضة، والألمنيوم والرصاص وغيرها من المعادن ، من ملاء هذه الجبال بهذه المعادن النفيسة ؟ من ملأها وجعلها خزائن للثروات؟، من خلق فيها الأزواج من الجماد والنبات والحيوان والإنسان؟ هو ربنا جل جلاله ، لابد هذا الإله العظيم أن نعرفه، ونعرف أسماءه وصفاته، حتى نعبده وحده ، ولا نلتفت إلى أحدٍ سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام: ١٠٢].
فسبحان الله الخلاق العليم، القادر الحكيم، الكريم الرحيم، ما أعظم شأنه في خلقه، هذا جبل، وهذا سهل، وهذا ماء، وهذا نهر، وهذا بحر، وهذا عالٍ، وهذا سافل، وهذا رطب وهذا يابس، وهذه أرضٌ مجدبة، وهذه أرضٌ خصبة ، وهذا أرضٌ منبتة، وهذه أرضٌ صحراء ، فهي قطع متجاورات مختلفات، وجنات متنوعات، تسقى بماء واحد: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)﴾ [الرعد/ ٤] .
لابد للقلب أن يعرف هذا الإله العظيم الذي خلق السموات والأرض بالحق ، وخلق النبات والحيوان والإنسان: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦)﴾ [النحل/ ٤-٦] .
هذا الإنسان ذرة صغيرة من عالم الإنسان ، وكم عالم الإنسان الآن ؟ أكثر من سبعة آلاف مليون نسمة، وكل يوم يدخل في عالم الإنسان خمسمائة ألف مولود تقريبًا، ويموت ويخرج منه خمسمائة ألف ، فهؤلاء الذين دخلوا من تكفل بأرزاقهم ؟ من خلقهم في الظلمات ؟ من أمدهم بالرزق ؟ من جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ؟ هو الله وحده لا شريك له: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)﴾ [الملك: ٢٣ – ٢٤].
من الذي سوف يستضيفهم يوم القيامة في دار النعيم والكرامة أو في دار العذاب

والإهانة ؟ هو الله ﷻ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فما هو واجبنا فيمن دخل الآن في البشرية ؟ لابد أن نتفكر في تربيته ودعوته وهدايته ، ومن عاش معنا نحسن إليه، ونقول له القول الحسن، ونعامله بالأخلاق الحسنة، وندعوه إلى الإيمان بالرب العظيم، حتى يكون عابدًا لربه، شاكراً لنعمه، يسكن في أرضه، ويأكل من رزقه، ويطيعه ويستعين بنعمه على عبادته: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. .

فسبحان الله العظيم، وسبحان الله وبحمده، ما أعظم خلقه وقدرته وقوته في خلق الكبير والصغير، وخلق الكثير والقليل: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨١-٨٣] .

هذا هو الإله العظيم، والرب الكريم، لا يشغلنا عنه شاغل، ولا يشغلنا عنه مال ولا ولد، بل نتذكره دائمًا في كل حال، فنطيعه، ونجتنب معاصيه، ونحمده على النعم، ونستغفره من الذنوب، ونصبر على بلائه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

ونحن في الدنيا عبيده، وفي الآخرة ضيوفه ، ولهذا هؤلاء الذين عملوا بطاعة الله، وأقبلوا على الله، وأعلنوا ما يجب فعله من الطاعات، وأخفوا ما يجب إخفاؤه من الطاعات وما يحسن إخفاؤه من الصدقات، هؤلاء لهم في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧] .

هؤلاء أخفوا أعمالهم، ولذلك الله أخفى نعيمهم ، وهؤلاء هم السابقون.

هذا الإله العظيم قلب الإنسان لا يستأنس وليس له لذة ولا نعيم ولا سرور إلا بمعرفته ، تعرف الذي خلق السموات والأرض، وتعرف ماذا في السموات والأرض، وتعرف هذا الملك العظيم، ونعرف ماذا يعني خلق الإنسان ، هذا الإنسان الله خلقه

بيده من بين المخلوقات، لأنه يريد منه في الدنيا أن يكون خليفة في الأرض، وأن يكون القدوة الحسنة لغيره، وأن يكون أحسن المخلوقات؛ وابتلاه ربه بالشهوات الحيوانية، وبالأوامر الشرعية، وبالمصائب القدرية، ليأتي إلى ربه اختيارًا ؛ أما الملائكة فيأتون إلى ربهم اضطرارًا ، وكل ما سوى الجن والإنس مسخرون في طاعة الله ﷻ.

فالملائكة مزاجهم سمعنا وأطعنا ؛ لأنهم مسخرون بالطاعة، والشمس مسخرة بالإضاءة، والقمر مسخر بالإنارة، والسير في هذا الكون ، والأرض مسخرة بالإنبات: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

أما هذا الإنسان فخلقه الله مختارًا يعمل بطاعة الله، أو يعمل بمعصية الله، حسب المذكر: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف/ ٢٩] .

وبعد التذكير إما أن يؤمن أو يكفر: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزمل/ ١٩] .

متى يتخذ إلى ربه سبيلاً ؟ إذا عرفه، وكيف يعرفه ؟ لابد في كل يوم أن آخذ من غذاء القلوب ، أتكلم به، وأسمعه، وأسمع الناس منه، وأجعل لساني ووقتي مملوء بالتعظيم والحمد والثناء على الله، أذكر الله ذكرًا كثيرًا، وأسبحه بالغدو والآصال ؟ لماذا ؟ ليأتي في قلبي تعظيمه، وإجلاله، وحبه ، كيف يأتي تعظيمه ؟ بالنظر في ملكوته ، كيف تأتي محبته ؟ بالنظر إلى إحسانه وفضله وإنعامه ، فضاءٌ جميل، وهواء طيب، وماءٌ حلوٌ عذب، وأرضٌ مستقرة، ولباسٌ وطعامٌ وشراب: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

هذا الإنسان ذرة في ملك الله العظيم، وكل علم الإنسان ذرة في ملك الله الكبير.

كم عدد النبات ؟ أكثر من أربعين مليون صنف، قبائل وعوائل وأمم وشعوب ، كم عالم الحيوان ؟ أكثر من مليون صنف في البر، وأكثر من مليون صنف في البحر ، كم عدد الذرات الموجودة في السماء والأرض والهواء ؟ كم عدد الملائكة؟، كم عدد الجن؟، كم عدد الإنس؟ كل المخلوقات تشهد بوحدانية الله، وتسبح بحمده، وهي

خاضعة لمشيئته، ومسرعة هذه إلى إرادته: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: ١٨].

فالإنسان إذا غفل عن ربه اشتغل بشهواته عن أوامره جل جلاله ، فلابد من تذكير هذا الإنسان، وكلامنا الآن لأنفسنا، متى أكون الأول في معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، الأول في الطاعة، الأول في الدعوة ، الأول في الأخلاق العالية ، الأول في الإحسان إلى الناس: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

- **والدين كله يقوم على ركنين عظيمين:**

عبادة الحق . . والإحسان إلى الخلق .

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء/ ٣٦] .

وقال عز وجل: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الإسراء/ ٢٣] .

سبحان الله ما أعظم هذا الدين العظيم، وأعظم الجنات الموجودة في الدنيا هي جنة المعرفة ، وأعظم المعارف معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبادته بمقتضاها .

فهذا الإله العظيم هو الذي يجب أن نعبده جل جلاله ، بعد معرفة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة آياته ومخلوقاته: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[الأنعام/ ٩٩] .

لماذا الله يقول هذا القول ؟ لنتعظ ونعرف أن الماء مخلوق، والأرض مخلوقة ، أنزل مخلوقاً على مخلوق فأنبت من كل زوجٍ بهيج ، وأنزل الوحي من السماء على القلوب، فماذا أنبت في القلوب؟، أنبت أحسن الصفات والأخلاق والأعمال: ﴿إِنَّ

ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ
وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ
وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب/ ٣٥] .

هل أنا ممن قال الله فيهم : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ
وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾[المؤمنون: ١ – ١١] ؟ .

انظر لنفسي ولا أنظر للناس ، بل الناس محل جهدي ، أولًا أصلح، فإذا صلحت الله يصلح بي الناس ، هو ﷻ الذي يصلح أحوال الخلق ، ويجعل من يشاء من عباده سببًا لصلاح الناس ، متى ما علم الله من عبده الحب له، والتعظيم له، وحب الدعوة إليه، فما يدعو إلى الله أحد إلا بإذنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[الأحزاب: ٤٥ – ٤٦].

فالله ﷻ أنزل الماء فأخرج به أحسن الثمرات، وأنزل الوحي ليخرج به أحسن الصفات: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ
تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾[النحل/ ١٠-١١] .

سبحان الله مخلوق نزل على مخلوق فجاءت هذه النباتات العظيمة ، كيف الوحي إذا نزل على القلوب؟ كم ينبت من المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم: ١].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه، وما أعظم إحسانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ
لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ

﴿فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل/ ١٤] .

سبحان الله ما أعظم هذا البحر العظيم، الملح الأجاج ، والأنهار ماؤها عذب ، من خلق هذا البحر العظيم؟، من ملأه بهذه المخلوقات؟، أليس بقادر على أن يقلبه نارًا ؟ أليس بقادرٍ على أن يفيضه على من عصاه، ويغرق من في الأرض جميعًا كما فعل بقوم نوح؟: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٠ – ١٤].

لكنه الحليم الذي وسع بحلمه جميع خلقه، حليم ورحيم بعباده، هو أرحم الراحمين جل جلاله ، ومن رحمته بالعصاة أنه يمهلهم ولا يهملهم، يصيبهم بالمصائب حتى يعودوا إليه ، ونحن كذلك في الغفلة، ولهذا لابد من أن نعيش في الجو الإيماني ، الجو الذي يذكرنا بالله وأسمائه وصفاته، ويذكرنا باليوم الآخر : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف/ ٢٨] .

وفي الجو الإيماني نستفيد خمس كرامات: نتعلم الدين،ونعمل بالدين، ونترقي في الدين، ونثبت على الدين، وننشر الدين.

والله سبحانه هو الخلاق العليم ألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ، هذه الجبال العظيمة، وهذه البحار العميقة، وصل عمق بعضها إلى اثنى عشر كيلو متر تحت الأرض ، وهذه الجبال الشاهقة كجبال الهملايا التي ترتفع إلى أكثر من ثلاثين ألف قدم فوق سطح الأرض ؟ .

من خلق هذه المخلوقات العظيمة من جماد وماء ونبات وحيوان؟، إنه الله الذي: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١٠ – ١١].

سبحان من خلق البحار، وخلق الجبال، وخلق النيران، وخلق الأشجار، وخلق

السموات والأرض ، هذا الملك العظيم ليس بحاجة لنا، ولا بحاجة لعبادتنا ، إنما نحن بحاجة إليه، في خلقنا وأرزاقنا، وفي بقائنا وهدايتنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

- **وقد طبع الله كل مخلوق على أربع صفات لازمة :**

فالخلق كلهم ضعفاء.. وفقراء.. وعاجزون.. ومحتاجون.

ليقف الضعيف بباب القوي، والفقير بباب الغني، والعاجز بباب القادر، والمحتاج بباب من لا يحتاج .

فسبحان الخلاق الذي خلق ما يدل عليه، وما يدعو إليه: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٥ – ١٨].

جبال وأنهار وسبل جعل الله لنا طرقاً بين هذه الجبال نمشي عليها ، طرقٌ جوية، وطرق برية وطرق بحرية.

علامات هذه الجبال ، وبالنجم هم يهتدون ، هذه النجوم المنتشرة في السماء ، هذه فيها آيات، خلقها الله زينة للسماء، وعلامات ليُهتدى بها، ورجومًا للشياطين ، هذه النجوم العظيمة من خلقها ؟ من الذي يدبرها ، من الذي أمدها بالنور ؟ .

مليارات النجوم تهوي شهبًا تفجر الشياطين الذين يسترقون السمع: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات: ٦ – ١٠].

هذا الملك العظيم له ملكٌ عظيم يصرفه ويدبره ، ونحن بحاجة إليه ، هو استضافني في بطن أمي تسعة أشهر، حتى يكتمل خلقي، واستضافني في بطن الدنيا فترة مؤقتة، وطلب مني الإيمان والأعمال الصالحة ، وكتب رزقي وقسمه ، ويستضيفني يوم القيامة إذا أطعته في دار الكرامة، وإن عصيته في دار الإهانة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم: ١٢ – ١٦].

ثم يقول الله الخالق العظيم بعد ذكر أفعاله وإحسانه الى عباده: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل/ ١٧] .

ما دام الله يخلق وحده فيجب أن يعبد وحده: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤].

وهذه المعبودات من دون الله من الأصنام والأشجار والأحجار والأموات وغيرهم ، أهم يخلقون شيئاً ؟ لو خلقوا ذرة لعبدناهم ، لو خلق فلان ذرة لعبدناه ، لكن الخالق الله وحده لا شريك له : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

ولما جاء في خلق الإنسان قال : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١٤] .

خلق الله هذا الإنسان على أسماء وصفات حسنة يحبها الله، ولكن الشياطين جاءت واجتالت هذا الإنسان، وحولته إلى الصفات التي يبغضها الله من الفجور والفسق والإجرام والظلم وغيرها، فبعث الله إليه الرسل ليردونهم إليه.

فهل يليق بالعاقل أن يترك عبادة من خلقه وأنعم عليه وهداه، ويعبد غيره من خلقه؟:

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النحل/ ١٧-٢٢] .

إلهكم إلهٌ واحد، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحج: ٣٤].

لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد، بل هي الدين كله ، من أجل هذه الكلمة العظيمة الله ﷻ خلق الخلق، وخلق السموات والأرض ، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وخلق الجنة والنار ، ونصب الصراط والميزان.

لا إله إلا الله أحسن ما نطق به الإنسان ، وأعظم ما وقر في القلب، وأفضل ما تعبد به

الخلق: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥].

لا إله إلا الله أقوى من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأثقل من كل شيء ، فلو أن السموات السبع، والأرضين السبع، وما فيهن وما عليهن وما بينهن، وضعت كلها في كفة ، ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقةً مبهمة لفصمتهن لا إله إلا الله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ [الزمر: ٦٧].

ولو جاء العبد يوم القيامة بقراب الأرض خطايا ومعه لا إله إلا الله ، وبلغت سيئاته تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل على مد البصر ، ثم وضعت في الميزان لمالت بهن لا إله إلا الله وطاشت السجلات: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ ﴾ [الحشر: ٢٢].

ومن كانت في قلبه مثقال ذرة من لا إله إلا الله أنجاه الله من النار، وأدخله الجنة ، بل أعطاه جنة مثل الدنيا عشر مرات، بسمواتها وأرضها، وكل ما فيها من المخلوقات، قال النبي ﷺ : «**إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْوًا ، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ : ادْخُلِ الجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : رَبِّ الجَنَّةُ مَلْأَى ، فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَكُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ الجَنَّةُ مَلْأَى ، فَيَقُولُ : إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مِرَارٍ**» متفقٌ عليه(١) .

فلا إله إلا الله أحسن الحسنات، وأعظم الكلمات ، وما قال لا إله إلا الله على الحقيقة التامة سوى الله جل جلاله ، لعلمه بنفسه جل جلاله، وكذا شهادته ، ثم الملائكة لأنهم أقرب الخلق إليه ، ثم الأنبياء والرسل ؛ لأنهم أعرف الخلق بالله ، ثم العلماء، لأنهم ورثة الرسل، ثم عامة المؤمنين : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ [آل عمران/ ١٨] .

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٥١١، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٨٦ .

ومتى تأتي هذه الشهادة من الإنسان على الحقيقة؟، إذا عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرف ملكه وملكوته، وعرف دينه وشرعه، وعرف ثوابه وعقابه، إذا عرف هذه الأمور جاء التوحيد ، توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه، وجاء توحيد الله بالعبادة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

فلا إله إلا الله العلي العظيم ، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١ – ١٠٢].

ما ذكر اسم الله على قليل إلا كثره ، ولا عند كربٍ إلا كشفه ، ولا عند خوفٍ إلا أزاله ، لكن بشرط اليقين، اليقين على الله، ونفي فعل ما سواه ، لابد من النفي والإثبات في لا إله إلا الله: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

- **فننفي فعل أربعة أشياء :**

الاول: ننفي فعل جميع الأصنام من أشجار وأحجار، وإنس وجان وغيرهم.

الثاني: ننفي يقين الأمم السابقة الثمانية ، فيقين قوم نوح على الكثرة ؛ ويقين قوم عاد على القوة، ويقين قوم صالح على الصناعة، وقوم عيسى على الطب ، وقوم شعيب على الأموال ، ويقين فرعون على الملك، ويقين قارون على العلم، ننفي يقين الأمم السابقة الثمانية ، على الأموال والأشياء، والزراعة والصناعة والتجارة.

فكلها لا تغني من الله شيئًا: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

الثالث: ننفي فعل الكائنات ، والكائنات هي المخلوقات كالسموات والأرض، والشمس والقمر، والبحار وغيرها والجبال، هذه مخلوقات عظيمة، الله خلقها لتدل على وحدانيته، وكمال قدرته .

وعلى جلاله بخلق العظيم . . وعلى جماله في خلق الجميل جل جلاله .

فلكل مخلوق جلالٌ وجمال ، يدل على جلال الله وعلى جماله ، فالله خلق جميع المخلوقات، لتدل على كمال ذاته وأسمائه وصفاته، وعلى كمال قدرته، وعلى عظمته وعلى جلالة و جماله جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [الطلاق: ١٢].

ثم هي مخلوقات مدبرة مثل الإنسان، الشمس مأمورة بالإنارة ، والأرض مأمورة بالإنبات، والسحب مأمورة بنقل المياه ، وأنا مأمورٌ بطاعة الله ، هي مأمورة، وأنا مأمور ، هي مخلوقة، وأنا مخلوق ، ليس بيدها شيء، وأنا ليس بيدي شيء ، فلا نتوجه إلى المخلوق، بل نتوجه إلى الخالق وحده : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧].

فالله سبحنه خلق كل شيء لحكمة ومصلحه، وليدل على كمال قدرته في خلق الكبير والصغير، والثابت والمتحرك، ولكن الأمور كلها بيد الله وحده : ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس/ ٣٧-٤٠] .

فكل المخلوقات مماليك في ملك الله ﷻ، وهم عبيدٌ في قبضة الله، ليس بيدهم شيء: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٦].

الرابع :نفي النفس: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٨] .

- **فلابد من نفي هذه الأمور الأربعة التي غر الشيطان بها أكثر الخلق :**

الأول : نفي فعل الأصنام من أحجار وأصنام وغيرها .

الثاني : نفي فعل الكون ، أي مخلوق في الكون لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله، الخلق والأمر بيد الله، وليس بيد المخلوقات شيء ، المخلوقات ما كانت شيء حتى تفعل

شيء، أو تغضب أو ترضى، النفع والضر بيد الله، والعطاء والمنع بيده ، والعزة والذلة بيده ، والأمن والخوف بيده جل جلاله : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

الثالث : ثم أنفي يقين الأمم السابقة .

الرابع : ثم أنفي نفسي ، أنفي يقيني على نفسي ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا يحول المخلوق من حال إلى حال إلا الله وحده .

ثم بعد التخلية تكون التحليه والتزكية، بالتوحيد والإيمان ، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨].

فإذا جاء في هذا القلب هذا اليقين على الله جاء كل شيء ، جاء كل خير، وزال كل شر.

فلا إله إلا الله ما ذكر اسم الله على قليل إلا كثره، ولا عند كربٍ إلا كشفه، ولا عند خوف إلا أزاله ، ولا عند هم إلا فرجه ، ولا عند ضيقٍ إلا وسعه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

لا إله إلا الله، ما تعلق بالله ضعيف إلا أكسبه القوة، ولا تعلق به ذليل إلا أتاه العزة، ولا استنصره مغلوبٍ إلا أيده ونصره ، ولا تعلق به مضطرٌ إلا كشف ضره ، ولا جاهل إلا علمه، ولا مريض إلا شفاه ، ولا فقير إلا أغناه ، لا إله إلا هو جل جلاله : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

هو الإله الحق المعبود الذي خضعت الرقاب لعظمته، وخشعت الأصوات لهيبته، وفطر القلوب على تعظيمه ومحبته والذل له : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢] .

هو الله الذي خلق جميع المخلوقات، ودبر جميع الكائنات، وقدر جميع المقادير،

وأنعم بجميع الأرزاق : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

- **والناس فريقان :**

أحدهما: من تولاه الله إيجادًا بأن خلقه وهداه إلى الإيمان، فهذا ولي الله إيجادًا وهداية ، فهو المؤمن المرضي عند الله ﷻ، والله أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته.

الثاني: من أعرض عن الله فلم يؤمن، فهو منسوبٌ إلى الله إيجادًا ؛ لأنه هو الذي خلقه، وهو منسوبٌ إلى الشيطان الذي تولاه ؛ لأن الذي يحركه ويصرفه هو الشيطان: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٣].

فالإنسان إما أن يمشي في طاعة الرحمن، وإما أن يمشي في طاعة الشيطان .

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس: ٦٠ – ٦٢].

فالله ولي المؤمنين يواليهم بالنصر والعزة، والنعم والثواب؛ لأنهم يوالونه بالتوحيد والإيمان، والطاعة والعبادة ، والشيطان ولي الكافرين ، يواليهم ويغريهم بالشهوات، ويزين لهم الكفر والمعاصي ؛ لأنهم يوالونه بالطاعة ومعصية الله .

﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٧] .

والله وحده هو المعبود بحق، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، هو وحده الذي يزيل الغمة، ويكشف الكربة، ويعطي النعمة، ويفعل ما يشاء: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل: ٦٢].

فمن أيقن أنه لا إله إلا الله عبده وحده، وأطاعه وحده، وأحبه وحده، وخافه

وحده: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة/ ١٦٣] .

وعبادة الله لا تسمى عبادة إلا مع كمال الحب لله، وكمال التعظيم له، وكمال الذل له ، وذلك لا يتم إلا بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فلابد من معرفته جل جلاله بأسمائه وصفاته وأفعاله حق المعرفة ، ومعرفته لا تنتهي، وإذا جاءت هذه المعرفة جاءت الاستجابة لله ورسوله في كل شيء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢٤] .

لكن أكثر النفوس لا تستجيب إلا للشهوات ، ما السبب ؟ السبب نقص المعرفة بسبعة أمور هي مغذيات الايمان في القلوب: .

نقص المعرفة بالله.. وأسمائه.. وصفاته.. وأفعاله.. وخزائنه.. ووعده.. ووعيده.

وإذا جاءت هذه المعارف في القلب جاءت الاستجابة لله والرسول، ثم صار هذا الإنسان حيًا ، فكل الناس أموات وهو الحي، لأنه هو الذي عرف ربه : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

وحياة القلب إنما تحصل بعد معرفة الله : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد/ ١٩] .

لابد لهذا الإنسان أن يرجع إلى ربه ، ولابد أن يستسلم لربه، ويقف بين يديه منكسرًا سائلاً له الهداية والعلم والتقوى والإعانة على الطاعة ، الله بيده القلوب وهو الذي ينظر إلى هذه القلوب ، فليكن في قلوبنا حب الهداية، حب العلم ، حب الإيمان ، حب الأعمال الصالحة ، حتى الله ﷻ إذا نظر لهذا القلب أعطاه ما يريد ، وعاد إليه مليحًا كما خلق مليحًا: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

هذا الإله العظيم، وهذا الرب الكريم ، القلوب لا تتغذى إلا بمعرفته ، ولا تقبل على الطاعة إلا بمعرفته، ولا تبعد عن المعصية إلا بمعرفته ، فلابد من معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وثوابه وعقابه.

والله سبحانه خلق الانسان، وزوده بالات العلم التي يعرف بها ربه: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

هذا السمع الذي خلقه الله أحسن شيء في الإنسان ، الله خلق الإنسان أحسن المخلوقات وخلق فيه أحسن شيء وهو السمع ، فالانسان يتصل بجميع الأصوات من جميع الجهات عن طريق السمع، فهذا السمع لابد أن نسمع به أحسن شيء ، وما هو أحسن شيء ؟ الدين : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٥] .

نسمع عن الدين، نسمع عن عظمة الله وأسمائه وصفاته ، نسمع عن أمره وشرعه، نسمع عن حلاله وحرامه، عن ثوابه وعقابه، عن وعده ووعيده ، ونسمع الناس أحسن شيء : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

ونبصر أحسن شيء، لا ننظر نظر تفكه وتفرج ، ننظر نظر اعتبار وتكفر وتدبر يثمر توحيد الله وتعظيمه وتكبيره ومحبته وعبادته: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

ننظر ونتفكر في خلق السموات والأرض: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦ – ٨].

ولهذا ما كان في مكة إلا الدعوة الى التوحيد والإيمان و الأخلاق والفضائل أكثر من عشر سنوات قبل الهجرة لا توجد عبادات ، فالصلاة فرضت قبل الهجرة بسنة ركعتين ، ثم زيدت بعد الهجرة ، فليس على أجساد الصحابة في مكة عمل إلا فقط الدعوة الى التوحيد والإيمان، فليس في مكة فريضة تزاحم الدعوة أبدًا إلا فقط الدعوة إلى التوحيد والإيمان، لا صلاة ولا زكاة، ولا صوم ولاحج، الفرائض كلها جاءت في المدينة ؛ لأن الواجب الأول معرفة المعبود قبل العبادة ، ومعرفة الآمر قبل الأوامر .

فلا إله إلا الله، ما أعظم قدرته، وما أعظم أسمائه وصفاته وأفعاله.

كم بصر في العالم؟، كم سمع في العالم ؟، خزائن الأسماع عند من ؟، خزائن الأبصار عند من ؟ .

كم إنسان عنده أذن لا يسمع ؟ وكم إنسان عنده عين لا يبصر ؟ خزائن السمع والأبصار عنده، خزائن الأرزاق عنده وحده لا شريك له: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

كم إنسان بدون سمع، بدون بصر، بدون قلب، بدون عقل ، فالمؤمن يذكر هذه النعمة العظيمة، ويتقرب إلى الله بهذه النعم: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٧٨ – ٨٠].

كم يحيا في العالم في كل ثانية من نبات وحيوان وإنسان؟، في كل ثانية أو أقل يخلق الله مليارات المخلوقات في السماء، وما بين السماء والأرض، وفي الأرض، وفي البحر ، وفي الجو بين السماء والأرض ، مليارات المخلوقات، ومليارات الأوامر، لا يحصيها ولا يعلمها إلا هو ، ولكل مخلوق، ولكل ذرة، ولكل أمر، سجلٍ عند رب العالمين : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

فسبحان الله ما أعظم علمه، وما أوسع حلمه، وما أعظم ملكه جل جلاله ، كيف جعل لكل كلمة سجل، ولكل آيةٍ سجل، ولكل ذرةٍ سجل ، ولكل طاعةٍ سجل ، ولكل معصيةٍ سجل؟، ولكل مخلوق سجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢] .

والكل راجع إليه للحساب:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المؤمنون/ ٧٩] .

فسبحان من خلق البشر، وملأ بهم الأرض، وألزمهم بالرجوع إليه للحساب والجزاء.

هو الذي نشرنا في الأرض، أبيض وأسود، وذكر وأنثى، وعاقل ومجنون ، وكبير وصغير، وحي وميت: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون/ ٧٩-٨٠] .

سبحان الله هذا الليل آية، والنهار آية، من ينور العالم ؟ من ينور العالم العلوي؟، من ينور العالم السفلي؟: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠].

من ينور هذا الفضاء العظيم ؟ ومن ينور السموات السبع والعرش والكرسي ؟ هو النور جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

كل نورٍ في العالم من نوره ، كل نور في أي نور هو من نوره ، أنزل من نوره نورًا محسوسًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥].

وأنزل النور المبين الذي هو القرآن لينير القلوب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون/ ٨٠] .

تمشي هذه السنة على عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، والعالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون/ ٨٠] .

فسبحان الله إذا تولى الشيطان الإنسان غره وأضله : ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المؤمنون/ ٨١-٨٢] .

فالله يقول دعوا هذا الأمر فإنه آت لا محاله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [النبأ/ ١-٥] .

هذا سيأتي وسترونه عيانًا، لكن الحال التي أنتم فيها الآن، والكون الذي ترونه من خلقه؟: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ/ ١٧] .

الله الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة قادر على أن يعيد هذا الإنسان ؛ بل قادر أن يعيد الخلق كلهم إظهاراً لقدرته: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾[الروم/ ٢٧] .

سيعيد الله هذا الخلق كله، ويحضره يوم القيامة أمامنا ؛ لأنه صادق الوعد جل جلاله ، حتى نعرف كمال قدرته ، ثم يقول للحيوانات كوني ترابًا بعد القصاص، ويبقى الإنسان والحساب، ويبقى مصيره في الجنة أو في النار .

فالله ﷻ يقول لهؤلاء الذين أنكروا البعث والحساب والجزاء: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٨٤] .

قل لكفار قريش الذين يعترضون ويستهزئون ويسخرون منه بقولهم : ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الصافات/ ١٦] .

من خلق الأرض ؟ من خلق من على الأرض ؟ من خلق من في جوف الأرض ؟ من خلق ما تحت الأرض ؟ من خلق البحار ؟ من خلق الجبال ؟ من خلق الإنس والجن ؟ من خلق الحشرات ؟ من خلق الطيور ؟ من خلق الدواب ؟ .

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٨٤-٨٥] .

ما دام الأرض ومن فيها ملك لله، وكلهم مطيعون لله، فكيف تشذون عن هؤلاء، وتعصون الله الذي : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

فما أحلم الله على بني آدم، يسكنون في أرضه، ويعصونه بنعمه، ولا يعاجلهم بالعقوبة، بل يمهلهم ويتوب عليهم إذا تابوا.

أما مخلوقاته فكلها طائعة تسبح بحمد ربها : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحديد/ ١-٢] .

فلا إله إلا الله، له الكبرياء والجبروت، والملكوت والعظمة، وهو الكبير المتعال، خلق السموات السبع، وخلق العرش العظيم ، وهو رب العرش العظيم ، وهو ربكم ورب آبائكم الأولين : ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ

﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون/ ٨٦-٨٧] .

فإذا أقررتم بذلك أفلا تتقون الله الذي خلقكم، وكرمكم، ورزقكم من الطيبات : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

خلقناهم وكرمناهم وجعلنا لهم الخيار، أن يؤمنوا أو يكفروا: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف/ ٢٩].

الحيوانات لا أمر ولا نهي ، والملائكة مجبولون على الطاعة ، والشياطين إختاروا المعصية، ونحن لنا الخيار، إما أن نتبع الشهوات، وإما أن نمتثل الأوامر ، فا الله أمرنا أن نأخذ من الشهوات بقدر الحاجة، ونمتثل الأوامر بقدر الطاقة : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

فالله يقول : عقولكم التي أعطيناكم انظروا بها حتى تعرفوا من الإله الذي يستحق أن يعبد ، من هو الله الذي لا إله إلا هو العزيز الحكيم ؟ من هو الرب الغني الكريم الذي يغنيكم من فضله عمن سواه ؟، من هو الملك القادر على كل شيءٍ؟

فتعلقوا به، وتوجهوا إليه، وتوكلوا عليه، ولا تلتفوا إلى ما سواه ، فهو الذي يغنيكم عن كل غني :﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦ – ٩٢].

فمن بيده ملكوت كل شيء أهلٌ أن يعبد، الله بيده ملكوت كل شيء، مالك كل شيء مالك السماء، مالك الأرض، مالك الإنس، مالك الجن ، له الأوامر الكونية، وله الأوامر الشرعية.

هو الملك الذي خلق الملوك، وقسم الأملاك ، وأعطى القمر النور، وأعطى الشمس الإنارة والحرارة، وأعطى الأرض قوة الإنبات ، وأعطى الماء قوة حمل السفن ،

وجعل أمم في الأرض تعيش ما تعلم عما في البحار، وأمم في البحار لا تعلم عما في الأرض ، وأمم في الأرض وفي البحار لا تعلم عن الأمم التي في السماء والفضاء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

فملكه كبير، وله الكبرياء في السموات الأرض، وله الحمد على أسمائه وصفاته ، وله الحمد على نعمه : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر/ ١] .

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة/ ٢] .

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف/ ١] .

هو المحمود على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلى نعمه وإحسانه جل جلاله.

هذا القلب لابد أن يفهم هذه المعاني العظيمة ، وإذا فهم هذه العلوم صار خليفة في الأرض يعبد ربه كما يجب، ويطيعه كما يجب، ويتبع النبي ﷺ في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله، وفي أعماله، وفي أخلاقه ﷺ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

فهذه العقول لا يحركها ويحييها إلا بيان صفات الله الذي هو أهلٌ أن يعبد، وأهلٌ يكبر، وأهلٌ أن يطاع جل جلاله ، فالله ﷻ أمرنا أن نتفكر وأن ننظر في الملك والملكوت، حتى نعبد الله بالمحبة والخوف والرجاء، ونسارع إلى الطاعات أكثر من سرعتنا إلى الطعام والشراب والشهوات : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

متى يكون هذا ؟ إذا عرفنا المعبود جل جلاله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وكيف نعرفه ؟ لابد أن ننظر ونتفكر ونتدبر عظمته وكبرياءه وملكوته ، وننظر نظر تفكر وتدبر : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

فالله محيطٌ بكل طائر، بكل حشرة، بكل ملك، بكل ذرة، محيط بالعرش والكرسي،

محيطٌ بالسموات والأرض ومن فيهن، محيطٌ بهذه المخلوقات كلها، يسمعها بسمعه ، ويبصرها ببصره، ويعلم أحوالها ، وماذا تعمل ، وماذا لم تعمل ، وكلها تسبح بحمد ربها ، كل السموات والأرض والعرش والكرسي والمخلوقات كلها شاهدةٌ بوحدانية الله، يسبحون بحمده ، وكلها خاضعةٌ لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، إلا هذا الإنسان أحيانًا يطيع، وأحيانًا يعصي ، إن وجد المذكر أطاع ربه ، وإن فقد المذكر عصى ربه ، فلابد من التذكير المستمر: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى: ٩ – ١٥].

ذكر الناس بالله، ذكرهم بأيام الله، ذكرهم بأسماء الله ، ذكرهم بنعم الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[النور/ ٤١] .

والتسبيح معناه الطاعة ، كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه، فالجبل مقهور لا يستطيع أن يكون ماءً ، والماء لا يستطيع أن يكون جبلاً ، والشمس لا تستطيع أن تقف ، والنجوم لا تستطيع أن تصطدم بعضها مع بعض ، هو الذي يجمع ما يشاء، ويفرق من يشاء، ويسير من يشاء، هو جل جلاله الملك الذي بيده الملك والملكوت ، وكل المخلوقات خاضعةٌ لأمره، ومسبحة بحمده، كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[النور/ ٤٢] .

ما دام إلى الله المصير فلابد أن أعود إلى ربي بكمال الطاعة، وكمال الإيمان والتقوى أعود إليه بأحسن حال كما جئت إلى هذه الحياة ، فالبشرية كلها لها مخرج واحد وهو بطن الأم ، وتخرج وتدخل في مدخل واحد هو القبر ، فالحياة والموت بيد الله، وما بين الحياة والموت بيد الإنسان يفعل الأحسن ، الأحسن هو الدين الذي أمر الله به .

وهذا الإنسان في أوقاته ساعاته ودقائقه، وأيامه ولياليه، وشهوره وأعوامه، مطلوبٌ منه أن يعيش عيشة الأنبياء، عيشة الرسل، عيشة الملائكة، أن يكون في مزاج سمعنا وأطعنا ، ويجلس في موائد الإيمان، ويحول الأوقات والمجالس كلها إلى هذه الموائد الإيمانيه: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ

﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فالله ﷻ إذا اصطفى زماناً أو مكاناً أو إنساناً فالله يريد أن يشيع هذا الإصطفاء في الكون كله ، فالزمان كأوقات الصلوات الخمس، و الصيام، الله يريد كل الأوقات عبارة عن صلاة، توجه إلى الله ، أن نتصل بالله، فلا نفعل شيئاً يخالف أمر الله في كل وقت ، الله يريد أن يشيع في الأوقات جميعًا الطاعة التامة ، فالصلوات طاعة تامة ، فالله أخذ من الوقت للصلاة خمسة أوقات ، يريد منا أن نقلب كل الأوقات في مزاج سمعنا وأطعنا ، نفعل ما يحب الله، ونجتنب ما فيه معصيته: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وكذلك المكان الله يريد مثلاً المسجد مكاناً للصلاة ، الله يريد أن يشيع في هذه المكان الصلوات التي تؤدى ، وكذلك الحج مكان الطواف والسعي، ومشاعر الحج بمنى ومزدلفة وعرفة، فالله يريد في هذه الأماكن إشاعة السمع والطاعه لله، لتعويد النفس على طاعة الله في كل مكان.

فالله يريد تعبيد المكان والزمان، وإحالة جميع الزمان والمكان إلى طاعة وعبودية لله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

فالمسجد الله يريد منا أن نعيش داخل المسجد وخارج المسجد سواء ، أكون في المسجد عبد لله، وخارج المسجد عبد لله، في داخل الصلاة مطيع لله ، كذلك خارج الصلاة أقوالي وأعمالي وأخلاقي ولباسي وطعامي وشرابي كله على السنة ، فأكون داخل الصلاة عبد لله، وخارج الصلاة عبد لله .

لا أكون داخل الصلاة عبداً لله، وخارج الصلاة عبداً لهواي، أفعل ما أشاء، وأقوم متى أشاء، وأنام متى أشاء ، وألبس ما أشاء ، فالله يريد من العبد أن يتعبد لله بالشعائر والشرائع في كل مكان وزمان وحال، الله عز وجل يريد من العبادة الخاصة بالمكان والزمان إشاعة العبودية في كل زمان ومكان.

فالعبادة في المسجد من أعظم مقاصدها نقل فكر المسجد وأعمال المسجد إلى

البيت ، ولهذا أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة، حتى يتحول البيت إلى مسجد تهاب هذه البقعة ؛ لأنك صليت في الغرفة، صليت في المجلس ، صليت في السطح ، صليت في الحديقة ، الله يريد أن يشيع العبودية في كل مكان حتى يهاب هذا المكان فلا يُعصى الله فيه .

الله من علينا بأن جعل لنا الأرض كلها مسجدًا وطهورًا ، لكن خص المساجد لجماعة الرجال من المسلمين، وجعل صلاه الجماعه فرضاً عليهم ؛ لأنهم يحتاجون إلى اللقاءات المستمرة، للتواصي بالحق، والدعوه إلى الله، وتعليم شرع الله، وعماره بيوت الله: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨].

كذلك الله إذا أكرم أحداً بالإيمان والتقوى وحسن الأخلاق، فالله يريد كل البشرية أن تكون على طراز هذا الإنسان مثل المؤمن ، المؤمن إنسان ضعيف وجهول، وظلوم وحقود يئوس قنوط ، بالجهد عليه يكون مؤمناً ، الله يريد من هذا المؤمن أن يشيع الإيمان في العالم حتى يكون الخلق كلهم مؤمنين ، فالله أمرنا بنشر الدين في العالم كله كما نشر هو النور في العالم كله ووزع الرزق في العالم كله ، كذلك أمرنا الله بنشر الدين ، فالله يريد إشاعة الإيمان في العالم ، إشاعة الإسلام في العالم : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

أنا مؤمن لابد أن أجتهد على أهل الصين، وأهل أوروبا، وأهل أمريكا، والعالم كله، حتى يشيع الإيمان في العالم فلا أرى إلا مؤمناً تقياً صالحاً، مسلمة تقية مؤمنة وهكذا يشيع الإيمان في العالم .

فالله إذا أراد إشاعة شيء في وقتٍ معين أو مكان معين، إنما يريد إشاعته في العالم كله، فهو الذي تكفل بنشر النور الحسي في العالم، وامرني بنشر نور الإيمان في العالم : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

فالحمد لله الذي شرف عباده بهذا الدين، والدعوة إليه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان/ ١] .

فكل مسلم ومسلمه ليس داعياً فقط، ولا معلماً فقط، ولا ناصحاً فقط، بل هو نائب الرسول ﷺ في امته .

- فكل فرد من المسلمين نائب النبي ﷺ في امته في خمسه امور:

في نيته وفكره.. وفي توحيده وإيمانه.. وفي اقواله الحسنه.. وفي أعماله الصالحه.. وفي اخلاقه الكريمه.

نيتي وفكري كفكر الرسول ﷺ، وتوحيدي وإيماني كتوحيده وإيمانه، وأقوالي كأقوال الرسول ﷺ حمدًا وشكرًا، ودعوةً وتعليمًا، وتسبيحًا وتكبيراً.

وأفعالي أفعل الأفعال التي يحبها الله ، بأن أتأدب بالآداب والأخلاق الإسلامية الحسنه، وأذكر الله كذكر النبي ﷺ، وأدعو الله كما دعا النبي ﷺ، وأصلي وأصوم، وأتوضأ وأحج، وأزكي واتصدق، وأعمل الأعمال الصالحة كلها كما عمل النبي ﷺ:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

لا نقتدي بأي شخص ، لابد أن نوحد الله بأسمائه وصفاته وافعاله وعبادته، ولابد أن نوحد الرسول ﷺبالإتباع ، شهادة أن لا إله إلا الله ، أن أعبد الله وحده، وشهادة أن محمداً رسول الله يعني أن أتبعه فيما أمر، وأصدقه فيما أخبر، وأجتنب ما نهى عنه وزجر، وأعبده بما شرع ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

هذا الإله العظيم جل جلاله له الأسماء الحسنى، ومعرفتها غذاء القلوب، كم مَنَّ الله علينا بما سمعنا، وما نسمع، وما نجد في كتاب ربنا من صفات ربنا، هذه القلوب لا تتغذى إلا بذكر الله، بمعرفة الله، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

اسم الله ﷻ وضعه جل جلاله على السماء فاستقلت، ووضعه على الأرض فاستقرت، ووضعه على الجبال فرست، ووضعه على البحار فسالت، ووضعه على الرياح فهبت، ووضعه على الشمس فأنارت، ووضعه على اللسان فتكلم، ووضعه على العين فأبصرت ، ووضعه على الأذن فسمعت ، ووضعه على الرجل فمشت:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن/ ٧٨] .

فالدين حق لكل أحد: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان/ ١] .

وهذا خطابٌ لنا ، هو مات ﷺ، وبقي باقي الأمة علينا نحن الأمة، ونحن مسئولون عن كل إنسان، حتى يدخل الإيمان في قلبه، وتأتي الأعمال الصالحة على جوارحه ، فكم في العالم من ذكرٍ وأنثى، وكم من دولة، وكم من مدينة، كم من قرية، فنستغفر الله ونتوب إليه من جهلنا بأسمائه وصفاته، ومن جهلنا بعظمته وإحسانه، ومن التقصير في عبادته، ومن التقصير العظيم في الدعوة إليه، وتعليم شرعه : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

فسبحان من شرف عباده بعبادته، والدعوة إليه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ١ – ٢].

ما هو حظي من هذه الآية ؟ هذا الإله العظيم الذي له ملك السموات والأرض، ولم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريكٌ في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا ، هذا الإله العظيم جل جلاله هو ربي، ومعبودي، وهو إلهي الذي أقف بين يديه وأعظمه في كل مكان وزمان وحال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فلا إله إلا الله ما أعظم التقصير في حق الله، يا حسرةً على العباد ماذا جهلنا ؟ وماذا علمنا ؟ وكم قصرنا ؟ وكم أهملنا ؟ وكم أضعنا من الأوقات ؟ وكم أسخطنا رب الناس ؟ وكم أبعدنا الناس عن الدين بسوء أخلاقنا، وسوء معاملاتنا ؟ فهل تسمح أنفسنا بأن نفتح قلوبنا للناس، وأن نبذل أموالنا من أجل الدين ، وأن نضحي بأوقاتنا من أجل الدين.

في هذه الأجواء الإيمانية نتعلم الإيمان، ونعرف الله ﷻ فهو وحده أهلٌ أن يعبد، وأهل أن يحمد، وأهل أن يطاع:

- **فنحن في الجو الإيماني نستفيد خمسة أمور :**

نتعلم الدين.. ونعمل بالدين.. ونثبت على الدين.. ونترقى في الدين.. وننشر الدين.
ولهذا أمرنا الله ﷻ بلزوم البيئة الإيمانية الذاكرة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة/ ١١٩] .
وقال سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].
والله سبحانه هو المحمود على أسمائه وصفاته، وعلى جلاله وجماله وإحسانه، فله الحمد كثيرًا كما ينعم كثيرًا، وكما يهدي كثيرًا، وكما يثيب كثيرًا، وكما يعفوا كثيراً جل جلاله : ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾ [النمل/ ٥٩] .
سلام على عباده الذين اصطفى من الملائكة، ومن الأنبياء، ومن الرسل، ومن المؤمنين ، قل الحمد لله نحمد الله ﷻ على نعمه التي لا تعد ولاتحصى، أعطاني خيرًا، وصرف عني شرًا، وأنعم عليَّ وأ نعم على غيري، وأنعم عليَّ في بطن الأم، وأنعم عليَّ في الدنيا، وهو يوم القيامة يستضيفني في جنةٍ عرضها السموات والأرض ، بل في جنةٍ مثل هذه الدنيا عشر مرات، لسعتها وعظمتها: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة: ٢٥].
المؤمنون الذين بلغوا الدين، ونشروا الدين، وتحملوا كل شيء من أجل الدين ، لم يطلبوا بأعمالهم مصالح دنيوية، ولا شهادات علمية، إنما يعملون أعمالهم ابتغاء مرضات الله : ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩﴾ [الإنسان/ ٩] .
لأن أجر الداعي، وأجر العابد، لا يستطيع المخلوق أن يدفعه ، حسنة واحدة، تسبيحه واحدة، لو اجتمع من في الأرض جميعًا، ومن في السموات جميعًا، ما استطاعوا أن يثيبوا المسلم ثواب حسنة واحدة: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ [الشعراء/ ١٠٩] .

فالله ﷻ يقول للنبي ﷺ قل لكفار قريش، وكل كافر يأتي من بعد، وكل إنسان : ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل/ ٥٩] .

هؤلاء الذين يشركون مع الله هذه الأصنام من الأشجار والأحجار وغيرها، كاللات والعزى وغيرها : ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل: ٥٩ – ٦٠].

يعدلون بالله الذي خلق كل شيء مَن دونه من المخلوقات التي لا تستطيع أن تخلق ذبابة، أو جناح ذبابة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٣ – ٧٤].

الله يسألهم وما يستطيعون أن يجيبوا، لأن الحس والكون كله شاهد على وحدانية الله.

فما أسفه عقول من جعل مع الله شريكاً في ملكه وعبادته: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل/ ٦١] .

ماءٌ عذب، وماءٌ ملحٌ أجاج، الله جعل بينهما حاجزًا، بينهما برزخ لا يبغيان.

الحمد الله أن منَّ علينا فسافرنا إلى جنوب أفريقيا، ووقفنا على مكان اسمه رأس الرجاء الصالح يقع على المحيط في جنوب أفريقيا، ورأينا عظمة الجبال، وعظمة البحر العميق والمكان الذي فيه هذا الفاصل بين البحرين، في عالم البحار مخلوقات لا تعيش إلا في الماء العذب ، ومخلوقات لا تعيش إلا في الماء الملح الأجاج، فما أعظم قدرة الله في خلقه وتدبيره.

فما أجهل الانسان حين يعبد مع الله غيره من خلقه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

كم أجاب الله من مضطر وكم كشف من سوء؟ ومن جعل الناس خلفاء الأرض؟: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ

ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ [النمل/ ٦٣] .
فلا إله إلا الله ما أعظم ربوبيته لعباده، وما أعظم حكمته وقدرته واحسانه.
لو فرغ الله الكون من الرياح كيف تكون الحياة ؟ لو زادت درجة الحرارة كيف تكون الحياة؟، تكون الجبال والناس هباءً، لو أنقص درجة الحرارة كيف يكون التجمد؟، يكون الإنسان أعظم من الحجر القاسي.
﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل/ ٦٣] .
إن التفكر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية، يثمر التوحيد الخالص، والإيمان الصادق: ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل/ ٦٤] .
والجواب القاطع الفاصل: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل/ ٦٥] .
فسبحان الله، لا إله غيره، ولا رب سواه، متى تدرك العقول أنه لا إله إلا الله؟: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج/ ٤٦] .
فنشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونحن الآن نجدد إيماننا بربنا ﷻ، ونستغفر الله من جهلنا بربنا وعما مضى من أوقاتٍ من التقصير في معرفته، ونجدد إيماننا ، والمسلم يجدد إيمانه كما قال بعض الصحابة : اجلس بنا نؤمن ساعة ، كلما عرفنا جددنا إيماننا ، فالله ﷻ عظيم وكبير ما عبدناه حق عبادته ، نحن فقراء إليه، ضعفاء بين يديه، أما الله هو غني عما سواه، وهو مالك الملك بيده ملكوت كل شيء.
فالحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، يجزي على العمل القليل الأجر الكثير ، ويفرح بتوبة عبده، ويفرح بالاستغفار، ويغفر للمستغفرين ويجيب السائلين ، وينزل في آخر كل ليلة في ثلث الليل الآخر ، ويقول : هل من يدعوني فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه.
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلى سَماءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي**

فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». متفق عليه(١).

والله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى في السماوات والأرض ، والله ﷻخلق هذا الكون العظيم بما فيه من المخلوقات والآيات، ليدل على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وعظمته، وكمال قدرته جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

والله ﷻ خلق آدم على صورته أسماء وصفات، يريد منه أن يتعرف على الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، ويتحلى بها ويتخلق بها على شاكلة العبودية؛ لأن الله ﷻ يُحب أسماءه وصفاته وأفعاله ، ويحُب من تخلق بها ، وتعبد لله بها فلابد من معرفة هذه الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، لنعرف المعبود قبل العبادة ، والآمر قبل الأوامر ، والمُطاع قبل الطاعة: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨].

وأسماء الله ﷻكلها حُسنى ، وصفاته كلها عُليا ، ولابد من معرفة هذه الأسماء ، وكلما ازداد الإنسان معرفة بهذه الأسماء والصفات ازداد إيمانًا ويقينًا، وحبًا وتعظيمًا لربه، وطاعة له ، وعبادة له ، وأنسًا به : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد/ ٢٨] .

فمفاتيح الإيمان ، ومفاتيح اليقين ، ومفاتيح الطاعات ، ومفاتيح العبادات، مبنية على أصلٍ عظيم هو معرفة الله بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، ومعرفة خزائنه ، ووعده ووعيده.

والقلب إذا امتلأ بهذه المعارف جاء فيه حُب الله، وتعظيمه، والذل له، وحُسن عبادته ، ثم انقادت الجوارح معه في فعل كل طاعة لله ﷻ، وترك كل معصية.

فهذا هو الواجب الأول على كل مسلمٍ ومسلمة ، أن يعرف المعبود قبل العبادة ، ويعرف المعبود معرفةً تدفعه إلى طاعة وعبادة الله ، وإلى كل عملٍ صالح يحُبه الله ﷻ، هذه المعرفة هي المطلوبة أولاً.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

وبعد ذلك يأتي فعل الأوامر، واجتناب المناهي، سهلًا ، لينًا ، محبوبًا : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩] .

ولنعلم أن الكلام عن العظيم عظيم ، والكلام عن الكبير لابد أن يكون كبيراً، والكلام عن الواسع لابد أن يكون واسعاً، فنحن نتكلم عن الله، ونستغفر الله ﷻ من التقصير ، فالله ﷻله الأسماء الحُسنى ، وله الصفات العلا ، وله الأفعال الجميلة ، ومعرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته هي أول باب، وأخر باب، ومعرفة هذا العلم يبدأ مع الإنسان، وينتهي بنهاية حياته، لأنه غذاءٌ للقلوب التي لا تحيا إلا به.

- **والعلوم الشرعية قسمان :**

غذاء.. ودواء .

فالغذاء : هو معرفة الله ، ومعرفة أسمائه وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ووعيده ، ومعرفة أركان الإيمان، وأمور الغيب ، هذه أغذية للقلوب، تحُرك الألسنة بالذكر والدعاء والتسبيح والدعوة ، وما يتعلق بعبادة اللسان، وتحرك الجوارح بالطاعات، وتجمل الروح بالأخلاق الحسنة ، فلابد من معرفة هذه الأسماء ، ولابد أن يكون للإنسان حظٌ من كل اسمٍ من أسماء الله ﷻ.

فإن الله ﷻخلق آدم على صورته أسماء وصفات ، والله يريد منا أن نتحلى بهذه الأسماء والصفات ، فعلينا أن نتعرف على هذه الأسماء والصفات ، ونعرف أن الله ﷻله الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، ليزيد إيماننا ويقننا على ربنا ﷻ.

فمعرفة أسماء العظمة والمجد ، والكبرياء والجبروت، والجلال لله تملأ القلب تعظيمًا لله ، وإجلالًا له ، وتكبيرًا له ، وتعلقًا به ، وحبًا له، وخوفاً منه.

ومعرفة أسماء الجمال ، والبر ، والجود ، والإحسان ، واللطف والرحمة لله ﷻ تملأ القلب حبًا لله وشوقًا له ، وحمدًا له ، وحياءً منه ، وذلك لما فيها من جمال الانعام والإحسان ، فالله ﷻ نحن نحبه لعظمته ، ونحبه لعظمة نعمه وإحسانه وفضله جل جلاله.

ومعرفة أسماء الغنى والكرم والإحسان لله ﷻ تملأ القلب افتقارًا إلى الله ، واضطرارًا إليه ، وتوكلًا عليه ، وعدم الالتفات إلى غيره .

لابد أن يقول اللسان هذا ، ولابد أن يعلم القلب هذا ، ولابد أن يتحول هذا العلم إلى عمل وسلوك في الحياة ، لا يكفي أن نعلم بأذهاننا ، وتعلم به قلوبنا، ولا تتحرك جوارحنا بموجب هذا العلم ، إذا عرفنا العظيم عظمناه، ولم نلتفت لأحدٍ سواه ، وإذا عرفنا الكريم أحببناه.

ومعرفة أسماء العلم والخبرة والمراقبة والإحاطة تملأ القلب مراقبة لله في كل حال.

إذا عرفت أن الله عليمٌ بحالي ، خبيرٌ بسري وعلانيتي ، مراقبٌ لي في ظاهري وباطني ، محيط بجميع أقوالي وأفعالي، هذه المعرفة تولد في القلب مراقبة الله في كل حال ، ونتيجة المراقبة كمال الطاعة لله ﷻ، والبعد عن المعصية ، وإحسان العبادة له جل جلاله ، وحراسة الخواطر عن الأفكار الرديئة، والإرادات الفاسدة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

هذا اللسان إناء للكلام، فلا يتكلم به العبد إلا بأحسن شيء ، أحسن شيء هو الذكر والدعاء ، والحمد والتسبيح ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

وجميع هذه المعارف تزيد الإيمان في القلب ، وتُثمر للعبد كمال التعظيم لله ﷻ، والذل له ، والحب له ، والحياء منه ، وتعلق القلب به ، والشوق إليه.

فنحن الآن نتكلم عن الله عز وجل، ونتكلم عنه لنرضيه ويرضينا، ونجلس الجلسة التي يحُبها الله، ونتوجه إلى الله ، ونطلب العلم لله، لابد لكل شيءٍ من ترتيب ، الصلاة لابد لها من وضوء ، وكل عملٍ لابد له من ترتيب: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النمل: ٩١].

والنبي ﷺ كان خُلقه القرآن ، والله ﷻ أكمل لنا الدين ، وطبقه النبي ﷺ على خير

القرون ، فالقرن الأول هم أصحاب النبي ﷺ وهم الطبعة الأولى التي لا يماثلها طبعة في العالم .

فلنقتدي بالصحابة الذين أخذوا العلم مشافهة من النبي ﷺ، وأخذوا العمل والأخلاق مشاهدة من النبي ﷺ، وعاشوا عيشة النبي ﷺ، وانتقلت صفاته إليهم، وتوزعت فيما بينهم ، هؤلاء هم القرن الأول، أبر هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه ، فلنعرف لهم فضلهم، ونقتدي بهم رضوان الله عليهم: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فأعظم المعارف ، وأول المعارف ، وأكبر المعارف وأوجب المعارف معرفة الله جل جلاله حتى يأتي الوجل إذا سمعنا اسم الله ، يأتي الوجل ، ويأتي الخوف ، ويأتي الحب لله في هذا القلب ، ويحصل التوكل عليه ، والأنس به ، والفرار من الخلق إليه ، وتوحيده ، وإخلاص العمل له ، وحُسن عبادته : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤] .

وكلما قويت هذه المعرفة استنار القلب بنور العلم والإيمان ، هذا القلب إذا دخل فيه العلم الإلهي اتسع وانشرح، وأصبح ميداناً واسعاً لجميع أنواع الطاعات والعبادات ، يقوم بها تعظيمًا لله ، وحبًا له ، وذلًا له جل جلاله: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزمر: ٢٢].

فإذا اكتملت في الإنسان هذه المعارف، استنار قلبه بنور العلم والإيمان ، ورأى بهذا النور عظمة ربه ، أول ما يرى عظمة ربه ، عظمة هذا الخلاق العظيم جل جلاله الذي خلق السماوات والأرض ، وخلق الإنس والجن ، وخلق الملائكة والروح ، وخلق الليل والنهار ، وخلق عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وخلق كل

شيء جل جلاله : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢] .
هذا القلب إذا امتلأ بهذه المعارف رأى المخلوقات وتجاوزها إلى الخالق ، ورأى الصور وتجاوزها إلى المصور ، ورأى الدنيا وتجاوزها إلى الآخرة.
فبهذه المعرفة يشتاق العبد للعمل، ويُحب العمل ، أين العمل ؟ العمل هو عمل النبي ﷺ ، فيقتدي بالنبي ﷺ في طريقة حياته التي كانت في مدة ثلاث وعشرين سنة .

- **وحياة النبي ﷺ يجمعها ثلاثة أمور :**

طريقة الحياة.. فرائض الحياة . . مقصد الحياة .
فطريقة الحياة أن تقتدي به في كل سنة جاء بها، وفرائض الحياة أن تقتدي به في أداء الفرائض والواجبات والحقوق، ومقصد الحياة هو الدعوة الى الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٤٨﴾ [الأحزاب: ٤٥ –٤٨].
نقتدي به ﷺ إذا عرفنا المعبود الذي أرسله ، والعظيم الذي بعثه، الدين الذي جاء به، نقتدي به ، ولا نتجاوز ما جاء به ﷺ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

- **نقتدي به ﷺ في خمسة أمور :**

في نيته وفكره.. وفي توحيده وإيمانه.. وفي أقواله الحسنة.. وفي أعماله الصالحة.. وفي أخلاقه العظيمة.
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾
[الأحزاب/ ٢١] .
فأول ما يرى العبد بهذا النور عظمة ربه وجلاله ، وإنعامه وإحسانه ، ولطفه ورحمته ، فيعظم الإقبال على عبادة ربه، واستسلامه لشرعه، ولزومه لأمره ، وبعده عن نهيه ، وتجديده لتوحيده ، وأنسه بمناجاته جل جلاله.
فالله عظيم يُحب أسماءه الحُسنى ، ويُحب صفاته العلا ، ويُحب ظهور أثارها في خلقه ، فالله يُحب أن يرانا متصفين بالصفات التي يحبها جل جلاله ، فهو جل جلاله

واحد يُحب التوحيد، وأهل التوحيد ، وهو العليم الذي يُحب العلم، وأهل العلم ، وهو الجميل الذي يُحب الجمال وأهل الجمال ، وهو المؤمن الذي يُحب الإيمان، ويُحب المؤمنين ، وهو الشكور الذي يُحب الشُكر، ويُحب الشاكرين، وهو الكريم الذي يُحب الكرم، وأهل الكرم ، وهو البَر الذي يُحب البر، وأهل البِر ، وهو العفو الذي يُحب العفو، ويُحب أهل العفو، وهو الرحيم الذي يُحب الرحمة، ويُحب أهل الرحمة، وهو المحسن الذي يحب الاحسان، وأهل الإحسان، وهو التواب الذي يحب التوبة، ويحب أهل التوبة.

فلنأخذ من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة بنصيب وافر: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فمقصود الله من خلقه تحصيل صفاته، وعبادته بموجبها: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

والله يريد منا أن نكون ربانيين، ونأخذ بأحسن الأسماء، وأحسن الصفات، ونعبد الله ﷻ بموجبها: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

- **ودين الله ﷻ مجموع في أمرين:**

عبادة الحق.. والإحسان إلى الخلق .

عبادة الحق كما ينبغي لجلاله وعظمته ، وعظمة أسمائه وصفاته ، فكيف إذا إنضاف إلى ذلك إنعامه وإحسانه ، وكرمه وجوده جل جلاله هذا يزيد الإيمان ، فنعبد الله عبادة حُرٍ يعرف الكريم ، ويعرف العظيم ، ويعرف القوي ، ويعرف القادر القاهر ، ويعرف العفو ، ويعرف الرحمن ، هذه العبادة هي عبادة السابقين : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-١١] .

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ

يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

هم عرفوا الله بأسمائه وصفاته فعبدوه ؛ لأنه أهلٌ أن يُعبد، وأهلٌ أن يحُمد ، وكيف يعبدونه ؟ لن يعبدوه كما يجب إلا إذا عرفوه حقًا ، وإذا عرفوه حقًا أثنوا عليه حقًا، وكبروه حقاً، وعبدوه حقًا ، وشكروه حقًا ، فلابد أن نتعرف نحن على أسمائه وصفاته جل جلاله حتى نعبد الله بموجب هذه الأسماء والصفات: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

والله ﷻ رحمن رحيم ، ومن رحمته أن أرسل إلينا الرُسل لدعوة الخلق لتحصيل هذه الصفات التي هي مراد الله من خلقه ، وتوحيده وعبادته بموجب ذلك ، والله ﷻ هو الكريم الذي يهب لعباده هذه الصفات، ويجازيهم بالثواب العظيم ، فهو أعطانا، وهو الذي يُثيبنا ، يجازينا بالثواب العظيم بحسب ما فينا من هذه الصفات التي يحبها الله .

أنا أقول : الله عظيم ، الله كريم ، والله عفو ، والله لطيف ، والله رزاق ، والله عليم ، ولكن أين حظي من هذه الأسماء ؟.

الله يريد أن أتعرف على أسمائه وصفاته، ثم أعبده بموجب هذه الأسماء ، هو عفو أنا لابد أن أعفو، هو رحمان لابد أن أكون رحيماً، هو كريم لابد أن أكون كريماً، كريم بلساني بالدعوة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كريمٌ بمالي ، كريمٌ بأخلاقي ، فلابد من عبادة الله ﷻ بهذه الأسماء والصفات ، ومحاسنة الخلق كذلك بها ، فالله يعفو عني أنا لابد أن أعفو عن غيري ، الله أكرمني لابد أُكرم غيري من الناس ، الله حليمٌ عليَّ لم يعاجلني بالعقوبة لابد أن أحلم على الناس ، الله رزقني لابد أن أرزق الناس ، الله أحسن إليَّ لابد أن أُحسن إلى الناس ، فالدين أمران عظيمان ، والقرآن يدور على هذين الأمرين العظيمين .

عبادة الحق.. ومحاسنة الخَلق.

بأي شيء أحاسن الخَلق ؟ بهذه الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، نتعامل بها مع الخلق حتى الله ﷻ يحُبنا: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ

وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾
[النساء: ٣٦].

فالله ﷻ يدعونا إلى كل خير، وإلى كل فضيلة : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤] .

والله ﷻ حكيمٌ عليم ، لا يفعل ولا يشرع من الأحكام إلا ما هو مقتضى أسمائه الحُسنى، وصفاته العلا ، ويريد مني أن أتصف بهذه الصفات ، أفعاله جل جلاله كلها دائرة بين العدل والإحسان ، والحكمة والرحمة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

فالله يأمر بالعدل في كل شيء، والإحسان أحب إليه من العدل، والإحسان أن أعطي الحق الواجب عليَّ وأزيد عليه ، أن أصبر على الأذى ، أن أصل من قطعني ، وأعطي من حرمني، وأعفو عمن ظلمني ، وأُحسن إلى من أساء إليَّ ، فالله ﷻ مُحسن، ويُحب المحسنين، والله ﷻ حكيم يضع الشيء في موضعه ، وأنا كذلك لابد أخذ حظي من اسم الحكيم فأكون حكيمًا، وأضع الشيء في موضعه ، وكذلك الرحمة وغيرها من الصفات التي يحبها الله ﷻ.

التعبد لله ﷻ باسم الله والإله

- **أفعال الله ﷻ كلها دائرة بين أربعة أمور :**

العدل.. والإحسان.. والحكمة.. والرحمة .

ولابد أن يكون لي حظ من هذه الأمور الأربعة وإلا ما عبدت الله ﷻ بموجب أسمائه وصفاته ، وأخبار الله ﷻ كُلها حقٌ وصدق ، وأوامره ونواهيه كُلها عدلٌ وحكمة: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥].

وأفعاله ﷻ كلها رحمة وإحسان : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل/ ٩٠] .

فما هو نصيبي من هذه الأسماء الحسنى ؟ وما هو نصيبي من هذه الصفات العلى ، فالله أخبرنا بذلك لنتصف بذلك ، فمعرفة ذلك تورث العبد قوة في الإيمان، وزيادة في اليقين ، وحمدًا للرب ، وصدقًا في التوكل على الله ، هذه نعمة كبيرة أن الله ﷻ مَن علينا بهذا الدين العظيم، أخباراً وأحكاماً وأخلاقاً.

أولًا : خلقنا الله في أحسن تقويم ، ومَن علينا بالصحة والعافية ، ومَن علينا بإرساله نبيه ﷺ ، ومَن علينا بهذا الدين العظيم : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

والله ﷻ يُحب أسماءه وصفاته ، ولهذا أظهرها في كتابه، وأظهر آثارها في جميع مخلوقاته في السماوات والأرض ، أظهرها في القرآن الكريم ، وأظهر أثارها في جميع مخلوقاته في السماوات والأرض، وفي الدنيا والآخرة، ويُحب كذلك ظهور أثارها فيمن اصطفاه من خلقه وهو آدم ﷺ وذريته، والله يُحب أن تظهر هذه الصفات أعظم في آدم وذريته .

فقد خلق الله ﷻ آدم ﷺ على صورته أسماء وصفات ؛ لأن الله ﷻ ما يخلق إلا أحسن شيء ، وأعظم شيء ، وأفضل شيء ، هو الذي خلق وأحسن جميع ما خلق ، فالله خلق آدم أول ما خلقه أسماء وصفات ، خلقه على صورته أسماء وصفات ، موصوفًا

بأسماء العبودية من ذلٍ وخضوعٍ ، وضعفٍ وعجزٍ ، وفقرٍ ومسكنة ، هذه صفات العبودية في آدم وذريته.

وموصوفًا كذلك بصفات الربوبية من الكِبر والجبروت ، والعزة والقوة ، والمشيئة والإرادة ، هذه أسماء ربوبية موجودة في آدم ، ففيه صفات عبودية ، وفيه صفات ربوبية ، والله ﷻ حكيمٌ عليم في خلقه وأمره ، من علم أنه يصلح من الناس للهداية والجنة تولاه ورباه ، فكفاه شر نفسه، وهداه لاستعمال أسماء الربوبية، وصفات الإلوهية، وفق ما يحُبه الله ويرضاه مع ربه، ومع الله، ومع أولياء الله وأعدائه ، يهديه لاستعمال هذه الصفات ؛ لأن الله خلق الإنسان وخلق صفاته: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين: ٤ –٨].

هذه الصفات الموجودة فيه صفات عبودية، وصفات ربوبية ، فمن علم الله أنه يصلح وليًا له، ودخول الجنة الله ﷻ يوفقه لاستعمال هذه الصفات معه، ومع أوليائه، ومع أعدائه ، كيف ذلك ؟

يسلخ الله ﷻ عن عبده المؤمن أسماء وصفات الربوبية مع ربه أولًا ، يسلخ صفات العزة والجبروت والكبرياء، يسلخ هذه الأسماء والصفات مع ربه ، ويوجهها منه إلى أعدائه، فيحارب أعداء الله بالعزة والجبروت ، والقوة والغلظة والشدة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم: ٩].

ثم يوجهه بصفات الإلوهية والعبودية إليه ، ويستعمله بها بين يديه ، فتراه خاشعًا ، ذليلًا ، منكسرًا ، محبًا لربه ، معظمًا له ، مستذلًا له ، تظهر فيه صفة الفقر والحاجة، والخوف والرجاء، والتوكل وغير ذلك من سمات العبودية.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ أن النبي ﷺ قال : «**خَلَقَ اللهُ ﷻ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا**» متفق عليه(١) .

فآدم خلقه الله على صورته أسماء وصفات ، فالله ﷻ يريد من هذا الإنسان أن تطابق صفاته صفات ربه ، ولكن على شاكلة العبودية ، فالحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تُعد ولا تحُصى أن بين لنا هذا الدين ، ودلنا على ما يرضيه وما يُسخطه ،

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٦٢٢٧، واللفظ له ، ومسلم برقم: ٢٨٤١.

وعرفنا بالصراط المستقيم الموصل إليه، والذي نسير إليه إذا سلكناه ، وبين لنا ذلك في الدنيا ، وأظهر لنا كل ما يحبه ويرضاه، وكل ما يبغضه ويكرهه﴿ لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٢].

فالله سميعٌ لأقوالنا ، عليمٌ بأفعالنا، ما أمر بشيء إلا أعان عليه، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه.

ولله الحمد كثيرًا على أسمائه الحُسنى ، وصفاته العلا ، وأفعاله الحميدة ، ونعمه العظيمة ، ودينه الحق : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧] .

وله الحمد كثيرًا أن نهج لنا سبيل معرفته بما كشف لنا عن حقيقة عجزنا عن بلوغ كنهه جل جلاله ، فأكمل خلقه معرفةً به أعلمهم بأنه لا نهاية لمعرفته ، ولا إحاطة لأحدٍ بأسمائه وصفاته ، ولا إدراك لأحدٍ لكنهه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٣] .

وله الحمد كثيرًا طيبًا مباركًا أن رفع لنا أعلام الهداية إلى توحيده ، وعظيم وجوده جل جلاله، وعظمة جبروته في هذا المُلك العظيم ، وهذا المُلك والملكوت ، وهذه السماء ، وهذه الأرض ، وهذه الجبال ، وهذه البحار ، كلها أعلام للهداية إلى توحيده، كلها تشير الى عظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، وأظهر لنا هذه المخلوقات وفي كل يوم يُظهر لنا من آياته ومن مخلوقاته ما يدلنا عليه جل جلاله : ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٥٣] .

ولله الحمد كثيرًا طيبًا مباركًا ملء السماء، وملء الأرض ، وملء ما بينهما، وملء كل شيء، أن جعلنا من خير أمة أُخرجت للناس ، هذه نعمة عظيمة، وأنار لنا الدليل على الإلهية والعبودية بما فطر القلوب على الوله له ، والحب له ، والتعظيم له ، والأنس به : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم/ ٣٠] .

نعمة كبيرة أن من الله علينا بمعرفته ، وفطر القلوب على معرفته والتعلق به ، هذه

نعمة عظيمة أن أتصل بالكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعله، أتصل بالعظيم ، أتصل بالرازق ، أتصل بالشافي ، أتصل بالعليم ، أتصل بالغفور، أتصل بالحليم.

الله ﷻ خلق في هذه الإنسان فطرة تسمو إلى التعلق بالأعلى، والأكرم، والأكمل ، والأعظم ، والأكبر ، فلا يسعد هذا القلب إلا بمعرفة الكبير ، العظيم ، القوي ، القادر ، الذي ليس له مثيل ولا شبيه، وهو الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨].

لابد أن تمتلئ القلوب بمعرفة الله ﷻ، فهو القوي الذي له القوة التي لا تُرام ، العزيز الذي له العزة التي لا تُضام ، الجبار الذي له الجبروت الذي لا يُسام ، الحاكم الذي له السلطان الذي لا يُغلب ، الملك الذي لا نهاية لمُلكه ، الكريم الذي لا نهاية لكرمه ، الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

فالله ﷻ أظهر لنا هذه الأسماء حتى نتخلق بها ، ونعرف أن الله ﷻ كاملٌ في ذاته وأسمائه وصفاته، وأفعاله، فلا نلتفت إلى غيره، بل نتعلق به وحده، فالله يريد من معرفة اسم الملك أن نملك جوارحنا، ونطيع الله، ونكف عما حرم الله ، نملك شهواتنا حتى لا تنفلت كالحيوانات ، ونملك هوانا حتى لا يتحول عن مراد الله ﷻ.

والله ﷻ يريد من إظهار أسمائه وصفاته وأفعاله أن نعرفه، وأن نعبده بهذه الصفات ، وأن نتعامل بها مع الخلق .

لابد أن نُقدر الله حق قدره، ولا يمكن أن نُقدر الله ونعظمه إلا إذا عرفناه ، فهو الملك القادر على كل شيء ، القهار الذي قهر كل شيء، القوي الذي لا يُعجزه شيء ، الواحد الأحد ، المحيط بكل أحد ، القاهر لكل قاهر ، القوي الذي يُمسك السماوات والأرض أن تزولا ، سبحان الله ما هذه العظمة ! يُمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ويُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، الكبير الذي له الكبرياء في السماوات والأرض : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ

﴿ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

هذا هو الملك حقًا ، الكبير حقًا ، الذي يستحق العبادة حقًا.

وهو سبحانه العليم بكل شيء، عليمٌ بكل شيء، لا يعزُب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، لابد أن يعلم القلب أن الله عليمٌ بكل شيء، سميع بصير بكل شيء، حتى لا يعصي الله سراً أو علانية، فالله عليمٌ بكل شيء.

يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ذرات الرمال ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد المخلوقات ، وعدد الكلمات ، وعدد الأقوال ، وعدد الأفعال ، وعدد الأنفاس ، وعدد الأرواح : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ﴾ [السجدة/ ٦-٧] .

هو سبحانه علام الغيوب الذي لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء ، هو السميع البصير العليم بكل ذرة في مُلكه العظيم ، يعلم ماذا في قلوبنا الآن ، وما لم يكن في قلوبنا وسيكون غدًا أو بعد غدٍ ، لا تواري منه سماءٌ سماء ، ولا أرضٌ أرضاً، ولا جبلٌ ما في وعره ، ولا بحرٌ ما في قعره ، ولا ليلٌ ما في ظلمته، عليم خبير لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء ، جميع المخلوقات مكشوفة أمام رب العالمين ، حجمها ولونها ، وأقوالها وأفعالها ، وظاهرها وباطنها: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١ ﴾ [يونس/ ٦١] .

فسبحان من وسع علمه الأشياء ، ووسع سمعه الأشياء ، ووسع بصره الأشياء ، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

هو الملك الحق العليم بخفيات الأمور ، الخبير بما تُكنه الصدور ، البصير بمحجوبات الغيوب ، الكون فيه غيبُ وشهادة ، ونحن اطلعنا على ذرة من عالم الشهادة وباقي الشهادة والغيب ما نعلمه ، من الذي يعلمه ؟ هو الله علام الغيوب : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

عنده مفاتح الغيب ، وعلم الدنيا، وعلم الآخرة ، ما في السماوات السبع، وما في الأراضين السبع، لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر كله ، وما في البحر كله، وما في الجو كله، من المخلوقات والذرات ، وما تسقط من ورقة في الأرض إلا يعلمها ، ولا حبة في في ظُلمات الأرض إلا يعلمها هو وحده جل جلاله : ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

الله كتب وقتها ومكانها ؛ لأنه محيطٌ وعليمٌ بكل شيء.

هو الحي القيوم الذي لا ينام ، الحي القيوم الذي كل شيء قائمٌ بأمره ، وخاضعٌ لسلطانه ، هو الحي الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، العلي الذي كل شيءٍ دونه ، الحكيم الذي أحكم الأمور ، الخبير الذي أتقن كل شيء صنعه ، الفتاح الذي بيده مقاليد الأمور كلها ، الرزاق الذي جميع الخلائق تأكل من خزائن رزقه ، القريب الذي يسمع ويرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

فالله مستوٍ على عرشه، ويرى جميع الذرات في مُلكه.

هو سبحانه عالم الغيب والشهادة ، العليم الذي لا ينسى من ذكره ، ولا يخيب من رجاه ، ولا يرد من دعاه ، ولا يعذب من والاه ، هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ، الذي خلق الرحمة في كل راحم ، وخلق الإحسان في كل محُسن : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢] .

فالله سبحانه هو الكبير وحده لا شريك له ، ذو العزة والجبروت ، والمُلك والملكوت ، والكبرياء والجلال ، والعظمة والجمال، له الحمد كله في الدنيا والآخرة على أسمائه الحُسنى، وصفاته العلى، ونعمه السابغة ، وإحسانه العظيم، ودينه القيم : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧] .

فالله سبحانه هو القوي القادر ، الديان فلا يُدان ، الملك الحق فلا تُضرب له

الأمثال ، له المُلك كله جل جلاله ، وله الخلق والأمر كله ، وله الحمد والشكر كله ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله، له جل جلاله الأمر النافذ فلا يُبدل القول لديه ، وله الحُجة البالغة فلا تتوجه الحُجج عليه ، وله الربوبية المطلقة فكل الخلائق مفتقرون إليه ، وله خزائن كل شيء فجميع المخلوقات مضطرة إلى ما لديه : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١] .

هذه المخلوقات ، وهذه الأرزاق ، وهذه الكائنات، كلها ذرة مما في خزائنه ، وجميع ما في خزائنه ذرة مما عنده جل جلاله ، فالله يُظهر من غيبه إلى خزائنه ، ويكشف من خزائنه لخلقه كل يوم ما شاء، ويوم القيامة الله ﷻ يكشف لنا من أسمائه وصفاته ما لا نعلمها الآن ، ويكشف لنا من خزائنه ما لا نعلمه الآن ، فالإنسان يدرج تدريجيًا من بطن أمه، إلى بطن الدنيا ، إلى بطن القبر ، إلى روضة من رياض الجنة، أو إلى سجن من سجون جهنم ، نسأل الله السلامة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].

هو جل جلاله الملك الحق الذي خضعت المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي لعظمته ، وذل جميع الأقوياء لجبروته ، وخشعت جميع الأصوات لهيبته.

وجميع المخلوقات في السماوات والأرض مسبحة بحمده، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته وخاضعة لأمره جل جلاله : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

هذا هو ربنا ، هذا هو إلهنا ، هذا هو معبودنا ، له الأسماء الحُسنى والصفات العلى والأفعال الجميلة ، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٣ – ٤٤].

فمعرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله من أفضل الأعمال ، ومن أفضل العلوم، وهي الدرس الأول، والدرس الكبير الذي يجب على الإنسان أن يتعلمه في كل يوم، ليعرف أسماء ربه الحُسنى، ويعبده بمقتضاها: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

والله كريم دل عباده بأفعاله على صفاته ، ودلهم بصفاته على أسمائه ، ودلهم بأسمائه

وصفاته وأفعاله على ذاته ، فقال : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨] .

فمعرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته، وأفعاله، وظهور أثارها في حياتنا، هي مقصود الرب من خلقه.

لابد أن نجلس في هذه المجالس الإيمانية بالافتقار والخضوع والانكسار بين يدي الله، وأننا أحوج الخلق لمثل هذا الكلام ، نحن نحضر لأننا من أعظم الفقراء إلى الله ، نفتقر إلى معرفته بأسمائه وصفاته ، ونفتقر إلى نعمه وإحسانه ، ونفتقر إلى ثوابه وجزيل إنعامه جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

لا طمأنينة للقلب إلا بذكر الله ﷻ، ولن نذكر الله كثيرًا، ونسبحه كثيرًا، ونعبده حقًا، إلا إذا عرفناه بأسمائه وصفاته وافعاله، فإذا عبدناه بموجب هذه المعرفة نتحصل على ثمرات وأرباح عظيمة، أرباحٌ في الدنيا، وأرباحٌ في الآخرة :

أما الأرباح في الدنيا فهي معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ووعيده ، فتلك تملأ القلب بالتوحيد، وتنشرح صدورنا بالإيمان ، وتطمئن قلوبنا بذكر الله ، والأنس بالله ، ودوام ذكره وشكره ، وحُسن عبادته ، وطاعة الله ورسوله ، ومحبة الله ورسوله ودينه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨] .

وقال عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد/ ١٦] .

إلى متى ينتظر الإنسان وهو يعبد الله بجسده لا بقلبه ، روح الصلاة الخشوع ، وروح جميع العبادات أن نذكر العظيم، ونُكبر العظيم ، ونتعلق بالعظيم ، ولا نلتفت إلى ما سواه ، قلوبنا مُعلقة به ، نفر إليه من كل شيء : ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١] .

وقال عز وجل: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر/ ٣٦] .

كافٍ عبده في الرزق ، وفي المال ، وفي العلم ، وفي الصحة ، وفي الأمن ، وفي كل شيء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

لا نلتفت إلى غيره، ولا نتوجه إلى سواه ، نتوجه إليه وحده جل جلاله ونتوكل عليه وحده: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣] .

فنتوكل عليه في كل شيء، ولا نقف، بباب المخلوق الفقير العاجز المحتاج ، بل نقف بباب الخالق، القادر، الغني ، الكريم ، نقف في باب من له الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، العقل قد يعقل هذا ، ولكن متى يتأثر القلب بهذا ؟ ومتى يتحول إلى حياة عملية ؟ .

نقف بين يدي الله ولا نسأل إلا هو ، ولا نتوكل إلا عليه ، ولا نُحب إلا هو ، ولا نخاف إلا منه ، ولا نرجو إلا إياه ، لابد أن يظهر هذا في حياتنا، فلكل عبد حظ من أسمائه الحُسنى جل جلاله ، فهذه المعرفة تولد في القلب التوحيد الكامل ، وتشرح صدره بالإيمان ، وتنزل الطمأنينة في القلب ، ويستأنس الإنسان بربه ، ويُكثر من ذكره وشكره والثناء عليه ، ويُكثر من عبادته بأنواع الطاعات ، ويزداد محبة لله، وحمدًا له، وخوفاً منه، ورجاءً له، وهذه هي جنة المعرفة في الدنيا، وهي أعظم من جنة الآخرة، لأنها متعلقة بمعرفة الله وعبادته: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٤].

أما أرباح وثمار هذه المعرفة في الآخرة فهي عظيمة لا تخطر على البال ، من أولها دخول جنة الفردوس ، ثم النظر إلى وجه ربنا الكريم وهذا أعظم شيء ، والقُرب من الرب ، وسماع كلامه ، والفوز برضاه ، والنجاة من سخطه وعذابه ، والخلود في نعيم الجنة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢].

أرباح هذه المعرفة في الدنيا عبادة الله، وانشراح الصدر بطاعته، وامتلاء القلب بالتوحيد ، والإكثار من ذكره وعبادته بأنواع الطاعات ، أما في الآخرة فهذه المعرفة ثمرتها دخول جنة الفردوس ، والنظر إلى وجه ربنا الكريم : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣] .

ننظر إلى وجه ربنا الكريم ، وجه ربنا العظيم ، وجه ربنا الرحمان جل جلاله.
فوجوه المؤمنين نضرة جميلة حسنة ؛ لأنها في الدنيا تجملت بالإيمان، والتقوى، والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة، فهي ناضرة جميلة ، ناظرة بأبصارها إلى ربها.
والقرب منه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .
وسماع كلامه : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨) ﴾ [يس/ ٥٨] .
نسمع الله وهو يتكلم، ونراه بأسمائه وصفاته، ونقترب منه ونحبه، بقدر قُربنا منه في الدنيا بالايمان والعمل الصالح نحن نقترب منه يوم القيامة، وبقدر قربنا منه في الدنيا هو يتقرب إلينا :
« **فإنْ ذَكَرَني في نفْسِهِ ذكرتُهُ في نَفْسي ، وإِنْ ذَكَرَني في مَلأٍ ذَكرتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ منهمْ ، وإنْ تَقرَّبَ إليَّ بِشِبْرٍ ، تَقرَّبتُ إليْهِ ذِراعاً** » متفق عليه (1) .
وكذلك نفوز برضاه جل جلاله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ (٧) جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ (٨) ﴾ [البينة: ٧ – ٨].
والنجاة من سخطه وعذابه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

- **وفلاح المؤمن في الآخرة بأمرين:**

الفوز بالجنة.. النجاة من النار .
فدخول الجنة هذا فلاح ، والنجاة من النار فلاحٌ أخر فوق هذا ، والخلود في نعيم الجنة ، في شباب بلا هرم، وحياة بلا موت ، ونعيمٌ بلا بؤس ، هذا هو النعيم ، وهذا هو الذي يجب أن نعمل من أجله ، ونتوجه إلى الله ﷻ في كل أحوالنا ، ونجعل كل الحياة عبادة لله ﷻ في جميع نياتنا وأقوالنا وأعمالنا وحركاتنا ، في جميع أحوالنا نحول الحياة كلها إلى عبادة لله ﷻ: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ (١٣٨) ﴾[البقرة/ ١٣٨] .

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم:٧٤٠٨، واللفظ له ، ومسلم برقم: ٢٦٧٥.

الله ﷻ أنزل من الأوامر الشرعية بقدر الحركات التي تصدر من هذا الانسان في هذه الحياة ، والأعمال بالنيات، والنية تجارة العلماء ، فننوي نيات كثيرة، حتى نتحصل على أجورٍ كثيرة ، فأرباح وثمرات وأجور هذا العلم الإلهي عظيمة وكبيرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف: ١٠ – ١٣].

هذه المعرفة هي أعظم المعارف، فهي الجالبة لتعظيم الرب ومحبته ، وهي الفاتحة لباب الطاعات والقُرب من الله ، وهي الواقية من المعاصي والذنوب ، وهي الدافع للشرك والريب ، وهي المُعين على الصبر ، وهي السلوان في المصائب ، وهي الحرز الحامي من الشيطان ، وهي المحرك لهذا البدن للبذل والعطاء والإحسان : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

فلا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يحصي أحدٌ ثمار هذه المعارف إلا هو ، ولا يذوق حلاوتها إلا من علمها، واتصف بها، وعبد الله بمقتضاها ، ودعا الخلق إلى معرفتها، والتعبد لله بموجبها ، فنسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم ذلك: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة: ٤].

هذه هي جنة المعرفة في الدنيا، الموصلة إلى جنة الاخرة يوم القيامة، جنة المعرفة معرفة الله ، ومعرفة أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ووعيده ، وبموجب هذه المعرفة تأتي أمور عظيمة، ويتحصل الإنسان على أرباح عظيمة، وتأتي في القلب عظمة الرب ومحبته، وينفتح للعبد باب الطاعات، والقُرب من الله ﷻ، ويتحصل الإنسان على الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة.

وكل اسم من أسماء الله ﷻ يقتضي أثاره من الخلق والأمر ، فاسم الله الملك يقتضي مُلكًا وتصرفًا ، اسم الله الملك يقتضي أن يكون لهذا المَلك مُلكاً، وأن يكون له تصريف وتدبير لهذا المُلك ، فأنا يكون حظي من هذا الاسم أن أعيش ملكاً، وأملك جوارحي، وأقيد شهواتي عن معصية الله ، وأسَخِّر ما أملكه في طاعة الله، أكون ملكاً

أُملك الناس السُنن والآداب، والأخلاق والفضائل ، أُحسن إلى الناس، أُربي الناس ، أرفق بالناس، أُعلم الناس، أرحم الناس، أعفو عن الناس، فالملك مسئولٌ عن رعيته، وأنا إذا الله ﷻ أعطاني من هذه الصفة فيجب علي أن ما ملكني الله أُملكه لغيري: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

الله ﷻ اسمه الملك، وهذا يقتضي أن يكون له مُلكٌ عظيم ، مُلك السماوات وما فيهن ، ومُلك الأرضين وما فيهن، ومُلك الدنيا ، ومُلك الآخرة ، ومُلك جميع الذرات في العالم ، فلننظر إلى عظمة المَلك وإلى عظمة مملوكاته ، هو الذي خلق الملوك، وقسم الأملاك جل جلاله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١].

واسم الله الخالق يقتضي خلقًا ومخلوقًا ، اسم الخالق يقتضي أن يكون له خلق ، وكل ما سواه مخلوق ، مربوب ، كل هذه الخلائق خلقها الله ﷻ باسمه الخالق.

فالله خالق كل شيء:

خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض وما فيهن، وخلق الجماد والنبات، وخلق الحيوان والطير، وخلق الجن والانس، وخلق الملائكة والروح: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠١ – ١٠٢].

والملائكة لكمال معرفتهم بالله جل جلاله يسبحون الليل والنهار لا يفترون: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ۝٣٨﴾ [فصلت/ ٣٨] .

فالملائكة يسبحون الله بالليل والنهار، لا يسأمون من كمال معرفتهم بالله.

فنحن النقص الموجود عندنا هوالجهل بأسماء الله وصفاته، وأفعاله، مما أدى إلى القعود عن العبادة، وإلى عدم تقدير الله ﷻ وتعظيمه جل جلاله ، فهذا نقص عظيم ولد الخروج من الطاعة إلى المعصية ، والخروج من الأوامر الإلهية إلى الشهوات الحيوانية ، والخروج من بيئة الذكر إلى بيئة الغفلة ، فلابد أن نعود إلى الله ، لن نعود إلى الله إلا إذا جلسنا هذه المجالس الايمانية، وعرفنا المعبود جل جلاله بأسمائه

وصفاته وأفعاله، ثم بعد ذلك نخشى الله ونتقيه، ونعبده ونطيعه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

واسم الله التواب يقتضي توبةٌ تُقبل، ويقتضي وجود عاصٍ لله، وهذا العاصي يتوب ، والله تواب يُحب التوبة، ويُحب التوابين: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

واسمه الغفار يقتضي جناية يفعلها الإنسان، ثم الغفار يغفر له إذا استغفر ربه، فإذا رأينا المعاصي والذنوب لا نقول : كيف الله يفعل هذا ؟ الله ﷻ هو خالق كل شيء ، وأقام الحُجة، وأرسل الرُسل، وأنزل الكتب،.. وأعطى السمع والبصر والعقل، وخيّر الإنسان بين الإيمان والكفر، وبين الطاعة والمعصية، ورغبة في الايمان والطاعة، وحذره من الكفر والمعصية فقال: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣٠].

واسم الله الحكيم جل جلاله يمنع ترك الإنسان سُدىً مهملًا، لا يؤمر ولا يُنهى، ولا يحُاسب ، هو حكيم خلق الملائكة للطاعة التامة، والتسبيح والتقديس ، وخلق الحيوانات لا أمرٌ ولا نهي ، وخلق ابليس وذريته من الشياطين فاختاروا الكفر فالله ﷻ تركهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي.

وخلق هذا الإنسان مركباً من نفسٍ وروح ، روح تحُب فعل الأوامر الالهية، ونفسٌ تحُب الشهوات الحيوانية، فاسمه الحكيم يمنع ترك الإنسان سدى مهملًا : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦ – ٤٠].

فالله ﷻ ما خلق الإنسان بيده إلا لحكمة، يريده خليفة في الأرض، يريد أن تظهر فيه الصفات التي يحبها الله، وجعل كل ما في الكون مسخراً له، لينظر ماذا يفعل ، هل يشكر الله على هذه النعمة ؟ هل يعبد الله إذا تحصل على هذه النعم ؟ هل يتقرب إليه بما أعطاه من النعم ؟ فنحن في دار الامتحان والابتلاء، ثم نصير الى دار الثواب

والعقاب: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[المؤمنون: ١١٥].

واسم الله السميع يقتضي أنه يسمع جميع مخلوقاته في العالم العلوي، والعالم السفلي ، وعالم البر، وعالم البحر، كل مخلوقٍ يسأله ويسبح بحمده، فالله هو السميع الذي يسمع جميع الأصوات على اختلاف اللغات، في جميع الجهات، وفي جميع الأزمان، فاسمه السميع يقتضي أنه يسمع اصوات مخلوقاته، وأسرارهم، وما في قلوبهم: ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٣ – ١٤].

واسم الله البصير يقتضي أنه يبصر جميع المخلوقات صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [الملك: ١٩].

وهكذا الشأن في جميع أسماء الله الحسنى، وكل اسمٍ من أسماء الله الحُسنى له تعبدٌ خاص به، لا يتحقق إلا بمثل هذا النظر والتدبر والتفكر في كل اسمٍ وما يقتضيه ، فهذه أعظم العبادات ، أعظم العبادات الفكر والنظر والتدبر، لأنها هي المولدة لجميع الطاعات البدنية ، وأعظم العبادات عبادة القلوب فهي المحركة لعبادة الجوارح ، عبادة الجوارح يشاركنا فيها المنافقون ، لكن عبادة القلوب خاصة بالمؤمنين: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[الحج/ ٣٢] .

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[المائدة/ ٢٧] .

المتقي هو الذي اتقى بقلبه كل ما يُسخط الله ﷻ، والتقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يجدك حيث نهاك ، نصل إلى هذه الدرجة العالية، بالنظر والتفكر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض ، وفي آيات الله الشرعية : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦ – ٨].

ننظر إلى السماء في رابعة النهار ، وننظر إليها في الليل وننظر إلى النجوم الساطعة، والكواكب التي تجري في السماء ، وهذه الشمس المضيئة، وهذا القمر المنير.

وننظر للأرض وما فيها من المعادن والجمادات، والنباتات والجبال والأشجار، نظر تفكر وتدبر، لا نظر بهيمي كالحيوان يذهب إلى المرعى ليأكل ، ويذهب إلى النهر

ليشرب ، ننظر نظر تفكر وتدبر: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة: ١٦٤].

وإذا نظرنا إلى ذلك عرفنا العظيم الذي خلقها فعظمناه، وأحببناه، فجاء حب الطاعة له، وحب العبادة له، وحب الدعوة إليه.

وهذه الجبال العظيمة من خلقها وأرساها وملائها بالخيرات؟، وهذه النباتات والأشجار من أنبتها وأخرج منها الثمار المختلفة؟: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام: ١٠٢].

أكثر من أربعين مليون صنف من النباتات، كل صنف مُركب من ذكر وأنثى ، النخيل ، والزروع، والفواكه ، والخضار ، وجميع النباتات كلها : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)﴾ [الذاريات/ ٤٩] .

أربعون مليون صنف، هذا فقط عالم النبات ، كيف عالم الحيوان، عالم الجماد؟، كيف عالم النجوم؟، كيف عالم الملائكة؟، كيف من في البحر العظيم؟، كيف ما في الجنة ؟ كيف ما في النار؟، كيف العرش العظيم؟ كيف عظمة العظيم الذي خلق هذه الكائنات العظيمية؟: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [الحشر: ٢٤].

هذا الإله العظيم، هو الرب الكبير، وهو الملك القدير، لابد أن يسمع القلب الكلام عنه باستمرار، حتى يعرف الله، ويعظمه ويكبره، ويحبه ويحمده: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾ [يونس/ ١٠١] .

ليس في مكة إلا الدعوة للإيمان والتوحيد، الدعوة للايمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والدعوة لعبادة الله وحده، والنظر والتفكر والتدبر في آيات الله ومخلوقاته، ليس هناك عبادات جسدية من صلاة أو صوم أو زكاة أو حج، إنما الأوامر كلها في العبادات الكبرى عبادة النظر ، والتدبر ، والتفكر التي تثمر التوحيد : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

معرفة الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله لابد أن تسبق معرفة أوامره وأحكامه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

هذه العبادة من أعظم العبادات أن أتوجه إلى الله، وأنظر في ملكوت السماوات والأرض، وبذلك يدخل الإيمان في القلب بعد رؤية آيات الله ومخلوقاته، ومعرفة أسمائه وصفاته: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

هذه مفاتيج أبواب التوحيد والايمان: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس: ٢٤ – ٣٢] .

هذه مفاتيج أبواب الهداية: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية/ ١٧-٢٢] .

هذه مفاتيج أبواب العلم الالهي: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

هذه العبادات القلبية، عبادات النظر والتدبر والتفكر، والتعظيم والحب لله، وتوحيده والايمان به، هي أعظم العبادات ، ومقصود جميع العبادات الأخرى الوصول إلى هذه العبادة ؛ لأن هذه العبادة هي التي تولد الايمان بالله، تعظيم الله وتكبيره ، وحمده وشكره جل جلاله ، وحبه وحب عبادته، هي التي تولد كل هذا، وهذا هو المقصود ، أن نحب العظيم، ونكبر العظيم ، ونعظم العظيم، ونعبد العظيم، ونحمد العظيم فليس أحد أحب إليه المدح والثناء من الله ﷻ، ولهذا أثنى على نفسه فقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢] .

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر/ ١] .
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام/ ١] .
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف/ ١] .

فنحن ما عظمنا الله حق التعظيم، ولا حمدناه حق حمده، لشدة جهلنا به جل جلاله ، فعندنا نقص كبير في معرفة الله، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، لابد من الاستغفار من هذا الجهل العظيم الذي يولد القعود عن الطاعات ، والإقبال على المعاصي والشهوات، فنستغفر الله ونتوب إليه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٠ -١٨].

وقال النبي ﷺ : «**والله إني لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليومِ أكثرَ مِنْ سَبعين مرَّةً**» أخرجه البخاري(١) .

لكمال معرفته ﷺ بالله ﷻ، فنحن لابد أن نستغفر الله ، نحن أجهل وأجهل بكثير فنستغفر الله من الجهل بالأسماء والصفات ، ونستغفر الله من التقصير في العبادة ، نستغفر الله من التقصير في الدعوة ، نستغفر الله من الوقوع في المعاصي ، ونستغفر الله من أداء الطاعات بدون أدب ، نؤدي العبادات فقط لنكسب الأجر ، أليس الله يستحق العبادة؟ أليس الله يستحق الركوع والسجود ، والتعظيم ، والخشوع ، والخضوع ، والانكسار؟، أليس الله هو الأولى بأن نتوكل عليه، وأن نخاف منه، وأن نُحبه، وأن ندعوه ونعبده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

ألا ما أجهل الخلق بالله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧] .

سبحان الله العظيم ، الكلام عن العظيم عظيم ، وكلما نتكلم عن العظيم لابد أن

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٦٣٠٧.

نجزم باليقين أننا ما تكلمنا عن الله كما ينبغي ، فنستغفر الله ونتوب إليه من كل كلامٍ لا يليق بجلاله ومن كل كلامٍ دونه جل جلاله.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لكمال معرفتهم بالله هم أكمل الناس عبودية ، فمن عبد الله بجميع أسمائه وصفاته هذا لا تحجبه عبودية اسم الله عن عبودية اسم أخر ، فهو يعبد الله بجميع أسمائه وصفاته: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فهذا العبد العارف بالله لا يحجبه التعبد باسم الله القوي والقادر ، عن التعبد باسم الله الرحيم الحليم ، ولا التعبد باسمه البر اللطيف ، عن التعبد باسمه العظيم الجبار ، يرى هذا تارة، ويرى هذا تارة ، يرى في الكون عظمة خلق السماوات والأرض ، ويرى المطر النازل ، ويرى الأرزاق المهيأة لهذا الإنسان ، وهذه المياه العذبة الحلوة ، وهذا الهواء اللطيف ، فهو يشكر الله حينما يرى أثار البر واللطف والرحمة ، ويعظم الجبار حينما يرى عظمته وكبرياءه، وعظمة مخلوقاته: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥ – ٧].

ولا يحجبه التعبد بصفة العطاء ، عن التعبد بصفة المنع ، فهو يرى العطاء إكراماً، والمنع وقاية وحماية، فهو يتعبد بهذا وهذا، لا يحجبه التعبد بصفة العطاء عن التعبد بصفة المنع ، فهو ما منع إلا ليعطي ، منع لنسأله حتى يعطينا ، وقبض لنسأله حتى يبسط لنا ، وأخر النصر لنسأله حتى يأتي بالنصر ، فهو سبحانه ما منع إلا ليعطي، ولا قبض إلا ليبسط ، ولا ابتلى إلا ليعافي، حتى نقف ببابه ونسأله ، وهذه أفضل الطرق، وهي طريقة الكُمل من السائلين من الله ﷻ بهذه المعرفة ، وقد أمر الله بذلك فقال : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

لابد في كل يوم أن أخذ اسماً من أسماء الله وأتعبد به، حتى يكون عندي منسوب من الحلم ، منسوب من الرحمة ، منسوب من العفو ، منسوب من الإحسان ، منسوب من الكرم، منسوب من اللطف، منسوب من الهداية ، أتعبد لله بجميع هذه الأسماء

وغيرها، وأدعو الله بها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

ودعاء الله ﷻ بأسمائه الحُسنى يتناول ثلاثة أمور :

الأول : دعاء السؤال والطلب ، فأقول مثلاً: يا رحمن ارحمني ، يا عفو اعفُ عني .

الثاني : دعاء الحمد والثناء ، أحمد الله ﷻ، فأقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

دعاء الحمد والثناء ، أُثني على الله من غير أن أسأله، يا ربي أنت الغفور ، وأنت الرحمن ، وأنت التواب ، وأنت العزيز.

فنُثني على الله بأسمائه ، فالله يُحب أن نُثني عليه بأسمائه الحسنى جل جلاله.

الثالث: ثم نلتفت إلى أنفسنا لنتخلق بهذه الأسماء على شاكلة العبودية، فارحم الخلق، واعف عنهم.. وهكذا.

- **فدعاء الله بأسمائه الحُسنى ينقسم إلى ثلاثة أقسام :**

دعاء السؤال والطلب.. ودعاء الحمد والثناء.. ودعاء التعبد لله بالاتصاف بها .

وقد فتح الله ﷻ لعباده أبواب معرفته، والتبصر في أسمائه وصفاته وأفعاله، فدعا عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين ، وكل من هذين الطريقين بابٌ واسع في معرفة الرب العظيم، والإله الحميد وهما :

الباب الأول : باب النظر والتفكر في مخلوقاته المشهودة في مُلكه العظيم ، فهي أدل شيءٍ على أسماء الله وصفاته وأفعاله، هذا الكون العظيم بما فيه من الآيات والمخلوقات هي أدل شيءٍ على الله ﷻ وعلى أسمائه وصفاته ، لماذا ؟ لأن هذا الكتاب يقرؤه كل إنسان ، يقرؤه المسلم والكافر ، والصغير والكبير، كلٌ ينظر ويتفكر في كتاب الكون المفتوح، وهذا أوسع كتاب ، وأدل شيءٍ على أسماء الله وصفاته : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس/ ١٠١] .

الباب الثاني : باب النظر والتفكر والتدبر في آيات الله المنزلة المتلوة في القرآن ، وهذا خاص بالمؤمنين : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد/ ٢٤] .

وهذا كتاب عظيم محكم يدل على عظمة الله زأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلى عظمة دينه وشرعه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء/ ٨٢] .

فمن هذا الباب، وهذا الباب، نتعرف على ربنا ﷻ، ثم تأتي العبودية التامة له جل جلاله ، والتعبد لله ﷻ بكل اسم من أسمائه وصفاته هو المقصود من معرفته ، فإذا عرفنا من أسماء الله الحُسنى اسمًا أو أسماء فلابد بعد هذه المعرفة أن تتحول إلى عمل ، تتحول إلى صفة وإلى عمل ، فالله ﷻ وحده هو المعبود بحق ، وهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، وجزيل نعمه وإحسانه ، فمن أيقن أنه لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عبده وحده ، وأطاعه وحده ، وأحبه وحده ، ورجاه وحده ، وخافه وحده: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وعبادة الله ﷻ لا تُسمى عبادة إلا مع كمال الحب لله ، وكمال التعظيم له ، وكمال الذل له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

هذه العبادة إما أن تكون بالقَالب ، أو تكون بالقلب ، أو تكون بالقلب والقَالب، فإيمان القلب لا يتفع إذا لم يتبعه عمل كإيمان ابليس.

وعبادة القَالب لا تنفع ، فالجسد قد يتحرك بالعبادة، ولكن ليس هناك قلب صادق كصلاة المنافقين وصدقات المنافقين ، لابد أن يتواطأ القلب مع القَالب في عبادة الله ﷻ، وبذلك تكون العبادة حقاً بهذه الدرجات الثلاث :

كمال الحب لله ، وكمال التعظيم له ، وكمال الذل له: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

فإذا عرف القلب أن الله ﷻ هو العظيم الذي له الأسماء الحُسنى، والصفات العلا،

والأفعال الحميدة، وهو المُنعم بجميع النعم ودافع جميع النقم ، توجه إلى ربه بالعبادة قلبًا وقالبًا: ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فعبادة الفكر ، عبادة النظر ، وعبادة التدبر، الله ﷻ دعا إليها وأمرنا أن نتفكر وأن ننظر في ملكوت السماء والأرض حتى نصل إلى هذه العبادة العظيمة.

الله ﷻ له في مُلكه مخلوقات عظيمة، وآيات حكيمة، هو الذي: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الروم/ ١٨-٢٠] .

هذه الآيات في خلق آدم وذريته، ننظر هذه البشرية كلها من رجل وامرأة ، آدم وحواء ، وهؤلاء أولادهم ذكورًا وإناثًا، وبيضًا وسودًا، وعربًا وعجمًا ، مؤمنون وكفار، كلهم منتشرون في الأرض ، جُهدنا يجب أن يكون، على هذه البشرية المنتشرة في الأرض ، جُهدنا على قلوبهم بلا إله إلا الله ، وجُهدنا على أجسادهم بمحمد رسول الله، حتى نوصل إليهم أكثر من أربعة آلاف سُنة عن النبي ﷺ ، نوصل لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لقلوبهم ، وكذلك نصبغ أجسادهم بمحمد رسول الله ، يعني بالصفات والأخلاق التي جاء بها محمد ﷺ: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

وإذا عرفتم ذلك عرفتم أنكم مُحدثون ، وأنكم كنتم معدومين فأوجدكم الله : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾ [الإنسان/ ١] .

وإذا عرفتم ذلك عرفتم أنه الخالق ، وإذا عرفتم أنه الخالق فيجب أن تعبدوه : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل/ ١٧] .

ثم فوق هذا لما أوجدكم خلق لكم من أنفسكم أزواجاً، ثم وهبكم الذرية، فلا سعادة للرجل إلا بالمرأة ، ولا سعادة للمرأة إلا بالرجل ، والله يكمل هذه السعادة بالبنين والبنات : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم/ ٢١] .

جميع المخلوقات خلقها الله من زوجين ذكرٌ وأنثى إلا الإنسان فالله خلق آدم، وخلق من أحد أضلاعه حواء ، للدلالة على أن هذا لا يستغني عن هذا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟

رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء/ ١] .

فانتبهوا واعبدوا ربكم الذي خلقكم ورزقكم وهداكم: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل: ٧٢].

هذه عبادة الفكر والتفكر والتدبر ، هذه العبادة هي التي تأتي بسببها جميع الطاعات: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٠ – ٣٣] .

فبالنظر والتدبر في الآيات والمخلوقات أعظم باعث على الإيمان بالله: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

ثم الله ﷻ نقلنا من التفكر في الأدنى إلى الأعلى، أولًا بيَّن خلق الإنسان، ثم بيَّن خلق السماوات والأرض فقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم/ ٢٢] .

في الهند أكثر من سبعمائة لغة ، لغات كثيرة، ولهجات كثيرة، وفقط لسان واحد يتكلم في العالم، وهو لسان الإنسان ، وأما بقية المخلوقات فلها ألسنة، وتستطيع الكلام ولكننا محجوبون عن سماع وفهم كلامها ، الله حبسها عن الكلام ، فهي لا تتكلم ، والمتكلم هو هذا الإنسان الذي جعله الله خليفة الارض يأمر وينهى ، ويدعو ويتكلم بما شاء.

وخلق السماوات السبع من أعظم الآيات، فالله خلق سبع سماوات، وكشف لنا واحدة وهي التي نراها، وأخفى عنا ستًا ، كم فيها من المخلوقات ، وكم فيها من الملائكة ، وكذلك الأرض كشف لنا واحدة، وأخفى عنا ستًا، حتى نعلم أننا لا نعلم إلا ما علمنا الله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ

﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ١١٣﴾ [النساء: ١١٣].
والنوم رحمة من الله ﷻ، يسكن فيه هذا البدن، ويستعد للقيام بعمل آخر بعد النوم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك: ١٥].

وأعظم شيء النوم، إذا جاء الإنسان هو أعظم سلطان، لكن فيه سلطان أقوى منه يقهره وهو الهم، ولا يفرج الهم إلا الله ﷻ؛ لأنه القادر على كل شيء، كم من مهموم لا ينام: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ٢٣ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٤﴾ [الروم/ ٢٣-٢٤].
إذا رأيتم هذا البرق العظيم كم يكشف من الظلمات؟، فكم كشف القرآن من الشبه في قلوبكم، وإذا رأيتم الماء ينزل من السماء فينبت من كل زوج بهيج، فاعلموا أن القرآن نزل من السماء فماذا أنبت في قلوبكم؟ هل أنبت الرحمة، والعفو، والإحسان، والكرم، والتقوى، والإيمان، والصدق؟ هذا إنبات وهذا إنبات.
فسبحان الخلاق العليم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ٢٥﴾ [الروم/ ٢٥].
ينفخ إسرافيل في الصور، فتجتمع جميع الأجساد، وتذهب كل روح إلى جسدها، ثم يقوم هذا الجسد: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر/ ٦٨].
هو الله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٧﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

فسبحان الله ما أعظم شأنه، وما أعظم قدرته وجلاله وجماله.
فلابد للإنسان إذا عرف كل اسم من أسماء الله ﷻ أن يكون له حظ من هذا الاسم، فيتذكر هذا الإنسان أنه كان معدومًا فأوجده الله، وكان جائعًا فأطعمه الله، وكان فقيرًا فأغناه الله، وكان صغيرًا فكبره الله، وكان عُريانًا فكساه الله، وكان ضالًا فهداه الله، وكان جاهلًا فعلمه الله ﷻ، فلله الحمد والشكر على نعمه التي لا تُعد ولا

تحُصى ، لابد للمسلم أن يتعبد لربه ﷻ بموجب أسمائه وصفاته، بأن يعرف نفسه أولًا: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الطارق: ٥ – ٨].

ويعرف ربه كذلك بأسمائه وصفاته، وأفعاله، ويعرف عظمة ملكه وسلطانه، ويعرف عظمة نعمه وإحسانه، حتى يأتي التعبد الكامل، حسب اليقين الكامل، والإيمان الكامل.

وأولًا أيها الإنسان يجب أن تعرف أن الله أوجدك جل جلاله، وأنك كنت معدومًا فأوجدك الله : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ١ – ٣].

أيها الإنسان كنت جائعاً فأطعمك الله ، وكنت فقيرًا فأغناك الله ، كنت صغيرًا فكبرك الله، وكنت عريانًا فكساك الله ، وكنت ضالًا فهداك الله ، وكنت جاهلًا فعلمك الله ، قال الله ﷻ في الحديث القدسي : «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، إِنَّكُمْ تخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.**

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَجِنَّكُمْ وَإِنْسَكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَسْأَلَتَهُ ، فَأَعْطَيْتُهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي ، إِلا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ فِي الْبَحْرِ ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، وَأُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَّ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم (١) .

هذا حديث عظيم، لابد للإنسان أن يأخذه في كل يوم، ينظر إلى هذه الوجبة الإيمانية

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

الإلهية التي تولد عند الإنسان تعظيم الرب وحُبه ، والافتقار إليه، والتوجه إليه ، فهو الملك الذي لا تنقص خزائنه مثقال ذرة مع كثرة الانفاق، مالذي تنقص خزائنه لا يُسمى ملكًا ، ولا يُسمى غنياً، يُسمى فقيراً، لأنه فقد ما أنفق، أما الله ﷻ فهو يعطي بالليل والنهار، ويده سحاء بالعطاء، يعطي جميع الخلائق من خزائنه، ولا ينقص مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر؛ فالمحدود إذا أُخذ من المحدود نقص ، أما المحدود إذا أُخذ من غير المحدود فلا ينقص أبدًا كما هو شأن الله ﷻ : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢] .

فسبحان الله لا تنقص خزائنه مثقال ذرة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤].

فالله ﷻ رحمنا حين أوجدنا وكرمنا وفضلنا على كثيرٍ من مخلوقاته، فيجب أن نعبده ونحبه ونحمده على هذا التكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

هذا القلب لابد أن يتوجه إلى ربه، ويسمع كلام الله ﷻ، بنية العلم والعمل والامتثال، والتدبر والتفكر، وحُسن الطاعة، والدعوة ، فالله ﷻ أعطانا السمع الذي نميز به بين الحسن والقبيح من الكلام، لنسمع به أحسن شيء ، وأحسن شيء ما يحبه الله ورسوله من القرآن، والذكر ، والعلم ، والدعوة ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾

[الزمر: ١٧ – ١٨].

وكذلك الله ﷻ أعطانا البصر الذي نبصر به المخلوقات والآيات الدالة على عظمة أسماء الله وصفاته ، ننظر في الآيات الكونية ، وننظر في الآيات الشرعية.

وأعطانا العقل الذي نميز به بين الخير والشر ، ونعرف به الحق من الباطل، لنعبد من يستحق العبادة بما شرعه من الحق.

وكذلك الله ﷻ أعطانا اللسان الذي يترجم عن ما في القلب، لنستعمله في ذكره وشكره والدعوة إليه.

وأعطانا الجوارح، لنطيع بها الله ﷻ، ونشكر الذي خلقنا وعلمنا وهدانا : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨] .

وليعلم المؤمن أن الله ﷻ جعلنا في قبضة اليمين ، وأقطعنا في الغيب وسام المسلمين، والمؤمنين، والصالحين، والمحسنين ، وشرح صدورنا لعبادته دون غيرنا ، فالله ﷻ هو الذي جعلنا في قبضة اليمين ، وجعلنا مسلمين، ليس بجهد منا بل الله ﷻ من علينا : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/ ١٧] .

فنحمد الله ﷻ أن عصمنا عن عبادة العبيد ، وأعتق قلوبنا عن الذل لرق العبيد ، ووجه وجوهنا إلى الله العزيز الحميد: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧] .

فما يجب علينا ؟ يجب علينا إذا عرفنا الله ﷻ أن نضرع إليه، ونعبده وحده لا شريك له، لأنه هو الذي هدانا وعصمنا من السجود للصنم ، وقضى لنا بقدم السِبق في القدم ، وأحاطنا بأجزال النعم والمنن في الدنيا ، فيجب علينا أن نشكره ونحمده، ونسأله أن يتم علينا النعمة يوم القيامة ، وذلك بالفوز بالجنة والنجاة من النار : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف/ ١٥] .

وعلينا أن نرضى بكل ما قضاه الله وقدره في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء ، فالله ﷻ حكيمٌ ورحيمٌ في جميع أفعاله وأقداره ، وهو الرب الرحمن الرحيم الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه ، الخبير بمصالح عباده، الكريم في عطائه، اللطيف في تدبيره، فنتوكل عليه وحده جل جلاله، ونتعلق به وحده، ولا نتوجه إلى أحدٍ غيره، فنخسر الدنيا والآخرة: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

ومن علامات الرضا عن الله ﷻ سرور العبد بالمقدور في جميع الأمور ، فالإنسان يُسر بكل ما قضاه الله وقدره له، لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، ويعلم أن قضاء الله في كل حال هو خير، فلا نذم شيئاً قدره الله علينا، ولا نضجر من مرارة المقادير وتوالي المكاره ولا نسأم من التكاليف ، ولا نكره المكاره والمصائب إذا نزلت لكننا لا نتمناها : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦] .

كان أحد الإخوة مع حملة في الحج ، فهم جالسون في خيمة في منى، جالسون يتدارسون القرآن، فسبحان الله، وهم يتدارسون القرآن حصل احتراق للغاز، احترق شيءٌ حولهم فقاموا بسرعة هربًا من الغاز والنار، ولكن لا يعلمون أن صخرة كبيرة نزلت من الجبل في منى، فبمجرد ما خرجوا نزلت الصخرة، وغطت وغمرت جميع الخيمة، فهذه رسالة من الله ﷻ إكرامًا لأهل هذه الحلقة الذين يتدارسون القرآن ، الله أشعرهم بشيء يسير بنار احترقت يمكن إطفاؤها، فهم لما اشتعل الغاز خرجوا، ولما خرجوا نزلت الصخرة على هذه الخيمة التي ليس فيها أحد.

فالله ﷻ نحمده على النعم ، ونحمده على المصائب ، في كل مصيبة تحصل للإنسان هذا رحمة من الله، ومُذكر يُذكر الإنسان بربه ؛ لأنه خرج عن الصراط المستقيم ، والله يريد أن يرده إلى الصراط المستقيم ، فيُرسل له مصيبة حتى يعود إلى ربه ، يرسل هذه المصيبة ليتوجه إلى ربه .

والله سبحانه رؤوف بالعباد ما ابتلى إلا ليعافي، وما منع إلا ليعطي، فإذا حصل البلاء من الله، جاء السؤال من العبد، فيسأل الله ﷻ، فإذا أجابه الله ﷻ، أكرم هذا الإنسان بسبع كرامات :

إيمان جديد بربه.. وحب جديد لربه.. وحمد جديد لربه.. وطاعة جديدة لربه.. وتعظيم جديد لربه.. وعبادة جديدة.. وتوبة جديدة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن: ١١].

يحصل للعبد كرامات بعد كل مصيبة ، أكثر الخلق ينظرون إلى المصيبة، ولا يلتفتون إلى سر المصيبة ، الله ﷻ هو أرحم الراحمين ، أحيانًا يرد الناس إليه بنعمه ، فإذا الإنسان أنعم الله عليه بنعم يستحي من ربه أن يعصيه، وهو يوالي عليه النعم ، لكن من الناس من يعصيه فإذا خرج من طاعته إلى معصيته، ساقه إليه بمصيبة ترده إليه، فإذا دعا الله، ثم كشف عنه هذه المصيبة؛ فقد أكرمه الله بست كرامات:

إيمان جديد ، وحُب جديد ، وحمد جديد ، وتعظيم جديد لربه ، وعبادة جديدة، وتوبة جديدة ، كل هذه كرامات وثمرات في المصيبة: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة/ ٥١] .

فالله بالمصائب يربي، ويرقي، ويكفر السيئات، هكذا ينبغي أن نفهم أسماء الله وصفاته، وأفعاله، وقضاءه وقدره، ومن فهم غير هذا الفهم فقد ألحد في أسمائه : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

لابد أن نتيقن بأن الله رءوف بالعباد ، وأن الله رءوفٌ رحيم ، وأن الله أرحم الراحمين ، وأنه أرحم من الأم الشفيقة بولدها ، فلا يمكن أن يرسل على عبده مصيبة ويؤذيه ، فإذا خرج العبد عن طاعة الله، الله يرسل له إشارة، حتى يتوب إلى ربه قبل أن يموت وهو على معصيته، فهناك الخسران المبين والعذاب الشديد، هذه رسائل ملكية من ربنا ، أول ما نلتفت إلى أنفسنا نستغفر الله ونتوب إليه كما كان النبي ﷺ يستغفر الله مائة مرة في المجلس الواحد ، وسبعين مرة في الحديث الأخر ، هكذا يجب أن نفهم أسماء الله وصفاته، وأفعاله وأقداره: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦] .

نحن لا نعلم بكل شيء ، الله يعلم ما كان وما يكون وما سيكون ، وهذا الإنسان ما أوتي من العلم إلا قليلًا ، مختوم عليه بختم : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء/ ٨٥] .

ومأمور بأمر وهو طلب العلم : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه/ ١١٤] .

فالإنسان إذا عرف الله بأسمائه وصفاته، استسلم لقضاء ربه وقدره، وآمن بذلك ؛ لأن الله ﷻ أرحم بعبده من نفسه ، ويعلم الإنسان نتيجة هذا الإيمان أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يمن ليصيبه ، لا راد لأمره جل جلاله، ولا معقب لحكمه ، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا ، وبهذا يرضى القلب ويسلم ، ويسكن العقل ويستسلم، وترضى النفس بحلاوة التدبير ، وحُسن التصريف ، والرضا بما يُحبه الله ويرضاه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

فلنكثر من الاستغفار على فقدان الأدب عند فعل الطاعات السابقة ، وسوء الأدب

عند فعل السيئات الذي سببه الجهل بأسماء الله الحُسنى، وصفاته العلى، فقدنا الأدب عند فعل الطاعات ما أديناها كما ينبغي ، وكما جاءت به السُنة، وإخلاصها، وكمالها ، وأسأنا الأدب عندما عصينا الله في مُلكه بنعمه ، هذا كله بسبب الجهل بأسماء الله الحُسنى، وصفاته العلا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

ولنعلم أن الله ﷻ خلقنا على معاني الأسماء والصفات ، الله يريد منا الأسماء والصفات التي يحبها، وهيأنا لمعرفته سبحانه ، لنعظمه ونكبره، ونحبه ونعبده، ونحمده ونشكره.

هو ﷻ كريم فتح جميع الأبواب لمعرفته ، وعرفنا بأسمائه وصفاته ، وهيأنا لمعرفته لمحبته لذلك ، محبته للإنسان وفرحه بقربه ، ورحمته بالإنسان ؛ لأنه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ، الرحيم الذي لا أرحم منه : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢] .

فإذا استعملنا الله ﷻ في طاعته، وبغض إلينا معصيته، فقد اجتبانا لنفسه ، لنعلم هذا علم اليقين أن الله ﷻ إذا استعملنا في طاعته، وبغض إلينا معصيته، فقد اجتبانا لنفسه، وخصنا بمزيد عنايته ، واستنقذنا من شر أنفسنا، وهدانا إلى ما يحبه ويرضاه: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى/ ١٣] .

فإذا الكريم جل جلاله زاد في إكرامنا بأن كتب الإيمان في قلوبنا باليقين التام ، والعلم النافع، فقد أفلحنا ، فلنرغب إليه بتحقيق العبودية له وحده، ليصطفينا ويربينا تربية خاصة ، فيجعلنا من بين خلقه من المُؤْمِنِيْنَ الصادقين ، فالله ﷻ إذا قبل عبدًا رباه ، حتى تظهر فيه أسماءه وصفاته ، الأسماء التي يحبها، والصفات التي يحبها ، فيجعل هذا الإنسان إماماً في التقوى، إماماً في الهدى، ويجعله عالمًا خاشعًا ، ورحيمًا لطيفًا ، شاهدًا للحق ، مشاهدًا للرب ، مراقبًا للحق ، مبينًا للحق ، عاملًا بالحق ، قائمًا على العهد ، حافظًا للغيب ، عاملًا بما يرضيه ، عفوًا غفورًا ، برًا شكورًا ، صادقًا صبورًا .

فهنيئاً لهذا المؤمن بتلك الكرامات والمقامات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ

﴿عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

هذا ليس من الإنسان ، هذا من عطاء الله ، الله ﷻ هو الذي يعطي هذه الصفات ، ويعطي الأرزاق، ويعطي الإيمان، ويعطي التقوى، هذا من عطاء الله، ولكن بقدر ما نُقبل عليه، ونتوجه إليه، ونتوكل عليه، الله يفتح لنا أبواب خزائنه ، يفتح لنا هذه الأبواب العظيمة ، ويُكرمنا لأنه الكريم الذي لا يرد سائلًا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

والكريم من الخلق هو الذي إذا قدر عفا ، وإذا عاهد وفى ، وإذا سُئل أعطى ، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى ، فكيف بالكريم الأكرم الذي كل النعم من عطاياه ، وكل الخلق من عطاياه ، كل الخلائق ملكه، وكل النعم من خزائنه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ – ٥].

فالله جل جلاله إذا اصطفى أحداً جعله صادقًا وصبورًا ، وحليمًا وحكيمًا ، ومحُسنًا وكريمًا ، وطيبًا وطاهرًا ، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات التي يحبها الله ﷻ، يستعملنا الله ﷻ فيها على شاكلة العبودية، فيحبك الله، ويحبك الناس ، وتربح الدنيا والآخرة : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤] .

هو الكريم الأعلى وأنا الكريم الأدنى ، هو الرزاق الأعلى، وأنا الرزاق الأدنى ، هو الحليم الأعلى، وأنا الحليم الأدنى ، الله يعطيني من صفاته ؛ لأنه كريم، وهو يحُب أن أتصف بهذه الصفات ، يحب التوابين ، يحب المؤْمِنِيْنَ ، يحب المحسنين.

وبهذا يكون الله معنا يحفظنا ويرعانا ، يذكرنا إذا ذكرناه، ويجيبنا إذا دعوناه، ويعطينا إذا سألناه ، ويحبنا إذا أطعناه ، ويزيدنا إذا شكرناه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

فلنعلم أن أحب الخلق إلى الله أحسنهم تعبدًا له بمعاني أسمائه وصفاته على سنن التعبد له بالإيمان والإحسان ، والعلم والعدل ، والعفو والصفح ، والرفق واللطف ، والكرم والبر ، والصدق والصبر ، والحلم والستر ، والرحمة والمغفرة ،

وغير ذلك من الصفات .

ثم أتركهم منازعة لله في معاني صفات الربوبية كالكبرياء، والعظمة ، والجبروت، والعلو، والقهر ، ونحو ذلك من نعوت التعالي والجلال والكبرياء لله ؛ لأن انتحال ذلك يُخرج العبد عن شاكلة العبودية، إلى صفات الربوبية وبمفارقة العبد شاكلة العبودية يفسد ويهلك ، ويضل ويخسر ؛ لأن هذه لله ﷻ، لكننا نستعمل صفات الربوبية مع الكفار ، استعمل صفات الربوبية من القهر والقوة مع الكفار ليظهر العبد عزة الدين، وأن المؤمن عزيز: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون: ٨] .

فالعبد يتصف بصفات العبد الخاشع الخاضع لربه جل جلاله ، فالله يريد ظهور أسمائه وصفاته في مخلوقاته ، هو أظهرها في مخلوقاته ، ويريد أن ينظر إليها في الإنسان ليتصف بها ، على شاكلة العبودية.

ثم أحب الخلق إلى الله سبحانه أشدهم حبًا لرسول الله ﷺ ، بعد الاتصاف بهذه الصفات أشدهم حبًا للرسول الله ﷺ، وتخلقًا بالاقتداء به ، والعمل بما جاء به ، هذا الصنف من الناس أحب الناس إلى رب الناس : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن كمال حب الله دوام ذكره في القلب بالفرح به، والشوق إليه، والأنس بمناجاته، والسكون إليه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٢٩﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

إذا اطمأنت هذه القلوب أكثرت من ذكر الله ، والله ﷻ أمرنا بالإكثار من ذكره، وإذا ذكرناه أطعناه ولم نعصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

والهدف من ذكر الله أن نحبه ونعظمه ونطيعه بموجب ما جاء به رسوله ﷺ ، فلنجعل حياتنا في هذه الحياة الدنيا كلها لله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٦١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣] .

فالإنسان يبحث عن أفضل شيء في هذه الحياة ، أفضل شيء هو اليقين على الله وعلى أسمائه وصفاته، حتى أعلم أن الله ﷻ يراني ويراقبني، فأمتثل أمره، وأجتنب نهيه ، فيكون رأس مال الإنسان في هذه الحياة هو اليقين ، وزاده الفقر والافتقار إلى ربه في كل حال ، وقوته ليس فقط الطعام والشراب ، الطعام والشراب لجسده ، لكن قوته الذي هو مقصد حياته النظر والتفكر والتدبر ، يتفكر في عظمة الله ، وفي عظمة مخلوقات الله، وفي مُلك الله، وفي نعم الله، ويتفكر في هذا القرآن العظيم، وبقوة التفكر يأتي لباس التقوى ، أفضل لباس هو لباس ستر العورات الجسدية وهذا اللباس من قطن ونحوه، ولباس التقوى ذلك خير: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف/ ٢٦] .

يكون لباس الإنسان التقوى، ومطيته في الحياة الصدق ، يكون صادقاً مع نفسه ، صادقاً مع ربه ، صادقاً مع رسوله، صادقاً مع الناس، صادقاً مع غيره من المخلوقات: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر/ ٣٣] .

هذه أعظم مطية ، مركب الصدق في كل حال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ**» متفق عليه (١) .

ومصباح الإنسان في الحياة الإحسان ، الإحسان إلى نفسه بالإيمان والتوحيد ، والإحسان إلى الخلق بأنواع البر، بأن أقول القول الحسن ، وأعمل العمل الحسن : ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة/ ١٩٥] .

ودولتك أيها العبد حُسن الخُلق،هذه أعظم دولة في العالم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤] .

وأصول حُسن الخُلق مع الخلق أربعة :

أن أصل من قطعني.. وأن أعفو عمن ظلمني.. وأن أعطي من حرمني.. وأن أُحسن

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم:٥٧٤٣، ومسلم برقم: ٢٦٠٧.

إلى من أساء إليَّ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

هذه أمور عظيمة ، بعد معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله يأتي عندي رأس المال وهو كمال الهداية، والإمامة التي تحصل بالصبر واليقين: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤ ﴾ [السجدة/ ٢٤] .

فرأس مال الإنسان الذي يجتهد للحصول عليه هو اليقين ، وزاده الفقر والافتقار إلى ربه ، وقوته التفكر والتدبر في المُلك والملكوت ، ولباسه التقوى بأن يفعل الأوامر، ويجتنب النواهي ، ومطيته الصدق ، ومصباحه الإحسان إلى الناس ، يمشي بين الناس بالإحسان بالقول والعمل ، ودولته الكبرى حُسن الخُلق مع الله، ومع رسوله، ومع كتابه، ومع خلقه ، ويترك التكلف والدعوى في جميع الأحوال، فلا يقول : أنا عملت كذا، وصليت، وصمت ، وزكيت ، وتصدقت ، هذا كله من فضل الله ، ما عملناه محُصىً ومكتوب ، لكن ما لم نعمله هو الذي يجب أن نعمله: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾ [الحديد: ٢١].

فنقف بين يدي ربنا بالافتقار التام في جميع الأحوال ، فهذا أبلغ لنا فيما نريد، وأقرب لعون الله لنا ، فنقصد الإله الحق، ونتخذه وحده إلهًا واحدًا يغنينا عن كل ما سواه : ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣ ﴾ [الأحزاب/ ٣] .

وليس الشأن أن نُحب الله فقط ، فالله محبوب ، كل مُنعم محبوب ، كل من أعطانا وأهدى إلينا نُحبه ، فالله ﷻ أعظم من أعطى ، وأعظم من أكرم ، وأعظم من أحسن ، ليس الشأن أن تحُب الله فقط ، بل الشأن كل الشأن أن تحُب الله، ويحبك الله ؛ لأن حب الله عبادة ، وحبي لله ، متى يحبني الله ؟ إذا أطعته وعملت بدينه، واتبعت رسوله ﷺ ، فليس الشأن أن تحُب الله فقط ، بل الشأن كل الشأن أن تحُب الله، ويحُبك الله، ثم ينشر الله محبتك بين أهل السماء والأرض: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾ [مريم: ٩٦].

ولا يحبنا الله إلا إذا آمنا به، واتبعنا رسوله ﷺ فيما جاء به : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ

﴿ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾ [آل عمران/ ٣١] .

ولنعلم أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أول علم يحتاجه الإنسان في كل حال: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩] .

فبكلمة لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العظيمة أمسك الله السماوات والأرض أن تزولا ، وأمسك السماء أن تقع على الأرض ، وحصل للعباد الإسلام والإيمان، وبها عُمرت الدنيا والآخرة ، ومن أجلها خلق الله الخلق ، وخلق الجنة والنار ، ومن أجلها أُنزلت الكتب ، وأُرسلت الرسل ، وشُرعت الأحكام ، وهي الموجبة للجنة، وضدها موجبٌ للنار ، فلنكثر من قولها فلا شيء يوازيها، فلو وضعت السموات السبع، والأراضون السبع في كفة، ولاإله الا الله في كفة، لمالت بهن لا إله إلا الله.

هذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله) كلما مرت بسيئة محتها ، وكلما مرت بشبهة أحرقتها ، وكلما مرت بنارٍ أطفأتها ، فإذا أُبتلينا بالخروج عنها، أومخالفة أمر الله، أو غفلنا عن معنى من معانيها فقد ظلمنا أنفسنا، فنبادر إلى التوبة : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠ ﴾[النساء/ ١١٠] .

وبلا إله إلا الله التي هي ثمرة التفكر والتدبر تُفتح للعبد أبواب جنة المعرفة في الدنيا، وأبواب الطاعة المفضية إلى جنة الآخرة ، وتُطلق جوارحه التي يستعملها لطلب مرضات ربه ، وتُغلق عنه أبواب النار التي معاصيه شوارع إليها، فلا أنفع من قولها ، ولا عمل أزكى من عمل أهلها ، ولا ثواب أكثر من ثوابها ، وبها تُستفتح أبواب الجنة كما قال النبي ﷺ : «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلُغُ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثمانية يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**» أخرجه مسلم (١) .

فلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ هي ثمرة معرفة أسماء الله وصفاته ، وهي رأس الدين وملاكه وقوامه ، وموضع مداره ، وهي أفضل العلوم وأزكاها، وأعظمها وأكبرها ، فلنحرص على فهم هذه الكلمة العظيمة بالنظر والتفكر والتدبر في آيات الله الكونية، وآياته الشرعية.

فهي الكلمة الطيبة ، والشجرة الطيبة ، وجميع الأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة ، كلها فروعٌ لها وثمرة من ثمارها .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٣٤.

إذا زكت القلوب بهذه الكلمة زكت ، ومتى وهت وَهت القلوب والأعمال : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم/ ٢٤-٢٥] .

سبحان الله إذا نزل المطر أنبتت الأرض من كل زوج بهيج بأمر الله ، وإذا نزلت لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ في القلب أنبتت الصدق والإيمان والتوحيد، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة ، وأنبتت كل خير في كل زمانٍ ومكان .

فمدار صلاح القلوب والأبدان وفسادها على وجودها أو عدمها : «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**» متفق عليه(١) .

وصلاح القلب بلا إله إلا الله، وفساده بالكفر والشرك بالله.

وهي أفضل الشهادات وأعظمها وأكبرها: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٨] .

فلنعبد الله مع جميع المخلوقات، الشاهدين لربهم بالوحدانية، والقائمين له بالعبودية : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨] .

فسبح بحمد ربك العظيم، وسبح باسم ربك الأعلى، مع كافة المخلوقات التي تعبده، فهو أهلٌ أن يُعبد، وأن يحمد ، وأن يُشكر : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

حليمًا غفورًا لهذا الإنسان الذي يسكن في أرض الله، ويعصي الله بنعم الله ، إنه كان حليمًا عليه لم يعاجله بالعقوبة ، غفورًا لجميع ما يعمله من السيئات : «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**» أخرجه مسلم (٢) .

سبحان الله وبحمده على خلقه وأمره ، وعلى كمال أسمائه وصفاته : «**بِسْمِ اللهِ الَّذِي**

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٥٢ ،واللفظ له ، ومسلم برقم: ١٥٩٩.

(٢)أخرجه مسلم برقم: ٢٧٢٦.

لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» أخرجه الترمذي وابن ماجه[1] .

وبسم الله أعظم الأسماء ، وبسم الله رب الأرض والسماء، نستدفع كل مكروه أوله سخط ربنا ، ونستجلب كل محبوبٍ أوله رضاه : ﴿**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥**﴾[البقرة/ ٢٥٥] .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبالاسلام ديناً، وبمحمد رسولاً .

والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً، ملء السماء والأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

اللهم إغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم:٣٣٨٨، وابن ماجه برقم: ٣٨٦٩.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســــم الله

الرب

اسم الله .. الرب

الله ﷻ هو رب العالمين، ورب كل شيء وخالق كل شيء، ومالك كل شيء ومقدر كل شيء ومدبر كل شيء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢] .

وهو سبحانه الرب الذي له السؤدد والعِزة والعظمة، والعُلُو والكبرياء، والجبروت والملكوت ، وله الحمد على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية/ ٣٦-٣٧] .

وهو سبحانه الرب الذي أصلح خلقه، ورباهم بنعمه ، الكافل لهم ، القائم بمصالحهم، المواليهم بنعمه ، الكثير الجود والخير والإحسان: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس: ٣].

هو الرب العظيم الذي له الأسماء الحَسنى، والصفات العُلى ، الرب العظيم الذي يربي عباده بنِعَمه المادية ونِعَمه الروحية ، وهو سبحانه الرب الكريم الذي يمد أجسامنا وعقولنا وجوارحنا وقلوبنا بما تحتاج إليه من الأقوات المختلفة: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[الأنعام/ ١٦٤] .

هو سبحانه الرب الخالق الرازق ، منه نعمة الإيجاد ، ومنه نعمة الإمداد ، ومنه نعمة الهداية، ومنه نعمة الاسعاد: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣].

خلق الإنسان ولم يكن شيئًا من قبل ، وأمده بالنِعم التي لا تُعَد ولا تُحصى ثم هداه إليه ، من أطاعه سبحانه كافأه ، ومن عصاه أدَّبه ، ومن دعاه استجاب له ، ومن استغفره غفر له ، هو رب العالمين : ﴿ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء/ ٧٧ – ٨٢].

فلله الحمد : ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ/ ١٥] .

وهو سبحانه الرب العظيم الحافظ لكل شيء ، القريب من كل شيء ، الرقيب على كل شيء ، البصير بكل شيء ، السميع لكل شيء ، العليم بكل شيء ، الذي له جميع الأسماء الحُسنى ، وله جميع الصفات العُلى ، وله المثل الأعلى ، لا إله غيره ولا رب سواه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

هذا الإله العظيم إذا عرفناه أحببناه ، وإذا أحببناه عبدناه : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤] .

رب العالمين هو رب السماء ورب الأرض، ورب النجوم، ورب النباتات، ورب الجمادات، ورب الملائكة، ورب الجن، ورب الإنس، هو رب كل شيء ، هو الذي ربى خلقه بما يُصلح حياتهم في الدنيا والآخرة : ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠ – ١٨٢].

هو الرب الذي له الخلق كله، وله الأمر كله ، وله الملك كله، وهو الرحمن الذي استوى على عرشه العظيم وتفرّد بتدبير مُلكه الكبير ، وتولَّى تربية خلقه في كل حال : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم/ ٦٥] .

هو الرب العظيم، ومالك المُلك والملكوت الذي له أمر التدبير والتصريف، والتحريك والتسكين ، هو الرب الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنَة ولا نوم ، والمُلك كله له ، هو القائم على كل نفس، وعلى كل ذرة ، يعلم مكانها، ويعلم نوعها، ويسمع صوتها: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ/ ٣].

هو القائم على كل نفس، الذي قام به كل شيء، وإليه المرجع والمآب في كل شيء ،

الخلق كله له ، والرزق كله منه ، والتدبير كله بيده ، ومصير الأمور كلها إليه ، أراد أن يُعرَف فخلق السموات والأرض ، أراد أن يُعرَف بأسمائه وصفاته ، وتُعرَف قُدرته، ويُعرف سعة عِلمه، فخَلَق هذا الكون العظيم، لنعرف الخالق ونتصل به، ونعبده بما جاء به الرسول ﷺ : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢] .

فالخلق كله له ، والرزق كله منه ، والتدبير كله بيده ، ومصير الأمور كلها إليه ، ومراسيم التدبير في العالم العلوي والسفلي كلها بيده، وكلها نازلة من عنده، تنفذها وتُقسّمها ملائكته بأمره بالعطاء والمنع تارَّة، بالبسط والقبض تارة، والرفع والخفض تارة، وتارَّة بالتحريك والتسكين والإحياء والإماتة ، هو مالك المُلك، رب عظيم يُدبّر هذا المُلك العظيم جل جلاله : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾[آل عمران/ ٢٦-٢٧] .

هذه أفعال الرب جل جلاله ، وهذه القلوب أمر من أوامر الله ، غذاؤها بذكر الله، وذكر أسمائه وصفاته وأفعاله، وذكر خزائنه، وذكر وعده ووعيده ، هذه مغذيات القلوب سبعة ، إذا تغذّت القلوب بها زاد إيمانها بالله، وزاد تكبيرها له، وزاد حبها له، وزاد حمدها له، وزادت عبادتها له، سواءً كانت عبادات قلبية، أو عبادات بدنية.

فهذا البدن الذي خلقه الله لابد له من محرّك ، هذا المحرّك هو القلب الذي امتلاء بالإيمان .

- هذا القلب غذاؤه بسبعة أشياء :

معرفة الله.. ومعرفة أسمائه.. ومعرفة صفاته.. ومعرفة أفعاله.. ومعرفة خزائنه. ومعرفة وعده.. ومعرفة وعيده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩] .

- إذا امتلأ القلب بالإيمان جاء فيه ثلاث صفات :

حب الله.. وتعظيمه.. والذل له .

وتحركت الجوارح بأنواع العبادة، وتحرك اللسان بالذكر والتسبيح والتحميد وفعل ما يحبه الله ويرضاه ، وامتلأت الأوقات بكل طاعة ، وأصبح الإنسان مصبوغاً بصبغة الله في كل حركة، وفي كل سكون ممتثلاً لأمر الله في كل حال: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٣٨].

هذا الإنسان خلقه الله، وحمَّلَه الأمانة ، والأمانة : أن يمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه، وأن يعرف ربه بأسمائه وصفاته، ويأتي إليه اختيارًا بعد أن جاءت إليه جميع المخلوقات إجبارًا ، جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي كلها مُسَخَّرة بأمر الله في عبادة الله إلا العقلاء من الإنس والجن ، هؤلاء إما أن يأتوا إلى الله اختيارًا، وإما أن ينصرفوا عنه ويُعرِضوا عن دينه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٩].

فبالتذكير يأتي هذا التوجه ، بالتذكير بالله تعرف النفوس ربها وتُقبِل عليه ، إذا عَرفَت أنه المَلِك تتصل بالمَلِك ، إذا عرفت أنه الكبير اتصلت بالكبير ، إذا عرفت أنه القوي اتصلت بالقوي ، إذا عرفت أنه الغني اتصلت بالغني ، فلابد من معرفة الله بأسمائه وصفاته حتى تُقبل القلوب على ربها وحده لا شريك له: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩] .

هذه القلوب غذاؤها الإيمان ، والإيمان بأركانه الستة أعظم مغذيات الإيمان ، وبحسب قوة الإيمان في القلب، والتصديق بالغيب، تأتي قوة الطاعة، وقوة العبادة ويأتي الحب الكامل لله والتعظيم والذل له جل جلاله .

فالله ﷻ أمرنا أن نتفكر في هذا الكون العظيم، وأن نعرف عظمة أسمائه وصفاته، لنعبده بالمحبة والرغبة، والخوف والرجاء، عبادة حر يعرف من يستحق التعظيم، ومن يستحق التسبيح ومن يستحق التحميد ، يعبد ربه لأنه هو المَلِك ، هو الرب العظيم الذي له مُلك السماوات والأرض ، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي ، وله مُلك الدنيا ومُلك الآخرة ، ونحن ذَرَّة في ملك ربنا .

• هذا الكون العظيم فيه ستة عوالم كبيرة :

عالم الجماد .. وعالم النبات .. وعالم الحيوان .. وعالم الإنس .. وعالم الجن .. وعالم الملائكة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢ – ١٠٣].

عالم الإنس ذَرَّة في مُلك الله العظيم ، والسماوات السبع مملوءة بالملائكة، ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وفيه مَلَك قائم أو راكع أو ساجد لله ﷻ : «**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ قَائِمٌ ، أَوْ رَاكِعٌ ، أَوْ سَاجِدٌ للهﷻ**» أخرجه أحمد (١) .

وكم في السماوات والأرض، وكم بين السماء والأرض، من المخلوقات والذرات، وكلها شاهدةٌ بوحدانية الله ﷻ ومُسَبّحة بحمده، وخاضعة لأمره، ومُستجيبة لمشيئته، ومسرعةٌ إلى إرادته : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء/ ٤٤] .

وبالنظر في ملكوت السماوات والأرض، والنظر في الآيات القرآنية، نعرف من نحن، ونعرف من نعبد ، ربنا ﷻ مَلِكٌ عظيم، ورب قادر على كل شيء ومحيط بكل شيء ولا يخفى عليه شيء.

هو سبحانه الرب القوي العزيز الكريم الذي يكشف الكروب، ويرفع البلاء، ويجيب المضطر، ويُغيث الملهوف ، لا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرحمن/ ٢٩] .

هو جل جلاله الرب القادر الذي بحكمته يخلق ويرزق ، ويبسط ويقبض ، ويُعِز ويُذل ، ويُكرم ويُهين ، ويرحم من يشاء ، ويُعذّب من يشاء.

هو الرب الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه ، وضع العين في هذا المكان ، ووضع اليد في هذا المكان ، ووضع الجبل في هذا المكان ، ووضع النجم في هذا المكان ، هو الحكيم العليم الذي يضع الشيء في موضعه جل جلاله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢١٥١٦).

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾
[آل عمران/ ١٨].

هو الرب القادر الذي لا يعجزه شيء، لا معقب لحُكمه، ولا راد لأمره ، ولابد للقلب أن يعرف هذه الأمور ، والقرآن يخاطب القلوب والعقول، يقول للقلب : ربي الذي بيده ملكوت كل شيء ، ربي قادر على كل شيء ، ربي خزائنه مليئة بكل شيء، ربي الذي له مُلك السماوات والأرض، وله الأسماء الحُسنى، وله الصفات العُلى:
﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل/ ٨٩].

وإذا استقام القلب بالإيمان استقامت الجوارح بالطاعات : «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(١)

والله يُقلّب هذه القلوب كما سيأتينا يُقلّبها لمصلحة العبد ، فلابد لهذا القلب أن يسمع من اللسان، و يسمع من خلال الأذن، ويعلم من خلال الرؤية ، فالأذن تسمع، والعين ترى، واللسان يتكلم، وكلها تصب في القلب، ليعرف القلب معبوده، ليعرف القلب من يعبد ، من هو الرب العظيم الذي يوجه إليه عبادته ، وإذا استقام هذا القلب جاءت الطاعات، وجاءت المحبة، وجاء الأمن، وجاءت السعادة ، فالله ﷻ يبين لنا في القرآن من هو هذا الرب ، لابد أن نعرف الرب حتى نتوجه إليه بالعبادة ، والنقص في العبودية سببه الجهل بالربوبية ، فلو عرفنا الله حق معرفته لأطعناه وأحببناه وعظّمناه:
﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

فربنا ﷻ هو الرب الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه ، القادر الذي لا يُعجزه شيء ، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مبدل لكلماته ، إذا أراد الليل يكون ليلاً، وإذا أراد نهاراً يكون نهاراً، وإذا أراد ذكراً يكون ذكراً، وإذا أراد أنثى تكون أنثى، وإذا أراد أبيضاً يكون أبيضاً، وإذا أراد أسوداً يكون أسوداً، وإذا أراد جبلاً يكون جبلاً، وإذا أراد نهراً يكون نهراً، هو فعالٌ لما يشاء، ولا راد لأمره جل جلاله : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٥٢ ،واللفظ له ، ومسلم برقم: ١٥٩٩.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس/ ٣] .

هذا الكلام يقوله اللسان للقلب، ليُعلِم القلب من هو الرب الذي يجب أن نعبده، لأن القلب هو الذي يأمر الجسد بالحركة والسكون والطاعة والمعصية : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال/ ٢ – ٤].

نحن نتوجه إلى الله بالعبودية إذا عرفنا عظمة الربوبية : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس/ ٣] .

هذا الذي خلق السماوات والأرض، وخلق هذا الكون العظيم، ألا يستحق العبادة : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[النحل/ ١٧–١٨] .

هذا الاسم العظيم يجتمع فيه جميع أسماء الله الحُسنى ؛ لأن الله ﷻ رب العالمين يُربّي عباده بما يصلحهم ، هو رب الكون، ورب العرش العظيم ، ورب السماوات ورب الأرض جل جلاله ، هو الرب المَلِك الحق لا إله غيره ، مَلِك كل الكائنات ، ملك السماء ومن فيها من الملائكة ، وملك الأرض وما فيها من المخلوقات ، وملك الجنة ومن فيها ، وملك النار ومن فيها ، هو مالك المُلك جل جلاله ، ربٌ عظيم ليس بحاجة إلى عبادتنا، بل نحن بحاجة إليه حتى نسعد بالأمن والطمأنينة وندخل الجنة يوم القيامة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام/ ١٠٢].

فهو سبحانه الرب الملك ولكنه ملكٌ حق ، وملكٌ رحيم ، وملكٌ عزيز ، وملكٌ غفور ، لا إله غيره، ولا رب سواه ، هو خالق كل شيء ، لا يعزب عن علمه شيء ، ولا يخرج عن تقديره شيء، ولا يفلت من ملكه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، هو محيط بكل محيط ، وقادر على كل قادر ، وقاهر لكل قاهر : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[المؤمنون/ ١١٦] .

وهو سبحانه الرب الذي أعبد، هو الرب الذي لا إله إلا هو، مالك الملك والملكوت، ومالك الملوك، ومالك الملك، ومقسم الأملاك، وخالق الملوك، قيوم الدنيا والآخرة ، حيٌ قيوم لا تأخذه سِنَة ولا نوم ، حيٌ يسمع كل شيء ، ويرى كل شيء ، ويرزق كل أحد ، ويجيب كل داعٍ ، كل شيء خلقه ، وكل ما في الكون ملكه، وكل ما نراه من أصغر ذرة إلى العرش العظيم، إلى الكرسي الكريم، إلى السماوات السبع ومن فيهن، إلى الأراضين السبع ومن فيهن ، كل شيء خلقه ، وكل شيء سواه عبده، وكل شيء خلقه، وكل مخلوق مفعول ليس بيده شيء وكل مخلوق ناصيته بيد ربه: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود/ ٥٦].

هو الرب الغني الكريم الذي خلق الأرزاق، وأوصلها الى المرزوقين كمية ونوعية، ومكاناً وزماناً، المكان حيث كان الإنسان ، والزمان دائر على المكان، والكمية مقادير لا يحصيها إلا من خلقها والنوعية مال أو طعام أو شراب أو غيرها ، فسبحان من خلق الخلائق جميعًا، وتكفل بأرزاقها كل آن، كم عالم الأسماك في البحر ؟ أكثر من مليون صنف ، كم عالم الجماد ؟ خلائق لا يحصيهم إلا الله ، كم عالم النبات ؟ أكثر من أربعين مليون صنف من النباتات، كم عالم الحيوان في البر؟ أكثر من مليون صنف، الله يصرفها ويمدها بالأرزاق ، الرب هو الذي يربيها في الطول، واللون، والحجم، والثمرة.

أوامر ملكية صادرة إلى النخلة كيف تنبت، وكيف تُثمر، أوامر ملكية صادرة إلى مجموعة النخيل من تثمر، ومن لا تثمر في هذا العام ، أوامر ملكية صادرة إلى الإناث هذه تحمل، وهذه لا تحمل ، أوامر صادرة للشمس كيف تسير من المشرق إلى المغرب ، أوامر ملكية صادرة للسُحُب تمطر هنا ولا تمطر هنا: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١١].

هو رب عظيم، وله مُلك كبير، وأنا عبده وأتشرف أني عبده، لأن ربي مَلِكٌ عظيم له الأسماء الحُسنى، وله الصفات العُلى، وله الأفعال الجميلة، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ

﴿ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧ ﴾ [الروم/ ٢٧].

نحمد الله أن جعلنا من بني آدم، وجعلنا مسلمين، وخصَّنا بعبادته وحده لا شريك له، جعلنا عبيداً له وحده ولم يجعلنا عبيداً لأحد عبيده: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [البقرة/ ٢١ – ٢٢].

لذلك الشيطان يريد أن يحول العبودية من الرب العظيم إلى العبد الفقير العابد الذليل: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ ﴾ [يس/ ٦٠ – ٦٢].

فنحن في مثل هذه البيئات نسمع كلام الله، وكلام الرسول ﷺ حتى يقوى الإيمان في القلب، وتتولد المعرفة المحركة للطاعة ، فتخرج هذه المعرفة على شكل عطاءات ومنافع لعباده، أو تعليم، أو دعوة أو أمر بالمعروف، أو نهي عن المنكر، أو إحسان إلى الخلق: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤].

- فالدين أمران :

عبادة الحق.. ومحاسنة الخلق .

لابد من هذا وهذا في حياتنا: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت/ ٣٣].

فربنا جل جلاله مَلِكٌ عظيم ، كل المخلوقات له، وكل النعم منه ويسبغ علينا النعم الظاهرة والباطنة كل يوم: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤] .

كل المخلوقات لله ، وكل النعم منه ، وكل خير من لَدُنه ، وكل الخزائن عنده ، هذا هو الرب حقًا، والإله حقًا، المحسن إلى خلقه بجميع النعم ، الكريم حقًا جل

جلاله ، قوله الحق ، وفعله الحكمة ، وتدبيره العدل ، وعطاؤه الفضل ، وجزاؤه العدل والإحسان جل جلاله .

هو الرب المحسن إلى جميع خلقه ، الذي لا تبلغ الأوهام تعداد نعمه ، ولا تستطيع العقول إحصاء خلقه وفضله وإحسانه : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[النحل/ ١٧-١٨] .

انظر إلى هذه السماء العظيمة من يمسكها ؟ وانظر إلى هذه النجوم الزاهرة من الذي خلقها وفرّقها ؟ ومن الذي يُدبّرها بحيث لا يصطدم نَجم مع نَجم ؟ وانظر إلى هذه الشمس العظيمة التي صَبَّ الله فيها من نوره.

هذه الشمس العظيمة الإنارة والحرارة ، يقول العلماء: الشمس درجة الحرارة في داخلها عشرين مليون درجة ولهيبها يرتفع فوقها نصف مليون ميل ، ودرجة الحرارة خارج الشمس ستة آلاف درجة ، هذه الشمس لو ارتفعت قليلاً لَتجمدنا ، ولو نزلت قليلاً لاحترقنا ، من الذي قدر سيرها ومسيرها ونورها ؟.. من رب المشرق والمغرب ؟.. من رب المشرقين ورب المغربين؟.. من رب المشارق والمغارب ؟ فللشمس في كل يوم مشرق ومغرب، ولها في كل عام ثلاثمائة وستين مشرقاً، وثلاثمائة وستين مغرباً، تأتي من المشرق إلى المغرب ، وهي مخلوقة مأمورة مدبرة: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾[يس/ ٣٨].

والله ﷻ حتى لا نتعلق بها أمرنا بالنظر إليها وعدم التعلق بها ، ولهذا تُصاب بالكسوف فتكسف: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[فصلت/ ٣٧].

فالنظر والتدبر هو المُولِّد للتوحيد، النظر في الكون العظيم أعظم مُولِّد للإيمان: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس/ ١٠١].

وكذلك النظر في القرآن ، فالله أعطانا السمع والبصر حتى ننظر إلى أحسن شيء، ونرى أحسن شيء، ونتكلم بأحسن شيء، ونعمل بأحسن شيء ؛ فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، يريد له أحسن شيء دنيا وأخرى، في الدنيا أعطاه الدين

أحسن شيء، وأعطاه الدعوة أحسن شيء ، وأعطاه من الأخلاق أحسن شيء، وأعطاه من الأعمال أحسن شيء، ويوم القيامة يريده أن يكون في أحسن شيء : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس/ ٢٦].

فسبحان ربنا العظيم الذي له مُلك السماوات والأرض، المُحسن إلى جميع خلقه بَرِّهم وفاجرهم ، الذي لا تبلغ الأوهام تعداد نعمه ، ولا تستطيع العقول إحصاء خلقه وفضله وإحسانه ، كم خلق الله ويخلق من مليارات المخلوقات في كل ثانية؟، فالله خلق كل شيء بحكمة ، وكل مخلوقاته مظهر لجلاله وجماله وأسمائه وصفاته.

كم خلق الله من ذرات في العالم ؟، كم قطرات المياه في العالم ؟، كم ثمرة في العالم ؟ كم إنسان في العالم ؟ كم طائر في العالم ؟ كم سمكة في العالم ؟ من خلق هذه الخلائق ؟ ومن يسوق لها أرزاقها ؟ ومن يُربيها ؟ ومن يسمع أصواتها ؟ ومن يجيب دعاءها ؟ : ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن/ ٢٩] .

هذا كله خلق من؟: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان/ ١١].

فهذا العاقل، وهذا الإنسان الذي اختاره الله، وخلقه بيده، هل يليق به أن ينصرف عن هذا العِلم، وأن يعبد غير الله، وأن يتوجه إلى غير الله ؟، هل يليق بمن لديه مسكة من عقل أن يتخذ ربًا سواه، أو يعبد إلهًا غيره ؟ : ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام/ ٧١] .

في الدنيا نُسلِم، ويوم القيامة نستسلم : ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الصافات/ ٢٦] .

ومن لم يُسلِم لأمر الله الشرعي فسيستسلم لأمر الله يوم القيامة حين يرى الجنة، ويرى النار، ويرى العرش : ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الصافات/ ٢٦] .

فكما استسلمت لله، وخضعت له في بدني ونوعي ولوني، ليس لي رأي في لوني، وفي كل شيء، ليس لي اختيار ، هذا شيء فرض عليَّ، لكن الفعل الصادر مني أن

أؤمن بالله وأطيعه حتى يستضيفتي في الدنيا كما استضافني في بطن الأم، وأعطاني الطعام والشراب والطمأنينة وأخرجني إلى هذه الدنيا، وجعل لي هذا القصر العظيم، أشرب من مائه وآكل من طعامه، وأتنفس من هوائه وأسكن في أرضه ، وأعطاني النِعَم، وهداني إليه ، وأنا قادمٌ عليه، وراجعٌ إليه ، فلابد لهذا الإنسان الجميل المليح الحسن أن يرجع إلى ربه مليحًا جميلاً وحسنًا بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨١] .

وهو سبحانه الرب الكريم الذي غمر الخلق جميعًا بإحسانه وإنعامه، بَرّهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، فلا يوجد عند البشر مصانع تصنّع أغذية وأطعمة وأشربة، إنما هو صُنع الله الذي أتقن كل شيء ، هو خالق الماء، وخالق الطعام، وخالق الشراب، وخالق كل شيء ، إذا وُجِد أحد يخلق أو يرزق أو يصنع ماء نعبده : ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾[الأعراف/ ١٩١] .

ما دام خالقاً فهو يستحق العبادة، هذا الذي يستحق أن يُعبَد وحده جل جلاله، لأنه الذي خلقنا وكنا قبل عدمًا ؟ : ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان/ ١ – ٣].

فالإنسان أصلاً ما كان موجوداً، فلما وُجِد وأعطاه ربه كل خير يطغى ويتكبر على ربه وهو المحتاج إليه، والله لا يحتاج إليه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾[الانفطار/ ٦-٨] .

الا يذكر الانسان نعم ربه عليه في خلقه ورزقه وحياته وموته: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾[العلق/ ٦ – ٨].

فسبحان الذي كل نعمه منه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل/ ٥٣] .

هو سبحانه المَلِك العزيز الجبار، ذو الجلال والإكرام، الذي كل جلالٍ وجمالٍ في العالم فمن أنوار ذاته، وآثار صفاته ، كل جلال في الجبال، وفي الشمس، وفي البحر،

وفي الجو، وفي الأرض، وفي السماء، فمن آثار جلاله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وكل جمال في عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وعالم الملائكة، فمن أنوار ذاته، وآثار صفاته، هو ذو الجلال الذي جل قدره وعَظُمَ في قلوب العارفين به ، هو جل جلاله الرب الذي خلق السموات والأرض وما فيهن، خلق سبع أراضين ، كل أرض في داخل أرض، وأحاطها بالسماوات السبع، وكل سماء محيطة بما تحتها، حتى السماء السابعة محيطة بجميع السماوات والأرض ، ثم الكرسي محيط بجميع السماوات والأرض ، ثم العرش محيط بجميع السموات والأرض ، والسماوات السبع، والأراضين السبع، بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والعرش محيط بالكرسي ومن دونه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

والله فوق العرش، لا يحتاج إلى العرش ، بل العرش محتاج إلى الله ليبقى ، فكل ما سوى الله محتاجٌ إلى الله ، والله غني عن كل ما سواه ، ونحن الذين شرَّفنا الله وكرّمنا كيف نُعرِض عن ربنا، وكيف نغفل عنه، ونشتغل بالشهوات والزينات، ونغفل عن زينة القلوب، وزينة الجوارح، وزينة الأخلاق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١ – ٢٢].

إن جهد الأنبياء على الإنسان ، وجهد أعداء الأنبياء خارج الإنسان ، يعملون له الزينات من مأكولات ومشروبات، وملبوسات ومسكونات ومنكوحات ومركوبات حتى يصرف بصره إليها، ويتعلق بالمخلوق دون الخالق ، وجهد الأنبياء على

الإنسان ، على قلبه، ليتعلق بالله ، وعلى جوارحه، ليتزين بالأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٤ – ١٥] .

هو ذو الجلال الذي جلَّ قدره وعَظُمَ في قلوب من عرفه، الذي عَظَّمَ قدره جل جلاله، وتنزَّه عما لا يليق به: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦].

هذا العرش العظيم لا يساوي ذرة في ملك الله العظيم: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

هذه الخلائق كلها ذرة في ملك ربنا العظيم، أنظر إلى هذه الشمس، وهذا القمر، في هذا الفضاء العظيم، من خلق الفضاء ؟ ومن وضع فيه هذا القرص الذي كالخبزة نراه ؟ وهذه الشمس التي هي أكبر من الأرض.

هذا العرش العظيم الذي هو أوسع المخلوقات وأعلاها، وأعظمها، وأكبرها، وأكملها، وأحسنها، مخلوق ليس بيده شيء .

فكل ما سوى الله ليس بيده شيء ، الأمر كله لله رب العالمين: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

أمر الخلق.. وأمر الرزق.. وأمر التدبير.. وأمر التصريف.. وأمر التحريك.. وأمر التسكين.. وأوامر الشفاء . وأوامر العطاء.. وأوامر المنع.. كلها بيد الله وحده: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣] .

ليس بيد الخلق شيء ، هذه المخلوقات تدل على عظمة الله لكن ليس بيدها شيء : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

فيجب السجود والطاعة للرب الذي خلقها: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[فصلت/ ٣٧] .

كل ما سوى الله ليس بيده شيء ، الأمر كله لله وحده ، الأمر من قبل ومن بعد كله بيد الله ، أوامر الصحة ، وأوامر المرض ، وأوامر الرزق ، وأوامر الفقر ، وأوامر الغنى ، وأوامر الأمن ، وأوامر الخوف ، وأوامر البسط ، وأوامر القبض: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[الملك/ ١ – ٢].

والله خلقنا على أربع صفات :

الضعف.. والفقر.. والعجز.. والاحتياج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر/ ١٥].

لنقف ببابه، ونسأله ونتوجه إليه في كل حال ، لكن الله ابتلانا بمخلوقات تفعل بأمره وإذنه ، فالكافر يقف عند المخلوق ، والمؤمن ينظر إلى المخلوق، ويتجاوزه إلى الخالق الذي خلقه وأنشأه فهذا الإنسان وهذا النبات من الذي خلقه وأمره ؟: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾[الواقعة/ ٥٨ – ٦٥] .

وهذا الماء من أنزله، وهذه النار من خلقها: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[الواقعة/ ٦٨ – ٧٤].

فالنار لها أربعة أقسام:

نار لها إنارة وحرارة كالشمس ونار الدنيا.. ونار لها إنارة بلا حرارة كالقمر ونار موسى، ونار لها حرارة ولها ظلمة شديدة وهي نار جهنم، وهي أظلم ما خلق الله،

وأحر ما خلق الله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام/ ٣٩].

هذا الخشب ؟ من الذي حوّل الخشب إلى نار، وكان عودًا أخضراً؟ عود شجرة، عود نخلة ، كان أخضراً، من الذي أيبسه وأودع فيه النار ؟ بمجرد ما نشعله يشتعل نارًا ، من الذي حبس النار في الخشب ؟ هذا الذي خلق هذه النار عنده نار تفضل على هذه النار بتسعة وستين جزءاً، نارنا هذه جزء من تسعة وستين جزءاً من نار جهنم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**» **قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: «فإنها فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً كُلُّها مِثْلُ حَرِّهَا**». متفق عليه (١)

وإذا كنا لا نطيق نار الدنيا، فكيف نطيق نار جهنم ؟ كيف يطيق الإنسان عذاب الله ؟ الإنسان لا يطيق حر الشمس، ولا يطيق صوت الرعد، كيف يطيق غضب الله يوم القيامة ؟ وكيف يطيق لعنة الله ؟ وكيف يطيق نار جهنم ؟: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة/ ١٦١ – ١٦٢] .

والعذاب دائم لا ينقطع: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[النساء/ ٥٦] .

فسبحان الرب القادر الذي خلق هذه النار العظيمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم/ ٦] .

والله أرحم الراحمين ، رب العالمين أرحم الراحمين ، لابد أن يتيقن القلب أن الله أرحم الراحمين ، والرحمن الرحمن لا يمكن أن يضر عبده ، إنما يربّيه إذا خرج عن الطريق ، يربّيه بمصيبة حتى يرجع إليه، أو يربيه بنعمة لعله يستحي من معصيته، ويتوب إليه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة/ ١٦٣].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥)، ومسلم برقم (٢٨٤٣)، واللفظ له.

فربنا عظيم، وخلقه عظيم، وملكه عظيم، وأمره عظيم، وجزائه وثوابه عظيم، وعقابه عظيم.

فسبحان الرب العظيم جل جلاله الذي جلَّ وعلا في عُلُوّ صفاته ، وتعذّر على الخلق أن يحيطوا بأسمائه وصفاته ؛ لأنهم لو عرفوها أحاطوا به، والله محيط بكل شيء: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

هذا العقل كالبصر ، البصر يرى محدوداً، والأذن تسمع محدوداً، وكذا العقل محدود، لا يحيط بكل شي ، هو يرى بعض عالم الشهادة، لكن عالم الغيب لا يعرفه إلا بالوحي المنزل، خالق هذا الكون لا يمكن أن يحيط به العقل، لكن يعلم ما أعلمه الله من خلال النظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية: ﴿ إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤ ﴾ [البقرة/ ١٦٤].

فسبحان الرب العظيم الذي جلَّ في عُلُوّ صفاته ، وتعذّر على الخلق أن يحيطوا بأسمائه وصفاته، ونعوت جلاله وجماله، وعظمته وكبريائه، ومُلكه وملكوته : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

هو رب ملك محيط بهذا المُلك العظيم، له ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك العالم العلوي والسفلي، وهو مَلِك على هذه المماليك كلها، وهذه الممالك، وجميع الملوك، وجميع العبيد، وجميع الذرات، وجميع المخاليق، هو ربهم الذي خلقهم والذي يُرَبّيهم ، فهو مَلِك يفعل في مُلكه ما يشاء ، هذا الرب هو الذي نعبده: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤ ﴾ [فاطر/ ١٣ – ١٤].

هو سبحانه الرب العظيم الذي يُرَبِّي عباده بصفات الجلال والجمال.

صفات الجلال كالمَلِك والجبار والكبير والقادر والقهار والمحيط ، وصفات الجمال كاللطيف والرحيم والعفو والرزاق والتواب، هذه صفات جمال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢ – ٢٤].

فالله ﷻ هو الرب العظيم الذي يُربّي عباده بصفات الجلال والجمال ، وله سبحانه صفات جلال، وصفات جمال، وصفات ظاهرها جلال، وباطنها جمال، وصفات ظاهرها جمال، وباطنها جلال.

فالرب من أسماء الجلال، لأن الرب شامل لجميع أسماء الله الحُسنى، وهو من الأسماء العظيمة كاسم الله، واسم الرحمن، وقد ذكر الله هذه الثلاثة في سورة الفاتحة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢ – ٣].

فربنا ﷻ له صفات جلال، وصفات جمال ، وله سبحانه صفات ظاهرها جلال، وباطنها جمال ، وصفات ظاهرها جمال، وباطنها جلال ، لننظر في ذلك فالله ﷻ إذا أعطى العبد عطاءً حسنًا من مالٍ أو رزق أو جمالٍ أو منصبٍ فهذا شيء جميل، لأن صفة العطاء من صفات الجمال ، لكن صفة السخط أو الغضب من صفات الجلال ، فإذا أعطى الله العبد عطاءً حسنًا فهذا شيءٌ جميل، لكن إذا لم يكن مع هذا العطاء شكر واستقامة من العبد فسيكون بعده عقوبة وتأديب بصفة الجلال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

وإذا أعطى الله الإنسان نعمة ولم يشكر الله عليها فسيعاقبه الله عليها : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٣] .

إذا أعطاني الله خيرًا لابد أن أفعل خيراً، فإذا خرجت عن هذا الخط إلى عمل الشر، فالله برحمته يؤدبني بمصيبة حتى أعود إليه بصفة الجلال ، صفة الجلال للقهر والإحاطة والعقوبة والانتقام ، وصفة الجمال للتأليف والتودد والرحمة واللطف والإكرام للعبد حتى يعود إلى ربه، ويستحي منه إذا رأى كرمه ولطفه، وإذا أوقع الله

الضر والبلاء بالإنسان فهذا جلال ، أصابه بمرض أو أصابه بأي شيء يدل على أن الله قادر ، وأنه عليم يراقب خلقه، فإذا أفضى به هذا البلاء إلى التوبة والإقبال على الله فهذا جمال : ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾[الأعراف/ ١٦٨] .
وقال سبحانه:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[الأنعام/ ٤٢ – ٤٣].
الله ﷻ أصابهم بالعقوبة ليتضرعوا ، أصابهم بالعقوبة صفة جلال ، ليتضرعوا إليه ويتوبوا إليه فيتوب عليهم وهذه صفة جمال ، فهذه الصفات صفات جلال باطنها جمال ، صفة جلال أن يعاقب الإنسان، وباطنها جمال ، الله يريد مني بهذه الضربة ، بهذا الانتقام، وبهذه العقوبة، أن أرجع إليه ، فهي صفة في ظاهرها صفة جلال، ولكن باطنها جمال، لما يحصل بعدها من التوبة.
لابد أن نعرف هذا التقسيم ، الله ﷻ يُرَبّي العباد بصفات الجلال والجمال ، وله سبحانه صفات جلال كالجبار ، وصفات جمال كالكريم ، وصفات ظاهرها جلال وباطنها جمال كأن يبتلي الإنسان بعقوبة حتى يعود إلى ربه فيتوب إليه ويرُدّه إليه بصفة الجمال ، وصفات ظاهرها جمال، وباطنها جلال ، فالله ﷻ يعطي الإنسان نعمة، ولكن إذا لم يشكر الله عليها فيكون بعدها عقوبة وتأديب بصفة الجلال: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية/ ٣٦ – ٣٧].
فهذا هو الرب الحكيم الذي يُرَبّي عباده بما يُصلحهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة.
فسبحان ربنا العظيم ما أعظمه، وما أرحمه بخلقه ، يسوق إليهم النعم ليُقبِلوا بها عليه، ويُطيعوه ويحُبّوه ، فإذا انصرفوا عنه أرسل إليهم مصيبة في أبدانهم أو في أموالهم أو في أولادهم ترُدّهم إليه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[إبراهيم/ ٧] .
وقال سبحانه:﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾
[المؤمنون/ ٧٦].

وهو سبحانه الرب الحكيم الذي منع ليُعطي ، أصلاً ما منع إلا ليُعطي، لأن العطاء أحب إليه من المنع ، فهو منع حتى نتضرع إليه، ونتوب من المعصية، ونستحي منه ، منع ليُعطي، فالله حكيم ما منع شيئاً إلا ليُعطي، ولكن لا يُعطي ولا يمنع إلا للمصلحة ، وهو يعلم المصلحة التي يعطي ويمنع لأجلها، فهو منع ليُعطي، وقبض ليبسط، وخفض ليرفع، وابتلى ليعافي، وجعل هذه الدنيا دار التواء وابتلاء ، مرة حرّ ، ومرة برد ، ومرة غنى ، ومرة فقر ، ومرة مريض ، ومرة متعافي ، ومرة خائف ، ومرة آمن ، هي دار التواء لا دار استواء ، لماذا ؟ حتى لا نسكن إليها، ولا نطمئن بها: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

نحن دارنا هذه دار الايمان والعمل، والمطلوب في دار العَمل العمل، وعدم الركون إلى أي مخلوق، بل نفرّ إلى الله، ونفعل ما يحب الله، ونكمل ما يحب الله: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠ –٥١] .

فالدنيا دار الفناء، ودار القرار في الجنة أو النار.

وجعل الله سبحانه بلاء الدنيا سبباً لعطاء الآخرة ، كل ابتلاءات الدنيا فيها أجور عظيمة، أين نجدها ؟ في الآخرة: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨٥].

أيوب ابتُلي بالمرض سبعة عشر عامًا ، ليس المقصود أن يمرض ، ولكن القصد أن يُربَّى الداعي، يحُبَس عن الدعوة، وعن العبادة، حتى يصبر، وإذا صبر رضى الله عنه ، ولذلك لما صبر أيوب كان العلاج تحت قدمه : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ص/ ٤١ – ٤٢].

لكن ما المقصود ؟ المقصود إظهار الصفة التي يحبها الله وهي الصبر ، الله فتح له باب العلاج ، لم يذهب إلى مستشفى ولم يذهب إلى فلان ولا إلى فلان ، هو داعٍ إلى الله ، الله حبسه حتى يتربّى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص/ ٤٤] .

فكانت ثمرة الصبر العافية وأنواع الاكرام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الأنبياء/ ٨٣-٨٤] .

فالله رب رؤف يبتليني ويقلّبني حتى يستخرج مني عبودية الصبر، هل أصبر لله؟، لأفوز بمعية الله، وبمحبة الله، وبتقوى الله.

والنبى ﷺ كان يدعو الى الله فى مكة، ولكن جميع الجهات كانت معارضة له يمين وشمال، وشرق وغرب ، فقام بالدعوة إلى الله ثلاثة عشر عامًا ، الله أطلقه يدعو، ولكن كل ما حوله كان معارضًا له، فخرج إلى الطائف فهل ذهب على فرس ؟ أو على جمل ؟ أو على حمار ؟ لا ، ذهب على قدميه؛ لماذا والله قادر على أن يُسَخّر له الريح كما سَخَّرها لسليمان ؟ حتى يكون قدوة لكل ضعيف، وليربيه قبل أن يربى به: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور/ ٤٨].

من أجل الدين أمشى على قدمىّ ، أمشى من هذه البيئة القوية الشديدة التى عارضت الدين، وعارضت الدعاة إلى الله، وأخرج من بلدي من أجل ابتغاء مرضاة الله، وطاعةً لله ، ذهب ﷺ إلى الطائف، ولم يستجيبوا له، بل ضربوه بالحجارة، فالله أنزل لنصرته ملك الجبال ومعه جبريل بعد أن اكتملت فيه صفة الصبر.

ثم لما رجع من الطائف أرسل الله إليه الجن سمعوا منه القرآن.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحد؟ فقال: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَومِكِ وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يومَ العقَبَةِ،إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي على ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ ابنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْني إلى مَا أَرَدْتُّ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ على وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإذَا أَنا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْني، فنظَرْتُ فَإذَا فيْهَا جِبْرِيلُ. فنَادَاني فَقَالَ: إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوْا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إلَيكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ فَنَادَاني مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَليَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ الله قَدْ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ، وَأَنا مَلَكُ الجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَني رَبُّكَ إلَيْكَ لِتَأْمُرَني بِأَمْرِكَ ، فَمَا شِئْتَ؟ إنْ شِئْتَ أَنْ أُطبِقَ عَلَيهِمُ الأَخْشَبَينِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ

اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً». متفق عليه(١).

ثم دخل مكة، ثم دخل بيت أم هانئ، ثم جاءه جبريل فقال : قم فإنك الليلة تناجى ربك ، ثم أُسريَ به إلى بيت المقدس، ثم صلّى بالأنبياء، ثم رُفِعَ إلى السماء من سماء إلى سماء وهكذا توالت النصرات بعد كمال التضحيات.

فالله ﷻ رقيب على عبده، شهيد على أعماله ، فإذا كان الإنسان فقيراً وعاجزاً وضعيفاً ومحتاجاً فليس له إلا التوجه للكبير القادر ، الرب العظيم، الملك الحق ، لكن لن تتوجه إليه إلا بعد أن تعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ** ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩] .

والسجين هو من سُجِنَ عن ربه، ولو كان يتقلب فى شهواته ، فالله جعل ابتلاءات الدنيا سبباً لعطاء الآخرة ، كل ما يأتينا من المصائب أجره مكتوب لنا ، وجعل الله عطاء الآخرة عوضًا من بلوى الدنيا ، كل ما يصيب المسلم من نَصَب أو وَصَب أو كل ما يصيبه من المصائب يُكفّر الله بها خطاياه، وهى رفعة لدرجاته ، ولهذا : «**أَشَدُّ النَّاس بَلاَءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ**» أخرجه أحمد (٢) .

فسبحان الرب الحكيم الذي يأخذ ليُعطى ، ويبتلى ليجزي : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴿١٥٥﴾ **ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ** ﴿١٥٦﴾ **أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ** ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة/ ١٥٥-١٥٧] .

نحن أو كثير من الناس إذا أصيب بمصيبة فجأة أول ما يشكو يشكو ربه أنا فيّ كذا وكذا ويشكو نفسه إلى المخلوق الذي ليس بيده شيء ، نحن مأمورون بفعل الأسباب، لكن المسلم ينظر إلى السبب الذي جاء بهذه المصيبة ؟ من الذي أرسل عليه هذه المصيبة ؟: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى/ ٣٠].

وربي أرحم الراحمين ، إذا كنت أعرفه عرفت أن المصيبة في هذا الوقت أفضل لي،

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (١٧٩٥) واللفظ له.

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: ٢٧٠٧٩.

لأني بعد هذه المصيبة التي جاءتني لا أذهب فقط، إلى المستشفى، لابد أن أذهب إلى المستشفى، وأخذ الدواء، وأرى الطبيب ، هذا أمر مطلوب لكن قبل الذهاب يجب أن أعرف ما الحكمة من المرض والمصيبة لي ؟ الحكمة أن أدعو ربي، وأفتقر إليه، ثم أدعوه، فيستجيب لي، لأنه الملك الذي بيده كل شيء: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

- فإذا استجاب الله ﷻ لدعائي أكرمني بسبع كرامات :

يزيد إيماني بربي.. ويزيد حبي له.. ويزيد حمدي له.. ويزيد تعظيمي له.. وتزيد عبادتي له.. وتزيد طاعتي له .

هذه المحنة في وقتها منحة ، وقوة الإيمان تظهر في المصائب ليس فقط في النعم ، فالنعم قد تُطغي الإنسان : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ ﴾ [العلق/ ٦ – ٧].

فإذا جاءت المصيبة، وانعقدت الأحوال، واشتد الكرب، وتعثرت الأمور، فِفرُّوا إلى الله الذي بيده مقاليد كل شيء ، لا نتوجه للمخلوق أبدًا لا للدواء ولا للطبيب ، بل نفزع إلى الله نتوضأ ونصلّي، ونطلب من ربنا كشف البلاء والكرب: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[البقرة/ ٤٥] .

نشكوا أحوالنا إلى من بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يوسف/ ٨٦].

نتوجّه إلى خالق الأشياء، وخالق الحاجات، ومالك الحاجات ، وجميع الحاجات مستجيبة لمشيئته، وخاضعةٌ لأمره ، ومسرعه إلى إرادته، فنتوجه إليه لأنه هو الذي جاء بها، وهو الذي أرسلها، وهو الذي يزيدها، وهو الذي ينقصها، وهو الذي يرفعها: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

الحمد لله رب العالمين أن عَرَّفَنا مثل هذه الأمور، وأدخلنا جنة المعرفة في الدنيا ليدخلنا جنة الآخرة يوم القيامة ، ومثل هذا العلم العظيم يزيد الإيمان في القلب ، لأن المطلوب زيادة الإيمان، الذي يحرك الجوارح بالأعمال، ليس المطلوب زيادة

الأموال ، الله يأمر بجمع الأموال، بل أمر بإنفاق الأموال ، المطلوب زيادة الإيمان، حتى تزيد الطاعات، وتتنوع العبادات، فيزداد النعيم، ويتنوع النعيم للمؤمن ، ربنا عظيم جل جلاله واحتفى ببني آدم فخلقهم، وخلق أباهم بيده جل جلاله، ورباهم بنعمه المادية والروحية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

- واعلم أيها الإنسان أن تربية الرب جل جلاله لعباده نوعان :

الأولى : تربية عامة للمؤمن والكافر والحيوان والإنسان والنبات وغيرهم من المخلوقات ، وهذه التربية العامة لجميع المخلوقات فالله خالق كل شيء، وهو الذي يمدهم بالنعم، وأسباب الحياة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

الثانية : تربية خاصة لأوليائه المؤمنين حيث ربّاهم، ووفقهم للإيمان، وربّاهم بمعرفته، وأعانهم على عبادته، وحبب إليهم طاعته، وكرّه إليهم معصيته كما قال سبحانه : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

فعلينا أن نزداد حمدًا وشكرًا لربنا ﷻ، لأنه هو الذي خلقنا وأَمَدَّنا بالنعم المادية، والنعم الروحية التي هي الإيمان: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

فلله الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ملء السماء وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ/ ١].

وربنا ﷻ عظيم كريم حكيم، له الأسماء الحُسنى، والصفات العُلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى ، مرة يكاشف القلوب بأسماء جلاله، ومرة يكاشفها بأسماء جماله، لأنه هو الرءوف الرحمن الرحيم جل جلاله، هو اللطيف بعباده، وهو أرحم

بهم من الأم الشفيقة بولدها ، فلا يختار لعبده إلا ما يُصلحه في دنياه وأُخراه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[البقرة/ ٢٤٣] .
فما أعظم رحمة الله بعباده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].
فالله ﷻ له فضل كبير على الناس ، فإذا تجلّى على عبده باسم الجلال امتلأ القلب خوفًا وخشية ، باسم الجلال يأتيه المرض ، يأتيه البلاء العظيم ، ليمتلئ القلب بالخوف والخشية، ويستكين إلى ربه، وينكسر بين يديه.
وإذا تجلّى على عبده باسم الجمال امتلأ قلبه محبةً وفرحاً ، وحمداً وشكراً.
هذه صفات الجلال، وصفات الجمال، من ربنا ﷻ يربي بها عباده: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء/ ٣٠].

- والناس اثنان :

منهم من تظهر فيه صفة الجلال والقوة والشدة .
ومنهم من تظهر فيه صفات الجمال واللين والرحمة واللطف .
ومن الناس من يجمع بين هذا وبين هذا.
فإذا تجلّى ربنا ﷻ على عبده ليربيه بأسماء الجلال، امتلأ قلبه خوفًا وخشية، فأطاع ربه، وخاف منه، وتوكل عليه، ورجاه ، وإذا تجلّى على عبده بأسماء الجمال امتلأ قلبه محبةً وفرحًا بربه ﷻ .
ولذلك يذكر الله أسماءه وصفاته في القرآن في آيات كثيرة : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾[الحشر/ ٢٢] .
ما دام رحمن ورحيم فهو أهل كل خير ، فأستغفره من الذنب، وأتقرّب إليه بما يحب ، وأرجو رحمته، لأن رحمته وسعت كل شيء ، ثم يذكر بعدها : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر/ ٢٣] .
المَلِك صفة جلال ، القدوس صفة جمال ، السلام صفة جمال ، المؤمن صفة جمال ، المهيمن صفة جلال ، العزيز صفة جلال ، الجبار صفة جلال ، المتكبر صفة جلال .

ثم يقول بعدها: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر/ ٢٤] .

فأسماء الله وصفاته وأفعاله كلها أسماء جلال وجمال وكمال.

والله ﷻ خلق المخلوقات جميعًا، وخلق أعظمها وأكبرها وأوسعها وهو العرش، ثم استوى عليه ، وخلق الإنسان، وخلق فيه القلب، وجعله محل نظره : «**إِنَّ الله لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ ولا إلى أَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» أخرجه مسلم(١) .

فهذا من رحمة الله بنا أن الله ينظر إلى قلوبنا، ويتفقد ما فيها ، فسبحان من يُقَلّب هذا القلب البشري بين السرور والطمأنينة، وبين الخوف والخشية ، وذلك كله لمصلحة العبد : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البقرة/ ١٤٣] .

وكل إنسان قريب من الله يدرك أنه بعد كل افتقار عطاء من ربه ، فكلما نفتقر إلى ربنا ونسأله، وننكسر بين يديه نجد الله يعطينا ، وبعد كل كِبَر من الإنسان تأديب من ربه ، إذا استكبر الإنسان، وأعرض عن ربه وعصاه، يأتيه تأديب من ربه، رحمةً منه جل جلاله بعبده: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر/ ٦٠].

فالمفتقر إلى الله ينعم باسم الجميل، لأن الجميل يكرمني بكل جميل وبكل محبوب ، والمعتد بنفسه والمتكبر يُعاقَب بصفة الجلال ، الله ﷻ يقصمه بمصيبة من مرض أو زلزال أو كوارث أو غيرها ، ولهذا فنحن أُمِرنا أن نحقق العبودية، ونسأل من بيده الملك وحده: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة/ ١٨٦] .

فسبحان الحي القيوم الذي يسمع جميع الأصوات، وجميع اللغات، من جميع المخلوقات، ويقضي جميع الحاجات، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة .

هذا الرب العظيم هو الذي يستحق أن يُعبَد، وأن يحمَد، وأن يُشكَر ، ربنا حكيم عليم قد يُحوِج الإنسان أحيانًا لعبد لئيم ، قد يُحوِجني إلى إنسان لئيم وأنا عبده المؤمن به، لكن قد يُحوِجني أحيانًا إلى إنسان لئيم فيرُدّني هذا الإنسان اللئيم ، لماذا ؟ لأعرف

---

(١)أخرجه البخاري برقم: ٢٥٦٤.

مقدار إحسان ربي إليّ، وأعلم أن هؤلاء الناس ليس بأيديهم شيء .
الله يُحوِجني إلى هذا الإنسان اللئيم حتى أذكر الكريم المنّان جل جلاله، الذي مَنَّ عليّ بكل نعمة، جئت إلى هذا اللئيم فأهانني فأفر منه إلى ربي ، فنرى هؤلاء الناس الذين في العالم يعانون ويُذَلُّون ويسوق الله إليهم من الشدائد ما لا يطيقون، هم غالبًا عُصاه، هان أمر الله عليهم فهانوا على الله، فسلَّط عليهم بذنوبهم من يُهينهم ، لماذا ؟ ليعودوا إلى ربهم، ويحسنوا الظن به : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾[الأنعام/ ١٢٩] .
فالله ﷻ يُسلّط ظالماً على ظالم ، أنا ظلمت نفسي، أو ظلمت غيري، فالله يُسلّط عليّ من يؤدّبني رحمةً بي حتى لا أخسر الآخرة، ولا أخسر الدنيا، بل أتوب إلى الله ﷻ ، ومن أصرَّ على معصية الله واستكبر أخذه الله أخذ عزيز مقتدر : ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾[الزخرف/ ٥٥] .
فالله ﷻ أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون، ودعاه واجتهد في دعوته، لكنه ما استجاب، والله يعلم أنه لا يستجيب، لكنه يريد أن يربي موسى تربية إيمانية ، فالله ﷻ بَيَّن أنه لما أصرَّ فرعون على كفره وعلى دعواه بقوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات/ ٢٤].
قال الله ﷻ: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾
[الزخرف/ ٥٥] .
فكل أمة بعد الدعوة أصرت على التكذيب والكفر يعاقبها الله في الدنيا قبل الآخرة:
﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤٠].
والله عزيز كريم : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون/ ٨] .
هو العزيز الذي يُعِزّ عبده المؤمن، ولا يُذِلُّه لمخلوق آخر بل يعزه ويُكرِمه أن يهان، ولا يُذِلُّه ولا يُهينه ولا يُحوجه إلى لئيم ، بل للمؤمن الكرامة والأمن : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام/ ٨٢] .
لكنه جل جلاله يُرَبّي بالمصائب ، بالنعم ، بالأحوال ، بالأحداث ، بالابتلاءات:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥ – ١٥٧].

أما هؤلاء الطغاة والأشرار والمجرمين الذين يُرهبون الناس ويؤذونهم، فهؤلاء عُصيّ بيد الله ، هم مخاليق خلقهم الله وهم عصي بيد الله، يُسلّطهم الله على من أساء من عباده ، فإذا تابوا كَفَّهم الله عنهم : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء/ ١٢٣] .

وبنوا إسرائيل لما خالفوا أمر الله سلط الله عليهم فرعون: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص/ ٤].

فكل الطغاة عِصي ينتقم بها الله ممن عصاه ، فالله ينتقم بالظالم، ثم ينتقم من الظالم ، ينتقم بالظالم الكبير من الظالم الصغير ، ثم ينتقم من الظالم الكبير ، إما بإغراق كما حصل لفرعون، وإما بالريح، وإما بالخسف أو بغيرها من العقوبات: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤٠] .

فربنا ﷻ خلق هذا الكون وهو الذي يُرَبّي من فيه، فسبحان الرب الذي بيده مقاليد الأمور ، الرحيم الذي يُرَبّي عباده بما يصلحهم، ليسعدوا في دنياهم وأُخراهم .

من عرف الله عرف كل شيء، ومن لم يعرف الله لم يعرف أي شيء ، فالله ﷻ له حكمة بالغة في خلقه وأمره، وفي تقديره وتدبيره ، من أطاعه ظاهرًا وباطنًا أكرمه ، ومن لم يكن له وازع يصدّه عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله ، لماذا ؟ لأن الله إنما يتقبل من المتقين: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٢٧] .

ربنا جل جلاله له صفات جلال ، ومن صفات الجلال : القوي والعزيز والقاهر، والقادر ينتقم من كل ظالم استشرى شرّه كما انتقم من أصحاب الفيل ، كما انتقم من

الأمم السابقة ، ويعاقب كل مجرم مهما علا وتجبر : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾[هود/ ١٠٢] .

إذا أخذ أخذ إما بخسف أو زلزال أو فيضان أو ريح أو نار أو حجارة أو غيرها .

يأخذ سبحانه بصفة الجلال تأديباً، ويُعطي بصفة الجمال تكرماً، هو العزيز الجبار الذي يقصم ظهور الطغاة ويُنزل العقوبة بالعُصاة لعلهم يتوبون إليه : ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأنعام/ ٤٣] .

فالفقه في أسماء الله وصفاته وأفعاله من أعظم النعم ، ومن وفقه الله لهذا أحبه وعظمه وكبره، وتقرّبَ إلى ربه بكل عبادة، وأدى هذه العبادة بكمال الأدب، وكمال التعظيم لله، وكمال الذل له وكمال الحب له ، وربنا ﷻ أراد منا أن نعرف هذه الأسماء، لنعبده بمقتضاها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف/ ١٨٠] .

لابد أولاً أن أعرف الأسماء، ثم أحفظها، ثم أفهمها، ثم أتخلَّق بها، ثم أعبد الله بموجبها ، والإنسان إذا عرف عظمة ربه خشي نقمته، وخاف عقوبته، فأطاعه ولم يعصه ، وهذا هو المقصود أن أطيع المَلِك الحق ولا أعصيه ، ومن خاف ربه دلَّه الخوف منه على كل خير: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا ١٥﴾ [السجدة/ ١٥] .

لأن الآيات الكونية، والآيات الشرعية تملأ قلوبهم إيماناً وحباً وتعظيماً .

﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾[السجدة/ ١٥] لما عرفوه من كمال عظمته وجلاله ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥﴾[السجدة/ ١٥] .

لا يستكبرون عن عبادته ؛ لأنهم عرفوا أنه المَلِك ، مالك المُلك ، خالق السماوات والأرض، ورب العالمين ، ورب السماوات، ورب العرش العظيم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦﴾ [السجدة/ ١٦] .

خوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه ، عندهم علم ينفقونه ، عندهم خُلق ينفقون أخلاق ،

عندهم مال ينفقون مالاً ، عندهم قوة ينفقون من القوة ويُعينون غيرهم: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[السجدة/ ١٦] .

على من ينفقون ؟ على عباده لمصلحة أنفسهم لا لحاجة الله؛ فالله غني عن كل أحد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر/ ١٥] .

إنما هم بهذا الإنفاق ينفعون غيرهم من الخلق، ويكسبون الأجر المضاعف عند ربهم جل جلاله ، فبقدر المعرفة يكون الإيمان ، وبقدر الإيمان تكون قوة العبادة ، وبقدر قوة العبادة تأتي قوة الدعاء ، وبقدر قوة الدعاء تأتي قوة الاستجابة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال/ ٢ – ٤].

لابد بعد العلم من العمل، عمل انفرادي بالعبادة بيني وبين ربي ، وعمل اجتماعي بيني وبين خلقه ، كافرٌ أدعوه، أو جاهل أُعلّمه، أو فقير أُعينه، أو مريض أساعده ، أما الإنسان تخرج منه المنافع لغيره: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤].

فالله ﷻ عظيمٌ وكريمٌ، ورحمن ورحيم ، عَرَّفَ عباده بعظمته، ليهابوه، وعَرَّفَهم بنعمه ليشكروه : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[الحجر/ ٤٩-٥٠] .

أنا الغفور الرحيم لمن أطاعني، ولكن إذا ضعف إيمانه فعصاني فأنا الغفور الرحيم ، وأما عذابي لمن كفر بي هو العذاب الأليم الذي ليس بعده عذاب : ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾[الرعد/ ٣٤] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[هود/ ١٠٢].

فربنا هو المَلِك الحق الحكيم الذي يُرَبّي عبده بما يُصلحه ، هو جل جلاله حكيم يُرَبّي الخلق بما يُصلحهم، فينتقم بعقوبة تردع صاحبها عن أن يعصي الله ﷻ .

هذه المصائب ليست مقصودة لذاتها ، فالله لا يعذب الخلق، إنما هو يُرَبّيهم ،

فالمقصود من هذه العقوبات أو هذه المصائب أن نعود إلى ربنا، ولا ننظر للعقوبة إنما ننظر لماذا جاءت العقوبة، ومن الذي يرفعها، فنتوجه إليه بالاستغفار والتوبة حتى الله يرضى عنا ؛ فهو سبحانه يُنزل العقوبة، ليردع صاحبها عن معصية الله ؛ ويعاقب ليوقف الباغي والمجرم والظالم عند حده، ويحفظ من سواه من العباد : ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾[الدخان/ ١٦] .

أمة تسهر على الفساد، وعلى المنكرات، وعلى الفواحش، وتتقلب في ليلها ونهارها بين المحرمات والخمر والسُكر، الله في أقل من نصف ثانية يحُرّك الأرض فيموت في ثانية واحدة مئات الألوف من الناس، أو يرفع منسوب البحر فيُغرق بلدة بكاملها ؛ أو يأمر أن تفتح الأرض فاها فتبتلع من فوقها من مدن وجبال، وحيوان وإنسان.

ربنا إذا بطش بطش جل جلاله، بهلاك عام: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾
[العنكبوت/ ٤٠].

هذه إشارات ومذكرات ومنبهات، لتعود الأمة إلى ربها، سواء كانت المصائب في النفس أو في الكون، من زلازل وأعاصير ومصائب مختلفة تأتي على الناس لكن لا تستأصلهم: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة/ ١٥٥ – ١٥٧].

لكن المصيبة الكبرى العظمى التي ليس بعدها مصيبة هي بعد الموت ؛ ما قبل الموت كله مذكرات ومنبهات وإشارات وإنذارات ؛ لكن الخسران المبين، والفلاح والفوز، كله بعد الموت فالناس بعد الموت إما خاسر وإما رابح ؛ إما ذاهب إلى حفرة من حفر النار، أو إلى روضة من رياض الجنة ؛ إما ذاهب إلى قصر من قصور الجنة ؛ وإما ذاهب إلى سجن من سجون جهنم: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران/ ١٨٥].

والله ﷻ هو الرءوف الرحيم بخلقه ، لا يقصم ظهور الطغاة، ولا يُنكّل بالجناة، ولا ينتقم من العصاة، إلا بعد الإعذار والإنذار والإمهال، فالله ﷻ يُمهل العباد ويُنذرهم ويرفق بهم ليتوبوا، فإذا لم يتوبوا أخذهم أخذ عزيز مقتدر، قطعاً لدابر الشر والفساد:
﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩)﴾[الطلاق/ ٨-٩] .

فالله رحيم يمهل الطاغية والمتجبر حتى يظن أن الله راضٍ عنه ، ويسوق إليه النعم، لعله يستحي من الله أن يعصيه بنعم الله ، فإذا أصر على كفره واستمر على ضلاله فالله ﷻ يُدمّره ويُريح الأمة منه كما فعل بفرعون وقومه : ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥)﴾[الزخرف/ ٥٥] .

فالله ينتقم من كل من أصر على كفره واستكبر عن عبادة ربه، لأن من صفاته الانتقام ، الله ﷻ لا ينتقم إلا إذا العبد أسخطه، أو الأمة أغضبته بكفرها وعدوانها.

فالانتقام من الصفات الفعلية التي يشاءها الله إذا حصل موجبها، يفعلها وإن كان لا يحبها؛ لأن الله ﷻ لا ينتقم إلا ممن ظلم وتجاوز الحد، والرحمة أحب إليه من الانتقام، لأنه أرحم الراحمين ، لكن العبد إذا عصى، وأصرّ على معصيته وحارب الله بنعمه في مُلكه، أفسد نفسه، وأفسد غيره، وأفسد في الأرض ، والأرض لا تصلح بوجود الفاسدين، فالله ينتقم : ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)﴾[السجدة/ ٢٢] .

وينتقم الرب بصفاته الفعلية إذا استشرى الشر والفساد والمنكرات في العالم.

هو الرحمن الرحيم لا يبطش بالمجرم من أول مرة، بل يمهله ليتوب إلى ربه ، فإن لم يستجب انتقم الله منه، وأراح الناس من شره : ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ (٩٥)﴾[المائدة/ ٩٥] .

والله عفوه أحب إليه من انتقامه، لكن العبد بسوء أفعاله الله ﷻ ينتقم منه ليحفظ هذا الكون على الاستقامة والصلاح ، فربنا جل جلاله كريم ورحمن رحيم بعباده ، أفعاله كلها خير ورحمة وحكمة وعدلٌ وإحسان ، ينتقم ممن عصاه، ليُصلحه ويوصله إلى أبوابه، ويُدخله إلى أبواب رضاه وطاعته : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥)﴾[الحج/ ٦٥] .

هذا الذي يعصي الله خرج عن الصراط المستقيم، فالله ﷻ برحمته يُصيبه بمصيبة حتى يرجع إلى ربه ، في الظاهر أنه يؤلمه بسبب عقوبته، لكن هذا الألم سيعقبه شفاء، وهو التوبة والرجوع إلى الله ، لهذا الله يعاقبه، ليتوب إلى ربه، فإن لم يستجب انتقم الله منه ، وإن استجاب قبل الله توبته ثم عاد إلى ربه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ ﴾[الحج/ ٦٥] .

وغضب الله ﷻ إذا غضب غضبت له السماوات والأرض ، وغضب ربنا جل جلاله لا يغضب لنفسه لأن كل ما سواه ذرة في مُلكه ، والله ﷻ لا يعجزه شيء ، هو قاهر لكل شيء ، ولا يخاف من شيء، بل كلٌ يخاف منه، وكلٌ يرجوه ، فالله لا يغضب لنفسه ولا يغضب على خلقه بل يغضب على أعمالهم السيئة التي سوف تُشقيهم، فيعاقبهم ليعيدهم إلى الأعمال الحسنة التي ترضيه وتسعدهم : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر/ ٢٢] .

الله لا يغضب لنفسه ولا يغضب على الخلق، إنما يغضب على الصفات السيئة التي اتصف بها بعض الناس ، فالله ﷻ يُمهل العصاة والظلمة، فإذا لم يرجعوا أخذهم أخذ عزيز مقتدر، ليُريح الناس من شر هذا الظالم، ويبقى الناس في أمن وطمأنينة.

هو الرب العظيم والإله الكريم الذي يرسل رسله بالآيات والإنذارات ، فمن لم ينتفع بالإنذارات سلَّط الله عليه العقوبات ، كما قال سبحانه عن فرعون وقومه: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الزخرف/ ٥٥] .

فالله أرسل لهم آيات : ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[الأعراف/ ١٣٣] .

فمن لم يستجيب للآيات والإنذارات فالله يُسلِّط عليه العقوبات كما حصل لفرعون وقومه، وسُنَّة الله جارية في كل زمانٍ ومكان على مستوى الأفراد والجماعات والدول أن من أعرض وطغى وتجبَّر أمهله الله ليتوب، فإن تاب وأناب، وإلا أخذه الله بذنبه .

وبحسب الذنب تكون العقوبة : ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت/ ٤٠] .

من أطاع الله له الأمن والطمأنينة في الدنيا، والسعادة والجنة في الآخرة ، لكن من عصاه سيأخذ عقوبته، وسُنَّته جارية : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴿٤٠﴾﴾[العنكبوت/ ٤٠] .

يحصبه كما حصل لقوم لوط ،وأصحاب الفيل﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [العنكبوت/ ٤٠] .

كما حصل لقوم صالح ثمود، صاح فيهم جبريل حتى تفجرت قلوبهم في صدورهم .
﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [العنكبوت/ ٤٠] .

كما حصل لقارون خسف الله به وبداره الأرض لما طغى وبغى .

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾[العنكبوت/ ٤٠] . كما حصل لقوم نوح، وحصل لفرعون وقومه﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠] .

الله دلّهم على الخير وأبعد عنهم الشر، ولكنهم رفضوا الخير، وأصروا على الشر.

فالله ﷻ هذا الملُك مُلكه، ولا يريد الباطل أن ينتشر فيه ، يريد أن يحُكم مُلكه بشرعه جل جلاله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠].

فربنا ملك قادر على كل شيء ، إذا رَحِم رَحِمَ حيث لا شقاء أبدًا ، وإذا بطَش بَطَش حيث لا نجاة أبدًا : ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩ – ٥٠].

فالله قادر على كل شيء، إذا بطش بطَش سواءً بالماء الذي يُغرق، أو بالنار التي تُحرق، أو بالخسف، أو بالزلزال أو بالإعصار أو بالرعب : ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج/ ١٢-١٦] .

لكنه رب حكيم في فعله، أما الإنسان فيفعل الأفعال التي فيها سفه ، ما يفعل الله إلا على مقتضى الحكمة ، يضع الشيء في موضعه ، فأفعاله جل جلاله دائرة بين صفات الجلال، وصفات الجمال، كلها لا تخرج عن صفة الحكمة، والعدل، والرحمة والإحسان .

فالواجب علينا أن نعرف ربنا بأسمائه وصفاته وأفعاله، لنعظمه ونطيعه ، ونعرف نعمه وإحسانه، لنحبه ونشكره، ونعرف شدة بطشه وانتقامه، لنخاف منه ونحذر معصيته : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٨] .

ماذا فعل ربنا بالأمم السابقة التي كذبت الرسل؟ ؟ ماذا فعل بقوم نوح ؟ ماذا فعل بقوم عاد ؟ ماذا فعل بقوم سبأ ؟ ماذا فعل بقوم صالح ؟ ماذا فعل بقوم لوط : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨﴾ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الطلاق/ ٨ –٩].

مهما عملنا ومهما أخطأنا فالله ﷻ وسعت رحمته كل شيء ، لابد أن نعرف أن الله شديد العقاب، وأن الله غفور رحيم، من أعظم أصول الإيمان أن نعرف ربنا العظيم بصفات الجلال، وصفات الجمال ، صفات الجلال تجعلنا نخاف منه ونعظمه ونُقبل على طاعته ، وصفات الجمال تجعلنا نحبه ونعبده بما يحبه ويرضاه جل جلاله.

والمؤمن حقًا من عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبده بموجب هذه المعرفة، فاجتمع في قلبه تعظيم ربه عن طريق الآيات الكونية ، ومحبة ربه عن طريق معرفة نعمه وإحسانه، فالله خلق الكون، وجعل فيه الآيات الكونية الدالة على عظمته ، وملأه بالأرزاق، والنعم التي تدل على كرمه وإحسانه، مثلاً الهواء هو نعمة من ربنا ﷻ، كل واحد منا يتنعم بهذه النعمة ، في كل يوم يأخذ كل إنسان ثلاثمائة وستين متراً مكعباً من الهواء، يأخذه صالحًا، ويُخرجه فاسدًا .

من ساق لي هذا الهواء الذي ينتقل معي في البر والبحر والجو ، ينتقل معي في كل مكان ؟ لا يملكه فلان ولا فلان، هذه نعم عظيمة ، من الذي سكَّن الأرض من تحت قدمي ؟ من الذي ساق لي الأطعمة والأشربة ؟ هو ربي جل جلاله.

من الذي خلق الليل والنهار ؟ الليل للنوم، والنهار للمعاش ، من الذي يُقلّب الليل والنهار ؟ من الذي خلق الشمس والقمر ؟ من نثر النجوم في السماء ؟ من نشر المخلوقات التي تدب على وجه الأرض وساق إليها أرزاقها ؟.

من الذي وضع اسمه على الماء فسال؟ ووضعه على السماء فاستقلت ؟ ووضعه على الأرض فاستقرت ؟ ووضعه على الجبال فرست ؟ ووضعه على اللسان

فتكلم ؟ ووضعه على الأذن فسمعت ؟ ووضعه على الدماغ فعَقِل ؟ هو ربنا جل جلاله مالك المُلك الذي بيده ملكوت كل شيء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

ما خلق ربنا المخلوقات وتركها ، خلق جميع المخلوقات وهو الذي يدبر أمرها : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

فالمؤمن حقًا من عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله فاجتمع في قلبه تعظيم ربه عن طريق الآيات الكونية، والآيات الشرعية ، ومحبة ربه عن طريق النعم والآلاء، واجتمع له خوف ربه عن طريق النِقَم والعقوبات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .

لأنهم عرفوا ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرفوا أسماء الجلال، وأسماء الجمال، وكانوا بموجب هذه المعرفة خاشعين خاضعين ، القلوب خاشعة، والجوارح خاضعة، والقلوب مطمئنة بذكر الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥ – ١٧].

فربنا ﷻ هو الكبير المتعال ، هو الرب العظيم الذي له مُلك السماوات والأرض وما فيهن، الذي إذا تجلّى على مخلوقاته بصفات الجلال أخذ العقول والألباب، إذا تجلّى جل جلاله على مخلوقاته بصفة الجلال والكبرياء والعظمة أرعب الألباب ، في صواعق، وزلازل، وخسوف، وبراكين وعواصف ، ففي ثانية محدودة أبنية تهدمت وحرائق اشتعلت، وأنفس قُتِلَت، وخلائق هلكت وعواصف عصفت، وبحار فاضت، وأرض خسفت، وبحسب الذنب تكون العقوبة ، وبحسب المعصية يكون الانتقام : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود/ ١٠٢] .

بصفات الربوبية الله ينتقم، ويغار على مُلكه، ويغار على خلقه، ويغار أن يُعصى في مُلكه جل جلاله على ملكه ومماليكه.

الله لطيف بالعباد يسمع ويرى ، فلابد أن أعرف السميع ، ولابد أن أعرف البصير ، ولابد أن أعرف الرب الذي يُدبّر هذا الكون ويُربّيه جل جلاله، حتى أخافه وأرجوه، وأعمل بطاعته، وأحذر معصيته: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح/ ١٣ – ٢٠].

وإذا تجلّى ربنا جل جلاله بصفة الجمال أخذ الألباب بنعم وأرزاق ، وأمن وعافية ، وطمأنينة وبركات ، وخيرات وأزواج ، وأولاد وأموال وبنين : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان/ ٢٠] .

فما أعظم شأن ربنا، وما أعظم نعمه وإحسانه وإكرامه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٢ – ٣٤].

وإذا عرفنا هذا عرفنا أنه لا يتطاول على عباد الله إلا جاهل بربه العظيم ، هؤلاء الفسقة المجرمون والطغاة لا يتطاولون على عباد الله إلا بسبب جهلهم العظيم بربهم ، فلابد أن ندعوهم إلى الله، ونُعرّفهم به، حتى يخافوه ويهابوه ، وهذا الذي يتطاول على عباد الله ويؤذيهم فلابد أن يُريَ الله ﷻ فيه الناس يومًا مشهوداً: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[السجدة/ ٢٢] .

فهذه المعارف غذاء القلوب، وسبيل السعادة في الدنيا، والفوز بالجنة، والنجاة من النار في الآخرة.

والنبي ﷺ كان في مكة في دار الأرقم يُعلّم الصحابة ثلاثة أمور:

يُعلمهم الإيمان.. والتوحيد.. ومكارم الأخلاق .

فالعبادات شرعت بعد معرفة الله، فلا يعبد الله إلا من عرفه حقاً، فالصلاة فرضت قبل الهجرة بسنة، في السنة الثانية عشرة من البعثة، والصوم والزكاة بعد أربعة عشر عامًا ، والحج بعد عشرين سنة ، لكن التوحيد والإيمان من أول يوم ، أصل التوحيد مبنيٌ على معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، هذا هو أساس التوحيد ، ثم يأتي التعبد بتوحيد العبودية بحسب هذه المعرفة قوةً وضعفًا ، ففي دار الأرقم كانت حلقة التعليم التي يقيمها النبي ﷺ حينما كان المسجد مغلقًا أمام النبي ﷺ، لأن الله يُربّيه ، والله قادر أن يفتحه، لأنه هو الفتاح العليم، لكن الله ﷻ يُربيّ النبي ﷺ ليكون قدوة لنا ، فإذا أُغلِقَ المسجد نحن نقيم الدرس في أي مكان .

- **في حلقة التعليم في دار الأرقم بمكة كان النبي ﷺ يتكلم في ثلاثة أمور :**

الأول : الكلام عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، كل السور المكية تتكلم عن عظمة الله، وعظمة أسمائه وصفاته، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه.

الثاني: قصص الأنبياء والرسل، وكيف نصرهم الله، وخذل أعداءهم: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾** ﴾ [يوسف/ ١١١].

وقال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم/ ٤١].

- فالله ﷻ يرسل الرسل إلى الناس ثم يدعونهم ليؤمنوا ثم ينقسموا إلى قسمين :

القسم الأول : من أطاع الرسل نجا ونجا الرسل معه .

القسم الثاني : من خالفهم فالله ﷻ يدمره كما دمر قوم نوح وقوم عاد وقوم صالح وغيرهم وأنجى رسله: ﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾** ﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

فالله يقص قصص الأنبياء والرسل للاعتبار والتثبيت: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[هود/ ١٢٠].

ومعرفة قصص الأنبياء والرسل من أعظم مولّدات الإيمان، لأن الله ينصر أولياءه

ويخذل أعداءه ، فكان النبي ﷺ يقص على الصحابة قصص الأنبياء والرسل كما في القران في سورة الشعراء، وسورة الأعراف، وسورة مريم، وسورة الأنبياء وغيرها يقص عليهم قصص الأنبياء وكيف الله ﷻ نصرهم، وكيف كانت طريقة حياتهم، لهذا هو مأمور أن يتبع ملّتهم : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٠] .

ثم الأمر الثالث : النبي ﷺ كان يتكلم عن اليوم الآخر ، الوعد والوعيد، والجنة والنار، هذه ثلاثة أمور قبل أن تنزل الأوامر والتكاليف في المدينة.

- فهذه ثلاثة أمور هي مولّدات الإيمان في القلب:

الأمر الأول : معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله كما كان النبي ﷺ يُعَلِم الصحابة في دار الأرقم : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ ﴾[الرحمن/ ١-٣] .

كلها تعريف بالله العظيم : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص/ ١ – ٤].

﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر/ ٤٩ – ٥٠] .

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[آل عمران/ ٢] .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر/ ٢٢ – ٢٤].

فأول شيء، وأعظم شيء أن نعرف الرب المعبود جل جلاله، حتى نعبده بالمحبة والتعظيم والذل له: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩].

الأمر الثاني: كان يقصص على الصحابة قصص الأنبياء كما في سورة إبراهيم ، وسورة الأنبياء، وسورة مريم، وسورة ص، وسورة الأعراف، وسورة الشعراء، كل السور المكية فيها بيان لقصص الأنبياء، والدعوة إلى الله، لأنهم قدوة حسنة للنبي ﷺ وأمته.

الأمر الثالث : تعريف الناس بما لهم بعد القدوم على ربهم يوم القيامة، ماذا لهم في الجنة من النعيم المقيم إذا أطاعوا الله، وماذا لهم من العذاب إذا عصوه.

ولما جاءت هذه المعارف عند الصحابة، وامتلأت قلوبهم بالإيمان، والتعظيم لله، والحب له، تعطشت قلوبهم للعبادات العملية، فجاء فرض الصلاة قبل الهجرة بسنة ركعتين ركعتين، ثم بعد الهجرة للمدينة جاء بيان أركانها وشروطها وكيفيتها وأنواعها، حيث بلغت أكثر من عشرين نوعاً من الصلوات ثم جاءت فريضة الزكاة والصيام والحج، ثم اكتمل دين الإسلام بآدابه وأخلاقه، وعباداته ومعاملاته، ثم بعد أن أكتمل الدين، وفرح به المؤمنون، توفى الله رسول رب العالمين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

فلابد كي نعبد الله بحق، لابد أن نعرفه بحق، فلا يعبد الله حقًا إلا من عرفه حقًا .

- **ولا يعرف الله حقًا إلا من عرف سبعة أمور :**

بأن يعرف الله.. ويعرف أسماءه.. وصفاته.. وأفعاله.. وخزائنه.. ووعده.. ووعيده .

فهذه المعارف هي مفاتيح أبواب التوحيد والإيمان، ومفاتيح أبواب التقوى والعمل الصالح، ومفاتيح أبواب الخوف والرجاء والحب لله.

فإذا تغذى القلب بهذا الإيمان اشتاق للأعمال، بالمحبة والذل لله ﷻ، والتعظيم له جل جلاله ، فهذه المعارف العظيمة هي التي جاء بها النبي ﷺ، وبيّنها للصحابة مرتبة من أول يوم.

وهذه الأمة تعلمت الدعوة قبل العبادة، لأنه في مكة النبي ﷺ دعا إلى الله ، وخديجة دعت من أول يوم ، أبو بكر دعا من أول يوم، قبل فرض الصلاة والزكاة والصيام والحج،من أول يوم أُعطِيَت هذه الأمة وظيفة الأنبياء والرسل، هذه الأمة نائبة عن النبي ﷺ ، قائمة مقام النبي ﷺ في العبادة والدعوة، وفي التعليم والاحسان، ومكارم الاخلاق: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

وقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

وقد أثنى الله ﷻ على هذه الأمة لقيامها بعمل نبيها ﷺ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران/ ١١٠] .

فأي تشريف؟، وأي تكريم؟، وأي تقدير لهذه الأمة من ربها؟

فيجد الإنسان نفسه في الصف الأول في الدعوة ، في العبادة ، في الأخلاق ، في الأعمال الصالحة، فالله أخبر عن نفسه أنه هو الأول، ويريد مني أن أكون الأول في العبادة، والدعوة، والأخلاق العالية ، في التوحيد ، في الإيمان ، في صلة الرحم ، في الإحسان إلى الخلق ، في تعليم الناس: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران/ ٧٩].

- وهذا الإنسان مركب من ثلاثة أشياء :

جسدٍ مادي.. وروح ملكي.. ونفس حيواني .

فهذا الجسد طعامه وشرابه من الأرض ؛ لأنه خُلق منها ، وهذه الروح غذاؤها بالإيمانيات القلبية، وهذه النفس غذاؤها بالشهوات البهيمية، وهناك روحٌ ونفس ، وعزة النفس، مقابلة لعزة الروح ، فالنفس الحيوانية تريد أحسن سُمعة ، وأحسن شهرة ، وأحسن شهوة ، وأحسن منصب، تريد هذه الأمور العظيمة، والروح تريد أحسن ذِكر ، وأحسن عبادة ، وأحسن أخلاق: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء/ ٩٠].

فالمؤمن غلبت روحه نفسه ، والكافر غلبت نفسه روحه ، وعزة المؤمن بالإيمان وطاعة الله ورسوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المنافقون/ ٨] .

وعزة الكافر عزة نفس ، ولهذا هو في شقاقٍ مع الدين : ﴿ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾[ص/ ١-٢].

شقاقٍ مع الدين ؛ لأن الشهوات في مقابل أوامر الله ، النفس تريد الشهوات ، والروح تريد تنفيذ الأوامر الإلهية ، فالنفس تريد أحسن أكل ، وأحسن سكن ، وأحسن لباس ، وأحسن شهوات ، فهي بهذه الشهوات تتقلب ، ولكن في الدنيا لا يجتمع للمؤمن عزة نفس، وعزة روح ، لكن في الجنة تجتمعان ، ففي الجنة جميع

شهوات النفس: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧].

وفيها كذلك جميع شهوات الروح من النظر للرب ، ورؤيته ، وسماعه كلامه ، ورضوانه، والقرب منه، وتسبيحه.

وفي الدنيا عزة الروح ، وعزة الروح في أذلال النفس ، وهذا طريق قهر النفس ، قهر النفس هو المطلوب ، مجاهدة النفس، حتى تخضع لأوامر الله ، في أن تترك النفس الهوى ، وتتبع الهدى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

- وطريق تكميل الأيمان لابد له من أربعة جهود :

جهدٌ على تحصيل الإيمان.. وجهدٌ على الاستفادة منه.. وجهدٌ على حفظه.. وجهدٌ على نشره .

ونحن في أسماء الله وصفاته نتحدث عن اسم الرب جل جلاله، ومعرفة الأسماء والصفات لله ﷻ في باب التوحيد والإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وبمنزلة القلب من البدن ، فجسدٌ لا رأس له ميت ، وبدنٌ لا قلب فيه ميت ، فلابد من معرفة الإله ، ومعرفة الرب ، ومعرفة الآمر قبل الأوامر ، ومعرفة المعبود قبل أوامر العبادة .

فربنا ﷻ له الأسماء الحسنى ، وله الصفات العلى ، وله الأفعال الجميلة ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف/ ١٨٠] .

معرفة الرب تولد في القلب تعظيم الله ، ومحبته ، والخوف منه ، والرجاء له والتوكل عليه ، والخشية له ، والانكسار بين يديه، والحمد والشكر له، وكثرة الاستغفار: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

هذا هو العلم الإلهي المطلوب لهذا القلب ، وهذا القلب هو الذي يحرك الجوارح بالطاعات، إذا امتلاء القلب بالإيمان، والتوحيد ، ومعرفة الله ، حرك البدن بطاعة الله ورسوله.

يحرك اللسان : بالذكر ، والدعاء ، والدعوة ، والتعليم ، ويحرك الجوارح : بالركوع ، والسجود ، والصيام ، والزكاة ، وسائر أعمال الدين المختلفة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾ [الأنفال/ ٢ – ٤].

فربنا ﷻ حيٌ ، قيوم ، عزيزٌ ، رحيم ، هو الأول بلا بداية ، كل شيءٌ له بداية ، وله نهاية ، والله ﷻ هو الأول بلا بداية ، وهو الأخر بلا نهاية ، من توجه إليه سبحانه أشهده الباقيات والفانيات ، وهداه متعلقٌ بالباقيات الصالحات ، وترك الفانيات ، فمن جاهد من أجل ذلك فالله ﷻ يهديه سُبل رضاه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾[العنكبوت/ ٦٩] .

هذا الرب العظيم جل جلاله له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلى ، والمؤمن يسير في أعماله، وفي دعوته، وفي تعليمه بعاطفتين: عاطفة الرحمة، وعاطفة الغيرة .

عاطفة الغيرة : حتى لا يعصى الله في الأرض ، وحتى يُعبد الله الحق وحده لا شريك له: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾ [البقرة/ ٢١ – ٢٢] .

وعاطفة الرحمة : حتى لا يذهب الإنسان إلى النار ، حتى لا يذهب هذا الإنسان إلى جهنم، فيدعو كل إنسان إلى الله، ليفوز بالجنة، وينجو من النار: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

وعاطفة الرحمة : تظهر أكثر في مجال الدعوة إلى الله.

وعاطفة الغيرة : تظهر أكثر في مكان القتال في سبيل الله، فالدعوة إلى الله لها أخلاق من اللين والرحمة، والقتال في سبيل الله له أخلاق من القوة والشدة.

في الدعوة يظهر الداعي عواطف الرحمة للخلق ، يرحمهم ؛ لأنه يعلم أن من مات على كفره، يذهب إلى جهنم ، فالداعي إلى الله يظهر عواطف الرحمة ، ويكبت عواطف الغيرة في قلبه ، وفي القتال يظهر عواطف الغيرة ؛ حتى لا يُعبد إلا الله ، فلا

يُعصى الله في الأرض ويكبت عواطف الرحمة : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [الفتح/ ٢٩] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩ ﴾ [التحريم/ ٩] .

ففي الدعوة نظهر عواطف الرحمة ، ونكبت عواطف الغيرة في القلب ، وفي القتال يظهر المجاهد عواطف الغيرة على الدين ، ويكبت عواطف الرحمة ، لأن هؤلاء الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ، وعاندوا ، وعارضوا هذا الدين ، ولم يستجيبوا لأمر الله ورسوله ، لم يبق بعد الكلام باللسان إلا الضرب بالسنان ، ولابد أن يظهر الإنسان قوة الدين ، في ميدان الجهاد تظهر عاطفة الغيرة على الدين ، وتكبت عواطف الرحمة ، وفي بيان الدعوة نظهر عواطف الرحمة، ونكبت عواطف الغيرة ؛ حتى يأتي الناس إلى الدين ويحبون الدين: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

فربنا ﷻ يربي العباد بالسراء والضراء ، ويربيهم بما يصلحهم وينفعهم ، وهو جل جلاله رب قبل أن يخلقنا ، رازق قبل يخلقنا ، وخالقٌ قبل يخلقنا ، ونحن محتاجون إليه ، فلابد أن نعرف ربنا جل جلاله ، نعرف الرب ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله قبل أن نعبده ، نعرف من هذا الرب الذي له الأسماء الحسنى ، وله الصفات العلى ، هو سبحانه الرب الحي القيوم، العزيز الرحيم ، الأول بلا بداية ، والأخر بلا نهاية، الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء، المحيط بكب محيط، من توجه إليه هداه سبل رضاه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت/ ٦٩] .

فسبحان الغني الكريم، المالك لكل شيء ، الذي عنده خزائن كل شيء ، الغني الذي لا يحتاج إلى شيء ، وما سواه يحتاج إلى كل شيء ؛ لأنه فاقدٌ لكل شيء ، ولم يكن شيئا حتى يفعل شيئا، بل هو محتاجٌ إلى ربه الذي خلق كل شيء ، وبيده كل شيء جل جلاله .

فالإنسان فقير يحتاج إلى السمع والبصر، والعقل والعلم، والعافية والرزق، والهدى والأمن، والله وحده هو الذي أوجده ، وأوجد له النعم : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر/ ١٥] .

نحن نتنفس من هوائه ، ونشرب من مائه ، ونأكل من رزقه ، ونسكن في أرضه ، فالله ميزنا على غيرنا جل جلاله بأن أعطانا هذه العقول التي تعقل عن ربها، وتعرف الحق من الباطل ، والخير من الشر: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣].

وهو سبحانه الرب ، المالك ، الحق ، الذي أحسن إلى كل مخلوق بنعمة الإيجاد ، ونعمة الهداية ، ونعمة الإمداد ، وأحسن إلى الإنس والجن بنعمة الدين ، وأحسن إلى المؤمن خاصة مع ذلك بنعمة الهداية، ودخول الجنة : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات/ ١٧] .

هوجل جلاله الرب الكريم الذي أنعم بالنعم المادية ، والنعم الروحية ، وأحسن إلى كل مخلوق بنعمة الخلق والإيجاد، كانت جميع المخلوقات معدومة، فأوجدها الخالق جل جلاله.

ونعمة الهداية : هذه الشمس للإضاءة، وهذا القمر للإنارة ، وهذه الأرض للإنبات ، وهذا اللسان للكلام ، وهذه الأذن للسمع ، فهو الذي أحسن كل شيءٍ خلقه جل جلاله : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[الأعلى/ ١-٣] .

ولكن الله أحسن إلى الإنس والجن بنعمة الدين ، وأحسن للمؤمن الذي هداه ربه جل جلاله بنعمة الهداية ، ودخول الجنة ، هذا من فضل الله جل جلاله ، وهو سبحانه الرب المحسن إلى الخلق كلهم بصنوف النعم، ولو غفل عن ذلك الغافلون ، وجحده الجاحدون ، وأعرض عن شكره الكافرون : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[غافر/ ٦١-٦٢] .

ومن إحسان الرب الكريم ، وفضله على الإنسان، أن أخرجه من عدم ، وصوره في

أحسن صورة ، وهي صورة آدم أحسن صور العالم : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾[غافر/ ٦٤] .

من هذا الرب ؟: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[غافر/ ٦٤] .

ومن إحسانه إلى الإنسان أن خلقه ربه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسجد له ملائكته ، وطرد ولعن من أستكبر عن السجود له: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾[الأعراف/ ١١] .

الملائكة سجدوا لآدم، لأنهم نظروا إلى الآمر بماذا أمر ؟ أمر بالسجود لآدم ، هم أطاعوا الآمر، ولم ينظروا إلى المأمور بالسجود له سواءً كان الكعبة ، أو البيت المعمور، أو آدم ، أو غيره ، مادام أمر الآمر هم أطاعوا ، وإبليس نظر إلى المأمور بالسجود له فأستكبر ، ولم يلتفت إلى أمر الآمر ، فأستكبر عن السجود له.

ولهذا السجود لغير الله شرك، والسجود لغير الله من مخلوقاته بأمر الله عبادة ، ثم الله ﷻ أخرج الشيطان من الجنة إلى الأرض ، وأمهله بعد لعنته إلى يوم القيامة : ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾[الحجر/ ٣٤-٣٥] .

فالله أبقى الشيطان الى يوم الدين، لحكم عظيمة، أكثر من مائة وخمسين حكمة ذكرت في التفسير الكبير ، ومن هذه الحكم أن الله يريد أن الإنسان يجاهد في سبيل الله ؛ ليكتب مع المجاهدين في سبيل الله ، يجاهد هواه، ويجاهد نفسه على طاعة الله ، فيظل دائمًا يجاهد نفسه على الطاعة ، ويحذر من عدوه، لينال أجر المجاهدين والصابرين .

ومن إحسان الرب جل جلاله إلى الإنسان أنه خلقه في أحسن صورة ، وأنعم عليه بفصاحة اللسان ، وحسن السمع والبصر ، وتمام العقل : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل/ ٧٨] .

ربي خلق لي السمع، يجب علي أن أسمع به أحسن شيء، أحسن شيء أسمع الكلام عن الله ، وأسمائه وصفاته، وعن دينه وشرعه ، وعن وعده ووعيده.

ربي خلق لي البصر، لابد أن أرى به أحسن شيءٍ، انظر في الآيات الكونية في الآفاق، وأنظر في الآيات الشرعية: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق/ ٦ –٨].

ربي أعطاني العقل ، أعقل به ما ينفعني وما يضرني ، أعقل به الأوامر الإلهية ، أعقل به أوامر الحلال والحرام، أعقل به الآيات والمخلوقات: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤﴾ [البقرة/ ١٦٤].

ومن أعظم إحسان الرب إلى الإنسان أن أرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، وهداه إلى الإسلام ، وعلمه الكتاب ، ويسر له الدين ، وأعانه على عبادته والعمل بما علم ، وأثابه على كل عمل صالح، ووفقه لنشر ما علم بين عباده ، وزين له كل عملٍ صالح ، وبغض إليه كل عملٍ سيء : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾[آل عمران/ ١٦٤] .

ونعم الله على الإنسان لا يمكن عدها ولا إحصاءها في النفس ، والمال ، والرزق ، والولد ، والعافية ، والدين ، والأمن ، والعناية ، والتكريم.

فالله ﷻ من علينا بنعمٍ كثيرة : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾[إبراهيم/ ٣٤] .

فسبحان الله كيف يعصي الإنسان ربه بنعمه ، ويعرض عنه بقلبه وبدنه ، مع عظيم إحسان ربه إليه ، وجزيل إنعامه عليه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾[الانفطار/ ٦–٨] .

وكيف يتعلق الإنسان بالفقير العاجز ، ويعرض عن ربه الغني القادر ! .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج/ ٤٦] .

فربنا ﷻ عظيم ، وأسماؤه عظيمة ، وشأن ربنا عظيم ، وملكه عظيم ، وجماله وحسنه وإحسانه عظيم، لا تحيط بذلك جميع عقول العالمين ، لو جمعنا جميع عقول العالمين ما استطاعت أن تحصي الثناء عليه، والحمد له ، فلو صور ربنا العالم العلوي ، والعالم السفلي، على أحسن صورة في رجلٍ واحد ، ثم جمع له جميع عقول العالمين ، جمع في هذه الصورة جميع عقول العالمين من الملائكة ، والإنس ، والجن ، وجميع ما خلقه الله ، ثم ضاعف العقل أضعاف ما خلقه من أعداد الخلائق .

ثم ضا عف ذلك أضعافًا مضاعفة ، ثم كشف له عن حقائق الأمور ، وأظهر له الخفي المستور ، وأعلمه عواقب المآل ، وأطلعه على عظيم حكمته وخفي أمره في مسائل التدبير في العالم ؛ لم يزداد بذلك إلا إيمانًا ويقينًا ، ولم يعلم من حسن ربه وإحسانه ، وعظمة أسمائه وصفاته، إلا ما أطلعه الله عليه، من عالم الغيب والشهادة : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

فسبحان ربنا العظيم، ما أعظم شأنه، وما أعظم ملكه وسلطانه، وما أعظم نعمه وإحسانه.

هذا هو غذاء القلوب ، وهذه القلوب إذا جلست على موائد الإيمان ارتوت ، وامتلأت بالإيمانيات ، وازدادت حبًا لله ، وتعظيمًا له ، وذلًا له.

وربنا حكيم ساق إلينا النعم الحسية، لنستعين بها على عبادته، ونشكره عليها: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [المؤمنون/ ٥١] .

فالبدن الصالح يقوم بالعمل الصالح، والعمل الصالح لابد له من محرك ، هذا المحرك هو الإيمان ، وأعظم محرك للإيمان معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، فنجلس في المجالس الإيمانية بالافتقار ، والتعظيم لله ولكلامه، والحب لله ولكلامه ، والحب لرسول الله ﷺ ولكلامه ، والافتقار ، والانكسار ، والتواضع

حتى الله ﷻ يعطينا ، يعطينا من علمه ، ويملأ قلوبنا بما يجعلنا نعظمه ، ونكبره ، ونحبه، ونحمده، ونعبده جل جلاله كما يليق بجلاله: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح/ ١٣ – ٢٠].

فسبحان الله لا يعصيه إلا من جهل أسماءه وصفاته ، فلم يقدر الله حق قدره : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر/ ٦٧] .

فسبحان ربنا الحق الذي خلق الحسن في العالم كله ، وعم بإحسانه جميع مخلوقاته ، وأوصل بره وإحسانه إلى جميع عباده ، هو الرب الذي أبدع الحسن والزينة في العالم كله تبصرةً وذكرى لعباده : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴾[ق/٦-١١] .

بل النفوس عاجزة عن معرفة ما أعده الله لأوليائه من النعيم في الجنة ، فكيف تحيط بأسمائه وصفاته، وعظمته وجلاله وجماله ، لا تستطيع أن تحيط بصفة من صفاته، فكيف نحيط بمعرفة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[طه/ ١١٠].

فربنا الخالق العظيم الذي خلق كل شيء، هو الذي يستحق أن نعبده وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام/ ١٠٢] .

فالعرش شيء ، والكرسي شيء ، والملائكة شيء ، والسموات السبع شيء ، والملائكة الذين يعمرونها شيء ، والله خالق كل شيء.

وما بين السماء والأرض من السحب والنجوم، والشمس والقمر، والنور والرياح شيء ، والله خالق كل شيء.

والأرض شيء ، والجبال شيء ، والبحار شيء ، والماء شيء ، والنار شيء ، والإنس شيء ، والجن شيء ، والنبات شيء ، والحيوان شيء، والطير شيء، والجماد شيء ، والله خالق كل شيء: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[الزمر/ ٦٢ – ٦٣].

وربنا على كل شيءٍ وكيل .

وكيلٌ على الشمس ، أمرها أن تشرق من المشرق، وتغرب من المغرب ، وكيلٌ على الشمس في حرارتها وفي إضاءتها ، وكيلٌ على القمر يبدو هلالًا حتى يصير قمراً منيرا، ثم يعود وينقص مرة ثانية ، وكيلٌ على الإنسان في حركاته ، وسكناته ، يقلب عليه أحواله ، وكيل على الجبال والبحار، وكيل على الأرض والسماء ومن فيهما، وكيل على النبات والحيوان والإنسان، في نموه وتكاثره: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾[الأنعام/ ٣٨ – ٣٩].

وسنة الله أن جميع الأشياء والأحوال كلها بيد الله وحده، وفي هذه الدنيا كالشمس والقمر، والليل والنهار، ثبات الأحوال محال ، والترقي بالأحوال محال ، فالأشياء كالجبال ، والإنس والجن وغيرهم، والأحوال هي أحوال هذه المخلوقات ، فالله خالق الأشياء ، وخالق الأحوال جل جلاله ، لابد أن يعرف القلب أن الله خالق كل شيء، وأنه مدبر لكل شيء: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور/ ٤٤].

فالأحوال كلها بيد الله الذي له الخلق والأمر، الأحوال كلها بيد ربنا جل جلاله : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٣] .

فلابد للقلب أن يعرف هذا ، فالله ﷻ خالق الأشياء والأحوال ، لماذا ؟ للابتلاء ، خلق الله الأحوال والأشياء للابتلاء ، فليست مهمتنا في هذه الحياة الترقي بالأشياء والأحوال ، ليس مهمتنا، أو رسالتنا في هذه الحياة أن نترقى بالأشياء، بالأموال ،

بالبيوت والقصور والمزارع ، بل رسالتنا الترقي بالإيمان والاستقامة وتثبيت ذلك.
ثبات الأحول في الدنيا محال ، فالله يقلب الأحوال كما يقلب الليل والنهار، ومن سنة الله في الدنيا عدم ثبات الأحوال ، فربنا يقلب الأحوال على العبد كما يقلب الليل والنهار ، فقرٌ بعد غنى ، ومرضٌ بعد عافية ، وأمنٌ بعد خوف ، وذلٌ بعد عزة ، وموتٌ بعد حياة.. وهكذا.
فيقلب ربنا الأحوال على عبده، ليبتلي هذا العبد ، هل يكون عبدًا له في السراء والضراء ، في حال الفقر، وفي حال الغنى ؟ فثبات الأحوال في الدنيا محال ، لابد من تقليب الأحوال على الإنسان ابتلاء من الله ﷻ ، وإذا مرضنا ، أو افتقرنا لا نسأل الله الشفاء ، ولا نسأل الله الغنى ، بل نسأله الهداية : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة/ ٦] .
فإذا هداني الله ﷻ قضى حاجتي ، إذا عرفته وسألته قضى حاجتي ، فالشفاء ، والغنى ، والعافية حاجتنا ، والهداية مقصد حياتنا ، مقصد حياتي أن أهتدي إلى ربي الذي خلق السماوات والأرض ، والذي خلقني وأنا إليه راجع، أن أهتدي إليه ، وأجلس في مجالس الإيمان لأهتدي ، وإذا جاءت عندي الهداية جاءت الاستقامة .
سؤال الشفاء والغنى والعافية هو حاجة ، لكن الهداية أعظم من ذلك، هو جل جلاله لا يرضى أن نسأل غيره ، بل نسأله وحده ، نسأله كل شيء ، لكن السؤال الأساسي ، وأعظم سؤال ، وأعظم طلب : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾[الفاتحة/ ٦] .
فالأحوال والأشياء في الدنيا تتغير ، والأشياء والأحوال في الآخرة تثبت ، في الدنيا تتغير الأحوال للإبتلاء فقرٌ بعد غنى ، ومرضٌ بعد صحة ، وأمنٌ بعد خوف: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء/ ٣٥].
لكن في الآخرة تثبت الأحوال ، في الدنيا تتغير الأحوال ، وتغيير الأحوال بيد ربنا ﷻ، أما تغيير الأعمال فهو بيدي أنا ، أنا أستطيع أن أصلي ، وأصوم ، وأحج ، وأعتمر ، وأذكر الله ، وأقرأ القرآن ، وأصل الرحم ، وأعمل في الباقيات الصالحات ، وأستطيع أن أقوم بخلاف ذلك.
فتكميل الأعمال علينا، وتغيير الأحوال بيد ربنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ

مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾[الرعد/ ١١].

تصريف الأحوال بيده جل جلاله ، لابد أن أعرف أن الذي يلقب الأحوال هو الله ﷻ، وثبات الأحول في الدنيا محال ، والعزة بالأحوال محال ، العزة بالدين ، العزة بالاستقامة ، العزة بطلب العلم ، العزة بأن أكون عبداً لله جل جلاله .

فالأحوال والأشياء في الدنيا تتغير ، والأشياء والأحوال في الآخرة تثبت، في الآخرة لأهل الجنة حياةٌ بلا موت ، ونعيمٌ بلا بؤس ، وشبابٌ بلا هرم ، وأمنٌ بلا خوف ، وعافيةٌ بلا مرض، وفي الآخرة تثبت هذه الأحوال لأهل الجنة على هذه الصورة: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزْقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة/ ٢٥].

وأهل النار يثبتون كذلك على أحوال شقاءٌ دائم ، في شباب دائم ، في حياةٍ دائمة ، في خلودٍ دائم: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة/ ٦٨].

فمن سنة الله تغيير الأحوال في الدنيا على الإنسان امتحاناً وابتلاءً ، حتى تأتي عبودية الله في السراء والضراء، وكلما غير الانسان عمله غير الله أحواله.

فسنة الله في الدنيا ثبات الأحوال محال .

والسنة الثانية : الترقي بالأحوال الدنيوية محال .

والسنة الثالثة : الترقي فقط بالإيمان والتقوى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم/ ٣٠].

فمن أراد الترقي في دينه فليعش في بيئة الإيمان، والأعمال الصالحات ، ويهرب من بيئة الغفلة وشهوات الدنيا، وأعمال الدين كلها جواهر ومحاسن من صلاةٍ وصيامٍ، وزكاةٍ وحج، وأذكارٍ وأدعية وأخلاق وآداب، ودعوة وتعليم، ورحمة وإحسان: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ

فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٨].

وبالعمل بالحق ، والقيام بجهد الحق ، يكون الإنسان خليفة في الأرض ، يكون خليفة الحق في الأمة: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص/ ٢٦].

وبالعمل بالباطل ، وبجهد الباطل، يكون الإنسان خليفة للشيطان في الأمة: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [يس/ ٦٠ – ٦١].

فالمطلوب من الإنسان أن يكون خليفة في الأرض ، مؤتمنٌ على الأوامر الإلهية يعمل بها ، ويدعوا الناس إليها ، ولمعرفة ذلك لابد من الجلوس في البيئة الإيمانية حتى يعرف القلب من هو المعبود حقًا ، ومن هو الذي يجب أن نعبده ، وما هي رسالتي في هذه الحياة؟ وما الأعمال التي يجب أن أقوم بها؟.

فاسأل ربك الهداية، فهي أعظم شيء في خزائن الله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٦].

افتح لي أبواب الهداية حتى أهتدي إلى ربي ، وأعرف ربي بأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده ، هذه جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الأخرة.

فأساس الدين هو الإيمان بالله ﷻ ، واليقين على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ، ووعده ووعيده ، وجميع الأعمال والعبادات مبناها وقبولها مبنيٌ على هذا الأصل العظيم ، وإذا ضعف هذا الإيمان ونقص ضعفت الأعمال والعبادات ، فساءت الأحوال ، ثم ساءت الأخلاق ، ثم جاء سخط الله ، ثم جاءت عقوبته.

فالإيمان بالله أوجب وأفضل الأعمال ، ولتحصيل هذا الإيمان وزيادته وحفظه لابد من أربعة جهود:

الجهد الأول : جهدٌ على تحصيل الإيمان بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره، والنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية، والتصديق بالغيب: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ

﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

الجهد الثاني: جهدٌ على حفظه في الجو الإيماني، أحفظ الإيمان في الجو الإيماني، أكون ملازماً لبيئة الإيمان والأعمال الصالحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[التوبة/ ١١٩].

الجهد الثالث: جهد على الاستفادة من الايمان في كل وقت، بالمسارعة الى الأعمال الصالحة، وسؤال الله تفريج الكربات، وقضاء الحاجات: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء/ ٨٧–٨٨].

الجهد الرابع: جهد على نشر التوحيد والايمان والأعمال الصالحة في العالم، وذلك يزيد في إيماني وحسناتي، لأن كل من عبد الله بسببي فلي أجره، من غير أن ينقص من أجره شيئاً: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

فأحرص على ملازمة الجو الإيماني الذاكر، والعقل يحفظ المعقولات؛ ليعبد المسلم ربه بمقتضاها، يعرف طريقة الوضوء، وطريقة الصلاة، وطريقة الزكاة، طريقة الحج، فعلم الأوامر محله العقل، يميز به بين الشرائع، ويعبد الله بما جاء به رسوله ﷺ، أما مكان الإيمان فهو القلب، كيف يمتلئ هذا القلب بمحبة الله وتعظيمه؟ وأعظم ما يمتلئ به هو الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده.

والاطلاع على جهد الأنبياء، فالله ذكر في القرآن الأنبياء والرسل، وذكر الشيطان وجنوده، وذكر جهد أهل الحق، وذكر الحق، ومن يقوم بالحق، وذكر الباطل، ومن يقوم بالباطل، والله أمرنا بذكر حياة الأنبياء والرسل لأنها أحسن حياة، وأفضل حياة، وأطهر حياة، فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾ [مريم/ ٤١].

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾ [مريم/ ٥١].

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ ﴾ [مريم/ ٥٤] .

حتى نعرف جهد الأنبياء ، ونتشبه بطريقة حياة الأنبياء في العبادة والدعوة، وكمال الإيمان والتقوى فأفضل طرق الحياة حياة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[الأنعام/ ٩٠] .

- **وحياة الناس خمسة أنواع :**

ذكر حياة الأنبياء والرسل تعلق الناس بالإيمان والأعمال الصالحة.. وذكر حياة أهل الجاه والسلطان تعلق الناس بالمناصب.. وذكر حياة الأغنياء تعلق الناس بالأموال والتجارات.. وذكر حياة البهائم والأنعام تعلق الناس بالشهوات.. وذكر حياة السباع تعلق الناس بالعدوان وسفك الدماء.

وإذا عرفنا حياة الأنبياء والرسل عبدنا الله كما يجب؛ لأنهم أعلم الخلق بالله، وأعبدهم له، وأخشاهم له، وأحسنهم دعوة إلى الله: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[الأنبياء/ ٩٠].

- وإيمان الخلق ثلاثة أقسام :

الأول: إيمان ثابت لا يتغير ، ولا يزيد ولا ينقص ، وهو إيمان الملائكة الذين: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾[الأنبياء : ٢٠] .

الثاني: إيمان الأنبياء والرسل، يزيد ولا ينقص ، لكمال معرفتهم بالله ﷻ .

الثالث: إيمان يزيد وينقص وهو إيمان البشر، فإيماننا نحن يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، متى تأتي الطاعة؟، بحسب الإيمان بالله، متى تأتي المعصية؟، مع ضعف الإيمان بالله، تأتي المعاصي من قلة المعرفة بالله ، وتأتي الطاعات بحسب المعرفة بالله.

حسب المعرفة بالله يأتي الإيمان ، وتأتي قوة الأعمال الصالحة، ويأتي التخلق بالأخلاق العالية: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال/ ٢ – ٤].

وبسبب الجهل بالله تأتي المعاصي وتأتي مساوي الأخلاق ، ولهذا لابد من الجلوس في مجالس الإيمان.

ومجالس الإيمان لها شروط وضوابط، أنها لا يُسأل عليها أجر ، ويطلب العبد فيها الهداية من الهادي، ويجلس معظماً لكلام الله ورسوله، ويستمع بالتوجه، لأنه فقير ومحتاج إلى مثل هذا الكلام ، ويسمع الكلام للتعبد به ، والعمل بموجبه ، ونشره بين الناس ، لا يبتغي بذلك لا شهادة ولا منصباً، يقصد فقط ابتغاء رضوان الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ [البينة/ ٥].

فالإيمان أعظم شيء في خزائن الله، وهو شرط لكل عمل صالح، فلا يقبل الله عملاً إلا به: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾ [النحل/ ٩٧].

وموسى ﷺ استفاد من الإيمان ، فضرب البحر، فانفتحت له اثنتا عشرة طريقاً يابسة: ﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩ ﴾ [طه/ ٧٧ – ٧٩].

ثم لما خرج موسى من البحر، وأراد بنو إسرائيل الماء ، قال الله ﷻ له : ﴿ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠ ﴾ [البقرة/ ٦٠] .

فالأول : اضرب البحر بالعصا يخرج الحجر .

والثانية : اضرب الحجر بالعصى يخرج بحر ، هذا هو لا إله إلا الله ، بأمرٍ واحد ، في وقتٍ واحد ، في بحر واحد، وفي حجر واحد، موسى ﷺ استفاد من إيمانه فأنجاه ومن معه، وأهلك عدوه.

وإبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقي في النار قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فالله ﷻ أبطل مفعول النار ، وسخرها لحفظه وجعلها بردًا وسلاماً على إبراهيم: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ

إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٦٨ – ٦٩].

وهكذا ما في خزائن الله قريب ، فنستفيد من خزائن الله ، فإذا دعونا الله وتوجهنا إليه، استجاب الله دعاءنا، ويونس دعا ربه: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٧–٨٨] .

فهذه سنة جارية، من تيقن على قدرة الله ودعاه استجاب له.

فالله يظهر قدرته بحسب قوة اليقين ، وحسب حسن الظن بالله ، متى يظهر الله قدرته ؟ الله له سنة ، وله قدرة ، وقدرته مخفية في سنته ، سنته أن تمطر السماء فتنبت الأرض ، أن خلق هذا الإنسان يتكلم ، لكن قدرته : أن يظهر قدرته بضد الأسباب فيعز بأسباب الذلة، ويذل بأسباب العزة، وينجي بأسباب الهلاك ، ويهلك بأسباب النجاة، ويحيي بأسباب الموت ، ويميت بأسباب الحياة، فالله ﷻ أهلك فرعون مع ملكه ، وخسف بقارون مع ماله ، وأعز محمداً ﷺ مع قلة ذات يده، وأنجى إبراهيم مع أنه ليس معه من الأسباب شيء ، بل هم روعوه، وقيدوه، والقوه في النار، فتوجه إلى ربه ، فالله ﷻ خاطب النار ، وقال لها : ﴿ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٦٩] .

فربنا عظيم يظهر قدرته بالأسباب، وبضد الأسباب، وبدون الأسباب: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس/ ٨٢].

فالله بيده تغيير الأحوال ، والذي يقلب الليل والنهار ، كذلك يقلب أحوال الأمة ، لنعلم أنه القادر ، القاهر ، القادرٌ على كل شيء: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور/ ٤٤].

فهذا الجهد الثالث جهد الاستفادة من الإيمان.

والجهد الرابع : جهدٌ على نشر الإيمان ، حتى ينتشر الإيمان في العالم ، تنتشر الصلاة في العالم ، ينتشر الصدق في العالم ، ينتشر الحلم في العالم، ينتشر الأمن في العالم، تنتشر التقوى في العالم .

- فلابد من هذه الجهود الأربعة، ليزيد الإيمان في القلب، وينتشر الإيمان في العالم:

١-جهدٌ على تحصيل الإيمان ، بالنظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية .
٢-ثم جهدٌ على حفظه في الجو الإيماني في بيئة الإيمان والأعمال الصالحة.
٣-ثم جهدٌ على الاستفادة منه ، بأن أرفع يدي إلى ربي وأسأله ، فالله ﷻ يستجيب دعائي ، لأني أعلم أنه سميعٌ بصير ، وقادرٌ وقاهر ، عليم بكل شيءٍ، محيطٌ بكل شيء ، وعنده خزائن كل شيء ، بقدر قوة اليقين الله ﷻ يظهر قدرته، ويجيب عبده.
ثم الجهد الرابع : جهدٌ على نشره : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت/ ٦٩] .
متى يأتي الإيمان في حياتنا ويزيد؟ لابد لهذا الإنسان أن يعلم بأمور تغذي قلبه يالإيمان المطلوب.

- وهذه الأمور والعلوم التي تزيد الإيمان والتقوى في القلب هي :

الأمر الأول : لابد أن نعلم ونتيقن أن خالق كل شيءٍ هو الله ظاهرًا كان أو باطنًا ، صغيرًا كان أو كبيرًا ، فخالق السماء هو الله ، وخالق الأرض هو الله ، وخالق العرش هو الله ، وخالق الملائكة هو الله ، وخالق النجوم هو الله ، وخالق البحار هو الله ، وخالق الجبال هو الله ، وخالق الإنسان هو الله ، وخالق الحيوان هو الله ، وخالق النبات هو الله ، وخالق الجماد هو الله ، وخالق الجنة هو الله، وخالق النار هو الله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[الزمر/ ٦٢-٦٣] .
فلابد أن يقول اللسان للقلب : العرش شيء ، والسماء شيء ، والأرض شيء ، والشمس شيء ، والقمر شيء ، والماء شيء ، والبحار شيء ، والجبال شيء ، والناس شيء ، والملائكة شيء ، والجن شيء ، والحيوانات شيء ، والطيور شيء ، والذرات شيء ، والله خالق كل شيء ، القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، المحيط بكل شيء ، القاهر لكل شيء ، نتكلم بذلك ونسمعه ، ونفكر به ، ونكرره ، وننظر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية، نظر اعتبار وتفكر حتى يقوى الإيمان في قلوبنا ، وقد أمرنا الله بذلك ، فقال سبحانه : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس/ ١٠١] .

وإذا نظرنا عرفنا عظمة الله وقدرته، وعظمة نعمه وإحسانه، وعظمة وعده ووعيده: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق/ ٦ -٨].

وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد/ ٢٤] .

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤﴾ [البقرة/ ١٦٤] .

من تفكر في هذه الأمور العظيمة عرف عظمة الله ، وعرف أنه هو الكبير وحده ، والرازق وحده والقوي وحده ، والخالق وحده ، والرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ،وبهذا يتغذى القلب، ويزيد فيه الإيمان، وينشرح بكل طاعة لربه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب/ ٤١ -٤٣].

الأمر الثاني : أن نعلم ونتيقن أن الله خلق المخلوقات ، وخلق فيها الأثر ، فخلق العين ، وخلق فيها الأثر وهو البصر ، وخلق الأذن وخلق فيها الأثر وهو السمع ، وخلق اللسان وخلق فيه الأثر وهو الكلام ، وخلق الشمس وخلق فيها الأثر وهو النور ، وخلق النار وخلق فيها الأثر وهو الإحراق ، وخلق الشجر وخلق فيها الأثر وهو الثمر ، وهكذا في جميع المخلوقات: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

الأمر الثالث : مما يزيد الإيمان أن نعلم ونتيقن أن الذي يملك جميع المخلوقات ، ويتصرف فيها ويدبرها، هو الله وحده لا شريك له ، فكل ما في السماوات والأرض من المخلوقات كبيرهم وصغيرهم ، كلهم عبيد فقراء إلى الله ، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ، ولا نصرًا ، ولا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورا ، فالله مالكهم ،

وهم محتاجون إليه ، وهو غنيٌّ عنهم جل جلاله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠].

هو سبحانه الذي يصرف الكون ، ويدبر أمور جميع خلقه ، هو الذي يتصرف في السماوات والأرض ، وفي المياه والبحار ، وفي النار والرياح ، وفي الأنفس والنباتات ، وفي الكواكب والجمادات ، وفي الرؤساء والوزراء ، وفي الأغنياء والفقراء ، وفي الأقوياء والضعفاء ، وغيرهم ، هو الله وحده لا شريك له ، وهم جميعًا في قبضته ، خاضعون لأمره ، مستجيبون لمشيئته ، مسرعون إلى إرادته : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام/ ٣٨ – ٣٩].

هو الملك الذي يفعل في ملكه ما يشاء: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آل عمران/ ٢٦] .

ما هي أفعالك يا الله ؟ ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾[آل عمران/ ٢٧] .

ما هي أفعالك يا ربنا؟: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح/ ١٥ – ٢٠].

فالله ﷻ يتصرف في جميع المخلوقات بقدرته وحكمته وعلمه كيف يشاء ، متى شاء ، قد يخلق الشيء ويسلب أثره بقدرته ، فقد توجد العين ولا تبصر ، وقد توجد الأذن ولا تسمع ، وقد يوجد اللسان ولا يتكلم ، وقد يوجد البحر ولا يغرق ، وقد توجد النار ولا تحرق ، وقد فعل ذلك سبحانه لأنه الرب الذي يتصرف في الخلق كيف يشاء ، لا إله إلا هو الواحد القهار وهو على كل شيءٍ قدير .

ولكن بعض القلوب بسبب الغفلة تتأثر بالشيء أكثر من خالق الشيء ، فتتعلق بالشيء ، وتغفل عن خالق الشيء ، والواجب أن نصل من هذا العلم بهذا النظر من

المخلوق إلى الخالق ، ومن الصور إلى المصور، الذي خلق كل شيء وصوره ، فنعبده وحده لا شريك له : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس/ ٣١-٣٢] .

الأمر الرابع : أن نعلم ونتيقن أن خزائن جميع الأشياء عند الله وحده لا شريك له ، لا عند غيره، فربنا له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله.

فنعلم ونتيقن أن خزائن جميع الأشياء عند الواحد الأحد جلا جلاله ، فكل شيءٍ في الوجود خزائنه عند الله ، خزائن السماوات والأرض عند الله ، وخزائن الأرض عند الله ، وخزائن العلم عند الله ، وخزائن الهداية عند الله ، وخزائن الأخلاق ، وخزائن الطعام والشراب ، وخزائن الحبوب والثمار ، وخزائن المياه والرياح ، وخزائن الأموال والبحار ، وخزائن الجبال وغيرها، هذه كلها عند الله وحده.

فكل ما نحتاجه نطلبه من الله ، ونسأله إياه ، ونكثر من العبادات والطاعات ، وهو سبحانه قاضي الحاجات ومجيب الدعوات ، وهو خير المسئولين ، وخير المعطيين ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١] .

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون/ ٧] .

والله ﷻ هو القادر على كل شيء ، له القدرة المطلقة في كل شيء.

هو الرب الذي يعطي ويرزق بالأسباب ، كما جعل الماء سبباً للإنبات ، وجعل الأنثى سبباً الإنجاب ، وجعل الأكل سبباً لبقاء الحياة، ونحن في دار الأسباب، فنأخذ بالأسباب المشروعة امتثالًا لأمر الله ، ولا نتوكل إلا على الله وحده لا شريك له : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون/ ٥١] .

وأحيانًا يعطي ويرزق بدون الأسباب ، يقول للشيء : كن فيكون ، كما رزق مريم طعامًا بلا شجر ، وابنًا بلا ذكر : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ

﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران/ ٣٧] .

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس/ ٨٢].

وأحيانًا يستعمل قدرته جل جلاله بضد الأسباب ، كما جعل النار بردًا وسلامة على إبراهيم ، وكما أنجى موسى ﷺ، وأغرق فرعون وقومه في البحر، بأمرٍ واحد ، وبحرٍ واحد ، في وقتٍ واحد ، وكما أنجى يونس ﷺ في ظلمة بطن الحوت والبحر : ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء/ ٨٧ – ٨٨].

هذه الأمور الأربعة بالنسبة للأشياء ، والأشياء لها أحوال.

فبالنسبة للأحوال ماذا يجب على القلب أن يعلمه ، يجب على القلب أن يعتقد ويعلم ويتيقن أن خالق جميع الأحوال هو الله وحده لا شريك له ، هو خالق الأشياء ، وخالق الأحوال.

هذا الرب العظيم جل جلاله خالق كل شيء ، خالق الأشياء في السماوات والأرض وخالق الإنس والجن ، وخالق الأحوال التي تأتي على هذه المخلوقات ، في كل زمان ومكان.

فيجب على القلب أن يتعلم ويتيقن أن خالق جميع الأحوال هو الله وحده لا شريك له من الغنى والفقر ، ومن الصحة والمرض ، ومن الفرح والحزن ، ومن الضحك والبكاء ، ومن العزة والذلة، ومن الحياة والموت ، ومن الأمن والخوف ، ومن البرد والحر ، ومن الهداية والضلال ، ومن السعادة والشقاء ، فهذه وغيرها من الأحوال خلقها الله وحده لا شريك له ، ومن المحال ثبات الأحوال ، فكما يقلب الله الليل والنهار يقلب الأحوال على الإنسان امتحانًا وابتلاءً ، الله يقلِّب الأحوال، والمطلوب الثبات على الهداية ، والثبات على الاستقامة ، والثبات على الطاعة: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

هذا هو الأمر الأول أن نعلم أن خالق جميع الأحوال هو الله ﷻ ، هو خالق الخير والشر، وخالق الغنى والفقر ، وخالق كل شيء ، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد ، لكن الله قد يخلق ما لا يحب ، كما خلق الشيطان ، وخلق الشرور ، هذه الله لا يحبها ، لكن الله خلقها امتحاناً وابتلاءً للعباد: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

الأمر الثاني : أن نعلم ونتيقن أن الذي يدبر الأمر ، ويصرف هذه الأحوال، هو الله وحده لا شريك له ، هو الذي خلق الغنى والفقر ، والأمن والخوف ، والعزة والذلة ، وهو الذي يصرفها ، ويدبرها في خلقه ، فلا يتبدل الفقر بالغنى إلا بأمر الله ، لا يتبدل بالجهد والكسب ، الجهد والكسب والتجارة لإمتثال أوامر الله في التجارة ، لأن لله أوامر عند الوضوء ، وأوامر عند الصلاة ، وأوامر عند البيع ، وأوامر عند السفر ، وأوامر عند لقاء العدو ، وأوامر مع الصديق ، وأوامر مع الزوجة ، وأوامر مع الأولاد ، له أوامر في كل شيء، فلابد أن يتيقن القلب أن الذي يملك الأحوال هو الله ، وأن الذي يدبر الأحوال ويصرفها هو الله وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فلا يمكن أن يتبدل الفقر بالغنى إلا بأمر الله ، ولا يتبدل المرض بالعافية إلا بأمر الله وحده لا شريك له ، ولا يمكن أن تتغير الذلة بالعزة إلا بأمر الله ، ولا يمكن أن يتبدل الضحك بالبكاء إلا بأمر الله ، ولا يمكن أن يموت حي إلا بأمر الله ، ولا يتغير البرد والحر إلا بأمر الله ، ولا يتغير الليل والنهار إلا بأمر الله ، ولا تتبدل الضلالة بالهداية إلا بأمر الله ، وهكذا في جميع الأحوال ، الله ﷻ يقلب الليل والنهار ، ويلقب جميع الأحوال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النور/ ٤٣].

فتأتي الأحوال بأمر الله وحده من غنى أوفقر ، أو عزة أو ذلة ، أو مرض أو عافية، أو

أمن أو خوف: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش/ ٣-٤].

تأتي الأحوال بأمر ربنا سبحانه ، وتزيد بأمره ، وتنقص بأمره ، وتبقى بأمره ، وتنتهي بأمره ، فعلينا أن نطلب تغيير الأحوال ممن يملكها بالتقرب إليه وحده بما شرع : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

الله قال لنا هذا الكلام حتى نتوجه إليه لتغيير الأحوال إلى ما يرضيه : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧ -١٨].

ربنا ﷻ ملك على السماوات والأرض ، وعلى الجبال والبحار ، وعلى الرياح والنجوم ، وعلى الشمس ، وعلى القمر ، وعلى الإنس والجن ، وعلى كل شيء، ملك يتصرف في مماليكه كما يشاء ، ويتصرف في الأحوال كما يشاء ، فهو مالك الملك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

الأمر الثالث : بالنسبة للأحوال أن نعلم ونتيقن أن خزائن جميع الأحوال السابقة وغيرها عند الله وحده لا شريك له ، فلو أعطى الله ﷻ الصحة أو الغنى أو غيرهما كل الناس لم ينقص مما في خزائنه سبحانه مثقال ذرة ؛ لأن ما عند الله لا ينقص أبدًا مهما أعطى منه أبدًا.

فسبحان ربنا الغني الحميد الذي له خزائن السماوات والأرض : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾[لقمان/ ٢٦] .

خزائن جميع الأحوال عند الله ، وخزائن جميع المخلوقات عند الله ، فهو مالك الأشياء والأحوال جل جلاله ، وهو الذي يدبر الأحوال ، وخزائن الأحوال عنده ، إذا مرض الإنسان جاء بالعافية من خزائنه ، إذا افتقر الإنسان جاء بالغنى من خزائنه ، وإذا خاف الإنسان جاء بالأمن من عنده، ولا ينقص من خزائنه شيء ، ما ينقص من خزائنه مثقال ذرة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص/ ٥٤].

هو سبحانه الرب الغني الذي لا تنقص خزائنه أبداً؛ لأن الذي ينقص ماله ، وينقص

ملكه لا يصلح أن يكون رباً ، ولا يصلح أن يكون إلهاً: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[يونس/ ٦٨].

فلابد أن نطلب الهداية من الهادي جل جلاله نقول : اهدنا الصراط المستقيم ، الله هدانا ، ولكن الشياطين اجتالت بني آدم حتى أخذتهم من الهداية إلى الضلالة ، فكلما خرجوا أرسل الله لهم رسولا ، حتى ختمهم الله ببعثة محمد ﷺ ، وبقينا نحن من بعده ، فنسأل الهداية من الهادي ، ونسأل الرزق من الرازق ، ونعلم أن خزائن كل شيء عنده وحده، وخزائن التغييروالتبديل والتصريف والتدبير بيده جل جلاله ، هو مالك كل شيء، وخزائنه ملأى بكل شيء .

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: « **يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي كلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِماَّ عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللهَّ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ** » أخرجه مسلم [1] .

هذا هو الرب العظيم الذي يستحق أن يُعبد وحده لا شريك له.

هذا هو ربنا ﷻ الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا ، والأفعال الحميدة، وله ملك السماوات والأرض ، وبيده كل شيء ، وهو القادر على كل شيء ، وهو الملك الذي ملك الخلائق كلها في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وهو المليك القادر النافذ أمره في ملكه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢ – ٢٤].

هذا الرب هو الذي أعبده ، هذا الرب هو الذي أتوكل عليه ، هذا الرب هو الذي أحبه ، هذه أسماؤه ، وهذه صفاته ، وهذه أفعاله ، فإذا عرفته جاء في القلب عظمته ومحبته ، والثناء عليه، والانكسار بين يديه ، والخشوع له ، والتوكل عليه: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٨].

هو جل جلاله السلام الذي سلم من كل عيب ، وآفة ، ونقص ، بيده السلام، ومنه السلام ، وهو المؤمن الذي أمن خلقه من أن يظلمهم ، خلق الأمن ، ومن به على من يشاء من عباده ، وهو المهيمن ، الشاهد على خلقه فيما يصدر منهم ، القادر الذي لا يغيب عنه شيء ، وهو العزيز جل جلاله ، الذي له العزة كلها ، فهو العزيز الذي لا يرام جنابه ، والقاهر الذي لا يُغلب ، والقوي الشديد الذي خضعت له جميع المخلوقات ، وهو الجبار العالي على خلقه ، القاهر لهم على ما أراد ، ذو الجبروت والعظمة ، الذي يجبر عباده، ويصلح أحوالهم .

وهو المتكبر الذي تكبر على جميع صفات الخلق ، فلا شيء مثله ، الذي تكبر عن كل سوء وظلم ، وهو الكبير الذي كل شيءٍ دونه صغير ، وله الكبرياء في السماوات والأرض ، وهو الخالق ، الذي أبدع الخلق على غير مثالٍ سابق ، الذي خلق كل شيءٍ وحده لا شريك له ، الخلاق الذي خلق ويخلق كل شيء بقدرته متى شاء ، وكيف شاء ، بأي عددٍ شاء.

وهو الباري الذي برا الخلق وأوجدهم بقدرته ، وميز خلقه عن بعض، وجعلهم أبرياء، وهو المصور الذي أنشأ خلقه على صورٍ مختلفة من الطول والقصر ، والكبر والصغر ، والحجم واللون والشكل .

لابد للقلب أن يعرف ربه الذي يعبده، حتى يؤدي العبادة له بالمحبة والتعظيم والذل:
﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ

﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

هو جل جلاله الرب الوهاب الذي يجود بالعطاء والنعم على الدوام ، ويهب ما يشاء لمن يشاء ، وهو الرزاق الذي وسع الخلق كلهم رزقه ، فكل أحد يأكل من رزقه ، ويسكن في ملكه ، هو الرزاق الذي خلق الأرزاق ، وأوصلها إلى خلقه بفضله وقدرته جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٨].

هو الرب الغفور الغفار، المعروف بالغفران ، والعفو والصفح، لكمال رحمته بخلقه ، هو الغفار الغافر الذي يستر ذنوب عباده ، وهو الرب القاهر العالي ، والقاهر فوق عباده الذي خضعت له الرقاب ، وذلت له الجبابرة ، وهو القهار الذي قهر الخلائق كلها على ما أراد ، قهر النجوم ، وقهر الرياح ، وقهر السحب ، وقهر الجبال ، وقهر كل شيء ، سبحانه هو الواحد القهار: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾ [الزمر/ ٤].

هو القهار الذي قهر الخلائق كلها على ما أراد ، وهو القاهر وكل ما سواه مقهور: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٨].

وهو الفتاح الذي يحكم بين عباده بالحق والعدل ، فيفتح لهم أبواب الرحمة والرزق ، وهو الرب الناصر لعباده المؤمنين ، المتفرد بعلم مفاتح الغيب ، وهو الرب العليم الذي لا يخفى عليه شيء ، العالم بالسر والخفيات، والظواهر والبواطن، والأقوال والأفعال والغيب والشهادة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢].

وهو الرب المجيد الذي تمجد بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومجده خلقه بعظمته ، فهو المحمود على مجده، وعظمته، وإحسانه، وأسمائه، وصفاته ، وهو الرب المالك الذي بيده الخلق والأمر، والتصريف والتدبير، رب الأرباب ، ومالك الخلائق، الذي يربي خلقه ، ويقوم بأمورهم في الدنيا والآخرة ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، وهو جل جلاله العظيم ذو العظمة والجلال ، في ذاته وأسماءه وصفاته وفي ملكه وسلطانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ

بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

هذا الكلام يقوله اللسان ليعلم القلب ، فإذا امتلأ القلب بذلك مجد ربه وعظمه ، وحمده وشكره، وأحبه وعبده، وتخلق بالأخلاق التي تناسبه من أسماء ربه الحسنى، وصفاته العلى جل جلاله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

هو الرب الواسع الذي وسعت رحمته كل شيء ، ووسع علمه كل شيء ، وسع رزقه الخلق أجمعين ، هو واسع العظمة ، واسع الملك ، واسع السلطان ، واسع الفضل والإحسان جل جلاله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر/ ٧].

وهو الرب الكريم الذي له قدرٌ عظيم ، الكثير الخير دائمة ، المنزه عن النقائص والآفات ، هو الأكرم الذي عم الجميع بعطائه وفضله وإحسانه ، الذي العطاء أحب إليه من المنع ، وهو الرب الودود المحب لمن أطاعه وأناب إليه من عباده ، المثني عليهم ، المحسن إليهم ولغيرهم ، الذي يتودد إلى خلقه بنعمه، ليحبوه ويحمدوه ويشكروه ، وهو الرب المقيت الحافظ لكل شيء ، القائم على كل شيء ، المعطي لأقوات الخلق ، الأقوات البدنية ، والأقوات الروحية .

وهو الرب الشكور الذي يضاعف الحسنات ، ويمحو السيئات ، ويرفع الدرجات ، الشاكر الذي يشكر اليسير من الطاعة ، فيعطي الثواب الجزيل ، ويعطي الكثير من النعم ، ويرضى باليسير من الشكر ، وهو الرب اللطيف الذي لا يخفى عليه شيء ، البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون ، لطيف لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو الرب الحليم الذي لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم ، بل يمهلهم ليتوبوا .

وهو الرب الخبير جل جلاله الذي لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه ، من كل متحركٍ وساكن ، وناطق وصامت ، وصغير وكبير ، وظاهرٍ وباطن ، وموجودٍ ومعدوم ، فسبحان من أحاط بكل شيء علمًا وقدره: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ

﴿ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

وهو الرب الحفيظ الذي حفظ ما خلقه ، وأحاط علمه بكل شيء ، الحافظ الذي حفظ أعمال العباد ، وحفظ أولياءه من الوقوع في الذنوب ، الذي لا يغيب عما يحفظه ، وهو الرب السميع جل جلاله ، الذي يسمع جميع الأصوات ، وسع سمعه جميع الأصوات ، لا يشغله سمعٌ عن سمع ، مع اختلاف الألسنة، واللغات، والحاجات ، يستوي عنده السر والعلانية ، والقريب البعيد، والناطق والصامت.

وهو الرب البصير الذي يبصر كل شيء ، العليم بحاجات وأعمال العباد ، ومن يستحق الهداية ، ومن يستحق الضلالة، لا يعجزه شيء ، ولا يغيب عنه شيء ، ولا يفوته شيء جل جلاله.

وهو الرب العلي الأعلى المتعال ، الذي كل شيءٍ تحت قهره وسلطانه ، فهو العظيم الذي لا أعظم منه ، العلي الذي لا أعلى منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، الرحمن الذي لا أرحم منه .

وهو الرب الحكيم الذي يضع الأشياء في محلها بحكمته وعلمه ، الحكيم في خلقه وأمره ، الحكيم في أقواله وأفعاله ، الحكيم في ثوابه وعقابه ، وهو الحكم ، الحاكم الذي حكم الملوك ، وهو الحكيم الحكم الذي حكم الملك والملكوت ، الذي سلم له الحكم ، فلا يجور ولا يظلم أحداً.

وهو الرب الحي الذي لا يموت ، الباقي الذي لا يجوز عليه الموت ولا الفناء أبدا ، وهو القيوم القائم بنفسه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ ﴾ [آل عمران/ ٢].

هو الحي الذي لا يحتاج إلى أحد ، المقيم لغيره ، القائم بتدبير الخلائق كلها : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر/ ٦٥].

وهو الرب الواحد الأحد، الذي توحد بجميع الكمالات ، لا يشاركه فيها أحد ، له الكمال في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهو الرب الحاسب الحسيب ، الكافي لعباده ، الذي لا غنى لهم عنه أبدا ، المحاسب لعباده ، وهو الرب الشهيد المطلع

على جميع الأشياء ، الذي أحاط علمه بكل شيء ، والذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه.

وهو الرب القوي العظيم القوة، الذي لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب، القوي الذي قهر كل قوي ، وهو الرب المتين الشديد القوي الذي لا تنقطع قوته ، الذي له القوة المطلقة التي لا نهاية لها: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

وهو الرب الغني مالك التدبير في ملكه العظيم ، المولى والولي ، الناصر المعين لعباده المؤمنين ، وهو الرب الحميد الذي له الحمد كله ، المحمود على أسماءه وصفاته ، المحمود على أفعاله وأقواله ، المحمود على إحسانه وشرعه وقدره، وثوابه وعقابه ، الحميد الذي يشكر لعباده كل ذرةٍ من خير.

وهو الرب الصمد الذي بلغ الكمال في سؤدده وعظمته ، وجوده ، الرب الذي يصمد إليه الخلق في قضاء الحوائج وحده لا شريك له ، وهو الرب القادر ، القدير المقتدر ، كامل القدرة ، القادر الذي لا يعجزه شيء ، ولا يفوته شيء ، الذي له القدرة التامة المطلقة، القدير الذي خلق القدرة في كل قادر ، وهو الوكيل القائم بأمر الخلائق كلها في العالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك/ ١].

هذه أسماء ربنا العظيم جل جلاله ، وهذه صفاته ، وهذه أفعاله، هذا الذي نعبد ، ولهذا كان النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، والأنبياء أحياء في قبورهم يصلون، لكمال معرفتهم بالله ، والله جعل الملائكة صمد يسبحون الليل والنهار، لكمال معرفتهم بالله ، ويقولون : ما عبدناك حق عبادتك ، ويستغفرون للذين آمنوا في الأرض ، الذي ابتلوا بالشهوات مقابل الأوامر ، هم يستغفرون لنا ؛ لكمال معرفتهم بالله، وما يجب له : ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر/ ٧].

فالذي يريد أن يعبد الله عبادةً عالم موقن، يعبده بكمال معرفته، بالافتقار إليه ، عبادة

من يعلم بأنه أهلٌ أن يحمد ، وأهلٌ أن يعبد ، وأهلٌ أن يكبر ، وأهلٌ أن يعظم جل جلاله ؛ وهو الله وحده لا شريك له ، لا رب سواه، ولا إله غيره.

هو جل جلاله الكفيل الحفيظ لكل شيء ، القائم على كل نفس ، المتكفل بأرزاق الخلائق، ورعاية مصالحهم ، الذي يمد خلقه بالأقوات ، هو الرب الغني الذي استغنى عن الخلق ، الغني الذي لا تنقص خزائنه ، الغني المغني لعباده: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

هو الرب الحق الذي لا شك ولا ريب في وجوده ، الذي لا يخفى على خلقه ، وهو الرب المبين الظاهر للبصائر ، الذي أوضح لخلقه سُبل النجاة في الدنيا والآخرة ، وهو النور الذي أنار السماوات والأرض ، ونور قلوب المؤمنين بمعرفته والإيمان به جل جلاله ، وهو ذو الجلال والإكرام الذي يستحق أن يهاب ويُثنى عليه وحده ، ذو العظمة والكبرياء ، وذو الرحمة والإحسان ، وهو الرب البر الرحيم بعباده ، العطوف عليهم ، المحسن إليهم: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ [الطور/ ٢٨] .

وهو الرب التواب الذي يتوب على التائبين ، ويغفر ذنوب المذنبين ، خلق التوبة وقبلها من عبادة ، وهو الرب العفو الذي وسع عفوه ما يصدر من ذنوب عباده ، لاسيما مع التوبة والاستغفار ، وهو الرب الرؤوف ذو الرأفة والرحمة واللطف بخلقه كلهم ، وهو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد/ ٣].

وهو الوارث الباقي بعد فناء خلقه ، وإليه مرجع كل شيء ومصيره ، الحي الذي لا يموت جل جلاله .

وهو الرب المحيط الذي أحاط بكل محيط ، الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه ، فلا يقدرون على قوته، أو الفرار منه ، أحاط بكل شيءٍ علماً، وأحصى كل شيءٍ عددًا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

فسبحان ربنا العظيم، ذو العزة والجبروت، والكبرياء والملكوت، والعظمة والقدرة،

له الأسماء الحسنى ، وله الصفات العلى ، وله الأفعال الجميلة ، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

والله ﷻ هو رب العالمين ، الذي يربيهم بما يشاء ، هو الرب الرحيم الذي يربي هؤلاء البشر بما يصلحهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة ، والله ﷻ دعانا إلى معرفته فقال : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله عبده حق عبادته ، وجاهد في الله حق جهاده.

في كل يوم ، بل في كل وقت يجب على الإنسان أن يتعرف على ربه ؛ ليعرف أن الله حكيمٌ ، وأنه عليمٌ ، وأنه قدير ، وأنه لطيف ، وأنه رءوف ، وأنه الوارث ، وأنه الكبير ، وأنه عفو ، وأنه حليم ، يعرف أسماءه حتى يعبد الله بمقتضاها ، ويتخلق بها، ويسأله بها ، فالله ﷻ أخبر عن نفسه في القرآن بآياتٍ كثيرة عن أسمائه وصفاته وأفعاله ؛ لنعرفه جل جلاله ، ونصمد إليه في جميع حوائجنا ، ونتخلق بهذه الأسماء وهذه الصفات التي الله ﷻ يحبها، ويحب من أتصف بها .

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٥-٩٩] .

ربنا هو : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ

ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام/ ١٠١-١٠٣] .

فهذه صفاته، وهذه أفعاله، وهذا تدبيره: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾[المؤمنون/ ٧٨-٨٠] .

وهذا ملكه وسلطانه، له الملك وحده لا شريك له، له الأوامر الملكية في ملكه وملكوته.. وله الأوامر الشرعية على من خلقه من الجن والإنس ، وله الأوامر الجزائية على الجن والإنس : ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

[المؤمنون/ ٨٤-٨٩] .

الكفار يريدون عبادة الأصنام سواءً كانت أصناماً حجرية ، أو أشجاراً خشبية أو غيرها ، يريدون عبادة الأصنام ؛ لأن الأصنام لا تعلم عمن يعبدها ، وليس لها أمرٌ ولا نهي، ولا تكليف بأمرٍ أو بشريعة ، وليس عندها ثواب ولا عقاب، فهم يعبدونها من أجل هذا ؛ لأنها ليس لها تكاليف ، أما الإسلام ففيه تكاليف ، فيه عمل في الدنيا للحصول على النعيم في الآخرة: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون/ ٩١ – ٩٢].

فمحرك العمل الصالح هو الإيمان ، ومحرك الإيمان هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة خزائنه، ومعرفة وعده ووعيده ، والله ﷻ يكثر في القرآن من ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله، حتى نعرفها ، ثم نعبد الله بمقتضاها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

[الأعراف/ ١٨٠].

فيذكرنا ربنا جل جلاله بعظمته ، وعظمة أسمائه وصفاته ، وأفعاله، وعظمة نعمه وإحسانه، لنؤمن به ونوحده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ
﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ
﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾[النور/ ٤١-٤٤] .

سبحان الله ما أعظم شأنه، وما أعظم هذه المخلوقات المتحركة والثابتة، في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وما بين السماوات والأرض : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾[النور/ ٤٥-٤٦] .

هو جل جلاله الهادي إليه ، فالحمد لله رب العالمين أن هدانا ، وجعلنا من خير أمة أخرجت الناس ، وربنا إلهٌ عظيم ، وملكٌ كريم ، وغفورٌ ورحيم.

والله ﷻ دعانا بعد معرفته للاتصال به ، فالذي يريد الحياة الملكية يعيش في الدنيا مع الملك ، ويملك جوارحه، ويسخرها في طاعة الله ، ويجنبها معصية الله ، ليكون يوم القيامة في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

ولكن لابد للعبد من البلوى التي تميز المؤمن من المنافق ، والصادق من الكاذب ، والطيب من الخبيث ؛ لأن هذه الدنيا دار امتحان وابتلاء، والأخرة دار نعيم وشقاء: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[العنكبوت/ ٢-٣] .

والمرفوع المكرم من البشر من رفعه ربه بتوفيقه ، وأكرمه بتصديقه ، وهداه إلى سواء الطريق ، من كان ، وحيث كان : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[المجادلة/ ١١] .

والخاسر حقًا من انقطع عن ربه ، وأسره عدوه، فتحكم في قلبه وجوارحه وحياته ، وحُرم التوفيق ، وأدركه الخذلان ، وصار من حزب الشيطان : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾[الكهف/ ١٠٣-١٠٦] .

وقد أقسم الله ﷻ بربوبيته على أنه الحق ، وأن دينه الحق ، فقال سبحانه : ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الذاريات/ ٢٣] .

وسبحان الله كيف ينصرف المشركون عن عبادة الله وحده ، وهم يشهدون أنه لا رب غيره ، ولا خالق سواه ! فكما أنه لا رب غيره ، فلا إله سواه : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾[الزخرف/ ٨٧] .

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾

[الزخرف/ ٩].

إذا علموا أن خالقهم هو الله ، فيجب أن يعبدوا الله ويحبوه ؛ لأنه خالقهم وهاديهم ورازقهم ، فهو جل جلاله الرب العظيم الذي ربى جميع العالمين بنعمه ، وخلقهم بقدرته ، وأوجدهم بمشيئته ، وصورهم بإرادته ، وأعطى كل شيءٍ خلقه اللائق به ، ثم هدى كل مخلوقٍ لما خلق له ، وأغدق على عباده نعمه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢] .

هو الرب الوكيل على الجبال ، وعلى البحار ، وعلى الأنهار ، وعلى السماء ، وعلى الأرض ، وعلى الملائكة ، وعلى الجن والأنس، وعلى الجنة ، وعلى النار ، هو خلق كل شيء ، وهو وكيلٌ على كل شيء.

وتبارك الله رب العالمين ذو الجلال والإكرام ، المتفرد بالعظمة والجلال، والإنعام والإحسان ، والتصريف والتدبير، على مدى الدهور والأزمان : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

هو سبحانه الرب العظيم الذي يدبر الأمر كله في ملكوته كله ، يدبر الأمر في عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنس ، وعالم الجن ، وعالم الملائكة ، ويدبر الأمر في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، ويدبر الأمر في عالم الغيب والشهادة، ويدبر الأمر في الدنيا والآخرة : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ

﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢] .

سبحانه يدبر الرياح ، ويدبر المياه ، ويدبر الذرات ، ويدبر النطفة في الأرحام ، ويدبر النجوم في السماء ، ويدبر الكائنات في الكون ، ويدبر الكلام في اللسان ، ويدبر الإبصار في العين ، ويدبر السمع في الأذن : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ٣٢﴾[يونس/ ٣١-٣٢] .

فسبحان الرب الحكيم الذي بيده التصريف والتدبير الحكيم ، يدبر الأمر كله ، في الكون كله، ويوفق بين أوائل الأمور وعواقبها ، ويصل المقدمات بالنتائج ، ويدبر أمره العظيم في كونه وسلطانه الكبير ، بالقدرة المطلقة، المقرونة بالحكمة الشاملة، المقرونة بالخير المطلق.

فهذا نهارٌ جاء بعده ليل ، وهذا حرٌ جاء بعده برد ، وهذه حبة صارت شجرة ، وهذه شجرة أخرجت ثمرة ، وهذه نطفة صارت إنسانًا ، وهذا إنسانٌ صار سميعًا بصيرًا عاقلًا عالمًا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وهذا زوج ، وهذا زواج ، والنتائج سكينة وبينين وبنات ، وهذا عملٌ بشري ، والنتائج تجارة رابحة ، أو خسارةٍ فادحة : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ [البقرة/ ٣٨ – ٣٩].

فسبحان الملك الحق الذي يدبر الأمر في جميع ملكه وملكوته ، وهو الرب العظيم الذي بيده التدبير المادي ، وهو الذي يمد خلقه في العالم كله بما يحتاجون إليه من الهواء والماء والنور والطعام والشراب ، وغيرها من النعم : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾[الإسراء/ ٧٠] .

وهو الرب العظيم الذي بيده التدبير الروحي ، هو الذي يهدي عباده بالحق ويوصله إليهم بما شاء : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل/ ١٢-١٣] .

فأحيانًا يبعث إلى الكافر من يدعوه ، وأحيانًا يبعث إلى العاصي من ينصحه ، وأحيانًا يبعث إليه من يضغط عليه ، وأحيانًا يسوق إليه شدة ، وأحيانًا يجمعه بمن يعطف عليه ، وأحيانًا يرزقه من فضله كي يستحي منه ، وأحيانًا يقتر عليه ليفر إليه ، وأحيانًا يبتليه بمرض ثم يشفيه ؛ ليبين فضله عليه : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس/ ٣] .

هوالرب الكريم الذي يدبر الأمر وحده لا شريك له ، يعطي هذا مالًا ، ويعطي هذا علمًا ، ويعطي هذا ذكاءً ، ويعطي هذا جاهاً ، ويعطي هذا خُلقًا ، ويعطي هذا جمالًا ، يعطي كل واحداً ما ينفعه وما يناسبه : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل/ ٥٣-٥٤] .

فسبحان الرب الكريم الحكيم في خلقه وأمره ، الذي يدبر الأمر كله بالحكمة ، فيعطي الإنسان المناسب، الشيء المناسب ، بالقدر المناسب ، من النوع المناسب ، في الوقت المناسب : ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء/ ٣٠] .

هو سبحانه الرب الملك القادر على كل شيء ، فكل ما يقع في الكون من خلق أوأمر، أوحركة أو سكون ، أو حياةً أو موت ، فهو واقعٌ بإرادته ومشيئته ؛ لأنه وحده الرب ًالذي يدبر الأمر كله : ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران/ ١٥٤] .

وقال عز وجل: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ [الروم/ ٤] .

هو سبحانه الذي يدبر الأمر كله في الكون كله ، أرسى الأرض بالجبال ، ورفع السماء بلا عمد ، وملأ الشمس بالنور بلا حطب ، وأنبت الحب في الثرى ، وأمسك الطير في الفضاء ، وأطعم الأسماك في ظلمات البحار ، وسخر كل شيءٍ من المخلوقات للإنسان: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ

ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الرعد/ ٢-٣] .

فأعظم عبادة في الدين التفكر والنظر والتدبر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران/ ١٩٠ – ١٩١].

هو سبحانه الرب العظيم القادر الكريم ، الذي خلق الإنسان وأمده بالرزق، وأرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب، ليسير في الدنيا على هداه ، ثم يبعثه يوم القيامة للحساب والجزاء : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة/ ٦-٨] .

هو سبحانه الرب الحكيم الذي يبعث كل ميت للحشر والحساب والجزاء : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[الحج/ ٥-٧] .

هو سبحانه الرب الكريم الذي بعث الأنبياء والرسل لهداية الخلق إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل/ ٣٦] .

نحمد الله على الهداية ، نحمد الله على نعمة الأمن ، نحمد الله على عبادة الله على منهج رسول الله ﷺ ، فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة : ﴿ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[آل عمران/ ١٣٧] .

كيف كانت عاقبة قوم نوح ، وقوم عاد ، وقوم ثمود ، وقوم لوط؟، كيف كانت عاقبة هؤلاء المكذبين؟ وكيف كانت عاقبة فرعون؟: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ

﴿أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

هو الرب القادر الذي يلهم الإنسان حركاته وسكناته مكافأة له ، أو تأديبًا له ، ويقلب قلوب العباد كيف شاء لمصلحة العبد ، قال النبي ﷺ : « **إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ** » أخرجه مسلم (١) .

جميع قلوب الخلائق كقلبٍ واحد يقلبه الله كيف يشاء ، ونحمد الله أنه هو الذي يقلب قلوبنا فيما يصلحنا ، ثم قال ﷺ : «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ**»أخرجه مسلم(٢) .

وليعلم العبد أن الله خلق كل إنسانٍ مختاراً فيما يريد ، إن شاء اتبع هواه ، وإن شاء اتبع هدى ربه ، فالله خلق جميع المخلوقات مسخرة إلا الإنس والجن ؛ الله جعلهم مخيرين بأن يتبعوا أوامر الله ، وأن يتبعوا شهوات النفس: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾[الكهف/ ٢٩].

فمن أختار طريق الحق وطاعة ربه ، شرح الله صدره للإسلام ، لماذا ؟ إعانةً له، وإكرامًا له على طاعته ، فالله يشرح صدره للإسلام ، ويجعل قلبه يتصف بجميع أعمال البر والخير مكافأة له على إيمانه بربه ، وطاعته له : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت/ ٦٩].

ومن اختار طريق الباطل ، أو المعاصي ، أو الشهوات، فإن الله يعينه على البعد عنه ، بأن يجعل صدره ضيقًا حرجًا ليتوب ، فالله ﷻ من أعرض عنه ضيق صدره ، وجعل صدره ضيقًا حرجًا ، لماذا ؟ ليضيق صدره ، ليترك ما هو عليه من المعاصي ، ثم يعود إلى ربه : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[الأنعام/ ١٢٥] .

ليتوب إليه، لكن من أصر على طغيانه ، فعقوبته: ﴿كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾[الأنعام/ ١٢٥] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٦٥٤.

(٢) أخرجه مسلم برقم: ٢٦٥٤.

فما أعظم رحمة الله بعبادة ، وما أبره بهم ، وما أشد رأفته وعنايته بهم ، فهو الرب الغفور الرحيم ، الذي جعل قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء ؛ ليعينهم على الخير ، ويبعدهم عن الشر : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج/ ٦٥] .

هو الرب الحكيم الرحيم الذي أمر ونهى ، وأعطى الإنسان حرية الاختيار ، فإذا اختار الطاعة أعانه، وضاعف له الأجر ، وإذا اختار المعصية لم يتركه الرحيم حتى يموت عليها ، بل يؤدبه، يسوقه إلى عملٍ يستحق عليه العقوبة ؛ ليعود إليه بعد ذلك : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٤٧] .

فسبحان ربنا العظيم الذي بيده الأمر كله ، ولا يفعل إلا ما يصلح عباده ، فلو أن الإنسان أدى زكاة ماله ؛ فإكرامًا له ، وشكرًا له على طاعته يبعثه لشراء صفقةً رابحة تعوض له ضعف ما دفع : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ/ ٣٩] .

ولو إن إنساناً بخل بزكاة ماله فتأديبًا له ، وتذكيرًا له لعله يتوب، يبعثه الله إلى صفقةٍ خاسرة تأكل ما بخل به من الزكاة : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨٠] .

فمن أعطى مما أعطاه الله ، أعطاه الله خيرًا منه ، ومن بخل بما وجب عليه ، أو أخذ ما يحرم عليه ، أخذه الله منه : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٧٦] .

فسبحانه الرب الحكيم الرحيم ، الذي يكافئ على حسن الاختيار ، ويؤدب على سوء الاختيار، رحمةً بعباده ، هو الرب القادر الذي بعث الأولاد من الأرحام ، كما بعث النبات من الأرض ، ويوم القيامة يبعث الأموات للحياة الأبدية ، وهناك تظهر الأرباح والخسائر : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٨٥] .

والموحد حقًا من توكل على ربه وحده لا شريك له ، ولا يرى مع الله أحدًا لا نفسه ولا غيره فيتوجه إلى ربه في كل شيء ، وفي كل حال : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾[التغابن/ ١٣] .

هو سبحانه الرب العظيم ، الذي يبعث من يشاء إلى عليات الأمور ، ويرفع عن القلوب وساوس الصدور ، ويسموا بالأعمال الصالحة عن الشرور : ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾[الحاقة/ ٥٢] .

وكل اسمٍ من أسماء الله ﷻ مما نلقيه في هذه الدروس ، تندرج في عرضه، ويقرر في شرحه سبعة أمور ، قد لا يشعر بها الكثير ، ولكنها متسلسلة في كل أسمٍ من أسماء الله ﷻ ، فالمطلوب معرفتها ، وإحصاؤها، وفهم معانيها، وعبادة الله بموجبها ، ومعرفة آثارها في الكون، وسؤال الله بها.

والآن عرفنا الله جل جلاله ، وعرفنا الرب جل جلاله ، وبقي كيف نتعبد لله بهذا الاسم العظيم ؟ كيف نعبد الله بمقتضى اسم الرب جل جلاله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

التعبد لله عز وجل باسمه الرب جل جلاله

التعبد لله ﷻ باسمه الرب جل جلاله ، هو المطلوب من المعرفة ، بعد المعرفة تنشاء محبة الرب، والشكر لله على نعمه، والتعظيم لله ﷻ ، ثم تأتي العبودية لله محبةً وتعظيماً وحمداً بين يدي الله : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢] .

وإذا عرفنا الله بأسمائه وصفاته أحببناه وعظمناه ، ثم أطعناه وامتثلنا أوامره ، أوامره الانفرادية بالعبادات من ذكر ودعاء، وصلاة وصوم وأمثالها، وأوامره الاجتماعية بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة ، والجهاد في سبيل الله ، فكيف يكون التعبد لله ﷻ بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ؟ .

الله ﷻ أظهر أسماءه وصفاته في كتابه العظيم ، وفي ملكوته العظيم، لنعرفها ، ونعبد الله بمقتضاها.

وللتعبد بأسماء الله وصفاته ثلاثة أركان :

الأول : الإيمان بأن الله وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، فمن سار إلى ربه باسمٍ من أسمائه الحسنى وصل إليه ، ومن تعلق بصفةٍ من صفاته العلى أخذت بيده حتى تدخله عليه، بكمال الحب والتعظيم والذل له ، فحياة القلوب بمعرفه الرب جل جلاله، ومحبته، وتعظيمه والانقياد إليه، والتسليم لأمره، وحياة الجوارح بالتقرب إليه بعبادته بما شرع: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر/ ٢٤].

الثاني : من أركان التعبد لله بأسمائه وصفاته عبادة الله بما تقتضيه أسماؤه الحسنى وصفاته العلى ، فمن أيقن أن الله هو الأول فوض الأمور كلها إليه ، وتوكل عليه وحده ، ولم يلتفت إلى غيره ، ومن أيقن أن الله هو الآخر ؛ أيقن أن الأمور كلها أولها وآخرها بدأت منه وترجع إليه ، فلم يلتفت لأحدٍ سواه ، كل ما سواه مخلوق مفعول ليس بيده شيء ، وكل ما خلقه الله دالٌ على عظمة الله ، وعلى قدرته ، وعلى كمال علمه جل جلاله ، ولكن يبقى مخلوقاً عابداً لربه كغيره من المخلوقات ، السماوات

ومن فيها تعبد ربها ، والأرض ومن فيها تعبد ربها ، وكل المخلوقات تعبد ربها : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء/ ٤٤]

هذه مخلوقات مسخرة على العبادة ، وعلى الطاعة ، لكن نحن خلقنا الله مختارين ، نختار إما الطاعة أو المعصية ، إما الإيمان أو الكفر : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾ ﴾[الإنسان/ ٢٩ – ٣١]

فجلوسنا في مجالس الإيمان يزيد إيماننا ، وجلوسنا في مجالس العلم يزيد علمنا ، وجلوسنا في أماكن العبادة يقوي عبادتنا ، فلابد للإنسان من هذه البيئات الصالحة يتصل بها دائمًا ، ولا يخرج من بيئة الذكر إلى بيئة الغفلة إلا للدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حتى لا يصطاده الشيطان في معصية من المعاصي ، أومنكر من المنكرات: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف/ ٢٨].

فعبادة الله بما تقتضيه أسماؤه الحسنى ، وصفاته العلى، هي الركن الثاني من أركان التعبد لله بأسمائه وصفاته ، فمن أيقن أن الله هو الظاهر قصده وصمد إليه في جميع حوائجه ، ومن أيقن أن الله هو الباطن علم قربه منه فاستحيا منه ؛ لكثرة نعمه عليه ، وكثرة معصيته له ، وأحبه وخاف منه ورجاه لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحديد/ ٣].

فالإنسان ظاهره وباطنه مكشوف أمام ربه ، سره وعلانيته ، حركاته وسكناته ، كل ذلك مكشوفٌ أمام ربه، السميع البصير، العليم الخبير.

الثالث : الاتصاف بموجب تلك الأسماء والصفات ، فالله سبحانه يحب أسماءه وصفاته ، ويحب أن يتصف الإنسان بموجبها ، فالله شكور يحب الشاكرين ، وعفو يحب العافين ، ورحمن يحب الرحماء ، ومحسن يحب المحسنين ، ومؤمن يحب أهل الإيمان، وتواب يحب التوابين، وهكذا بقية الأسماء .

والناس متفاوتون في التعبد بأسماء الله وصفاته ، لابد أن نأخذ مقدمة يسيرة في التعبد

لله بأسمائه وصفاته ، وكيف نعبد الله بموجب هذه الأسماء والصفات، فالناس متفاوتون في التعبد لله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى ، حسب معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة نعمه وإحسانه، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة ثوابه وعقابه ، وبحسب تفاوتهم في الذكاء والفطنة، والذكر والغفلة، والإيمان والتقوى، فبحسب هذه المعارف الناس تتفاوت في الإيمان والتقوى ، والاتصاف بالصفات التي يحبها الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾[الحديد/ ٢٨] .

فهم متفاوتون في التعبد لله، بحسب ما يُفتح لهم من مشاهد الإيمان والمعرفة بأسماء الله وصفاته وأفعاله، وأوامره وأحكامه ، فمنهم من يأخذ من ذلك بنور ضعيف ، ومنهم من يأخذ كالشمعة ، ومنهم من يأخذ كالقنديل ، ومنهم من يأخذ كالكوكب ، ومنهم من يأخذ كالقمر ، ومنهم من يأخذ كالشمس، نوره يشع بين الخافقين : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[آل عمران/ ١٦٢ – ١٦٣].

هم درجاتٌ في الإيمان ، ودرجات في العلم، ودرجاتٌ في العمل ، ودرجاتٌ في التقوى ، ودرجاتٌ في الأخلاق، بحسب المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

ومن شرح الله صدره بنور الإيمان أراه في ضوء ذلك النور حقائق أسماء الله وصفاته وأفعاله ، وأراه حقائق العبودية ، وما يصححها ، وما يفسدها : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام/ ١٢٢] .

- لابد لكل إنسان من نفختين :

نفخة الرسول الملكي، ينفخ فيه الروح ، فتدب فيه الحياة ، وحياةٌ بلا نور لا تستقيم ، فلابد من نورٍ آخر .

النور الآخر : نفخة الرسول البشري ، نور الهداية الذي جاء به محمد ﷺ ، نفخة الرسول الملكي تعطي هذا الجسد الحياة ، تكون الروح في داخل البدن فيتحرك ، أثناء حركته لابد له من نور آخر حتى يميز بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل ، فالله جعل له العين يرى بها الأشياء من سماءٍ وأرض ، وشجرٍ وبرٍ، وبحرٍ وجبلٍ

وغيرها، وأعطاه نور الإيمان، ليرى ببصيرته به الخالق ، ويرى به المصور ، ويرى به الملك، ويرى به القادر، ويرى به الغني، ويرى به الكريم، ويرى به الحليم، ويرى به الكبير، ويرى به الرحمن، ويرى به الرزاق .

فلابد من نفخة الرسول الملكي، لتدب الحياة في بدن هذا الإنسان ، بعد أربعة أشهر تنفخ فيه الروح بواسطة الملك، ويكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقيٌ أو سعيد.

ثم تأتي بعد ذلك نفخة الرسول البشري ، الذي هو محمد ﷺ ، الذي جاء بهذا النور من ربه، وهو المقصودٍ في هذه الآية : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام/ ١٢٢] .

فالبصر يريني الأشياء ، والبصيرة تريني حقائق الأشياء ، فأخترق المخلوقات إلى الخالق ، وأخترق الصور إلى المصور ، وأرى الخالق يفعل في مخلوقاته ما يشاء ، يأمر الشجرة فتثمر ، ويأمر الشمس فتشرق ، ويأمر النار فتحرق، ويأمر البحر فيسيل، ويأمر السماء فتمطر ، ويأمر اللسان فيتكلم ، ويأمر العين فتبصر هذا نور البصيرة: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

فيرى المؤمن بذلك النور المبين ربه العلي العظيم ، مستويًا على عرشه العظيم أكبر من كل شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويرى السماوات السبع في كف ربه كالخردلة في كف العبد ، ويرى السماوات والأرض وما فيهما ، وما عليهما ، وما بينهما من الخلائق، تسبح بحمد ربها ، وتشهد بتوحيده ، وتخضع لارادته، وتدل على كمال أسمائه وصفاته ، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

هذه البصيرة في القلب كالبصر في العين ، هذا يدرك من المحسوسات ، وهذا يدرك من المعقولات ، نقول : سبحان الله ، هذا الملك العظيم له مالك ، وهذه الخلائق لها خالق ، وهذه الأرزاق جاءت من الرازق ، وهذا العلم جاء من العليم ، وهذا الأمن جاء من المؤمن ، وهذا السلام جاء من السلام، وهذا الحلم جاء من الحليم،

وهذه الرحمة جاءت من الرحيم: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فبالإيمان يخترق الإنسان المخلوقات إلى الخالق ، ويخترق الصور إلى المصور ، فيرى الله يفعل في خلقه ما يشاء ، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، هو الملك الحق ، والرب الحق ، والإله الحق : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج/ ٦٢] .

وبنور الإيمان يرى العبد عرش ربه الرحمن محيطاً بجميع ملكه ، ويرى رحمته وسعت كل شيء ، ويرى علمه محيطاً بكل شيء ، والله محيطٌ بكل شيء جل جلاله ، فلو أن جميع الناس مع كافة المخلوقات في السماوات والأرض قاموا صفًا واحدًا ما أحاطوا بملكه العظيم، فكيف يحيطون بالجبار العلي الكبير جل جلال ، بل هو المحيط بكل محيط ، هو المحيط بكل شيء محيط ، الأرضون السبع كل أرض محيطة بما تحتها ، وهذا الفضاء محيطٌ بالأرض ، والسماء الأولى محيطة بالفضاء والأرض العليا ، والسماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا والأراضين وما فيهن، وهكذا كل سماء محيطٌة بسماء ، وكل سماء سمكها خمسة مائة عام ، وما بين كل سماء وسماء خمس مائة عام ، وكل سماء مملوءة بالملائكة ، والكرسي محيط بالسماوات والأرض، والسماوات السبع والأرضون السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والله محيط بكل محيط: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ [فصلت/ ٥٤].

فالكرسي محيطٌ بالسماوات والأرض ، والعرش محيطٌ بالكرسي ، والله فوق العرش ، والله لا يحتاج إلى العرش ، بل العرش مخلوق محتاج إلى الله ، في خلقه وبقائه ، وفي علوه وسعته ، وهو أكبر المخلوقات في هذا الكون ، أكبر المخلوقات عرش ربنا ، فالله ﷻ استوى على الكامل من خلقه ، وهو عرش ربنا ﷻ ، وقلب الإنسان عرش الصفات التي يحبها الله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ

﴿وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥] .

والله ﷻ هو الرحمن الرحيم استوى على العرش برحمته ، ليعلمنا أنه الرحمن الرحيم، حتى نتوب إليه ونستغفره، من كل ذنب، فهو رحمن أرحم من الأم الشفيقة بولدها: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة/ ١٦٣].

والقلب محل نظر الله هو عرش الصفات، ماذا فيه من الصفات الحسنة التي يحبها الله من الإيمان والتقوى، والصبر، ماذا فيه من العلم ؟ ماذا فيه من الحلم ؟ ماذا فيه من العفو ؟ ماذا فيه من الرحمة ؟ ماذا فيه من الكرم ؟ ماذا فيه من الصفح ؟ ماذا فيه من الإحسان ؟ وغير ذلك من الصفات التي يحبها الله ، فالعرش هو عرش الرحمن الذي استوى عليه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾[طه/ ٥] .

وقلب الإنسان عرش الصفات التي يحبها الله ، فإذا هذا القلب امتلأ بالصفات التي يحبها الله كان مسكنه في الجنة، تحت عرش الرحمن، قال النبي ﷺ : « **فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ** » أخرجه البخاري(١) .

لماذا هذا الإنسان الذي يحمل هذا القلب يكون مسكنه في الفردوس ، الذي سقفه عرش الرحمن؟، لأنه اتصف بصفات العرش ، والعرش فيه ثلاثة صفات عظيمة: صفة العلو . . وصفة السعة . . وصفة النور .

وكذلك هذا الإنسان لابد أن يكون أعلى من غيره بالإيمان: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾[آل عمران/ ١٣٩] .

وقلب المؤمن متسع لجميع أنواع الطاعات والقربات، لأنه امتلأ بنور الإيمان، فالعرش أوسع المخلوقات كلها، وكذلك قلب المؤمن أوسع المخلوقات في العالم السفلي، متسع لجميع الطاعات ، الفرائض والنوافل من أي نوع، متسع لجميع أعمال البر والخير، والفضائل والمحاسن والأخلاق.

وكذلك القلب ممتلئ بالنور : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ

(١)أخرجه البخاري برقم: ٢٧٩٠.

﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزمر/ ٢٢] .
فالله ﷻ يريد من هذا القلب أن يمتلئ بنور الإيمان ، ويتسع لأنواع الطاعات، ويعلو على غيره بالإيمان والتوحيد، ومكارم الأخلاق.
وربنا العظيم جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، والأفعال الحسنى، والمثل الأعلى، فأسماء الله وصفاته أعظم شيء وأكمله وأحسنه، لو أن جميع الناس مع كافة المخلوقات في السماوات والأرض قاموا صفًا واحدًا ، ما أحاطوا بالجبار العلي الكبير الواسع جل جلاله ، بل هو المحيط بكل محيط.
ويرى هذا القلب ببصيرته ربه بجماله فوق كل جميل في العالم العلوي، والعالم السفلي .
هو الرب الجميل الذي عنده خزائن الجمال ، وخلق الجمال في كل جميل ، ولو رفع عنه أمر الجمال لعاد قبيحًا ، خزائن الجمال عنده ، والجمال المطلوب من العبد جمال القلوب بالإيمان والتوحيد ، وجمال الجوارح بالعبادات والطاعات ، فالجمال أقسام: جمال هو فعل الرب الذي أحسن كل شيء خلقه، وجمال صادر من العبد، وأعلى أنواع الجمال المطلوب من العبد أن أتجمل لربي بالتوحيد والإيمان، والتقوى والاستقامة والطاعة ، وإتباع الرسول ﷺ ، والله جميل يحب الجمال في الأقوال والأعمال والأخلاق واللباس والهيئة.
فسبحانه الله ما أعظم شأنه، وما أكمل جماله، فلو اجتمع جمال الخلائق كلهم، في العالم العلوي والعالم السفلي، في شخصٍ واحد ، ثم جُعل العالم كله على ذلك الجمال ، ثم نسب هذا الجمال إلى جمال الرب ، لكان هذا الجمال مثل سراجٍ ضعيف، في ضوء الشمس، في رابعة النهار ، فلا نسبة بين الخالق والمخلوق أبدًا ، لا في الذات ، ولا في الأسماء ، ولا في الصفات ، ولا في الأفعال : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى/ ١١] .
فسبحان الواحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾
[الإخلاص/١-٤] .
ويرى كذلك ببصيرته قوة ربه العظيم أقوى من كل قوة في الكون إذا اجتمعت فلو

اجتمعت قوى الخلائق كلها في شخصٍ واحد ، ثم أُعطي كل منهم مثل تلك القوة ، لكانت نسبتها إلى قوة الجبار جل جلاله دون نسبة قوة البعوضة إلى قوة أحد حملة العرش العظيم ، هو سبحانه القوي الذي عنده خزائن القوة ، وهو الذي خلق القوة في كل قوي ، ولو سلب عنه القوة لعاد ضعيفًا ، كما سلب عن البحر قوة الإغراق لموسى وقومه، وسلب عن النار قوة الإحراق، فكانت بردًا وسلامًا على إبراهيم: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

ويرى هذا العبد الذي عرف ربه علم ربه أوسع من كل شيء ، فلو اجتمع علم الخلائق كلهم في شخصٍ واحد ، ثم أعطي الخلائق كلهم مثل ذلك ، لكانت نسبته إلى علم الله أدنى من نقرة عصفورٍ من البحر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢].

وهكذا في سائر أسمائه وصفاته ، فهذا أول مشاهد المعرفة المغذية للقلب.

ثم ينتقل منه إلى مشهد فوقه لا يتم إلا به، وهو مشهد الإلهية ، فيشهد ربه إلهًا عظيمًا يأمر وينهى ، ويحكم ويقضي ، متجليًا بأمره ونهيه ، صادقًا في وعده ووعيده ، وثوابه وعقابه ، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢ – ١٠٣].

ثم يعبد الله بهذه المعارف بما يحبه ويرضاه حتى يلقاه.

ثم ينكشف له في ضوء هذا النور الإيماني أحوال اليوم الآخر ، وما فيه من الحشر والحساب، والصراط والميزان ، والجنة والنار ، فإذا رأى ذلك علم عظمة ربه ، وكفايته له ، ورحمته به ، وبره به ، وإحسانه إليه ، وحلمه عليه ، فأثمر له ذلك كمال العبودية لله بالحب والتعظيم والذل له ، والتقرب إليه بما شرعه وأمر به: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢ – ٤].

ثم لا يزال يتقرب إليه بكل محبوبٍ إليه ، بحسب رقيه في هذه المعارف ، والله يؤتي

ملكه وفضله وعلمه من يشاء : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩] .

ومن وفقه الله لذلك فقد دخل جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

والله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى في السماوات والأرض ، ومعرفة الله بأسمائه ، وصفاته لها ثمرات عظيمة، ولها منافع في الدنيا والآخرة ، وهي من الدين، أو هي من التوحيد ؛ بمنزلة الرأس من الجسد ، وبمنزلة القلب من البدن ، لأن معرفة المعبود قبل العبادة ، ومعرفة الآمر قبل أمره ؛ أمر مطلوب في البداية حتى يتوجه القلب بالعبادة إلى من له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى .

والتعبد لله ﷻ بأسمائه وصفاته هو مقصود الرب ﷻ من خلقه فالله له الأسماء الحسنى ، وله الصفات العلا، وله الأفعال الجميلة، ويريد من خلقه أن يصفوه بتلك الصفات، ويتصفوا بها: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

- **ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله:**

معرفة الله ﷻ بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله، مثمرة لجميع الخيرات والبركات، العاجلة والآجلة ؛ ومن أعظم ثمراتها :

الثمرة الأولى: عبادة الله وحده لا شريك له بما يليق بجلاله، بالمحبة والتعظيم ، والذل له ﷻ ، والعبادة بأنواعها أجل ثمرات العلم بالله وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ؛ فمن عرف ربه بالمُلكِ ، والجبروتِ ، والعظمةِ ، والكبرياءِ ، وعرفهُ بالغنى ، والإحسان ، والرحمة ، واللطف ، وعرفه بالعلم ، والإحاطة ، وعرفه بالقوة ، والقدرة ، وعرف أنه السميع البصير فاض قلبه بالذكر والدعاء والحب والثناء، لأن العبادة حقاً تأتي بحسب معرفة المعبود.

كما قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا

﴿ وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥ – ١٧].

الثمرة الثانية : محبة الله ﷻ ، فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تولّد المحبة لله ، ومحبة الله ﷻ هي قوت القلوب، وهي شفاء الصدور، وقرة العيون ، ومن أحب الله أحبه الله، ورضي عنه وأرضاه ، فإذا اجتمع للعبد معرفة داعي الإحسان والإنعام، إلى معرفة داعي جلال ربه وجماله، لم يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها .

وكمال العبودية ثمرة المحبة، والمحبة لله ثمرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وإنعامه وإحسانه ، فمحبة الله تجذب العبد لطاعة ربه، وفعل ما يرضيه، وتحرك القلب واللسان والجوارح لعبادة الله، والإعراض عما سواه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٥٧ – ٦١].

فليس الشأن أن تحب الله فقط ؛ بل الشأن كل الشأن أن يحبك الله، أنت تحب الله، لأنه هو الخالق الرازق، هو الذي أنعم عليك بكل نعمة، لكن الشأن متى يحبك الله ؟ محبة الله لك مقرونة بإتباع رسوله ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران/ ٣١] .

الثمرة الثالثة : من ثمرات التعبد لله بأسمائه وصفاته وأفعاله وعظيم أثارها ؛ التعظيم والذل لله ﷻ، فإذا شهد العبد عظمة ربه ، أفاضت هذه المعرفة على قلبه الذل والانكسار بين يدي العزيز الجبار، و أكمل الخلق عبودية لله أكملهم ذلًا لرب العباد، وأكثرهم سجودًا لربه أكملهم معرفة بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومن سجد هذه السجدة القلبية سجدت معه جميع الجوارح، واكتملت عبوديته، ومن أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية لرب العباد الملك العزيز الجبار: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

فمعرفة العظيم والذل له عز وجل ثمرة من أعظم ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته، والتعبد له بموجب ذلك.

والله عز وجل هو العظيم، وكتابه عظيم، وأمره عظيم، وثوابه عظيم، وعقابه عظيم.
فمعرفة العظيم ﷻ تثمر حب أوامره العظيمة، وتولد الرغبة في وعده العظيم، والهرب من عقابه العظيم، وكمال الافتقار إليه، والإنكسار بين يديه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].
فجميع أبواب الطاعات عليها زحام إلا باب الذل والافتقار إلى الله، فهو أقرب الأبواب وأوسعها، ولكن لا نزاحم فيه لقلة الداخلين منه؛ لماذا؟ لأن الإنسان يستغنى بماله عوضًا عن ربه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾ [العلق/ ٦ – ٧].
فباب الافتقار إلى الله أعظم الأبواب وأوسعها، وهو الباب العظيم الذي يدخل منه العبد على ربه، فيقول كنت معدومًا فأوجدني الله، وكنت ضالاً فهداني الله، وكنت جاهلاً فعلمني الله، وكنت عارياً فكساني الله، وهو مالك الملك كله في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر/ ١٥].
أنا فقير إلى الله في طعامي وشرابي ولباسي وسكني، والهواء الذي أتنفس منه، والماء الذي أشربه، والطعام الذي آكله، وفي الحياة التي أحياها، فباب الافتقار أعظم الأبواب، ولا مزاحم فيه لقلة الداخلين منه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر/ ٩].
الثمرة الرابعة : من ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته الخوف والخشية ، فمن كان بالله أعرف، كان منه أخوف، وكان له أشد خشية : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر : ٢٨] .
الذين يخشون الله هم العلماء ، لأنهم عرفوا الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرفوا عظمة ملكه وسلطانه وعرفوا نعمه وإحسانه، وعرفوا أمره ونهيه، وعرفوا ثوابه وعقابه، وعرفوا الحلال والحرام ؛ فأعظم الناس عبودية لله من كان أعرفهم بالله، وأشدهم له خشية، وهم العلماء: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٥ – ١٧] .

فنسأل الله العظيم ﷻ أن يُعلمنا ويرزقنا تقواه وخشيته ، وبحسب هذه المعرفة تأتي الأعمال القلبية من الخوف من الله، والتوكل عليه، وخشيته، والانكسار بين يديه والافتقار إليه، وهذه أعظم العبادات ، وعبادة الجوارح مظهر لعبادات القلوب، فإذا عرف العبد ربه العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، امتلأ قلبه إيمانًا ويقينًا، ونوراً وإشراقًا، ومحبةً لله وتعظيمًا له، وانتفى عنه كل غيب وشر: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

الثمرة الخامسة : اليقين والطمأنينة بالله عز وجل العبد إذا عرف ربه العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، امتلأ قلبه بالإيمان، وتجاوز المخلوقات إلى الخالق وتجاوز الصور إلى المصور وتجاوز الدنيا إلى الآخرة، واشتغل بالاعمال الصالحة عن الشهوات الفانية، فيمتلئ قلبه إيمانًا و يقينًا بربه أن بيده كل شيء وأن ربه القوي الذي ليس كمثله شيء في القوة ، وهو الغني الذي ليس كمثله شيء في الغنى ، العزيز الذي ليس كمثله شيء في العزة ، خزائن العزة بيده، وهو الذي أعز كل عزيز، وأذل كل ذليل، ولو رفع عن الإنسان أمر العزة لعاد ذليلًا ، وهو الغني الذي أغنى كل غني، ولو رفع عنه أمر الغنى لعاد فقيرًا، وهو الحي الذي أحيا كل مخلوق، ولو رفع عنه أمر الحياة لعاد ميتاً: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

فمن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته اليقين والطمأنينة بالله ، فإذا عرف هذا العبد ربه العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، امتلأ قلبه إيمانًا بربه، ويقينًا عليه، وتعظيماً له، وحباً له، وذكراً له؛ لأنه عز وجل هو الرب الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا ، والأفعال الجميلة، وهو ذو الفضل والإحسان على خلقه في الدنيا والآخرة، وفي بطن الأم، وفي بطن الدنيا، وفي بطن الآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨ – ٢٩].

هو جل جلاله الرب المحمود على أسمائه وصفاته وأفعاله .
ويمتلئ القلب تعظيمًا لربه، لما يرى من الملك والملكوت وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله ، وإذا تيقن القلب على ذلك نزلت فيه السكينة، وحلت فيه الطمأنينة، وزاد إيمان العبد، وحسنت عبادته، وحسنت أخلاقه : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾[الفتح/ ٤] .
جنود الحكومات والدول محدودة وجنود الله في السموات والأرض مطلقة غير محدودة، فالسموات من جند الله ، والأراضين من جند الله ، والملائكة جند من جنود الله ، والكواكب جند من جنود الله، والبحار جند من جنود الله ، والرياح جند من جنود الله ، والخوف جند من جنود الله ؛ فجنود الله ﷻعظيمة، وغير محدودة، وكل ما في الكون من جنود الله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾[هود/ ٥٦].
هذا القلب يطمئن بذكر الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ويطمئن بذكر نعمه وإحسانه ، ويطمئن بمعرفة أوامره ونواهيه، وحلاله، وحرامه، ووعده ووعيده لا طمأنينة للقلوب إلا بهذه المعارف العظيمة :
معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه، والثناء على الله ﷻ بها .
ومعرفة نعمه وإحسانه إلى خلقه .
ومعرفة أمره ونهيه .
ومعرفة حلاله وحرامه .
ومعرفة وعده ووعيده .
هذه مغذيات القلوب إذا تغذت القلوب بهذه الأمور امتلأت بالإيمان، وجاءت الطاعات شهوات لا يملها الإنسان كما لا تمل النفس من أنواع الطعام والشراب، وأنواع الحلويات والسكريات ، كذلك هذا القلب لا يمل من أنواع الطاعات صلاةً وصيامًا، وذكرًا ودعاء، ودعوة وتعليماً، وإحساناً وبراً، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر وغيرها من الطاعات والقربات: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾ [التوبة/ ٧١].
فهذه المعارف العظيمة تثمر هذا اليقين العظيم ، وهذه الأعمال العظيمة، فهذه النفس اطمأنت بذكر الله ، هذه النفس المطمئنة يقال لها يوم القيامة : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾[الفجر/ ٢٧-٣٠] .
لأنها أطمئنت بذكر الله، وسكنت إلى قضاء الله ﷻ وقدره، وشمرت الى كل عمل صالح: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ ﴾ [الفرقان/ ٦٣ – ٦٤].
الثمرة السادسة : من التعبد لله بأسمائه وصفاته الرضا عن الله ﷻ، فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، جاء في قلبه الرضا عن ربه جل جلاله، ومن عرف ربه بعدله وإحسانه وحلمه ورحمته وحكمته، وعرف أسماءه الحُسنى، وعرف صفاته العلا أثمر له ذلك الرضا بحكم الله وأقداره، والتسليم لأمره ونهيه، وعلم بأن تدبير الله أحسن من تدبيره، وأحكام الله خيرٌ من هوى نفسه، وثواب الله أعظم من عمله، ورحمة ربه أرجى من أعماله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾ [البينة/ ٧-٨] .
فربهم ﷻ رضي عنهم، لما في قلوبهم من التوحيد والإيمان، وتعظيم الله ومحبته، ولما على جوارحهم من العبادات وأنواع الطاعات، ولأن ألسنتهم مشغولة بذكره وحمده، وتسبيحه واستغفاره، والدعوة إليه وتعليم شرعه: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠].
فالله ﷻ رضي عنهم، وهم رضوا عنه، لأنه مَنّ عليهم بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد ونعمة الهداية ، فشكروا ربهم، وأمنوا به، فلهم في الدنيا الهداية والأمن ولهم في الآخرة الجنة، ورضوان الرب، وسماع كلامه، و القرب منه: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥ ﴾ [القمر/ ٥٤ – ٥٥].
الثمرة السابعة: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته التوكل على الله وحده لا شريك له، وعدم الإلتفات الى غيره: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ

﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق/ ٣].
فمن عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله سكن إليه، وتوكل عليه وحده في جميع أموره، لعلمه بكماله وكفايته، وقيامه بشأن خلقه كلهم، إيجادًا وإمدادًا وتدبيرًا، وكلما كان العبد بالله أعرف كان توكله على الله أقوى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾[التغابن : ١٣]

الثمرة الثامنة : إخلاص العمل لله ﷻ، فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله أخلص له العمل، لعلمه بكماله وغناه عن كل من سواه، وشدة حاجة الخلق إليه وحده، ولا يشرك أحدٌ مع الله غيره في العمل إلا لجهله بأسماء الله وصفاته وأفعاله : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠]

ومن أشرك مع الله غيره فقد أبطل عمله بشركه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر/ ٦٥ – ٦٦].

وقَالَ النبي ﷺ: «**قَالَ اللهُ تبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»أخرجه مسلم(1) .

فالله ﷻ غني عن الشركاء، وعن كل أحد، ولا يحتاج إلى طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصيين، لأنه الغني وكل ما سواه محتاج إليه: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾[العنكبوت/٦]

الثمرة التاسعة: من ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته، والتعبد لله بها، التوبة والإنابة الى ربه ﷻ، ومن عرف ربه العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، سارع إلى طاعته، وتاب من معصيته، لعلمه بكمال حب ربه لعبده، ورحمته به، وفرحه بتوبه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

ولعلمه بضعفه ونقصه، وإساءته وتفريطه، وغفلته عن الله الذي خلقه ورزقه وهداه.

فسبحان الله ما أعظم رحمة الرب بعباده: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٩٨٥.

ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء / ٢٧-٢٨]

الثمرة العاشرة : حلاوة العبادة ، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، كانت قرة عينه في مناجاة ربه، ووقف بين يدي ربه مكبرًا له، ومعظمًا له، وحامدًا له، وخائفاً منه، وراجياً له، ومحباً له ومستغفرًا من ذنبه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٥٧ – ٦١].

فكل من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، كانت قرة عينه في مناجاة ربه، والأنس به، وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الجنة إلا هذه المعرفة، ومن دخل جنة المعرفة في الدنيا أدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة، وجنة الأمن في الدنيا: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن/ ٤٦].

وكلما ازداد العبد معرفة بربه ، ازداد إيمانًا، وحبًا، تعظيمًا، وحمدًا لربه، ووجد حلاوة ولذة في كل ما يحبه ربه ويرضاه ، واستأنس بربه واستوحش من كل ما يشغله عنه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

وقال النبي ﷺ: « **ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حلاوة الإيمان : أن يكون ورسُولُهُ أحبَّ إليه ممَّا سِواهما ، وأن يحِبَّ المرءَ لا يحُبُّه إلا لله تعالى ، وأنْ يكرَه أن يعودَ في الكُفرِ كما يكرَهُ أن يُقذَفَ في النّار** » متفق عليه[1] .

الثمرة الحادية عشرة : من ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله الفوز بالجنة والنجاة من النار، فمن عرف ربه عبده بما يحبه ويرضاه ثم يثيبه الله على دينه في الدنيا بالأمن والهداية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وكذلك يكرم الله المؤمنين في الآخرة بكرامات عظيمة.

بدخول الجنة، ورؤية الله سبحانه، والقرب منه، وسماع كلامه، والفوز برضوانه، والتلذذ بنعيم الجنة والخلود في دار المتقين والنجاة من النار : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٦٩٤١، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: ٤٣.

وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة/ ٧٢] .

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر/ ٥٤ – ٥٥].

هؤلاء المؤمنون والمؤمنات الذين لهم هذا الوعد ما هي أعمالهم ؟ أعمالهم ذكرها الله ﷻ قبل هذه الآية بقوله : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة/ ٧١].

بينهم موالاة ومحبة بسبب اجتماعهم على الدين ؛ لأن النبي ﷺ جمع الأمة على الدين فتحابوا عليه ، ولو جمعهم على الدنيا لتقاتلوا عليها ، فهذه صفات المؤمنين التي يحبها الله عز وجل، فوعد أهلها بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة.

وكما أن أسماء الله وصفاته وأفعاله لا تحصى، فكذلك التعبد لله بأسمائه وصفاته ثمراته ومنافعه لا تحصى، وقد ذكرنا بعض الثمرات التي يتسع لها وقت الدرس، والباب مفتوح لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكورا.

فلنحرص على هذه الصفات، ونسارع الى تحصيل تلك الثمرات والحسنات، والخيرات والبركات: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال/ ٢ – ٤].

فالتعبد لله ﷻ بأسمائه وصفاته لابد من معرفته، ولابد من التعرف عليه، ولابد من القيام به ، فهذه المعرفة تولد لدى الإنسان النشاط والهمة والعمل، والرغبة والمحبة لكلام الله وكلام الرسول والعمل بالشرع : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤].

كيف نتعبد لله بأسمائه وصفاته، وبخاصة اسم الرب جل جلاله؟ فأول التعبد باسم الرب جل جلاله أن نعرف الرب جل جلاله بأسمائه وصفاته، وأن نعرف صفات جلاله، وصفات جماله ، ولمعرفة مسالكه في العالم العلوي والسفلي لابد أن نعرف

هذا الرب العظيم جل جلاله كيف يربي خلقه ؟ وكيف يدبر خلقه في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة ؟ واستعلام سبل مجاريه في المخلوقات كلها خلقًا وتدبيرًا وتصويرًا ، وإعدادًا وإيجادًا: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠١ – ١٠٣].

اسم الرب من أسماء الله العظيمة فلابد أن ننظر إلى سبل مجاريه في المخلوقات كُلها خلقًا وتدبيرًا ، فربنا خلق الشمس وهو الذي يدبرها ، وخلق القمر وهو الذي يدبره ، خلق الأشجار وهو الذي يدبرها ، وخلق الرياح وهو الذي يدبرها ، وخلق المياه وهو الذي يدبرها ، وخلق الملائكة وهو الذي يدبرهم، وخلق البشر وهو الذي يدبرهم، يُدبر الأمر في العالم العلوي والعالم السُفلي، خلق المخلوقات وصورها ، صور الجبال ، وصور المياه ، وصور الأشجار ، وصور الأزهار ، وصور الإنس ، وصور الجن ، وصور الملائكة ، وصور الجنة ، وصور النار ، وصور المخلوقات كلها ، هو الرب الذي خلق الخلق، وهو الذي صورهم كيف يشاء: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

هذا الرب العظيم خلق هذه المخلوقات العظيمة، وهو الذي أصدر الأوامر الكونية، والأوامر الشرعية، وهو الذي أعدها، وهو الذي يمدها بالنعم المادية، والنعم الروحية ، وله عليها أمر الملك، وأمر التدبير، والتصريف، وأمر التحريك والتسكين، وأمر البقاء والفناء.

هذا الرب! ما صفاته؟ حتى نعبده، ونمتثل أمره، ونجتنب نهيه، ونرضى بتربيته : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

ربنا يدبر هذه السماوات العظيمة بما فيها من المخلوقات، وهذه الأرض العظيمة بما فيها من مخلوقات.

ثم استوى على العرش، والعرش أعظم المخلوقات وأوسعها وأعلاها خلقه وأمسكه بقدرته، واستوى عليه برحمته: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

يُدبر الأمر، يُدبر الأوامر الكونية على جميع المخلوقات ، أوامر الجمادات ، أوامر النباتات ، أوامر الحيوانات ، أوامر الأمطار ، أوامر الرياح ، أوامر الشمس ، أوامر القمر ، أوامر النجوم ، أوامر الدنيا ، أوامر الآخرة ، أوامر الليل ، أوامر النهار ، هذه أوامر ملكية عظيمة ؛ وهذا الرب العظيم هو الذي يدبر هذه المخلوقات بأوامره الملكية، ولا يدبر هذا التدبير العظيم إلا ملك عظيم، وربٌ قدير ، وربٌ قاهر ، وربٌ عزيز لا يغلبه غالب : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس/ ٣].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [يونس/ ٣]

ما المطلوب ؟ ﴿فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس/ ٣] .

بعد أن عرفتموه، وعرفتم أسماءه وصفاته : ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس/ ٣] .

إذا عرفتم الله وعرفتم أن هذه مخلوقاته وأنتم ذرة في ملكه، ولكم خاصة أوامر شرعية منه، فما دُمتم خضعتم لأوامره الملكية في خلقكم، وفي ألوانكم، وفي أجناسكم فاخضعوا له في أوامره الشرعية ولا تخالفوا أمره: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢﴾ [يونس/ ٣٢].

فالمؤمن يرى الله ﷻ ويتدبر وينظر ببصره وبصيرته إلى الملك والملكوت ؛ انظر ترى الرب يفعل ما يشاء، والخالق يخلق ما يشاء، والرازق يرزق من يشاء، والمصور يصور ما يشاء : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران/ ٦].

هو الذي صور الكائنات، ودبر الموجودات جل جلاله، فسبحان ربك الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وأوصل أرزاقه إلى مخلوقاته في العلم العلوي وفي الجو وفي البر وفي البحر بقدرته جل جلاله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود/ ٦].

وترى الرب الهادي يهدي من يشاء ، هذه الحبة جزءٌ منها ينزل إلى الأرض عروقًا ،

وجزءٌ منها يصعد إلى الأعلى سيقانًا وأوراقًا وأزهارًا وثمارًا ، وهدى الطير ، وهدى الحيوان، إلى ما يصلحه: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [الأعلى/ ١ – ٥].

هو الرب الهادي الذي هدى الإنسان إلى ما يسعده في الدنيا والآخرة وساق إليه الطيبات، وأسكنه في الأرض، وأرسل إلى خلقه الرُسل ، وأنزل عليهم الكُتب ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

هو الرب الرحمان الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، فترى الرحمن يرحم من يشاء بحكمته ورحمته ، وترى مظاهر الرحمة في هذا الكون العظيم، هواءٌ لطيف، وأرضٌ مستقرة، وطعام محبوب للنفس، وشراب مختلف الوانه، وترى هذه الشمس المضيئة، وهذا القمر الساري، وهذه النجوم الزاهرة ، فترى هذه الآيات العظيمة التي تدُلك على خالقها، وتشير الى مبدعها: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الشعراء/ ٨ – ٩].

إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، آيات محكمات، ومطر ونبات، ونجومٌ تزهر، وبحار تزخر، وليل داج، وسماءُ ذات أبراج ، هو عز وجل ملأ الكون بآياته ومخلوقاته لنعرفه جل جلاله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ونعبده بموجب هذه المعرفة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ونرى القهار جل جلاله يقهر من يشاء ؛ هو ربنا القهار ، يقهر الرياح الشديدة بالجبال التي تصدها ، ويقهر الجبال بالحديد الذي يقطعها، ويقهر الحديد بالنار التي تذيبه ، ويقهر النار بالماء الذي يطفؤها ، ويقهر هذا الماء بالرياح التي تقله وتحركه.

هو جل جلاله الرب الواحد القهار ، الذي قهر كل قاهر، وأحاط بكل محيط، هو الواحد الأحد الغني عن كل أحد جل جلاله: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٣].

وترى الرب القادر يفعل ما يشاء بقدرته جل جلاله ، يُمسك السماء أن تقع على الأرض، ويُمسك السماوات و الأرض أن تزولا ، وينجي بأسباب الهلاك ، ويهلك

بأسباب النجاة ، ويعز بأسباب الذلة ، ويذل بأسباب العزة ، هو فعال لما يشاء.
وترى الرب الحكيم يحكم بما يشاء ، يحكم العالم العلوي، ويحكم العالم السفلي ، و يحكم الدنيا ، ويحكم الآخرة ، ويحكم الجمادات ، ويحكم النباتات، ويحكم كل شيء: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٨].
حكم الكواكب والنجوم في إنارتها وسيرها وثباتها، وحكم النباتات على صورتها وطولها وعرضها، وحكم الثمرات على أحجامها وألوانها وطعومها ، وحكم الحيوانات على أشكالها وأنواعها وأجناسها.
هو الحكيم الذي حكم كل شيء، ويحكم بما يشاء، وهو الحكيم الذي أكرم من شاء بالحكمة: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة/ ٢٦٩] .
وترى من بيده الملك والملكوت ينصر من يشاء ، ويخذل من يشاء.
هو الذي نصر أنبياءه ورسله وأتباعهم على أعدائه ، أرسل موسى إلى فرعون فلما عصاه دمر الله فرعون وجنوده:
وابتلى الله ﷻ كل نبي من الأنبياء، بل كل مؤمن مبتلى ، فالله ﷻ ابتلى آدم بإبليس حتى نصره الله ﷻ عليه ، وابتلى إبراهيم بالنمرود ، وابتلى موسى ﷺ بفرعون ، وابتلى محمداً ﷺ بأبي جهل، فكانت العاقبة للمتقين، لأولياء الله وأنبيائه ورسله، والتدمير والهلاك لأعدائه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ٤١﴾ [الحج/ ٤٠ – ٤١] .
فالله الملك العظيم، والرب الكريم، يُدبر مُلكه بما يشاء ، وهو غفار يغفر لمن يشاء برحمته، ويعذب من يشاء بعدله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ٦٥﴾ [مريم/ ٦٥] .
فسبحان الله ما أعظم شأنه، وما أحكم تدبيره، وما أوسع رحمته.
وربنا هو الرحمن الرحيم الذي يكافئ المحسن، ويعاقب المُسيء ، من تقرب إليه بالطاعة شرح صدره، وألقى الطمأنينة في قلبه، ويَسّر أمره ، ومن عصى ربه ألقى في قلبه الضيق والكآبة والحيرة، لماذا ؟ ليعود إليه ، إذا ضاقت عليه الحياة عاد إلى ربه،

فإن أصر على كفره فالعذاب ينتظره: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦] .

ومن شعر أن ربه يراقبه ويحاسبه على أفعاله، ويعاقبه سريعًا على كل قول أو فعل ، فليعلم أنه في عز العناية الإلهية، وأن فيه خيرًا كثيرًا، وأن الله يؤهله لطاعته برحمته، ويربيه ليرقيه ويصطفيه، أو يكفر عنه سيئاته: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة/ ٥١].

ومن ارتكب المعاصي، والكبائر، ولم يحُاسبه ربه ولم يعاقبه، فليعلم أنه خارج العناية الإلهية، لأن الله علم أن فيه انحرافًا شديدًا، وإصرارًا على معصية الله واستكبارًا عن طاعته، فوكله إلى نفسه، ونسيه كما نسيه: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة/ ٦٧] .

وإذا نسي الله العبد كيف تكون حاله ؟ إذا نُسي في نار جهنم من يذكره ويرحمه؟.

فسبحان الرب الرؤوف الرحيم الذي يسوق الشدائد والمصائب لمن عصاه، ليحمله على التوبة من أجل أن يتوب إليه قبل أن يموت على كفره أو معصيته: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة/ ٢١] .

هذه المصائب التي تصيب العباد ؛ الله ﷻ يجعلها رسالة للإنسان الذي خرج من الصراط المستقيم، ليعود إلى ربه التواب الرحيم ؛ فالله جلَّ جلاله يحب التوابين ويحب المتطهرين ؛ فمن علم الله فيه خيرًا جعله ضمن العناية الإلهية فربَّاه وأدَّبهْ بما يكون سببًا لرحمته بالنعم الظاهرة والباطنة:

النعم الظاهرة هي هذه النعم ومنها : الصحة والمال والجاه، والزواج والأولاد وغير ذلك من النعم الظاهرة ، والنعم الباطنة هي المصائب التي تُصيب الإنسان فيتوب الإنسان إلى ربه بعدها، ويتوب الله عليه، ويكون أحسن حالاً من قبل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠] .

ومن عَلِم الله أنه لا يصلُح لدار كرامته ، متَّعه في الدنيا بشهواته، فإن لم يشكر عاقبهُ، فإن أصَّر أهلكه : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنعام/ ٤٤-٤٥] .

الحمد لله رب العالمين على نعمه، والحمد لله على عقوبته ، فإن أنعم جلَّ جلاله على عبده فبفضلِه، وإن أعطاه الثواب فبكرمهِ، وإن أصابه بمصيبة فبعدلهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء/ ٤٠].

سنة الله جارية: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء/ ١٢٣].

فمن عاقبهُ ربه على ذنبه فبعدلهِ، لأن جزاء السيئة سيئة مثلها، ولكُل سيئةٍ عقوبةٍ.

والرب جلَّ جلاله إذا أحب عبده عجَّل له العقوبة، وابتلاه بالنعِم والمصائب ، إذا عصى العبد ربه يُعجِّل له العقوبة في الدنيا، ليعود إلى ربه ويبتليه بالنعم والمصائب ، فإن صبر اجتباه، وإن شكر زاده، وإن عصاه أدبَّه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنبياء/ ٣٥].

هذه الكلمات العظيمة الرب ﷻ إذا أحب عبده عجَّل له العقوبة إذا عصى، لئلا يخسر آخرتهِ ؛ فخسارة الدُنيا أهون من خِسارة الآخرة، ويبتليه بالنعم والمصائب ؛ يبتليه بالنعم، ليستخرج منه عبودية الشُكر، ويبتليه بالمصائب، ليستخرج منه عبودية الصبر ، فإن صَبر اجتباه له، وجعله من الدُعاة إليه، وجعله في الليل قائمًا بين يديه بالعبادة، وبالنهار قائمًا بين يدي خلقه، بالدعوة، والتعليم، والإحسان إلى الخلق، وإن شكره زاده وإن عصاه أدبه: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العنكبوت/ ٢ – ٣].

وسنة الله جارية: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم/ ٧] .

ومن رحمتهِ جلَّ جلاله أن من عصاه أدبه بمصيبة، وإذا أصابه بمُصيبة عاد إلى ربه، لأنه سيضَّطر إلى ربه، لأنه أغلق عليه أبواب الأسباب، ليعود إلى الله.

فبعد هذه المصيبة يفعل جميع الأسباب، ثم تنقطع الأسباب، فلم يبق له إلا اللجوء

إلى ربه ؛ فيدعو ربه، فيكشف عنه السوء والمرض والبلاء الذي أصابه، من مرضٍ في البدن، أو خسارة في المال، أو مصيبة في أولاده أوغير ذلك .

فإذا دعا ربه ﷻ وكشف كربته ؛ أكرمه الله ﷻ بسبع كرامات :

يزيد إيمانه بربه.. ويزيد حبه له.. ويزيد حمده له.. ويزيد تعظيمه له.. وتزيد عبادته له، ويزيد ذكره له، ويتوب الله عليه.

فربنا الرحمن الرحيم يربينا بالنعم، ويربينا بالمصائب، ومن أحبه ربه جعل له واعظًا من نفسه، وحبَّب إليه طاعته، وكرَّه إليه معصيته، وجعل حوائج الناس إليه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦ – ٣٧].

فسبحان ربنا الحكيم الخبير، الذي يربي عباده بما يشاء: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣ – ٧٤] .

وخزائن ربنا لا تنقضي أبداً، لو أعطى رب العالمين كل العالمين ما نقص ملكه مثقال ذرة، فلو كان جميع العالمين من جمادات، ونباتات، وحيوانات، وإنس، وجن، وملائكة، لو كانوا كلهم على صورة رجل واحد ؛ والله ﷻ أعطى هذا الواحد كل ما سأل، ثم خلق العالمين كلهم على صورة هذا الواحد، ثم أعطاهم مثله، ما نقص ذلك مما عند الله من النعم والنعيم والفضل وغيره شيئًا، لا ينقص إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخِل البحر ، وهذا للتقريب لأن الله لا تنقص خزائنه أبداً: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص/ ٥٤].

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢] .

فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣] .

فضله واسع ، وعلمه واسع ، ورزقه واسع ، وملكه واسع، وخزائنه واسعة ؛ وهو العليم بمن هو أهلٌ للكِرامة والعليم بمن هو أهلٌ للإهانة ، عليم بمن يستحق العطاء، وعليم بمن يستحق المنع : ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء/ ٣٠].

كل ما عند الله مما في خزائنه كله الله غني عنه، ولكن نحن الذين نحتاج إليه، وإلى ما في خزائنه، والمَلك والرب لابد أن تكون خزائنه ملئ بكل شيء، ولابد أن يتصف بصفات الكمال، حي قيوم، رحيم، قوي، قادر، حكيم، سميع بصير، ولطيف، وبر، وعفو، وعليم، وعظيم ، وغيرها من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ليدبر ملكه بهذه الصفات العظيمة: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

فالله ﷻ ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران/ ٧٤]

والإنسان كالمريض ؛ إن كان فيه أمل في الشفاء حماه الطبيب مما يضره، ويعطيه ما ينفعه من المأكولات والمشروبات والأدوية، وإن كان لا أمل في شفائه قال له الطبيب كل واشرب ما شئت ؛ لأنه لا أمل في شفائه: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[الأنعام/ ١٢٥] .

فالله ﷻ يُربي عبده إن كان فيه أمل في الشفاء يحميه ويربيه بالنعم ؛ يحميه مما يضره، ويعطيه ما ينفعه ، وإن كان لا أمل في شفائه تركه في هذه الحياة يتمتع قليلاً، ثم بعد الموت يساق إلى جهنم: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾

[آل عمران/ ١٩٦ – ١٩٨].

هذه الدنيا صالة فيها الطيب والخبيث ، وفيها المؤمن والكافر ، وفيها البر والفاجر ، أما دار القرار فهي في الجنة أو النار، حسب عمل العبد: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٤].

فيتعلم الإنسان هذه العلوم النافعة التي تهذب قلبه، وتعرفه بربه، وتعرفه بنفسه، ويتعبد بذلك لربه، لينال رضاه وجنته: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٢].

فالله ﷻ هو الرب الذي يُربي العالمين بنعمه المادية والروحية ، فهو الرب القادر وأنا

العبد العاجز، هو الرب الغني، وأنا العبد الفقير، هو الرب الملك، وأنا العبد المملوك.
هو الرب الذي له أوامر على جميع مخلوقاته، وأنا عبده ولي منه أو عليّ منه أوامر.
ربي جل جلاله هو ربي وأنا عبده، وعبده بين يديه يعمل في خمسة أمور : طاعات يؤديها ، ومعاصي يجتنبها ، ونِعَم يشكر الله عليها ، وذنوب يستغفر الله منها ، وابتلاءات يصبر عليها: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود/ ١١٢ – ١١٣].
لابد أن يعرف القلب أن الرب وحده هو الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأنا عبده أتلقى منه الأوامر ، وهو جل جلاله الرب الخالق، وأنا المخلوق ، هو الخالق الذي خلق كل شيء، وأنا المخلوق الذي ليس بيده شيء فما كنت شيئاً حتى أفعل شيئاً ولا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].
ولابد أن يعرف القلب أن ربنا هو الغني، وأننا نحن الفقراء : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥] .
ولابد أن يعرف القلب أن الرب هو القوي وحده وأنت أيها الإنسان الضعيف : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [غافر/ ٦٤] .
ذلكم الله المستحق للعبادة والتعظيم والتقدير، والتسبيح والتكبير ، والحمد والشكر، ذلكم الله ربكم الذي هذا خلقه، وهذا أمره، وهذا فعله، هو أهل أن يكبر وحده، وأن يعبد وحده، وأن يحمد وحده: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].
فهذا هو الرب الخالق العظيم الذي نعبد: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [غافر/ ٦٢].
ربنا هو العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه، القوي الذي لا أقوى منه، ربنا هو الذي له الأسماء الحسنى، وله الصفات العُلى، وله الأفعال الجميلة، وله

المثل الأعلى، وله ما في السماوات والأرض: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فربنا أكرمنا بعبادته وحده، لم يجعل معبودنا مخلوقًا مساويًا لنا، ولم يجعل معبودنا صنمًا من أصنام الأرض من أحجار وأشجار ، والإنسان خلقه الله فقير إلى غيره، فهو إما أن يكون عبدًا لربه، أو عبدًا لهواه ، هذا الإنسان خُلق ليتعلق بغيره ؛ فإما أن يتعلق بربه، وإما أن يتعلق بشهواته وهواه .

والإنسان إما أن يكون عبداً لله، أو عبداً لعبد الله من مخلوقاته: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾ [مريم/ ٥٩].

والله ﷻ ركّب الشهوات في كل إنسان وما ركَّب فيه الشهوات إلا ليرقى بها إلى الله؛ ولهذا يحُسن ويُسيء، ويطيع ويعصي .

وهذه الشهوات إن صاحبها نور الإيمان سارت بصاحبها على صراط مستقيم وإن تتجردت من الإيمان ، سارت بصاحبها إلى الجحيم ؛ فالشهوات مع الإيمان قوة محركة إلى كل خير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾[المؤمنون/ ٥١] .

فالشهوات قوة محركة إلى كل خير ، وقوة مدمرة لكل خير، حسب قوة الإيمان وضعفه، وحسب الإيمان أو الكفر ، فنحن نرى في الكون جميع الخلائق من البشر جالسون على موائد نعم الله ﷻ ، وكل واحد منهم إما يستعين بها على طاعة الله، أو يستعين بها على معصية الله، وشتان بينهما: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣ ﴾ [آل عمران/ ١٦٢ – ١٦٣].

ومن أخذ من الشهوات بقدر الحاجة، وأدى الأوامر بقدر الطاقة، فهو المُفلح، ومن غرق في الشهوات، وأهمل الأوامر، فقد خسر خسراناً مبينا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ ﴾ [محمد/ ١٢].

التعبد لله ﷻ باسم الرب جل جلاله أن نحرص على التخلق بهذا الاسم ، فالله ﷻ هو رب العالمين ، ورب السماوات والأرض ، وفاطر السماوات والأرض ، ورب الدنيا والآخرة ، ورب هذه الخلائق جميعها، قد وكلني على نفسي، ووكلني على غيري، فكيف أقوم بالتربية لنفسي وغيري؟.

فنربي أنفسنا بأن نوحد ربنا العظيم بما تفرد به من الكمال، وما اختص به من صفات التعالي والكبرياء، وما توحد به من العظمة والملكوت، والجلال والجبروت : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢ – ٢٤].

ألزم نفسك شاكلة العبودية لربك العظيم، وذُل الافتقار إليه في جميع الأوقات: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص/ ٢٤].

وألزم نفسك بالتوحيد والإيمان، وحسن العبادة لربك وأكثر من ذكره وحمده وشُكره.

هذه تربية النفس أن نُربي أنفسنا بالتوحيد والإيمان، وحسن العبادة ونكثر من ذكره وحمده وشُكره، ونستغفره من كل تقصير، فهذا شرف الإنسان، وسبيل صلاحه في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥١] .

ما دمتم عرفتم الله بأسمائه وصفاته وأفعاله فعليكم الجهد على أنفسكم وعلى غيركم ؛ نُربي أنفسنا بالاستقامة، ونُربي غيرنا بالدعوة إلى الله، حتى تستقيم القلوب والجوارح إلى ربها: ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

وليعلَم العبد أن معرفة العبد بربه، وشهوده انفراد ربه بالربوبية من الخلق والمُلك، والرزق والتدبير، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا ، وأن مقاليد الأمور كلها بيد الله ، كل ذلك يُوجب تعلق القلب بالرب وحده، والتوجه إليه، والاستعانة به، وتفويض الأمور كلها إليه، وعدم الالتفات إلى ما سواه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ

﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢ -١٠٣].

لا بد أن تعلم أنه لا إله إلا الله، وإذا عرفت أنه لا إله إلا الله: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم/ ٣٠].

هذا العبد الذي خلقه الله، والذي دخل في دائرة الإسلام، ودائرة الإيمان، وصار من أولياء الله ، تربيته لنفسه أن يقف بين يدي ربه عابدًا حامدًا خاشعًا، ويكون مع خلقه داعيًا ومعلمًا ومحسنًا ، وبهذا يكون من المُفلحين في الدنيا والأخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧] .

ويُربي العبد نفسه على حب ما يُحبه الله ويفعله، وبُغض ما يكرهه الله ويجتنبه، ويخرج بها إلى سبيل الرشاد ، ويُربي سواه بالنصح والتوجيه، وحُسن التربية والتعليم ، فيَصلُح ويُصلِح ويُؤجَر : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر/ ١ -٣] .

أمنوا وعملوا الصالحت جهد على النفس، والتواصي بالحق والصبر جهد على الغير، وبهذا وهذا تحصل الهداية، ويزيد الإيمان والأجر، لابد أن نتواصى بالحق، والأجر والحق ثقيلٌ على النفوس ؛ فلابد من الصبر... على فعل الطاعات، وعلى اجتناب المُحرَّمات، وعلى أقدار الله المؤلمة، والصبر على مشاق الدعوة والتعليم، فلابد أن أصبر على هذا كله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

فكل البشرية في خسارة ، وكل إنسان في خسارة إلا من اتصف بأربع صفات، فهو الرابح فقط: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر/ ١-٣] .

ولنعلم أن الله ﷻ يُحب أسماءه الحسنى، وصفاته العُلى، ويُحب ظهورها في خلقه، ولهذا أخبرنا الله بها، ودعانا للاتصاف بها، وعبادته بموجبها، والثناء عليه بها ؛ فهو ربٌ كريم يُحب الكرم وأهل الكرم، شكور يُحب الشُكر وأهل الشُكر، عفو يُحب العفو وأهل العفو، مؤمن يحب الإيمان وأهل الإيمان، تواب يحب التوبة وأهل التوبة.

ومقصود خلقْ الإنسان طوال الحياة عبادة الله بتحصيل الصفات التي يحُبها الله، والاتصاف بها، وعبادة الله بموجبها، ودعاء الله بها، ودعوة الناس الى معرفتها: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

واتصف بالصفات التي يتصف بها الرب على شاكلة العبودية : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران/ ٧٩] .

فالدعوة نشر محاسن الدين ؛ الدعوة التعريف بالله وبأسمائه وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده، فالمؤمن يقوم بنشر محاسن الدين، والتعريف بربه وأسمائه وصفاته، ودعوة الناس الى عبادته: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

والكافر يقوم بنشر محاسن الدنيا والتعريف بها، وتعليق الناس بها .

فكُن أيها المسلم ربانيًا مُتصفًا بالصفات الحُسنى التي يحُبها الله ؛ يحُبك الله، ويحُبك الخلق من الإسلام ، والإيمان، والإحسان والكرم، والعفو واللُطف، والرفق واللين، والرحمة والحمد، والتوبة والاستغفار وغير ذلك من الأسماء الحُسنى، والصفات العُلى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف/ ١٨٠] .

- ودُعاء الله ﷻ بأسمائه الحُسنى يتناول ثلاثة أمور :

دُعاء السؤال والطلب ؛ يا غفار اغفر لي، يا رحمن ارحمني، يا رزاق ارزقني، يا هادي اهدني، يا لطيف ألطف بي.. وهكذا.

دعاء الحمد والثناء ؛ الحمد لله رب العالمين ؛ هذا أعظم دعاء .

ودعاء التعبُّد بالاتصاف بها .

الله كريم ؛ أنا اتصف بالكرم ، الله عفو ؛ أنا اتصف بالعفو ، الله لطيف ؛ أنا اتصف باللُطف ، الله حليم ؛ أنا اتصف بالحِلم..وهكذا.

وقد فتح الله لعباده أبواب معرفته، والتبصُّر في أسمائه وصفاته وأفعاله ، فدعا عباده

جل جلاله في القرآن إلى معرفته من طريقين ؛ كلٌ منهما بابٌ واسعٌ في معرفة الرب العظيم والإله الحميد وهما :

الباب الأول : النظر والتفكر في مخلوقاته المشهودة في مُلكه العظيم، فهو أدلُّ شيء على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس/ ١٠١] .

وإذا نظرنا في السماوات والأرض رأينا ربًا عظيمًا كبيرًا، قويًا قادرًا قاهرًا، ملكاً غنيًا حميدًا، لطيفًا رؤوفًا رحيمًا، سميعاً بصيراً حكيماً، عليماً خبيراً حفيظاً، نعرف هذا من خلال النظر في الكون وهو أعظم الأبواب: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾[سبأ/ ٩].

الباب الثاني : النظر والتفكُّر والتدبُّر في آياته المتلوَّة في القُرآن العظيم : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد/ ٢٤]

ماذا نجد في القرآن ؟ نجد في القرآن : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨] .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر/ ٢٢-٢٤] .

هذا الإله العظيم ، وهذا الرب الكريم، إذا عرفناه بأسمائه وصفاته عبدناه حق عبادته، وعبدناه عبادة العارف الذي يعبُد من يستحق العبادة، ويُكبر من يستحق التكبير، ويعظم من يستحق التعظيم، ويحمد من يستحق الحمد وهو الكريم سيُعطينا على هذا العمل من خزائنه كل شيء، وأهم شيء أصل إليه، فمن وصل إليه في الدنيابعبادته، حُشر إليه في الآخرة: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾[مريم/ ٨٥ - ٨٦].

فمن عبد ربه بهذه الصفات وصل إليه، وإذا وصل إليه فهو كريم يفتح له أبواب جنة المعرفة في الدنيا، ويفتح له أبواب جنة الأخرة التي فيها حسن القصور، وفي القصور

من النعيم ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلبِ بشر: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥] .

والمسلم إذا علم تفرُّد ربه بالخلق والأمر، والنفع والضُّر، والعطاء والمنع، والإحياء والإماتة، أثمر له ذلك عبودية التوكل على الله في كل حال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢ – ٤].

وألزام نفسه بذلك: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣] .

وإذا علم العبد بجلال الله وعظمته وكبريائه وعلُوه على خلقه ، أثمر له ذلك عبودية الخضوع لربه، والاستكانة إليه، والمحبة له لعظمته ولإحسانه، وأثمر له الإقبال على طاعته ؛ لأني أحب إكرامهُ، وأرغب في فضله، وأخاف من عقوبته، فأسارع إلى طاعته، والبعد عن معصيته: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

وإذا علم العبد أن الله سميعٌ بصير عليمٌ، لا يخفى عليه مثقال ذرة، ويعلم السر وأخفى، وعلم رقابته على كل شيء وشهوده له، أثمر له ذلك عبودية الإقبال على ما يُحبه الله ويرضاه، وأثمَرَ له ذلك خشية الله ومُراقبته في كل حال، وحَفِظَ قلبه ولسانه وجوارحه عن كل ما لا يُرضي الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج/ ٧٠].

وإذا عرفت أن الله سميع لا أُسمعه إلا ما يُحب فأحفَظُ لساني من كل سوء وكذب.

وإذا عرفتَ أن الله بصير لم أفعل من الأفعال إلا ما يُحب.

وإذا علمت أن الله رقيب علمت أني مكشوفٌ أمامه ظاهري وباطني فاستحييتُ منه أن يُنعم عليّ ويسكنني في أرضه، ويُطعمني من رزقه، وأنا أعصيه بنعمه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ

فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد/ ١٦ – ١٧].

هذه عبودية الأسماء، أن نصل بهذه الأسماء العظيمة إلى معرفة الله ﷻ، ومُراقبته، وعبادته بمُوجب أسمائه وصفاته: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

وإذا عَلِم العبد أن ربه غنيٌ كريم، برٌ رحيم، واسعُ المغفرة، عظيم الإحسان، أثمر له ذلك عبودية الرجاء والطمع فيما عند الله، وإظهار افتقاره إليه، وإنزال جميع حوائجه به، وحسن التوكل عليه، وعدم الركون إلى غيره: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

نحن نقف الآن في أبواب الأغنياء، ونقف في أبواب الأطباء، ونقف في أبواب الرؤساء والوجهاء وفيرهم، نسألهم ونستجديهم، والله ﷻيغَارُ على خلقه أن يسألوا غيره؛ إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فأنا أتوجه أولًا إلى الله فهو جلاله الشافي، وخزائن الشفاء بيده، وإذا أردت الشفاء سألت الشافي أن يشفيني: ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٨٠] .

أولًا : أسأله الهداية قبل الشفاء، فهو إذا هداني أحبني، وإذا أحبني هداني، وإذا هداني أسعدني في الدُنيا والآخرة.

أسعدني ببدن صحيحٍ أعبده وأركع وأسجد له به، وأعلم شرعه، وأعلم دينه، وأدعو إليه بهذا البدن.

وإذا كنتُ فقيرًا لا أسأله الغنى بل أسأله أولاً الهداية، وإذا اهتديتُ إليه فالله ﷻ يُحب من اهتدى إليه، و إذا هداني أعطاني ما يُسعدني في الدُنيا والآخرة .

أعظم شيءٍ الهداية إلى الصراط المُستقيم ؛ فالهداية مقصدُنا، والشفاء والغِنى حاجتنا ، ليس من شروط الجنَّة أن أكون سليماً وأن أكون غنياً ؛ من شروط دخول الجنَّة أن أكون مؤمنًا متقياً : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[الكهف/ ١٠٧] .

هذا أول سؤال الهداية ، أسأل الله أن يهدينا إلى الصراط المُستقيم الموصِّل إليه وإلى رضوانه وإلى جنات النعيم.

وإذا علم العبد بعدل الله، وشدة انتقامه، وعقوبته وغضبه وسخطه على من عصاه، أثمَر له ذلك عبودية خشية الله، والخوف منه، والبعد عن كل ما يُغضِبه ويُسخِطهُ: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٨].

فلا تعصوه، ولا تتعدوا حدوده، ولا تُسخِطوه ؛ التزموا بأوامره، واجتنبوا نواهيه، واحذروا عقوبته، فإنه وإذا أخذ أخذ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود/ ١٠٢].

ماذا فَعلَ ربك بقوم نوُح ؟ ماذا فعل بقوم هود ؟ ماذا فعل بقوم صالح ؟ ماذا فعل بفِرعَون ؟ : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤٠] .

حسب الذنب جاءت العقوبة ؛ ونعلم أن الله شديد العِقاب، ونعلم أن الله غفورٌ رحيم ونعلم أن الله يغفر الذنوب جميعًا مهما عظُمت، ورحمته وَسِعت كُل شيء ، نتوجّه إلى ربنا وحده في كل حال، لأن ربنا كريم، وله الأسماء الحُسنى، والصفات العلى، والرحمة أحبُ إليه من الانتقام ، والعطاء أحبُّ إليه من المنع ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٨].

ولابد مع معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أن ننظر إلى حياة الأنبياء، وماذا جرى لهم، وماذا جرى على أعدائهم؟ فأعظم حياه حياة الأنبياء، مما يُزيد الإيمان النظر في حياة الأنبياء وأخلاقهم في مجال الدعوة والاستقامة، ومعاملة الناس: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ [مريم/ ٥١] .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم/ ٤١] .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم/ ٥٤] .

اذكر جُهدهم، وعملهم في الدعوة إلى الله، ونشر محاسن الدين ، نَذكُر هذا الجُهد لأن أفضل حياه حياة الأنبياء، وأكمل حياة حياة الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

حياة الأنبياء تربُطني بالخالق والرب الرازق الكَريم الذي له خزائن السماوات والأرض ، حياة الملوك والرؤساء تفتح عندي شَهية المناصب ؛ كيف أكون وزيراً ؟

كيف أكون مُديراً ؟ كيف أكون ملِكاً ؟ كيف أكون رئيساً ؟ وحياة الأغنياء تفتح عندي شَهية حُب الشَهوات ؛ كيف أملك أحسن دار، وأحسن قصر، وأحسن سيارة وأحسن زوجة، وأحسن مال، وأحسن لباس.

فالنظر في حياة الأنبياء يزيد الإيمان، وتربط الإنسان بخالقه جل جلاله ، فيقف بين يديه خاشعًا ذاكرًا حامدًا، ويقف بين يدي خلقه داعياً ومُعلِمًا .

فإذا علم العبد بجلال الله وجماله وكماله أوجب له ذلك عبُودية خاصة هي كمال الحب له، وكمال التعظيم له، وكمال الذل له: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[السجدة/ ١٥] .

طاعاتهم شهوات ؛ إذا ذُكروا بآيات ربهم خرُّوا سُجَّدًا، لما يرَوُنه من جلال الله وجماله وعظمته، فهم يستحيون منه، لأنهم مُقصِّرون في عِبادتهِ ، مُقصِّرون في امتثال أمره، مُقصِّرون في مُعاملتِه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

[المؤمنون/ ٥٧ – ٦١].

يَرون الله ربهم يُنعِم بنعمِه المادية والروحية ؛ ويُنعم على من أطاعه، وعلى من عصاه، فهم يُسبِحون بِحمد ربهم ، يقولون الحمد لله رب العالمين، خلقنا في أحسن تقويم ، خلقنا في الظلمات أولًا ثم أمدَّنا بالنعم ؛ بنعمة الإمداد والأرزاق، ثم أمدَّنا بنعمة الهداية والاسعاد، ثم جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ، يسبحون بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ، وكيف يستكبر الإنسان عن عبادة ربه وهو مخلوق من تراب، وهو أصل خلق هذا الإنسان من تراب ثم جعل نسله من نطفة من ماء مهين: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَـٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

[المرسلات/ ٢٠ – ٢٣].

فهذا لإنسان عَورَة ؛ خرج من عورَة، ودخل في عورَة، وخرج من عورَة، ثم هو عورة بدون الدين، ثم يموت ويعود إلى ربه بما عمل من خيرٍ أو شر، ثم الله ﷻ يحُاسبهُ على نعمه: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية/ ٢٥ – ٢٦].

فهذا الإنسان ذرة في مُلك الله، وصفوة هذا الإنسان هم المؤمنون ، هؤلاء المؤمنون

الذي آمنوا بالله، لهم أوامرٌ من ربهم، حتى يأمنوا في الدُنيا، ويأمنوا في الآخرة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وأوامر ربنا هي الدين وهذه الأوامر خمسة :

إيمانيات . . عبادات . . معاملات . . معاشرات . . أخلاق .

الذي عرف ربه حقا هو الذي يكمل إيمانه أعظم مما يكمل أمواله ، ويكمل عباداته مع الخالق سبحانه وتعالى على أحسن وجه، لأنه هو المُستحق أن يُحمد، وأن يُكبر، وأن يُعظم ، ويكمل معاملاته مع الخلق بأحسن الأخلاق في معاملاتهم ودعوتهم، وتعليمهم، والرفق بهم، والإحسان إليهم، وإتباع أوامر الله ﷻ في البيع والشراء وغير ذلك من المعاملات التي تكون بين الناس، وكذلك المعاشرات معاشرة الزوج مع زوجته، والزوجة مع زوجها، والولد مع والده ، والأب مع أبنائه ، والمدير مع موظفيه ، والمعلم مع طلابه ، والحاكم مع رعيته ، فيكمل أوامر الأخلاق ، وأوامر الأخلاق هي الدين كله، وهي أعلى شيء : «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ**» أخرجه أحمد(١) .

والأخلاق قسمان :

الأول: حسن الخُلق مع الخالق .

الثاني: حسن الخُلق مع المخلوق .

حسن الخُلق مع الخالق : أن يؤمن به، ويوحده، ويحمده، ويحبه، ويعظمه، ويعبده بما شرع رسوله ﷺ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم/ ٣٠].

وحسن الخُلق مع المخلوق أقسام كثيرة ، كيف تكون أخلاقي عالية وحسنه مع الأنبياء ؟ مع الجيران ؟ مع المسلمين ؟ مع الكفار ؟ مع الحيوانات ؟ فأثقل شيء في الميزان حسن الخُلق: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: ٨٩٣٩.

- **والدين يقوم على ركنين عظيمين:**

عبادة الحق . . ومحُاسنة الخلق .

عبادة الحق الخفية في الليل : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾[المزمل/ ١-٢] .

وأظهر ما تكون في الليل : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة/ ١٦ – ١٧].

فهُم في الليل يدعون للخلق بالهداية، ويستغفرون الله من الذنوب، ويسألونه المزيد من فضله ، وفي النهار مع الخلق يدعونهم الى الله، ويعلمونهم، ويحسنون إليهم: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾[المزمل/ ٧] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [المدثر/ ١-٣] .

فأنت في النهار بين خلقه تسبح في البشرية وتصبر، لأن منهم اللئيم الكريم، والطيب والخبيث، والمعارض والموافق ، فلابد من السباحة بين الخلق ، ولابد من معاملة الناس بأعلى أنواع الأخلاق، حتى يحبون الداعي، ثم يحبون الله، ثم يحبون الدين: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤].

- **وأعلى أنواع الأخلاق أربعة :**

أن تصل من قطعك . . وتعفو عمن ظلمك . . وتعطي من حرمك . . وتحسن إلى من أساء إليك .

والمؤمن حقاً في هذه الحياة يستثمر عمره، ويستثمر حياته، في عبادة الله، حسب أمر رسول الله ﷺ، وفي الاحسان إلى الخلق بأنواع الاحسان ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾ [النساء/ ٣٦].

فالعبودية التي يحبها الله ﷻ راجعة بجميع أنواعها إلى مقتضيات أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، معرفةً وتعبُّدًا، ودعاءً وسؤالًا وتخلقاً.

إذا عرفت الله أحببته ، وإذا أحببته عبدته وأطعته، إذا عرفت العظيم عظمته، وإذا عظمته خفته ورجوته وعبدته لابد أن أعرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأتخلق بها على شاكلة العبودية، ودعاءً وسؤالًا، أسأل الرزاق أن يرزقني، والعليم أن يعلمني، والهادي أن يهديني والشافي أن يشفيني ، لا أسأل غيره ولا أتوجه لغيره.

وحمدًا وشكرًا، أحمد الله ﷻ وأشكره على ما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦–٣٧].

فيجب علينا لنذوق طعم الإيمان، وحلاوة اليقين، ولذّة العبادة، أن نعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، أولًا نعرفها لنستفيد من آثارها التي مرّت معنا وثمارها، وذلك باستفراغ الوسع في معرفتها، وحسن التعبد لله بها ، كيف يكون لي حظ من اسم العليم ؟ كيف يكون لي حظ من اسم اللطيف ؟ كيف يكون لي حظ من اسم الرحمن ؟ كيف يكون لي حظ من اسم العفو ؟ من اسم الرزاق ؟ من اسم المستعان ؟.. وهكذا: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

لابد أن يكون لي حظ من أسماء الله ﷻ، أتخلق بها حتى الله يحبني ، الله يحب الصفات الربانية، وأهل الصفات الإيمانية، ويبغض الصفات السيئة، ويبغض أهلها، يبغض الكفر والكافرين ، ويبغض الشرك والمشركين ، لكن الشيطان أضل أكثر المسلمين بمكره، فالشيطان جاء إلينا وزين لنا بعض اليهود، ولكن حبَّبَ إلينا صفات اليهود من الكذب، والشرك بالله، وعبادة الدنيا، والتعلق بالدينار والدرهم ، فبغض اليهود لا ينفع إذا لم نجتنب صفاتهم، فالله ﷻ أبغضهم وسخط عليهم بسبب صفاتهم لا بسبب أجسادهم : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة/ ١٣] .

ففي اليهود الصفات التي يبغضها الله وسخط عليهم ولعنهم بسببها، فليحذر العبد من مكر الشيطان وكيده وتزيينه.

فالله ﷻ مؤمن يحب الإيمان وأهل الإيمان، شكور يحب الشكر وأهل الشكر، تواب يحب التوبة وأهل التوبة، حميد يحب الحمد وأهل الحمد.

فيكون لنا حظ من اسم الشكور أن نشكر ، نشكر الله، ونشكر الناس وهكذا نتخلق بهذه الأسماء ، هو عفو يحب العفو ويحب أهل العفو ، كيف أتخلق بهذا الاسم ؟ هو لطيف يحب اللطف وأهل اللطف ، كيف أكون لطيفاً بالعباد ؟ هو رحمن يحب الرحمة ويحب أهل الرحمة ، كيف أكون أنا أرحم الناس ؟ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء/ ١٠٧].

لابد من صبغة هذا البدن ، هذا البدن تكون صبغته على أحد أربع صفات: صبغة حيوانية أو صبغته سبعية ، أو صبغته إبليسيه ، أو صبغة ملكية إيمانية : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[البقرة/ ١٣٨] .

فالإنسان صبغته وقيمته بصفاته لا بذاته وماله، الصفات التي يحبها الله : ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب/ ٣٥] .

ما هي الصفات التي يحبها الله ويحب أهلها؟ هي:

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة/ ١١٢] .

الله يريك هذه الصبغة لتربي نفسك على الاتصاف بها: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[البقرة/ ١٣٨] .

فهل من مدكر؟: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[غافر/ ١٣] .

وربنا سبحانه أقسم بالعصر ان جميع الإنسانية في خسارة إلا من فيهم أربع صفات فقال: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر/ ١ – ٣].

آمنوا وعملوا الصالحات ٥٠٪ ، آمنوا ٢٥٪ ، عملوا الصالحات ٢٥٪ ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ٥٠٪ ، تواصوا بالحق ٢٥٪، تواصوا بالصبر ٢٥٪، المجموع ١٠٠٪.

فكم عندي من هذه الصفات ؟ كم عندي من آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ؟ .

فالمؤمن يتأثر ويؤثر ، يتأثر بالإيمان فتأتي الطاعات ، ويؤثر على غيره بالدعوة للإيمان ، كالثلج بارد بنفسه، ومُبَرّد لغيره ، وكذلك النار، لا تُسمى ناراً حتى تكون محرقة في نفسها ومحرقة لغيرها ، والثلج مُبَرّد بنفسه ومُبَرّد لغيره ، والمؤمن صالح بنفسه ومصلح لغيره ، لابد من هذا وهذا، لأن العمل في الكون على قسمين :

عمل بشري إما صالح ومصلح . وإما فاسد ومفسد: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل/ ٣٦].

ولمحبة الله لأسمائه وصفاته أمر عباده بعبادته بموجبها، واجتناب ضدها ، فأمرهم بالتوحيد والإيمان، والعفو والإحسان، والرحمة والمغفرة، والكرم والحلم وغير ذلك من الصفات المحمودة، ونهاهم عن ضدها من الشرك والكفر، والشدة والإساءة والقسوة والظلم، والبخل والسفه وغير ذلك من الصفات المذمومة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل/ ٩٠].

وأحب عباد الله إليه من اتصف بالصفات التي يحبها من الإسلام والإيمان، والكرم والتقوى ، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يبغضها كالشرك والكفر والفجور والفسق .

فالحمد لله رب العالمين ، الله من علينا بنعم لا تُعد ولا تُحصى ، وأنزل علينا هذا القرآن العظيم، وجعل القرآن تبيانًا لكل شيء ، وهذا القرآن متعبَّد بتلاوته ، ومتعبَّد بفهمه ، ومتعبَّد بجهده ، والتعبد بالجهد أعظم العبادات ، والتعبد بتلاوته أجوره محدودة : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١ – ٤].

بقدر هذه الأحرف نأخذ على كل حرف حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها، وهذا خير كثير.
نتفكر في اسم الواحد الأحد جل جلاله، فنعلم أنه واحد وأنه أحد بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والتعبد بالجهد أن تعبد الواحد الأحد، وتقول للناس ذلك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[الإخلاص/ ١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾[الناس/ ١] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠] .
والمطلوب أن تكون علاقتنا بالقرآن بهذه الكيفية ، القرآن متعبَّد بتلاوته بكسب الحسنات على الكلمات والأحرف ، ومتعبّد بفهمه وتدبره والفكر والاعتبار فيه بأن نتفكر في هذا القرآن العظيم: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾[الرعد/ ٣] .
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٢٤﴾[الروم/ ٢٤] .
نتفكر في عظمة الله ، وفي عظمة مُلكه ، وفي عظمة آياته ، وفي عظمة أوامره ، ومتعبّد بجهده : ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ۝٢٠﴾[يس/ ٢٠] .
بقراءتها نحصل على الحسنات بالكلمات والأحرف ، وبتفسيرها : ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ۝٢٠﴾[يس/ ٢٠] .
علمت أنه جاء من أقصى المدينة رجل يسعى : ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١﴾[يس/ ٢٠-٢١] .
فهذا الرجل جاء وحَرَّك قدميه من أجل الدين : ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١﴾ [يس/ ٢٠-٢١] .
فتَفَكَر في هذا الرجل الداعية الذي حَرَّك رجليه وبدنه، ولم يحرك لسانه فقط بكلامه ، بل حرَّك بدنه كله، وخرج من مكان إلى مكان، لينشر الدين ويُعَرّف بربه ﷻ .
هذا معرفة تفسير الآية، وتدبر معانيها ، لكن المطلوب الأعظم التعبُّد بالجهد ، بأن أكون مثل هذا الرَجُل الذي جاء من بلده : ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ۝٢٠﴾ [يس/ ٢٠] .
هي صارت مدينة بعد أن جاء إليها، لأن المدينة ليست مدينة الحجارة ، المدينة مدينة

الصفات كما جاء النبي ﷺ للمدينة كان اسمها يثرب ، لكن لما جاء إليها جاء بالصفات التي يحبها الله، وظهرت فيها صفات المؤمنين، والمحسنين، والصادقين، والصابرين وغيرها صارت المدينة ، فالمدينة مدينة الصفات ، إذًا كانت قبل أن يأتي إليها قرية، ولما جاء إليها هذا الرجل صارت مدينة، لأنها انتشرت فيها الصفات، وانتشر فيها الدين.

زكذلك الله ﷻ ذكر جُهد النحل ، والنحل عالم منظم له قيادة، وله شورى، وله أُمَّة تعمل، وأُمَّة تجمع، وأُمَّة تحرس وأُمَّة توزع الأعمال، فالله ﷻ ذكر جهد النحل في القرآن، لأنه يُشبه جهد الدعاة إلى الله: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل/ ٦٨ – ٦٩].

الدعوة إلى الله ليست بعمل انفرادي كل يدعو حيث يشتهي ، الدعوة كما كان النبي ﷺ يرسل البعوث، ويرتب الأمور، حتى تمشى الدعوة بالأمور الشرعية، والدعوة بالعمل الانفرادي تولد الكِبر والعجب والرياءوالفرقة: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤ – ١٠٥].

والداعي إلى الله يمشي بين الناس بصفة العزة والرحمة والتواضع: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣].

أنا رجل من المسلمين ، ولست خير ولا أحسن، إنما أنا متواضع كغيري من المسلمين لست أعلمهم ولا أكبرهم ولا أفضلهم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

فالله ﷻ يريد منا التعبُّد بتلاوة القرآن لكسب الأجر ، والتعبُّد بالتفكر والنظر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية، والتعبُّد بالجُهد إذا سار موسى ﷺ إلى فرعون أنا كيف أسير إلى الحكام والكفار ، إذا سار إبراهيم ﷺ من العراق إلى الشام إلى مكة كيف أنا أجتهد حتى تنتشر الهداية في العالم ، نوح ماذا فعل ؟ موسى ماذا فعل ؟

عيسى ماذا فعل ؟ إدريس ، يونس ، زكريا ، جميع الأنبياء : ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١﴾ [مريم/ ٤١] .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾ [الأنعام/ ٩٠].

نذكر جهدهم وتضحيتهم ونقتدي بهم ، هذا التعبُّد بالجهد هو المقصود، فالله ذكر هذه الجهود العظيمة ، ذكر قصة الهدهد ، ذكر قصة النمل ، لنعبد الله بجُهد الأنبياء ، جهد الأنبياء ما هو ؟ الدعوة إلى الله: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [الحديد/ ٢٥].

فبالقلم نُصَوِّر جُهد النبي ﷺ في ميدان الدعوة ، وبالقدم نحقق جهد النبي ﷺ في الأُمة ، بالقلم نُصَوِّر الدين للناس ، وبالبدن نحقق الدين في أنفسنا وفي غيرنا ، وهذا مطلوب لكن المقصد حركة البدن بما كتبه القلم ، القلم يكتب ليُحَرِّك البدن ، متى يتحرك البدن لنشر النور الذي يخُرِج الناس من الظلمات إلى النور؟: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم/ ١] .

وينقل الناس من الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن المعاصي إلى الطاعات ، ومن الفُرقة إلى الوحدة ، لابد من حركة البدن ، لابد أن أسير في الأرض ، أنظر كيف بدأ الخلق ، ولمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله في هذا الملكوت : ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٠﴾ [العنكبوت/ ٢٠].

الله ما أضاف أي عمل إلى سبيله إلا فقط الدعوة إلى الله : ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

بالدعوة إلى الله تنتشر العبادة ، ينتشر التوحيد ، ينتشر الأمن ، تنتشر الصفات والفضائل والأخلاق التي يحبها الله ﷻ .

وبهذا فرض الله الدعوة على كل مسلم ومسلمة بقوله: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

فكيف نعبد الله بمقتضى اسم الرب ؟ الله ﷻ هو ربنا العظيم جل جلاله جعلنا خلفاء

الأرض، وجعلك أيها الإنسان خليفة في الأرض ، فيجب عليك أن تدبر أمورك، وتقوم بشئون الخلافة حسب توجيه ربك: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص/ ٢٦].

فالله ﷻ يُدبر الكون ومن فيه، ويُدَبّر كل من دونه ، وقد جعلك خليفة في الأرض، ووكّلك أن تُدَبّر من دونك من الخلق ، فإذا وكّلك الله بأسرة فكن لها مدَبّرًا رحيمًا، مربياً حكيمًا، لطيفًا حليماً، وإذا وكّلك الله بطُلّاب علم فكن لهم مدَبّرًا لطيفًا ومربّيًا رحيمًا، وإذا كنت حاكمًا فيجب عليك أن تدبّر أمر رعيّتك بما أمرك الله ورسوله به من الرحمة والحكمة، والرفق والعناية ، وإن كنت عالمًا فيجب عليك أن تدبّر أمر عباده بالشرع وهكذا.

قال النبي ﷺ:«كُلُّكُم رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » متفق عليه (١) .

فالإمام مسئول عن طعامهم، وشرابهم، وتعليمهم، وحفظهم، والعناية بهم، والرفق بهم، « الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، الرجل مسئول عن أولاده وبناته وزوجته يأتي لهم بالطعام الطيب، والسُنَن النبوية ، ويدعوهم للتخلق بالأخلاق العالية.

« وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِى بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» ، والمرأة تدير أمور أولادها، وتربيهم على تعظيم السنة، والتأدب بالآداب الشرعية.. وهكذا.

فالله ﷻ هو رب العالمين، والحمد لله رب العالمين الذي يُدبّر الأمور كلها ، خلق الخلائق وهو الذي يُدبّرها، وأنت خليفته في الأرض، وكّلك الله بتدبير أمور الناس حسب الشرع، وتدبير حياتك كيف يدخل الإيمان في قلبي؟، كيف تحسن أعمالي وأقوالي؟، كيف تحسن أخلاقي؟، كيف أفعل الطاعات ؟ كيف أجتنب المعاصي؟: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فالواجب علي أن أُربي نفسي على ما يحبه الله ويرضاه وأُبعدها عما يسخط الله ﷻ ،

(١) متفق عليه/ أخرج البخاري برقم: ٧١٣٨، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٨٢٩.

وأن أُدبّر أمور الناس حسب الشرع: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[هود/ ١٢٣].

الدين أمانة، ولابد من أداء الأمانة كلها للأمة كلها: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

[التوبة/ ٧١].

وأبواب معرفة الله ﷻ وتعظيمه ومحبته كثيرة، وأعظم هذه الأبواب باب الافتقار إلى الله، وكلما افتقرت إلى الله رفعك إلى أعلى المراتب، وخصّك بكل مكرمة، وحفظك من كل سوء في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة/ ١٥ - ١٧].

فاعبد ربك بالافتقار إليه في كل حال: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر/ ١٥].

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾[الحشر/ ٨].

هذا الافتقار الله ﷻ يحبه؛ لأن كل ما سواه فقير إليه في إيجاده وفي بقائه، وفي طعامه وشرابه، وفي تحريكه وفي تسكينه، وكلما ازداد علم العبد بربه ازداد إخلاصه لربه، وكلما زاد إيمان العبد زادت طاعته لربه.

فمن عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الجميلة، تعلق به وحده، ولم يلتفت إلى غيره؛ لأني إذا عرفت الكبير فليس لي حاجة بالصغير، وإذا عرفت الغني لا أطرق باب الفقير، وإذا عرفت القادر لم أستعن بالعاجز، وإذا عرفت الخالق لا أتوجه إلى المخلوق، وإذا عرفت الرب فلا ألتفت إلى العبد، المطلوب أن نعرف الله بأسمائه وصفاته: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر/ ٦٥].

وكل من تعلق بغير الله عذبه: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٣] .

وأين النجاة؟: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١] .

فالأمن كله متعلق بالتوحيد، والخوف كله متعلق بالشرك : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢] .

وبقدر ما يبعد الإنسان عن التوحيد يكون الرعب والخوف : ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال/ ١٢] .

لأنهم أموات : ﴿وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ [الأنفال/ ١٢-١٣] .

ماذا فعل بقوم نوح وبقوم هود؟، ما هي أفعاله ؟ من الخسوف والزلازل والبراكين ؟، كيف شدة بطشه وعذابه في نار جهنم؟: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك/ ١ - ٢].

فسبحان الرب الكريم القادر الذي رَقَّى الناس من الصغر إلى الكِبَر، ومن الجهل إلى العلم ومن يُرَبّيهم؟ هو رباهم ونقلهم من الصِغَر إلى الكِبَر ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الشِرك إلى التوحيد، ومن المعاصي إلى الطاعات ، وهذه نشأة أخرى للإنسان، ومِنَّة كبرى من رب العالمين : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

فالقلب يُبعَث لك إذا حيا بمعرفة الله ، فابعث نفسك بالأعمال المطابقة لكتاب الله، واشغل وقتك كله في طاعة الله بما يرضي الله تفوز برضاه:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

فالمهاجرون من أجل الدين ضَحّوا بستة أشياء:

ضحوا بالأوقات.. والأموال.. والأنفس.. والشهوات.. والديار.. والأهل .

والأنصار من أجل الذين نصروا الله ورسوله، وآوواه واستقبلوا وأكرموا المهاجرين.
فلما تحققت الهجرة والنصرة العملية جاء الرضا والرضوان من ربهم: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[التوبة/ ١٠٠] .

فسبحان ربنا العظيم الذي مَنَّ علينا بنعم لا تُعد ولا تُحصى، وأعطانا هذا الدين العظيم، وأحسن إلينا بكل نعمة ، فالله ﷻ محسن يحب المحسنين، ويحب الإحسان، فأحسن بما أعطاك ربك من الخير إلى عباده، وأنفق عليهم مما وهبك الله من العلم والمال وحسن الخُلُق ، ولا تُخالف أمر ربك: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾

[آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤].

واستعمل كل ما أعطاك في كل عمل يرضيه: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص/ ٧٧] .

ابتغ فيما أتاك الله من العلم عَلّم الناس دينهم، وإذا أعطاك الله من المال فأنفق على الفقراء والمساكين، وأنفق في سبيل الله ، وما أعطاك الله من الجاه اقضِ به حوائج الناس، تكن ربانياً: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وأحسِن عملك كله لربك يحبك الله، ويثيبك بأحسن منه : ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبأ/ ٣٩].

أحسِنوا في عبادة الله، وأحسِنوا إلى خلق الله ، أحسِن في علمك ونظرك وتفكُّرك، واصرفه في معرفة ربك العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد/ ١٩] .

فأنت في الدنيا عبد الله، وليس عند العبد عمل إلا امتثال أوامر سيّده ، ويوم القيامة

تكون مَلِكاً، وتسكن في قصور ملكية : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر/ ٥٤-٥٥] .

أما في هذه الدنيا فنحن عبيده نصدق أخباره، ونمتثل أوامره ، فأحسِن صلاتك لربك إذا صلَّيت وأحسِن صيامك إذا صُمت ، وأحسِن شهادتك إذا شَهِدت ، وأحسِن خُلُقك مع الله ومع عباده ، وأحسِن في أمورك كلها، فإن ربك يحب الإحسان، ويحب المحسنين ويجزل لهم الأجر والثواب : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾[النساء/ ١٢٥] .

واعلم أن أعظم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وأن تكون من المحسنين مع الرب ومع الخلق ، أحسِن عبادة ربك ، وأحسِن إلى الجاهل بالتعليم له ، وأحسِن إلى الفقير بالصدقة عليه ، هذه هي التربية أن تعبد الله الذي يستحق العبادة بما جاء عن النبي ﷺ ، كن نائب النبي ﷺ في تعليم الشريعة حتى يعبد الناس ربهم على بصيرة ، وأحسِن إلى الشارد عن ربه بالصبر عليه ، وأحسِن إلى غيرك بالهدية له ، وأحسِن إلى السفيه بالحلم عليه ، قد يسفه عليك إنسان، فالمطلوب أن تظهر عبودية الحلم، فلا تبرز عبودية الحلم حتى يرسل الله عليك سفيها فتحلم عليه وتصبر: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

أحسِن عبادة الله، وأحسِن إلى أئمة المسلمين وعامّتهم بالنصيحة، والموعظة الحسنة ، وأحسِن إلى الكفار والعصاة بالدعوة إلى الله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل/ ١٢٥] .

وتفقه في الدين، فعن معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّيْنِ». متفق عليه(١).

فنحن بأداء العبادات نأخذ من الدين أعمالاً، ونأخذ عليها حسنات ، ونحن بالدعوة الى الله نوسع الدين، ونكبر الدين، وننشر الدين ، فلابد أن نعيش في الجو الإيماني، لنرى المؤمنين والمؤمنات، والصادقين والصادقات، ونرى العُبَّاد، ونرى الدُعاة،

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

ونرى أحوال العالم ، وفي الجو الإيماني نستفيد خمسة أمور :
نتعلم الدين.. ونعمل بالدين.. ونثبت على الدين.. ونترقّى في الدين.. وننشر الدين .
في الجو الإيماني مثل هذا الجو نحن نتعلم الدين عملياً، نتعلم الإيمان عملياً، نعرف الله بأسمائه وصفاته ، نعرف إحسانه ، نعرف وعده ، نعرف وعيده ، نذكر النبي ﷺ ، نذكر سيرته ، ونحرص على أن نتبعه في خمسة أمور : في نيته ، وفي فكره ، وفي أقواله ، وفي أعماله ، وفي أخلاقه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف/ ٢٨].
ففي بيئة الإيمان نتعلم الدين، ونعمل بالدين، ونثبت على الدين، ونترقّى في الدين فكل ما جاء في هذا المجلس نترقى به في ديننا وأعمالنا وأخلاقنا وأقوالنا، وننشر الدين يكون عندنا إهتمام بالبشرية، أنا مؤمن كيف يكون كل إنسان في العالم مسلماً ؟ أنا رحيم كيف يكون كل إنسان في العالم رحيماً ؟ أنا محسن كيف يكون كل إنسان في العالم محسناً، وهكذا ننشر الإيمان والصفات الإيمانية العالية، تأتي في حياتي وتأتي في حياة الناس عن طريق الدعوة إلى الله ؛ لأن الدعوة إلى الله هي أم الأعمال ، من مواليدها الصلاة والصيام والزكاة والحج، وجميع أعمال الدين كلها من مواليد الدعوة إلى الله ، ومن أحسَن بالخير والعمل الصالح أحسَن الله إليه بأحسن منه في الدنيا والآخرة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس/ ٢٦] .
فالمحسنون كما صبروا على دعوة الناس، وتحملوا من الناس، وأذَلُّوا أنفسهم أمام الناس، وجاءهم من الناس ما يكرهون ماذا لهم يوم القيامة : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس/ ٢٦] .

وعطاء الرب جل جلاله دائر بين العدل والإحسان ، عطاء الربوبية في الدنيا لكل الخلق ، وعطاء الإلوهية لمن آمن بالله ﷻ ، فالعدل هو ما يفعله الرب بحكم المُلك والربوبية، لأنه هو المَلِك رب العالمين، هو الذي خلق الخلق، فلابد أن يتكفل برزقهم ، سواء أطاعوه أم عصوه، فالعدل هو ما يفعله الرب بحكم المُلك والربوبية ، والفضل والإحسان ما يفعله جل جلاله بحكم الإحسان والرحمة والامتنان : ﴿إِنَّ اللَّهَ

﴿بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥] .

كما يسقي الكفار من الماء العذب ، ويُسكنهم في أرضه، ويسوق إليهم الهواء اللطيف ويمتعهم بالصحة والعافية ، لأن هذه الدار دار امتحان وابتلاء ، دار فيها الطيب والخبيث، والمؤمن والكافر ، ويوم القيامة دار تخُلّص للطيبين والمؤمنين ، ودار تخُلّص للخبيثين وهم الكفار: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

[آل عمران/ ١٩٦ –١٩٨].

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، ولهذا الإحسان أَحَبّ إليه من العدل ، الإحسان أن يعطي على الحسنة عشر أمثالها ، والعدل أن يعطي على الحسنة مثلها ، والعطاء أَحَبّ إليه من المنع ، لأن خزائن الله لا تفنى، وهو يحُِبّ أن يُسأَل كل وقت، هو حي قيوم لا ينام، يسمع ويرى كل مخلوق، ويسمع جميع الأصوات، على اختلاف اللغات ، في جميع الأوقات وجميع الخلائق كلها بين يديه كمخلوق واحد ، وجميع القلوب بين يديه كقلب واحد ، يعلم ما في القلوب ، ويعلم السر والعلانية ، والثواب أَحَبّ إليه من العقاب ، والعفو أحب إليه من الانتقام ، والرحمة أحب إليه من القسوة ، فلنكن مثله على شاكلة العبودية، يكون الإحسان أحب إلينا من العدل ويكون العطاء أحب إلينا من المنع ، ويكون الثواب أحب إلينا من العقاب ، ويكون العفو أحب إلينا من الانتقام ، وتكون الرحمة أحب إلينا من القسوة ، والله يحب الرحمة وأهل الرحمة ، ويحب العفو وأهل العفو ، فلنكن مثل ذلك : ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص/ ٧٧] .

فكن ربانياً، وخذ من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أجملها ، وخذ من الأقوال والأعمال أفضلها وأحسنها ، وخذ من العلوم أزكاها وأشرفها، وهو العلم الإلهي، تكن من المحسنين المقربين الفائزين : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-١٤] .

واعلم أن كل إحسان من العبد قبله، ومعه، وبعده، إحسان من الرب الكريم : ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن/ ٦٠] .

كل إحسان من العبد إلى غيره قبله ومعه وبعده إحسان من الرب ، فإذا أحسنت إلى أحد بالعلم، أو أحسنت إليه بالمال أو بالمساعدة، فالله أعطاني فأحسنت الى غيري.

وكل إحسان من العبد قبله إحسان من الرب، ومعه إحسان من الرب ، معه عون من الله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة/ ٥] .

استعنت بالله في أداء هذا الإحسان قولًا أو عملًا أو مالًا ، وبعده إحسان، لأن الله يعطيني على الإحسان إحسانًا أعظم منه : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٦﴾[يونس/ ٢٦].

ومن أحسن بأقواله وأعماله وأخلاقه فالله ﷻ يحسن إليه ، وكل إحسان من الخلق فهو من إحسان الله إليهم ، فالله أحسن إلينا فأحسنا، ورحمنا فرحمنا ، وأعطانا فأعطينا، وأكرمنا فأكرمنا، وعلَّمنا فعلَّمنا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۝٥٣﴾[النحل/ ٥٣].

فكل إحسان من العبد قبله إحسان من الرب، ومعه إحسان من الرب لأن الله لو لم يفتح لي أبواب الإحسان ما أحسنت، وبعده إحسان من الرب، فيه ثواب جزيل جميل : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس/ ٢٦] .

فأحسن التوحيد والإيمان، والإخلاص والعمل، وتوكل على ربك الذي بيده مقاليد الأمور، وإليه يرجع الأمر كله : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣﴾[هود/ ١٢٣] .

فالإنسان آلة أعمال إما أن تخرج منها الأزهار والثمار، أو تخرج منها الخسائس والقبائح ، فهذه النفوس إما أن تشتغل بالايمان والأعمال والطاعات، أو تشتغل بالكفر والمعاصي والمنكرات: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾[الإنسان/ ٢-٣].

ومن رفع نفسه إلى كل خير بالتوحيد والإيمان، وصعد بها في مراقي الطاعات، ورفعها عن كل دنس وسوء أو سعة، رفعه الله في الدنيا والآخرة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٥٥﴾[النور/ ٥٥] .

والفسق هو الخروج من التوحيد إلى الشرك، ومن الطاعة إلى المعصية.
واعلم أن العِزة والذِلَّة كلاهما بيد الله ، وهو العزيز الذي يعز ويذل في الدنيا والآخرة، يُعز من يشاء بطاعته، ويُذل من يشاء بمعصيته : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾[يونس/ ٦٤] .
هو الرب السميع للأقوال، العليم بالأفعال ، فلنطلب العزة من العزيز، والرحمة من الرحيم ، والعلم من العليم، والرزق من الرزاق ، فعِزّ الدنيا وذلها معرضان إلى التحول في الآخرة إلى ضدهما : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الإسراء/ ٧٢] .
عِز الدنيا عِز موهوم، يعقبه ذلة في الآخرة إذا لم يكن الإيمان موجودًا ، وذل الدنيا من قلة الأموال والأشياء يعقبه عزة في الآخرة ، فالعزة في الإيمان بالله، وطاعة رسوله ﷺ، والقيام بالدين ، والذلة فيما سوى ذلك من الكفر والشرك، ولو كان المُلك موجودًا كما حدث لفرعون ، ولو كان المال موجودًا كما حصل لقارون .
وأعز العز وأرفعه يناله العبد بالإيمان واليقين والتقوى والزهد ، والتعلق بذي العزة والجبروت جل جلاله ، والغَناء به عن كل ما سواه : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المنافقون/ ٨] .
فربنا ﷻ هو الرب العظيم الذي فتح لنا أبواب التربية، لنربي أنفسنا بالإيمان والتوحيد والطاعات ونربي غيرنا بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة، وتعليم شرع الله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران/ ١٠٤].
فربنا هو الملك الحق الذي يفعل ما يشاء، لا إله غيره، ولا رب سواه، وهو على كل شيء قدير ، يُعز بأسباب الذلة ، ويُذل بأسباب العزة ، هو فعال لما يشاء ، يُعز بأسباب الذلة كما عَزَّ محمداً ﷺ مع قلة النصير ، ويُذل بأسباب العزة كما أذلّ فرعون مع مُلكه، وقارون مع ماله ، وينفع بأسباب المضرة كما أنجى إبراهيم من النار ، ويدمر بأسباب المنفعة كما دمر فرعون وقارون ، ويُنجي بأسباب الهلاك كما أنجى الله إبراهيم من النار ، ويهلك بأسباب النجاة ، وهو فعال لما يشاء ، ويحُيي بأسباب الموت ، ويُميت بأسباب الحياة ، لأنه مالك المُلك كله: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي

ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آل عمران/ ٢٦] .

هذا هو ربنا جل جلاله ، والله مَنّ علينا وأعطانا فرصة، لنتصف بهذه الصفة فنربي أنفسنا بالتوحيد والإيمان والطاعات ، ونربي غيرنا بما أعطانا الله من العلم ومن المال ومن المنافع، من مساعدة الفقراء، وإعانة المحتاجين وغير ذلك من الأفعال التي يُربي بها الله ﷻ عباده .

هو ربنا الحكيم العليم الذي يُقدّم من شاء إلى الأعمال الصالحة، والدرجات العالية ، ويُؤخر من شاء إلى ضد ذلك بعلمه وحكمته: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام/ ٣٩].

هو الرب العليم الخبير الذي يعرف من يستحق الكرامة، ومن يستحق الإهانة ، فالإيمان بالله ربًا يستلزم إخلاص العبادة له، وكمال الذل بين يديه، مع كمال الحب والتعظيم له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢] .

واعلموا أن من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، فقد ذاق طعم الإيمان ، ورضي بما يأمره به ربه، وبما ينهاه عنه، وبما يقسمه له، وبما يُقدّره عليه، وبما يُعطيه إياه، وبما يمنعه عنه، وبما يختاره له : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾[مريم/ ٣٦] .

وقال النبي ﷺ : «ذَاقَ طَعْمَ الإيمانِ : مَنْ رَضِيَ بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمَّدٍ ﷺ رَسُولًا» أخرجه مسلم (١).

والحمد لله رب العالمين أن جعلنا من خير أُمَّة أُخرِجَت للناس، ومَنَّ علينا بهذا الدين، وبهذا الأمن، وبهذا الخير ، فعلينا أن نلزم أنفسنا بعبادة الله، ونشغلها بطاعة الله، وبالدعوة إلى الله، وتعليم الشرع ، ونستأذن من الدين لنعمل في الدنيا لا نستأذن من الدنيا لنعمل في الدين ، لا نأخذ ساعة أو ساعتين لنسمع كلام الله وكلام الرسول ﷺ، والباقي نضيعه في الشهوات: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

(١)أخرجه مسلم برقم: ٣٤.

﴿ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص/ ٧٧].
فهذا الإنسان مُبتلى بالشهوات والأوامر ، فالأوامر هي أن يأتي الدين في حياتي، وأجتهد ليأتي الدين في حياة البشرية ، هذا الدين لابد من نشره في العالم ، ونشره في العالم لابد له من جُهد ، وهذا الجُهد هو الدعوة إلى الله ، لابد من نشر هذا التوحيد والإيمان في العالم حتى يعبد الله وحده في الكون كله: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].
لهذا أمر الله ﷻ أولًا بمعرفته ، فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم العلوم نفعًا وأحسنها ثمرة، وأحلاها طعمًا، وأزكاها تغذية ، هذا العلم أول غذاء، وأعظم غذاء، وأقوى غذاء: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩] .
وبهذا العلم الإلهي وبالدعوة الى الله يعرف الناس ربهم، وتقوم الحُجة على الناس، ويسجد الناس لرب الناس: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾
[الحديد/ ١٦-١٧] .
يُحيي القلوب الميّتة بالإيمان ، ويُحيي الجوارح بالطاعات ، ويُحيي الألسنة بالذكر وتلاوة القرآن : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحديد/ ١٧] .
والله ﷻ أعلم حيث يجعل رسالته، ويهب علمه وحكمته وهدايته : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٣].
فهذه نعمة كبرى أن مَنَّ الله علينا بمعرفته، ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة دينه، ومعرفة شرعه: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦ - ٣٧].
فسبحان ربنا العظيم الذي خلق جميع المخلوقات، لتدل على أسمائه وصفاته وأفعاله ، خلقها شاهدة بوحدانيته، ومُسَبّحة بحمده، ومُستجيبة لمشيئته، ومُسرعة إلى

إرادته، وساجدة لعظمته، وخلقها إظهارًا لقدرته، وتثبيتًا لحكمته وتنبيهًا لبريته، ودلائل على كمال عظمته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢] .

فأعظم الكرامات أن ينصرف القلب عن معصية الله إلى طاعته، وعن الشرك إلى التوحيد ، وأعظم العقوبات أن ينصرف القلب عن طاعة الله إلى معصية الله، ومن التوحيد إلى الشرك: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧ – ١٨].

وليكون القلب سليمًا لابد أن يجلس في مجالس الإيمان، ويجلس على موائد الإيمان ، والقلب السليم هو الذي سَلِمَ من التعلق بغير الله، وأَدَّى العبادة خالصة لله كما جاء عن الرسول ﷺ، فيعبد الله كما أمره، وعلى الله ﷻ أن يرزقه كما وعده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦ – ٥٨].

والشيطان شغل الأمة عن الواجب عليها، وأشغلهم بما ليس عليها ، فالعبادة علينا، والرزق عليه جل جلاله ، والعبادة هي أن تمتثل أوامر الله في كل حال ، داخل الصلاة وخارج الصلاة، وكثير من الناس يكون عبدًا لله داخل الصلاة فتراه يركع ويسجد ويسمع ويُطيع، ولكنه خارج الصلاة يكون عبداً لهواه، يرى ما يشاء ويسمع ما يشاء، ويتكلم بما يشاء، ويفعل ما يشاء ، فالعبودية حقًا أن تكون عبدًا لله داخل الصلاة وخارج الصلاة ، فالعبادة لا تنفك عن العبد أبدًا، فهو في نيته وفكره عبد ، وهو داخل المسجد وخارجه عبد ، وهو في أقواله وأفعاله عبد ، وحقيقة العبودية أن أحب كل ما يحبه الله وأفعله، وأكره كل ما يبغضه الله وأتركه: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

[الأنعام/ ١٦١ – ١٦٣].

فربنا عظيم جل جلاله ، عليم بكل شيء ، محيط بكل شيء ، قادر على كل شيء ، أحصى كل شيءعددا، وأحاط بكل شيء علماً.

فما من ذرة في الكون في العالم العلوي والعالم السفلي إلا ولها سِجِل عند الله ، وما من قطرة من الماء إلا ولها سِجِلّ عند الله ، كم في البحر من قطرة ؟ وكم في الفضاء من ذرة ؟ وكم في الجمادات ؟ وكم في الحيوانات ؟ وكم في السماء ؟ وكم في الأرض؟، وكم في الدنيا؟، وكم في الآخرة؟: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج/ ٧٠].

وما من كلمة إلا ولها سِجِلّ عند الله لمن قُلتَها، وعلى طريقة من قُلتَها؟ ، وما من إشارة إلا ولها سِجِلّ عند الله ، وما من قول أو فعل إلا وله سِجِلّ عند الله: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام/ ٥٩] .

فمن تيقن أن ربه سميع أَحسَنَ الأقوال كلها ، ومن تيقن أن ربه بصير أَحسَنَ الأعمال كلها ، وإذا تيقننا أن الله عليم طهَّرنا الباطن من كل سوء ودنس: ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك/ ١٣ – ١٤].

فالحمد لله رب العالمين، ونسأله جل جلاله أن يُرينا الحق حقًّا، ويرزقنا إتّباعه، ويُرينا الباطل باطلًا، ويرزقنا اجتنابه.

وقال النبي ﷺ : «ذَاقَ طَعْمَ الإيمانِ : مَنْ رَضِيَ بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمَّدٍ رَسُولًا» أخرجه مسلم [١] .

فإذا رضينا بالله ربًا اتّبعناه وأطعناه وعبدناه، وإذا رضينا بالإسلام دينًا قمنا بما يجب علينا من امتثال أوامر الله في كل حال ، أوامر الدعوة ، أوامر التعليم ، أوامر الصلاة ، أوامر العبادات، أوامر الصيام ، أوامر المعاملات ، أوامر المعاشرات ، أوامر الأخلاق .

وإذا رضينا بمحَمَّدٍ ﷺ رسولاً كان لنا أُسوة في طريقة حياته، وفي مقصد حياته.

وفي فرائض حياته ، وكان أُسوة لنا في خمسة أمور : نتبعه ﷺ في نيّته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٣٤.

- **وأعمال الدين كلها توزن بميزانين :**

ميزان الإخلاص لله وحده.. وميزان الاتباع للنبي ﷺ :

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠] .

ربنا عظيم ، وربنا كبير ، وربنا رحمن رحيم ، وربنا لطيف ، وربنا كريم جل جلاله ، ربنا له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلا ، وله الأفعال الحميدة، وله المثل الأعلى.

هو الرب الواحد الأحد الصمد، الأول والآخر، والظاهر والباطن ، وربنا هو الحق المبين ، ربنا هو الحي القيوم ، ربنا هو السميع البصير ، ربنا هو العليُّ الأعلى المتعال ، ربنا هو الكبير المتكبر ، ربنا هو العظيم ، ربنا هو القوي ، ربنا هو المتين ، ربنا هو القاهر القهار، ربنا هو العليم العلام ، ربنا هو القدوس السلام ، ربنا هو المؤمن المهيمن ، ربنا هو العزيز الجبار ، ربنا هو الخالق البارئ المصور ، ربنا هو الغني ، ربنا هو الرزاق ، ربنا هو الكريم ، ربنا هو الأكرم ، ربنا هو الحميد ، ربنا هو المجيد ، ربنا هو الولي الناصر النصير .

ربنا هو القادر القدير المقتدر ، ربنا هو اللطيف ، ربنا هو الخبير ، فهو أَهِلٌ أن يُحمد ، وأَهِلٌ أن يُعبَد، وأَهِلٌ أن يُكبَّر ، وأهل أن يطاع، ربنا هو العزيز الحكيم، ربنا هو الشكور وهو الشاكر ، هو الحليم، وهو العفو ، وهو الغفور ، وهو الغفار: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

لابد كل يوم أن يقول اللسان للقلب هذه المعلومات، ولابد أن يذكر ربه كثيراً، يذكر ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله لأن هذا غذاء القلوب وقوتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١ – ٤٣].

لابد أن يعرف القلب كل يوم أن ربنا هو الرءوف، وهو القريب، وهو المجيب، وهو المستعان وهو التواب، وهو الشهيد، وهو المحيط.

لابد أن يعرف القلب أن ربنا هو النور، هو نور، وكتابه نور، ونبيه نور، وهو الرفيق ، وحده لا شريك له ، وهو الشافي وحده لا شريك له.

لابد أن يعرف القلب أن الله هو الحي الحَيِيّ السِتّير ، و هو المقدم والمؤخر، الذي له الأسماء

الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض .

لابد للقلب أن يذكر ربه في كل حين، في ليله ونهاره، وفي صباحه ومسائه: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإنسان/ ٢٥ – ٢٦].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾[آل عمران/ ٥٣] .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف/ ٢٣] .

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة/ ٢٠١] .

اللهم ربنا لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين السبع وما أقلت، ورب الرياح وما ذرت، ورب الشياطين وما أظلت، كن لنا جارا من شر خلقك أجمعين، عز جارك وجل ثناؤك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك .

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الرحمن.. الرحيم

اسم الله الرحمن.. الرحيم

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

والله ﷻ له أسماء الجلال، وأسماء الجمال ، واسم الله ﷻ أخص بأسماء الجلال والجمال معا ، فاسم الله ﷻ هو الاسم الأعظم ، وجميع الأسماء مضافة إليه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢].

جميع الأسماء مضافة إليه ، أسماء الجلال، وأسماء الجمال ، أسماء الجلال مثل : الرب ، الجبار ، القاهر ، القوي ، القادر ، العزيز ، الكبير ، المتكبر ، هذه أسماء جلال تولد في القلب الخوف والخشية والخشوع لله ﷻ .

وأسماء الجمال مثل : الكريم، واللطيف، والغفور، والرؤوف، والرحمن، والرحيم وغير ذلك من أسماء الجمال ، فالله ﷻ أخص بأسماء الجلال والجمال .

أما صفات الخلق والفعل، والقدرة والقوة، ونفوذ المشيئة، والتفرد بالنفع والضر، والعطاء والمنع، وتدبير أمر الخلائق فهي أخص باسم الرب .

وصفات الإحسان، والإنعام، والجود، والبر، واللطف، والعفو، والمغفرة، والحنان، والمنة، والرأفة، والكرم، فهذه أخص باسم الرحمن .

- **فهذه الثلاثة أصول أسماء الله الحسنى** :

الله.. والرب.. والرحمن .

وقد وردت هذه الأسماء الثلاثة في أعظم سورة في القرآن: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢ – ٣].

فاسم الله ﷻ متضمن لجميع صفات الجلال والجمال لله ﷻ ، واسم الرب أخص بالخلق والفعل والقدرة والقوة ونفوذ المشيئة والتفرد بالنفع والضر والعطاء والمنع وتدبير أمر الخلائق ، فالله ﷻ هو رب العالمين الذي يربي خلقه بالنعم المادية،

والنعم الروحية ، فالحمد لله رب العالمين على نعمه المادية، ونعمه الروحية: نعمه المادية : هذه الشمس التي تشرق ، وهذه السحب التي تمطر ، وهذه الأرض الساكنة ، وهذه النباتات المختلفة ، وهذه الخلائق التي تدب على وجه الأرض ، هذه أخص باسم الرب جل جلاله .

أما صفة الإحسان والإنعام والإكرام والجود والبر واللطف والحنان والمنة والرأفة ، والرحمة فهذه أخص باسم الرحمن الرحيم جل جلاله .

- **فكل الكون يشير إلى صفتين:**

صفة الجلال.. وصفة الجمال .

فالسماوات والأرض، والشمس والقمر، والعرش والكرسي، وعالم الجماد، وعالم النبات وعالم الحيوان ، كل هذه المخلوقات وغيرها دالة على عظمة صفات الجلال، وصفات الجمال ، فهي في خلقها عظيمة وجميلة، وخلقها يدل على عظمة الخالق ، وهي مسبحة بحمد ربها، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة له ؛ لأنه الرب الحق جل جلاله الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ، وله ملك السماوات والأرض ، هو الذي خلق هذا الكون العظيم ، وهو الذي يدبر هذا الكون ومن فيه ، وهو رب العالمين الذي يربيهم بنعمه المادية .

أما نعمه الروحية فهي ما أنزل الله من آياته وتشريعاته في كتبه على رسله الذين طبقوا هذا الدين، وهم قدوة لأممهم في الأقوال والأعمال والأخلاق .

فسبحان من أظهر صفات الجلال والجمال في خلق خلقه، وفي كل أمر أمره، وفي كل دين شرعه: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر/ ٦٥].

فلابد للمسلم أن يغذي قلبه بالإيمانيات ، وأعظم الإيمانيات معرفة الرب جل جلاله، وأوجب المعارف، وأعظم المعارف، وأول المعارف، أن نعرف المعبود بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ونعرف صفات الجلال، وصفات الجمال لربنا ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

وهذا الدرس يتعلق باسم الله الرحمن الرحيم ، واسم الله الرحمن الرحيم من أسماء

الجمال لربنا ﷻ ، فالله ﷻ هو الرحمن الرحيم لجميع مخلوقاته ، الرحمن الرحيم الذي لا أرحم منه : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾[الحشر/ ٢٢] .

وقد ورد اسم الله الرحمن في القرآن (٥٧) مرة، أما اسم الله الرحيم فقد ورد (١١٤) مرة.

هو الرحمن الرحيم الذي رحمته وسعت كل شيء ، وكل رحمة في العالم فمن آثار رحمته ، الله هو الرحمن الذي خلق جميع أنواع الرحمة ، وأعطى عباده من رحمته ؛ فرحموا برحمته ، وخزائن الرحمة كلها عنده جل جلاله: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر/ ٢١].

فلابد أن نتصل بالرحمن الرحيم، لنستفيد من رحمته ، هو جل جلاله الرحمن الرحيم الذي رحمته وسعت كل شيء ، وكل رحمة في العالم فمن آثار رحمته وإحسانه إلى خلقه: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾[غافر/ ٧] .

والله ﷻ هو الرب الرحمن الرحيم الذي بطن بذاته، وظهر بصفاته، واستعلن بأسمائه، وتجلى بأفعاله لا إله إلا هو ، وله الحمد كله على ربوبيته التي خلق بها السماوات والأرض ، وألوهيته التي أحبه عباده من أجلها ، ورحمته التي وسعت كل شيء.

هو الرب الرحمن الرحيم الذي بطن بذاته ، فالله ﷻ لا يُرى في الدنيا ، إنما يُرى في الآخرة لأهل الإسلام والإحسان وهم المؤمنون : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة/ ٢٢-٢٣] .

الله بَطن بذاته ؛ لأن الله محيط بكل محيط، ولا يحيط به أحد، ولا يقدر عليه أحد، وإذا رأيناه في هذه الدنيا ، قدرنا عليه، وذلك محال لأن الله ﷻ قادر لا يقدر عليه أحد، وجوارح الإنسان خلقها الله للعمل ورؤية المخلوق المحدود، ويوم القيامة يعاد خلقها بشكل جديد على طول آدم عليه السلام ستون ذراعًا في السماء ، وعلى عمْر عيسى ، وعلى خلق محمد ﷺ ، فالمؤمنون يشكّلون بصفات تليق بمقامهم في الجنة دار السلام، ودار الخلود، ويقدرهم الله على رؤيته.

فالله ﷻ بطن بذاته ، لا يُرى في الدنيا : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ

﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام/ ١٠٣] .

فالله جل جلاله لا تدركه الأبصار في هذه الدنيا ؛ لأنها خلقت لترى المخلوق ، أما رؤية الخالق فلابد لها من تشكيل جديد في يوم القيامة ، فبطن بذاته، وظهر بصفاته.

والله ﷻ له أن يظهر ما شاء ويبطن ما شاء ، أظهر المخلوقات وأخفى نفسه ، وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة ، وأظهر الأجساد وأخفى الأرواح ، وأظهر قيمة الأشياء والأموال وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة ، وأظهر سنته وأخفى قدرته.

فهذا اللسان الذي يتكلم هو قطعة من اللحم في هذا الفم ، ويتكلم باللغات المختلفة .

هذه سنته أن يوجد الفم والأسنان، وأن يوجد اللسان ، واللسان يتكلم باللغة كل حسب لغته ، ولكن القدرة مخفية فيه ، إنما هو قطعة لحم ، فالله ﷻ خلق اللسان وخلق فيه الكلام ، وخلق الأذن وخلق فيها السمع ، وخلق العين وخلق فيها البصر، وخلق الشجرة وخلق فيها الثمرة، لأن المخلوق لا يخلق، فلله سنة، وله قدرة، وقدرته مخفية في سنته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢].

فالله ﷻ بطن بذاته، وظهر بصفاته ، واستعلن بأسمائه إذا نظرنا في ملكوت السماوات والأرض، رأينا رباً خالقاً قادراً حكيماً رحيماً: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١﴾[يونس/ ١٠١] .

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ٨﴾[ق/ ٦ –٨] .

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ٣٢﴾

[عبس/ ٢٤-٣٢] .

فننظر إلى هذه الجبال العظيمة، وهذه البحار الواسعة ، وهذه النجوم الزاهرة، وننظر في هذا الملكوت العظيم، فنرى أن لهذا الكون خالقاً، وهذا الخالق قادر، وهذا الخالق عليم، وهذا الخالق قوي، وهذا الخالق غني عنده جميع خزائن المواد جل جلاله .

وهذا الخالق حكيم، وضع العين في هذا المكان ، وضع الأذن في ذلك المكان ، ووضع الأصابع في اليد ، ووضع الأجهزة الداخلية من كبد وقلب وطحال وغيرها في الداخل ، ونثر النجوم في السماء ، وملأ البحر بالأسماك ، هو حكيم عليم جل جلاله ؛ فنرى ملكًا حكيمًا، قويًا قادرًا، عليمًا خبيرًا، رحيمًا حليماً، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، كلما نظرنا في ملكوت السموات والأرض.

واستعلن بأسمائه تراه البصائر والعقول، ولا تراه العيون إلا في الآخرة: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)﴾ [النور/ ٢٥].

هذا المُلك العظيم بشمسه وقمره، وسماواته وأرضه، وجماداته ونباتاته، وحيواناته وإنسه وجنه، وسهوله وجباله، ورطبه ويابسه، ومياهه وأشجاره ، هذا المُلك العظيم يدل دلالة قاطعة على أن له مالك ، وهذا المالك له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣)﴾ [فاطر/ ١٣].

فهو سبحانه ظهر بصفاته ، واستعلن بأسمائه ، فالله ﷻ بيّن وظاهر: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)﴾ [الحديد: ٣].

بمجرد النظر في الملك والملكوت، ونظر العبد في الآيات القرآنية نعرف أن ربنا ﷻ له الأسماء الحسنى والصفات العلى كما قال سبحانه : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨)﴾[طه/ ٨] .

فلنعبد من له الأسماء الحسنى ، ولنتخلق بالأسماء الحسنى ، ولندعو إلى معرفة هذه الأسماء الحسنى، هذه الصفات التي يحبها الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وهو سبحانه الذي يتجلى بأفعاله في ملكه العظيم، المطر النازل من السماء ، وهذا النور الخارج من الشمس ، وهذا البحر المملوء بالأسماك ، وهذه الخلائق التي تدب على وجه الأرض ، وهذه الرياح التي تهب في كل مكان، وهذه الأرزاق المنثورة لجميع المخلوقات في الجو البر والبحر، هذا كله تدبير الرحمن الرحيم: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦)﴾[هود/ ٦] .

الرحمن الرحيم جل جلاله له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلى ، وله الحمد كله على ربوبيته ، فنحمد الله ﷻ أن ربنا ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، ولم يجعلنا عبيدًا لمخلوق مربوب ناقص، بل جعلنا عبيدا لمن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

والله يحب ظهور أسمائه وصفاته في مخلوقاته لكن على قدر العبد، وعلى شاكلة العبودية .

فله الحمد كله على ربوبيته : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة/ ٢] .

وله الحمد كله على أن خلق الخلائق كلها، وأبدعها على غير مثال سابق: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام/ ١] .

كيف يعدلون من لم يخلق بمن يخلق ؟: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [النحل/ ١٧] . .

وله الحمد على ألوهيته جل جلاله ، الله من علينا وأمرنا بعبادته وحده لا شريك له ، لأنه هو الرب الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦ – ٣٧] .

وله الحمد على كمال رحمته ، رحمته لنا بأن خلق هذا الكون العظيم، وملأه بالأرزاق والأقوات والنور والهواء، ثم أنزل آدم ﷺ إلى هذا الملك العظيم ، ويسر له الطعام والشراب وأمره بعبادة الله وسؤاله وحمده وطاعته.

فلله الحمد كثيرًا كما ينعم كثيرًا ، اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيّم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة/ ٤] .

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ نحمد الله أنه رب العالمين .

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ صفات جمال .

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ صفة جلال .

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة/ ٥] .

إياك نعبد يا ربنا، لما لك من الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، وإياك نستعين في كل عمل وعبادة نستعين بك يا رب العالمين .

فما يفعله الله ﷻ نحمده عليه ، نقول : الحمد لله رب العالمين إذا أكلنا ، ونقول : الحمد لله فاطر السماوات والأرض ، ونسمي الله حينما نريد أن تفعل شيئا ، حينما نريد أن نأكل : بسم الله ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الله ربط الرحمن الرحيم بأفعاله وأفعال خلقه ، فنحن نقول : بسم الله الرحمن الرحيم إذا أردنا أن نفعل شيئا، نستعين بالله الرحمن الرحيم على القراءة ، على سماع العلم ، على الأكل ، على الشرب، بسم الله الرحمن الرحيم ؛ بركةً واستعانة .

فبسم الله الرحمن الرحيم نقولها على أفعالنا ، حينما نريد أن نفعل شيئاً نستعين بالله ، فنحن ضعفاء ، ما فينا من قوة من القوي ، وما فينا من رحمة من الرحمن ، وما فينا من المحبة من الله ﷻ ، وكل ما فينا من نعمة فمن اللهﷻ ، فنحن نعبده ونستعين به جل جلاله .

وأما أفعاله فنحن نقول فيها : الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله فاطر السماوات والأرض ، الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ، نحمده على أفعاله نقول : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ؛ فهو دائمًا يذكرنا بصفة الرحمة ، استوى على العرش برحمته ؛ ليعلم عباده أنه رحمن رحيم ، مهما بلغت ذنوبهم الله ﷻ يغفرها ، هو الرحمن الرحيم الذي استوى على أعظم المخلوقات وهو العرش ، بأعظم الصفات وهي الرحمة ؛ ليعلم عباده أنه الرحمن الرحيم: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه/ ٥]

هو الرحمن الذي رحمته وسعت كل شيء ، الرحيم بالناس، والرحيم بالمؤمنين ، الذي يحب أن يرحم جميع خلقه ، هو أرحم من الوالدة بولدها ، وهو أرحم من الأم الشفيقة بولدها ، كما قال سبحانه : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢﴾[الحشر/ ٢٢].

فالله ﷻ أظهر من أسمائه الحسنى ما أظهره لآدم ﷺ يوم علَّمه الأسماء كلها ، فالله ﷻ حين خلق آدم علمه الأسماء كلها ، علمه أسماءه الحسنى وصفاته العلى ، وعلمه

أسماء المخلوقات ، السماوات والأرض، والجبال والبحار وغيرها من المخلوقات، ثم انتقل علم أعلم مخلوق على وجه الأرض هو أبو البشرية آدم ﷺ ، إلى أولاده ، ثم جمع الله علم آدم وعلوم جميع الأنبياء في سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ الذي كان خلقه القرآن، وهو أعرف الخلق بربه جل جلاله .

والله ﷻ أظهر من أسمائه الحسنى ما أظهره لآدم ﷺ يوم علمه الأسماء كلها : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[البقرة/ ٣١] .

فإذا كان يوم القيامة أظهر الله من أسمائه الحسنى قدرًا زائدًا على مقدار ما أظهره من قبل ، على مقدار عظمة ذلك اليوم ، فالله أظهر لنا من أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ما نعرفه الآن ، ثم يظهر يوم القيامة من صفات جلاله، ومن صفات جماله، ما لا نعرفه نحن الآن ، الله يظهر من كمال رحمته، وكمال عزته، وكمال قدرته وأسمائه الحسنى أكثر مما أظهره لنا .

فيوم الدنيا يوم واحد له نهاية، ويوم الدين يوم واحد لا ليلة بعده ، هو يوم واحد مفتوح أبد الآباد ، فسبحان من طوى الأعوام والقرون في يوم واحد، كأن الدنيا كلها بهذه المدد الطويلة والقرون المتعاقبة يوم واحد.

والله ﷻ أظهر لنا في الدنيا من أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ما أظهره ، ثم يوم القيامة يظهر أكثر على حسب طول ذلك اليوم ، ثم يظهر الله ﷻ لسيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ في دار القرار منها قدرًا زائدًا على ما أظهره من قبل كما في حديث الشفاعة .

ثم يظهر الرحمن الرحيم جل جلاله لعباده وأوليائه في الجنة من أسمائه المحجوبة والمكنونة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة/ ١٧] .

قرة أعين : القرة العلمية ، يظهر الله لنا من أسمائه وصفاته في الجنة ما لا نحسنه الآن ، ويظهر لنا من النعيم كذلك ، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ، فنحن الآن نعرف من أسماء ربنا الحسنى وصفاته العلى، ما يجعلنا نتعلق به، ونعظمه ونكبره، ونحبه ونحمده جل جلاله .

فهذه جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة وهي العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله،

والعلم بدينه وشرعه ، والعلم بوعده ووعيده والعمل بموجب ذلك ، فإذا كان يوم القيامة سيظهر الله لنا من أنواع النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ؛ وأعظم النعيم في الجنة معرفة الله يوم القيامة، ورؤيته، والقرب منه ورضاه جل جلاله.

سبحانه هو أرحم الراحمين ، كل رحمة في العالم من آثار رحمته ، وكل الكون هذا قائم على رحمة الله ، ولولا رحمة الله لكان لنا شأن آخر ، ولكن رحمة الله وسعت كل شيء ، نرى رحمة الله في هذا الهواء الذي يملأ الكون ، وهذه الشمس المنيرة ، وهذه الأرض الذلول، وهذا الماء العذب، وهذا النبات الشهي، وهذا الحيوان المسخر، وهذا الجسم المعتدل ، وهذه العينين، وهذه الأبصار ، وهذه النعم التي من بيننا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤] .

فالله ﷻ كتب على نفسه الرحمة : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[الأنعام/ ٥٤] .

هذا الرب العظيم، الملك الكريم، الرحمن الرحيم ، الذي يسقط جميع الذنوب بمجرد أن نقول : رب اغفر لي، رب ارحمني ، المخلوق قد يسقط عنك ألف أو عشرة آلاف أو مائة ألف أو مليون ، لكن ما يسقط عنك جميع الديون التي عليك ، أما الرحمن الرحيم فالله يغفر الذنوب جميعًا مهما كانت، ومهما عظمت ، لماذا ؟ لأنه الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، وسعت رحمته جميع ما في الكون من مخلوق: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**إِنَّ اللهَ لمَّا قَضَى الخَلْقَ ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»متفق عليه(١) .

فغضب الله مغلوب ، من الذي غلبه ؟ غلبته رحمة الله ﷻ ، يوم القيامة يظهر الله من رحمته ما لا يخطر على البال ، ولولا أن الله توعد الكافرين بالنار بالنصوص القطعية لشملتهم رحمة الله ، ولكن الله قضى أن من كفر فمصيره إلى النار ، من أشرك فإن

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٧٤٢٢، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٧٥١.

مصيره إلى النار ، أما رحمة الله فهي شملت جميع الخلق ، لكن من خرج عنها بالكفر والشرك فالله ﷻ يعاقبه بالسجن يوم القيامة في نار جهنم: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝٧٢﴾ [المائدة/ ٧٢].

فهذا الكتاب العظيم المبارك عقد لجميع العالم أعلاه وأسفله، ليمتلئ الكون كله بالرحمة والأمن، والعفو والمغفرة، والحلم والصفح، والأناة والتوبة، والإحسان وحسن المعاملة : ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر/ ٧] .

فسبحان العليم بكل شيء القادر على كل شيء الرحيم بجميع مخلوقاته : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

هو رءوف بجميع الخلق ، المؤمن والكافر، المطيع والعاصي، البر والفاجر، ولهذا يعطيهم الماء البارد، والهواء اللطيف، والثمار الشهية، والأرض المستقرة، والنباتات المختلفة ، فالله ﷻ وسع كل شيء رحمة وعلمًا ، وإذا كان الرحمن الرحيم وسع كل شيء رحمة وعلما ، فلنملأ الكون بحمده وتسبيحه وتعظيمه وعبادته وطاعته ، كما ملأ لنا الكون بنعمه، وملأه برحمته، وهذه عبادة العالم الرباني العارف ، هذه عبادة العاقل الذي عرف ربه بأسمائه الحسنى ، فعرف أن ربه هو العظيم الذي أرسل رسوله بكتابه العظيم ، ومن أطاعه نال ثوابه العظيم ، عرف ربه أنه هو الملك الذي ملك جميع المخلوقات ، عرف ربه أنه هو الغني الذي له خزائن السماوات والأرض ، عرف ربه أنه هو العزيز الذي خلق العزة، في كل عزيز : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هذا الذي يعبد الله ﷻ، بالحب التعظيم والذل له، لأنه مستحق للعبادة وحده لا شريك له، وإن أعطاني بعد ذلك الجنة فهذا من فضله وإنعامه عليّ ، وإلا أنا عبده أعبده وأسبح بحمده؛ لأني عبده أولاً، ولأني أعرف أنه هو الملك حقًا، والرب حقا، والعظيم حقًا، والرحمن حقًا، والعزيز حقًا ، فأعبده لكماله ، لكمال ذاته، وكمال أسمائه، وكمال صفاته، وغناه وعظمته، وجلاله، وجماله: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

فسبح بحمد ربك العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال

الحميدة، الذي حجب ذاته وجلاله وجماله عن خلقه بحُجُب النور التي لو كشفها لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، هذه العين لا تستطيع أن ترى نور الشمس المخلوقة، فكيف ترى نور النور الذي خلقها، ولكن الله حجب خلقه عنه بحُجُب النور ، ولو كشف تلك الحجب ؛ لأحرقت سُبُحات وجهه من النور العظيم ما انتهى إليه بصره من خلقه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

فسبحانه هو نور السماوات والأرض: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور/ ٣٥].

ورسوله وكتابه نور : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة/ ١٥] .

وكتابه نور : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾[التغابن/ ٨] .

ودينه نور : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

فسبحان العظيم الذي يوم القيامة تشرق الأرض بنوره: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر/ ٦٩].

له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، هو النور الذي حجب ذاته وجلاله وجماله عن خلقه بحُجب النور التي لو كشفها لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، فيهلك كبرياؤه كل كبير ، فالله عز وجل يصعق من عظمته كل مخلوق حين تجلى للجبل بقدر أنملة تفتت الجبل : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[الأعراف/ ١٤٣] .

تفتت الجبل من عظمته ، فكيف إذا تجلى جل جلاله بذاته وصفاته وأسمائه لخلقه.

الله عز وجل رحيم بنا أن حجبنا عن رؤيته بحجب النور، ولا يسعد برؤية الملك الجبار جل جلاله والملك الرحمن الرحيم إلا من أطاعه في هذه الدنيا ؛ فليأنس برؤيته والقرب

منه يوم القيامة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة/ ٢٢ – ٢٣].
لو رفع الحُجب عن ذاته جل جلاله لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ؛ فيهلك كبرياؤه كل كبير ، وتهلك عظمته كل عظيم ، وعزته كل عزيز، وكرمه كل كرم ، وقدرته كل قدرة ، وقهره كل قهر ، فكان لا يقوم له شيء لولا رحمته السابقة في احتجابه عن خلقه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) ﴾[الزمر/ ٦٧] .
ما قدروا الله حق قدره ، الله أكبر في الأذان ، الله أكبر في الإقامة ، في التسبيحات نقولها في كل يوم أكثر من ستمائة مرة ، نقولها في الصلوات وفي الأذان والإقامة وفي الأذكار المختلفة ، لماذا؟ ليمتلئ القلب بكبرياء الله ﷻ ، لو كشف الله عن كبريائه لأحرق كبرياؤه كل كبير في الكون ، وأحرقت عظمته كل عظمة في الكون ، لأن كل عظمة في الكون الله خلقها بعظمته وقدرته.
هو الخالق الذي خلق جميع الخلْق ، وهو الملك الذي خلق جميع الممالك ، وهو الرزاق الذي خلق جميع الأرزاق : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .
فسبحان الخلاق العليم، خلق هذه الأراضين السبع محيط بعضها ببعض، وهي تسبح في هذا الكون العظيم ، والسماء الدنيا محيطة بالأراضين السبع .
والسماء الثانية محيطة بالسماء الأولى ، والثالثة إلى السابعة المحيطة بالسماوات السبع ، والكرسي محيط بالسماوات السبع، والسماوات والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، والعرش محيط بذلك كله ، والله مستوٍ على هذا العرش العظيم ، والعرش محتاج إلى الله في خلقه وبقائه، وليس الله محتاجاً إلى العرش ؛ لأن الله هو الغني عن كل ما سواه، بل العرش وما دونه من المخلوقات محتاج إلى الله في خلقه وإبقائه: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) ﴾ [فاطر/ ١٣] .
فجميع المخلوقات محتاجة إلى الله : « **كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ** »أخرجه البخاري[١] .
البخاري[١] .

(١)أخرجه البخاري برقم: ٧٤١٨.

ثم خلق المخلوقات بعد ذلك، في العالم العلوي، والعالم السفلي .
فهذه المعارف تملأ القلب بالإيمان ، لتأتي العبودية حقا لربنا جل جلاله بالتعظيم والتقديس والتكبير ؛ لأنه أهل أن يعبد، وأهل أن يحمد، وأهل أن يكبر: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].
فجميع الحاجات من طعام وشراب، ولباس ومراكب وسكن وغيرها ، هذه الحاجات ليست مقصداً ، المقصد الدين ، المقصد أن نصل إلى الله ، ونتصف بالصفات التي يتصف بها الله ﷻ لكن على شاكلة العبودية ، فهو العلي الأعلى، وأنا العلي الأدنى ، هو العليم الأعلى، وأنا أعطاني من علمه فكنت عالماً ، وهو الرزاق الذي رزقني فرزقت الخلق من هذا الرزق الذي أعطاني الله ﷻ ، هو العزيز الأعلى وأنا العزيز الأدنى ؛ لأني آمنت بالعزيز، واتصلت بالعزيز، وأنا عبد العزيز .
هذا العلم العظيم مطويٌّ عن أكثر الخلق .

- **فالعلم الإلهي ثلاثة أقسام :**

علم بالله.. وعلم بأوامر الله.. وعلم بأيام الله التي كانت من عهد آدم إلى عهد محمد ﷺ.
فالعلم بالله هو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بأوامر الله هو العلم بدينه، والعلم بأيام الله، هذه الأيام هي الأيام التي نصر فيها رسله وأولياءه وأتباعه على أعدائه .
لابد أن نعلم طريقة الأنبياء في الدعوة: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم/ ٤١].
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ [مريم/ ٥١] .
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم/ ٥٤] .
نتذكر طريقة حياتهم وأعمالهم ، ونذكر جهدهم في الدعوة إلى الله .
وعن أبي موسى قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : «**إِنَّ اللهَّ ﷻ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ** » أخرجه مسلم (١) .
لا ينام سبحانه، لأن من في السماوات والأرض يحتاجون إلى الحفظ، ويحتاجون إلى الأرزاق ، والله حي قيوم لا ينام جل جلاله ، ولا ينبغي له أن ينام : «**يَخْفِضُ الْقِسْطَ**

(١)أخرجه مسلم برقم: ١٧٩.

وَيَرْفَعُهُ» أخرجه مسلم (١) .

يحيي ويميت ، يعز ويذل ، يعطي ويمنع ، يغني ويفقر ، يعافي ويبتلي جل جلاله : «**يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ**» أخرجه مسلم (٢) .

لأنه يعلم بما كان وما يكون وما سيكون ، هو عليم بكل شيء : ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾**﴾ [الحج/ ٧٠].

وقال رسول الله ﷺ: «**اللهُ خَلَقَ القَلَمَ ، وَأَوّل مَا خَلَقَ القَلَمَ قَالَ لَهُ : اكْتُبْ . قَالَ : وَمَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**» أخرجه أحمد والترمذي (٣) .

اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من الحركات والسكنات، والنيات والأقوال والأفعال ، فكل شيء قد كتبه الله ، وما نفعله مُظهِر لما كتبه الله ﷻ ، لكن لا يعني أن الله كتب علينا هذه الكتابة أننا ملزمون مجبورون على الطاعة أو على المعصية ، بل الله ﷻ خلق الملائكة هؤلاء مسيرون ومسخرون ، وخلق جميع المخلوقات مسخرة إلا الإنس والجن فالله ﷻ جعل لهم الاختيار في مصرفين:

مصرِف للطاعة، ومصرف للمعصية ، مصرِف لمن أراد الخير ، ومصرف لمن أراد الشر ، مصرف لجمع الحسنات ، ومصرف لجمع السيئات: ﴿**إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾**﴾ [الإنسان/ ٢٩] .

فهذا البدن قابل لما يوضع فيه، إن كان فيه الإيمان ولَّد الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة، وإن كان فيه الكفر ولَّد الأعمال السيئة والأخلاق السيئة: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾**﴾ [التغابن/ ٢] .

فهذا الإنسان مختار : ﴿**وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾[الكهف/ ٢٩] .

لكن الإنسان لا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإذن الله ، لكن ليس بأمر الله ، الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر ، بل يأمر بالدين والإيمان والتوحيد، والعدل والإحسان، والطاعات والأخلاق الحسنة : ﴿**وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ**

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ١٧٩ .

(٢)أخرجه مسلم برقم: ١٧٩ .

(٣)صحيح/ أخرجه أحمد: ٥/ ٣١٧ ، وأخرجه الترمذي برقم: ٢١٥٥ .

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأعراف/ ٢٨-٣٠] .

فنحمد الله ﷻ أن خلقنا، وجعلنا من ذرية آدم ، و جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ، وحبَّب إلينا الإيمان ، وأعاننا على طاعته ، وضاعف لنا الحسنات ، نحمد الله كثيرًا كما أنعم علينا كثيرًا ، نحمد الله على هذه النعم العظيمة من ربنا الرحمن الرحيم .

والله ﷻ «**يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، ويُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» أخرجه مسلم (١) .

حُجُب النور تحول بيننا وبين ربنا في الدنيا ، أما يوم القيامة فإكراما لنا نراه كما عشنا بنوره الذي أنزله في الدنيا ، الله ﷻ يجعلنا نراه، نسكن في النور ، ونُحشر في النور ، ونتمتع برؤية النور جل جلاله الذي هو الله ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[النور/ ٣٥] .

وقال النبي ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»أخرجه مسلم(٢) .

فسبحان الله ما أعظم شأنه، وما أوسع رحمته ومغفرته وملكه: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة/ ١٦٣].

فجميع ما في العالم العلوي والسفلي من حصول المنافع، والخيرات والبركات، والمحاب والمسارّ والنعم، فمن آثار رحمة أرحم الراحمين ، كما أن جميع ما صرِف عن العباد من المصائب والمكاره، والمضارّ والمخاوف، والنقم والآلام، فمن آثار رحمة أرحم الراحمين جل جلاله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

فسبحان الله وبحمده ، لا يأتي بالحسنات إلا هو ، ولا يذهب بالسيئات إلا هو :

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ١٧٩ .

(٢)أخرجه مسلم برقم: ١٧٩ .

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[فاطر/ ٢] .

هو العزيز الذي لا يغلبه غالب ، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه ، الكريم الذي يكرم من يستحق الإكرام ، الهادي الذي يهدي من يستحق الهداية ، ويضل من يستحق الضلالة : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٣] .

ومن رحمته جل جلاله أن أوجد العالم كله متواصل الأرحام ، متصل بعضه ببعض ، ومتقارب الأصول ، فجعل برحمته الأعلى يعطف على الأسفل ، الأم تعطف على ابنها الصغير ، والأب يعطف على أولاده ، وجعل الأسفل يتعلق بالأعلى ، جعل الصغير يتعلق بأمه وأبيه ، وجعل المخلوق يتعلق بالخالق الأعلى جل جلاله .

فخلق هذا الكون العظيم بهذه الحكمة العظيمة ، وأفقر الخلائق كلها بعضها إلى بعض ، فأفقر الأعلى إلى الأسفل ليؤدي إليه المنافع، أفقر الغني إلى الفقير ، وأفقر الأسفل إلى الأعلى ، أفقر الإنسان الضعيف إلى القوي ، وأفقر الفقير إلى الغني ، فهو جل جلاله أفقر الأعلى إلى الأسفل، والأسفل إلى الأعلى، واستغنى عن الكل.

كم من غني، وكم من كبير، يحتاج إلى من دونه في بناء بيته وخدمته وجُلّ أعماله ؛ ليؤدي إليه ما له عنده ! وأفقر الأسفل إلى الأعلى ؛ يستفيد منه مما أعطاه الله من الخير والنعمة ، وأفقر الجاهل إلى العالم ، وأفقر الفقير إلى الغني ، وأفقر الضعيف إلى القوي وهكذا ، ثم أفقر الكل إليه ؛ إظهارا لكمال غناه : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[يونس/ ٦٨] .

فهذا الافتقار للمخلوقات بعضها إلى بعض تمهيداً للافتقار للعلي العظيم ، الغني الحميد ، الملك الجبار جل جلاله ، أحوج بعضنا إلى بعض ، أحوج الأعلى منا إلى الأسفل ، والأسفل منا إلى الأعلى ، والفقير إلى الغني ، والغني إلى الفقير ، والجاهل إلى العالم ، والعالم إلى الجاهل ، أحوج بعضنا إلى بعض ؛ تمهيدا لإظهار الافتقار للملك الغني العلي الأعلى جل جلاله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥] .

فالله وحده هو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه.

- **والله طبع جميع المخلوقات على أربع صفات :**

كلها ضعيف . . فقير . . عاجز . . محتاج .

فالله قوي وكل ما سواه ضعيف، والله غني وكل ما سواه فقير، والله قادر وكل ما سواه عاجز، والله ملك وكل ما سواه محتاج إليه وكل المخلوقات معدومة فأوجدها الله ، وحين أوجدها ملكَها ، وهي خاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسبحة بحمده : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

فالحمد لله الذي جعلنا من أوليائه المؤمنين ، نسبح بحمده ونحمده ونكبره ، فنحمد الله ونقول : الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله تملأ الميزان الذي يتسع للسماوات والأرض ، فنقول جميعًا : الحمد لله رب العالمين ، هذه هي الدعوة ، إذا قلنا هذه الكلمة ؛ أخذنا هذا الأجر العظيم من ربنا ﷻ .

لما قلت قولوا : الحمد لله رب العالمين ؛ الآن كل واحد منا ملأ الميزان بأجر هذه الكلمة العظيمة ، وهي غراس من غراس الجنة ، سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر .

فالداعي من أعظم من يربح على الله ﷻ ، أنا قلتها لكنّ الحضور من الإنس والجن ومن حضر معنا إذا قالوها فكلها تصب في صحيفة من أمر بقولها، فكل من آمن بالرسول ﷺ كلهم أعمالهم وأخلاقهم وأقوالهم، وجميع ما فعلوه من حسنات تصب في صحيفة النبي ﷺ .

ولهذا للنبي ﷺ من الجنات بقدر من اهتدى من أمته ﷺ .

فالله ﷻ هو الرحمن الرحيم الذي خلق مائة رحمة ، وأنزل منها رحمة واحدة إلى الأرض ؛ لتكون سبيلاً للتعاطف والرأفة، والرحمة والمودة، والحنان والسكن، والتربية والنسل، أنزلها بين المخلوقات كلها من الإنس والجن والحيوان وغيرهم .

فعاش في تلك الرحمة أهل الأرض كلهم ، وتناسلوا وتعاطفوا وتمّ بها عليهم أمر ربهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ**

الجِنِّ وَالإِنْسِ » متفق عليه [1] .

وكل رحمة من هذه الرحمات تملأ ما بين السماء والأرض من سعتها وعظمتها ، فإذا كان يوم القيامة ؛ ضم هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين، لتكون مائة رحمة ، فكم تكون رحمة الله يوم القيامة على خلقه ؟ ! .

لا يستطيع العقل ولا السمع ولا البصر مهما تكلم أو سمع أو رأى أن يصف عظمة هذه الرحمة ، نحن لا نستطيع أن نحيط برحمة الله الظاهرة لنا في الدنيا ، فكيف نحيط بتسعة وتسعين رحمة خلقها الله عنده ؟ ! وكيف نحيط برحمة أرحم الراحمين الواسعة ؟ ! سبحانه هو الرحمن الرحيم : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢] .

والله ﷻ رفع أهل الإيمان درجة في الرحمة ؛ فتعاطفوا وتراحموا وتحابوا ، هذه الرحمة لجميع الخلق ، لكن الله خص المؤمنين برحمة خاصة ، فبها يتعاطفون ويتراحمون ويتحابون ويتوادون من أجل الرحمن جل جلاله ؛ فتم لهم أمرهم أوله وآخره وعاجله وآجله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح/ ٢٩] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَرَى المؤْمِنينَ في تَراحُمِهِمْ، وَتَوادِّهِمْ، وَتَعاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ إذَا اشْتَكَى عُضْواً تَداعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**». متفق عليه [2].

والنبي ﷺ جمع الأمة على الدين ؛ فتحابوا عليه وتراحموا بسببه ، ولو جمعهم على الدنيا ؛ لتقاتلوا عليها، وتعادوا من أجلها: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٣] .

والله ﷻ إذا أراد فناء هذه الدنيا وأهلها ؛ قبض عنهم معاني اسمه الرحمن ، وفرغ هذا الكون من رحمته، وقبض عنهم معنى اسمه الرحمن ؛ حتى لا يبقى في الأرض

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٦٤٦٩ ومسلم برقم: ٢٧٥٢.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٦).

مسلم ، ثم أذن بإقامة القيامة على شرار الخلق ، فمقتهم وقبض رحمته التي أنزلها إلى الأرض ، فيومئذ : ﴿تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾[الحج/ ٢] .

ثم يضيف الرحمن الرحيم تلك الرحمة التي يتراحم بها الخلق في الدنيا إلى ما كان عنده لتكون مائة رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٤٣﴾[البقرة/ ١٤٣] .

فلا تسأل عم رحمة الله في ذلك اليوم لأوليائه، وكم ينالهم من آثار تلك الرحمة؟

ورحمة الله في الدنيا للمؤمنين والكفار ، أما رحمته يوم القيامة فهي خاصة بالمؤمنين والمؤمنات: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٥٦﴾[الأعراف/ ١٥٦] .

فسبحان الرب الرحمن الرحيم الذي يربي جميع المخلوقات باسم الربوبية ، ويوصّل إلى جميعهم برحمته من إحسانه ورزقه ولطفه بما سبق لهم مقدرا عنده ، ثم يقطع عنهم ذلك بموتهم واحدًا واحدًا ، فإذا كان يوم القيامة خصّ برحمته أهل طاعته ، وصرفها عن أعدائه أهل معصيته: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ۝٨٦﴾[مريم/ ٨٥ – ٨٦] .

والرحمن الرحيم خلق الرحم جل جلاله ، والرحم مشتقة من الرحمة ، والرحمة صفة الرحمن ﷻ ، ولما خلق الله الرحم أنزلها إلى الأرض فتعلقت بالعرش مستعيذة بالله من القطيعة .

قال النبي ﷺ : «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ ، قَالَتِ الرَّحِمُ : هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَهُوَ لَكِ**»متفق عليه(١) .

وصلة الرحم تزيد في طول العمر وبسط الرزق .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ،

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٥٠٢، واللفظ له وأخرجه مسلم برقم: ٢٥٥٤.

وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ». متفق عليه(١).

فلنصل الرحم التي بيننا وبين ذرية آدم كلهم ، نصل الرحم ، نبلغهم التوحيد والإيمان ونوصل أحكام الشريعة للبشرية كلها ، ليست صلة الرحم فقط مربوطة بالابن وأبيه ، والأب وأمه وولده وزوجته وأقاربه ، بل ذرية آدم موصولون في هذه الأرض ، ولابد أن نصل هذه الرحم ، وأن نتواصى بالحق، حتى تصطبغ البشرية كلها بصبغة الله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

من أعظم الرحمة أن نوصل رحمة الله وهي الدين إلى خلقه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم/ ٥٢] .

هذا القرآن هدى ورحمة وشفاء ، لابد من إيصال هذا الهدى، وهذه الرحمة، وهذا الشفاء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٦٧] .

فسبحان الرحمن الرحيم بعباده الذي ملأ العالم كله برحمته، ملأ الكون بنعمه ، وملأ الجو بهوائه ونوره، وهو أرحم بالعباد من أنفسهم، وأرحم من الأم الشفيقة بولدها .

فعلينا رجالًا ونساء أن نملأ الزمان، ونملأ المكان، بذكر الله وحمده وشكره ؛ ليذكرنا في نفسه، ويزيدنا من فضله ، الحمد لله رب العالمين ، لماذا ؟ لأنه رب العالمين .

الحمد لله ، جملة اسمية كاملة، مركبة من مبتدأ وخبر، فيها التوحيد، وفيها الحمد والثناء لربنا ﷻ ، وفيها الدعاء ، كلمة عظيمة تملأ الميزان: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢ – ٧] .

هذه الأرض لمن ؟ هذه المخلوقات لمن ؟ هذا الملك لمن ؟ الله ﷻ يقول : الحمد لله رب العالمين، لماذا ؟ لأنه رب العالمين ، الذي يربي جميع العالمين بنعمه، الذي يربي البشر في بطن الأم، ويربيهم في الدنيا، ويربيهم في الآخرة .

الحمد لله رب العالمين ، رب السماوات، ورب الأرض، ورب النجوم، ورب البحار ، ورب الأنهار ، ورب الأسماك ، ورب الطيور ، ورب الحيوان ، هو رب

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

العالمين: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦ – ٣٧].

نحمد الرحمن الرحيم، لأنه أعطاني خيراً وصرف عني شراً، وأحمده لأنه أنعم عليّ، وأنعم على غيري، وأحمده لأنه خالق السموات والأرض ومن فيهن: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١] .

فالحمد لله قضية من أعظم القضايا ، بل هي خلاصة الوجود كله أن نقول : الحمد لله رب العالمين ، هذه الكلمة العظيمة، نحن نحمد الله ؛ لأنه رب العالمين، ولأنه الرحمن الرحيم، ولأنه مالك يوم الدين.

هذه الدنيا يوم ، ويوم القيامة هو الملك وحده، والملك له جل جلاله : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفرقان/ ٢٦] .

«**اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ ، مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءُ الأَرْضِ ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ** » أخرجه مسلم(١) .

كم نعمه ؟ وكم يجب علينا من حمده ؟ وهو أهل الثناء، وهو أهل المجد ، هو القوي ، هو العزيز ، هو الغني ، هو الجبار ، هو القاهر ، هو الإله الذي لا إله غيره، ولا رب سواه ، هو الحكيم ، هو العليم ، هو الحليم ، هو الرحمن ، هو الرحيم ، هو جل جلاله الرب الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨] .

- **ورحمة الله ﷻ لعباده نوعان :**

الأولى: رحمة عامة لعموم الخلق، بما يسّر لهم من سبل العيش، وأنواع الإحسان كلٌ بحسَبه.

الثانية: رحمة خاصة بالمؤمنين، بما يسر لهم من الهداية والإكرام كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٤٧١.

فالرحمة العامة يستوي فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والحيوان والإنسان، والطير وغيره من المخلوقات ، فنقول : الحمد لله رب العالمين على نعمه المادية، ونعمه الروحية .

فكل رحمة في السماء والأرض، وكل إنعام وإحسان، وإكرام وسوق أرزاق، وما هذا سبيله ، فهذا كله صادر عن رحمة الرحمن العامة : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر/ ٧] .

حيث ما كان ملكه كانت رحمته ، وحيث ما كان ملكه كان علمه ، وحيث ما كان ملكه كانت قدرته ، وحيث ما كان ملكه كان حلمه ، وحيث ما كان ملكه كان رزقه، وحيث ما كان ملكه كان إحسانه، وحيث ما كان ملكه كان تدبيره: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) ﴾[يونس/ ٣١ - ٣٢].

وما كان من الرحمة في معاني الديانة، ومعاني العناية من أجلها ، فذلك من رحمة الولاية الخاصة ، ما كان من الرحمة في معاني الديانة يعني في الدين ، ومعاني العناية من أجلها يعني نعمة الأرزاق ، فذلك من رحمة الولاية الخاصة : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)﴾[يونس/ ٥٨] .

هم يجمعون من رزق الله ، ولكن فضل الله ورحمته بهدايتهم إلى الصراط المستقيم واتباعهم لهذا الدين العظيم هم يجب أن يفرحوا بهذا ، فرحمة الله على القلوب بالإيمان، ورحمة الله على الأبدان بالأرزاق، كلها من رحمة الله ، ولكن أعظم أنواع الرحمة هي الدين : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)﴾ [يونس/ ٥٨] .

وهذه الرحمة، وتلك الرحمة، كلاهما بيد الله يعطيها من يشاء، ويمنعها عمن يشاء وهو الفتاح العليم : ﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) ﴾[فاطر/ ٢] .

فكل رحمةٍ رزق وعافية وأمن وطمأنينة ، ورحمة هداية واستقامة على الدين ، كلاهما معا من أنواع رحمته، وهو العزيز الذي يفعل ما يشاء، الحليم الذي يضع

الشيء في موضعه .
ومتى عريت رحمة الولاية التي هي رحمة الدين عن الرحمة العامة، وهي الرحمة بالأرزاق والأقوات ؛ غلب على ذلك اسم الابتلاء والامتحان ، إذا عريت رحمة الولاية من الرحمة العامة ، يعني المؤمن إذا ابتلاه الله بابتلاءات، فإنما القصد الابتلاء والامتحان، ورفعة الدرجات : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥] .
يعني رحمة الولاية التي هي الدين الذي أعطاه الله للمؤمنين ، هؤلاء الله رحمهم برحمة الولاية التي هي تولّي الله ﷻ لهم : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[البقرة/ ٢٥٧] .
وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[البقرة/ ١٥٥-١٥٧] .
هذا القسم من الناس هو أعلى الأقسام الذي منّ الله عليه بنعمة الدين وأعطاه من النعم المادية ، فإذا حصل للمؤمن نعمة الدين، وابتلاه الله بشيء من الابتلاءات ؛ فإنما هذا ابتلاء، ليطهره من المعائب، ويكفر سيئاته، ويرفع درجاته: قال النبي ﷺ «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الْأَنبِيَاء ثمَّ الْأَمْثل فَالْأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ** »أخرجه أحمد(١) .
وهذه الرحمة، وتلك الرحمة، كلاهما بيد الله، يعطيها من يشاء من عباده، ويمنعها من يشاء، وهو الفتاح العليم الذي يضع الشيء في موضعه ، وهو أعلم حيث يجعل الإنسان ، يفتح على هذا، ولا يفتح على هذا، لعلمه بخلقه جل جلاله .
فمتى عريت رحمة الولاية من الرحمة العامة ؛ غلب على ذلك اسم الابتلاء والامتحان ، ومتى عريت الرحمة العامة من رحمة الولاية ؛ غلب على ذلك معنى المكر والاستدراج نعوذ بالله من عقوباته: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة/ ٥٥] .
﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٥٥ – ٥٦].
والله يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب ، هذه الرحمة العامة ، فإن الله خلق الخلق،

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: ٢٧١٢٤.

وأنعم عليهم بهذه النعم التي لا تعد ولا تحصى ، هو الذي خلقهم، وهو الذي أمّن أرزاقهم وكساهم وأعطاهم ، فالرحمن قد تكفل بأرزاق الخلائق كلهم، هذا الملك قائم برحمته جل جلاله: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾ [الزخرف/ ٣٢] .

فالكافر إذا أُعطي النعمة فلا يظن أنه برحمة الله ، بل هذا مكر واستدراج به إلى أن يعصي الله، حتى يزيد عذابه يوم القيامة ، فكلما ابتعد من الله أنعم الله عليه وعذبه جزاء وفاقاً.

والله ﷻ ينعم على العبد ويعطيه، ليزداد قرباً من الرب ، ولكنه إذا كفر بالله، واستعمل نعمه بمعصيته ، سكن في أرضه ، وتنعم برزقه، وحارب ربه بنعمه ، فهذا لا يليق به إلا السجن في يوم القيامة ، لا يليق بهذا الإنسان الذي أعطاه الله الاختيار، وأسكنه في ملكه، وأطعمه من رزقه، ثم كفر بالله وعصاه إلا أن يسجن في سجن من سجون جهنم يوم القيامة: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) ﴾ [التوبة/ ٦٨] .

الرحمن الرحيم يعطي الكافر لعله يتوب ، لعله يستحي من ربه ، ولكنه لم يستحِ من ربه ، فما زاده هذا العطاء، وهذه النعم، وهذه الرحمة، إلا طغيانًا وكفرًا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) ﴾ [إبراهيم/ ٢٨ - ٢٩] .

فسبحان الملك الحق الذي حكم كل شيء عافيةً وبلاءً، ورحمة وانتقاما، وبسطًا وقبضًا، وغنى وفقرًا : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو الرحمن الرحيم البصير بما يصلح عباده ، الذي إذا أراد أن يداويَ مخلوقًا عاصيًا يعلم كيف يداويه ويعالجه ويصلحه ؛ ليسعد في دنياه وآخرته ؟ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [البقرة/ ١٥٥ - ١٥٧] .

الرحمن الرحيم ابتلانا بهذه الابتلاءات، ليصفّي توحيدنا، وليكفر سيئاتنا، وليضاعف حسناتنا وليحط خطايانا ويظهر عبودية الصبر التي في قلوبنا، والله ﷻ يحب الصابرين ، والله ﷻ مع الصابرين .

- **فبعد هذه الابتلاءات يكرمنا ربنا بسبع كرامات :**

يزيد إيماننا.. ويزيد حبنا لربنا، بعد أن يبتلينا الله، ثم يعافينا، ثم ندعوه ونلتجئ إليه، وتُغلق عنا جميع الأبواب، ونتوجه إلى الله، فيَكشف السوء عنا ، بعد هذا، وهذا، الله يكرمنا بسبع كرامات .

إيمان جديد بعد هذا الابتلاء.. وتوبة جديدة.. وحب جديد لله.. وحمد جديد لله.. وطاعات جديدة وتعظيم جديد لله، وعبادة جديدة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة/ ٢١٦].

فهو جل جلاله رب العالمين ، هو الرحمن الرحيم ، فالله ﷻ رؤوف بالعباد، غنيٌ عنهم ، لم يبتليهم أو يضيق عليهم أو يفقرهم إلا حبًا لهم، ورحمة بهم، ودفعًا لهم إلى باب عبوديته : ما يفعل الله بعذابكم وإيلامكم وفقركم وما يصيبكم من البلاء ؟ .

مقتضى النعمة أن نشكر، ومقتضى المعرفة أن تؤمن، وإذا شكرت وآمنت فأنت من الفائزين: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء/ ١٤٧] .

إن أعطاني الله نعمة فهو يريد أن يستخرج مني عبودية الشكر ، فأستعملها في طاعته، وأتقرب بها إليه وأنفق منها على خلقه ، إن أعطاني مالًا تصدقت ، أو أعطاني علما علّمت ، أو أعطاني بدنا سليمًا تعبدت لله كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه .

وإن ابتلاني فإنما يريد أن يستخرج مني عبودية الصبر، ويكفر سيئاتي، ويرفع درجاتي: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة/ ٥١].

ما يفعل الله بعذابكم ؟ الله لا يفرح بالعذاب ، بل الله ﷻ يفرح بالتوبة ويفرح لعبده بالإحسان، ويفرح برحمة خلقه : ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[النساء/ ١٤٧] .

شاكرا لمن جاء بالحسنة يعطيه عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة ، فسبحان الكريم الرحمن الرحيم الذي كلماته لا نفاد لها ، وخزائنه لا نهاية لها ، ويده بالليل والنهار سَحّاء بالعطاء : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[لقمان/ ٢٧] .

بل هذه الأقلام، وهذه البحار لا تستطيع أن تحصي نعمة واحدة من نعم الله ، نعمة الرحمة ، نعمة الأمن ، نعمة العافية ، نعمة الدين ، كل هذه النعم من الله ﷻ فهذه النعم كلها ، وهذا الكون كله، خُلق بحرفين من كلامه ، كن : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي : «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا**»أخرجه مسلم(١) .

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه، وما أعظم قدرته، وما أوسع رحمته.

الله كبير قبل أن نكبره ، ومحمود قبل أن نحمده ، وخالق قبل أن يخلقنا ، وعظيم قبل أن نعظمه ، سبح نفسه قبل أن نسبحه، وحمد نفسه قبل أن يخلق الحامدين له، وعبادتنا لا تزيد في مكله شيئاً ولكن نحن نحتاج إلى أن نعظّم العظيم، ونكبّر الكبير؛ لأنه هو ربنا الذي خلقنا ، أوجدنا في بطن الأم ، وأوجدنا في بطن الدنيا وابتلانا ، وأمرنا بفعل محبوباته ويوم القيامة نحن في ضيافته : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر/ ٥٤-٥٥] .

نحن في الدنيا باقون برحمة الله، ونعيش في نعم الله ، وفي الآخرة كذلك والله عنها : «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا**» أخرجه مسلم (٢) .

لو جميع الخلائق يسجدون للأصنام، ويسجدون لغير الله ، الله ﷻ غني عنهم وعن عبادتهم ، لكن الأصل : ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٦] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

(٢)أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

الرب جل جلاله هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، الفقير لا يصلح أن يحكم العالم ، المملوك لا يصلح أن يحكم العالم ، الضعيف لا يصلح أن يُعبد ، الفقير لا يصلح أن يُعبد، العاجز لا يمكن أن يحكم العالم، الجاهل لا يصلح أن يحكم العالم، الذي يجب أن يحكم ويطاع ويعبد هو الملك الحق المبين، الواحد الأحد، القهار العزيز الحكيم، العليم الخبير، الغني الكريم، القادر القوي، الغفور الرؤوف، الرحمن الرحيم، اللطيف البرّ الرزاق ، هذا الذي يستحق أن يعبد : «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**» أخرجه مسلم[1] .

الملك هو الذي لا تنقص خزائنه أبدًا ، ولهذا الله ﷻ هو ملك الملوك ، وهو الذي قسم الممالك، وقسم الأرزاق على الملوك والعبيد جل جلاله ، وله الملك العظيم في الدنيا والآخرة، وفي العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿**تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾**﴾ [الملك/ ١-٢] .

ربنا هو العزيز الذي لا يغلبه غالب ، الغفور لمن استغفره ، فالله ﷻ هو خالق كل شيء ، كما خلق الخلق خلق صفاتهم ، فأوصافنا وصفاتنا بيده ومن عنده ، هو يهدي من يشاء، ويضل من يشاء ، يهدي من يستحق الهداية ويقدّرها ، ويضل من يستحق الضلالة ولا يشكر الهداية ، يوفّق إليها من يشاء، وييسّرها لمن يشاء ويمنعها عمن يشاء ، وهو العليم الخبير: ﴿**أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾**﴾ [الأنعام/ ٥٣]

أوصافنا وصفاتنا بيده ، أجسامنا طولًا وعرضًا وشكلاً ولونا بيده جل جلاله ، هو خالق كل شيء، وهو على كل شيء قدير ، وصفاتنا التي تتصف بها هذه الأجسام بيده جل جلاله ، هو الذي جعل المسلم مسلماً والمؤمن مؤمناً والكافر كافراً والضال ضالاً ، لأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد ، ولكن الله ﷻ خلق الخلق وأعطاهم الخيار، ورغّبهم في الطاعات، وحذّرهم من المعاصي فله وحده الملك والخلق والأمر: ﴿**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن**

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾[الأنعام/ ١١١] .

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾[الإنسان/ ٢٩ – ٣١].

لا يقع في ملك الله شيء إلا ما أراده الله ، لكن الله أمر بالإيمان والإسلام والإحسان، ورغب فيه ونهى عن الكفر والشرك والنفاق، وحذر من ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النحل/ ٩٠].

لكنه لا يقع في ملكه شيء لا يريده ، فأمر الله ﷻ على خلقه أمره الكوني، وأمره الشرعي، وواقع على خلقه ، لكن أمره الكوني لابد أن يقع ، من إنزال المطر، وخلق المخلوقات ، لكن أمره الشرعي منهم من يستجيب له، ومنهم من لا يستجيب له ، فمن لم يستجب له أدخله الله النار ، ومن استجاب له أدخله الله الجنة: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾[الكهف/ ٢٩ – ٣٠].

فالشيطان استغلّ هذا الخيار، وغر الناس وأبعدهم عن الدين شيئا فشيئًا، حتى أخرجهم من هذا الدين إلى المباحات، ثم إلى الصغائر، ثم إلى الكبائر، ثم إلى الردة : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾[سبأ/ ٢٠] .

الله أكبر ما أعظم هذه النعمة ! نحن في نعمة كبيرة أن جلسنا نسمع ونقرأ كلام الله، وكلام الرسول، وما يحيي القلوب بالايمان والتقوى .

- **فإن هذا الإنسان مركب من ثلاثة أشياء :**

الأول: جسد مادي غذاؤه الطعام والشراب .

الثاني: روح ملَكي غذائه بالإيمانيات .

الثالث: نفْس حيواني غذاؤه بالشهوات .

فنحمد الله على أن كنا في هذا الجو الإيماني، نعرف الله، ونعرف أسماءه وصفاته، ونعرف عظمته، ونعرف خزائنه، ونعرف وعده ووعيده ؛ حتى يزيد إيماننا، وتحسن

أخلاقنا، وتحسن أعمالنا وأقوالنا ، ومن قام بذلك الله ﷻ يكرمه بأحسن من ذلك كما قال سبحانه : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾[يونس/ ٢٦] .

فالحمد لله رب العالمين أن وفقنا لمثل هذه المجالس، وجعلنا نسمع كلام الله، وكلام الرسول ﷺ، ونسع الذكر والوعظ والتذكير ، ونسمع الهدى والشفا ، ونحمد الله أن الله ﷻ أول السامعين لنا والملائكة يأتون ويتكاثرون في مجلسنا، ويحيطون بنا .

- **فنستفيد منهم إذا جلسوا معنا صفتين :**

الصفة الأولى : أنهم يحيطوننا ، تحفّنا الملائكة وتحيط بنا وتحرسنا .

والشيء الثاني : أننا نتأثر بهم ، فنكبر الله ونسبح الله ونعظم الله ؛ لأن الملائكة طعامهم التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد .

فنحمد الله أن جلسنا على مثل هذه الموائد ، ونسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم الإخلاص، ويرزقنا العمل، ويرزقنا الدعوة، ونشر هذا العمل، ونشر هذا الدين .

الله ﷻ أعظم ما يجب علينا أن نعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله، نعرفه اسمًا اسمًا ، عرفنا أنواع المأكولات والمشروبات ، وعرفنا قوة الحديد، وعرفنا قوة النار ، وعرفنا عظمة المصنوعات البشرية ، متى نعرف عظمة الخالق ؟ متى نعرف رحمة الخالق ؟، متى نعرف قدرة الخالق .

متى نعرف الرزاق ؟ متى نعرف العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ؟ .

الله ﷻ يريد منا أن نملأ قلوبنا بالإيمان ، نملأ قلوبنا بمعرفة أسمائه وصفاته ؛ حتى تتحرك جوارحنا بالأعمال الصالحة ؛ حتى تخشع قلوبنا، وتخضع قلوبنا، وتنكسر قلوبنا بين يدي ربنا ﷻ ؛ حتى تصدع ألسنتنا بذكره، وحمده، والدعوة إليه، وتعليم شرعه جل جلاله .

الله ﷻ هو ربنا الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، وجميع الصفات البشرية من قبيل العطايا والهبات من الكريم الوهاب جل جلاله ، وهي من آثار أسمائه الحسنى وصفاته العلى ، جميع ما في الكون من العطايا والهبات والإكرام ، كلها من آثار أسماء ربنا الحسنى، وصفاته العلى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء/ ٧٠] .
فالإسلام من اسمه السلام ، كل مسلم أسلم في هذا الكون بفضل الله ﷻ لا بعقله ولا بقوته ولا بعلمه ، إنما الله السلام ﷻ هداه للإسلام ، والإيمان من اسمه المؤمن ، والهداية نعمة من اسمه الهادي ، والرحمة نعمة من اسمه الرحمن ، والمغفرة نعمة من اسمه الغفار ، هذه كلها أعطيات وهبات من ربنا الرحيم الرحمن جل جلاله ، والحِلم من اسمه الحليم، وكل حِلم في العالم من آثار رحمته جل جلاله .
والجمال من اسمه الجميل ، هو جل جلاله الجميل الذي عنده خزائن الجمال ، والذي كل جمال في العالم من خزائنه ، ولو جُمع جميع الجمال الموجود في العالم، ثم شُكّل العالم كله بذراته وأجرامه على شكل هذا الجمال العظيم، ثم نُسب إلى جمال الله ؛ لكان أصغر من الذرة بالنسبة للجبل ، وأصغر من القطرة بالنسبة للبحر ، فهو جل جلاله الجميل الذي جمّل الجميل ظاهرًا وباطنًا ، جمّل المؤمن بالإيمان والإسلام ، جمّل قلبه بالإيمان والتقوى وجمّل ظاهره بالأقوال الحسنة والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل/ ٥٣] .
فهذا كله من آثار رحمة أرحم الراحمين جل جلاله ، والكرم من اسمه الكريم جل جلاله ، وكل كرم في العالم، وكل كريم أكرم، فمن كرمه جل جلاله .
هو الكريم الأكرم الذي يحب ظهور الكرم في مخلوقاته ، فهو أعطاني مالًا أو علمًا أو خيرًا حتى أظهر هذا الكرم على نفسي، وعلى غيري ، والشكر من اسمه الشاكر ، والتوبة من اسمه التواب جل جلاله ، فكل توبة في العالم فمن آثار رحمته ، هو الذي تاب عليّ حتى أتوب : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة/ ١١٨] .
فالتواب سبحانه تاب علي أولًا، فتبت إليه من الشرك إلى التوحيد، ومن المعصية إلى الطاعة، فهو تاب عليّ، ثم وفقني للتوبة، تاب عليّ أولًا فهيأ لي التوبة، ثم قبل مني التوبة .
التوبة مني رجوع من المعصية إلى الطاعة ، والتوبة من الله رجوع عن العقاب إلى الرحمة ، تاب عليّ فرحمني وكان حقي أن يعاقبني، لأنني أخطأت أو عصيت .
فالتوبة من الله رجوعٌ من العقوبة إلى الرحمة ، والتوبة مني رجوعٌ من المعصية إلى

الطاعة ، وهكذا في بقية الأسماء والصفات .
﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[الجمعة/ ٢] .
كل البشرية في ضلال إلا من هداه الله : «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فاستهدوني أهدكم**» أخرجه مسلم (١) .
فبرحمته هداني ، برحمته عافاني ، برحمته رزقني ، برحمته علمني ، برحمته أعطاني السمع والبصر والعقل ، فالناس والمخلوقات كلها تعيش في رحمة الله ﷻ:
﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣] .
هذه الصفات التي يحبها الله ، يحلّي بهذه الصفات من يحب من عباده، ويزكيهم بها ؛ ليرفع مقامهم ودرجاتهم ؛ لأنه لا يجالس الملك إلا ملك يوم القيامة ، نحن في الدنيا عبيد، وفي الآخرة ملوك ، كما ملكنا جوارحنا، وسخرناها في طاعة الله، ومنعناها عن معصية الله ؛ الله يوم القيامة يسكننا في ملك كبير، بجوار مَلِكٍ عظيم :
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾[الإنسان/ ٢٠] .
فهذا الملك الكبير له مالك ومَلِك وهو الإنسان ، هذا المَلَك الصغير بجوار المَلك الكبير : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .
فالله ﷻ يحب أسماءه الحسنى، وصفاته العلى ، ويحب من عباده من يتصف بها، ويتزين بها : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ۝١٦٥﴾[الأنعام/ ١٦٥] .
سريع العقاب لمن عصاه ، وإنه لغفور رحيم لمن استغفره واسترحمه.
أما الكفار والمشركون فلهم أسماء بضد ذلك ، مما يكرهه الله ويسخطه، وينزه نفسه عنه ، كالظلم والفساد والمكر والبغي، فالله يأمر بالصفات الحسنة، وينهى عن الصفات السيئة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾[النحل/ ٩٠] .
الله يحب المؤمنين ، يحب الإيمان، وأهل الإيمان ، ويحب التقوى، وأهل التقوى ،

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

ويحب الإحسان، وأهل الإحسان .
فهذه الهبات والعطايا من الرب الرحمن الرحيم مُنزلةٌ من عنده ، يهبها لمن يشاء من عباده ، النور لا يخرج إلا من النور ، والعلم لا يأتي إلا من عليم، والقوة لا تأتي إلا من قوي، والنبات لا يخرج إلا من خزائن الملك جل جلاله ، فكل شيء بأمره وقضائه وقدره ، فلا يُعطى العبد شيئاً من النعم إلا من خزائن الله : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].
هذه هبات وعطايا من الرب الرحمن الرحيم ، منزلةٌ من عند الله، يهبها من يشاء من عباده حسب علمه وحكمته ، وحسب طلب العبد وسؤاله : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤] .
جميع ما في السماوات وما في الأرض من النعم والأرزاق والخيرات والبركات ، كل ما فيها فضلٌ زائد عن حاجة الله ، الله لا يحتاج إلى أحد ، بل كل أحد يحتاج إلى الواحد الأحد في خلقه وتدبيره وبقائه.
من كثرت أمواله يقول هذا فضل زائد عن حاجتي لا أحتاج إليه فينفقه على غيره، كذلك فالله ﷻ كل ما في الملك والملكوت فضل زائد الله غني عنه، خلقه الله إظهاراً لقدرته، وعظيم إحسانه، وإكراماً لعباده: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[يونس/ ٦٨] .
هذا المَلك العظيم هو الذي يستحق أن يُعبد، وأن يذكر، وأن يستحيا منه، وأن يعظم، وأن يُكبر، لذاته وجلاله وكماله، وعظمته وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله ، وطلبًا لثوابه، وخوفًا من عقابه .
فالله مقصود، والجنة موعود :﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].
لكن الله مقصود: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠].
فنسأل ربنا جل جلاله أن يهب لنا تلك الصفات التي يحبها ، صفة الإحسان

والإكرام، والهبة والرزق، والعفو والصفح، ونفع الخلق والإحسان إليهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨].

ونسأل الله ﷻ أن يهب لنا من خزائنه كل خير في الدنيا والآخرة: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر/ ٢١] .

فنسأل ربنا ﷻ أن يهبنا تلك الصفات، ويدلنا على عباده الذين اختارهم ؛ لنقفوا آثارهم، ونسلك سبيلهم ، ونتعرف عليهم، وعلى جهدهم في العبادة وفي الدعوة : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم/ ٥٨].

نذكر قصص الأنبياء وأعمالهم وعبادتهم ودعوتهم لنقتدي بهم في التوحيد والإخلاص ، والتقوى والدعوة: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٠].

ونقتدي بالقرن الأول الذين رباهم النبي ﷺ ، أصحاب محمد ﷺ ، أبرّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا ، وأحسنهم أخلاقاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه.

قال النبي ﷺ : «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»أخرجه البخاري(١) .

فنقتدي بالطبعة الأولى ، نقتدي بالصف الأول ، بالعبادة ، بالدعوة ، بالتعليم ، بالنصيحة ، بالشكر ، بفعل الأوامر ، باجتناب النواهي ، بالتخلق بالأخلاق الحسنة، هؤلاء الصنف من الناس أفضل الخلائق بعد الأنبياء هم أصحاب محمد ﷺ الذين وصفهم الله ﷻ بقوله : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٣ – ٦٤].

هذه الصفات إلى يوم القيامة ، بدءا بالأنبياء ثم أصحاب محمد ﷺإلى يوم القيامة : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[الفرقان/ ٦٣] .

يمشون على الأرض، يدعون إلى الله بالتواضع والانكسار لربهم، ورحمة الخلق، ويصبرون على الأذى من الناس، يبيتون في الليل مع ربهم ، في الليل يسبحون بحمد ربهم ﷻ، ويستغفرونه من الذنوب ، ويسألونه الهداية لأنفسهم، والهداية للخلق .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: ٢٦٥٢.

فلا تراهم إلا مكبرين لله ، حامدين لله ، مستغفرين لله ، عابدين لله.
ويسألون ربهم النجاة من النار : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٥ – ٦٦] .
يقولون : اصرف عنا عذاب جهنم ؛ لأخطائنا ومعاصينا وتقصيرنا.
ومن صفاتهم لزوم القصد والعدل في كل شيء: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٧].
والإنسان في هذه الدنيا إما أن يعيش على الهوى، أو يعيش على الهدى ، ونحن ولله الحمد بهذه الدروس نتعلم التوحيد والإيمان ؛ لننقل أنفسنا وننقل البشرية بإذن الله من الشرك إلى التوحيد ، ومن المعاصي إلى الطاعات ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الفرقة إلى الوحدة ، ومن التعلق بالمخلوق إلى التعلق بالخالق جل جلاله:
﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة/ ٤].
إن حب المال ليس شركاً ، لكن التعلق بالمال شرك ، حب الجمال ليس شركاً ، لكن التعلق بالجمال شرك ، حب المُلك ليس شركاً ، بل التعلق بالملك شرك ، فلا نتوكل إلا على الله ﷻ ، ولا نتعلق بأحد سواه، ولا نسيء إلى أحد بقول أو فعل، وإذا فعلنا ذلك تبنا إلى الله، هذه صفات عباد الرحمن : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٨ – ٧٠].
هذه الأنفس البشرية ميتة لابد من إحيائها بالإيمان : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

- **كل مخلوق لابد له من نفختين :**

نفخة الرسول المَلَكي وهو الذي ينفخ الروح في الحمل في بطن الأم ؛ فتدب فيه الحياة، بعد أن يتم خلقه سمعًا وبصرًا وعقلاً ويكتمل ، تُنفخ فيه الروح بعد أربعة أشهر ، وحين ذلك يتحرك ، فإذا نفخت الروح جاءت النفس ، وإذا جاءت النفس الحيوانية عارضت الروح الإلهية ، الروح محبوباتها علوية تريد الطاعات

والإيمانيات والعبادات ، والنفس محبوباتها أرضية ، مجبولة على حب الطعام والشراب والنكاح واللباس والمركب والسكن وغير ذلك من الشهوات، والحرب سجال بينهما، والبدن يتحرك بأمر الغالب منهما: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم/ ٥٩] .

والشهوات ليست محرمة ، إنما الشهوات التي تصرف عن طاعة الله هي المحرمة ، والإنسان في هذه الحياة الله مَنّ عليه بشهوة الطعام والشراب وغير ذلك من الشهوات المباحة، ليشكر الله عليها، ويستعين بها على العمل الصالح : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة/ ١٧٢] .

فنأكل ونشرب، لنقوم بالعبادة، وكل ما يحبه الله ويرضاه.

فهذا الجو الإيماني الذي فيه أهل هذه الصفات، فهنيئاً لهم بما قاموا به من الأعمال، وهنيئاً لهم بما أعد الله لهم من الثواب : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٣ – ٧٥] .

فالله ﷻ اشترى منا أنفسنا وأموالنا ؛ حتى نضعها تحت شجرة الدين، حتى يكبر الدين، وينتشر الدين في العالم ، وتصل الثمار الطيبة إلى الناس على مستوى العالم:

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾

[إبراهيم/ ٥٢] .

فالله ﷻ يريد منا الإنفاق ، العالم ينفق العلم ، والغني ينفق المال ، وصاحب الخلق ينفق الأخلاق الحسنة ، وصاحب المهنة يحسن إلى الناس ، وهكذا ننفق من هذه العطايا التي أعطانا الله ﷻ .

هذه صفات المؤمنين ، وهذا هو الجو الإيماني الذي يزيد فيه الإيمان .

وإذا جاء الإيمان جاءت الطاعات ، وإذا جاءت الطاعات جاء حب تنويع الطاعات ، وبقدر تنوع العبادات يتنوع النعيم في الجنة يوم القيامة ، أنهار اللبن، وأنهار الخمر وأنهار العسل ، وما أعد الله للمؤمنين في الجنة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ، بحسب تنوع الطاعات يكون تنوع النعيم في الجنة ، فليستكثر المسلم من الواجبات والمستحبات من الصيام من الأذكار والصلاة والزكاة والحج، والدعوة والتعليم وغير ذلك من الأعمال الواجبة والمستحبة ، ويجتنب المحرمات والمكروهات: ﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤** ﴾ [آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤].

فهذا هو الجو الإيماني الذي يزيد فيه الإيمان، وتقوى فيه الأعمال الصالحة : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾[التوبة/ ٧١] .

ما هو عملهم ؟ هذا عملهم ، عملهم أنهم يجتمعون على الخير والمحبة والأعمال الصالحة، فهم يتحابون في الله، ويجتمعون لإقامة دين الله، ويعملون لله في كل وقت .

وما هو جزاؤهم على هذه الأعمال الخمسة الكبرى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾[التوبة/ ٧٢] .

هذا عمل المؤمن والمؤمنة في الدنيا ، ليس عمل المرأة أن تقف أمام المرآة ساعة تتزين ، وتجلس مع الملابس كذلك في الغسيل، وتجلس مع الطعام تنوّع الأطعمة والأشربة ، وتركض هي وزوجها وأولادها من شهوة إلى شهوة كالبهائم، وليس مقصد حياة الإنسان أن يركض ليجمع الأموال ، وإذا جاءت الأموال اشترينا

الأشياء ، وإذا اشترينا الأشياء جاءت السعادة ، هذا يقين الكفار ، هذا يقين كله باطل، وهذا يقين الأمم السابقة الذين دمرهم الله لما كذبوا الرسل: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤٠] .

إنما جهد المؤمن أن يجتهد على نفسه حتى تأتي الهداية ، وإذا جاءت الهداية جاءت الطاعة لله ﷻ ، والذي يطيع الله ورسوله يفوز ويسعد في الدنيا والآخرة : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب/ ٧١] .

وإذا جاءت الطاعة جاءت استجابة الدعاء، وقضاء الحوائج : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة/ ١٨٦] .

ولهذا إذا ضعف الإيمان توجهنا إلى المخلوق ، فإذا عجز المخلوق رجعنا إلى الخالق ، والله ﷻ لا يريد هذا ، إنما يريد أن أفرّ إلى الله مباشرة في كل حال : ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١] .

إن كل من جعل مع الله إلها آخر، وتعلق قلبه بمحبوب من دون الله، عُذِّب به من حيث أحبَّه ، من مال أو رجال أو نساء أو غير ذلك من الأشياء: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء/ ٢٢].

من أحبَّ غير الله عُذّب به ، ومن أحب الله تنعَّم وسعد بالله وبدينه وبشرعه وبثوابه: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٣] .

وبهذه الصفات العظيمة التي يحبها الله ﷻ يُخرج الرحمن الرحيم نسْلاً جديداً بهذه الصفات ، فإذا جاء الإيمان، ونبت في القلوب، وقبلته القلوب كالأرض الطيبة إذا جاءها المطر أنبتت من كل زوج بهيج ، هذا الماء الذي ينزل من السماء إذا نزل على الأرض أنبتت من كل زوج بهيج ، وبعضها قيعان لا تنبت .

فهذه القلوب إذا نزل عليها الوحي من السماء، وقبلت الإيمان، أنبتت نبتاً جديداً كله ذو ثمرات طيبة ، سوف يخرج الرحمن الرحيم بسبب الدعوة إلى الله نسل المسلمين

والمؤمنين والمتقين والمحسنين والمهتدين والصالحين والصادقين والذاكرين والعابدين كما يخرج بالماء أنواع الزروع والثمار : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾[الحج/ ٥-٧] .

فالحمد لله الله منّ علينا، وجعلنا مسلمين ، وقلنا : سمعنا وأطعنا ، ليس القصد فقط سمعنا ، بل القصد سمعنا وأطعنا ، ومن الناس من يقول سمعنا وعصينا ، هذا هو الكافر ، أما المؤمن فمزاجه مزاج الملائكة : سمعنا وأطعنا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .

هذه النباتات التي تظهر على وجه الأرض بسبب الماء النازل من السماء ، مثلها أو أعظم منها هذه القلوب التي تحيا بالإيمان ، فيمتلئ القلب بالإيمان فيخرج نسل جديد للبشرية هم أحسن الناس، وأسعد الناس : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب/ ٣٥] .

يخرج نسل الأعمال والصفات التي يحبها الله ورسوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التوبة/ ١١٢].

يخرج نسل أهل الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾[المؤمنون/ ١ – ١١].

هذا النسل الجميل الكريم هو المطلوب أن ينتشر في البشرية ؛ لينتشر الأمن، والخير، والسعادة في الدنيا والآخرة ، وهو من أعظم رحمة الله بعباده أن أنزل عليهم هذا الوحي، وهذا الدين الذي يجمّلهم ويسعدهم في دنياهم وأخراهم : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

وأنواع رحمة الله ﷻ لا يحصيها إلا هو ، وأعظم وأجلّ أنواع رحمته هي هداية خلقه بواسطة كتبه ورسله إلى ما يحبه ويرضاه من الدين القيم : ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[يونس/ ٥٨] .

ليس في القرآن يجمعون ، إنما في القرآن : ينفقون ، فننفق مما أعطانا الله من عطاياه وهباته ؛ لأنه الرحمن الرحيم الذي وهب لنا كل نعمة، وأعطانا كل مكرمة ، أعطانا العلم وأعطانا الإيمان، وأعطانا المال وأعطانا الصحة ، فننفق مما أعطانا الله ﷻ : ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[الحديد/ ٧] .

وجميع النعم المخزونة في السماوات والأرض ، وجميع النعم الظاهرة والباطنة، وجميع النعم في الدنيا والآخرة ، كل ذلك من رحمة الله التي لا يحيط بها أحد : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل/ ٥٣] .

جميع النعم علينا وعلى غيرنا ، والنعم في الدنيا والآخرة ، والنعم في العالم العلوي والعالم السفلي، كلها من الله وحده لا شريك له .

فما أعظم نعم الله على عباده، وما أعظم حلم الله ورحمته على من عصاه، وما أشد ظلم وكفر من جحد هذه النعم: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم/ ٣٤] .

سبحان الله ما أعظم شأنه، وما أعظم ملكه وسلطانه: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧-١٨] .

فلا نستطيع أن نحصي نعمة واحدة ، ولا نستطيع القيام بحقها ، نعمة الطعام، نعمة المياه، نعمة الهواء، نعمة العافية، نعمة العقل ، نعمة السمع ، نعمة البصر ، ولهذا دخولنا الجنة برحمة الله ، أما اقتسام الدرجات فهو بتلك الأعمال .

وهو سبحانه الرحمن الرحيم الذي يعطي عباده النعم الكثيرة، ويعفو عن التقصير في شكرها ، ويتجاوز عنهم لضعفهم : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[النحل/ ١٨] .

ومن هداه الله إلى الصراط المستقيم فقد رحمه بفضله وإحسانه العام والخاص .

ومن آثار رحمة الله في الدنيا ما يسّر للمؤمنين من الهداية إلى الحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله وتعليم شرعه للناس، والنصح للخلق، والإحسان إليهم ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

كنتم خير أمة بالعلم، بالعبادة، بالدعوة، بالصلاة، بالصيام، بالزكاة ، بالجهاد، بالرحمة، بالإيمان، بالتوحيد، بالأعمال الصالحة ، بأعمال البر كلها: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤ – ١٠٥].

فسبحان الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، فحيث ما كان خلقه كانت رحمته ، الرحمن الذي رحمته سبقت غضبه ، ورحمته عمت جميع مخلوقاته في ملكه العظيم، وظهرت آثار رحمته في ملكه ومخلوقاته ظهورًا لا يُنكَر ، حتى امتلأت برحمته أقطار السماوات والأرض ، وامتلأت بها قلوب المخلوقات حتى حنت بها المخلوقات بعضها إلى بعض ، وحنَّت بها البهائم على أولادها ، وحنت بها الطيور إلى أوْكارها .

فسبحان من جميع الخلق قاعدون على موائد نعمه ، عبيد خاضعون لربوبيته وألوهيته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠] .

عالم الجماد في خدمتنا ، عالم النبات في خدمتنا ، عالم الحيوان في خدمتنا ، فكل

ما في السماوات والأرض في خدمة هذا الإنسان ؛ ليأتي هذا الإنسان إلى ربه مختارًا ، إذا رأي عظمة ربه، وعظمة نعمه، وجميل إحسانه .

وجميع المخلوقات مسخَّرة في عبادة الله لا خيار لها ، أما هذا الإنسان فهو مختار ، الله أعطاه حرية الاختيار ، إما أن يفرّ إلى ربه، وإما أن يفر من ربه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [التغابن/ ٢] .

فما أعظم عناية الله ببني آدم، وما أعظم رحمته بهم، وإحسانه إليهم: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٢ – ٣٤].

وإذا عرفنا ذلك، ورأينا أن الله سخر لنا هذا ، فيجب أن نحب الله، ونعظم الله ، وإذا أحببناه وعظمناه، فهذه هي العبادة ، أن نعبد الله بالمحبة، ونعبده بالتعظيم ، ونلتزم بفعل أوامره واجتناب نواهيه ؛ لأنه سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

وقد ظهرت آثار رحمة الله ﷻ على بني آدم خاصة ؛ حيث خلق أباهم آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ، وأسكنه الجنة ، وجعله وذريته هم خلفاء الأرض ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، وكرمهم على غيرهم ، وزودهم بالعقول والأسماع والأبصار ، فقال سبحانه : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن/ ١-٤] .

ومن رحمته جل جلاله أن أكرم بني آدم بجميع أنواع الكرامات لأنهم تحملوا الأمانة : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

هو جل جلاله الرحمن الرحيم الذي تفضل على عباده بالخلق والإيجاد ، وأمدهم بالطعام والشراب والأقوات ، ومنّ عليهم بالعافية والأمن، والأموال والأولاد، وأصناف النعم ، هو سبحانه الرحمن الرحيم ، الذي شهد الكون كله بكمال علمه

وقدرته ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وسعة رحمته وفضله : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم/ ٥٠] .

في كل نفَسٍ يتنفسه الإنسان لله عليه منّة ، وعليه واجب الشكر ، يتنفس هذا الإنسان في اليوم أربعة وعشرين ألف نفَس ، هذا من فضل الله ورحمته عليه ، لو تأخر نفسه لمات ، فليشكر الله على هذه النعم ويقول : الحمد لله رب العالمين .

في كل نبتة في هذا الكون على الإنسان نعمة ؛ لأنه سخرها لنا ، فلنشكر الله على أن خلق لنا أنواع المطعومات، وأنواع المشروبات، وأنواع النباتات، وأنواع الحيوانات وسخرها لنا : ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٤٩ – ٥١] .

وهذه السماوات العظيمة ، وهذه الأرض الواسعة ، وهذه الجبال الشامخة ، وهذه البحار العميقة ، وهذا الفضاء الكبير ، وهذا النور العظيم ، وهذا الهواء اللطيف ، كل ذلك وغيره من آثار قدرة الله ورحمته في ملكه: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات/ ٢٠ – ٢٢] .

لماذا لا نتعرف على الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؟، فإذا عرفناه كبرناه وأحببناه وحمدناه، وعبدناه وأطعناه :

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح/ ١٣–٢٠] .

فالدنيا جسد عظيم ، وروحها الدين ، هذا الدين إكرام لي من خالقي ومالكي، ويجب أن يصبغ حياتي، فأنا عبد في أرض مولاي ، وعلي أن أمتثل أوامره عليّ: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

- **أوامر الله قسمان :**

الأول: أوامر تخص نفسي وهي خمسة أمور :

طاعات أؤديها.. ومعاصي أجتنبها.. ونعم أشكر الله عليها.. وابتلاءات أصبر عليها.. وذنوب أستغفر الله منها .

هذا عمل انفرادي بيني وبين ربي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ ﴾ [الحج/ ٧٧].

أما العمل الاجتماعي الذي كُلّفت به فإن الله أعطى هذه الأمة وظيفة الأنبياء والرسل فقال : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

- **والواجب الاجتماعي عليّ بالنسبة للناس ثلاثة أقسام :**

الواجب الأول: أن أدعو الكافر إلى الإسلام لعله يهتدي : ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣ ﴾[السجدة : ٣] .

فهذا الواجب الأول بعد الإيمان : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل/ ١٢٥] .

الواجب الثاني : جهد على العاصي ليكون مطيعاً ، وعلى الجاهل ليكون عالماً ، وعلى الغافل ليكون ذاكراً: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

والواجب الثالث : جهد على الصالح ليكون مصلحاً ، وجهد على الذاكر ليكون مذكراً ، وجهد على العالم ليكون معلماً: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾[آل عمران : ٧٩] .

وهكذا النصيحة فيما بيننا، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر ، المطلوب منا في هذه الحياة أن نستقيم ونقيم العالم على الدين ؛ فالدين خطوتان:

خطوة في العبادة وخطوة في الدعوة ، خطوة في العبادة بيني وبين ربي ، وخطوة في الدعوة بيني وبين خلقه ؛ كيف أقرب الناس إلى ربهم ؟ كيف أجمل هذا الإنسان حتى تظهر فيه الصفات التي يحبها الله ؟ .

كما اجتهد غيرنا على الحديد فاخرج منه هذه المصنوعات العظيمة من طائرات وسيارات وقطارات وغيرها ، فنجتهد على الإنسان، لتظهر فيه الصفات التي يحبها

الله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

فلا إله إلا الله كم أكرمنا بكل خير؟، وكم ملأ الكون رحمة؟، وكم أظهر من الآيات التي تدل على عظمته ووحدانيته؟.

وهذه المياه العذبة، والعيون المتفجرة، والأنهار الجارية، والبحار العظيمة والسحب المتراكمة، والأمطار النازلة ، كل ذلك وغيره من آثار رحمة أرحم الراحمين جل جلاله: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم/ ٥٠] .

وهذه الأرض المستقرة كم مواليدها في كل يوم من نباتات وأشجار ؟ مليارات المخلوقات تنبت على هذه الأرض يوميًا ، المرأة تأتي غالبا بالسنة بولد، أو بنت، أو ذكرين، أو أنثيين أو غير ذلك ، لكن هذه الأم العظيمة الكبيرة كم مواليدها من النباتات والأشجار ؟ مواليد لا يحصيها إلا الله، ولا يعلم عددها الا الذي خلقها: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٩].

في كل لحظة يولد مليارات المواليد على ظهر هذه الأرض ، نمشي في الصحراء بعد نزول المطر بأسبوع لننظر كمّ النباتات التي فيها، أنواع شتى، وألوان شتى، وثمار شتى.

من يحصيها ؟ ومن يقدر أن يشكر الله ﷻ على هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى ؟ .

بقدر ما نتعرف على الله وأسمائه وصفاته، وآياته ومخلوقاته، ثم نقدم الشكر لله، ونعبده ونطيعه، الله ﷻ يرفع هذا العبد إلى مقام عالٍ : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [الواقعة/ ١٠ - ١٢] .

لأنهم تقربوا إلى الله بالتعرف عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله، فعبدوه بموجب ذلك ، هذه جنة المعرفة التي يجب أن نصل إليها ، ولا يهمنا الناس ، إنما نحن كيف الله ﷻ يقبلنا ويتقبلنا ويرضى عنا ، وإذا رضي عنا استفدنا نحن، وكنا سبباً لهداية البشرية: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٦٢] .

وكما أن الشمس عبد مأمور ينشر النور والحرارة في العالم ، وتستفيد منها جميع الخلائق من نباتات وحيوانات وإنس وجن وغيرهم ، فكذلك هذا الإنسان يمشي بالنور، وينشر النور، حتى يوم القيامة يمشي بنوره: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

فلا إله إلا الله ما أوسع رحمة أرحم الرحمين: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر/ ٧].

وهذه الأرض الواسعة، كم مواليدها في كل يوم من نباتات وأشجار ؟ وهذه البحار الواسعة ، وهذه السهول الخصبة، والأعشاب المختلفة، والنباتات المتنوعة، والفواكه الطيبة، والثمار الزاكية ، كل ذلك وغيره من آثار رحمة أرحم الراحمين .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٤١] .

فهذه من نعم الله التي ليس لها أحد ، نحمد الله على أن خلقها لنا ، ونشكره إذا انتفعنا بها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٢] .

ننظر في الملكوت حتى نتعرف على سعة رحمة الله ﷻ ، ونعبد الله بموجب هذه المعرفة .

وهذه الطيور في السماء ، وهذه الحيوانات في الأرض ، وهذه الأسماك في البحر ، كم أعداد ذلك ؟ كم طير في السماء ؟ وكم حيوان في الأرض ؟ وهذه الأسماك في البحر لولا أن بعضها يأكل بعضاً، وأن كبارها تأكل صغارها، لتحوَّل البحر كله إلى جبال من لحوم الأسماك: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١١] .

إنها عظمة هذا الرب العظيم ، وعظمة رحمته بعباده ، كم ملأ لنا الكون والفضاء بالنعم العظيمة، وكم ملأ الكون بهذه الحيوانات التي أباح لنا من الإبل والبقر والغنم وأنواع الطيور وأنواع الحيوانات: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ

﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[البقرة/ ٢٩] .

عالم الحيوان أكثر من مليون صنف ، وعالم النبات أكثر من أربعين مليون صنف ، وعالم الأسماك في البحر أكثر من مليون صنف، وكلها مسخرة للإنسان: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان/ ٢٠].

هذه المخلوقات كلها الله ﷻ خلقها، وهي أثر من آثار رحمته بعباده ، وضيافة لخلقه ، فكم تكون الضيافة يوم القيامة ؟ كم تكون الضيافة في الجنة ؟ من يتصور هذا النعيم؟، وذلك المقام الكريم، ورؤية رب العالمين، ورضوان رب العالمين: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة/ ١٧] .

وأعظم رحمة هي نعمة هذا الدين الذي من الله به علينا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة/ ٣].

وهذه الشمس المضيئة ، وهذا القمر المنير ، هذه الشمس المضيئة ، كم درجة الحرارة في داخلها ؟ درجة الحرارة في داخل الشمس أكثر من عشرين مليون درجة ، ودرجة الحرارة خارج الشمس أكثر من ستة آلاف درجة ، واللهب الذي يخرج منها مساحته أكثر من نص مليون كيلو متر لهب نار تشتعل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[فصلت/ ٣٧] .

فهذه شمس واحدة ، والله عنده خزائن الشموس ، فكم تكون حرارة النار يوم القيامة ؟ ! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم/ ٦] .

إن الجهل بالله، والجهل بأسمائه وصفاته، والجهل بخزائنه، والجهل بوعده ووعيده، يجعل الإنسان يقدم المعصية على الطاعة ، ويجعل الإنسان يقدم الدنيا على الآخرة ، فلابد من الذكر والتذكير المستمر، لتحصل الاستقامة والطاعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾
[الأحزاب/ ٤١ –٤٣] .

هذه الشمس المضيئة، كم تنوّر في الكون وتدور على الكون وتنوره برحمة الله ﷻ ! شمس واحدة أنارت الكون ، لا تغيب أبدًا عن الكون ، تؤدي الوظيفة مستمرة في الطاعة والإضاءة : ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾ [يس/ ٣٨ – ٤٠] .

هذه الشمس هي شاهدة بوحدانية الله، ومسبحة بحمده، ومستجيبة لمشيئته ، ومطيعة لأمره، لا تستطيع أن تعمل شيئاً إلا بإذن ربها، ولكن الله ﷻ يصيبها بالكسوف ؛ لئلا يتعلق الناس بها ؛ وليظهر لعبادة أن الله ﷻ حيٌّ قيومٍ قادر، يتصرف ويدبر ملكه كيف شاء جل جلاله: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦ ﴾ [هود/ ٥٦] .

هذه الشمس المضيئة ، وهذا القمر المنير ، وهذه النجوم العظيمة ، من نثرها في السماء ؟ وكم عددها ؟ وهذا النور العظيم الذي ملأ كل شيء ، كل ذلك وغيره من آثار رحمة أرحم الراحمين .

فما أعظم رحمة أرحم الراحمين بخلقه ! وإذا كانت هذه بعض آثار رحمته في الدنيا ، فكم تكون آثار رحمته بعباده يوم القيامة ؟ وكم يكون إكرامه لأوليائه ؟ .

﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾[السجدة/ ١٥-١٧] .

يعبدون ربهم خوفًا وطمعًا لما عرفوه بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فعبدوه جل جلاله، لا يحل للإنسان أن يصرف ثانية واحدة في غير طاعة الله وفي غير عبادة الله، لأنه عبد الله.

- **فالعمر ثلاثة أقسام :**

عمر إنساني.. وعمر حيواني.. وعمر إسلامي .

فمن عاش لدنياه فقط فعمره إنساني، ومن عاش لهواه وشهوته فعمره حيواني، ومن عاش لربه ودينه فعمره إسلامي.

فالله خلقنا وهدانا واصطفانا ، فلا يجوز لنا أن نصرف ثانية واحدة في غير طاعة الله عبادة ودعوة : ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾[الأنعام/ ١٦١-١٦٣] .

ومن سلّم نفسه ووقته وماله لربه في الدنيا ؛ فالله يسلّم له قصور الجنة يوم القيامة ، ويسلم له أنواع النعيم ، ويسلم جوارحه من الآفات والأمراض ، ويجعله يعيش في دار السلام في أمان : ﴿وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧)﴾ [الأنعام/ ١٢٦ – ١٢٧] .

فهذا من فضل الله علينا أن منّ علينا، واختارنا ومنّ علينا بهذه النعمة العظيمة، وهدانا للإسلام جل جلاله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧)﴾ [الحجرات/ ١٧] .

هذا الدين العظيم من رحمة الله ﷻ ، بل هو أعظم نعم الله على خلقه، هذه رحمة الله العامة لكل الخلق ، تلك النعم المادية التي ذكرناها ، أما رحمة الله الخاصة فهي الدين القيم الذي خصنا به، وشرح صدورنا للإسلام ، وملأ قلوبنا بالإيمان ، وحبب لنا الطاعات ، وأعاننا على ذكره وشكره، وحسن عبادته ، وأعد لنا الأجر والمثوبة على ما هدانا إليه، وهذا كله من رحمته وإحسانه إلى خلقه : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣)﴾[المائدة/ ٣] .

فسبحان الرحمن الرحيم الذي ظهرت آثار رحمته في أمره وشرعه ظهورًا تشهده الأبصار والبصائر، ويعترف به أولو الألباب والعقول، فدينه كله نور ورحمة، وهدى وشفاء، موصلٌ إلى أجل رحمة وكرامة وهي الجنة، ومقرب إلى أعظم مقصود ومطلوب وهو الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥)﴾[القمر/ ٥٤-٥٥] .

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)﴾

[مريم/ ٨٥ – ٨٦].

هذا فضل الله ﷻ علينا أن منّ علينا بنعمة الإسلام، وهدانا للإسلام ، ولكن هذا الدين أمانة عظيمة، الله ﷻ منّ علينا بها، وأكرمنا بالقيام بها عبادة ودعوة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا

﴿ ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الأحزاب/ ٧٢] .

لماذا هذه الأمانة ؟ هذا هو الدين الذي آتي إليه اختيارًا، وأنا قادر ألا أذهب إليه ، فإذا جئت إليه اختيارًا الله ﷻ يجعل مقامي أعظم المقامات ، ويجعل الملائكة في خدمتي يوم القيامة : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الرعد/ ٢٣-٢٤] .

لأن طاعات الملائكة بالتسبيح والتهليل كطاعة الشمس بالإنارة، وطاعة الأرض بالإنبات ، مخلوقات مسخرة ، أما أنا فقد جئت إلى الله اختيارًا ، وقدمت هداه على هواي ، وقدمت دينه على شهواتي ، فالله ﷻ يرفع مقامي في الدنيا والآخرة بعبادته، والفوز بجنته، والنجاة من عذابه.

ويكرمني أرحم الراحمين في الدنيا والآخرة بثمان كرامات هي :

في الدنيا أعيش في الأمن : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام/ ٨٢] .

والله ﷻ يهديني إلى صراط مستقيم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت/ ٦٩] .

ويكرمني جل جلاله بدخول الجنة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل/ ٩٧] .

ويدخلني الجنة جل جلاله ، والخلود في الجنة، وكمال النعيم في الجنة ، ورضوان الرب، والقرب منه، وسماع كلامه ، هذه كلها كرامات من ربنا لهذا المؤمن الذي قدم أمر الله على شهوات نفسه ، وأكمل محبوبات الرب وأخّر محبوبات النفس ، فمن أكمل محبوبات الرب في الدنيا ؛ الله يكمل محبوباته يوم القيامة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة/ ٧٢].

وكما عاش هذا المؤمن في الدنيا عبداً لله، فإنه يعيش يوم القيامة ملكاً بالقرب ممن خلقه وهداه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾

[القمر/ ٥٤ — ٥٥].

هذا من فضل الله علينا ، ونحمده جل جلاله على أن منّ علينا بمثل هذا المجلس المبارك ، الذي حضرته معنا الملائكة ، وسمعنا ربنا ﷻ، وشهد كلامنا وعلم بمن يستمع، ومن يتكلم ، وعلم ما في قلوبنا: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة/ ٧] .

نسأله ﷻ أن يجعلنا هداةً مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، وأن يجعلنا كالشمس في الإضاءة، وكالقمر في الإنارة، نمشي في العالم، وننير العالم بنور الأبصار والبصائر والعقول، وننشر النور الذي جاء به محمد ﷺ ونبلغه للبشرية إلى يوم القيامة: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم/ ٥٢] .

فلله الحمد على هذا الدين العظيم، وعلى هذا الإكرام الجزيل في الدنيا والآخرة.

الله ﷻ خلق هذا الإنسان، وجعله أفقر المخلوقات إليه ، ومَنّ عليه برحمته بنعمٍ لا تُعد ولا تُحصى ، والله ﷻ هو صاحب المنّة والفضل على خلقه أجمعين ، خاصةً بني آدم : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾[النساء/ ٨٣] .

والله تبارك وتعالى هو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، ورحمة الله جل جلاله تتجلى على الخلائق عامة، وعلى الإنسان خاصة ، تتجلى ابتداءً في خلق الإنسان، وفي وجود البشر أنفسهم ، وفي نشأتهم من حيث لا يعلمون ، وفي تكريم الإنسان على كثيرٍ من العالمين : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/ ١ - ٣] .

وتتجلى رحمة الله في تسخير ما في هذا الكون العظيم من النعم والطاقات ، والقوى والأرزاق ، والماء والهواء ، والحيوان والنبات والجماد وغير ذلك مما يتقلب فيه الإنسان من النعم كل لحظة : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء/ ٧٠] .

وتتجلى رحمة الله ﷻ في تعليم الإنسان ما لم يعلم مما يحتاجه في حياته : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل/ ٧٨] .

وتتجلى رحمة الله كذلك في رعاية الله لهذا الإنسان بعد استخلافه في الأرض ، بموالاة إرسال الرسل إليه بالهدى كلما نسي أو ضل، ويأخذه بالحلم كلما لجّ في الضلالة والجهالة .

فالله ﷻ أرسل رسله تترًا لبيان الحق، والعمل به ، وكلما ضل الناس الطريق، وأعرضوا عن الحق، ووقعوا في الباطل ، فمن رحمة الله أن أرسل إليهم الرسل: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾[البقرة/ ٢١٣].

وتتجلى رحمة الله كذلك في عطائه جل جلاله ، في مجازاته العبد على السيئة بمثلها ، ومجازاته على الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة ، ومحو السيئة بالحسنة أو العفو عنها : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[الأنعام/ ١٦٠] .

وتتجلى رحمة الله كذلك في تجاوز الله عن سيئات العباد إذا عملوها بجهالة ثم تابوا وأنابوا إلى ربهم ، وبكتابة الرحمة على نفسه جل جلاله : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام/ ٥٤] .

فالله جل جلاله هو الرحمن الرحيم ، الذي وسعت رحمته كل شيء ، واستوى على أعظم المخلوقات وأوسعها وهو العرش ، بأوسع الصفات وهي صفة الرحمة ، فقال سبحانه : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه/ ٥] .

وأعلمنا بذلك، لنعلم أنه هو الرحمن الرحيم ، فنسأله أن يرحمنا في كل وقت.

وقد أنزل الله في القرآن سورة كاملة باسمه الرحمن ، ومطلعها : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾[الرحمن/ ١-٤] .

وهذه السورة العظيمة معرَضٌ لآلاء الرحمن، ومخلوقاته العظيمة، وتدبيراته العجيبة، ومظاهر رحمته التي تبلغ كل عقل، وكل سمع، وكل بصر، وتملأ فضاء السماوات والأرض، والدنيا والآخرة، وعالم الغيب وعالم الشهادة.

هذه النعمة العظيمة إنزال القرآن وتعليمه تسبق في الذكر خلقَ الإنسان، وتعليمه البيان ، فهذا القرآن العظيم نعمة كبرى من ربنا ﷻ، بل هو النعمة الكبرى على

البشرية كلها، تتجلى فيه رحمة الرحمن للإنسان وآلائه ومخلوقاته .

وهذا القرآن منهج الله للبشرية إلى يوم القيامة الذي يصلهم بربهم ، وينظم أحوالهم ومعيشتهم وفق أمر ربهم ، ويفتح عقولهم وحواسهم ومشاعرهم على هذا الكون العظيم الجميل، ومبدعه الذي شمل خلقَه برحمته ولطفه .

القرآن العظيم الذي فيه تبيان كلِّ شيء يبين للبشرية أنهم خلفاء في الأرض، يعمرونها بإقامة دينه، والدعوة إليه﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٥] .

ويبين أنهم كرامٌ على الله ، وأنهم حمَلة الأمانة التي أشفقت منها السماوات والأرض والجبال ، ويُشعرهم بقيمتهم التي يستمدونها من تحقيق إنسانيتهم العليا بالإيمان بالله ؛ ومن ثَمّ قدّم تعليم القرآن على خلق الإنسان في هذه السورة.

فبالقرآن يتحقق في هذا الكائن معنى الإنسان ، وبدونه يسقط هذا الإنسان إلى أقل من رتْبة الحيوان .

- **ثم يذكر سبحانه خلقَ الإنسان وتكريمه بالصفة الإنسانية الكبرى وهي البيان :**

البيان النطقي . والبيان الخطّي . والبيان الإشاري الذي امتاز به الإنسان على غيره من المخلوقات .

البيان النطقي مثل : هذا الكلام الذي نتكلم به، والذكر، وتلاوة القرآن .

والبيان الخطّي : الكتابة بأيدينا .

والبيان الإشاري : الإشارة باليد أو الإشارة بالرأس .

أعطي الرحمن للإنسان هذه النعم الكبرى الثلاث في البيان ؛ لأنه مؤهل ومُكلَّف بالذكر والتسبيح والتقديس لربه، وبعبادة ربه، وبالدعوة إلى دينه، وبتعليم شرعه، وبالإحسان إلى خلقه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [غافر/ ٦٤].

ثم الرحمن الرحيم في هذه السورة يفتح صحائف الوجود الناطقة بآلاء الله ونعمه، ومظاهر رحمته ، الشمس والقمر، والنجم والشجر ، والسماء المرفوعة ، والميزان

الموضوع ، والأرض وما فيها من مظاهر رحمته ، وخلق الجن والإنس .
ثم يعرض نعمة المشرقيْن، والمغربيْن ، والبحريْن وعدم امتزاجهما ، وعجائب ما يخرج منهما ، وما يجري فيهما وعليهما من الجواري وهي السفن .
فلما تم عرْض هذه الصحائف الكبار والمخلوقات العظام ، عرَض سبحانه مشهدًا عظيمًا، وهو مشهد فناء جميع هذه المخلوقات بأمره وقدرته ، ومشهد البقاء المطلق لله ذي الجلال والإكرام كما قال سبحانه : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾[الرحمن/ ٢٦-٢٧] .
وفي ظل هذا الفناء المطلق للخلائق، والبقاء المطلق لله ﷻ، يجيء التهديد المروّع للإنس والجن : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣١)﴾[الرحمن/ ٣١] .

- **سيُسأل هذا الإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض عشرة أسئلة :**

من ربك ؟.. وما دينك ؟.. ومن نبيك ؟ .
ويُسأل الإنسان : «**عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ ، وَعَنْ مَالِهِ فِيمَا أَنْفَقَهُ**»أخرجه الترمذي[1] .
ويُسأل الناس كلهم ماذا أجبتم المرسلين : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥)﴾ [القصص/ ٦٥] .
وماذا كنتم تعملون ؟: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ [الحجر/ ٩٢-٩٣] .
﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ [الأعراف/ ٦-٧] .
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾[الحجر/ ٩٢-٩٣] .
جزاء هذه الخلافة في هذا الكون، سيُسأل الإنسان على قدْر النعمة، وعلى قدر العطاء الإلهي لهذا الإنسان، وعلى قدر هذا التكريم في هذه الدنيا: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)﴾ [المؤمنون/ ١١٥] .
سيسأل عن ذلك الرسل، ومن أرسلوا إليه: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧) وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ

(١)حسن/ أخرجه الترمذي برقم: ٢٤١٦.

مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف/ ٦-٩].

والله جل جلاله غفور رحيم يفرح بتوبة العبد إذا تاب إليه أعظم فرح وأكمله ، ويكفّر عنه سيئاته ، ويوجب له محبته إذا تاب ، وهو سبحانه الرحيم الذي ألهمه إياها، ووفقه لها، وأعانه عليها، وقبلها منه، وأثابه عليها ، لأنه الرحمن الرحيم بعباده : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[البقرة/ ١٦٣] .

فما أعظم رحمة الله بمن أطاعه وعصاه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[المائدة/ ٣٩] .

ومن آثار رحمته سبحانه أنه ملأ سماواته السبع بملائكة يسبحون بحمد ربهم ، سماءٌ عظيمة مملوءة كلها بالملائكة التي تسبّح بحمد ربها ، فما في السموات موضع شبر إلا وفيه ملَك قائم أو راكع أو ساجدٌ لله ﷻ .

فهؤلاء الملائكة : ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء/ ٢٠] .

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم/ ٦] .

هؤلاء الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم هم يستغفرون لأهل الأرض .

والله ﷻ استعمل حملة العرش ومن حوله من الملائكة في التسبيح بحمده سبحانه، وفي الدعاء لعباده المؤمنين والاستغفار لذنوبهم، ووقايتهم عذاب الجحيم، والشفاعة لهم عند ربهم، ليدخلهم الجنة كما قال سبحانه : ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾[غافر/ ٧-٩] .

سبحان الله ! كم من الملائكة يستغفرون لنا، ويسبحون بحمد ربهم، ويعتذرون لنا ، هذا من كمال رحمة الله ﷻ بنا ، فهو أرحم الراحمين، ورحمته وسعت كل شيء.

فما أعظم هذه العناية من الرب الرحيم جل جلاله بعباده المؤمنين ! وما أجمل هذا الإحسان من المولى الكريم ! وما أعظم هذه الرحمة من الرحمن الرحيم ! وما أجمل

هذا التحنّن والعفو والتحبّب إلى العباد، وحسن الترفّق بهم !: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

ألا ما أعظم رحمة الله بعباده ، فمع خلقهم، وتأمين أقواتهم، وقسمة أرزاقهم ، خلق سبحانه ملائكة يدعون لهم، ويستغفرون لهم، ويشفعون لهم عند ربهم ، ومع هذا كله أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وتعرف إليهم بأسمائه وصفاته ، وتودد إليهم بآلائه ونعمه ؛ ليدعوه بأسمائه وصفاته ، ويسألوه بموجبها: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢] .

ومع هذا كله الله ﷻ رحمنٌ رحيم بعباده ، ينزل سبحانه كل ليلة إلى السماء الدنيا ؛ إكراما للمؤمنين، واحتفاءً بهم ، ويستعرض حوائجهم بنفسه ، ويدعوهم إلى سؤاله وعطائه كما قال النبي ﷺ : « **يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخر ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ** »متفق عليه(١) .

والله ﷻ إنما يرسل رسله رحمةً بالعباد ؛ فهو غني عنهم، وعن إيمانهم وعبادتهم له ، وإذا أحسنوا وآمنوا فإنما يُحسنون لأنفسهم في الدنيا والآخرة: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦].

والناس والخلائق كلهم باقون برحمة الله ومشيئته ، وأمرهم كلهم بيده سبحانه : ﴿ **وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾** ﴾[الأنعام/ ١٣٣] .

معرفة العبد برحمة الله الشاملة بعباده تملأ قلبه بالطمأنينة إلى ربه ، لا في حال السراء والضراء ، لا في حال السراء والنعماء فحسب، بل وهو يمر بفترات الابتلاء في الضراء والبأساء التي تزيغ فيها القلوب والأبصار .

فالمؤمن يستيقن أن رحمة الله وراء كل لمحة، وكل حالة، وكل وضع، وكل تصرف .

ويعلم أن ربه الرحمن الرحيم لا يعَرضه للابتلاء، لأنه تخلى عنه، أو طرده من رحمته ؛ فإن الله لا يطرد من رحمته أحدًا يرجوها ، إنما يطرد الناس أنفسهم من هذه الرحمة حين يكفرون بالله، ويرفضون رحمته، ويزيغون عنها: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٦٣٢١، واللفظ له، ومسلم برقم: ٧٥٨.

﴿ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٥٣] .

والطمأنينة إلى رحمة الله تملأ القلب بالثبات والصبر، والرجاء والأمل، والهدوء والراحة ، لماذا ؟ لأنه في كَنَف ربٍّ رحيم ودود : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨ – ٢٩].

وهو سبحانه الملك المالك لكل شيء ، لا ينازعه منازع، ولكنه فضلًا منه ومِنة كتب على نفسه الرحمة ، وأخبر عباده بما كتبه على نفسه من الرحمة ، وهذا من كمال عنايته بعباده ، فإن إخبارهم بهذه الحقيقة تفضلٌ آخر ، الله كتب على نفسه الرحمة وهو الرحمن الرحيم ، وأخبر عباده أنه كتب على نفسه الرحمة ، فهذا تفضل آخر من الرحمن الرحيم: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٤] .

ورحمة الله بعباده هي الأصل ، حتى في ابتلائهم أحيانًا بالضراء والبأساء ، فهو سبحانه يبتليهم، ليُعدّ طائفة منهم بهذا الابتلاء، لحمْل أمانته بعد الخلوص والتجرد والتهيؤ عن طريق هذا الابتلاء ؛ ليميز الخبيث من الطيب في صف المؤمنين ، وليعلم الصادق من المنافق، وليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وليعرف من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٢ – ٣] .

ففي جوف الابتلاء كل إكرام واصطفاء: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥ – ١٥٧]

وقد أرسل الله رسوله محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين ، فهو أرحم الناس بالخلق كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

فهو ﷺ رحمةٌ لكل أحد ، لكنّ المؤمنين قبلوا هذه الرحمة، فنالوا بها السعادة في الدنيا

والآخرة ، والكفار ردّوها فلهم الشقاء في الدنيا والآخرة .

ورفع الله برسالة محمد ﷺ العذاب العام عن أهل الأرض بهذه الرحمة التي مَنّ الله بها على نبيه محمد ﷺ: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

فالله ﷻ علّم آدم الأسماء كلها ، وربّى أنبياءه ورسله، وأعطاهم أحسن الصفات، وأحسن الأقوال، وأحسن الأعمال ، فالله ﷻ فرّق الصفات الحسنة في الأنبياء، ثم جمعها في سيّد الأنبياء محمد ﷺ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

فنحن علينا أن نجتهد حتى ننشر هذه الثمرات، وهذه الأخلاق، في الأمة، ثم نوظفها للدين ؛ عبادةً لله، ودعوةً إليه، وتعليمًا لشرعه، وإحسانًا إلى خلقه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

بهذه الرحمة التي منّ الله بها على نبيه ﷺ انتشر الدين، وقبله الناس، وأحبوه، وجاهدوا في سبيله ، وبذلوا وتركوا كل شيء من أجله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] .

لأنهم سوف يتحملون هذه الأمانة من بعده، وسيقومون بالوظيفة التي أرسلك الله بها، فكن لينا بهم، واعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، لأنهم هم الذين سيقومون بالعمل من بعدك : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح/ ٢٩].

ورحمة الله ﷻ وسعت كل شيء وشملت كل أحد ، المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي ، فهو سبحانه الرحمن الرحيم الذي عم الخلق كلهم برحمته ، فسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، والشمس والقمر، والبر والبحر، والماء والجماد،

والنبات والحيوان، والهواء والرياح، كل ذلك خلقه الله، وسخر منافعه للناس، ليعرفوا من سخره لهم، فيؤمنون به، ويعبدونه وحده لا شريك له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [البقرة/ ٢١ – ٢٢] .

وهذه النعم يستفيد منها المؤمن والكافر على حدٍ سواء ، وهي مسخرة للإنسان، ولا خيار لها ؛ لأنها من عطاء الربوبية الذي مَنّ الله به على جميع مخلوقاته : ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠ ﴾[لقمان/ ٢٠] .

التعبد لله عز وجل باسمه الرحمن.. الرحيم

من عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة، عظمه وكبره، وأحبه ومجده، وحمده وشكره، وسارع لامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتخلق بالصفات التي يحبها .

- **وللتعبد بهذا الاسم الكريم لابد من معرفة ثلاثة أمور :**

الأمر الأول : معرفة الرحمن جل جلاله بأسمائه وصفاته وأفعاله .

الأمر الثاني : معرفة الرحمة ومسالكها في العالم .

الأمر الثالث : معرفة المرحوم ، من هو ؟ وماذا يُراد منه ؟ وماذا يريد من ربه ؟

فأعظم من اختصه الله بالرحمة هو الإنسان ، وآثار رحمة الله امتلأ بها الكون كله : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[الروم/ ٥٠] .

ومفاتيح أبواب الرحمة بيد الله الرحمن الرحيم: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[فاطر/ ٢].

فحيثما كان مُلكه كان علمه، وكانت رحمته، وكانت قدرته ، فهو سبحانه الرحمن الرحيم الذي ملأ الكون برحمته ورزقه، وفضله وإنعامه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام/ ١٠٢ –١٠٣] .

فرحمة الرحمن الرحيم تشمل الخلق كلهم في الدنيا ، أما في الآخرة فإن الله ﷻ يطرد من رحمته من لم يؤمن، به ولم يشكر نعمه من الكفار والمشركين والمنافقين، ولا تشمل رحمته في الآخرة إلا عباده المؤمنين به ، ففي الدنيا كثرت متعلقات الرحمة للإنسان والحيوان ، وللمؤمن والكافر ، وللمطيع والعاصي ، وفي الآخرة قلت متعلقات الرحمة ، وإن كانت صفة الرحمة ثابتة لم تتغير ولم تتبدل ، ولو أن الكفار والمشركين أطاعوا ربهم لوسعتهم رحمة الله في الآخرة ، ولكنهم حرموا أنفسهم منها بكفرهم وشركهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[العنكبوت/ ٢٣] .

ومن رحمة الله بعباده أنه كلما زاد عددهم كشف الله لهم من العلم ما يمكنهم من سهولة الحياة، وزيادة الإنتاج، وسهولة الحصول عليه كما هو حاصلٌ في كل زمانٍ ومكان خاصةً في زماننا هذا ، كم فتح الله لنا من العلوم في علم الصناعة ، في علم الزراعة ، وفي علم التجارة، وفي علم العمارة .

كم فتح الله علينا من هذه الفتوحات ! وكم فتح الله لنا من الجُهد على الحديد ، ومن الجهد على التراب ، ومن الجهد على النباتات ! كم فتح الله علينا هذه الفتوحات ! كله تسهيلًا لهذا الإنسان ليعيش في أمنٍ وطمأنينة ، وليتفرغ لعبادة ربه والدعوة إلى دينه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾[البقرة/ ١٤٣] .

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل/ ٥٣] .

ورحمة الله لعباده بدخولهم الجنة ليس على قدْر أعمالهم ؛ إذ أعمالهم لا تستقلّ باقتضاء الرحمة، وحقوق عبوديته وشكره التي يستحقها عليهم لم يقوموا بها كما يجب ؛ لعظمته وجلاله وعظمة سلطانه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧ ﴾[الزمر/ ٦٧].

فالله ﷻ لو عذب الخلائق والحالة هذه ؛ لكان تعذيبه بحق جل جلاله ، وهو سبحانه غير ظالم لهم فيه ، فإن أعمالهم لا توازي القليل من نعمه عليهم ، فتبقى نعمه الكثيرة لا مقابل لها من شكرهم وأعمالهم: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٨ ﴾[النحل/ ١٨] .

ثم إن الله هو الذي خلقهم، وهو الذي هداهم، وهو الذي بين لهم الدين ، وهو الذي أعانهم عليه ، وهو الذي قبله منهم ، وهو الذي ضاعف أجورهم، وهو الذي دلهم عليه، فله الحمد أولًا وآخرًا ، وله المنة والفضل قبل العمل، وأثناء العمل، وبعد العمل ، فالحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى ، خاصة على هذا الإنسان: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠ ﴾[الإسراء/ ٧٠] .

فإذا عذب الله الناس على عدم شكرهم، وترك أداء حقه الذي يجب له عليهم ؛ لم

يكن ظالمًا لهم ، فإن المقدور للعبد من الطاعات لا يأتي به كله ، بل لابد من فتورٍ وإعراضٍ، وغفلة وتوانٍ، وتقصير وتفريط: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠] .

ولهذا أمرنا الله ﷻ بالاستغفار بعد العبادات الكبار، وفي كل وقت: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

والله ﷻ أعطانا كل الوقت، كل يوم أربعة وعشرين ساعة، أخذ منها ساعة واحدة للصلاة والباقي ثلاث وعشرين ساعة كلها للإنسان يعمل فيها ما يشاء حسب أمر ربه .

كذلك أعطانا الله ﷻ في السنة ثلاثمائة وستون يوماً ، أخذ منها شهرًا واحدًا للصيام ، والباقي كله للإنسان .

كذلك الله ﷻ أعطانا العمر كله ، وأخذ منه ستة أيام لأداء فريضة الحج للقادر ، وباقي العمر كله للإنسان .

فأوقات العبادات محددة، وأوقات الدعوة مطلقة غير محددة، تشريفا لهذه الأمة التي شرفها الله بعمل الأنبياء: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

فالله ﷻ أرحم الراحمين ، ورحمته وسعت كل شيء ، وتتجلى رحمته على خلقه في تكريم هذا الإنسان، والعناية به، والاحتفاء به، والإنعام عليه ، وإسعاده في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢] .

فالله ﷻ هو الرحمن الرحيم ، ولذلك الله ﷻ أمرنا في كل صلاة فريضة أو نافلة أن نقرأ سورة الفاتحة في كل ركعة : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة/ ١-٧] .

الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى .

كذلك في يوم المرض العبودية لا يوفيها العبد حقها الواجب لها، من كمال المراقبة لله، والإجلال له، والتعظيم له، والإتيان بالواجبات والسنن، وتكميل العمل ظاهرًا وباطنًا ، فالتقصير لازم لكل إنسان في حال الترك، وفي حال الفعل ، وهذا هو السر في كون العبادات الكبار من صلاة وصوم وحج تُختم بالاستغفار ، نحن بعد السلام من الصلاة نقول : أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله ؛ لأن هذه الصلاة التي أديناها لا تليق بجلال الله ، قَصَّرْنا في القيام والركوع والسجود ، قصرنا في الأقوال والأعمال ، قصرنا في الأعمال القلبية من الخشوع والانكسار والتضرع لله ﷻ ، قصرنا في متابعة السنن ، قصرنا في الإطالة ، قصرنا في أدائها في وقتها ، قد يؤخر الإنسان الصلاة عن وقتها ، لهذا أمرنا الله بالاستغفار .

والله ﷻ غفورٌ رحيم ، فهو غفار، وأعلن لخلقه أنه غفار ، والمغفرة إنما تكون لمن أذنب، فالله ﷻ يأمرنا بأن نستغفره ونسترحمه ، لأنه الرحمن الرحيم، وهو الغفور الرحيم جل جلاله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام/ ٥٤].

ثم إن العبد لو أتى بكل ما يقدر عليه من الطاعات ظاهرًا وباطنًا، فالذي ينبغي لربه فوق ذلك، وأضعاف أضعافه ، فإن قصر في ذلك فحُكمه ما يترتب عليه من الجزاء ، فإذا حُرم جزاء ما لم يأت به مما يجب لربه ؛ لم يكن الرب ظالمًا له ؛ لأن الله هو الذي خلقه وهداه، ويسّر له العمل، وأثابه عليه، والعبد هو الذي قصر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠] .

فكل النعم منه جل جلاله ، وإنما نحن نعيش برحمة الله ، ولكننا عبيدٌ من عبيده ، خلقنا الله مختارين نطيع ونعصي، والملائكة طاعات بلا معاصي ، والشياطين معاصي بلا طاعات ، ونحن رُكّبت فينا الشهوات فأرواحنا تحب امتثال الأوامر ، وأنفسنا تُحب أن ترتع في الشهوات ، ونحن في ابتلاء من ربنا ﷻ ؛ ليعلم الله من يأتي إليه اختيارًا ممن لا يأتي إليه وهو قادر، ويعلم من يتبع هدى ربه ممن يتبع هوى نفسه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥] .

فالملائكة وجميع المخلوقات تطيع ربها إجبارًا وتسخيرًا ، أما نحن نأتي إليه اختيارًا ،

ومن يأتي إليه اختيارًا وهو قادرٌ ألا يأتي فهو أعظم منزلةً ممن جبله الله على الطاعة والتسبيح لربه ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

الله ﷻ هو الرحمن الرحيم إذا أعطى هذا الإنسان الثواب ؛ كان مجرد صدقة منه وفضلٌ ورحمة، لا عوضًا عن عمله ، والعبد مملوك لا يستحق شيئًا على سيده ، فإن أعطاه شيئًا فهو إحسان منه وفضل ، العبد لا يستحق على سيده شيئا ، لأنه عبد مملوك ، فإذا أعطاه سيده شيئاً فهذا فضلٌ منه وإحسان .

فنحن عبيد لا نستحق على ربنا شيئًا ، كما قال الرسول ﷺ : «**لَنْ يُدخِل أَحَدُكُمْ عَمَلِهِ الجَنة ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ ، إِمَّا مُحْسِنٌ ، فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ خَيْرًا ، وَإِمَّا مُسِيءٌ لَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ**»متفق عليه(١) .

فالرحمة صفة عظيمة للرب تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى الإنسان، وإن كرهتها نفسه، وشقّت عليه هذه الرحمة ، فأرحم الناس بك أيها الإنسان من أخذ بك إلى ما يُصلحك، وإن كرهت ذلك نفسك .

فمن رحمة الأب بولده أن يُكرهه على التأدب بالعلم والعمل، وأن يصرفه عن هواه الذي يضره ، وأن يمنعه من الشهوات التي تفسده، ومتى أهمل ولده ؛ كان لقلة رحمته به ، وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه، فهذه رحمة مقرونة بجهل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة/ ٢١٦] .

ولهذا كان من سمات رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد ؛ فإنه سبحانه أعلم بمصلحة عباده ، فابتلاؤه للإنسان وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته من كمال رحمة الله به ، ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلائه ، ولا يعلم أنه محُسن إليه بابتلائه وامتحانه ، فما أصاب العبد فهو من تمام رحمة الله به، لا

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٦٤٦٣، واللفظ له، مسلم برقم: ٢٨١٦.

من بُخله عليه جل جلاله، فإن الله إنما يبتلي ليعافي ويربي، لا ليعذب ويؤلم.
كيف وهو سبحانه الجواد الكريم الرحمن الرحيم الذي له الجود كله ؟ ! وجود جميع الخلائق بجانب جوده أقل من ذرة في جبال الدنيا ورمالها ، بل جود جميع الخلائق كلهم من جوده ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣] .
فمن رحمة الله ﷻ بعباده ابتلاؤهم بالأوامر والنواهي، رحمةً لهم وحماية لهم ؛ فالأوامر تُرقّيهم في الدرجات ، والنواهي تحميهم من المهلكات: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر/ ٧].
فما أمر الله ﷻ بأمر إلا أقدرنا عليه ، وما نهى عن الشيء إلا أغنانا عنه ؛ لأنه هو الرحمن الرحيم الحكيم العليم بما يُصلح عباده ، فهذه الأوامر والنواهي والابتلاءات لا حاجة منه سبحانه إليها بما أمرنا به ؛ فهو الغني الحميد ، ولا بُخلا منه علينا بما نهانا عنه ؛ فهو الجواد الكريم وهو العليم الخبير جل جلاله ، ومن رحمته سبحانه أن نغص علينا الدنيا وكدّرها ؛ لئلا نَسكُن إليها، ولا نطمئن بها ، لكي نرغب في النعيم المقيم في دار جواره جل جلاله .
الله ﷻ يسوق عباده الذين اصطفاهم لجنته وعبادته يسوقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان ، فمنعهم جل جلاله ليعطيهم ، وابتلاهم ليعافيهم ، وأماتهم ليحييهم جل جلاله : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥ – ١٥٧] .
الذين صبروا على طاعة الله ، وصبروا عن معصية الله ، وصبروا على أقدار الله .
هؤلاء يكرمهم الرحمن بثلاث كرامات: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٧].
والله ﷻ هو أرحم الراحمين ، فلا يبتلينا إلا بما يصفينا ، فالذهب والحديد إنما يخرج صافيًا إذا أُذيب بالنار ، فنحن كذلك بهذه الابتلاءات نعرف ربنا، ونتوجه إليه، ونسأله ونضطر إليه، ونفتقر إليه بالتوبة ، فما من مصيبة تحل بالإنسان، ثم يدعو ربه

ويكشفها ، أو ما من نعمة يعطيها الله من مالٍ أو ولدٍ أو سمعٍ أو بصرٍ، إلا والله ﷻ يريد من عبده ما يُرقّيه ويُسعده ، فالله ﷻ بعد المصائب إذا دعاه عبده فكشفها، وبعد النعم إذا أنزلها الله على عبده ، الله ﷻ بهذه وهذه أكرم عبده،وذكره به وبرحمته، فالنعم والمصائب ليست مقصودة لذاتها ، إنما المقصود تحصيل سبعة أمور:

فنحن بهذه الطاعات التي منّ الله بها علينا، وبهذه الأوامر الإلهية، الله يريد منا :

أن نذكر الله كثيراً..وأن نصل إلى الله.. وأن نُعظم الله ﷻ.. وأن نحب الله..وأن نوحد الله.

وإذا ذكر العبد ربه أطاعه ولم يعصه، وتوكل عليه وحده.

فالله ﷻ هو أرحم الراحمين ، ورحمته وسعت كل شيء ، خاصة على هذا الإنسان في خلقه، وفيما حوله من الآيات الكونية المنثورة في هذا الكون ، ومن إنزال القرآن عليه ، ومن تكريمه بإرسال الرسل إليه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣] .

- **فإذا ابتلانا ربنا بالمصائب، أو أنعم علينا بالنعم، فإنما يريد من عبده تحصيل سبعة أمور :**

الأول: يريد من كل إنسان أن يتوب إلى ربه.

الثاني: يريد من كل إنسان أن يزيد إيمانه بربه، وذكره له.

الثالث: أن يزيد حبه لربه ، فإذا أصابه بالمرض ثم شفاه ، أو أصابه بأي ابتلاء ثم كشفه عنه ؛ يزيد إيمانه بربه ، ويزيد حبه له ؛ لأنه كشفه عنه .

الرابع: أن يزيد حمده لله ؛ لأنه أنعم عليه بنعم متوالية ، نعمة السمع، والبصر ، والعقل، والهداية، والمال ، والولد والأرزاق ، والأمن والعافية .

الخامس: أن تزيد عبادته لربه، لأنه كلما عرف عظمته وإحسانه زاد في عبادته .

السادس: أن يزيد تعظيمه لربه في كل حال، لأنه وحده الذي يقلب الأحوال .

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة/ ٥١].

السابع: أن يزيد تكبيره لله لما يراه من جلاله وعظمته ورحمته.

فهذه النعم، وهذه المصائب، ليست مقصودة لذاتها ؛ فالله ﷻ أرحم الراحمين ، ولا

يسلط على عبده ما يؤذيه ، بل يحتفي به ويُكرمه ، ولذلك خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه في أرضه، وأطعمه من رزقه، وأنزل عليه كتابه، وأرسل إليه رسله ، فهو أرحم الراحمين ، ورحمته لا تنفكّ عن العبد أبدًا كما لا تنفك عن أي مخلوق في الكون، فهي لا تنفك عن هذا الإنسان خاصة أبدًا ، ولكن الله يربيه بالنعم والمصائب ، لماذا ؟

ليحقق هذا العبد ما يسعده في الدنيا والآخرة ، فيزيد إيمانه بربه . . ويزيد حبه لربه . . ويزيد حمده لربه . . ويزيد تعظيمه لربه . . وتزيد طاعته وعبادته لربه جل جلاله ، هذا هو المقصود من هذه الابتلاءات: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن/ ١١] .

الذي جاء بالمرض هو الله ، والذي يزيده هو الله ، والذي يرفعه هو الله ، الذي يغفر الذنوب هو الله ، والذي يفقر الإنسان هو الله ، والذي يغني الإنسان هو الله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

هو بيده ملكوت كل شيء ، بيده العزة والذلة ، والغنى والفقر ، والأمن والخوف ، والصحة والمرض ، بيده ملكوت كل شيء ، ولهذا نحن نقع في الشرك إذا توجهنا إلى غير الله حينما تحل بنا مصيبة ، دائما نَفِرّ إلى الله : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات/ ٥٠-٥١] .

المخلوق مخلوق مفعول، لا يمكن أن يكون فاعلاً أبدًا : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران/ ١٥٤] .

﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف/ ٥٤] .

فهذه جنة المعرفة، إذا دخل فيها الإنسان في هذه الدنيا ؛ أنس بربه، واستوحش من غيره وتلذذ بطاعته وعبادته، وأشغل وقته بذكره وشكره ، وقام ليله بـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾[المزمل/ ١ -٤] .

وقام في نهاره بـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴿٥﴾ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر/ ١ -٧] .

واشتغل بأحسن الوظائف : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت/ ٣٣] .

وحفظ وقته بأحسن الأعمال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج/ ٧٧].

الطعام والشراب يشترك فيه الإنسان مع الحيوان ، والعلوم الإنسانية من طبٍّ وهندسة وغيرها من العلوم نشترك فيها مع الكفار ، أما الإيمان فهذا خاص بالمؤمنين، نشترك فيه مع الملائكة ، هذا خاص بالمؤمنين ، وهذه نعمة كبرى أن الله اختارنا، وجعلنا في قبضة اليمين ، فلنحمد الله على هذه النعمة العظيمة ، لو شاء لجعلنا من أهل النار ، لجعلنا من الكفار ، ولكن الله مَنّ علينا واجتبانا: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[الحديد/ ٢١].

والبشرية كلها الله ﷻ اصطفى منها مجموعة خاصة مميزة هم المؤمنون ؛ لما يعلمه من صلاحيتهم للدين، وأهليتهم للقيام به ، وأهليتهم لكرامته جل جلاله: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾[الأنعام/ ٥٣] .

واجتبى الله من المؤمنين الأنبياء والرسل ، واجتبى من الأنبياء والرسل أولي العزم ، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم ، واجتبى من أولي العزم الخليلين إبراهيم ومحمداً عليهما الصلاة والسلام ، واجتبى من الخليلين محمداً ﷺ الذي كان خُلُقه القرآن ، وكان يتأدب بآدابه، ويحُل حلاله، ويحرم حرامه ، وأثنى الله عليه بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم/ ٤] .

أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة للناس أجمعين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء/ ١٠٧].

فكيف تنتقل صفات النبي ﷺ وتأتي في حياتي، وتنتقل حياته ﷺ في حياتي ، لتكون حياتي مطابقة لحياته، في كل ما يحبه الله ويرضاه.

- **والمطابقة تقوم على أربعة أمور :**

الأول: أن تكون حياتي مطابقة لحياة النبي ﷺ في نيته وفكره وأقواله وأعماله

وأخلاقه .

الثاني: أن يكون بيتي كبيت النبي ﷺ ، ماذا يجري في هذا البيت ؟ كيف يعامل أهله ؟ كيف يقوم بعباداته وأعماله في هذا البيت ؟ .

الثالث: أن يكون مسجدي كمسجد النبي ﷺ ، ماذا فيه من الأعمال ؟ وماذا فيه من الشورى ؟ وماذا فيه من استقبال الجماعات التي تفِد للدين كما كان في عام الوفود ، وكما كانت جميع الوفود التي جاءت إلى المدينة تأتي إلى المسجد وتلتقي بالنبي ﷺ وأصحابه .

الرابع: أن تكون مدينتي مطابقة لمدينة النبي ﷺ ، فإن المدينة هي مدينة الصفات لا مدينة الحجارة ، مدينة الحجارة هي المبنية بالطوب والإسمنت، ومرصوفة بالإسفلت ومنورة بالكهرباء ، هذه مدينة الحجارة ، لكن المدينة الإسلامية هي مدينة الصفات ، مدينة الحجارة لمّا قطعت الكهربا في إحدى مدن أمريكا ، ماذا حصل في نيويورك من الجرائم والسرقات في دقائق معدودة ؟، لماذا؟، لأن الرقيب من البشر لا يراهم، ولو كانوا مؤمنين لعلموا أن الله يراهم فكفوا عن كل محرم .

فمدينة الصفات الله ﷻ ذكرها لنا بقوله : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾[التوبة/ ١١٢] .

مدينة الصفات ذكر الله أهلها بقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[الأحزاب/ ٣٥].

الله ﷻ يريد منا تحصيل الصفات ، فلا يجالس الكريم يوم القيامة إلا كريم ، ولا يجالس العفُوّ إلا عفوّ يعفو عن الناس ، ولا يجالس الرحمن إلا إنسان يرحم الخلق في هذه الدنيا ؛ ولا يجالس الغفور إلا إنسان يغفر للناس زلاتهم، ولا يجالس اللطيف إلا لطيف يلطف بالناس، ولا يجالس العزيز إلا عزيز في الدنيا بدينه وإيمانه

وتقواه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾
[القمر/ ٥٤ – ٥٥].

وهكذا تأتي فينا الصفات ، فالله ﷻ مقصوده من خلقه تحصيل صفاته ؛ لأنه جل جلاله له الأسماء الحُسنى، والصفات العلا والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، ويريد منا تحصيل هذه الصفات وعبادته بموجبها: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

ومن رحمته سبحانه بعباده أن حذرهم نفسَه ؛ لئلا يغتروا به ، فيعاملوه بما لا تَحسُن معاملته به ، هو بين لهم أنه الرحمن الرحيم، وأنه الودود، وأنه اللطيف ، ولكنه حذرهم نفسَه ؛ لئلا يغتروا بحِلمه ورحمته ؛ فيُقبلوا على معصيته، ويعاملوه بما لا تحسن معاملته به من الشرك والمعاصي والتقصير ، فما أرحم الرحمن الرحيم بعباده جل جلاله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣٠] .

فمعرفة صفات الجلال والجمال تحمل العبد على الاستقامة على أوامر الله:
﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾[المائدة/ ٩٨] .
﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾
[البقرة/ ٢٣٥].

ومن رحمته أن حذرنا نفسَه ؛ حتى لا نقع في معصيته جل جلاله، أو نستهين بأمره .

- **وتمام النعمة على العبد من ربه بأمرين :**

بالهدى . . والرحمة .

ولذا أمرنا الله سبحانه أن نسأله كل يوم مرات عديدة في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢ – ٧].

صراط الذين أنعم الله عليهم وهم أولو الهدى والرحمة ، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم وهم ضد المرحومين ، وطريقَ الضالين وهم ضد المهتدين ، وفي مقدمة

المغضوب عليهم اليهود ، وفي مقدمة الضالين النصارى وما شابههم .
فاللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق وتركوه ، ولا الضالين الذين ضلوا عن الحق فعبدوا مع الله غيره: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة/ ٧٣ - ٧٤] .
ومن رحمة الله ﷻ بالإنسان أن خلقه في أحسن تقويم ، وأكرمه بالدين ، وزوده بالسمع والبصر والعقل ، ولم يكِلْه في الاهتداء إلى عقله وحدَه ، ولا على الفطرة وحدها، ولا على كثرة ما في الأنفس والآفاق من دلائل الهدى، وموجبات الإيمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٣].
سبحان الله ، ما أرحمه بعباده !: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].
بل اقتضت رحمة العزيز الرحيم ألا يكل العقل البشري إلى تبعة الهدى والضلال إلا بعد الرسالة ، فالله ﷻ اقتضت رحمته ألا يكل للعقل البشري تبِعة الهدى والضلال إلا بعد الرسالة والبيان : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء/ ١٥] .
ولم يكِل إليه بعد البيان والاهتداء وضع منهج يسير عليه في الحياة ، إنما وَكَل إليه تطبيق منهج الله في الحياة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٥٣] .
والله خلقنا في أحسن تقويم ، وبين لنا في الكون آياته ومخلوقاته الدالة على وحدانيته والمسبحة بحمده ، وأرسل إلينا رسله ، وأنزل علينا كتبه بالأوامر والنواهي ، وأعطانا أحسن حياة فكيف نسير في هذه الحياة ؟ وكيف نصبغ هذه الحياة بما يحبه الله ويرضاه ؟ حتى نقضي هذه الحياة بما يحبه الله ويرضاه، ونكمل محبوبات ربنا في الدنيا ؛ حتى الله يوم القيامة يكمّل محبوباتنا في الآخرة بما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [النمل/ ٩١].

وإنما الله ﷻ من رحمته وكَّل إلى الإنسان تطبيق منهج الله في الحياة الذي قرّره الله له وكمّله له، وأكرمه به ، ثم ترك له الاختيار : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ ٢٠٣﴾ [الأعراف/ ٢٠٣] .

منهج حياة خالص من الخالق الأعلى ، الله منّ علينا ورحمنا ؛ لم يجعلنا نأخذ طريقة حياتنا من الحيوانات التي هي دوننا ، ولا من الإنسان الذي هو مثلنا ، بل أنزل علينا الهدى والرحمة من أعلى، من العلي الأعلى جل جلاله .

فهذا المخلوق الأدنى يتصل بالخالق الأعلى ، فيعرفه بأسمائه وصفاته ليعظمه ، ويعرف نعمه ليشكره ، ويعرف وعده ليطيعه ، ويعرف وعيده ليجتنب معصيته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

ومنهج حياتنا ليس أرضياً بشرياً، وليس شرقياً ولا غربياً، ولا يمينياً ولا يسارياً، ولا تقدمياً ولا رجعياً، إنما جاءنا النور والهدى من أعلى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩﴾ [الحديد/ ٩].

فالعبد الأدنى يتصل بالملك الأعلى الذي خلقه في بطن الأم ، والذي أنزل عليه الدين في بطن الدنيا ، والذي يدخله يوم القيامة إن آمن في الجنة ، فيما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فلله الحمد والشكر أولا وآخرًا: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة/ ٣].

ومن رحمة الله سبحانه أن أقام الدلائل الكونية في هذا الكون ، والتي تدل على عظمة الخالق، ووحدانيته، وقدرته، وتدبيره ، وملأ الفطرة بالأشواق إلى ربها، والاتصال ببارئها، والإذعان له ، ووهبه السمع الذي يُدرك به المسموعات ، والبصر الذي يُدرك به المرئيات ، ووهبه العقل الذي يُحصي به الشواهد الدالة على وحدانية الله: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس/ ١٠١] .

ولكن الله الكريم مع هذا كله رحيم بعباده ، أعفى الناس من حُجيّة الكون، وحُجّية العقل، وحُجّية الفطرة، ما لم يرسل إليهم الرسل الذين يعرِّفون الناس بربهم، وما

ينبغي له ، وليزنوا حياتهم بالحق الذي جاءوا به ؛ وحينئذ إما أن يؤمنوا فينالوا الثواب ، أو تسقط حُجتهم، ويستحقوا العقاب: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل/ ٣٦] .

هذا من رحمة الله ﷻ ، الله بين كل شيء، ووضح كل شيء ، ولكن الله ﷻ منّ علينا وأعفانا من حُجية الكون مع أنه دالٌّ على وحدانية الله ، وحجية العقل مع أن العقل يعرف أن وراء الخلق خالقاً ، ووراء الصور مصوِّراً ، ووراء الأرزاق رازقاً ، وحُجية الفطرة التي فطرنا عليها : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم/ ٣٠] .

هذه الفطرة تدل على من فطرها ، ولكن الله مَنّ علينا مع ذلك بإرسال الرسل ، ولا يعذِّب أحد بموجب هذه الأمور السابقة إلا بعد إقامة الحُجة عليه بإرسال الرسل ، فمن رحمة الله بالبشرية وبِرّه بهم أن تفضّل عليهم بإرسال الرسل تَتْرًا ، وأكثر الناس يكذِّبونهم، ويعاندونهم، ويشردونهم، ولكنّ الله حليمٌ غفور ، لا يؤاخذ الإنسان بأخطائه وخطاياه ، ولا يحبس عنه بره وعطاياه ، لأن الله هو الرحمن الرحيم ، ولا يحرمه هداه ، ثم لا يأخذه بالعقاب في الدنيا أو في الآخرة حتى تُبلغه الرسل، مع ظهور الشواهد، فيُعرض ويكفر ويموت وهو كافر، ثم يبرز للعقاب كما قال سبحانه : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[الإسراء/ ١٥] .

فلا يمكن لعقلٍ واحد أن يُعْطى الدين بمثل ما جاءت به الرسل أبدًا ، بل لا يمكن ذلك ولو اجتمعت عقول للبشرية كلها ، فكيف يهتدي العقل، ويستغني عن ربه، ويستغني عن هدايته ورسله ودينه وهو مخلوقٌ محتاج إلى الهدى ، فالإنسان بصفاته مخلوق، وعقله مخلوق، وسمعه مخلوق ، فهو لا يستغني عن ربه، ولا يستغني عن الهداية التي جاء بها رسله: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[الأنعام/ ١١١] .

وقد علم الله أن العقل لا يُغني ما لم يتقوَّم بمنهج الله ؛ ولذا لم يكتب عليه عقابًا إلا

بعد الرسالة والبيان، ثم الإعراض ؛ لأن هذا العقل قاصر ما لم يستنير بنور الوحي ، فالعقل كالبصر وكالسمع محدود ، إن أدرك عالم الشهادة، فلا يستطيع أن يدرك عالم الغيب ، وإذا أدرك الجسد فهو لا يعرف الروح ، وإذا أحسّ بالهواء فهو لا يراه ، فالعقل قاصر كما أن البصر قاصر، والسمع قاصر: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٥] .

فرحمة الله واسعة وسعت كل شيء ، وهي تتمثل في مظاهر كثيرة لا يُحصيها العبد ، ولا يحيط بواحدة منها، وواجب الإنسان مهما أوتي من العلم أن يسكت عما لا يعلم، ويسأل عالم الغيب والشهادة أن يعلمه ما لا يعلم: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه/ ١١٤].

هذا الإنسان في ذات نفسه وتكوينه وتكريمه بما أكرمه الله ، هذا الإنسان طبيا عُرف منه ٥ , ٢٪ ، و ٥ , ٩٧٪ طبيًا لم تُعرَف، والطب جاهلٌ بها ، هذا بالنسبة لبدن الإنسان.

وهذا الإنسان قلبيا ماذا عُرف منه ؟ .

الإنسان هو القلب ، وهذا الجسد سيارة تحمل هذا القلب، والقلب يحرك البدن بالأعمال، فهذا القلب هو القائد ، ماذا نعرف عن هذا القلب ؟

القلب هو القائد.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «..إنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ القَلْبُ». متفق عليه(١).

والقلب محل نظر الله : «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» أخرجه مسلم (٢) .

جهد الأنبياء والرسل على القلوب ، تزيين القلوب بالإيمان والتوحيد ، وتزيين الجوارح بالطاعات والأخلاق الحسنة .

فما أعظم إنعام الله ﷻ على عباده ! فكم أكرم الله الإنسان بما سخر له في نفسه، وما

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.
(٢)أخرجه مسلم برقم: ٢٥٦٤.

حوله وما فوقه وما تحته، وفيما أنعم عليه به مما يعلمه ومما لا يعلمه وهو كثير : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾[النحل/١٨] .

من يستطيع أن يعد نعم الله ؟ ومن يستطيع أن يحصي نعمة واحدة من نعم الله كنعمة البصر ؟ وكيف يقوم بشكر هذه النعمة ؟ كم بصر في العالم ؟ وكم اهتدى بهذا البصر إلى ما ينفعه كل مخلوق من إنسان أو حيوان في البر والجو والبحر ؟ ومن يحيط بهذه النعمة ؟ ومن يحيط بالنعم التي لا تُعد ولا تُحصى، في العالم العلوي والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة ؟ فليستح العبد من ربه، وليبكي على جهله، وليستغفر ربه من ذنبه ويحمده كثيرًا على نعمه : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾[إبراهيم/ ٣٤]

وإذا عرف العبد ذلك فمتى يؤوب إلى ربه ويتوب إليه: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾ [الحديد/ ١٦ – ١٧].

ورحمة الله تبارك وتعالى تتمثل فيما مُنع عن الإنسان تمثلها فيما أعطاه الله للإنسان ، ويجدها الإنسان إن فتح الله عليه في كل شيء، وفي كل وضع، وفي كل حال وفي كل مكان، وفي كل زمان .

يجدها الإنسان في نفسه ، وفيما حوله ، يجدها في نفسه بهذا الخلق السوي، وهذا السمع والبصر والعقل، وهذه النعم التي أنعم الله بها عليه ، بالأجهزة الداخلية، والأجهزة الخارجية، وفي الشرايين والأوردة، وفي القلب والكبد، والمرارة والطحال، وفي المعدة وفي الرأس، وفي المخ، وفي العظام، وفي العصب ، وفي الأجهزة العظمية، والتنفسية، والتناسلية ، يجد هذه الرحمة في نفسه وفيما حوله .

وحينما يتأمل الإنسان هذه الأمور يخشع لربه : ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات/ ٢٠ – ٢٢] .

فهذه رحمة أرحم الراحمين يجدها الإنسان في نفسه، وفيما حوله، وحيثما كان ، حيثما كان يسير الإنسان يجد رحمة أرحم الراحمين تمشي معه ، هواءٌ يتنفس منه ،

كل يوم يخرج من الإنسان ثلاثمائة وستون متراً مكعباً من الهواء، يأخذه سليماً، ويُخرجه فاسداً تتنفس منه الأشجار، ثم تستعمله، ثم تخُرجه مرة أخرى نقياً ، ويمشي الإنسان في هذا الكون يسبح في هذا الهواء كما تسبح الأسماك في بحر الماء .

فحيثما ما كان الإنسان وجد هذه الرحمة من ربه جل جلاله ، فالإنسان يجد هذه الرحمة في نفسه، وفيما حوله، وحيثما كان ، ولو فقد كل شيء مما يعد الناس فقدَه هو الحرمان ، ويفتقدها من يُمسكها الله عنه في كل شيء، وفي كل وضع، وفي كل حال ، يفتقد هذه الرحمة ، ولو وجد كل شيء مما يعده الناس علامة السعادة والرضوان، إذا أمسك الله رحمته عن الإنسان، فلو أُعطي كل شيء، فلن يجد الرحمة ، وما من نعمة يُمسك الله معها رحمته حتى تنقلب هي بذاتها نقمة ، وما من محنة تحفها رحمة الله حتى تكون هي بذاتها نعمة .

فسبحان الرحمن الرحيم الذي رحمته في العطاء والمنع على حدٍ سواء : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[فاطر/ ٢] .

ولا ضيق مع رحمة الله أبداً ، إنما الضيق في إمساكها عن الإنسان ، لا ضيق مع رحمة الله، ولو كان صاحبها في غياهب السجون، أو في جحيم العذاب، أو في أودية الهلاك ، ولا سعة في إمساكها عن الإنسان، ولو تقلّب الإنسان في أعطاف النعيم، والمُلك والسلطان والجاه، ورفل في مراتع الرخاء بين الأنهار والقصور وذوات الخدور: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة/ ٥٥].

فمن داخل النفس برحمة الله تتفجر ينابيع السعادة والطمأنينة والرضا ، ومن داخل النفس مع إمساكها تدب عقارب القلق والنكَد، والتعب والنَّصب، والهم والغم والضيق والضجر : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩] .

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾[الجن/ ١٧].

فباب الرحمة بابٌ عظيم، ومُلكٌ عظيم، انتشر في ملك الله ﷻ ، باب الرحمة إذا فتحه الله ﷻ للعبد فهذا فضل عظيم من ربه ﷻ ، هذا الباب وحده يُفتَح وتُغلق جميع الأبواب ، فلا عليك أيها الإنسان، فهو السرور والرخاء والفرج واليسر : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[النساء/ ٧٠]

وهذا الباب وحده يُغلق وتُفتح جميع أبواب الدنيا والنعيم فما هو بنافع ولا عليك ، فهو بدون هذه الرحمة هو الكرب والضيق والشدة والقلق: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء/ ٢١٣] .

الصحة والعافية والقوة والجاه والسلطان والمُلك والمال والولد كلها تكون مصادر قلق وتعب ونكد إذا أُمسكت عنها رحمة الله ، ماذا نفع فرعون ملكه ؟، وماذا نفع قارون ماله ؟، وماذا نفعت قوم نوح كثرتها؟، وماذا نفعت عاد قوتها؟، وماذا نفعت قوم شعيب تجارتها؟: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت/ ٤٠] .

فإذا فتح الله أبواب رحمته كانت فيها السكن والراحة، والسعادة والطمأنينة.

يهب الله الصحة والقوة مع رحمته، فإذا هي نعمة وحياة طيبة، ولذة بالحياة ، ويُمسك رحمته فإذا الصحة والقوة عذابٌ يسلطه الله على الصحيح القوي ، فينفق الصحة والقوة فيما يحُسّن الجسم ، ويفسد الروح، ويدّخر السوء ليوم الحساب، كما هو حاصلٌ الآن ، نعيشه حيًّا وعاشه مَن قبلنا من الأمم كقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح ، هذه الصحة وهذه القوة كيف يعيشها بعض الناس ؟ .

يعيشها فيما يحطّم الجسم، ويُفسد الروح، ويسفك الدماء، ويدّخر السوء ليوم الحساب ، فالحمد لله رب العالمين على ما منّ به علينا من رحمته وهدايته جل جلاله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران/ ٧٣ – ٧٤] .

ويعطي الرحمن الرحيم الجاه والسلطان مع رحمته، فإذا هي أداة الإصلاح، ومصدر أمن، ووسيلة للأجر ، ماذا فعل الصحابة لمّا قبلوا هذه الرحمة من النبي ﷺ ؟ كم

انتشر الدين في العالم ؟، كم نشروا الإيمان والتوحيد في العالم ؟، كم نشروا الأخلاق العالية في العالم ؟ كم نشروا الصلاة في العالم ؟، وماذا حصلوا عليه من الرضا والرضوان وعظيم الأجر.

فهذه رحمة الله صارت أداة إصلاح، ومصدر أمن، ووسيلة للأجر : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾[التوبة/ ١٠٠]

ويُمسك الله رحمته، فإذا الجاه والسلطان مصدر قلق على قوتهم ، مصدر بغي وطغيان، ومساوئ حُكم، وموْجدة على صاحبها ، لا يقر له معهما قرار ، ولا يستمتع بجاه ولا سلطان ، ويدّخر بهما للآخرة رصيدًا ضخمًا من النار .

ويبسط الله الرزق مع رحمته فإذا هو متاع طيب ورخاء، وإذا هو رغد في الدنيا وزادٌ إلى الآخرة ، ويُمسك عنه رحمته، فإذا هو متاع قلق وخوف، وإذا هو متاع حسدٌ وبغض ، وإذا هو همٌّ في جمع المال ، وهمٌّ في حفظه، وهم لفراقه .

ويمنح الله الذرية مع رحمته، فإذا هي زينة الحياة الدنيا، ومصدر فرح، ومضاعفة للأجر ، ويُمسك عنها رحمته، فإذا الذرية بلاء ونكد، وعنَت وشقاء، وسهرٌ بالليل، وتعبٌ بالنهار كما هو حاصل ويحصل الآن في مشارق الأرض ومغاربها .

فالمال والبنون مع الرحمة زينة وسعادة : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦)﴾[الكهف/ ٤٦] .

والمال والبنون بدون رحمة الله شقاءٌ ونكد : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥)﴾[التوبة/ ٥٥] .

سبحانه عالم الغيب والشهادة ، هذا الكون كله بما فيه من المخلوقات والحركات والسكنات ، كله حاضر بين يدي ربه ، يعلم السر وأخفى، وما كان وما يكون وما سيكون : ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨)﴾ [السجدة/ ٦-٨] .

رحمة الله ﷻ وجدها نوح ﷺ في لجُة البحر حينما أنجاه الله ومن معه ، ووجدها يوسف ﷺ في الجُبّ كما وجدها في السجن كما وجدها في المُلك .

رحمة الله وجدها يونس ﷺ في بطن الحوت في لجة البحر حين دعا : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٧) فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٨٨) ﴾[الأنبياء/ ٨٧-٨٨] .

ورحمة الله ﷻ وجدها موسى ﷺ في اليمّ وهو طفل صغير مجردٌ من كل قوة : ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٧) فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا ﴾[القصص/ ٧-٨] .

رحمة الله وجدها موسى ﷺ في اليم وهو طفل مجرد من كل قوة، ومن كل حراسة ، كما وجدها في قصر فرعون حين قال الله ﷻ له: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ (٣٩) ﴾[طه/ ٣٩] .

يربي جل جلاله أولياءه في قصور أعدائه ، هو فعّالٌ لما يشاء جل جلاله ، وجدها في قصر فرعون ، ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور .

ووجدها محمد ﷺ في الغار : ﴿ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) ﴾[التوبة/ ٤٠] .

ووجدها ﷺ في طريق الهجرة حينما كانت تطارده قريش، ورصدت في مقابل أسره وقتله مئة من الإبل ، ووجدها ﷺ في بدر حينما استغاث بربه : ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ (٩) ﴾[الأنفال/ ٩] .

الله أكبر : ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (١٢٣) ﴾ [آل عمران/ ١٢٣] .

ووجد ﷺ رحمة الله ﷻ في فتح مكة ، ووجدها في جميع أحواله ﷺ ، ووجدها في كل حال، وفي كل ليل ونهار: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ (١٠٧) ﴾[الأنبياء/ ١٠٧] .

وتجد هذه الرحمة كل من آوى إليها ، يائسًا من كل ما سواها ، منقطعًا عن كل شبهة بقوة، وعن كل مظنّةٍ بوسيلة ، قاصدًا باب الله وحده الرحمن الرحيم دون جميع

الأبواب: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ [الطلاق/ ٢ – ٣] .

وما بين الناس ورحمة الله إلا أن يطلبوها مباشرة منه ، فهو الذي يملكها وحده : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ ﴾[فاطر/ ٢] .

هو العزيز الذي لا يُغلب ، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨ ﴾[الأنعام/ ١٧–١٨] .

فلا رجاء في أحدٍ من الخلق ، ولا خوف من أحدٍ من الخلق ، فما أحدٌ بمرسل من رحمة الله إن أمسكها الله جل جلاله ، هذا اليقين لو استقر في قلب الإنسان لصمد كالطود للأحداث والأشياء والأشخاص، والقوى والقيم ، ولو تضافر عليه الإنس والجن ، فهم لا يفتحون رحمة الله حين يُمسكها ، ولا يمسكونها حين يفتحها لأنه الذي يدبر الأمر، وهو القاهر لكل ما سواه.

وبهذه الرحمة التي أرسل الله بها محمداً ﷺ أنشأ الله بهذا القرآن العظيم القرن الأول ، الطبعة الأولى من هذه الأمة ، الصف الأول ، أصحاب محمد ﷺ : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠ ﴾[التوبة/ ١٠٠] .

أولئك أبرّ هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم، فإنهم كانوا على الهدْي المستقيم .

هذه الطائفة ، هذه المجموعة ، هذه الفئة صُنعت على عين الله ، تحمل رحمة الله وشريعته ؛ لتكون قدوة للبشرية إلى يوم القيامة ، أولئك هم : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح/ ٢٩] .

وهذه المجموعة الطيبة الذين رباهم محمد ﷺ سلطها الله على من يشاء في الأرض ، فمحا الله بهم وأثبت في واقع الحياة، وواقع الناس، ما شاء الله من محو وإثبات .

هذه المجموعة الطيبة أصحاب محمد ﷺ لمّا دخل الإيمان في قلوبهم، وتزينت به أجسادهم أحيا الله بهم الخلق، وزيّن به حياة الناس ، وما يزال هذا القرآن بين يدي الناس لو حكموه يُنشئ أفرادًا وفئاتاً، تمحو وتُثبت في الأرض بإذن الله ما يشاء ، تمحو الظلم والبغي والباطل ، وتُثبت الحق والعدل والأمن والسلام: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾[الرعد/ ٣٩] .

كم انتشر الصحابة في العالم لنشر هذه الرحمة ! وكم خرجوا مع نبيهم ﷺ لنشر الهداية في العالم !

أكثر من مائة وخمسين خروجًا في سبيل الله، لنشر الهداية في العالم كله ، لنشر الدين ، لنشر التوحيد ، ونشر الأخلاق العالية في العالم ، والدفاع عن الدين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات/ ١٥].

كم بهذه الفئة محا الله ﷻ الظلم والبغي والباطل، وأثبت الحق والدين والأمن والسلام: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة/ ٤] .

والله سبحانه هو الرحمن الرحيم ، ورحمته لنا تزيد بمقدار رحمتنا لخلقه ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء كما قال النبي ﷺ : «**لَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاس**» متفق عليه(١) .

- **ورحمة الله المضافة إلى الله نوعان :**

الأولى: إضافة مفعول إلى فاعل كما قال سبحانه في حديثه عن الجنة : «**إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي**»متفق عليه(٢) .

فهذه رحمة مخلوقة وهي الجنة ، مضافة إليه إضافة المخلوق بالرحمة إلى الخالق ، وسماها رحمة ؛ لأنها خُلقت للرحمة وبالرحمة ، وخصّ بها أهل الرحمة، وهم المؤمنون ، وإنما يدخلها الرحماء .

ومثل تسمية المطر رحمة كما قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٣٧٦، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٣١٩.

(٢)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٤٨٥٠، ومسلم برقم: ٢٨٤٦، واللفظ له.

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ٢٨﴾ [الشورى/ ٢٨].

الثانية: إضافة صفة إلى موصوف ومنه قوله ﷺ: «**يا حَيُّ يا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»(١).

فهذه الرحمة صفة من صفات الله، يُستغاث بها، ولا يُستغاث بمخلوق.

فسبحان الله، ما أعظم رحمته بهذه الأمة! وما أشد عنايته بهم!

حيث أنزل عليهم أحسن كتبه، وأرسل إليهم أفضل رسله، وشرع لهم أفضل شرائع دينه، وجعلهم خير أمة أُخرجت للناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس/ ٥٧].

فالهدى هو العلم بالحق والعمل به، والرحمة هي ما يحصل من الخير والإحسان سواء في العاجل والآجل، لمن اهتدى من المؤمنين، وإذا حصل الهدى، وحلَّت الرحمة بالناس معًا؛ حصلت السعادة والصلاح، وتمّ الفرح والسرور.

ولذلك أمر الله ﷻ بالفرح بالقرآن الذي هو أعظم نعمة ومنّة، والفرح بالإيمان وعبادة الله التي يحصل بها الأنس والطمأنينة والسكينة كما قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس/ ٥٨].

والله سبحانه خير من غفر، وأرحم من ملك، وأكرم من أعطى، فاللهم: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ [الأعراف/ ١٥٥].

وعذاب الله إنما يحلّ بمن تعرّض لأسبابه من كفر وشرك، وعصى وفجر وغدر.

أما رحمة الله فقد وسعت كل شيء، وحيث ما كان مُلكه كانت رحمته بالعالم العلوي والعالم السفلي، فلا مخلوق إلا وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة ليست إلا للمؤمنين خاصة كما قال سبحانه: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف/ ١٥٦-١٥٧].

ومن رحمته المنشورة في كل يوم وليلة على مدى الدهر أن جعل جل جلاله لعباده نهاراً، ليبتغوا من فضله، وينتشروا في ضيائه لطلب أرزاقهم ومعايشهم، وجعل لهم

---

(١) صحيح/ أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم: ٥٧٠.

الليل ليسكنوا فيه، وتستريح أنفسهم وأبدانهم فيه من تعب التصرف في النهار ، فهذا كله من فضله ورحمته بعباده جل جلاله : ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾[القصص/ ٧٣] .

اللهم ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

والأمل بالرب الكريم الرحمن الرحيم أن يَرى الخلائق منه يوم القيامة من الفضل والرحمة والإحسان، والعفو والصفح، والتجاوز والغفران، ما لا تعبر عنه الألسنة ، ولا تتصوره الأفكار ، ولا يخطر على القلوب: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩ – ٥٠] .

ويتطلع إلى رحمته في ذلك اليوم جميع الخلق بما يشاهدونه ؛ فيختص المؤمنين به وبرسله بالرحمة ، وهو الذي رحمته وسعت كل شيء ، وغلبت رحمته غضبَه جل جلاله ، وعمّ كرمه كل حي ، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، فقل ما شئت عن رحمة الله فإنها فوق ما تقول ، فهو الرحمن الرحيم ، وتصور فوق ما شئت، فإنها فوق ذلك : ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾[الفرقان/ ٢٦] .

وهذا الاسم جيء به في هذا المكان ؛ لنتطلع إلى رحمة الله التي وسعت كل شيء في الدنيا والآخرة .

وقال النبي ﷺ : «**إِن الله خلق يَوْم خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض مائَة رَحْمَة ، كل رَحْمَة طباق مَا بَين السَّمَاء وَالْأَرْض ، فَجعل مِنْهَا فِي الأَرْض رَحْمَة ، فِيهَا تعطف الوالدة على وَلَدهَا ، والوحش وَالطير بَعْضهَا على بعض ، فَإِذا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة أكملها بِهَذِهِ الرَّحْمَة**» متفق عليه (١) .

فسبحان العزيز الرحيم الذي رحم في عدله وعقوبته، كما رحم في فضله وإحسانه ومثوبته ، وكما لا تخلو سنة من مطر ينزل رحمة بالعباد، كذلك قلما تخلو ساعةٌ ويومٌ، وشهر وسنة، عن نفحة من نفحات الله يرحم بها من يشاء من عباده .

وكما يقوى انتظار نزول الغيث في أوقات الربيع عند ظهور السُحب يقوى كذلك

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٦٤٦٩ ومسلم برقم: ٢٧٥٢.

انتظار تلك النفحات في الأوقات الشريفة، وعند اجتماع الهمّ، كيوم عرفة ويوم الجمعة وشهر رمضان، وآخر الليل، وعند السجود، وعند الشدة، وعند الاضطرار ونحو ذلك .

فاللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء ، ولا تخُزنا يوم العرض عليك ، وارحم ضعفنا وذلنا وانكسارنا بين يديك ، أنت ربنا وأنت أرحم الراحمين .

فالحمد لله رب العالمين على أن ربنا رحمن رحيم ، رءوفٌ بالعباد ، ورحمته مبسوطة في الكون كله ، لا تخلو منها ذرة في العالم العلوي والعالم السفلي، ولا في الدنيا والآخرة ، فلنسأل الرحمن القدير الحق أن يرشدنا إلى معرفة أسمائه وصفاته، وآياته ومخلوقاته ونعمه وآلائه : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾[الفرقان/ ٥٩] .

لابد أن نعرف الرحمن، لنعرف آثار رحمته، ثم نتخلق بهذه الصفة، ليرحمنا الرحمن ونكون يوم القيامة : ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر/ ٥٥]

ورحمة الله ﷻ تُنال بالإحسان ، فأحسن أيها الإنسان إلى نفسك بحملها على طاعة الله وكفها عن معصية الله ، وتزيينها بما يحبه الله من الأقوال والأعمال والأخلاق : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الأعراف/ ٥٦] .

وحمل النفس على ما يُرضي الله يكون بخمسة أمور :

طاعات أفعلها.. معاصي أجتنبها.. نعم أشكر الله عليها.. ذنوب أستغفر الله منها.. ابتلاءات أصبر عليها ، هذا في حق النفس .

- **وأما في حق الغير ، فيكون بالقيام بثلاثة أمور :**

الأول: دعوة الكافر لعله يهتدي ، جُهدٌ على الكافر بالدعوة لعله يهتدي : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾[السجدة/ ٣] .

الثاني: جُهدٌ على الفاسد ليكون صالحاً ، وجُهد على الجاهل ليكون عالماً ، وجُهد على العاصي ليكون طائعاً .

الثالث: جُهد على الصالح ليكون مصلحاً ، وجُهد على الذاكر ليكون مذكّراً ، وجُهد

على العالم ليكون معلماً: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

هذه الجهود العظيمة أُعطيها الأنبياء ، جهْدٌ على النفس بالاستقامة على خمسة أمور ، وجهد على الغير في القيام بهذه الثلاثة الأمور : جُهد على الكافر ليكون مسلماً.. وجُهد على العاصي ليكون مطيعاً.. وجُهد على الصالح ليكون مصلحاً .

فأحسن إلى غيرك ببذل الخير والمعروف له ، وارحمه بما أقدرك الله عليه ، مِن ضال تهديه ، أو جاهل تعلمه ، أو فقير تطعمه ، أو عارٍ تكسوه ، أو سفيه تحلُم عليه ، أو شديد تصبر عليه ، أو ضعيف تواسيه : ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ ﴾ [البلد/ ١١-١٧] .

فك رقبة من الرق ، فك رقبة من الكفر ، فك رقبة من الجهل ، فك رقبة من الضلالة .

كم قارة في العالم ؟ وكم دولة في العالم ؟ وكم مدينة في العالم ؟ وكم قرية في العالم ؟ وكم بيت في العالم ؟ وكم في كل بيت من الرجال والنساء والأطفال ؟ .

لابد من الجُهد على هؤلاء ، جُهد على قلوبهم، لتدخل لا إله إلا الله في قلوبهم ؛ فقد وكّلنا الله بنشر الهداية كما وكّل السُحب بنشر المياه والأمطار في العالم ، ووكل الشمس بالإنارة ، ووكل الأرض بالإنبات ، وكلنا بنشر الهداية: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

فلابد من الجُهد على البشرية ؛ ليدخل التوحيد والإيمان في كل قلب ، وتأتي الأخلاق العالية، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، في جسد كل إنسان ، فهذا الإنسان يسكن في مُلك الله، ويأكل من رزق الله ، والله أنعم عليه بالنعمِ المادية، وأمرنا بالجُهد عليه، حتى يدخل في قلبه الإيمان، ويعمر جسده بالطاعات ؛ لأننا تحملنا وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهي الدعوة إلى الله: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ

بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

كنتم خير أمة في العبادة ، في الدعوة ، في التعليم ، في الأخلاق الحسنة ، في التضحية ، في الإنفاق ، في الكرم ، في الوفاء ، في الإحسان ، في العفو، في الرحمة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هو المولد للإيمان ؛ لأنه جاء بالإيمان بعده، وإذا جاء الإيمان جاء معه كل خير.

وأهل الكتاب من قبلنا تركوا جُهد الهداية، وجُهد الدعوة ؛ فالله ﷻ أبعدهم، وجاء بهذه الأمة ، وختم الرسل بسيد الأنبياء ، وختم الأمم بهذه الأمة التي أخذت وظيفة الأنبياء والرسل كما أمرهم الله بقوله : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران/ ١٠٤] .

فقط هؤلاء هم المفلحون ، من يقوم بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضدهم : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران/ ١٠٥] .

فالمؤمن ينقلب بين عبادتين عظيمتين عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق ، وأعظم الإحسان أن نُحسن إلى الناس بالدعوة إلى الله التي يأتي بسببها الإيمان والصلاة وطاعة الله، والسعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

ولنعلم أن رحمة الله وسعت كل شيء، ونرحم كل مخلوق من إنسان وحيوان، ومؤمن وكافر، وبَرّ وفاجر ، نحن نُحب كل إنسان وكل مخلوق خلقه الله ، لكن نكره الصفات التي يُبغضها الله ، نكره الكفر، وإذا الإنسان تحلى بهذه الصفة نكره الكفر والكافر ، نكره الكفر ، نكره الشرك ، نكره المعاصي ، نكره الفسوق ، نكره الفجور ، فلابد أن نرحم الناس، بدعوتهم إلى الله، والإحسان إليهم، ليخرجوا من الظلمات إلى النور : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ [إبراهيم/ ١] .

- **ودين الإسلام يقوم على أصلين عظيمين :**

روح الدين وهو اليقين.. وروح الرسالة وهو الرحمة .

الأول: قوة اليقين على الله، تمنع المخلوق أن يضرني من إنسان أو جان أو حيوان: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق/ ٢ – ٣].

الثاني: قوة الرحمة في قلبي، تمنعني أن أضر أحداً، وتجعلني أتنازل عن حقي، وأصبر على ما يأتيني من الأذى، لقوة الرحمة في قلبي على غيري: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

فروح الدين اليقين، وروح الرسالة الرحمة، وبهذا وهذا أرسل الله رسوله محمد ﷺ بأحسن الصفات: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم/ ٤] .

- **وأصول الصفات أربعة :**

أن تصل من قطعك.. وتُعطي من حرمك.. وتعفو عمن ظلمك.. وتحسن إلى من أساء إليك .

وبهذه الصفات يحبك الله، ويحبك الناس، ويقبلون دعوتك، ويدخلون في الدين.

النبي ﷺ كان نائما في إحدى الغزوات فتبعه أعرابي واخْتَرَطَ سَيْفَهُ وهو نائم ﷺ وقال : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي يَا مُحَمَّد ؟ قال النبي ﷺ: اللهُ ؛ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ ، فَأَخَذَهُ النبي ﷺ فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : كُنْ خَيْرَ آخِذٍ ، فالنبي ﷺ عفا عنه وقال : تسلم ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ لا أكونُ مَعَ قوْمٍ يعادونك ، فذهبَ إلى قومِهِ وقال : جئتُكم من عند خيرِ الناس ؛ فأسلمتْ قبيلتُه.

فقوة اليقين عند النبي ﷺ على ربه أسقطَت السيف من يد الأعرابي، ومنعته أن يضره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝٣٨﴾ [الحج/ ٣٨].

وقوة الرحمة في قلب النبي ﷺ منعته أن يقتل الأعرابي الذي أراد قتله .

فقوة الرحمة في قلب النبي ﷺ منعته أن ينتقم من الأعرابي ؛ فتركه، لأن الله يعلم أنه سوف يذهب إلى قومه، ويدعوهم إلى الله، فقال لهم جئتكم من عند خير الناس،

وذكر قصته، فآمن وآمنوا جميعاً .

فروح الدين اليقين ، الذي يمنع جميع المخلوقات أن تضرك ، وروح الرسالة الرحمة ، فلا دعوة إلا برحمة ، ومن خلا قلبه من الرحمة فهو داع إلى فتنة وفرقة : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩] .

فالله ﷻ أخبرنا أنه الرحمن، وأن رسوله رحمة، وأمرنا بالرحمة ، فلنرحم كل مخلوق من إنسان وحيوان، ومؤمن وكافر، وبرّ وفاجر ، فما أرسل الله نبيه ﷺ إلا رحمةً للعالمين ، وأنتم من أتباعه في الإيمان والأقوال والأعمال والأخلاق : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء/ ١٠٧] .

فلتكن حياتنا مطابقة لحياته ﷺ ؛ لنهتدي، ونسعد بالأمن في الدنيا، والجنة في الآخرة : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

واعلم أن الله سمى نفسه باسمه الرحمن الرحيم ؛ لنعلم أن كل رحمة منه، ولتتصف بالرحمة، وترحم خلقه : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

وقال ﷺ: « **وإنْما يَرْحَمِ اللهُ من عِباده الرُحَماءَ** » متفق عليه(١) .

ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله ، كما قال النبي ﷺ : «**مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**» متفق عليه(٢) .

واعلم أن الرحمن الرحيم سبحانه شرع لنا من الفرائض والنوافل، والواجبات والسنن، ما يقربنا إليه ، فتقرَّب بذلك إلى ربك لتنال رحمته ، فكلما زاد قُرْب العبد من ربه، وعظمت طاعته لمولاه ؛ زاد نصيبه من رحمة ربه : ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٦٦٥٥، واللفظ له، ومسلم برقم: ٩٢٣.

(٢)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٥٩٩٧، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٣١٨.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[آل عمران/ ١٣٢] .

وحرم الله علينا الكفر والشرك، والكبائر والقتل بغير حق ، والمعاصي والفواحش والآثام وكل ما يُبعدنا عنه ، وكل ما يؤذي ويضر خلقه ؛ رحمةً بنا : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف/ ٣٣] .

فلنبتُعد عن كل ما نهى الله ورسوله عنه ؛ لنسْلم من شره، وننجو من عقوبته وننال أجر تركه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر/ ٧] .

والله ﷻ هو الرحمن الرحيم ، ورحمته وسعت كل شيء ، فإذا أدخلك الرحمن الرحيم برحمته فجعلك مسلمًا ، فارحم الناس أجمعين ، وعرفهم بأرحم الراحمين ، وادعهم إلى سلوك الصراط المستقيم ؛ يرضَى الله عنك، ويزيدك حسنات :

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف/ ١٠٨] .

إذا رحمك الله فارحم الخلق أجمعين ، وأكرم المتقين ، واخفض جناحك للمؤمنين ، وأعرض عن الجاهلين ، لنسمع هذه الأقوال، ولنعقلها بقلوبنا ، ونجلها طريقة حياة نتعامل بها مع ربنا، ونتعامل بها مع خلقه أجمعين ؛ لتكون سببًا لرحمتنا، وسببًا لهداية الناس : ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤].

وإذا رحمك أرحم الراحمين فارحم المساكين ، فالله جعل الكفار محلّ دعوتنا ، وجعل أهل الجهل محل تعليمنا ، وجعل الفقراء محل صدقاتنا ، فلندعو إلى الله ولنُعلم أهل الجهل ، ولنتصدق على الفقراء والمساكين ، فهذه أواني إذا وضعنا فيها هذه الرحمة التي منّ الله بها علينا من علمٍ أو مالٍ أو خُلق ، فالله ﷻ يجزينا عليها بأحسن الجزاء : ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾[الرحمن/ ٦٠].

فإذا رحمنا الله نرحم المساكين ، ونعلم الجاهلين ، وندل العباد على ربهم الرحمن الرحيم .

وخَالق الناس بخلق حسن ، واذكر ما أنعم الله به عليك من النعم : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾[الضحى/ ٦-١١] .

والله ﷻ خصّك برحمته لترحم نفسك، وترحم عباده ، وتعبد الرحمن بموجب أسمائه وصفاته ، وتتخلّق بصفة الرحمة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

واعلم أن الرحمن الرحيم ليس كمثله أحدٌ في الرحمة ، وليس كمثله أحدٌ في العلم ، وليس كمثله أحدٌ في القوة ، فهو جل جلاله له الأسماء الحُسنى، والصفات العُلا ، وأعطانا الله ﷻ من صفاته، ومَنّ علينا بما أرسل به رسله، وأنزل به كتبه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة/ ١٢٨] .

وخزائن الرحمة كلها عند الله ، وهو أرحم بالخلق من أنفسهم ، فلنسأله أن يُتم علينا نعمته في الدنيا والآخرة إنه غنيٌّ كريم، يجيب السائلين، ويعطي الطالبين، ويهدي الضالين، ويتوب على التائبين : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة/ ١٨٦] .

فنرحم الخلق الذين انقطعوا عن ربهم بالكفر والشرك ، أو لم يعرفوه ، كم في البشرية ممن لا يعرف الله، ولا يعرف دينه ؟ .

متى نؤدي أمانة الدعوة إلى الله، ونبلغ الدين للناس كلهم؟: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾[المائدة/ ٦٧].

نحبِّب إلى الناس ربَّهم بذكر نعمه وفضله وإحسانه ، ونحببهم إليه بمعرفة أسمائه وصفاته ، ونعرفهم بجميل نعمه، وسعة رحمته ؛ ليحبوه ويطيعوه، ويؤمنوا به ويعبدوه

جل جلاله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣] .

فلنحبب رجالاً ونساء البشريةَ إلى ربهم بدعوتهم إليه ، وتعريفهم بآلائه ونعمه ؛ ليدخلوا في دينه، ويعملوا بشرعه ، ويدخلوا في رحمته ، ويسعدوا بمحبته بإتباع رسوله ﷺ : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران/ ٣١] .

والله ﷻ هو الرحمن الرحيم، وأكثر من ذكر اسمه الرحمن الرحيم ؛ حتى نتعبد بهذا الاسم العظيم، ونُنزله واقعًا عمليًا في حياتنا ؛ حتى ننشر هذه الرحمة ، وهذا الدين العظيم ، ونُعرِّف بربنا العظيم، وبنعمه وإحسانه إلى خلقه أجمعين حتى يحبوه ويعبدوه .

فالله ﷻ أرسل رسوله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين ، وقد مَنّ الله على رسوله بالرحمة ؛ فألان جانبه لأصحابه ، فخفض لهم جَناحه، ورفق بهم، وتودّد إليهم، ووسعهم برحمته ؛ فاجتمعوا عليه، وأحبوه، وامتثلوا أمره .

فالنبي ﷺ جمع الأمة على الدين فتحابّوا عليه ، ولو جمعهم على الدنيا لتقاتلوا عليها: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩] .

فالأخلاق الحسنة من الرئيس أومن الكبير أو من القدوة تجذب الناس إلى دين الله، وتُرغّبهم فيه ، مع ما يصاحبها من المدح والمحبة والإحسان .

والأخلاق السيئة من الرئيس أو الكبير أو القدوة في الدين، تُنفِّر الناس عن الدين ، وتبغِّضه إليهم، مع ما يصاحبها من الذمّ والعقاب الخاص والعام .

ومن أوجب الواجبات، وأهم المهمات، أن نقتدي بالنبي ﷺ في نيته، وفكره، وأقواله، وأعماله، وأخلاقه ، ونعامل الناس بما يعاملهم به ﷺ ، من اللين والرحمة، وحُسن الخلق، وتأليف القلوب ؛ امتثالًا لأمر الله، واقتداءً برسول الله ﷺ، وجلبًا لعباد الله إلى

دين الله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

والنبي ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم فاقوا البشرية كلها بأحسن الصفات، وأجمل الأحوال، والأقوال، والأعمال، وأقوى التضحيات ، فقد ضحوا بالأوقات، وبالأموال، وبالأنفس، وبالشهوات، وبالديار، وبالأهل، وبكل شيء من أجل الدين، حتى رضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

والله ﷻ أعطى نبيه ﷺ هذه الصفات ، وانتقلت هذه الصفات من النبي ﷺ إلى الأمة كما قال ﷺ عنهم : «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**» متفق عليه(١) .

وقال ﷺ : «**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» متفق عليه(٢) .

هذه معاملة الصحابة مع الخالق ، هم بين يديه ، يقومون بـ يا أيها المزمل : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح/ ٢٩] .

أما دأبهم مع الخلق والمخلوق فهم : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة/ ١٦] .

فهم بين يدي ربهم ركعاً وسجداً، وبين يدي الخلق ينفقون علمًا ، ينفقون أخلاقًا ، ينفقون مالًا : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧] .

فالحمد لله الذي مَنّ علينا بهذا الدين ، ومَن علينا أن جعلنا من خير أمة أُخرجت للناس ، ومَن علينا بأن جعلنا في الصف الأول من الأمم ، حيث الأمم كلها تكون يوم

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٦٠١١، واللفظ له،ومسلم برقم: ٢٥٨٦.

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٦٠٢٦، واللفظ له،ومسلم برقم: ٢٥٨٥.

القيامة مائة وعشرين صفاً ، ثمانون صفًا من هذه الأمة ، ونحن في الصف الأول، لأننا من خير أمة أُخرجت للناس ، والذين في مقدمة الصف الأول هم الذين يقومون بالعبادة، والدعوة، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلقه: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة/ ١٠ – ١٤] .

ورحمة الله ﷻ وسعت كل شيء ، ورحمة البشر لا تخلو عن رقةٍ مؤلمة تعتري الرحيم ، وتحُركه إلى قضاء حاجة المرحوم ، والرحمة التامة هي إفاضة الخير على المحتاجين وإرادته لهم بما يكفي ، أما الرحمة العامة فهي التي تتناول المستحق وغير المستحق من مسلمٍ وكافر، وتقي وفاجر، وإنسان وحيوان .

- **ورحمة الله ﷻ تامة وعامة :**

أما تمامها فمن حيث أن الرحمن الرحيم أراد قضاء حاجات المحتاجين، وقضاها جل جلاله : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣]

وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق ، والدنيا والآخرة ، فهي عمت جميع الخلق وهو سبحانه الرحيم مطلقًا ، ورحمته وسعت كل شيء كما قال سبحانه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف/ ١٥٦] .

والرحمة من الله سبب واصل بين الله وبين عباده ، بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه ، وبها هداهم وبها يسكنهم دار ثوابه ، وبها رزقهم وعافاهم، وأنعم عليهم ، فسبحان الله وبحمده على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى ، وعلى رحمته لعموم خلقه: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦].

- **والدين عشرة أجزاء :**

جزء فيما بين العبد وربه ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، والانقياد لأوامره ونواهيه تعظيماً لله ومحبةً وذلًا وإخلاصًا لله في جميع العبادات الظاهرة والباطنة ، هذا حق الله على العباد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج/ ٧٧] .

وتسعة أجزاء فيما بين العبد وبين الخلق ، وهي حقوق العباد العظيمة، الأقرب فالأقرب كما قال سبحانه : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء/ ٣٦] .

هذا الجزء الأول عبادة الله وحده ، وهو أعظم الأجزاء وأكبرها وأعظمها وأوجبها .

- **وتسعة أجزاء فيما بين العبد وبين الخلق :**

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[النساء/ ٣٦] .

الإحسان إلى الوالدين بدعوتهما إلى الله، وتعليمهم، والإحسان إليهم، والأخذ بأيديهم إلى ما يحبه الله ويرضاه، وهذا أعظم حقوق الخلق فيما بينهم: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء/ ٢٣] .

﴿ وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء/ ٣٦] .

نُحسن إلى هؤلاء جميعاً، مهما كان الإنسان مسلماً أو كافراً ، تقياً أو فاجراً يهودياً أو نصرانياً ، نُحسن إليه حتى يحب الدين، ويحب صفات أهل الدين، ويحب ربه الذي خلقه ورزقه: ﴿ **وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾** ﴾ [آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤].

فمن رحم الخلق رحمه الله ، ومن أحسن إليهم أحسن الله إليه ، ومن عفا عنهم عفا الله عنه ، هذا هو التخلق المطلوب ، فمن قام بهذه الحقوق فهو الخاضع لربه، المتواضع لعباده ، المحسن إليهم، المنقاد لأمر الله وشرعه ، الذي يستحق الثواب الجزيل .

ومن لم يقم بذلك فهو العبد المعرض عن ربه، غير المنقاد لأوامره ، ولا متواضع لخلقه، بل هو متكبر، مُعجب بنفسه ، فخور بنفسه يمدحها ، والله لا يحب من كان مختالًا فخورا .

فهؤلاء ما بهم من الاختيال والفخر يمنعهم من القيام بحقوق الله، وحقوق عباده .

فهم يبخلون، ويأمرون الناس بالبخل ، يبخلون بالأقوال والأعمال، والإنفاق والمال، ولهذا ذمهم الله، وأعد لهم عذاباً مهينا: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾[النساء/ ٣٧] .

فجمعوا بين البخل بالمال، والبخل بالعلم ، وبين السعي في خسارة أنفسهم، وخسارة غيرهم ، وهذه صفات الكافرين والمنافقين .

فهؤلاء القوم كلما كفروا بالله، ومنعوا حقوق عباده، وتكبروا على خلق الله ؛ أهانهم الله بالعذاب الأليم، والخزي الدائم يوم القيامة .

ومن أصول هذا الدين الرحمة والشفقة على الخلق عمومًا ، فما تراحم قوم إلا اجتمع أمرهم، وارتفعت بين الأمم مكانتهم، ورضي الله عنهم ، وما نُزعت الرحمة من قوم، واستعملوا الغلظة والقسوة إلا تفرقت كلمتهم، وهانوا على من سواهم، ودارت عليهم دائرة السَّوْء: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران/ ١٠٣] .

والرحمة صفة حسنة، وعاطفة شريفة، وخليقة محمودة، مدح الله بها عبده ورسوله محمداً ﷺ ؛ حين تخلق بها، وعرف بها بين الخلق: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة/ ١٢٨] .

فالرحمة من أسمى الفضائل الإنسانية ، تكون من الآباء للأبناء تقبيلًا ومعانقةً، وتأديبًا وإحسانًا، وتربية لهم ورعاية .

وتكون الرحمة من الأبناء للآباء والأمهات قولًا كريمًا، وصُنعًا جميلًا، وطاعة في غير معصية الله ، وخدمة صادقة ، ودعاءً لهم بالخير، واستغفارًا لهم، ووفاءً لديونهم، وإكرامًا لأصدقائهم .

وتكون الرحمة بين الأقارب صلةً ومواساةً ومودة، وسعيًا لمصلحة، ودفعًا لمضرَّة .
وتكون الرحمة بين الزوجين معاشرةً بالمعروف وإحسانًا وعفوًا متبادلًا .
وتكون الرحمة بين أهل الدين الواحد إرشادًا إلى الخير وتحذيرًا من كل شرّ .
وتكون الرحمة بين جميع الأفراد بأن يحب المرء الخير لأخيه كما يحبه لنفسه ، ويكره لأخيه الشر كما يكرهه لنفسه ، ويسعى إلى ما فيه المنفعة ، ويواسي المحتاج، ويداوي الجريح ويعود المريض، ويجبر الكسير ، ولا يكلف أحدًا بأمرٍ عسير ، ولا يحمله من الأمر ما لا يُطيق: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٢] .
وتكون الرحمة بالكفار والظالمين بدعوتهم إلى الله، والإحسان إليهم، والدعاء لهم بالهداية : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].
وقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي ؛ فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ**» أخرجه البخاري (١) .
وإعطاء الكفار من المال ما يفتح قلوبهم لفهم هذا الدين، والدخول فيه، وغير ذلك مما يؤلف قلوبهم ، وكان النبي ﷺ **يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لا يخاف الفقرَ** .
ليؤلف القلوب على الدين ، وليدرب الأمة على الكرم والعطاء والبذل .
والدين يموت إذا لم ننفق عليه لا وقتاً، ولا مالاً، ولا نعطيه من أوقاتنا وأموالنا وقوتنا شيئًا .
الدين لا يبقى ولا يكبر ولا ينتشر إلا إذا وضعنا أموالنا وأوقاتنا وأنفسنا تحت شجرة الدين فتكبر وتثمر شجرة الدين ، وإذا وضعنا أوقاتنا وأموالنا وأنفسنا تحت شجرة الدنيا تكبر شجرة الدنيا، وتُنبت كل ما يشغلنا ويلهينا عن ربنا ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥] .
والله ﷻ توّج هذه الأمة بتاج الإيمان والأعمال الصالحة، والدعوة إلى الله ، وكثير من

---
(١)أخرجه البخاري برقم: ٣٤٧٧.

الناس توج نفسه بتاج اليهود والنصارى ، فسار وراءهم في طريقة الأكل والشرب وطريقة اللباس وطريقة الحياة .

قال النبي ﷺ : «**لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ مَعَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ ؟**» متفق عليه[1] .

توج نفسه بتاج اليهود والنصارى ، تاج الدنيا وجمع الحطام والانغماس في الشهوات ، والإعراض عن أوامر الله : ﴿**فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـًٔا ﴿٦٠﴾**﴾ [مريم/ ٥٩-٦٠] .

ومن تمام رحمة الله بعباده أن أرسل إلينا رسله بما يُسعدنا في الدنيا والآخرة ، واختار لنا نبينا ﷺ ، فالله ﷻ أرسله إلينا وكلفنا بإبلاغ ما جاء به : ﴿**هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾**﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

فالحمد لله رب العالمين أن عرفنا بصفة الرحمة، ودعانا للتخلق بها ، فيجب علينا التجمل بهذه الرحمة ، نرحم الأمة ، نرحم أنفسنا ، نتخلق بهذه الصفة ؛ لأن الله ﷻ هو الرحمن الرحيم ، يحب كل من اتصف بصفاته، وكل من أثنى عليه بها: ﴿**هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾**﴾ [الحشر/ ٢٢].

لابد للعبد ان يعرف ربه الرحمن الرحيم، ليحمده ويشكره على نعمه وإحسانه.

ويعرف الرحمن الرحيم ليزيد إيمانه وحبه لربه، ويعرف الرحمن الرحيم ليتعبد لله بصفة الرحمة بين خلقه، فيرحم كبيرهم وصغيرهم، وقريبهم وبعيدهم، ويواسي محتاجهم، ويعلم جاهلهم، ويعفو عن مسيئهم: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾**﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فالله بين لنا أنه الرحمن الذي يرحم عباده، لنتخلق بهذه الصفة ، فنرحم الخلق، حتى الله ﷻ يرحمنا ، نحمد الله ﷻ على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى أن جعلنا من خير أمة أُخرجت للناس ، وحبّب لنا الدين ، وحبب لنا الإيمان والأعمال الصالحة ، ونسأله

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٧٣٢٠، ومسلم برقم: ٢٦٦٩.

أن يعفو عنا وعنكم وعن المسلمين أجمعين : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف/ ١٠] .

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون/ ١٠٩] .

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر/ ١٠] .

«**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**» أخرجه البخاري [1] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٧٣٨٧.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســــم الله

الملك.. المليك

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله الملك.. المليك

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ملء السماء وملء الأرض على ما منَّ به علينا من نعمة الإسلام، ونعمة معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته ، والعمل بأوامره ، واجتناب نواهيه : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد/ ٢١] .

لا شك أن الفقه في الدين أفضل الأعمال، وأزكاها، وأشرفها، وأعظمها وأجلها ، لماذا ؟

لأنه معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة أنبيائه ورسله ، والعمل بموجِب ذلك ؛ إيمانًا واعتقادًا ، وقولًا وعملًا .

قال النبي ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه[1] .

إن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أشرف العلوم على الإطلاق ، وأعظم أبواب التوحيد والإيمان ، وأزكى العلوم، وأعلاها، وأحسنها، وأعظمها، وأوجبها ؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم ، وهو الله ﷻ : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾ [الحشر/ ٢٢ – ٢٤].

وهذا العلم الشريف هو أول العلوم التي يجب أن يتعلمها العبد ، وهو خير ما صُرفت فيه الأنفاس ، وهو عماد السير إلى الله ﷻ ، وهو الباب الأعظم لمعرفة الله و توحيده، ونيل محابه ورضاه ، وهو الصراط المستقيم لكل من أحبه الله : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩] .

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧١، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٠٣٧.

والإيمان بالله ﷻ ، والإيمان بأسمائه وصفاته وأفعاله ، هو أساس بنيان الدين ، وهو من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، وبمنزلة القلب من البدن ، ومتى كان الأساس راسخًا حمل البنيان، والأقوال، والأعمال ؛وبنيان الدين وسقفه وأعلاه وزينته الأخلاق الحسنة مع الخالق والمخلوق : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[القلم/ ٤] .
وقال النبي ﷺ : «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ» أخرجه أحمد (١) .
وأساس ذلك كله :
الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بها ، فالله واحد أحد، ليس كمثله أحد ، والله قوي ليس كمثله أحدٌ في القوة ، والله سميع ليس كمثله أحدٌ في السمع ، وهكذا في بقية الأسماء :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى/ ١١]
فأساس الإيمان هو الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وتوحيده بها ، ومتى كان الأساس قويًا حمل البنيان مهما كان ثقيلاً ، وإذا كان الإيمان قويًّا حمل جميع الأعمال ؛ حمل العبادات، والمعاملات، والمعاشرات، والأخلاق ، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه ، أهم شيء الأساس كيف يكون متيناً قوياً .
وإذا كان الأساس غير وثيق لم يحمل البنيان ، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان كله ؛ لأن الأساس هو الذي يحمل ما فوقه ، وعلى قدر إحكام الأساس يكون علو البنيان : ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾[الزمر/ ٦٥-٦٦] .
والله ﷻ قد أمرنا أن نتعلم هذا العلم الشريف، ونعتني به، ونعمل بمقتضاه ؛ لعظم شأنه وعلو مقامه ، وكثرة بركاته وخيراته ، فقال سبحانه : ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٣١﴾[البقرة/ ٢٣١] .
تقوى الله لا يمكن أن تكون إلا بعد العلم بالله ، بعد معرفة أسمائه وصفاته ، وبعد معرفة نعمه وإحسانه ، وبعد النظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات القرآنية ؛ يتولد الإيمان بالقلب ، ثم يعلو ويزداد تدريجيًا بكثرة النظر : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: ٨٩٣٩.

﴿فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨] .

وقال سبحانه : ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١] .

والقرآن العظيم بين كل شيء ، وأعظم ما بينه وفصله ثلاثة امور :

بيان أسماء الله ﷻ وصفاته وأفعاله وتوحيده والأمر بعبادته.. وبيان حياة الأنبياء والرسل وقيامهم بالدعوة إلى الله.. وبيان أحوال اليوم الآخر وما فيه من الجنة والنار، والثواب والعقاب .

فأسماء الله ﷻ وصفاته وأفعاله أعظم ما ذكر الله في القرآن، والله ﷻ أعلمنا من أسمائه في القرآن . . ومنها ما أخفاه . . ومنها ما علم بها بعض خلقه .

وهي أكثر شيء في القرآن وأعظمه وأحسنه ؛ لأنها صفات الخالق العظيم جل جلاله ؛ ولهذا يقول الله ﷻ : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

فيجب علينا أن نتعلم هذا العلم الشريف ؛ لأنه غذاء القلوب ، ولأنه أساس التوحيد ، وأعظم أركان الإيمان ، وأعظم حصون الدين ، وعليه تُبنى بيوت الإسلام الرفيعة، ومنازله العالية، وصفاته الحسنة الجميلة .

والله ﷻ بهذا الدين العظيم يجعل البشرية على صبغةٍ واحدة : ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

صبغة واحدة ، لنا ربٌ واحد ، وكتابٌ واحد ، ورسولٌ واحد ، وشريعةٌ واحدة ، وأخلاق واحدة ،

الله يريد أن نكون على طراز الأنبياء آدم ،ونوح، وإبراهيم : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم/ ٤١] .

الله ﷻ ينادينا دائمًا في القرآن : ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ [الأعراف/ ٣٥]

لتكون حياتنا مطابقة لحياة آدم ﷺ ، الله جعل آباءنا وأجدادنا أنبياء ، أولًا آدم ، ثم نوح، ثم إبراهيم ، فالله يُذكّرنا بهؤلاء، حتى تكون حياتنا مطابقة لحياتهم ظاهراً وباطنًا، وأقوالًا وأعمالًا وأخلاقًا : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴿٩٠﴾﴾

[الأنعام/ ٩٠] .

والله ﷻ رحيمٌ بالعباد ، بيَّن لنا الدين الكامل ، ووضحه لنا ، ويريد منا أن نكون أولياءه لا أولياء الشيطان ، وبمثل هذه المجالس الإيمانية تحضر الملائكة، وتُبعد الشياطين ؛ لأن الملائكة تحضر في الجو الذاكر ، والشياطين تهرب من الجو الذاكر إلى الجو الغافل ؛ ولهذا الله ﷻ يقول للنبي ﷺ : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية/ ٢١] .

ويقول : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى/ ٩ – ١٥].

ففي بيئة الذكر الشيطان كالبعوضة ، لا يستطيع أن يدخل على الإنسان ، والشيطان في بيئة الغفلة كالأسد : يجر الناس من المباحات إلى الصغائر ، ومن الصغائر إلى الكبائر ، ومن الكبائر إلى الردة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٠٨] .

ولهذا الشيطان يربي أتباعه في الجو الغافل : في أماكن الفساد والمنكرات ، والغيبة والنميمة ، والخمور ، وسماع ما حرم الله ، وفعل ما حرم الله ، واتباع الشهوات : ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٧] .

فنحن في هذه المجالس نجلس في الجو الإيماني ، والذي يجلس في الجو الإيماني يزيد إيمانه ، ثم إذا زاد الإيمان جاء في قلبه حب الطاعات ، وجاء تنوع الطاعات من فرائض ونوافل وواجبات وسنن ، ثم إذا جاءت الطاعات ، رضي الله عنه ، وإذا رضي الله عنه أسعده في الدنيا ، وأسعده في الآخرة ، فتزداد سعادته في الحياة ، ثم تزداد عند الموت ، ثم تزداد في القبر حينما يكون في روضة من رياض الجنة ، ثم تبلغ كمالها في الجنة ، حيث يعطى المؤمن ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾
[الأنفال/ ٢ – ٤].

وإذا ضعف مؤشر الإيمان بسبب الغفلة ، نقص الإيمان ، ثم نقصت الطاعات ، ثم زادت المعاصي ، ثم تنوعت المعاصي ، ثم جاء غضب الله ، ثم ساءت حال هذا الشخص ، ثم شقي هذا الشخص في الدنيا ، ثم ازداد شقاؤه عند الموت ، ثم ازداد شقاؤه في القبر حيث يكون حفرة من حفر النار ، ثم يبلغ أشد العذاب في نار جهنم ؛ حيث هي سجنٌ فيها أنواع من العذاب : ﴿ لَّهُمْ عَذَابٞ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤ ﴾ [الرعد/ ٣٤].

والله ﷻ يريد منا في هذا الجو الإيماني أن يزيد إيماننا ، وطريق الإيمان هو النظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، والنظر في الآيات الكونية يُولد معرفة الملك الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٖ لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

فواجباتنا لصحة أبداننا هي الطعام والشراب ، وواجباتنا لتنمية عقولنا هي العلوم العامة من علوم الشريعة وغيرها : معرفة الأشياء ، معرفة طريقة الوضوء ، وطريقة الصلاة ، وطريقة الصناعة والتجارة والطب وغيرها من العلوم النافعة.

وواجباتنا لغذاء قلوبنا هي بمعرفة أركان الإيمان الستة، وتدبر الآيات الكونية والقرآنية .

ومغذيات القلوب سبعة :

الإيمان بالله .. وأسمائه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعده .. ووعيده .

فالإيمانيات كلها تقوم على الغيب ، وأركان الإيمان ستة أمور كلها من الغيب ، أما المشاهدات فهي المحسوسات ، نشترك فيها نحن وبقية البشر ، بل نشترك فيها مع الحيوانات ، نحن نرى السماء ، ونرى الأرض ، ونرى الماء فنذهب لنشرب ، ونرى الظل فنستظل ، فنحن في المشاهدات نشترك مع الكفار والحيوان .

ونحن في العقليات التي نعقل بها الأشياء نشترك مع الكفار ، لكننا نتميز عن غيرنا بالإيمانيات ، والإيمانيات هي التصديق بالغيب ، وأول صفات المتقين الإيمان

بالغيب : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾ [البقرة/ ٢ – ٥].

وكما أنه لا بد للأسماك من الماء الذي تعيش فيه ، فكذلك لا بد للمؤمن من البيئة الإيمانية التي تزيد إيمانه و تحفظه .

وفي الجو الإيماني الله ﷻ يكرمنا بخمس كرامات عملية فورية :

نتعلم الدين.. ونعمل بالدين.. ونثبت على الدين.. ونترقى في الدين.. وننشر الدين .

في الجو الإيماني نتعلم الدين ، فتزيد ثروتنا الإيمانية ، نتعلم الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، نتعلم بعض السُنن ، بعض الآداب ، بعض الفضائل ، وإذا عرفنا ذلك سهل علينا القيام بأنواع العبادات والقربات ، لأننا في الجو الإيمان الذاكر .

ونثبت على الدين ؛ لأننا إذا تيقنا على شيء ثبتنا عليه ، فالذي يمسك التراب ليس كالذي يمسك الذهب ، إذا تيقنت على أن الذهب له قيمة غالية أمسكت به ، وإذا تيقنت أن هذا الدين حق تمسكت به وثبت عليه .

فبهذا الجو الإيماني يتبين لنا أن هذا الدين حق ؛ لأننا نتكلم عن الله وأسمائه وصفاته ، وعن الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، وعن محاسن الدين ، وفضائل الدعوة، ونرى ذلك .

لا نتكلم عن الدنيا ، ولا عن المخلوق ، إنما نتكلم عن الله ، فيزيد إيماننا بالحق ، ويزيد إيماننا بالحق الذي أنزله ، والذي يجب إتباعه ، ويزيد إيماننا بالثواب الذي يعطيه الله على هذا العمل ، ويزيد إيماننا على الوعد والوعيد الذي وعدنا الله به ؛ وعد الله بالجنة من أطاعه ، ووعد بالنار من عصاه .

وكلما زاد الإيمان زادت الأعمال الصالحة ، وجمع العبد بين فعل الفرائض والسنن من كل عبادة كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من الأدعية والأذكار.

وكلما ذاق العبد حلاوة الإيمان والأعمال الصالحة رغبت نفسه في نشر ذلك بين الناس ، خاصةً أهله وعشيرته وقومه وغيرهم : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة/ ٧١].

والشجرة كلما سقيناها تكبر وتُثمر ثمارًا طيبة نوعًا وكمًّا ، كذلك بكثرة المذاكرات الإيمانية يزيد الإيمان في القلب ، وأعظم ما يزيد الإيمان هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ولهذا هذه المعرفة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد إذا قُطع هذا الرأس مات هذا الجسد الذي يتحرك ، وبمنزلة القلب من البدن فمن لا قلب له لا حياة له .

وكذلك إذا جلسنا في مجالس الإيمان الله ﷻ يكرمنا بستة كرامات :

تنزل علينا السكينة.. وتغشانا الرحمة.. وتحفنا الملائكة.. وتنزل علينا السكينة.. ويذكرنا الله فيمن عنده.. ويِنادينا منادٍ : انصرفوا مغفورًا لكم.. قد بُدلت سيئاتكم حسنات .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «.. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله، يَتْلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الملائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُه، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».أخرجه مسلم(١).

وهذه أعظم العبادات ، عبادة تعلم العلم والإيمان .

قال النبي ﷺ :«مَنْ يُرْدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(٢) .

وأعظم الفقه أن يعرف العبد المعبود ، وماذا يجب له من العبادة والتوحيد والإيمان ، يعرف من يعبد ، ليعبده عبادة حر لا عبادة عبد ؛ العبد هو الذي يعبد ربه لينال منه الثواب فقط، أما الحر فهو الذي يعبد الله ، لأنه أهل أن يحُمد ، وأهل أن يُكبر، وأهل أن يُعظَّم ؛ لأنه الخالق الذي ليس كمثله أحدٌ في الخلق ، القوي الذي ليس كمثله أحدٌ في القوة ، الكبير الذي ليس كمثله أحدٌ في الكبرياء :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فالله ﷻ له الأسماء الحُسنى والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، هذه مُولدات عظيمة تعطي قوة النور في القلب ، فيمتلئ القلب بالنور ، فيطلب هذا القلب العمل ، والقلب ملك على الجوارح كلها ، إذا صلح صلحت، وإذا فسد فسدت، والملك على

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

(٢)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧١، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٠٣٧.

الجوارح يحركها بالطاعة ويمنعها عن المعصية ، فالطاعات تزيد في الجو الذاكر ، والمعاصي تزيد في الجو الغافل ، والرحمن يربي عباده في الجو الذاكر ، والشيطان يربي أتباعه في الجو الغافل.

ففي مثل هذه المجالس الإيمانية نحمد الله ﷻ على أن مَنَّ علينا متكلمًا وسامعًا بهذا المجلس المبارك ، أن نسمع ما يحبه الله ويرضاه ، وأن نُثني فيه على ربنا ، ونتعرف على ربنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ هذه نعمة من الله ﷻ أن نتذاكر هده الأمور العظيمة : ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة/ ٢٣١] .

فالله ﷻ ذكر ذلك في القرآن في آيات كثيرة ، بل لا تكاد آية تخلو من اسم من أسماء الله ﷻ ، سواءٌ كان ظاهرًا أو مضمرًا ؛ لأن المقصود الوصول إلى الله عن طريق النظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، وإذا وصلنا إلى الله، واتصلنا بالله وعرفنا الله ؛ حينذاك تهيأت قلوبنا وجوارحنا لامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، فبعد الإيمان يأتي العبد بالأعمال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧] .

فأسماء الله ﷻ وصفاته وأفعاله أحب شيء إليه ، وهي أكثر شيء في القرآن وأعظمه وأحسنه ، لماذا ؟ لأنها صفات الخالق جل جلاله ، فعلينا أن نتعلم هذا العلم ، ونتَّصف بالصفات التي يحُبها الله ، ومن أعظم ثمراتها تقوى الله ﷻ : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس/ ٦٢ – ٦٤].

فمن عرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله كبره ، وأحبه وأتقاه ، ونال رضاه .

والتقوى : ألا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يجدك حيث نهاك .

وأسماء الله ﷻ كلها حُسنى ، وهي مختصة به وحده لا شريك له ، فله سبحانه الكمال المطلق في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ؛ فلا شريك له ، ولا سَمي له ، ولا مثيل له، ولا شبيه له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

هو الملك الذي ليس كمثله أحدٌ في المُلك ، وهو القادر الذي ليس كمثله أحدٌ في

القدرة ، وهو العزيز الذي ليس كمثله شيءٌ في العزة : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/٨] .

هو الملك الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/١-٤] .

وقد ورد اسم الله الملك في القرآن (٥) مرات ، أما اسم الله المليك فقد ورد مرة واحدة.

وكل آيات القرآن فيها تعظيمٌ لله ، وفيها ذِكر لله ، وفيها توحيد لله ﷻ ، وفيها حمد الله ، حتى يمتلئ القلب الذي هو محل نظر الله بالإيمان ، فإذا امتلأ بالإيمان انقاد لطاعة من آمن به : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٌ وَرِزۡقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢ – ٤].

وقد خلق الله في كل إنسان ثلاث أواني :

فالقلوب آنية الإيمانيات.. والمعدة آنية المطعومات.. والعقول آنية المعلومات .

فنحن الآن نجتهد ليمتلئ القلب بالإيمان ، وملء القلب بالإيمان لا بد أن يكون في الجو الإيماني ، في الجو الإيماني تأتي الهداية ، ثم تأتي الاستقامة .

فلا بد للإنسان الذي يريد النجاة من أمرين :

أن يجلس في الجو الإيماني ليهتدي.. وينقطع عن الجو الغافل ليستقيم ، ويستمر على الاستقامة: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل/ ٣٦] .

بيئة العبادة والدعوة تعطيني الهداية والاستقامة ، والانقطاع عن بيئة الغفلة وبيئة المنكرات تحفظني من الوقوع في المعاصي : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف/ ٢٨] .

لا بد لكي نهتدي أن نعيش في الجو الإيماني ، ولكي نستقيم لا بد أن ننقطع عن جو

الغفلة ؛ لأن المؤمن مع المؤمنين يزداد إيمانه ، والغافل مع الغافلين تزداد غفلته ، والمؤمن مع الغافلين يتأثر بهذه الغفلة فيكون مثلهم .

فلكي نهتدي ولكي نستقيم لا بد من أمرين :

الأمر الأول : أن نطلب الهداية من الهادي، ولحصول الهداية لا بد أن نجلس في الجو الإيماني الذي تكون فيه الطاعات، وتحضر فيه الملائكة ، والذي يربي فيه اللهُ ﷻ .

والأمر الثاني : أن ننقطع عن جو الغفلة الذي يربي فيه الشيطانُ ، وتكون فيه المعاصي التي يَركب بعضها بعضًا ، ويزيد بعضها بعضًا .

والله ﷻ مَنَّ علينا ولله الحمد بهذه النعمة ، وهي نعمة الإسلام ، و نعمة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهذا العلم أعظم العلوم ؛ لأن معرفة الأوامر تأتي في الرتبة الثانية بعد هذا العلم : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩]

والعلم الإلهي ثلاثة أقسام :

علمٌ بالله.. وعلمٌ بأوامر الله.. وعلمٌ بأيام الله .

فالعلم بالله : هو معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة أركان الإيمان ، وما يجب له جل جلاله من التوحيد ، والإيمان ، والعبادة .

والعلم بأوامر الله : هو العلم بأوامر الشريعة ؛ عبادات ، معاملات ، معاشرات ، أخلاق ، وعلم الحلال والحرام ونحو ذلك .

والعلم بأيام الله : ننظر إلى حياة الأنبياء والرسل ، كيف نصر الله أولياءه ؟ كيف نصر رسله على أعدائهم ؟ وكيف خذل أعداءه .

والله يريد منا في هذه الدنيا أن نكمل محبوباته ، ما هي محبوباته ؟ الله ﷻ كريم ورحيمٌ بعباده ملأ الدنيا بمحبوبات الإنسان من أنواع الشهوات ، وملأ الدنيا بمحبوباته هو ، ومحبوبات الله ﷻ هي جميع أوامره ، هي الدين الكامل ، وأهل هذه الصفات هم الذين اشتراهم الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾[التوبة/ ١١١] .

ما هي صفاتهم ؟ ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة/ ١١٢] .

وماذا أعد الله لأهل هذه الصفات؟ : ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥] .

هذه الصفات التي يحبها الله ، الله يريد منا أن نلبس هذا اللباس ، نحن نشترك وغيرنا من البشر في اللباس المحسوس : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ الأعراف: ٢٦

لباس يستر العورة ، وريشا يعني زيادة جمال بألوانه وأشكاله ؛ لكن اللباس المقصود لباس التقوى ، لباس الإيمان .

فلباس البدن : يستر العورات الجسدية .

ولباس القلوب : يستر العورات الأخلاقية .

يكون في هذا القلب تقوى الله ، فيُقبل على طاعته ، ويُبعد عن معاصيه ، ويمتثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ، ويؤمن بوعده ووعيده .

فالله ﷻ مَلك ، ومُلكه عظيم ، ومُلكه كبير ، ومُلكه واسع : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر: ١٣] .

وأسماء الله ﷻ حتى يستبين لنا الأمر ، ويسهل علينا تدبرها في القرآن ؛ لا بد أن نعرف ضوابط نسير عليها في معرفة تلك الأسماء ، حتى نفهم معانيها ، ونعرف أقسامها ، ونعبد الله بمقتضاها .

وأسماء الله ﷻ كلها واحدة في الدلالة على الذات ، لكنها مختلفة في المعاني والصفات ، وما من مَلِك إلا وله أسماء وله صفات ، وملك الملوك له أسماء وصفات ، جميع أسمائه وصفاته حُسنى وعليا ، وكلها واحدة في الدلالة على الذات وهو الله ، متعددة الصفات ، فالخالق غير اسم الرب ، والرازق غير اسم العليم، والحكيم غير اسم القادر ، وهكذا .

وأسماء الله ﷻ التي ذكرها الله ﷻ لنا في القرآن ، والتي يجب علينا أن نُثبت لله ﷻ من

الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ ، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ ، على حد قوله جل جلاله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى/ ١١] .

هذه الأسماء الحُسنى كل اسمٍ له معنى خاص ، وله تعبدٌ خاص، فكما عرفنا أحكام الطهارة ، وأحكام الصلاة ، وأحكام العبادات ، وأحكام الزكاة ، وأحكام الصوم ، وأحكام الحدود وغيرها .

لا بد لنا أن نعرف ربنا جل جلاله ، لا بد أن نعرف الرب المعبود جل جلاله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وطريق هذه المعرفة هو أن نُقسِّم هذه الأسماء حتى نعرفها اسمًا اسمًا : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩] .

- فأسماء الله ﷻ من حيث العموم قسمان :

أسماء جلال.. وأسماء جمال .

فأسماء الجلال : هي التي تدل على القوة والقدرة ، مثل : الكبير ، القاهر ، العزيز ، الجبار، الملك ، القادر وأمثالها .

وأسماء الجمال : هي التي تدل على اللطف والرحمة ، مثل : اللطيف ، الرحمن ، الرحيم ، الكريم ، العفو ، الغفور وأمثالها .

والجلال والجمال على وجه الكمال لله ﷻ ، والناس فيهم من فيه صفات الجلال ، وفيهم من فيه صفات الجمال ، وفيهم من فيه صفات الجلال والجمال ، وفيهم من ليس فيه صفات الجلال ؛ ولا صفات الجمال ؛ وهذا أردأ المخلوقات ، وكذلك الحيوانات فيها ما هو شرس مفترس ، وفيها ما هو لين وسهل الطبع .

فالصفات من حيث هي ، صفات جلال وجمال ، والإنسان من حيث هو له صفات ، وكل أحد الله ﷻ يعطيه من فضله من هذه الأسماء والصفات ؛ لأن الإنسان من حيث جسده المادي حيواني ، ومن حيث أخلاقه آدمي ، والإنسان مجموعة عواطف ، في بيئة الذكر يتذكر فيتشبه بالصفات العليا ، وفي بيئة الغفلة يتشبه بالصفات الدنيا ، أولًا يتشبه بصفة الحيوانات ، ثم يرتقي منها إلى صفة السباع ، ثم يرتقي منها إلى صفة الشياطين .

أول صفة تأتي للإنسان إذا كان في بيئة الغفلة الصفة الحيوانية ، لأنها أسهل شيء ، أكل وشرب بلا أمرٍ ولا نهي ، ولا حد ولا قيد ، ثم يرتقى منها إلى رتبة السباع ، لأنه يريد أن يكمل شهواته ، لكن ليس بيده شيء ، فلا بد أن يقتل أو يسرق أو يعتدي حتى يكمل شهواته ، ثم يرتقي منها إلى رتبة الشياطين ، فيكون كإبليس ، ضالٌ مُضل، فاسدٌ ومفسد .

فلا بد من تقسيم هذه الأسماء ، ومعرفة معانيها ، ليمكن لكل احد أن يتخلق بها : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف/ ١٨٠].

- **وأسماء الله الحُسنى من حيث معانيها ستة أقسام :**

القسم الأول : الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانية الله .

وهذه الأسماء هي مثل : الله ، الإله ، الواحد ، الأحد ، الحي ، القيوم ، الحق ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن وغيرها من الأسماء الحُسنى .

القسم الثاني : الأسماء الدالة على المُلك والقوة والقدرة ، مثل : الملك ، القوي ، القادر ، العزيز ، الجبار ، المهيمن ، القهار ، المقدم ، المؤخر وأمثال ذلك من الأسماء الدالة على الملك والقدرة ، وهذه أسماء جلال.

القسم الثالث : الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد .

مثل : الخالق ، الباري ، المصور ، الوهاب ، الرزاق ، الكريم ، البر ، المقيت وغير ذلك من الأسماء الحُسنى .

القسم الرابع : الأسماء الدالة على العلم والإحاطة .

مثل : السميع ، البصير ، العليم ، الخبير ، الشهيد ، الرقيب ، الحسيب ، المحيط وغيرها من الأسماء الحسنى الدالة على العلم والإحاطة .

القسم الخامس : الأسماء الدالة على الرحمة والمغفرة والرفق والإحسان .

مثل : الرب ، الرحمن ، الرحيم ، الحليم ، الرءوف ، الحميد ، الشكور ، الودود ، الولي ، النصير ، القريب ، المجيب ، العفو ، الغفور ، التواب وغيرها من الأسماء الحُسنى .

القسم السادس : الأسماء الدالة على الهداية والبيان .

مثل : الهادي ، والمبين ، والوكيل ، والكفيل .

هو الهادي الذي هدى كل مُهتدٍ ، وهو الهادي الذي هدى جميع خلقه إلى ما يصلحهم ، وخزائن الهداية عنده وحده لا شريك له .

والمبين هو الذي بين نفسه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وبين دينه وشرعه ، وبين الحق من الباطل ، وبين الخير من الشر .

فالهداية بيدِ الهادي ، والدعوة للدلالة عليه ، والآيات الكونية للدلالة عليه ، والآيات القرآنية للدلالة عليه ؛ وحتى نصل إلى الهادي لابد من طلب الهداية منه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢ – ٧] .

فلابد من فعل أسباب الهداية ، وطلب الهداية من الهادي : ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف/ ١٧] .

فسبحان من أظهر نفسه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وآياته ومخلوقاته : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢] .

وإذا عرفنا ذلك عظَّمناه وأحببناه ، وإذا عظمناه وأحببناه طلبنا الاتصال به وعبدناه .

وجميع أسماء الله الحُسنى واحدة في الدلالة على الذات ، متعددة المعاني والصفات : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨] .

فالحمد لله رب العالمين أن يسر لنا معرفته بأسمائه وصفاته ، ويسر لنا مثل هذه اللقاءات المباركة ، فمن أراد الله به خيرًا أجلسه في مجالس الذكر ، أو فتح له مجالس الذكر ، أو ساقه إلى مجالس الذكر ، أو حبب إليه مجالس الذكر ، ليعرف ربه ثم يعبده بالتعظيم له ، والذل له ، والحب له .

فالله ﷻ هو الذي يُسير الخلق كما يُسير الكواكب : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس/ ٢٢] .

وحسب ما يكون في القلب من الرغبة يسير الله الإنسان إلى مجالس الذكر أو إلى غيرها من المجالس ؛ كلٌّ حسب رغبته وشهوته : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ

رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان/ ٢٩ – ٣١] .

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون/ ١١٦] .

هو الملك العظيم الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى، استوى على أعظم المخلوقات وأوسعها وأنورها وهو العرش ، واستوى عليه بصفة الرحمة :﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه/ ٥] .

وهو يريد من هذا الإنسان أن تطابق صفاته صفات العرش ؛ علوًّا ، واتساعًا ، وإشراقًا ، فالمؤمن عالٍ على الكافر وعلى الحيوان ، فالحيوان همه في الشهوات فقط ، والكافر همه في التعلق بالدنيا وقضاء حاجاته في الدنيا فقط .

أما المؤمن فهو عالٍ على هذا وعلى هذا ، بتوحيده وإيمانه والعرش أوسع المخلوقات ، والله يريد من الإنسان أن يتسع صدره لجميع أنواع الطاعات والقربات والعبادات ، والعرش أنور المخلوقات ، والله يريد من الإنسان ان يتنور قلبه بالتوحيد والإيمان حتى يعبد الله كأنه يراه .

فالله نور ، والعرش كله نور ، والملائكة نور ، وكتابه نور .

فالله يريد من كل إنسان أن تطابق صفاته صفات أعظم مخلوق خلقه الله وهو العرش علواً واتساعاً ونوراً .

فالله ﷻ إكرامًا لهذا الإنسان ينزل كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا ، ويقول : «**هل من داع فأستجيب له ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَاغْفِرَ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ ؟** »متفق عليه (١) .

﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠] .

ينقلكم من الرتبة الحيوانية والرتبة السبعية والرتبة الإبليسية إلى الرتبة الملائكية .

والله سبحانه هو الملك الغني عن كل ما سواه ، المالك لكل شيء في العالم العلوي والعالم السفلي ، الملك الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهن وما بينهن وما

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ١١٤٥، واللفظ له، ومسلم برقم: ٧٥٨.

فوقهن ، من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في ملكه العظيم :﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك/ ١].

هو ملك جل جلاله على العالم العلوي بما فيه من هذه المخلوقات العظيمة ، وهو سبحانه الملك العظيم الذي يملك السماوات السبع ، والأرضين السبع ، وما فيهن وما بينهن من شمس وقمر ، وكواكب ونجوم ، وليل ونهار ، وسحب ورياح ، وملائكة وأرواح ، وإنس وجن ، وحيوان وطير ، وجماد ونبات ، وتراب وماء ، وبحار وأنهار ، وسهول وجبال ، وغير ذلك مما لايمكن إحصاؤه أو الوقوف على آحاده : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾[المائدة/ ١٢٠] .

وإذا عرفنا أنه ملك ، فلماذا نخرج عن طاعة الملك ؟ لماذا لا نعبد الملك الذي نحن مُلكه ؟ ونحن نسكن في مُلكه ؟ ونحن نأكل من رزقه ؟ هو ملك على الشمس ، يسيرها كيف شاء ، ملك على القمر ، ملك على الكواكب ، خلقها ونثرها في السماء ، وملك على النجوم ، وملك على الليل ، يأتي به متى شاء ، ويصرفه متى شاء ، وملك على النهار ، وملك على السحب ، يصرفها في السماء كيف شاء ، وملك على الرياح ، هذه الرياح التي يتنفس الإنسان من هذا الهواء ثلاثمائة وستين مترًا مكعباً ، سواء كان في البر ، أو في البحر ، أو في الجو ، أو في أي مكان ، هذا الهواء من خزائن الله .

أرأيتم لو فُرغ هذا الكون من الهواء هل يمكن للإنسان أن يبقى حياً ؟ ، فالله خلق مخلوقات تعيش في بحر الماء ، وخلق مخلوقات تعيش في بحر الهواء ، الأسماك تعيش في بحر الماء ، ولو خرجت منه لماتت ، ونحن نعيش في بحر الهواء ، ولو أُخرجنا منه إلى بحر الماء لهلكنا : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فالله ﷻ له مُلك العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وإذا عرفنا أنه الملك لا بد أن نطيع الملك ، كما نطيع الملوك والرؤساء لإقامة الدنيا ، لا بد لكي تستقيم الحياة أن يكون هناك آمر ومأمور ، لتتحقق المصالح ، وتندفع المضار ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء/ ٥٩] .

والله ﷻ هو ملك الملوك ، له الملك كله ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، فلا بد أن نعرفه ، ونعرف أنه مالك الملك وحده ، وإذا كنا من مماليكه فلا يليق بنا أن نعصيه ؛ بل يجب علينا طاعته ، وتوحيده ، وفعل أوامره ، واجتناب نواهيه : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

وهو سبحانه الملك العزيز الجبار ، ملك الملوك ، ومالك المُلك ، الذي يملك جميع الملوك ، والمالكين ، وما يملكون كلهم : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

هو ملك قادر ، وملك قاهر ، وملك جبار ، ملك عظيم ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، لماذا ؟ لأنه ملك ، والملك لا بد أن تكون له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلى ، والأفعال العظمى ، حتى تكون له قوة في إدارة ملكه وتصريفه .

هو الملك الذي يدبر الكواكب حتى لا يصطدم بعضها ببعض، هو الملك الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، هو الملك الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا .

هو الذي جعل البحر سائلًا ، وجعل الجبل جامدًا، هو الملك الذي وضع اسمه على السماء فاستقلت ، ووضعه على الأرض فاستقرت ، ووضعه على الجبال فرست ، ووضعه على الرياح فهبت ، ووضعه على السحب فأمطرت ، ووضعه على اللسان فتكلم ، ووضعه على الأذن فسمعت ، ووضعه على العين فرأت : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن/ ٧٨] .

هو سبحانه الملك القادر ، الذي ينفذ أوامره الملكية في ملكه العظيم متى شاء ، وكيف شاء ، وعلى من يشاء ، من غير مشارك ولا ممانع ؛ خلقًا وإيجادًا ، وعطاءً ومنعًا ، وحياةً وموتًا : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

هذا الملك العظيم أنا عبده ، ويجب عليَّ طاعته ، يجب عليَّ أن أستحي منه ، فلماذا أسكن في ملكه وأعصيه بنعمه ؟: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ

﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦-٨] .
وحتى نعرف الملك حقاً لا بد أن نقرأ القرآن ، لنعرف ربنا ، ونعرف ماذا يريد منا ، وماذا يريد بنا ، وحتى نستفيد من القرآن لا بد أن نهتم بثلاثة أمور :
فنقرأ القرآن لثلاثة أشياء :
طلب الأجر.. وللتفكر.. وللعمل .
فالقرآن متعبَّد بتلاوته ، أقرأ الفاتحة مائة وخمسين حرفًا بألف وخمسمائة حسنة ؛ هذا الأمر الأول : تحصيل الأجر .
ثانيًا : نقرؤه وهذه درجة أعلى للتدبر والتفكر ، فإذا قلنا : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾[الفاتحة/ ٢] ، علمنا أن فيه إلهاً ، وأنه محمود ، ولماذا محمود ؟ لأنه هو الكبير العظيم ، وهو الكريم الرحمن الرحيم الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلى ، فأنا أقول الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، أنعم علي ، وعلى غيري ، وأعطاني خيراً ، وصرف عني شراً .
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة/ ٢] .
الذي أكرمني في بطن الأم ، وأكرمني في بطن الدنيا بهذا الدين ، ويكرمني يوم القيامة في الجنة بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .
ثالثاً :أقرأ القرآن للعمل ، فأصدق أخباره ، وأمتثل أوامره ، وأجتنب نواهيه : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾[الأنعام/ ١٥٥]
هو سبحنه الملك الحق الذي يدبر الأمر في السماء والأرض .
فلا إله إلا أنت ، نحن لا نستطيع أن نعمل شيئًا إلا بإذنك وعونك ، لا في إدارة أجسامنا في تشغيل الأجهزة الهضمية ، أوالتنفسية ، أو تشغيل الأعصاب أو الدماغ ، أو تحريك الأعضاء، فاللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.
هذا الدم يمشي في جسم الإنسان مائتين وثمانين كيلومتر ، تحريكُه في هذا البحر من الشرايين والأوردة بأمر الله ، هو جل جلاله قائم على كل نفس بأمره وإذنه وعلمه وقدرته يحرك هذا ، كما يحرك الأنهار في العالم ، ويحرك البحار ، ويحرك السحب ويحرك هذا الدم : . ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[البقرة/ ٢٥٥]
لو وقف هذا الدم لمات الإنسان ، فلا يمكن أن يعيش هذا البدن إلا بهذا الدم ، كذلك

لا يمكن أن يعيش هذا القلب مطمئناً إلا بالإيمان ؛ ولذلك الإيمان محله القلب ، والقلب يضخ الدم إلى جميع أعضاء الجسم ، والله ﷻ جعل هذا القلب محل الإيمان حتى يسير الإيمان ويجري من ابن آدم مجرى الدم .

يمشي مع الدم إلى العين فلا ترى ما حرم الله ، بل تنظر إلى الآيات الكونية ، والآيات الشرعية ، ويمشي إلى الأذن فتسمع القرآن وتسمع الذكر والمواعظ ، ويمشي إلى اللسان فيتحرك بالذكر والتسبيح والتهليل والتقديس ، والدعوة ، وتعليم شرع الله ، والنصيحة ، ويمشي إلى القدم فتتحرك إلى المسجد ، إلى الحج ، إلى العمرة ، إلى الجهاد في سبيل الله ، إلى الدعوة ، ويمشي إلى اليد فتسلم بها ، وتأكل باليمين ، وتجاهد بها في سبيل الله وتكتب بها الدين ، يمشي إلى كل عضو ، ليمشي الإنسان إلى ربه على الصراط المستقيم :﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام/ ١٥٣] .

فسبحان الملك الخلاق العليم الذي خلق هذا لقلب ، وجعله أميراً على البدن .

فهذا القلب الصنوبري يضخ الدم، إلى كل عضو وكل شعرة في الجسم ، ويضخ في كل يوم أكثر من اثنين وعشرين ألف جالون من الدم بأمر الله ، وعون الله ، ويمشي مع كل قطرة من هذا الدم التوحيد والإيمان لمن مَنَّ الله عليه بالهداية ، فيتخلق بأخلاق الملائكة والأنبياء والرسل .

أما من لم يهتدِ ، فيمشي مع هذا الدم الفسق والفجور والفساد والمعاصي ؛ فترى العين ما حرم الله ، وتسمع الأذن ما حرم الله ، ويتكلم اللسان بما حرم الله ، وتمشي الرجل إلى ما حرم الله .

- **فالإنسان له مصرفان :**

مصرف الطاعة.. ومصرف المعصية .

بحسب الإيمان الموجود في القلب أو عدمه :﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾
[الإنسان/ ٢ - ٣]

هو سبحانه ملك في الدنيا والآخرة ، ملكٌ على جميع مخلوقاته : خلقًا وإيجادًا ، وعطاءً ومنعًا ، وحياةً وموتًا ، وتصريفاً وتدبيراً :﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ ﴾ [الملك/ ١ – ٤].

فسبحان الله ما أعظمه ، وما أعظم ملكه جل جلاله ! هو سبحانه مالك هذا الكون كله ، والكون كله مملكة واحدة ، هذا الكون كله العالم العلوي والعالم السفلي ، وعالم الدنيا وعالم الآخرة ؛ كله مملكة واحدة ، لملكٍ واحد لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، ولا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾[فاطر/ ١٣-١٤] .

- **والله وحده هو الملك الحق المبين ، وكمال ملكه يتجلى من أكثر من عشرة وجوه :**

فالله له ملك العالم العلوي والعالم السفلي.. وله ملك عالم الغيب والشهادة.. وله ملك الدنيا والآخرة.. وله ملك السموات والأرض.. وله ملك ما بين السموات والأرض.. وله ملك ما في السموات والأرض.. وله ملك خزائن السموات والأرض.. وله غيب السموات والأرض .. وله مقاليد السموات والأرض .. وله جنود السموات والأرض .. وله ميراث السموات والأرض : ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠ ﴾ [المائدة/ ١٢٠].

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾ [الملك/ ١].

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ ﴾ [الحشر/ ٢٣].

فنعبد الملك، ولا نعبد العبد ، ونعبد القادر، ولا نعبد العاجز، ونعبد الغني ، ولا نعبد الفقير، ونعبد الخالق، ولا نعبد المخلوق : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فسبحان مالك الملك والملكوت ، كل شيء وقع أراده الملك جل جلاله ، أي شيء وقع في هذا الكون من خيرٍ أو شر أراده الله كونًا ؛ ما كان خيرًا أراده الله كونًا وقدرًا وشرعًا ، وما كان شراً وقع كوناً، لأنه لا يقع في ملك الله شيء إلا بإذنه ، وكل شيءٍ أراده الملك فلا بد أن يقع : ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾[البقرة/ ١٠٧] .

السحب تمطر بإذن الملك ، والعواصف تهب بإذن الملك ، والزلازل تأتي بإذن الملك ، والأرزاق تنزل بإذن الملك ، وهكذا كل ما يقع في الكون فبإذنه وعلمه ، لكن الله يحب الإيمان ويحب الخير لعباده ، لكن من خرج عن طاعته، وأصر على كفره ، فلا بد من عقوبته بزلزال أو خسف أو ريح أو غير ذلك : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٠﴾ [العنكبوت/ ٤٠] .

هذا الملك عظيم له الأسماء الحُسنى، وله الصفات العلى، وله الأفعال الحميدة، وله المثل الأعلى، يفعل في خلقه ما هو مقتضى الرحمة، والحكمة، والعدل، والإحسان .

فجميع أقضية الله وأقداره وأفعاله في ملكه لا تخرج عن أربع صفات :

كلها جاءت على وفق : الحكمة.. والرحمة.. والعدل.. والإحسان .

ولنعلم أن الله ﷻ إذا أعطى المُلك لأحد أعطاه الهيبة ، فصار كل الناس يخافونه .

أما المُلك الشخصي، فالله ﷻ ملَّكني جوارحي ، بفضله أعطاني الإيمان، فملكت جوارحي ، فأقبلت على الطاعة، وزجرتها عن المعاصي ، فأنت ملك إذا ملكت جوارحك ، وإذا ملكت هواك ، وإذا ملكت شهواتك ؛ هذا المُلك الخاص بكل فرد .

والله ﷻ يولي المُلك على الناس ، كما يعطي لبعض خلقه ملك دولة من الدول، فالله ﷻ إذا أعطى المُلك لأحد أعطاه الهيبة، فصار كل الناس يخافونه ، وإذا أراد نزعه من أحد ألغى هيبته، فصار كل الناس يجترؤن عليه ، ويكشروا في وجهه ، حتى يسقطه ويخلعه .

هو ﷻ إذا ملَّك ملكاً جعل له هيبة في قلوب الناس، ليهابوه فتستقيم الحياة ، فإذا هابوه أطاعوه ، وامتثلوا أوامره، وإذا أراد نزعه ألغى الهيبة من قلوب الناس، فصار كل الناس يجترئ عليه، ويكشر في وجهه، حتى يسقطه ويخلعه ؛ لماذا ؟، لأنه بلغ في الظلم والفساد مالا تصلح معه الحياة ، فالله ﷻ لا بد أن يبعده ؛ لأن الله ﷻ إذا كان هذا الحاكم عادلًا فالله يبقيه ولو كان كافرًا، لأن الحياة لا تستقيم بغير العدل .

فالله ملك يراقب ملكه، فإذا زاد ظلم الحاكم على العباد فالله ﷻ يُسقط هيبته من

قلوب الناس كما حصل لفرعون ، وكما هو حاصلٌ الآن في العالم ، فيلغي الله ﷻ هيبته، ثم ينزع عنه ملكه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾[آل عمران/ ٢٦] .

وكذلك الشر بيد الله ﷻ، فلا يقع في مُلكه شيء إلا قد أراده هو وأذن به ، لكن الله لا يأمر بالشر ، الله يأمر بالخير فيقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ ﴾[الحج / ٧٧] .

فالله يأمر بالخير ، ولا يأمر بالشر أبداً ، بل ينهي عنه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل/ ٩٠] .

لكن الشر إذا وقع من زلزال أو خسف أو غرق ، ومن ابتلاءات بالأمراض والمصائب ، هي وقعت بإذنه إما عقوبة، وإما تربيةً، وإما ترقيةً ، وهذه المصائب التي تنزل جاءت على وفق الحكمة ؛ ولذلك هي من النعم الباطنة ، فالمصائب هذه يرد الله بها عباده المؤمنين إليه، ويرقيهم، ويكفر سيئاتهم، ويُهلك بها أعداءه : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾[البقرة/ ١٥٥ –١٥٧] .

فمن أراد العزة والغنى والفوز والنجاة في الدنيا والآخرة فليتصل بالملك ، اتصل بالملك، ولا تتصل بالعبد، اتصل بالملك الحق الذي كل ما سواه مُلكٌ له وعبدٌ له ، وخزائن كل شيء عنده : ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠ ﴾[المائدة/ ١٢٠] .

فالحمد لله أن ربنا ﷻ ملك وعظيم وكبير وقوي، وله الأسماء الحُسنى، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾[طه/ ٨] .

وماذا في السماوات والأرض ؟ .

في السماوات والأرض مخلوقات عظيمة ، لا يحصيها ولا يعلمها إلا الله، هذه المخلوقات العظيمة يجمعها ستة عوالم :

عالمَ الجماد.. وعالم النبات.. وعالم الحيوان.. وعالم الإنس.. وعالم الجن.. وعالم

الملائكة .
وجميع هذه المخلوقات أمم وقبائل وشعوب مختلفة الأنواع، والأجناس، والأحجام، والألوان، والوظائف : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١١] .
• **ولله على كل مخلوق من تلك المخلوقات ، بل على كل ذرة في العالم ، ثلاثة أوامر ملكية من الملك :**
أمر بالإيجاد.. وأمر بالبقاء.. وأمر بالنفع والضر .
هو الملك الذي له جنود السموات والأرض .
البحر من جنده ملأه بالمخلوقات ، والفلك تجري عليه ، وإذا شاء أهلك به من شاء كما أهلك فرعون وقومه، وإن شاء أنجى به من شاء كما أنجى به موسى ومن آمن به .
والنار من جنده نطبخ بها الطعام، ونستدفئ بها ، وإذا شاء جعلها بردًا وسلامًا كما جعلها على إبراهيم : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٦٩] .
وهكذا الله ﷻ ملك له ملك السماوات والأرض وما فيهن ، وما عليهن ، وما بينهن .
وكل هذه المخلوقات العظيمة، وهذه العوالم الستة ، وهذه العوالم الكبرى، وهذه المخلوقات العظيمة تدل على الخالق العظيم، وعلى أنه ملكٌ قادر، وهو مالكها وخالقها ومدبرها ، وجميعها مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، وخاضعة لأمره، وشاهدة بوحدانيته، ومسبحة بحمده : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .
كل سماء سُمكها خمسمائة عام ، كل ذرة من السموات ، وكل ذرة من الأرض، تسبح بحمد ربها، وتدل على خالقها ومالكها .
فهو جل جلاله ملكٌ عظيم ، وربٌ قادر ، وإله عظيم ، هو الذي يستحق العبادة لذاته وأسمائه وصفاته ، ويستحق العبادة لجلاله وجماله ، ويستحق العبادة لأنه هو الملك الحق ، هو الملك الذي له ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة/ ١٢٠] .
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

هو سبحانه الملك الكريم الحق الذي يدعو عباده ليكونوا ملوكًا في الدنيا والآخرة ، الحي الذي يدعوهم ليكونوا أحياء سعداء لا يموتون أبدًا ، العزيز الذي يدعو عباده إلى الدين الحق الذي إذا آمنوا به ثم أرادوا شيئًا أعطاهم إياه : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

وأنت أيها العبد إذا أطعت الملك جل جلاله كنت في معية الملك في الدنيا والآخرة ، وإذا أطعت الغني كنت في معية الغني جل جلاله ، وإذا أطعت القوي كنت في معية القوي جل جلاله ، وإذا أطعت الصغير كنت في معية الصغير ، وإذا أطعت الفقير كنت في معية الفقير ، وإذا أطعت الضعيف كنت في معية الضعيف ، فما الحل ؟ ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١] .

واعلم أيها العبد أن الله جل جلاله هو الملك الذي خلق كل شيء بأمره ، وخلق الإنسان بيده ، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض ؛ من المياه ، والرياح ، والجماد ، والنبات ، والحيوان وغيرها ، ليستعين بذلك على طاعة من خلقه ويشكره : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠] .

إذا عرفنا أن الله ﷻ سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض ، فعلينا أن نشكره على هذه النعم ، والعبادة هي الشكر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٢] .

والله سبحانه عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها، وحملها الإنسان : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٢]

وهذا الإنسان لما قَبِل حمل الأمانة، وهي الدين الحق، كرمه ربه ، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض من المخلوقات ، وكل شيء مُسخر للإنسان ، والمسخَّر له أكرم من المسخَّر ، المسخر له وهو الإنسان أكرم من المسخر ، فقد خصه الله بأنواع الكرامات : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

فجميع ما في السموات وما في الأرض مسخر لهذا الإنسان ، والمسخر له وهو الإنسان أكرم من المسخر ، فالجبال والبحار والتراب والحديد وغيرها مما لا يحصيه إلا الله ؛ كلها مسخرة للإنسان : عالم الجماد ، عالم النبات ، عالم الحيوان ، الهواء ، المياه ، الجبال ، البحار ، كل المخلوقات مُسخرة للإنسان، ليشكر ربه، ويعبده ويطيعه : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

وإذا رأينا ذلك ، وعرفنا ذلك ، فيجب علينا أن نشكر هذا الملك الكريم ، وهذا الملك الحق الذي ملَّكنا في هذه الدنيا، وجعلنا في هذه الدنيا عبيداً للملك جل جلاله ، فعلينا أن نعبده ونذكره ونشكره جل جلاله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

والله ﷻ سخر لنا ما في هذا الكون تستخيرين :

تسخير تعريف بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتسخير تكريم بما خلقه الله من النعم .

ومقتضى تسخير التعريف أن تؤمن بالله، ومقتضى تسخير التكريم أن تشكر من سخره لك : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء/ ١٤٧] .

والله ﷻ ملكٌ عظيم، وربٌ رحيم ، فسبحان من خلق الإنسان وسخر له جميع ما يعينه على عبادة ربه ، والدعوة إليه ، والإحسان إلى خلقه .

فسبحان الخلاق العليم الذي يخلق ما يشاء، وكلما خلق شيئاً زاد ملكه ومماليكه وعبيده، يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات ، وهي تسبح بحمده وتشهد بوحدانيته، وكلها تدل على جلال الله، وتدل على جمال الله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر/ ٨٦] .

فمن هذه المخلوقات الثمار المختلفة الأنواع والأشكال والألوان والأحجام ، فما من شجرة إلا ولها ثمرة ، فجميع الثمار جعل الله طعمها طيبًا ، وشكلها جميلًا ، ورائحتها عطرة ، ومذاقها حلوًا ، وملأها بالمنافع: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

هذا اللسان يتكلم، والقلب لا بد أن يسمع ويعرف من هو الذي خلق هذه

المخلوقات ، المختلفة الطعوم والأنواع والأحجام: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٤١] .

فالإسراف مذموم لأن الله ﷻ لا يحب المسرفين ، ولأن المسرف يقترن به الشيطان : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء/ ٢٧] .

فلا نسرف لا في الأقوال ولا في الأعمال ولا في الأكل ولا في الشرب ولا في الكلام ؛ لأن الله لا يحب المسرفين ، ولأن المسرف يقترن به الشيطان فيؤزه إلى المعاصي ، ويأخذه من الطاعات إلى المعاصي ، ومن الصغائر إلى الكبائر ، ومن الإسلام إلى الكفر وهكذا : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء/ ٣٨].

فالله ﷻ هو الملك الذي سخر لنا في هذا الكون هذه المخلوقات العظيمة .

والله ﷻ هو الملك الذي يملك جميع ما خلق من هذه المخلوقات، وسخر لنا كل شيء في هذا الكون .

وصفة التسخير تدور معنا في كل ثانية من حياتنا، وصفة التكريم لا تفارقنا بحال : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤] .

هو سبحانه الملك الحق الذي أكرم الإنسان بأحسن الكرامات ، أما الإنسان من حيث هو فهو ظالمٌ لنفسه ، وظالمٌ لغيره ، وقاعد عن عبادة ربه ، ومُقبل على غيره ، ومعرض عن ربه : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤] .

يسكن في أرض الله، ويأكل من رزقه، ويعصيه بنعمه ، فلا بد له من التوبة إلى ربه : ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات/ ١١] .

لا بد من التوبة ؛ لأن هذا الإنسان إن كان في قلبه الإيمان سارع إلى الطاعات مع التقصير، وإن لم يكن في قلبه الإيمان وقع في المعاصي والمحرمات .

فسبحان من خلق هذا الإنسان، وأمده بالنعم، وأمره بعبادته حتى لا يذل نفسه لغيره.
كيف تكون حياة الإنسان بلا سمع ؟ كيف تكون حياته بلا بصر ؟ كيف تكون حياته بلا عقل ؟ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المؤمنون/ ٧٨] .
فهو سبحانه الذي خلق هذا المخلوق ، ورباه في الجنة ، ثم أنزله إلى الأرض ، ثم تناسلت ذريته ، ثم انتشروا في الأرض، وأصبحوا أمماً وقبائلاً وشعوباً : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات/ ١٣] .
نحن البشر من مماليكه ، نحن ذرة في مُلكه العظيم ، هذا الإنسان ذرة في هذا الكون ، كل بني آدم ذرة في مُلك الجبار جل جلاله ، في مُلكه الواسع جل جلاله .
فهذا الإنسان الذي لا يساوي ذرة في مُلك ملك الملوك سيعطي يوم القيامة إن كان مؤمناً مثل هذه الدنيا عشر مرات ؛ بسماواتها وأرضها، وجبالها ومخلوقاتها، وذهبها وفضتها، وأنهارها وبحارها، وكل ما فيها من الخيرات ؛ لأن الله كريم ، ولأن العظيم لا يعطي إلا العظيم : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢- ٨٣] .
هو ملك له الملك كله ، وهذا الملك هو الذي يستحق أن يُعبد، وأن يُكبر، وأن يُعظم، وأن يمجده الإنسان ويوحده، ويعتز به، ويثني عليه، ويحمده، ويسبحه، ويقدسه جل جلاله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون/ ٧٩ -٨٠] .
هو الذي يُحيي جميع الأحياء ، هو الذي يميت جميع الأموات : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون/ ٨٠] .
من يستطيع أن يضيء مساحة من الأرض مثلًا كيلو بكيلو ؟ أو عشرة كيلو بعشرة كيلو ؟ أومائة كيلو بمائة كيلو ؟ من يستطيع ؟ من الذي أضاء السموات والأرض بالنور ؟ من الذي أضاء هذا الفضاء العظيم بالنور ؟ من الذي خلق النور في الشمس ؟ من الذي سيَّر هذا السراج في العالم حتى يُنوِّر العالم ؟ من الذي جاء بالليل ؟ من الذي جاء بالنهار ؟ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ

﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس/ ٣٧-٤٠] .

كلهم عبيد لله مدبَّرون بأمره ، لكن هذه مخلوقات مُسخرة ، ونحن مخلوقات مخُيرة ، الله ﷻ خيرنا ، يعني جعل لنا شيئًا من الاختيار ، جميع المخلوقات مُسخرة لطاعة الله ، أما نحن مخيرون ومبتلون ؛ مبتلون بالشهوات الحيوانية وبالأوامر الملكية : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف/ ٢٩] .

لماذا الله خيرنا ؟ .

لأنه أراد أن يخلق من خلقه خلقًا أتوه إجبارًا ، وهم جميع المخلوقات ، وخلق من خلقه خلقًا يريد أن يأتوا إليه اختيارًا ، فمن جاء إليه اختيارًا وهو قادر على ألا يأتي إليه أحب إليه ممن جاء إليه إجبارًا ، لأن الشمس طُبعت على الإنارة ، والأرض طُبعت على الإنبات ، والملائكة كذلك طُبعت على التسبيح والتهليل وتنفيذ الأوامر الملكية، فهم : ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم/ ٦] .

أما هذا الإنسان فالله ﷻ خيره بين الإيمان والكفر، وأمره الإيمان، ورغبه فيه، ونهاه عن الكفر، وحذره منه: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التكوير/ ٢٧-٢٨].

فالله خلق الإنسان ثم كرمه وخيره: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان/ ٣] .

فالحمد لله أن جعلنا مسلمين وجعلنا نجلس في مثل هذه المجالس الإيمانية ، هذا فضل عظيم ، سيأتي هذا المجلس يوم القيامة كله نور ؛ لأننا جلسنا نتكلم عن ربنا ، وعن أسمائه وصفاته ، وعن التعلق به وحده لا شريك له ، وعن طاعته وطاعة رسوله ، وعن عبادته وحده لا شريك له .

فالحمد لله أن مَنَّ علينا بهذا المجلس ، وما نتكلم به ، وما نسمعه ، هو الغذاء الذي يغذي قلوبنا ، وهو الذي يُصلح حياتنا ، فلا يشغلنا عمل إلا القيام بهذا هذا العمل ، نسمع العلم ، ونُعلم الناس ، ونَسمع عن الله ، ونُسَمِّع عن الله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ

﴿ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

فإذا عرفنا ذلك فلا بد أن نتوجه إليه جل جلاله ، لا بد أن نتوجه إليه ، ونعبده وحده لا شريك له ، هو الملك الذي له ملك السماوات والأرض ، ونحن عبيده ، وليس للعبد خيار عند الملك ، بل يجب عليه أن يطيعه ، لكن الله منَّ علينا وجعلنا مخيرين ، وأعطانا الدين لنكسب الأجر ، وهو الكريم إذا قدمنا عليه يوم القيامة يكرمنا بالجنة ، وإن كنا لا نستحق شيئاً ، لأننا عبيده .

والله مقصود، والجنة موعود ، فالله مقصود : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

كيف أرضيه ؟ كيف يرضى عني ؟ والجنة موعود : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾ [التوبة / ٧٢] .

فالله مقصود : كيف أرضيه ؟ كيف أمتثل أوامره جل جلاله ؟ لأنه العظيم ، لأنه الملك الحق الذي له مُلك السماوات والأرض .

وكلما نظرنا في الكون نرى الأوامر الملكية تجري فيه ، ونرى الملك العظيم يفعل ما يشاء ، ويخلق ما يشاء ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾ [آل عمران / ١٩٠ – ١٩١]

إن في السماوات لخبرًا ، وإن في الأرض لعبرًا ، آيات محكمات ، ومطر ونبات ، وشمس وقمر ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وإنسان وحيوان .

لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، كلما يتفكر الإنسان ، وينظر في الملكوت ، يرى الملك ، ويرى الخالق يخلق ما يشاء ، ويدبر ما يشاء ، ويفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

فهذا الملك كله لمن ؟، ومن يصرف هذا الكون ؟ ، ومن يدبر الأمر ؟ : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن

رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾
قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن
وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ
ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾
[المؤمنون/ ٨٤ – ٩٢] .

فالحق من بيانه وظهوره أبين من كل بيِّن ، والتوحيد أبين من كل بيِّن ، ولكن هذا التوحيد ، وهذا الإيمان لا بد من سقيه في مثل الأجواء الإيمانية ؛ حتى يزداد ، وحتى يكبر ، وحتى تأتي قوة الطاعة ، وقوة العبادة ، وقوة الإيمان .

والله ﷻ هو الملك الرحمن الرحيم الذي يُرسل الرسل إلى أقطار مملكته ، ويحكم عباده بأمره وشرعه ، ويعلمهم ما ينفعهم ، ويعمهم بفضله ورحمته جل جلاله ، هو جل جلاله يعم خلقه بفضله ورحمته ، سواءً كان فيما يتعلق بأبدانهم ، أو فيما يتعلق بقلوبهم﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾﴾[الحديد/ ٢٥] .

وهو سبحانه الملك القدوس السلام ، الرحمن الرحيم ، اللطيف بعباده ، الذي يتودد إليهم بنعمه وإحسانه ، الحافظ لهم مما يضرهم ، يتودد إليهم بنعمه ليحبونه ، ويذكرون نعمه ، فيستحيوا منه ، فيعبدوه وحده لا شريك له ؛ والأجر عائدٌ عليهم ، والخير عائدٌ عليهم ، والله ﷻ غني عن العباد وعبادتهم ، إنما هم الذين يستفيدون من أعمالهم : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾﴾[الحج/ ٦٥] .

هواءٌ لطيف ، وماءٌ عذب ، وأرض ساكنة ، وطعام وشراب ، ونور وهدى ، ودينٌ حق ، ورب رءوفٌ رحيم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾﴾[الحج/ ٦٥] .

هو الملك الذي بيده مقاليد الأمور كلها .

هو القادر أن يجعل الشمس تنزل قليلًا فتحرق كل ما في الكون من جبال ومياه وأشجار وغيرها ، وهو القادر أن يرفعها قليلًا فيصبح كل ما في الكون أشد من

الحجارة قساوةً ، يتجمد تجمدًا فحينئذٍ يكون أشد من الحجارة ؛ ولكنه جل جلاله رحيم بعباده ، جعل لها مسارًا لا تخرج عنه ، وهي سامعة مطيعة ، وثبَّت مشرقها ومغربها ، وجعله على ثلاثمائة وستين مشرقًا : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [المعارج / ٤٠ – ٤١]

ولها مشرق في الصيف ، ومشرق في الشتاء : ﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرحمن/ ١٧] .

وأمرها كل يوم أن تشرق من المشرق ، وتغرب من المغرب : ﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ ﴾ [المزمل / ٩] .

فلا إله إلا الله ، ما أعظم فلكه ، وما أعظم قدرته : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٧] .

هذه الشمس وهذا القمر كلهم عبيد من عبيده ؛ كلهم عبيد مسخرون له ، وهذا الفضاء العظيم ، وهذه السماوات العلى ، وهذه الأرض ومن فيها ؛ هذه كلها مماليك تدل على مالكها ملك الملوك الذي خلق الملوك ، وقسم الممالك ، وقسم الأرزاق .

هذا الإله العظيم يحب أن يُعبد ؛ لأنه أهل أن يُعبد لذاته وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله ، لا إله غيره ولا رب سواه .

وهو سبحانه الملك الحق المبين ، الذي يحكم وحده بين الخلق يوم القيامة ، ومن رحمته بالخلق أنه وحده ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٤] .

يحكم وحده ؛ لأنه الملك الذي يحكم بالعدل والإحسان ، ويعفو ويصفح ، ويغفر ويستر : ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفرقان/ ٢٦].

يمد للإنسان يوم القيامة سجل مد البصر كله سيئات ، ويقر به العبد ، والله يقول له : «**سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**» متفق عليه[1] .

لأنه هو الغفور الرحيم جل جلاله ، فالمغفرة أحب إليه من العقوبة ، والعفو أحب إليه

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٢٤٤١ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٧٦٨ .

من الانتقام ، والرحمة أحب إليه من الشدة ، والعطاء أحب إليه من المنع ، هذا هو ربنا الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلى .

فالله يريد منا أن نتصف بهذه الصفات : نعفو الله يعفو عنا ، نرزق الله يرزقنا ، نعطي الله يعطينا ، نكرم الله يكرمنا وهكذا : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

تنزل الملائكة لفصل القضاء ، فتكون صفوفًا كل صف وراء صف ، ملائكة السماء الدنيا ، والثانية ، والثالثة ، إلى السابعة ، والله ﷻ يأتي لفصل القضاء بين الخلق : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر/ ٢٢] .

ويحضر الكل أمام ملك الملوك : ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة/ ١٧ -١٨] .

ثم يقول تعالى للعباد يوم القيامة: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم (١) .

فما أشد هول ذلك اليوم : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان/ ٢٥- ٢٦] .

عسير على الكفار، لأنهم يعلمون ما عملوا ، وبان لهم الحق الآن ، وبان لهم أنهم سوف يُحاسبون ويعاقبون على ما عملوا في هذه الدنيا ، فالكافر هذا الذي يستكبر في الدنيا مغرور بشهواته ، والله ﷻ أعطاه الاختيار ، وهو استغل هذا الاختيار ، فجاء الشيطان وأغراه ، واجتمعت النفس والشيطان والهوى على هذا الإنسان ، فأصبح يتقلب في الشهوات ، ويعصي الله ، بنعم الله ، في مُلك الله : ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٦-١٩٧] .

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة/ ٥٥] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

هذه الدنيا متاع : ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء/ ٧٧] .

فالدنيا دار الإيمان والعمل والفناء ، والآخرة دار الثواب والعقاب والخلود .

وإذا حكم الله بين العباد ، فلا ظلم ، ولا جور ، ولا خوف ؛ بل عدلٌ وإحسان : ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر/ ١٧] .

فمن أطاع ربه الملك القدوس في الدنيا ، وعاش في الدنيا عبدًا له ، فاز بقرب الملك الحق يوم القيامة ، وملَّكه ربه من النعيم ما لا يخطر بباله : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر/ ٥٥] .

الله أكبر ، ما أعظم ملكه ! وما أعز سلطانه ! وما أعظم كرمه ! وما أوسع حلمه على من عصاه جل جلاله : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠] .

الله أكبر من أي شيء ، والله ﷻ أكبر مما عرفت ومما لم تعرف ، ما أعظم مُلكه ! كم ملك الله ﷻ في العالم العلوي ، والعالم السفلي ؟ ما أعز سلطانه، هو الذي يتصرف في هذا الكون كله ، وما أوسع حلمه على من عصاه من عباده .

فلله الحمد على ملكه العظيم ، وله الحمد على فضله الكبير ، وله الحمد على رحمته الواسعة ، وله الحمد على نعمه السابغة : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦ – ٣٧].

لما أقول : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة/ ٢] .

أذكر الله ، وأذكر النعم ، وأذكر المنعم عليهم ، فتأتي عندي حلاوة الحمد ؛ لما أذكر الرزاق ، أذكر الأرزاق أنواعها وأصنافها ، وأذكر المرزوقين ، وأذكر دوامها على الخلق ، لما أذكر اسم ربي الحليم ، أذكر حلمه على من عصاه ، حلمه على من حاربه بنعمه ، حلمه على من عصاه في مُلكه : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

وبهذا الذكر نفهم معاني أسماء الله وصفاته وأفعاله ، ونجد حلاوة الإيمان والعبادة .

فكل اسم لله لا بد أن أفهم معناه ، وأتذكر مقتضاه ، وأتذكر آثاره في الخلق ، ثم أتعبد لله عز وجل به .

فللّه الحمد على نعمه السابغة، أنعم علي، وأنعم على غيري ، أعطاني خيرًا ، وصرف عني شرًّا ، أنا أعيش في نعمه المادية والروحية فله الحمد كثيراً كما ينعم كثيراً : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل / ٥٣].

وله الحمد كثيرًا على ملكه العظيم ، وعلى نعمه السابغة ، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا يوافي نعمه ،ويكافئ مزيده : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [سبأ/ ١] .

فسبحان الملك القدوس ذي العزة والجبروت والملكوت ، كثير الخلائق والممالك والمماليك ، واسع الرزق والمغفرة والرحمة .

سبحان الله ، ما أعظم ملكه ! نحن في أرضٍ واحدة ، وفي مُلك من مُلك لله ، جزء من مُلك الله ؛ هذه الأرض البسيطة ، نحن الله ﷻ مَنَّ علينا فمشينا إلى مشرق الأرض إلى اليابان ، وإلى مغرب الأرض في غرب أمريكا ، وإلى شمال الأرض في روسيا وإلى جنوب الأرض في المحيط الهندي ، فرأينا في ملك الله مخلوقات عظيمة ، سهول وجبال ، وبحار وأنهار ، ونبات وحيوان ، وأمم وقبائل من الناس : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت / ٢٠] .

ذهبنا إلى جنوب أفريقيا ، نزلنا تحت الأرض مسافة مائتين متر ، وإذا هناك تحت الأرض كابلات كهربائية وسباكة وتفجيرات ، هؤلاء الذين يجتهدون على استخراج الذهب من أجل الدنيا .

فهذا جهد المخلوق على المخلوق ، فكيف إذا اجتهدنا على الإنسان وصار من المؤمنين وصار يدعو إلى الله ، فكم يحصل لهذا الإنسان من الخير ، ويحصل به من الخير ؟

النبي ﷺ اجتهد على أهل مكة ووسع جُهده في الدعوة إلى الله ، ثم ذهب إلى الطائف ، وهذه القبيلة عارضته وحاربته ، لكن الله أخرج منها رجلًا هو محمد بن القاسم الثقفي ، الله ﷻ هداه ، فذهب إلى المشرق وفتح بلاد ما وراء النهر ، ففي

صحيفته بلاد الهند والسند وباكستان وبنجلادش وأفغانستان وهذه الدول الشرقية ، كلها في صحيفة محمد بن القاسم الثقفي ، وهو في صحيفة من دعاه ، ومن دعاه في صحيفة النبي ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران / ٧٣ – ٧٤] .

فكم للنبي ﷺ من الجنات ؟ ، بقدر من اهتدى بهديه ، واستقام على ما جاء به ﷺ .

فهذا الرجل في صحيفته أكثر من مليار مسلم ومسلمه ، وكل يوم يزيدون ، من يصوم ، من يصلي ، من يتوضأ ، من يزكي ، من يحج ، من يعتمر ، من يسبح ؛ كلهم صحيفته : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد/ ٢١] .

فنضع أنفسنا في هذا الجو الإيماني حتى الله ﷻ يربينا ، وتمتلئ قلوبنا بالإيمان ، فتتحرك جوارحنا بالعبادة بين يديه ، وبالدعوة والتعليم بين خلقه .

فالله يُسيرنا في الكون كما يُسير الشمس بالإنارة ، ويسير السحب بالمياه ، يسيرنا بنشر الهداية في العالم : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

والله ﷻ أعلمنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ، لنعظمه ونكبره ، ونحبه ونحمده ، ونعبده بمقتضاها، فإذا عرفت أن الله حي قيوم ، لا بد أن أكون حياً قائماً بأمر الله ، حي في قلبي بالإيمان ، حي في بدني بطاعة الله ، حي أسمع ما يحب الله ، وأتكلم بما يحبه الله ، وأعمل ما يحبه الله ، وأدعو إلى دين الله : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

أكون قائماً على الناس ، قائم بالدعوة ، قائم بتعليم الناس ، قائم أواسي الفقير ، وأطعم الجائع ، وأكسو العريان ، أمشي في هذه المنافع ، فالله ﷻ يحبني ، يحبني لأني أقوم بالصفات التي يحبها ، فالله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، ويحب المؤمنين ، ويحب المحسنين ، ويحب المتقين : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ

﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

والله سبحنه هو الملك الحق المبين ، له الملك كله ، أحاط بكل شيء علماً وقدرة .

يستوي عنده الصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، والناطق والصامت ، والظاهر والباطن ، هو سميع وسع سمعه جميع الأصوات ، بصير وسع بصره جميع المبصرات : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج/ ٧٠] .

الله هو العليم الذي أعلمنا من علمه بما يصلح حياتنا في هذه الدنيا ، هو عليمٌ بكل شيء ، أما نحن فالله أعطانا من علمه ما نتقرب به إليه ، وما نعرف به المخلوق من الخالق والصور من المصور ، والقادر من العاجز ، والملك من المملوك .

هو عليم بكل شيء ، عليمٌ بكل كلمة مرت وذهبت ، عليمٌ بكل ذرة في الكون ، عليمٌ بكل نجم في السماء ، عليمٌ بكل ملَك راكعٌ أو ساجد ، عليمٌ بكل شيء في البر ، عليمٌ بكل سمكة في البحر ، عليمٌ بكل طير في الجو ، عليمٌ بما في الألسنة من الكلام قبل أن تتكلم ، عليمٌ بما في السمع من المسموعات قبل أن تسمع ، فهو عليمٌ بكل شيء جل جلاله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وأطعتموه وعبدتموه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

ماذا عندنا من العلم ؟ ، ماذا علمنا وماذا جهلنا ؟ ، ماذا قدمنا وماذا أخرنا ؟ ، وبم أحسنّا وبم أسأنا ؟ .

حتى الروح التي في داخلنا نحن لا نعلمها : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٥] .

فسبحان الملك العليم الخبير بكل شيء ، القادر على كل شيء ، المحيط بكل شيء .

من يحسب عدد الكلمات التي تكلمناها ؟ من يحسب عدد الذرات في الهواء ؟ من يعلم عدد شعرات رأسه ؟ ، من يعلم عدد أنفاسه ؟ ، من يعلم عدد الكلمات التي نطقها ؟ من يعلم بكريات الدم الحمراء ؟ من يعلم بما في الأجهزة الداخلية في باطنه .

هذا في إنسان واحد ، فكيف العلم بكل مخلوق في العالم ؟ ، فكيف بعلم عالم الغيب والشهادة ؟ فكيف بالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه/ ١١٤] .

فلنتأدب ونعلم أن العليم علَّمنا فعلِمنا ، فيجب علينا أن نُعلِّم ، ولو رفع عنا العلم لعدنا جهلة ، ونعلم أن الكريم أكرمنا ، فيجب علينا أن نكرم ، ولو لم يكرمنا لكنا أهون الخلق ، ونعلم أن الغفور غفر ويغفر لنا ، فيجب أن نغفر للناس زلاتهم ، ولو لم يغفر لنا ربنا لكنا أخسر الناس : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

فالله جل جلاله خلقنا وأعطانا الصفات التي نتقرب بها ، ودعانا إليها ،وأعطانا الأجر عليها ، ورغبنا فيها ، وأعاننا عليها : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة/ ٤] .

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير.

- **ومُلك الله لمخلوقاته من ثلاث جهات :**

الأولى : مُلك الخلق والإيجاد ، والإمساك والإبقاء .

فكل شيء في الكون الله خلقه وملكه ، وهو الذي يمسكه ، وهو الذي يبقيه ، وإذا رفع عنه أمر الإمساك سقط ، وإذا رفع عنه أمر الإبقاء فني ، فالله وحده خالق كل شيء ومالك كل شيء وممسك كل شيء ، والمبقي لكل شيء : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣] .

المُلك الثاني : مُلك التصريف .. والتدبير .. والتحريك .. والتسكين .

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

أوامر التصريف والتدبير ، والتحريك والتسكين ، والتغيير والتبديل، بيد الله وحده . فالله وحده هو الملك القوي القادر الذي يتصرف في مُلكه كيف شاء ، بإرادته

ومشيئته ، لا رادَّ لأمره ، ولا مالك غيره ، ولا مالك فوقه ، ولا مالك دونه ، وكل مُلك دونه مملوك له ، خاضع لأمره ، مستجيب لمشيئته ، مسرع إلى إرادته : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

وما هي أفعال الملك ؟ .

﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٧] .

الرزق عند الملك ، وإيصال الرزق بيد الملك ، الله يرسل الأرزاق إلى كل مرزوق في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، في السماوات والأرض وما بينهما : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣٧] .

هو الملك القوي الذي خلق الأرزاق ، وبقدرته يوصل الأرزاق لمن في البحار ، ولمن على ظهر الأرض ، ولمن فوق الأرض ، ولمن تحت الأرض، ولمن فوق السماوات ، هو يوصل الأرزاق المادية والروحية إلى خلقه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣] .

أما القسم الثالث : فهو مُلك النفع والضر .

جميع المخلوقات لا تنفع ولا تضر إلا بأمر الله وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

مُلك النفع والضر بيده ، الشمس ما تنفع إلا بأمر الله ، النار ما تُحرق إلا بإذن الله ، البحر ما يُغرق إلا بإذن الله ، كل شيء بيده ، كل شيء مملوك له : ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود/ ٥٦] .

فملك النفع والضر بيده ، جميع المخلوقات أواني فارغة ليس بيدها شيء ، فالله خلقها ، وجعلها مظهرًا لقدرته ، فالأرض تنبت بأمره ، والسماء تمطر بأمره ، والشمس تنور بأمره ، وكل ما في الكون كله يفعل بأمره وإذنه وعلمه : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك/ ١] .

هو مَلك بيده ملكوت السماوات والأرض : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ

إِلَٰهٌۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الزخرف/ ٨٤] .

فسبحان الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء : ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الواقعة/ ٥٨ - ٧٣] .

فهذه المخلوقات وغيرها لا تنفع ولا تضر إلا بأمر الله ، فنتصل بالملك الذي يملكها، حتى يسخرها لنا ، ويعطينا من منافعها ، ويدفع عنا شرورها جل جلاله : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

وقال النبي ﷺ لابن عباس : «يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ ؛ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» أخرجه أحمد [1] .

فالله وحده هو خالق المخلوقات ، المالك لها ، المتصرف فيها كيف شاء ، فيجعل بقدرته النافع ضارًا ، والضار نافعًا ، وينجي بأسباب الهلاك كما أنجى إبراهيم ﷺ من النار ، ويهلك بأسباب النجاة كما أهلك قارون مع ماله ، وأهلك فرعون مع مُلكه ، ويُعز بأسباب الذلة كما أعز الأنبياء مع قلة ما في أيديهم ، ويذل بأسباب العزة كما أذل فرعون ومن سار على طريقته : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: ٢٧٦٣.

هو سبحنه ملك الملوك ، ومالك الخلائق ، ومالك يوم الدين : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [سبأ/ ١] .

فسبحان الملك الحق الذي يُدبر مُلكه العظيم في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، الحي الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم ، الملك الرءوف الرحيم ، الذي يتصرف في المُلك والملكوت بما شاء ، على مقتضى حكمته ورحمته ، وعدله وإحسانه : ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

كل يوم الله ﷻ في شأن :

يُملِّك ملكًا ، وينزع ملكاً ، ويُعز ذليلًا ، ويُذل عزيزًا ، ويذهب بدولة ، ويأتي بأخرى ، ويداول الأيام بين الناس ، ويفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

هو الملك الذي ينصر مظلومًا ، ويأخذ ظالمًا ، ويجيب داعيًا ويعطي سائلًا ، ويفرج كربًا ، ويكشف غمًّا ، ويغفر ذنبًا ، ويجبر كسيرًا ، ويشفي مريضًا ، ويُغني فقيرًا ، ويُفقر غنيًّا ، ويؤمِّن خائفًا ، ويخيف آمنًا ، ويُقيل العثرات ، ويستر العورات ، ويقضي الحاجات : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر/ ١٣] .

هو ملك حي قيوم وكلّ أحد يسأله ؛ من بالعالم العلوي ، والعالم السفلي ، وعالم البر وعالم البحر : ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٩] .

من عظمة ملك الله ﷻ حُسن ملكته لما يَملك ، بحسن التدبير ، وجميل الإحسان ، وحُسن الخَلق ، وجمال التصوير ، وبديع الإتقان ، وعجيب الحفظ ، وإتقان الصنع : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان/ ١ – ٢] .

فسبحان الملك الذي له الملك كله ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، وبمعرفة حقيقة الملكوت يحصل للعبد أعلى

درجات اليقين .

- **فدرجات العلم ثلاث :**

علم اليقين . . وعين اليقين . . وحق اليقين .

علم اليقين : كأن أقول لواحد من الناس : العسل طعام حلو ، وهو سائل ، ولونه بني أو أسود ؛ ويصدقني بهذا ، هذا علم اليقين .

أما عين اليقين : فأن آتي إليه به ، وأريه إياه ، ويرى سيلانه ، ويرى لونه ؛ هذا يُسمى عين اليقين : قد جاء العسل ، ورآه الإنسان .

وحق اليقين : أن يذوق هذا العسل ، ويشعر بحلاوته .

فكذلك كيف نعرف نحن ربنا جل جلاله ؟ ، لنعبده كما يليق بجلاله .

لا بد من النظر والتدبر والتفكر في آيات الله ومخلوقاته : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

بمعرفة حقيقة الملكوت يحصل للعبد حق اليقين ، فيرى في الكون حُسن التدبير ، وجمال الرحمة ، وجمال الإحسان ، وحُسن الخلق ، وبديع الإتقان ، وعجيب الحفظ ، وإتقان الصُنع . يرى هذه التدبيرات العظيمة ، يرى هذه التدبيرات الملكية في هذا الكون ، فيرى حقيقة الملكوت : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢ – ٤] .

بمعرفة حقيقة الملكوت يحصل للعبد علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين ، وبمعرفة حقيقة المُلك تحصل له المشاهدة ، يرى هذا الملك ويعلم أن له مالك ، يرى الخلق ويرى الخالق وراء هذه المخلوقات ، يرى الصور ويخترقها إلى المصور جل جلاله ، يرى الأرزاق المنثورة فيما حوله فيخترق الأرزاق إلى الرازق جل جلاله .

بمعرفة حقيقة المُلك تحصل له المشاهدة ، فيجلس على الرزق ويرى الرازق ، وينظر إلى المخلوق ويتجاوزه إلى الخالق ، وينظر إلى الصور ويتجاوزها إلى المصور ؛ وهذا هو عين اليقين : أن أرى المخلوق فأخترق المخلوقات إلى الخالق ، وحق

اليقين أن أرى الخالق يفعل في مخلوقاته ما يشاء ، بكمال اليقين الله عز وجل يجعلني أنظر إلى المخلوقات ، وأرى فعله في المخلوقات ، وفي جو الغفلة أرى المخلوقات ، وأرى أنها تفعل ، فأتعلق بها ، أرى الشمس تنور ، والأرض تنبت ، والشجرة تُثمر ، والمال ينفع ، فأتعلق بها من دون الله : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٧]

لكن إذا جاء حق اليقين رأيت الخالق يفعل في المخلوقات ما يشاء ، أرى فعل الله في المخلوقات ، أرى قدرته ؛ لأن الله أظهر سنته ، وأخفى قدرته ، أظهر سنته أن السماء تمطر ، والأرض تنبت من هذه الأشجار ، قدرته مخفية فيها ، ماء وتراب مخلوق ممكن ينتج أو لا ينتج أشجاراً وثماراً ، لكن قدرة الله هي التي أخرجت هذه الأشجار ، فالماء خلق الله ، والتراب خلق الله ، والخالق أخرج منهما النسل ، والنسل هو هذه النباتات والأشجار والثمار ، فأرى فعل الله في مخلوقاته ، إذا آمنت رأيت فعل الله في مخلوقاته ، رأيت الخالق يخلق ، والمصور يصور ، والرزاق يرزق .

إذا لم يكن هناك تذكير بالله أرى المخلوقات تفعل ، فأتعلق بها ، وأظن أن الحياة فقط هي هذه الحياة الدنيا ، الحياة الدنيا وأنسى الآخرة : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٤] .

فالله بين حقيقة الدنيا ، وحذر منها ، وبين حقيقة الآخرة ، ورغب فيها : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد/ ٢٠ – ٢١] .

فالدنيا مملوءة بالزينات ابتلاءً ، ولكن المقصود طلب الآخرة بها : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف/ ٧] .

والله جعل الدنيا مطية الآخرة ، فمن الناس من ركبها إلى النار ، ومنهم من ركبها إلى الجنة : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ

ﭐلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٤-١٥] .

وهل يستوي هذا .. وهذا ؟ : ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٢-١٦٣] .

الله ﷻ هو مالك المُلك ، هو ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٣] .

وهو الملك على هذا المُلك العظيم ، وعظمة المُلك تدل على عظمة الملك : خلقًا ، وأمرًا ، وتدبيرًا ، وتصريفًا ، وعطاءً ومنعاً ، وحياة وموتاً : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣] .

والملك جل جلاله له أوامر عظيمة على خلقه ومماليكه .

- **وأوامر الله ﷻ على خلقه تنقسم إلى قسمين :**

أوامر ملكية.. وأوامر شرعية .

- **والأوامر الملكية من الملك على مخلوقاته ثلاث أنواع :**

النوع الأول : أوامر الخلق والإيجاد .

وهذه الأوامر الملكية متوجهة من الله ﷻ إلى جميع المخلوقات بالخلق والإيجاد : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر/ ٦٢] .

الأمر الثاني : أوامر البقاء والحفظ .

وهو متوجه من الله إلى جميع المخلوقات بالبقاء ، ولو رُفع عنهم أمر البقاء لزالت وذابت : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١] .

وقال ﷻ : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم/ ٢٥] .

الأمر الثالث : أوامر بالنفع والضُر ، والحركة والسكون ، والحياة والموت ، التدبير

والتصريف ، هو كذلك متوجه من الله إلى جميع المخلوقات ، فأمر النفع والضر ، والعطاء والمنع ، والحياة والموت ، كله بيد الله وحده : ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف/ ١٨٨] .

فالله ﷻ هو خالق كل شيء ، وبيده كل شيء ، خلق الإنسان وحركته وسكونه ، وطعامه وشرابه ، وسعادته وشقاؤه ، بيده جَلَّ جَلَالُهُ ، فأمر النفع والضُر ، والحركة والسكون ، والحياة والموت ، بيد الله وحده ، وهو متوجه من الله إلى جميع المخلوقات : ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [يونس/ ٢٢] .

هو الذي يحيي ويميت ، وهو الذي يقلب الليل والنهار ، وهو الذي يفعل ما يشاء : ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٦٨﴾ [غافر/ ٦٨] .

هذه ثلاثة أوامر ملكية عظيمة من الملك جل جلاله على مماليكه ، في مُلكه العظيم : أمر الخلق والإيجاد.. وأمر البقاء والحفظ.. وأمر النفع والضُر ، والتحريك والتسكين ، والتدبير والتصريف ، والنصر والخذلان ، والبسط والقبض : ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [الروم/ ٤-٥] .

هذه أوامر ملكية من الملك على مماليكه في مُلكه العظيم ، وهي موجهة إلى جميع المخلوقات ، جميع المخلوقات خاضعة لهذه الأوامر الملكية :

من جماد ، إلى نبات ، إلى حيوان ، إلى إنسان ، إلى جن ، إلى ملائكة ، كل ما في مُلكه خاضع لهذه الأوامر الملكية الكريمة : ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [يونس/ ٣١-٣٢] .

أما الأوامر الشرعية الإلهية ، فهي موجهة من الله للثقلين : الإنس والجن فقط ، وهي التي بعث الله بها رسله ، وأنزل بها كتبه إلى خلقه ، ليعبدوه وحده لا شريك له : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

• **وهذه الأوامر الشرعية هي الدين الذي يشمل خمسة أمور :**

أوامر التوحيد والإيمان.. وأوامر العبادات والمعاملات.. وأوامر المعاشرات والأخلاق .

هذه هي أوامر الله ﷻ الملكية ، وأوامره الشرعية ؛ الأوامر الملكية موجهة إلى جميع الخلق ، والأوامر الشرعية موجهة فقط للثقلين الإنس والجن .

فربنا جل جلاله ملكٌ عظيم ، وخلق هذا المُلك العظيم، لنعرف الملك من المملوك ، ونعرف القوي من الضعيف ، ونعرف الصور من المصور ، ونعرف الخالق من المخلوق ، فالله ﷻ أراد أن يُعرف بنفسه ، فخلق هذا المُلك العظيم ، وملأه بالمخلوقات التي تدل على عظمته وجلاله ، وعلى إنعامه وإحسانه ، وعلى قوته وقدرته جَلَّ جَلَالُهُ ، فهذه الخلائق التي خلقها الله ﷻ كلها تدل على عظمة من خلقها : ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا** ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

فالحمد الله رب العالمين على مُلكه العظيم ، وعلى تقديره الحكيم، وعلى ما خلق في هذا الكون من أنواع المخلوقات التي خلقها الله ﷻ لتدل على قدرته ، وكماله ، وجلاله وجماله .

هو جل جلاله الملك القادر على كل شيء ، هو الحكيم في خلقه وأمره ، هو الذي يفعل ما يشاء بقدرته : ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ** ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة/ ١٢٠] .

كبَّر بعض المخلوقات كالعرش والكرسي ، والسماوات والأرض ، والملائكة ، والجبال والبحار ، وصغَّر بعضها كالذرة والبعوضة ، والنملة والنُطفة ، وجعل لكل من الصغير والكبير حكمة ، وفي كل منهما آية وعبرة .

وكثَّر سبحانه بعض المخلوقات كالتراب والنبات والذرات والنجوم ، وقلل بعضها كالذهب والفضة والمعادن ، وجعل سبحانه لكل من الكثير والقليل حكمة ، وفي كل واحدٍ منهما آية وعبرة .

وقوَّى سبحانه بعض المخلوقات ، كجبريل الذي خلق الله له ستمائة جناح ؛ جناح منها يسد الأفق ، وأضعف بعض المخلوقات كالإنسان والبعوض والعنكبوت

وغيرها من المخلوقات الضعيفة ، وله سبحانه في خلقه القوي والضعيف حكمة وفي كلٍ منهما آية وعبرة ، فلا إله إلا الله ، ما أحكمه ، وما أعظم خلقه وأمره جل جلاله : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١١] .

وهو سبحانه الملك القادر الذي رفع بعض المخلوقات كالعرش والكرسي والسماوات والجبال والأشجار ، ووضع بعضها كالأرض وما فيها وما عليها والبحار والأنهار .

وهو سبحانه الملك القادر الذي جمع بعض المخلوقات كالجبال والبحار ، وفرق بعضها كالنجوم ، والرمال ، والثمار ، والأوراق .

وهو سبحانه الملك العليم القدير الذي أظهر بعض مخلوقاته ، وأخفى بعضها .

فأظهر الدنيا وأخفى الآخرة ، وأظهر الأبدان وأخفى الأرواح ، وأظهر الأجساد وأخفى العقول ، وأظهر قيمة الأشياء وأخفى قيمة الأعمال ، وأظهر المخلوقات وحجب خلقه عن رؤيته : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢ -١٠٣] .

فسبحان الملك الخلاق العليم الذي فاوت بين مخلوقاته ، فخلق الكبير والصغير ، والذكر والأنثى ، والقوي والضعيف ، والثقيل والخفيف ، والسائل والجامد ، وأحيا بعضها ، وأمات بعضها ، وخلق المخلوقات وفرقها في مُلكه في السماء والأرض : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢] .

فلا إله إلا الله ، ما أعظم خلقه ، وما أعظم مُلكه ، في البر خلائق لا تُحصى ، وفي الجو خلائق لا تُحصى ، وفي البحر خلائق لا تُحصى ، وفي السماء خلائق لا تُحصى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر/ ٨٦] .

وفاوت القدير العليم بين صفاتها ؛ فمنها ثابتٌ لا يتحرك كالجبال ، ومنها متحركٌ لا يسكن كالرياح ، ومنها حار وبارد ، وأبيض وأسود ، وناطقٌ وصامت ، ورطبٌ ويابس ، وعذبٌ ومالح ، ولينٌ وخشن ، وسائلٌ وجامد .

وأحياء في مُلكه لا تعيش إلا في البحار ، ولو خرجت لماتت ، وأحياء في مُلكه لا

تعيش إلا في البر ، ولو دخلت البحر لماتت ، وملائكة عظام يسبحون الليل والنهار لا يفترون : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾[لقمان/ ١١] .

وهو سبحانه الملك الخلاق العليم ، الذي خلق الرياح الشديدة ، والصواعق المهلكة ، والزلازل المدمرة ، والبراكين المفزعة ، والخسوف التي تبلع الأشجار والبيوت والمدن والبشر ، يصيب بها من يشاء ، ويصرفها عمن يشاء من مؤمن وكافر ، ومحسنٍ وظالم : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت/ ٤٠] .

له الحمد في الأولى والآخرة ، هو الملك الحق الذي له مُلك السماوات والأرض : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾[المائدة/ ١٢٠] .

والله ﷻ أمرنا أن ننظر في هذا المُلك العظيم لنعرف قدرة الله ، وعظمة الله ﷻ ، وعظمة مُلكه وسلطانه ، وعظمة نعمة وإحسانه : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق/ ٦-٨] .

والخلق في معرفة المُلك والملكوت متفاوتون ؛ لأنهم في النظر متفاوتون ، وفيما قسم الله لهم من أنوار الهداية مختلفون : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾
[الرعد/ ١٩-٢٢] .

أعظم العبادات هو الفكر ؛ أن نتفكر في عظمة ربنا جل جلاله ، وفي آياته ومخلوقاته ، وننظر في الآيات الكونية ، وفي الآيات الشرعية ، حتى نعرف العظيم فنعظمه ، ونعرف الكبير فنكبره ، ونعرف الكريم فنشكره ، ونعرف الرحمن فنطلب منه الرحمة ، ونعرف الرزاق فنطلب منه الرزق ، ونعبد من يستحق العبادة لذاته وجلاله وجماله : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠ – ١٩١] .

والعقل كالبصر ، يدرك ما أقدره الله عليه ، لكنه يقف عاجزًا عما طواه الله عنه ؛ لأن العقل قد يدرك بعض الأشياء ، ويغيب عنه معرفة أكثر الأشياء ، ولولا إمداد الله له ما قام لشيء ، فالعالم أوسع منه ، والمُلك أكبر منه ، والملكوت أعظم منه .

فهذا العقل لا يستطيع أن يُدرك ويعرف أقرب المخلوقات إليه ، هذه الروح التي في الإنسان لا يستطيع العقل أن يراها أو يعقلها ، لكن يحس بآثارها ، كالهواء يحس بآثاره ، ولا يرى شخصه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء/ ٨٥] .

والعقل حاسة ونعمة من النعم كالسمع والبصر ، ونحن مسئولون عنه كما نحن مسئولون عن السمع والبصر : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء/ ٣٦] .

ماذا سمعت بهذا ؟ ماذا رأيت بهذا ؟ ماذا عقلت بهذا ؟ فالعقل مخلوق ، ولكنه محدود يدرك أشياء ، ولا يدرك أشياء ، كالعين ترى أشياء ولا ترى أشياء ، وكالأذن تسمع أشياء ولا تسمع أشيا ء ، فالعقل محدود ، عالم الغيب محجوب عنه لا يمكن أن يدركه بذاته إلا إذا أعلمه الله .

فالملك العظيم جل جلاله خلق هذا الإنسان ، وجعل فيه العقل الذي يميزه عن الحيوان ، ويميزه عن النبات ، ويميزه عن الجماد .

الجمادات أكبر العوالم فيها صفة الوجود والشكل ، والنباتات أعلى منها فيها صفة الوجود والشكل ولكن فيها زيادة النمو والتكاثر، والحيوانات أعلى منها فيها صفة الوجود والشكل وفيها صفة النمو والتكاثر ، ولكن فيها صفة الحركة .

وكذلك الإنسان أعلى من هذه المخلوقات : ففيه صفة الوجود ، وفيه صفة النمو والتكاثر ، وفيه صفة الحركة ، ولكن فيه صفة العقل التي يعقل بها الخير من الشر ، وما ينفعه وما يضره : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨] .

هذا الإنسان هو المخاطب من هذه المخلوقات ، ولهذا الله ﷻ احتفى بهذا الإنسان ،

خلق هذه المخلوقات بأمره الكوني ، وخلق هذا الإنسان بيده جل جلاله تكريماً له .
وإنما عظم قدر العقل بأي شيء ؟ بالإيمان الذي به صار الإنسان حيًا ، فانضافت إليه صفات لم توجد فيه من قبل ، فعقل الغيب عن ربه ، وقويت فيه القوة الباصرة والسامعة والعاقلة ، واهتدى بإيمانه إلى ربه ، وحق له النصر ممن آمن به وصدقه ، وفتح له طريق العلم والعمل : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢] .
وقال ﷻ : ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء/ ١١٣] .

- وهذا الإنسان لا بد له من نفختين :

الأولى : نفخة الرسول الملكي الذي ينفخ فيه الروح ، وتدخل الروح في هذا البدن فيصير حياً، فيتحرك ، ويعمل ويسمع ويبصر ، وتتحرك الجوارح ؛ هذه نفخة الرسول الملكي الذي ينفخ فيه الروح : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص/ ٧١-٧٢] .
فهذا الملك يُؤمر بأن ينفخ فيه الروح ، فتُنفخ الروح بعد أربعة أشهر في هذا الإنسان الذي في بطن أمه .
عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إنَّ أَحَدَكُمْ يُجمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يوماً، ثُمَّ يَكُونُ في ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ في ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فيهِ الرُوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ». متفق عليه(١).
الثانية : ثم لا بد له إذا خرج من هذا البطن إلى بطن الدنيا من نفخة ثانية ، وهي نفخة الرسول البشري ؛ لأنه ميت بدون الدين : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .
فالله ﷻ هو الملك ، ويريد أن أمشي في هذه الدنيا ملكاً ، أتحرك في هذه الدنيا بصفة الملك، لأني عبد الملك ولأني في معية الملك ، وأمشي بأوامر الملك ، فأنت ملك

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٨)، ومسلم برقم (٢٦٤٣)، واللفظ له.

ما دمت متصلًا بالملك .
والملك هو من يملك جوارحه ، فيلزمها بطاعة الله ، ويمنعها عن معصية الله ، يملك هواه ، يملك عقله وسمعه وبصره ؛ هذا هو الملك حقًّا الذي أراد الله له ﷻ أن يجعله يعيش في هذه الحياة حياةً ملكية ؛ ويكون خليفة في الأرض لأنه ممتثلٌ لأمر الملك الكبير يعبد بها ربه ، ويدعو إليها خلقه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة/ ٣٠] .
فهذا الإنسان المؤمن ينظر في المُلك والملكوت بالنور ، ويسمع بالنور ، ويتكلم بالنور ، ويمشي بالنور ، ويعمل بالنور : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .
وعلى قدر كمال العقل ، وقوة نور الإيمان ، تكون رفعة العبد ، وعلو منزلته عند ربه ، والله يختص برحمته من يشاء من عباده ، من هؤلاء ؟ : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة/ ٢٢] .
واعلم أيها الإنسان أن كل داخل في المُلك والملكوت بنظره وفكره وإيمانه ، لا يرى منه إلا ما أذن له ربه في رؤيته ، ولا يصف منه إلا ما أذن له الله بوصفه ، ولا يعلم منه إلا ما أذن الله له في علمه : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٧٣ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣- ٧٤] .
والناس في العلم والعمل والصفات درجات ، والكلُّ مُدبَّر ، ولا يستطيع أحد أن يتقدم أو يتأخر إلا بإذن الله وعونه : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير/ ٢٧ – ٢٩] .
أحصى الملك الحق كل ذرة في مُلكه ، وكل كلمة ، وكل حركة ، وكل فعل ، وكل نفَس ، أحصى كل شيء في كتابه ، وجرى به قلمه ، ونفذ فيه حُكمه : ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٥١ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ٥٣﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣] .

- **والملك الحق هو الله وحده لا شريك له ، وذلك لأمور :**

الأمر الأول : أن الله وحده له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وصفات الجلال ، وصفات الجمال من كمال القوة والقدرة ، وكمال العزة والعظمة ، وكمال الكبرياء ، وكمال العلم المحيط ، وكمال الحكمة في الأمور ، ونفوذ المشيئة والإرادة ، وكمال الرحمة والإحسان ، والحُكم العام في الدنيا والآخرة : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢ – ٢٤] .

الأمر الثاني : أن جميع الخلق في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، مماليك وعبيد لله ، وكلهم فقراء إليه ، وكلهم مضطرون إليه في جميع أمورهم وأحوالهم ، في حياتهم ، وفي إمدادهم ، وفي أقواتهم ، وفي بقائهم : ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم/ ٩٣-٩٥] .

فكل ما في الكون ملكه : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠] .

الأمر الثالث : أن الله جل جلاله وحده هو الملك الحق الذي له الخلق والأمر وحده ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لأمره ، وله الحكم في ملكه العظيم خلقاً وتقديراً ، وشرعاً وجزاءً .

هو الذي خلق المخلوقات كلها ، يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات ؛ من عالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الروح ، وعالم الذرات ، وعالم الأصوات ، وعالم الحركات : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر/ ٨٦] .

فهذا الخلاق العليم هو الملك الحق الذي يستحق أن يُعبد ؛ بل يجب أن يُعبد : ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧ – ١٨] .

فحقه الواجب له : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ

﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧] .

فالله ﷻ هو الملك الذي خلق المخلوقات ، وله الأوامر على جميع المخلوقات ، وأمره بكن فيكون : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

فالله ﷻ له الحُكم في مُلكه العظيم تقديرًا وشرعًا وجزاءً : ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف/ ٤٠] .

- **هذه الأمور الثلاثة لله وحده لا شريك له :**

له الحُكم في مُلكه العظيم تقديرًا . . وشرعًا . . وجزاءً .

الأمر الأول: جميع الأحكام القدرية تجري على مقتضى قضائه وقدره : من خلقٍ وأمر ، وإعداد وإمداد ، وإحياء وإماتة ، وتصريف وتدبير : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

جميع الأشياء القدرية في هذا الكون بيده جل جلاله ، هو الذي خلق ، وهو الذي يُصدر الأوامر الملكية بالتحريك والتسكين ، والحر والبرد ، والليل والنهار ، والأمن والخوف ، والحياة والموت : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠﴾ [المؤمنون/ ٨٠] .

الأمر الثاني : له جميع الأحكام الشرعية على خلقه ؛ حيث أنزل كتبه ، وأرسل رسله ، وشرع شرائعه ، وأمر خلقه بلزوم دينه وشرعه ، وحذرهم من تركه ، له جل جلاله جميع الأوامر الشرعية ، فلا يُطاع إلا الله جل جلاله بما بعث به رسله، وأنزل كتبه : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام/ ١٥٣] .

فله الأحكام القدرية الجارية على جميع المخلوقات ، وله كذلك الأحكام الشرعية التي أرسل بها رسله ، وأنزل بها كتبه : ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل/ ٣٦] .

الأمر الثالث : له جل جلاله جميع الأحكام الجزائية على أعمال العباد خيرها وشرها في الدنيا والآخرة ، فيثيب بفضله المطيعين له ، ويعاقب بعدله العاصين له ، متى ؟ : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨] .

فالله جل جلاله له جميع الأحكام في مُلكه العظيم تقديرًا . . وشرعًا . . وجزاءً .

فالأحكام القدرية بيده ، والأحكام الشرعية منه ، والأحكام الجزائية على الأفعال منه جل جلاله .

فالله يجزي المؤمنين بالجنة فضلًا ، ويجزي الكافرين بالنار عدلًا .

لأن كل نعمة منه ، خلقنا ، وهدانا ، وحبب لنا العمل ، ويسره لنا ، وأعاننا عليه ، وقبله منا ، وهذا كله فضل منه .

قال النّبي ﷺ : « لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنْكُمُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : «وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِفَضْلٍ مِنْهُ وَرَحْمَةٍ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا »متفق عليه[1] .

أما عدله فيظهر على الكفار : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦ ﴾ [النساء/ ٥٦].

وبعد الحساب يكون الجزاء من الملك على الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق لجميع البشر : فالمؤمن له الجنة : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٣﴾ [النساء/ ١٣] ، هذا له الجنة .

والكافر له النار : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤ ﴾ [النساء/ ١٤] .

وكل هذه الأحكام تابعة لعدله وحكمته ورحمته ، وكلها من معاني مُلكه، وآثار رحمته جل جلاله ، فله الحمد والشكر : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧ ﴾ [الجاثية/ ٣٧] .

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٦٤٦٣، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٨١٦.

فهذا الملك العظيم ، والرب الكريم ، والإله الرحيم ، هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، فلا نعبد إلا إياه ، ولا نتعلق بأحدٍ سواه ، لماذا ؟ لأنه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم/ ٦٥] .

يخلق ويرزق ، ويُعطي ويمنع ، ويحُيي ويميت ، ويُعز ويُذل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

كل المخلوقات كبيرها وصغيرها ، عاليها وسافلها، مماليك لله ، لا تملك مثقال ذرة من الخلق والأمر ، وهي أصلًا لم تكن شيئًا حتى تفعل شيئًا ، فلا يجوز لأحد أن يصرف لها من العبادة مثقال ذرة : ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾[النحل/ ١٧-٢١] .

فسبحان الله ، ما أجهل من يتعلق بالعبيد المخلوقين العاجزين ، ويدعوهم من دون الله ، وهم لا يملكون شيئًا ولا يسمعون شيئًا ، ولو سمعوا ما استجابوا : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[فاطر/ ١٣- ١٤] .

ولنعلم أن الطواف بغير الكعبة لا يجوز ، ولا يجوز كذلك للإنسان أن يطوف حول القبور ولا حول القصور ، الطواف حول القبور ممنوع ؛ لأنه تعلق بغير الله ، والطواف حول الدنيا والأموال والقصور ممنوع ؛ لأنه تعلق بغير الله : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠] .

حب المال ليس ذنباً ، التعلق بالمال من دون الله هو الذنب ، فلا بد من الفقه في أسماء الله وصفاته وأفعاله ؛ حتى نعرف نعبد من ؟ نطيع من ؟ نسأل من ؟ نتوجه إلى من ؟ نتوكل على من ؟ لا بد من الجلوس في الموارد الإيمانية ؛ حتى يزيد الإيمان ، فتتحرك القلوب ، فتأمر الجوارح ، فتطيع الله .

تأمر القلوب اللسان فيذكر الله ، ويدعو إلى الله ، ويعلم شرع الله ، وتأمر الأذن فتسمع كلام الله، وكلام الرسول ﷺ ، وتسمع الخير ، وتأمر البصر فينظر في ملكوت السماوات والأرض ، وينظر في الآيات القرآنية ، وهكذا الإنسان يتنقل من طاعة إلى طاعة ومن عبادة إلى عبادة بحسب قوة نور الإيمان الذي اطمأن به القلب : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد/٢٨- ٢٩] .

فالله ﷻ هو الملك ، المالك لكل شيء ، وعظمته وكبرياؤه لا يقوم لها شيء ، ومُلكه وملكوته أعظم من كل شيء ، خلق جل جلاله الأرض ، وجعلها محيطة بمن فيها ، فلا يستطيع أحدٌ الخروج منها ، وخلق سبحانه السماوات السبع ، وجعلها محيطة بالأراضين السبع ، وخلق فيهما وبينهما وفوقهما من الخلائق التي تُسبح بحمده ، وتدل على عظمته ، وتشهد بتوحيده ، ما لا يحصيه ولا يعلمه إلا العليم الخبير : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾[النور/ ٤١] .

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه ، وما أعظم ملكه وسلطانه ومخلوقاته .

كم في الأرض من ذرة ؟ كم في الأرض من شجرة ؟ كم في الأرض من حشرة ؟ كم في الأرض من نبتة ؟ كم في الأرض من إنسان ؟ كم في الأرض من طائر ؟ كم في الأرض من حيوان ؟ كم في السماء من مَلك ؟ كل هذه الخلائق تسبح بحمد ربها ، وتصلي وتركع وتسجد لربها العظيم ، وتقنت للملك الكبير جل جلاله : ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾[الروم/ ٢٦] .

خلق سبحانه الكرسي ، وجعله محيطًا بالسماوات والأرض ، الأراضون السبع كل واحدة محيطة بما تحتها ، والسماوات السبع كل واحدة محيطة بما تحتها ، وخلق سبحانه الكرسي الكريم ، وجعله محيطًا بالسماوات والأرض ، والسماوات السبع والأراضون السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، فسبحانه ما أعظمه : ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة/ ٢٥٥] .

وخلق سبحانه العرش العظيم ، وجعله محيطًا بالكرسي ، والكرسي وما أحاط به بالنسبة للعرش الكريم كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، فسبحان الله ما أعظم مُلكه ، وما

أعظم سلطانه .

خلق الله العرش العظيم بقدرته ، وأمسكه بقوته ، واستوى عليه برحمته ، وجعله محيطًا بجميع مخلوقاته ، وهو العلي العظيم الكبير مُستوٍ عليه محيط به ، وهو الغني عنه ، لا يحتاج إليه سبحانه ليحمله ؛ بل العرش وما دونه مُحتاج إلى ربه الذي خلقه وأمسكه : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

سبحان الله ، هو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، مليارات الأوامر الملكية تنزل في كل ثانية على جميع المخلوقات بالحياة والموت ، وبالمرض والعافية ، وبالتحريك والتسكين ، والنفع والضُر ، والتدبير والتصريف : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس/ ٣١ – ٣٢] .

فسبحان من له الخلق والأمر في مُلكه وملكوته جل جلاله .

فالله ﷻ هو الملك العظيم الذي استوى على عرشه العظيم ، هو الذي خلق السماوات السبع ، والأراضين السبع ، وأمسكها بقدرته وقوته ، فليس للسماوات معاليق فوقها ، ولا دعائم من تحتها : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١] .

هذه السماوات العظيمة تستأذن على العصاة لتدمرهم ، ولكن الله يُمسكها ، لأنه حليمٌ على عباده ، هي تكاد تتفطر من معصية العصاة ، ومن جرم المجرمين ومن فسق الفساق ، ومن طغيان الطغاة ، ولكن الله يُمسكها ، لماذا ؟ لأنه حليمٌ غفور : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم/ ٨٨ – ٩٣] .

والله سبحانه جعل العرش العظيم هو سقف المخلوقات كلها ، أمسكه بقدرته، واستوى عليه برحمته : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٥-٨] .

هو فوق عرشه العظيم ، ويسمع ويرى جميع مخلوقاته ، الذرات وغيرها ، وما فوقها ، وما دونها : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة/ ١٠٦] .

والله جل جلاله مستوٍ على عرشه العظيم ، يرى كل ذرة في مُلكه العظيم ، ويسمع كل شيء في كونه الكبير ، ويعلم كل شيء في العالم العلوي ، والعالم السفلي : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١] .

فلا إله إلا الله هذا هو الملك الحق الذي يستحق أن يُعبد ؛ لذاته وأسمائه ، وصفاته وأفعاله ، وجلاله وجماله : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥] .

ربنا ملك عظيم ، قويٌ عزيز ، خلاقٌ عليم ، غنيٌ كريم ، غفورٌ رحيم ، قادرٌ قاهر ، يدبر الأمر ، ويخلق ويرزق ، ويُعز ويُذل ، ويحكم ما يريد ، ويفعل ما يشاء ، ويهدي من يشاء ، ويُضل من يشاء ، ويرحم من يشاء ، ويعذب من يشاء ، ويحكم بالعدل ، ويُحسن إلى خلقه ، ويتودد إليهم بنعمه ، ويجيب من دعاه بالعالم العلوي والعالم السفلي ، ويعطي من سأله ، ويغفر لمن استغفره : ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن/ ٢٩] .

لا تختلف عليه الأصوات ، ولا تشتبه عليه اللغات ، يُجيب الناس جميعًا كما يرزقهم جميعًا ، ويراهم جميعًا كأنهم مخلوقٌ واحد ؛ يرى من في العالم العلوي ، ومن في العالم السفلي ، ومن في الجو ، ومن في البحر ، يرى الذرات في أجسادهم ، ويسمع تسبيحها وتقديسها لربها جل جلاله : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧] .

فسبحان الملك العظيم ، القدوس السلام الذي خلق سبع سماوات ، ومن الأرض مثلهن ، وأظهر لنا من السماوات واحدة ، وأخفى ستاً ، وأظهر من الأراضين واحدة ، وأخفى ستاً ، لماذا ؟ حتى يترك القرآن موضع بيان للرسول ﷺ .

فالنبي ﷺ بيّن لنا خلق السماوات ، وأنها سبع سماوات ، وأن الأنبياء في السماوات ، آدم في السماء الدنيا ، عن يمينه نسمات المؤمنين ، وعن يساره نسمات أهل النار من أبنائه ، وفي السماوات الأنبياء : إبراهيم وموسى وعيسى وزكريا ويحيى ، ففي كل سماء نبيٌ من الأنبياء ، وإبراهيم مسندٌ ظهره للبيت المعمور ، فآدم في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السابعة العليا .

- **ومتعبدات الخلق ثلاثة أماكن :**

الكعبة . . والبيت المعمور . . والعرش العظيم .

متعبَّد الإنس والجن والملائكة الذين يشاركون في العبادة في الأرض ، هو البيت العتيق في مكة .

ومتعبد الملائكة في السماوات هو البيت المعمور ، ولكن لا يُسمح لأي ملك أن يطوف إلا مرة واحدة ، يطوف بهذا البيت العظيم البيت المعمور سبعون ألف ملك كل يوم ، يطوفون ببيت الملِك جل جلاله فوق السماء السابعة ، من كثرة الملائكة لأن الملائكة الله ﷻ ملأ السماوات السبع بالملائكة ، فما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك قائمٌ أو راكعٌ أو ساجدٌ لله جل جلاله .

قال النبي ﷺ: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله**» أخرجه الترمذي (١) .

فالسموات السبع مملوءة بالملائكة الذين : ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٢٠] .

منهم قائم ، ومنهم راكع ، ومنهم ساجد ، ومنهم الذين يسبحون ، ومنهم الذين يحمدون ، ولهم عبادات مع أعمالهم ، فهم المدبرات أمرًا : ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم/ ٦] .

فالله ﷻ بين لنا أشياء وأخفى أشياء ؛ بين في القرآن أشياء ، وترك للنبي ﷺ ليبين هذه السماوات السبع ومن فيها ، وترك القرآن والسنة موضعًا للنظر والتفكر من البشر حتى ننظر نحن في ملكوت السماوات والأرض ، ننظر في المُلك والملكوت :

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: ٢٣١٢.

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ ﴾ [ق/ ٦] .
﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١ ﴾ [يونس/ ١٠١] .
﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ ﴾ [عبس/ ٢٤-٣١] .
﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ ﴾ [الغاشية/ ١٧-٢١] .

فهذا الكتاب العظيم كتاب الكون المفتوح ، أعظم كتاب هو كتاب الكون المفتوح ، وهذا ينظر فيه المؤمن والكافر ، وبهذا النظر يخترق الإنسان المخلوقات إلى الخالق ، ويخترق الصور إلى المصور ، ويخترق الدنيا إلى الآخرة ، وينتقل من الاهتمام بالأموال والأشياء إلى الاهتمام بالإيمان والأعمال الصالحة ، ويرى الله يفعل في مخلوقاته ما يشاء ، ويرى قدرته مخفية في سُنته جل جلاله .

فهذا النظر الذي يثمر الإيمان هو المطلوب : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١ ﴾ [يونس/١٠١] .
﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ ﴾ [ق/ ٦].
(أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟) [الروم/ ٨] .
﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ ﴾ [يس/ ٧٧] .
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ ﴾ [الفيل/ ١] .

فالله يحب أن نتعرف عليه ، ويُثني على نفسه ، لأنه هو الملك ، وهو الحق ، وهو الخالق ، وهو الرازق ، وهو الكريم ، وهو اللطيف ، يُعرفنا بنفسه وأسمائه الحسنى ، ويدعونا للاتصاف بها : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

إذا عرفت الحليم ولم أحلم فهذا نقص ، الله يريد إذا عرفت الحليم أن أحلم ، أحلم ولكن على شاكلة العبودية ، أحلم على من أساء إليَّ ، أحلم على الجاهل ، أحلم على السفيه ، الله حليم ، كم يعصيه ؟ الذين في مُلكه يعصونه لا يحصيهم إلا هو ،

والذين يطيعونه بالنسبة للذين يعصونه قليل : ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[يوسف/ ١٠٣] .
ولكنه حليم ، حلمه وسع كل شيء ، حلمه ليس كمثله شيء ، وهو الذي خلق الحلم في كل حليم .
فالله ﷻ يريد منا هذه العبادة العظيمة ؛ النظر والتفكر ، لنعرف الملك من العبد ، والخالق من المخلوق ، ومن يجب أن نعبد : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[يس/ ٦٨] .
﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ ﴾[الأعراف/ ١٨٤].
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[القصص/ ٧١] .
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[القصص/ ٧٢].
فالله ﷻ ترك للنبي ﷺ مجالاً يبين فيه عظمته ، وترك القرآن والسنة مجالاً للنظر والتفكر من البشر الذين يصلون منه إلى العلم بالرب وآياته ومخلوقاته ، فإذا عرفوه أحبوه ، ثم عبدوه وأطاعوه وحده لا شريك له : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ ﴾[الطلاق/ ١٢] .
لماذا ؟ ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق/ ١٢] .
فإذا عرفتم أن الله على كل شيء قدير ، وأنه محيط بكل شيء ، عظمتموه وأحببتموه ، ثم عبدتموه وأطعتموه ؛ لأنه قادر على كل شيء ، عليم بكل شيء ، محيط بكل شيء ، عنده خزائن كل شيء ، فأنا بعد هذه المعرفة أفتح علاقة مع الكبير ، وأقطع العلاقة مع الصغير ، أفتح العلاقة مع الرزاق الذي يرزقني ، مع السميع الذي يسمعني ، مع اللطيف الذي يلطف بي ، مع الخلاق الذي خلقني ، مع الرحمن الذي يرحمني جل جلاله ، ومن عرف الكبير لن يلتفت إلى الصغير ، وكل ما سوى الله صغير ، وهو الكبير وحده لا شريك له : ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة/ ٢٥٥].
هو سبحانه الذي أنزل من الوحي المُحكم والمتشابه ، وأخبر بالغيب والشهادة ؛

ليدل به على كمال علمه ، ويُظهر به مقدار جهل الخلق ، وقصور علم البشر ، ويبتليهم بما تجهله نفوسهم ، ولا تدركه عقولهم ، ولا تراه أبصارهم ؛ رحمةً بهم ، ليكشف لهم مقدار جهلهم وعجزهم ، وليدل به على أنه سبحانه وحده له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٥] .

فإذا كان الإنسان يعرف من نفسه الجهل والضعف والفقر والعجز ؛ فليتصل بالعليم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، المحيط بكل شيء ، الغني عن كل أحد ، الحليم الرحيم جل جلاله : ذلك ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢] .

﴿ ذَٰلِكَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة/ ٦-٧] .

واعلم أن ما لا يدركه الإنسان بنور البصر ، ولا يحُصله بنظر العقل ، يدركه بنور الوحي والإيمان ، فالعقل لا يكفي ، لأنه مخلوق محدود .

فما لا يدركه الإنسان بنور البصر من المحسوسات ، ولا يحُصله بنظر العقل من المعقولات ؛ يدركه بشيء ثالث هو نور الوحي والإيمان ، ومن استهدى فسيُهدى ويُعطى ، ولكن لا بد من بذل الجهد ، بالنظر في الآيات الكونية ، والآيات الشرعية ، والعبادة والدعوة ، والمجاهدة والتضحية ، وبعد ذلك تحصل الهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

ولهذا أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، وشرع الشرائع ، لماذا ؟ ليضيف للعباد علومًا تُسعدهم في دنياهم وأخراهم : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

ولا بد للإنسان أن يتعرف على ربه بهذا النظر في المُلك والملكوت ، وإذا نظر في كتاب الله رأى أن الآخرة التي وصفها الله ﷻ لنا أكبر من الدنيا ، والدنيا قطعة من الآخرة ، غير أنها صغير من كبير ، وقليل من كثير ، وفانية من باقية ؛ نقل منها إلى هذه ما يُذكر بتلك ، ثم وسمها بما يُزهد الإنسان فيها : ﴿ وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ

وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٤] .

هذه الدنيا قليلٌ من كثير ، الدنيا مأخوذة من الآخرة ، الدنيا صغيرة ، قطعة مأخوذة من الآخرة ، غير أنها صغير من كبير ، وقليل من كثير ، وفانية من باقية ، نقل من هذه الدار الآخرة إلى هذه الدنيا ما يُذكر بتلك الدار الآخرة ، ثم وسم الدنيا بما يُزهد الإنسان فيها ، وعلق عليها لوحة متكررة يراها الإنسان في كل يوم ، يراها كلما نظر في كتاب الله ﷻ ، علق على الدنيا لوحات تبين حقيقتها وقيمتها ، كما يعلق أصحاب المحلات التجارية على بعض البضائع أن هذه بضائع ليست جيدة ، ليست أصلية ، هذه أطعمة فاسدة يُعلق عليها لوحة أنها أطعمة فاسدة تُعطى للحيوانات أو غيرها، كذلك الله خلق الدنيا ، وجعلها مكانًا للعبادة ، والدعوة ، ونشر الهداية ، وإقامة السُنة ، وكل ما على الأرض خلقة الله زينة لها ، أما زينة المؤمن في الدنيا فهو الإيمان : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحجرات/ ٧] .

أما الدنيا فالله يقول عنها : ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف/ ٧] .

فالله ﷻ وسم الدنيا بما يزهدنا فيها ، حتى لا نلتفت إليها أبدًا ، نأخذ منها بقدر الحاجة ، ونعطي للدار الآخرة بقدر الطاقة : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص/ ٧٧] .

علق عليها لوحة ، ما هذه اللوحة ؟ من يقرأ هذه اللوحة ؟ .

هي : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٤] .

اللوحة الثانية : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد/ ٢٠] .

اللوحة الثالثة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [فاطر/ ٥] .

فالله خلق الدنيا ووسمها بهذا الوسم الذي يُزهد فيها ، وخلق الآخرة وعلق عليها لوحات تُرغب فيها ، ولعظمة الجنة وسعتها وحُسنها وأبديتها ؛ مدحها الله ، ورغب فيها عباده ، وجعل أسباب الوصول إليها أسهل ، وطُرق تحصيلها أيسر ؛ رحمةً من ربك الملك الكريم الرحمن كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٧١-٧٢] .

فتلك صفات أولياء الله ، وتلك أعمالهم ، وذلك جزاؤهم الجنة ورضوان الله ، فكما أرضوا الله ﷻ في الدنيا ، الله ﷻ يرضى عنهم يوم القيامة ويرضيهم.

ولشدة عذاب جهنم ضيقها وظلمتها وأبديتها ؛ ذمها الله ، وحذر منها ، وحرم علينا الأعمال التي تكون سببًا في دخولها رحمةً بنا ، وتوعد من عصاه بدخولها : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٦٨] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء/ ٥٦] .

ومن عاش في الدنيا في ظلمات الكفر والشرك والمعاصي خلده الله في ظلمات النار يوم القيامة ، وجهنم أظلم ما خلق الله : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [الإسراء/ ٩٧ – ٩٨] .

فسبحان الملك الحق الذي له المُلك والملكوت ، وله العزة والجبروت ، الذي يملك كل مخلوق ، الرحمن الذي رحمته وسعت كل شيء ، العزيز الذي قهر بعزته الجبابرة ، القادر الذي لا يعجزه شيء ، الملك القوي الذي له القوة كلها ، الخالق الذي خلق كل شيء ، الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد .

وسبحان ذي الجبروت والملكوت ، والكبرياء والعظمة ، والمجد والجلال

والجمال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/٨] .

سبحان الله ، ما أكبر مُلكه ، وما أكثر مماليكه ، وما أعظم سلطانه ، وما أوسع رحمته ، وما أحسن أسماءه وصفاته ، وما أجمل كرمه وإحسانه ، وما أشد بطشه وانتقامه ، وما أجدره من عبيده بأحسن التحيات ، وما أولاه بأزكى الصلوات والطيبات من الأقوال والأعمال : « **التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ** » متفق عليه[1] .

هذا هو الرب الذي نعبد ، والملك الذي نقصد ، والإله الذي ندعو : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [يونس/٣-٤] .

فسبحان الله وبحمده عدد خلقه ، وزنة عرشه ، ورضاء نفسه ، ومداد كلماته .

واعلم أخي المسلم ، بصرك الله بما يسعدك في الدنيا والآخرة ، أن الملك الحق جل جلاله قد جمع في ظاهر المخلوقات وباطنها معاني أسمائه وصفاته ، ومعاني عالم الغيب والشهادة ؛ ليستدل العاقل بالمخلوق على الخالق ، وبالصغير على الكبير ، وبالعاجز على القادر ، وبالفقير على الغني ، وبالفاني على الباقي ، وبالمملوك على الملك : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٣] .

هذه صفات من نعبد ، وهذه أفعاله : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٤]

نستغفر الله ونتوب إليه ، نستغفر الله ونتوب إليه ، نستغفر الله ونتوب إليه ، من جهلنا ، وتقصيرنا ، وقلة أعمالنا ، وسوء أدبنا ، وقلة طاعتنا ، وكثرة معاصينا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

وهذا فضلٌ من الله ﷻ أن مَنَّ علينا بمثل هذه المجالس ؛ لنعرف الله جل جلاله بأسمائه

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٣٨١ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٤٠٢.

وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده ، ونعرف ما يُحب وما يكره .
فالله ﷻ مَنَّ علينا وأجلسنا في هذا الجو الإيماني الذي تحضره الملائكة ، كم من الملائكة معنا ؟ وكم الله ﷻ يحب هذه المجالس ، والله يسمعنا ويرانا ويعلم بما في قلوبنا ، فهذه نعمة كبرى أن نجلس على موائد الإيمان ، والله يختص برحمته من يشاء ، ويسوق من يشاء لمن يشاء ، ويُسمع من يشاء ما يشاء جل جلاله ، فكل واحد من الناس إذا سيق إلى خير ، فليعلم أن له سابقة خير ، وليعلم أن ربه هو الذي يدله على الخير ، وهو الذي يُسيره كما يُسير الكواكب ، فإما أن تذهب إلى مكان الخير وإما أن يأتي الخير إليك في قعر دارك .
فهذا العلم العظيم ؛ العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، له أول وليس له آخر ، كلما تعلمنا ازددنا تواضعًا وتحميدًا وتمجيدًا لربنا العظيم .
ومتى تعذر عليك أيها الإنسان هذا العلم ، وأُقفل دونك باب النظر ، وحُجب عنك باب الفكر ؛ فاعلم أنك تعيش مع الصور دون المصور ، وترى النعم دون المُنعم ، وتتعلق بالمخلوق دون الخالق ، وهذا أعظم الحرمان ، وأكبر الخسران ؛ لأنك عرفت العبيد ، ولم تصل إلى الملك الذي يملك كل العبيد : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد/ ١٩] .
فما هو الحل ؟
الحل أن نعيد النظر والتدبر والتفكر ، ونكثر من التوبة والاستغفار ؛ لعل الله ﷻ أن يمن علينا بالهداية ، فنرقى بهذه المعرفة من الحسن إلى الأحسن ، ومن معرفة المخلوق إلى معرفة الخالق : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .
﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦ – ٨].

- **والأرحام ثلاثة :**

رحم الأنثى : ومنها تخرج المواليد من البشر ، ومن الحيوانات .
ورحم الأرض : ومنه تخرج جميع الأشجار والنباتات ، فالأرض لها رحم ، ينزل

عليها الماء فتُنبت من كل زوجٍ بهيج .
والرحم الثالث هو اللسان : إنّ تكلم اللسان بالحق صادقاً ، وصل الحق إلى القلوب ، فتأثرت بالحق ، وعملت بالحق ، ودعت إلى الحق ، فانتشر الحق .
فهذا الكلام حق وهو هدى وشفاء ، ولكن هناك كلام داء ليس دواء ، كما أن هناك صور للنباتات من البلاستيك لا روح فيها ، وصور من البشر لا روح فيها ، فهذا كله لم يخرج من الرحم الأصلي ، لا ينموا ولا يتكاثر ، وكذلك كلام المنافق والجاهل ، ينشر الباطل ، ويفسد الأمة ، لأن مقصوده حب الظهور: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة/ ٢٧] .
فدائمًا نجلس بالتواضع ، بالانكسار بين يدي ربنا ، ونجلس في هذه المجالس بالمحبة والتعظيم لكلام الله ، وكلام رسوله ﷺ ، ونعلم أن الله ﷻ يحب أن يحُمد ، وأن يُذكر ، وأنه أول السامعين لنا ، وأول من يرانا جل جلاله ، ونستحضر ضعفنا وعجزنا حينما كنا في بطن الأم ، ثم جئنا إلى هذه الدنيا ، ثم سنصل إلى القبر ، ثم نخرج من القبر إلى المحشر ، ومن المحشر يُساق الناس إلى الجنة بحسب أعمالهم ، ويساقون كذلك إلى النار بحسب أعمالهم ، فهذا الفكر هو أعظم شيء ، هو الذي يولد قوة الإيمان في القلب .

- **والقلب يحتاج إلى غذاء ، وغذاؤه مجموع في سبعة أشياء :**

في معرفة الله.. وأسمائه.. وصفاته.. وأفعاله.. وخزائنه.. ووعده.. ووعيده .
هذه مغذيات القلوب التي يحتاجها العبد كل يوم ، لتكون عبادته لربه بالحب والتعظيم والذل لربه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩] .
فسبحان الملك الحق ، الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم ، هذا هو الرب العظيم الذي يستحق أن يُعبد ، وهذا هو الملك العظيم الذي نحن عبيده ، وعلينا في مُلكه أن نقوم بعبادته ، وأن نمتثل أمره .
علينا نحن العبيد معرفته ، وعبادته ، وامتثال أوامره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٧٧ ﴾ [الحج/ ٧٧] .

على كل مسلم ومسلمة خمس وظائف :

طاعات نؤديها.. ومعاص نجتنبها.. ونعم نشكر الله عليها.. وذنوب نستغفر الله منها.. وابتلاءات نصبر عليها .

فربنا هو الملك الحي القيوم ، وهو الأول والآخر ، الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم ، هو سبحانه الرب الذي لا أول له ولا آخر ، هو أول الأولين ، وآخر الآخرين ، هو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء ، وكل ما سواه له أول وآخر : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣] .

هو جل جلاله الملك الحق ، الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه ، الملك العظيم الذي يدبر مُلكه ، هو الملك الرحمن الرحيم ، الذي أرسل الأنبياء والرسل إلى كل أمة ، وبعثهم إلى عباده برسالاته ، وأنزل إليهم كتبه بشرائعه : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل/ ٣٦] .

واعلم أن الله جل جلاله عرَّف جميع مخلوقاته في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وكل ذرة في مُلكه في الأزل بعظمته وكبريائه ، فأقرت بتوحيده ، وأذعنت لعظمته ، وسبحت بحمده : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/١٨] .

هو سبحانه خالق كل شيء ، ولما خلق كل شيء ، من جميع المخلوقات ، عرَّفهم بعظمته وبكبريائه ، فأقرت له كلها بتوحيده ، وأذعنت لعظمته ، وسبحت بحمده ، ورهبت من خشيته : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

فسبحان الملك العظيم الذي استجابت له جميع المخلوقات ، وانقادت لإرادته ، وأذعنت لطاعته ، وخضعت لأمره ، وسبحت بحمده ، وسجدت لجلاله وكبريائه : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد/ ١٥] .

يا حسرة على العباد ، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه من جهلهم بربهم ، وعصيانهم

له ، وتعلقهم بغيره : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد/ ١٦] .

ولما كان من كمال حكمة الملك العلام جل جلاله خَلْق الأضداد ، خَلَق المجبور والمختار، المجبور كالشمس مجبورة على الإنارة ، والسحب مجبورة على إنزال المطر ، والملائكة مجبورة على التسبيح والتقديس ، والمختار هم الإنس والجن .

خلق الملائكة مجبولون على الطاعات ، وخلق إبليس الذي اختار المعاصي ، وخلق بينهما هذا الإنسان عقول وشهوات ، فيه عقل يميز به بين الخير والشر ، وفيه نفس تحب الشهوات ، فهذا المختار هو الإنسان : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢ - ٣] .

لماذا خلق الله هذا الإنسان مختاراً ؟ خلقه ليعلم من يأتي إليه ، ويؤمن به ، وهو قادر أن لا يؤمن ، ممن يكفر به ، ويفر منه ؛ ولهذا قبل حمل الأمانة : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٢] .

والحكمة من حمل الأمانة : ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٣] .

خلق الله هذا الإنسان خلقاً يختلف عن الملائكة ، وعن الشياطين ، وعن الحيوانات ، خلقه بخلق عجيب ، وأعطاه القدرة على الاختيار ؛ ولهذا الله ﷻ لما خلقه رمى سبحانه الروح بالنفس ، ورمى العقل بالهوى ، الروح محبوباتها ملكية ، والنفس محبوباتها حيوانية ، الروح محبوباتها علوية ، والنفس محبوباتها سفلية : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس/ ٧ - ١٠] .

هذا الجسد جسدٌ مخلوق من التراب ، ويتغذى على ما يخرج من التراب من طعام وشراب ، ولما دخلت فيه الروح صار حيًّا، ثم جاءت النفس التي تحب الشهوات ،

ولا ترغب في غيرها ، والنفس مقابل الروح ، فالروح محبوباتها إيمانية ؛ تحب سبحان الله ، والحمد لله ، تحب الصيام والصلاة ، وطاعة الله ، والدعوة إليه ، ونشر دينه ، والإحسان إلى خلقه : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .

والنفس محبوباتها حيوانية ؛ تحب الأكل ، والشرب ، والنوم والنكاح ، والسكن المريح ، والمركب المريح ، وهكذا محبوباتها وشهواتها أرضية : ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف/ ٥٣] .

فالله رمى العقل بالهوى ، ورمى الروح بالنفس امتحانًا وابتلاءً ، فإذا قويت الروح تحرك القلب والجسد بالطاعات ، وإذا قويت النفس تحرك القلب والجسد بالمعاصي .

لا بد أن نعرف هذا الإنسان ، ونعرف رب الإنسان ، حتى نعبد الله بما يحبه ويرضاه ، وحتى نتصل بالملك ، لنأخذ من الملك الحياة الملكية التي تجعلنا يوم القيامة في مُلك كريم ، بقرب الملك الكريم : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

وهذا سر الابتلاء والامتحان ، فالله رمى العقل بالهوى ، ورمى الروح بالنفس ، فالإنسان عاقل ، لكن الهوى يجره إلى المعصية ، وفيه روح تحب الخير ، لكن النفس تحب الشهوات ؛ ليعلم الله من يأتي إليه طوعًا ، وهو قادر ألا يأتي، ممن لا يأتي إليه .

وقابل سبحانه العلم بالجهل ، وقابل الإيمان بالكفر ، وقابل الصدق بالكذب ، وقابل الحق بالباطل ، وقابل الذكر بالنسيان ، وقابل الأوامر الملكية بالشهوات الحيوانية ، وقابل الهداية بالضلالة ، وقابل الدنيا بالآخرة ، امتحانًا وابتلاء : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت/ ٢ -٣] .

فالأحوال كلها بيد الله ﷻ ، والأعمال بأيدينا ، الله ﷻ خلق الأحوال امتحانًا وابتلاء ، وخلق الأعمال للنجاة والفوز : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠] .

الأحوال بيد الله ، والأعمال الحسنة والسيئة بأيدينا ، هو الذي يقلب الليل والنهار ،

وهو الذي يحيي ويميت ، وهو الذي يُعطي ويمنع ، وهو الذي يبسط ويقبض ، فالأحوال بيده ، وتغيير الأحوال بيده ، والأعمال بأيدينا ، وهذه الأعمال الصالحة هي المطلوب تثبيتها .

والأحوال لا تثبت في الدنيا ، فالله يغير علينا الأحوال ، ليستخرج العبودية منا في جميع الأحوال ، في حال الغنى والفقر ، في حال الصحة والمرض ، في حال الأمن والخوف ، الأحوال بيده وحده لا شريك له ، والأعمال بأيدينا : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد/ ١١] .

والمطلوب ليس تثبيت الأحوال ، الأحوال لا تثبت إلا يوم القيامة ، الله يثبتها لأهل الجنة ، ولأهل النار ؛ لأهل الجنة شباب بلا هرم ، ونعيم بلا بؤس ، وحياة بلا موت ، وسعادة بلا شقاء ، في هذه الدنيا امتحانك فيها أن تثبت الإيمان والأعمال الصالحة ، والأحوال بيد واحد ، هو الذي يغيرها ويبدلها ، هو الذي يأتي بالمرض ، وهو الذي يزيده ، وهو الذي ينقصه ، وهو الذي يرفعه ، هو الذي يأتي بالغنى ، وهو الذي يزيله ، وهو الذي يأتي بالفقر وهو الذي يزيله ، وهو الذي يأتي بالأمن ، وهو الذي يأتي بالخوف ، وهو الذي يأتي بالعزة ، وهو الذي يأتي بالذلة ، وهو الذي يؤتي مُلكه من يشاء ، وينزع الملك ممّن يشاء ، ويحيي من يشاء ، ويُميت من يشاء ، ويهدي من يشاء ، ويُضل من يشاء : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

قطعًا كل من تعلق بغير الله فهو مُعذب ؛ معذبٌ من الداخل ، ومعذبٌ من الخارج : ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٣] .

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة/ ٥٥] .

فمن آمن بالله فهو حسبه ، ومن كفر بالله عذبه : ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ

﴿جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ [آل عمران/ ١٩٦ - ١٩٨] .

فالسعادة لها طريقٌ واحد هو الدين ، والشقاوة لها طريقٌ واحد ، هو إتباع الهوى ، وعصيان الرب جل جلاله .

فالله ﷻ قابل ابتلاءً وامتحانًا كل صفة محمودة بضدها مذمومة ، من الإيمان والكفر ، والصدق والكذب، فضل عن الحق من شاء الله أن يضل ، واهتدى إليه من شاء الله أن يهتدي ، وأعرض عن ذكره من شاء الله أن يُعرض : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾[البقرة/ ٢٦] .

فكل أحد يختار ، ويعمل على شاكلته ، بعد البلاغ : ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾[النحل/ ٣٦] .

وقد فطر الله البشر على التوحيد ، حين أخرجهم من صلب آدم ، فأقرّوا له بالربوبية ، ثم أرجعهم إلى صلب آدم ، فهم يخرجون من صلبه جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، وأمةً بعد أمة ، وفردًا بعد فرد ، حتى إذا استكمل أهل الجنة عددهم ، وأهل النار عددهم ، قطع الله النسل ، ثم قامت الساعة على شرار الخلق ، حين لا يقال في الأرض الله ، الله : ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأعراف/ ١٧٢] .

فسبحان الله ، ما أعظم مُلكه جل جلاله ، وما أعظم حكمته ، وما أعظم تدبيره وتصريفه ، خاصة في هذا الإنسان الذي خلقه بيده ، وأكرمه ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وجعله خليفة في الأرض : ﴿۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾[الإسراء/ ٧٠] .

الله ﷻ ما ترك هذا الإنسان لفطرته ، بل هو الرحمن الرحيم الذي عطف على الإنسان بعظيم فضله ، وعذره بكريم رحمته ، فأرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب بالحق

من عنده ، وسن له السُنن ، وشرع له الشرائع ، وبين له الحق من الباطل ، وبصره بآياته الكونية ، وآياته الشرعية : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

الله ﷻ ما تركنا على الفطرة ، وإلا الأمر واضح أن فيه خالقاً خلق المخلوقات ، فيه مصور صور الصور ، فيه ملك يدبر الأمر ، فيه حي يحيي الأحياء ، فيه ملك بيده المُلك والملكوت كل هذه دلائل تدل على وحدانيته ، ولكن الله ما تركنا لهذا ؛ بل أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وبين لنا الشرائع فضلاً منه ، حتى نعبده وحتى نسقي الفطرة بما يزيد الإيمان ، لتزيد الطاعات وتعمل الجوارح بطاعة الله ﷻ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم/ ٣٠] .

والناس في قبول هذا الحق وعدم قبوله مختلفون ، فبعد البيان ، وبعد النظر في الآيات الكونية ، والآيات الشرعية ، منهم من يهده الله ، ومنهم من يضله ، لكن الله أقام الحُجة على الناس ، فأعطى السمع والأبصار والعقول ، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، وأقام الحُجة على الخلق ، فمنهم من قبل الهدى فاستقام على طاعة مولاه ، ومنهم من رد الهدى فصار يعيش كالأنعام بل أضل من الأنعام : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل/ ٣٦] .

فالمؤمن الذي قبل الهدى ، وتاب إلى ربه وأناب ، وعاد إلى فطرته الأولى ، وهداه ربه الكريم إلى صراطٍ مستقيم ؛ هذا المؤمن قد تكرم الله عليه بالهداية : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣] .

هذا المؤمن إذا عثر بزلة أو معصية جهلاً منه أو شهوة ، تبعده عن ربه أقال الكريم عثرته بالتوبة ، وقبل معذرته ، وغفر له زلته ؛ لأنه هو الملك التواب الرحيم جل

جلاله : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النساء/ ١٧] .

أما الكافر فضل وأعرض عن هُدى ربه ، وكذب رسله ، ولم ينتفع ببصره ولا بصيرته ، واتبع هواه وشهوات نفسه ؛ فخسر وضل وأضل : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٥] .

فهذا الإنسان إما أن يعيش على هواه ، وإما أن يعيش على هُدى ربه ، والمؤمن الذي اصطفاه الله واجتباه واختاره لا يجوز له أن يصرف لحظة واحدة في معصية مولاه ؛ لأنه لا يليق به أن يفعل هذا الفعل ؛ لأنه آمن بالمؤمن جل جلاله ، آمن بربه الذي له ملكوت كل شيء ، فلا بد أن يطيع أمره ، ويجتنب نهيه ، وغير مسموح للمؤمن أن يصرف ثانية في غير طاعة لله ورسوله : ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣٢] .

وربنا ملك حكيم أعطانا الوقت ، ويسر لنا المكان ، وأعطانا العمر ، وأرسل إلينا الرسل ، لنعبده وحده لا شريك له .

والعمر أربعة أنواع :

عمرٌ حيواني.. وعمرٌ إنساني.. وعمر ملكي.. وعمرٌ إبليسى .

فالعمر الحيواني : يقضيه الإنسان في الأكل والشرب والشهوات ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد/ ١٢] .

وقال عنهم في آية أخرى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩] .

والعمر الإنساني : أن يستعمل الإنسان عقله وطاقته ، ووقته وفكره في عمارة الدنيا ، غافلاً عن ربه ودينه : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم/ ٦ – ٧] .

والعمر الملكي : أن يستعمل الإنسان عقله وطاقته ، ونفسه وماله ووقته ، في طاعة الله ورسوله ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، والإحسان إلى خلقه فهذا أسعد الناس في

الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٠ – ٣٢] .

فالعمر الحيواني خسران.. والعمر الإنساني خسران.. والعمر الابليسي أخسر الخسران : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر/ ١٥] .

والعمر الإبليسي : الذي يشتغل الإنسان فيه بالمعاصي ، فيكون فاسداً مفسداً ، فاسقٌ ينشر الفسق ، كافر يصد عن سبيل الله ، كالشيطان جمع بين الضلال والإضلال : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٦ – ١٧] .

- **والناس قسمان :**

إما صالح ومصلح.. أو فاسدٌ ومفسد .

فإن لم تكن في الصالح المصلح ، فلا بد أن تتحول إلى الفاسد المفسد ؛ لأنه لا بد من العمل إما إتباع الهدى أو إتباع الهوى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص/ ٥٠] .

وأعظم صنم معبود من دون الله هو هوى النفس ؛ لأنه يهوي بصاحبه إلى نار جهنم ، يهوي به إلى الرذائل ، يهوي به إلى المنكرات ، يهوي به إلى ما يُسخط ربه جل جلاله، والنجاة في إتباع الهدى ، وترك الهوى: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٧١ – ٧٢] .

فلا بد أن أمشي على الهدى ، أمشي على الصراط المستقيم في الدنيا ، لأمشي على الصراط المستقيم في الآخرة : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦١–١٦٣] .

فكن أول المسلمين في الصلاة ، في الصوم ، في الزكاة ، في الحج ، في الطاعة ، في صلة الرحم ، في الدعوة ، في التعليم ، في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، في النصيحة ، في الأخلاق العالية ، في الصبر ، في التقوى .

كن أول المسلمين في كل عمل صالح ، فالله هو الأول يريد مني أن أكون الأول في الدعوة ، في العبادة ، في التعليم ، في الذكر ، في الشكر ، في الحمد : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر/ ١١ – ١٢] .

فلا بد أن أعيش في هذه الدنيا حياة ملكية ، حتى يوم القيامة أعيش في القصور الملكية ، في قُرب الملك العزيز الجبار جل جلاله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢٠ – ٢١] .

فالذي يعيش في الدنيا مالكًا لجوارحه ولشهواته وللسانه ، حافظاً لدينه يمشي على الهدى ، يعيش وقد ملك نفسه وشهواته وسخرها في طاعة الله ، ومنعها من معصية الله ؛ هذا هو الملك ، والذي يعيش في الدنيا ملكًا ، يعيش يوم القيامة بجوار ملك الملوك : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤ – ٥٥] .

والملك الحق جل جلاله كما يُرسل الرياح مبشرات بالماء والغيث ، ومنذرات بالصواعق والعذاب ، كذلك يُرسل الرسل إلى عباده مبشرين بالثواب لمن أطاعه ، ومنذرين بالعقاب والعذاب لمن عصاه : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ [البقرة/ ٢١٣] .

ننظر إلى هذه المقارنة : نزول الوحي من السماء على القلوب ، ونزول الماء على الأرض التي تُنبت من كل زوج بهيج ، هما متشابهان ؛ هذا له إنبات ، وهذا له إنبات ، فلننظر إلى قدرة العظيم جل جلاله ، وننظر لهذه الآية العظيمة في خلق هذا الإنسان : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات/ ٢٠ – ٢٢] .

فالرسول الذي يحمل الرسالة بما فيها من العلم والهدى ، بمنزلة السحاب الذي

يحمل الماء والغيث للخلق : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى/ ٢٨] .

فالرسول الذي يأتي بالعلم والهدى للناس من عند ربه يشبه الغيث والسحب التي تحمل المياه والغيث للخلق ، فيشربون ، ويسقون أنعامهم ، وتُنبت أرضهم من الأعشاب والأشجار والثمار وغيرها : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف/ ٥٧] .

والماء الذي ينزله الله من السماء ، ليغسل الأرض ويطهرها ، ويُنبت فيها من كل زوج بهيج ، وكذلك الوحي الذي ينزله الله إلى عباده يغسل الشرك ، ويطهر النفوس من السيئات ، وينبت في النفوس التوحيد والإيمان ، والإخلاص والصدق ، والصبر والتوكل ، والخشية والخوف ، والأخلاق الكريمة ، والأعمال الصالحة .

والملك الحق جل جلاله امتن على عباده بهذا وهذا ؛ لكمال رحمته وإحسانه إلى عباده ، فقال في الماء : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج/ ٥] .

ثم ذكر الله بعد نزول الماء ، وإنبات الأرض خمس حقائق هي الدين كله فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج/ ٥-٧] .

وقال في الوحي الذي ينزل من السماء : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢] .

كانوا من قبل في ضلال : «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ» أخرجه مسلم[(١)] .

فلما نزل الوحي على القلوب فقبلته واهتدت ، صارت النفوس شكلًا آخر جميلاً ، واصطبغت بصبغة الله : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧ .

عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

فبعد نزول الوحي جاءت الصفات التي يحبها الله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥] .

وجاءت الصفات التي بشر الله أهلها بالجنة: ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ [التوبة/ ١١٢] .

فهذه عشرون صفة طيبة جاءت من هذا الإثبات بعد نزول الوحي .

ومثل بقاع الأرض مثل المكلفين من الإنس والجن ، ومثل أوديتها مثل القلوب ، تحمل على قدرها ، وتسير بما فيها على قدر سعتها ، وتحمل مع هذا الماء الغثاء والزبد ، كما تحمل القلوب مع العلم الشبهات والوساوس : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ [الرعد/ ١٧] .

سبحان الله ، الشمس والقمر بين النجوم لهم مكانة عظيمة ، وكذلك الإنسان المؤمن الذي عرف ربه جل جلاله ، وأخذ من العلم ما أخذ ، وامتلأ قلبه بالإيمان ، هذا الله ﷻ جعله بحراً واسعاً ينفع نفسه ، وينفع غيره ، فهذا له قيمة ومكانة بين الناس كالشمس والقمر بين النجوم .

فالله ﷻ شبه بقاع الأرض بأنها كالمكلفين من الإنس والجن ، ومثل أوديتها مثل القلوب التي تحمل على قدرها، وتسير بما فيها على قدر سعتها ، فتنبت من كل زوج بهيج .

- **والصحابة بين يدي النبي ﷺ على قسمين :**

القسم الأول : من أخذ علمه ، وعمله ، وأخلاقه ، وهؤلاء هم العلماء الذين بلغوا ما تلقوه منه إلى أمته .

القسم الثاني : أخذوا عنه عمله وأخلاقه ، وهم عامة الصحابة يصلون كما يصلي ، ويصومون كما يصوم ، ويتخلقون بأخلاقه .
أما العلم فهو خاصٌ بالعلماء الذين يفتون في المسائل ، ويعرفون العام من الخاص ، والمطلق من المقيد ، والناسخ من المنسوخ ، والحديث الصحيح من الحديث الضعيف .
ونحن علينا أن نرقي أنفسنا لنكون في الصف الأول ، نرتب أنفسنا في الدين دائمًا في الصف الأول ، فأكون الأول في الدين في كل شيء ، وأكون الآخر في الدنيا في كل شيء ، حتى أخذ العلم، وأعمل به ، وأدعو إليه وأعلمه ، فيستمر لي الأجر إلى يوم القيامة : ﴿**وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)**﴾ [العصر/ ١ – ٣] .
فكن الأول في العمل الصالح تكن الأول في الأجر : ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)**﴾ [آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤] .
ومثل نبات الأرض من الماء من ثمر وشوك ، وحلو ومر ، مثل أعمال القلوب من العلم الوارد عليها ، فالطيب يخرج الأعمال الطيبة ، القلب الطيب والعلم الطيب ، يُخرج الأعمال الطيبة والصفات الطيبة ، والخبيث يُخرج الأعمال الخبيثة ، والصفات الخبيثة : ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)**﴾ [إبراهيم/ ٢٤-٢٦] .
فسبحان من جعل آية إنزال الماء على الأرض آية على إرسال الرسل إلى أهل الأرض ، وجعل اختلاف البقاع بالنبات بعد نزول الماء دليلًا على اختلاف أعمال المكلفين بعد نزول الوحي ؛ حيث ظهر منهم المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي ، كما يظهر من الماء إذا نزل على الأرض الحلو والمر ، والطيب والخبيث ، من الأشجار والنبات ، كذلك يظهر بعد نزول الوحي المؤمن من الكافر ، والمطيع من

العاصي ، والبر من الفاجر .

فإذا عاش من عاش في الدنيا ، واهتدى من اهتدى ، وضل من ضل ، ثم مات الجميع أعاد الله الكون بكامله مرة أخرى ؛ إظهاراً لكمال قدرته ، فالكون كله بيد الله أصغر من الخردلة في أيدينا : ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٤] .

فسبحان الملك القادر الذي يعيد الكون كله يوم القيامة : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٧] .

إن الله ﷻ الملك الحق يميز يوم القيامة الخبيث من الطيب ، فيجعل الطيب كله في الجنة ، ويجعل الخبيث كله في النار : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠] .

فاعلم أن الله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة والمثل الأعلى ، فاعبده واصطبر لعبادته : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨] .

هو الملك الكريم الرحيم القادر على كل شيء ، الذي يقبض ليبسط ، ويمنع ليعطي ، ويبتلي ليصطفي ، ويُذل ليُعز : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥] .

هو سبحانه الملك الذي ابتدع خلق هذا الكون العظيم على غير مثال سابق .

هو سبحانه الملك القادر الذي أكرم خلقه بالفيض والإمداد ، وأظهر جميع الخلائق من العدم إلى الوجود : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة/ ١١٧] .

سبح نفسه قبل أن نسبحه ، وحمد نفسه قبل أن نحمده ، فهو كبير قبل أن نُكبره ، والله محمود قبل أن نحمده ، والله رزاق قبل أن يرزقنا ، والله خالق قبل أن يخلقنا جل جلاله ، لكن نحن نُسمع قلوبنا ، نُسمع القلوب هذا الكلام ، لتتعظ وتعود إلى ربها ،

وتفر من المخلوق إلى الخالق ، ومن الدنيا إلى الآخرة ، ومن الشهوات إلى الأوامر الشرعية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤١ – ٤٣] .

هذا التذكير بالله لا بد منه في كل يوم : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأعلى/ ٩ – ١٣].

من لم يأخذ هذه الوجبة الإيمانية في كل يوم فلا بد أن ينزل ، إلى أي شيء ينزل ؟ ينزل أول ما ينزل إلى الرتبة الحيوانية التي تشتغل بالشهوات ، كالحيوانات تأكل وتشرب فقط ، وتعد نفسها للذبح .

فكذلك الإنسان إذا فقد هذا التذكير ينزل أول ما ينزل إلى الرتبة الحيوانية ، ثم ينزل تحتها درجة إلى الرتبة السبعية التي تريد أن تكمل الشهوات ، فلا بد أن تعتدي وتسرق وتقتل ؛ لأنها بقوتها تتسلط على من دونها ، لإكمال شهواتها .

ثم ينزل إلى الرتبة الشيطانية الإبليسية ، فيَضل و يُضل ، ويَفسد ويُفسد ، وينشر الفساد في الكون : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص/ ٤] .

هذا واحد من طلاب الشيطان عمل هذا العمل ، وفاق إبليس حين قال : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النازعات/ ٢٤ – ٢٦].

كل واحد إن لم يؤمن سوف يكون مثل هذا الطاغية أو دونه، فالذي لا يعيش في الجو الإيماني الذاكر ، سيعيش في الجو الغافل الذي يربي فيه إبليس أتباعه، فينزل درجة بعد درجة، حتى يسقط في الجحيم : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس/ ٦٠ – ٦٢] .

فلا بد من التذكير المستمر بمثل هذا ، ليزيد الإيمان، وتقوى الأعمال .

هو جل جلاله الملك القوي القادر الذي يُعيد الخلق بعد الحياة إلى الموت ، ثم

يعيدهم بعد الموت للحياة الأبدية : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[العنكبوت/ ٢٠] .

هو الملك القادر الذي لا يُعجزه شيء ، بدأ الخلق كله ، ثم يفنيه كله ، ثم يعيده كله : ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الروم/ ١١] .

الحمد لله رب العالمين لربنا الملك الكريم الذي خلق الخلق ، وقسم الأرزاق ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب، رحمة وهداية لعباده على مدى الدهور ، ثم ختم الأنبياء والرسل بمحمد ﷺ ، وختم الأمم بأمته ﷺ : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم/ ٣٤] .

ولله الحمد على عظيم إحسانه لآدم ﷺ وذريته ، قد هيأ السكن قبل أن ينزل فيه الساكن إكرامًا له، وعنايةً بمن خلقه بيده : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء/ ٧٠] .

وقد خلق الله ﷻ جميع المخلوقات بأمره الملكي النافذ ، بكن فيكون :

بحرفين من كلامه ، خلق السماوات والأرض ، والجبال والبحار والأنهار ، والنجوم والجمادات والنباتات ، والحيوان والإنس والجن ، والملائكة والأرواح ، خلق جميع المخلوقات بأمره الكوني ، بـ : كن ، إلا الإنسان خلقه بيده إكرامًا له ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، لأنه يريده في الدنيا خليفة في الأرض ، ويوم القيامة جليسه فمن في الدنيا عاش مع الملك ، يوم القيامة يكون جليسه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤ – ٥٥] .

الله ﷻ خلق جميع المخلوقات بأمره النافذ ، وخلق آدم ﷺ بيده ، وكفله في أول أمره ، وأسكنه الجنة، وكفاه السعي على نفسه فيها : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾[طه/١١٨-١١٩] .

هذا مرسوم ملكي من ربنا جل جلاله لآدم يخاطبه في الجنة ، التي فيها كل ما يجب ويشتهي: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طه/١١٨-١١٩] .

وعلم سبحانه آدم ﷺ الأسماء كلها ؛ لأنه بمنزلة الطفل المكفول الذي ينبغي أن يُعلَّم

الأسماء أول شيء ، ثم يدرج بعدُ في التربية والمعرفة : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[البقرة/ ٣١] .

كما نربي أولادنا نقول : هذا جدار ، هذا ماء ، هذا كأس ، هذا صحن ، هذه سيارة ، هذا جبل ، كذلك الله ﷻ علم آدم الأسماء كلها .

ولكي يتدرب آدم ﷺ على طاعة من خلقه، ويحذر معصيته ، أباح الله له الأكل من جميع أشجار الجنة ، إلا شجرة واحدة، ليذوق مرارة المعصية ، وحذره من عدوه إبليس ، وعلمه كيف يتوب إذا عصى ربه : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[البقرة/ ٣٥] .

ثم أكل من الشجرة بقدر تزيين إبليس له، ، ثم تاب من معصيته ، ثم تاب الله عليه : ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[طه/ ١٢٢] .

وقد ربى الله ﷻ آدم في الجنة، لأنه سيجعله خليفة في الأرض هو وذريته : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[البقرة/ ٣٠] .

ثم أخرج الملك جل جلاله آدم ﷺ وزوجه من الجنة ، كما يخرج الولد من كفالة أبيه، ويوكل إلي سعيه بعد بلوغ رشده، ومعرفة ما ينفعه وما يضره : ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأعراف/ ٢٥] .

وسهل له بعد نزوله إلى الأرض، أسباب التعلم ، ويسر له مسالك المعيشة في الأرض ، ولطف به كما يُلطف بالمكفول الذي درج، ليقوم على نفسه ، بعدما أنزله الله ﷻ لطف به، وسهل له أسباب المعيشة، كما أن الطفل المكفول إذا شب وترعرع، وأصبح قادرًا على السعي، أهله يقولون له : اخرج، واطلب المعاش، واسع في الأرض : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٠] .

سهل له أسباب المعيشة، ليتفرغ لعبادة من خلقه ورزقه وهداه .

ثم لم يزل التكليف يشتد على سُنن التدريج على أمة بعد أمة، حتى انتهى إلى بني إسرائيل الذين كثرت فيهم المخالفات والمعاصي، فحلت بهم العقوبات ، ثم جاء الله

بخاتم الأنبياء محمد ﷺ فصرفه عن تلك الشدة إلى الحنفية السمحة التي في زمان إبراهيم ﷺ ، فكان ذلك بمنزلة المُكلف حال الشيخوخة ، رفَّه الله عنه في آخر حياته ؛ لأننا نحن آخر الأمم ، وخفف عليه بعد الشدة ، ولطف به، وضاعف له الأجر، لماذا ؟ لضعفه : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل/ ١٢٠-١٢٣] .

الحمد لله رب العالمين ، الله خفف علينا، فأعطانا الأعمال الصالحة ، وضاعف الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة الله ﷻ أكرم هذه الأمة بكرامات كثيرة :

جعل ذنوبها مغفورة، وعيوبها مستورة وأعمارها قليلة، وأعمالها مضاعفة ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠].

بنو إسرائيل تفرقوا، واختلفوا، ولم يؤدوا الأمانة ، فجاءتهم الشدائد ، والله ﷻ نقل الخلافة منهم إلى هذه الأمة ، والمؤمنون من أهل الكتاب بعد بعثة النبي ﷺ فقط هم ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٧] .

فاستقرت الرسالات كلها ، واجتمعت المحاسن كلها ، وصارت دينًا كاملًا جاء به خاتم الأنبياء ﷺ من ربه، لجميع البشرية إلى يوم القيامة : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣] .

فالنبي ﷺ رسول إلى الناس كافة إلى يوم القيامة : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ

وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف/ ١٥٨] .

فهذا ورب السماء والأرض هو الدين الحق الذي لا يقبل الله بعد نزوله سواه : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران/ ٨٥] .

ودين الله وأحد أرسل به رسله إلى خلقه، والشرائع مختلفة : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران/ ١٩] .

الحمد لله رب العالمين أن مَنَّ علينا بمثل هذه المجالس الإيمانية التي نسمع فيها الكلام عن ربنا ﷻ ، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله ؛ لأنه لا صلاح للقلوب إلا بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته ، ولا صلاح للحياة إلا بعبادة الله وحده لا شريك له ، ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بمعرفة المعبود جل جلاله ، والتعبد له بما شرعه على لسان رسوله ﷺ ، ومن دخل جنة المعرفة أدخله الله يوم القيامة جنة الآخرة : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[الحديد/ ٢١] .

فربنا جل جلاله ملك عظيم ، ملك حيٌ قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم .

ربنا جل جلاله هو العظيم في ذاته ، العظيم في أسمائه ، العظيم في صفاته، العظيم في أفعاله .

ربنا ﷻ هو العظيم في خَلقه وأمره ، العظيم في دينه وشرعه ، العظيم في مُلكه وسلطانه .

وهو سبحانه الملك العظيم الذي خلق المخلوقات ، وأوجد الموجودات ، وصور الكائنات ، وخلق الأرض والسماوات ، ربنا ﷻ هو الملك القدير الذي قدر الأقدار في السماوات والأرض : ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد/ ٨ – ٩] .

وهو سبحانه الملك القوي الذي خضعت الأعناق لعظمته ، وخشعت الأصوات لهيبته ، وذل الأقوياء لقوته ، وقهر الخلائق بقدرته ، وهو سبحانه الملك المتفرد بالخلق والإيجاد ، والتصريف والتدبير : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرحمن/ ٢٩] .

يخلق ويرزق ، ويحُي ويميت ، ويُعز ويُذل ، ويعطي ويمنع ، ويرفع ويخفض ، لا راد لقضائه ولا معقب لحُكمه : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك/ ١] .

لا بد أن يسمع القلب من اللسان هذا الكلام في كل يوم ، لا بد أن يسمع عن العظيم ليعظمه ، ويعرف الكبير ليكبره ، ويعرف القادر ليستعين به ، ويعرف المنعم ليشكره ، ويعرف الكريم ليحبه ويعبده ، لا بد أن يتكلم اللسان بمثل هذا الكلام في كل يوم ، فهذا هو غذاء القلوب ، هذه القلوب أوعية غذاؤها بذكر الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وذِكر خزائنه ، ووعده ووعيده .

وربنا ﷻ هو الغني الذي يرزق الخلائق ، ويهب الأولاد ، ويقسم الأرزاق ، ويُرسل الرياح ، وينزل المياه ، ويجيب المضطر ، ويكشف السوء ، ويُطعم الخلق ، ويدبر الأمر ؛ يفعل ذلك كله متى شاء ، في أي وقتٍ شاء ، وبأي قدرٍ شاء : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢ – ٨٣] .

وهو سبحانه الملك الكبير الذي له الكبرياء في السماوات والأرض ، الجبار الذي قهر الجبابرة بجبروته ، وعلاهم بعظمته ، الملك القاهر فوق عباده ، القاهر لهم على ما أراد ، الفعال لما يشاء : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣] .

وهو سبحانه الملك القوي العزيز الذي لا يُعجزه شيء ، ولا يغلبه شيء ، ولا يعزب عنه شيء ، القادر على كل شيء ، المالك لكل شيء ، المحيط بكل شيء ، العليم بكل شيء ، الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، الخلق خلقه ، والأمر أمره ، والمُلك ملكه : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة/ ١٢٠] .

حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، لا تراه العيون ، ولا تخالطه الظنون ، ولا يصفه الواصفون كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه ، هو القوي الذي ليس كمثله شيءٌ في القوة ، هو العليم الذي ليس كمثله

شيءٌ في العلم ، هو الرحمن الذي ليس كمثله شيءٌ في الرحمة : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[الشورى/ ١١] .

هو السميع للأقوال ، البصير بالأفعال ، الخبير بما في القلوب ، له الخلق والأمر وحده لا شريك له .

والله ﷻ هو الملك الذي له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فهو بكل شيءٍ عليم ، وعلى كل شيءٍ قدير ، وهو الغني الذي له خزائن السماوات والأرض ، يُعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

هو مالك المُلك ، يُعز من يشاء ، ويُذل من يشاء : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾[آل عمران/ ٢٦] .

ما هي أفعال الملك الخلاق العليم ؟ ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢٧﴾[آل عمران/ ٢٧] .

في كل يوم يولد تقريباً أكثر من نصف مليون إنسان ، كل واحد على صورة معينة ، وعلى شكل معين ، وفي كل يوم يموت مثل هذا العدد ، وكل من يأتي إلى الحياة قد قُسم رزقه ، وكُتب أجله ، وأقواله وأعماله ، في بطاقة في جبينه لا يعلمها إلا الله ، يُكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، وكل يوم يرحل من هذا العالم إما إلى الجنة وإما إلى النار ، ما يقارب نصف مليون إنسان على مستوى العالم ، نسأل الله ﷻ أن يجعل أولادنا وأولادكم وأولاد جميع البشرية صالحين مصلحين ، وأن يختم لنا ولكم بخير ، ويجعلنا من أهل الجنة لا من أهل النار .

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه ، وما أعظم خلقه ، وما أوسع ملكه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢] .

وهو سبحانه الملك العظيم ، رب كل شيء ومليكه ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، مالك كل شيء ، ورب كل شيء .

- **له وحده ربوبية الخلق والتصوير والإيجاد والتدبير .**

له وحده ربوبية الخلق : لا خالق إلا هو .

وله ربوبية التصوير : فهو المصور لكل صورة .
وله ربوبية الإيجاد : لا يوجد شيء إلا بإيجاد الله ﷻ .
وله ربوبية التدبير : هو الذي يدبر الليل والنهار ، ويدبر الأرزاق ، ويدبر الأحوال : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢] .
وكيلٌ على كل مخلوق ، وكيلٌ على الشمس في إنارتها وحركتها ، وكيلٌ على القمر ، وكيلٌ على الأرض ، وكيلٌ على هذه الأنفس جميعًا ، فكل الخلائق الله ﷻ يسمعها ويراها ، وهو وكيلها يدبرها كيف شاء جل جلاله ؛ لأنه ملك يتصرف في مماليكه في العالم العلوي ، والعالم السفلي من الملائكة الذين ينفذون أوامره ، ومن الجمادات ، ومن النباتات ، ومن الحيوانات ، ومن الإنس ، والجن ، والذرات ، وسائر المخلوقات يتصرف فيها بما شاء ويراها ويعلمها كأنها ذرة واحدة بين يديه ، جميع قلوب البشرية كأنها قلبٌ واحد ، الله ﷻ يعلم بهذه القلوب ، وما في هذه القلوب ، ويعلم ما هي عاملة : ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود/ ٥٦] .
وكذلك هو ملك له وحده ربوبية التعليم والإرشاد : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق/ ١-٥] .
هو وحده العليم الذي علم كل عليم ، العلم منه جل جلاله : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء/ ٨٥] .
ما عند البشرية من العلم لا يساوي ذرة من العلم الإلهي ، فهو العليم الذي عنده خزائن العلم ، والذي علم كل عليم ، فكل عِلم في العالم من علمه ، الله خلق الإنسان، وخلق صفات الإنسان ، وخلق أعمال الإنسان ، وهو خالق كل شيء ، السعادة والشقاوة بيده ، العلم والجهل بيده ، العزة والذلة بيده ، فهو العليم الذي له ربوبية التعليم ، هو الذي علم هذه الحيوانات ، والطيور ، وعلم البشر ، وعلم الإنسان ما لم يعلم : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن/ ١-٤] .
والبيان إما بالإشارة ، وإما بالنطق ، وإما بالكتابة .

وله كذلك وحده ربوبية التمليك والإمداد : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة/ ٢٩] .

هو ملك ، ونحن في مُلكه ، له ربوبية التمليك والإمداد ، هو الذي يملكنا هذه الأموال ، وهذه النعم ، وهذه السيارات ، وهذه البيوت ، وهو الذي يمدنا كل يوم بهذه النعم : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣].

فسبحان من وسع رزقه كل مخلوق ، ووسع علمه كل مخلوق ، ووسع سمعه كل مخلوق ، ووصلت رحمته إلى كل مخلوق : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس/ ٣١-٣٢] .

وهو جل جلاله الملك الذي له وحده ربوبية التسخير :

هو الملك الذي سخر لنا كل شيء : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠] .

فهو الذي سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض ، كل ما في الكون من تسخيره ، سخر لنا عالم الجماد ، عالم النبات ، عالم الحيوان ، سخر لنا الهواء ، وسخر لنا الماء ، وسخر لنا هذه الأرض التي تُنبت ، وسخر لنا هذه الريح التي تهب ، وهذه الشمس التي تُشرق : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤] .

وهو جل جلاله الملك الذي له وحده ربوبية التكريم والاستخلاف :

هو الملك الذي خلقنا وهدانا إليه واستخلفنا في الأرض : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ

وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿١٦٥﴾ ﴾[الأنعام/ ١٦٥] .

أرأيت أعظم من هذا التكريم ؟، وأعظم من هذا العطاء ، وهذا التسخير ؟ : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء/ ٧٠] .

فمتى يؤوب العبد إلى ربه ؟، ومتى يستحي من ربه ؟، ومتى يستغفر من ذنبه ؟: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠] .

هذا الإله العظيم الذي هذه أسماؤه ، وهذه صفاته وهذه أفعاله ، هو ربٌّ عظيم كريم رحيم ، فما أكرمه ، وما أرحمه بعباده ، وهذا عطاؤه في الدنيا لمن أطاعه وعصاه ، ومن آمن به ومن كفر به ، فكيف يكون عطاؤه وإكرامه في الآخرة للذي أطاعه ؟ ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة/ ٧٢] .

فلله الحمد على ملكه العظيم ، وله الحمد على ربوبيته للعالمين : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية/ ٣٦ – ٣٧] .

هو وحده الملك الذي له ربوبية الخلق والتصوير والإيجاد والتدبير.. وله وحده ربوبية التعليم والإرشاد.. وله وحده ربوبية التمليك والإمداد.. وله وحده ربوبية التسخير.. وله وحده ربوبية التكريم والاستخلاف في الدنيا ، هو الذي جعلنا خلائف في الأرض ، وأكرمنا على سائر الخلق .

هذا العطاء من ربنا ﷻ يجب علينا أن نذكره ونشكره، وأن نكبر الله في كل وقت ، وأن نحمده ، وأن نعبده وحده لا شريك له ، فإذا عرفناه ، وعرفنا مُلكه ، وعرفنا هذه الأفعال ، وعرفنا هذا التكريم ، عرفنا أنه الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام/ ١٠٢] .

وهو كريم إذا عبدناه أعطانا على الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى

أضعاف كثيرة، فنحن من عبيده ، ونحن تحت قهره ، السماء من عبيده ، والأرض من عبيده ، والكرسي من عبيده ، والعرش من عبيده ، والنباتات من عبيده ، والكل يسبح بحمده ، ويشهد بوحدانيته .

ونحن من عبيده ، لكن الله ميزنا على غيرنا بأن جعلنا من البشر ، وأعطانا العقول التي نتميز بها عن غيرنا ، ونعرف بها الرب من العبد .

والله ملك كريم أعطى عطاء الربوبية لجميع مَن في مُلكه ، وكل الكون ملكه جل جلاله ، وهذا عطاؤه في الدنيا لمن أطاعه أو عصاه ، ومن آمن به ومن كفر ، فكيف يكون عطاؤه وإكرامه في الآخرة لأهل طاعته ؟ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة/ ١٧] .

وكيف يكون عذابه وجزاؤه في الآخرة لمن عصاه ؟ : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء/ ١٤] .

وهو سبحانه الملك العظيم الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، لا بد إذا كبَّر اللسان أن يُكبر القلب ، وإذا عظم اللسان أن يعظم القلب ، وإذا حمد اللسان أن يحمد القلب ، وإلا لا يأتي الخشوع ، ولا يأتي التعظيم ، ولا يأتي الانكسار بين يدي الله ، إلا بتواطؤ اللسان والقلب على ما يقوله اللسان ، وإلا الله كبير قبل أن نُكبره ، وخالق قبل أن يخلقنا ، ومحمود قبل أن نحمده جل جلاله ، ولكننا نخاطب قلوبنا في كل يوم ، حتى تُكبر الكبير ، وتعظم العظيم ، وتشكر المنعم ، وتتصل بالملك دون المماليك ، وتعبده بكمال الحب والتعظيم والذل له : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال/ ٢- ٤] .

والعظمة والكبرياء من خصائص الرب ﷻ ، والكبرياء أعلى من العظمة ؛ فالكبرياء بمنزلة الرداء ، والعظمة بمنزلة الإزار ، كما قال النبي ﷺ:«**الْعِزُّ إِزَارُهُ ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**»أخرجه مسلم[1] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٦٢٠.

والله ﷻ هو الخلاق العليم الذي خلق السماوات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الليل والنهار، وخلق البر والبحر، والفضاء والهواء، وخلق السهول والجبال، وخلق الإنس والجن، وخلق الروح والملائكة، وخلق الجبال والرياح: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

فسبحانه مع نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ومع قلة شكرها، هو غفور لمن استغفر، رحيم بمن زل.

والله ﷻ خالق كل شيء، خلق السماوات والأرض، ثم استوى على العرش، وهو مع خلقه يُبصر أعمالهم من فوق عرشه، ويسمع كلامهم، ويعلم أحوالهم، ويدبر أمورهم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة/ ٧].

فهذه المعية العامة لعموم الخلق، الله فوق عرشه مع الخلائق كلها، فالله ﷻ ليس معنا بذاته؛ لأن الله محيطٌ بكل محيط، ولا يحيط به محيط، هو جل جلاله وهو على عرشه مع خلقه، يسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر أمورهم، لكن مع المؤمنين له معية خاصة، تكون بالنُصرة لهم، والتأييد والمعونة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل/ ١٢٨].

وهو سبحانه الملك العلي العظيم، الذي علوه لا يناقض معيته، ومعيته لا تبطل علوه، وكلاهما حق، فمعيته لعموم العباد بالعلم والإحاطة، ومعيته للمؤمنين معية القرب التي تتضمن الموالاة والنصر والحب والإعانة: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال/ ٤٦].

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال/ ١٩].

والله جل جلاله هو مالك الملك وحده لا شريك له، ومالك للكون بلا شريك، يُملك من شاء من ملكه تمليك العاريَّة، يستردها مالكها ممن يشاء، عندما يشاء.

فليس لأحدٍ ملكية أصلية في هذا الكون، في هذا الكون كلنا مماليك، نحن وما

نملك ، فليس لأحد ملكية أصيلة يتصرف فيها على هواه ؛ إنما هي ملكية مُعارة له ، خاضعة لشروط الملك جل جلاله وتعليماته ، فإن تصرف المستعير فيها تصرفًا حسنًا موافقًا لأمر الله أسعده الله في الدنيا والآخرة ، وإن تصرف فيما أعطاه الله تصرفًا سيئًا مخالفًا لأمر الله ، وقع هذا التصرف باطلًا يحاسب ويعاقب عليه ممن ملكه إياه وهو الله سبحانه وتعالى : ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الحديد/ ٧] .

والله سبحانه هو الملك الذي بيده ملكوت كل شيء .

فالخسوف والكسوف ، والبراكين والزلازل ، والرياح والعواصف ، وسائر القوى الكونية ؛ كلها بيد الله وحده ، وهي جند من جند الله ﷻ ، وليس في أيدي البشر منها شيء ، وكل ما يبنيه الناس على ظهر هذه الأرض تذهب به رجفةٌ من رجفات الأرض ، رجفة واحدة تذهب بجميع ما بناه الناس في سنين ، أو يقلعه إعصار من أعاصيرها بأمر الله الواحد القهار : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك/ ١٦ – ١٧] .

إن الإنسان قوي بالقدر الذي وهبه الله له من القوة ، عالم بالقدر الذي أعطاه الله من العلم ، ولكن هذا الكون العظيم زمامه بيد الملك الذي خلقه ، وقِواه من إمداده ، وهذه القوى تسير وفق أمر الله سبحانه ، ويقف الإنسان أمام قوى الكون الهائلة مكتوف اليدين ، حسيرًا ليس له إلا أن يتذكر خالق هذا الكون ، وخالق هذه القوى ، وخالق هذه الخلائق العظيمة ، ويتطلع إلى عونه في مواجهتها : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

والإنسان إذا نسي هذا الخالق ، واغتر وانخدع بما قسمه الله له من العلم والقدرة على تفسير بعض قوى الكون ؛ فإنه يصبح مخلوقًا مسيخًا مقطوعًا عن العلم الحقيقي ويخلد إلى الأرض ، بينما العالم المؤمن فكله راكع لربه الجليل ، لماذا ؟ لأنه عرف ربه بأسمائه وصفاته ، فخضع له مع المخلوقات الأخرى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ

﴿مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ [الحج/ ١٨] .

فالله ﷻ مالك المُلك ، استخلف هذا الإنسان في هذه الأرض ، ووهبه من القوة والقدرة والعلم ما يشاء ، والله هو الذي يكلؤه ويحميه ، ويرزقه ويعطيه ، ولو تخلت عنه يد الله لحظة لسحقته أقل القوى المسخرة له ، ولأكله الذباب ، وأذاه البعوض ، وما هو أصغر من الذباب ، ولكن الله ﷻ برحمته يكلأ هذا الإنسان ، ويجعله مكرمًا ، ويتابع عليه نعمه لعله يتوب إليه .

فهو جل جلاله مالك المُلك ، هو العظيم الموصوف بكل صفة كمال ، ولا يستحق ذلك إلا الله وحده ، ومن عظمته سبحانه أن السماوات السبع ، والأراضين السبع ، في يد الرحمن أصغر من الخردلة ، فهو سبحانه العظيم الذي يستحق من عباده أن يعظموه بقدر ما رأوا من عظمته ؛ يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم ، ويحمده بقدر ما رأوا من نعمه وإحسانه وذلك لا يكون إلا بعد معرفتهم بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩] .

ومن تعظيمه سبحانه أن يُتقى حق تقاته ، فيطاع ولا يُعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ومن تعظيمه سبحانه تعظيم كل ما شرعه من زمانٍ ومكانٍ ، وأقوالٍ وأعمال : ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج/ ٣٢] .

التعبد لله ﷻ باسمه الملك.. المليك

الله سبحانه ملكٌ عظيم ، وله مُلك السماوات والأرض ، وبيده ملكوت كل شيء ، ونحن عبيده جل جلاله ، فإذا عرفنا الملك ، وعرفنا أسماءه وصفاته وأفعاله ، وعرفنا مُلكه العظيم ، وعرفنا سلطانه الواسع ، وعرفنا عظمة نعمه وإحسانه ، فعلينا أن نعبد الله بموجب هذا الاسم ، ويكون لنا حظ من هذا الاسم الكريم ، يكون لنا حظ من اسم الملك ، فإذا الله ﷻ ملَّكنا وأعطانا من فضله ونعمه ، فلابد أن نتأثر بهذه الصفة ، ويكون لنا حظ من اسم الملك ، بأن نكون ملوكًا في الدنيا ، وملوكًا في الآخرة .

والملك هو من ملك جوارحه ، وملك شهواته ، وملك قلبه ، وسخره لطاعة الله ، ومنعه من معصية الله ، فلابد للإنسان أن يفقه معاني أسماء الله وصفاته ، ثم يتعبد الله ﷻ بها : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

والله له الأسماء الحُسنى ، وله الصفات العُلى ، وله الأفعال الجميلة ، وله المثل الأعلى ، وهذا المخلوق الذي خلقه الله ، وكرمه على سائر المخلوقات ، يجب عليه أن يتصف بهذه الصفات على شاكلة العبودية ، فما هو حظ الإنسان من اسم الملك ؟ من اسم المليك ؟ .

لا بد لكل إنسان أن يعلم أنه عبد الملك ، عبد العزيز ، عبد الجبار ، أن يعلم أنه مملوك لملك الملوك ، مالك العالم العلوي كله ، ومالك العالم السفلي كله ، ومالك الدنيا والآخرة ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

لا بد أن يعلم الإنسان أنه عبد للملك ، عبد للمليك ، عبد للعزيز ، عبد للقوي ، عبد للرحمن ، عبد للطيف ؛ حتى يعبد الله جل جلاله ، بما له من الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، ويتعبد بهذه الأسماء ، ويتعامل مع الناس بهذا الأسماء .

فربك هو الملك الحق القوي الذي لا يُعجزه شيء ، الغني الذي عنده خزائن كل شيء ، الكريم الذي يعطي كل شيء ، لا بد أن يعرف القلبُ هذا ، حتى يتخلق بهذا ، فيعطي كل شيء ، ويكرم الخلق ، ويرحم الناس ، ويعفو عمن ظلمه ، ويحسن إلى الناس : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤] .

وأنت أكرم الخلق عليه ، خلقك بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك الأسماء كلها ، وأعطاك من صفاته ، وفضلك على كثير من خلقه ، ودعاك إلى عبادته وحده ؛ لتفوز برضوانه وجنته : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

وأنت أخي المسلم ، أنت عبد الملك ، وليس لك عمل إلا امتثال أوامره ، وتكميل محبوباته ؛ إن أطعمك فاشكره ، وإن أمرك فأطعه ، وإن ابتلاك فاصبر لحكمه ، وإن أذنبت فاستغفره ، فالزم طاعته ، وتقرَّبْ إليه بما شرع ، واعبده بما يحبه ويرضاه ؛ تفوز برضاه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة / ٧٢] .

واعلم يا عبد الملك، ويا عبد الخالق، ويا عبد العزيز، أن ربك هو الملك الخلاق العليم، القوي العزيز:

خلقك كما شاء لا كما شئت.. وصورك كما شاء لا كما شئت.. وخلقك لما شاء لا لما شئت.. وساق إليك النعم كما شاء لا كما شئت.. وأنت تقدم عليه يوم القيامة متى شاء لا متى شئت.. وأنت تقدم عليه يوم القيامة بما شاء لا بما شئت .

وإذا عرفت ذلك فسلم قلبك وقالبك لمولاك : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٢ – ٢٤].

- **وإذا علمت أن ربك هو الملك وحده لا شريك له ، لزمك أمران :**

الأمر الأول : الإيمان بقضاء الله وقدره ، فلو قضى عليك الملك مرضًا أو فقرًا أو بلاءً ؛ فلا تعترض ، لماذا ؟ لأنك مُلكه ، يتصرف فيك كما يشاء ، كما يتصرف في الشمس والقمر، والسحب والرياح وغيرها ، فأنت عبده ، يتصرف في لونك، وفي طولك، وفي جنسك، وفي لسانك، وفي جميع أعضائك ، أنت عبده ، لا بد أن تؤمن

بقضائه وقدره ، خلقك كما شاء لا كما شئت، وصورك كما شاء لا كما شئت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ [الانفطار/ ٦-٨] .

الأمر الثاني : الرضا بشرعه وقبوله والقيام به ، لماذا ؟ لأنك مُلكه وعبده ، فإذا أمرك فأطعه ، وإذا نهاك فأطعه ، ومقتضى العبودية التامة أن تخضع لشرعه ، كما أنك خاضعٌ لقضائه وقدره في خلقك ولونك وسائر أحوالك من غنى أو فقر ، أو عافية أو مرض .

والله ﷻ خلقك لما شاء هو لا لما تشاء أنت ، خلقك لما شاء هو ، أن تذكره وتسبحه، وتوحده وتعبده : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨] .

ويوم القيامة تأتي إليه كما شاء هو لا كما شئت أنت ، أنت لا تريد أن تأتي إليه ؛ لأنك قد أذنبت وعصيت، وتخاف من العقاب ، ولكن تأتي إليه كما شاء هو صاغرًا ذليلًا عريانًا تُدعى إلى يوم القيامة : ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝١١١ ﴾ [طه/ ١١١] .

وتأتي إليه يوم القيامة بما شاء هو لا بما شئت أنت، تأتيه فقط بأعمالك: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة/ ٦-٨] .

واعلم أن ربك هو الملك الغني عن كل ما سواه ، وأنت الفقير إليه ، وكل ما في الكون فقير إليه ، وأنت الذي تربح عليه إذا آمنت به وعبدته : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [العنكبوت/ ٦] .

أنت الذي تربح عليه ، الله خلقنا وهدانا واشترانا ، وأنزل علينا الدين ، وبيّن لنا الشريعة ، وحفظ لنا أوامره ، وأعاننا عليها ، وقبلها منا ، وضاعفها لنا ، وأسعدنا بها في الدنيا ؛ حيث تكفل لنا بالأمن والهداية : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢ ﴾ [الأنعام/ ٨٢] .

ويوم القيامة يُكرم الله هذا الإنسان بدخول الجنة ورضوان الرب وسماع كلامه .

فالله نعمه علينا لا تُعد ولا تحصى ، معنا في بطن الأم ، ومعنا في بطن الدنيا ، ومعنا

في بطن القبر ، ومعنا في قصور الجنة ، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم والبشرية كافة من أهل جنته ورضوانه ، وأن يجعلنا من المهتدين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون .

والله ﷻ هو الملك الحق الذي بيده المُلك ، القادر على كل شيء، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد ، فجدْ أيها العبد في طلب مرضاة ربك الملك العزيز الوهاب ، وتعرف على أسمائه وصفاته ، وسارع إلى ما يحبه ويرضاه ، فالمقصود في هذه الدنيا أن نُرضي الله ، ونرضي رسوله ، بطاعة الله ﷻ ، وطاعة رسوله وعبادة الله وحده لا شريك له : ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ [التوبة/ ٦٢] .

فالمقصود أن نُرضي الله ﷻ حتى يرضى عنا ، ويوم القيامة يرضينا ويسترضينا : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

فهذا فضل من الله ﷻ علينا ، أن أنعم علينا بأعظم النعم ، ومن فضل الله علينا أنه أعطانا العقول التي نعرف بها من نعبد ؛ نعرف الملك ، نعرف ملك الملوك ، نعرف الذي خلق المُلك وقسَّم الممالك وقسم الأرزاق جل جلاله ، أن نتعرف على الملك ، نتعرف على أسمائه وعلى صفاته وعلى أفعاله، حتى نعبده كما يليق بجلاله .

فالإنسان إذا عرف ربه تمام المعرفة ، وآمن بالله وأسمائه وصفاته ؛ أحب عبادته ، والخلوة به ، والوقوف بين يديه ، خاشعًا ذليلًا، مسبحًا بحمده ، خاصة في الثلث الأخير من الليل، حين ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ؛ إكرامًا لعباده، ومحبةً لهم، ورحمة بهم : ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر/ ٩] .

- **وعبادة المؤمنين لربهم على درجتين :**

عبادة الأحرار.. وعبادة العبيد .

عبادة الأحرار : أن أعبد الله، لأنه أهلٌ أن يحُمد ، وأهلٌ أن يُعبد ، وأهلٌ أن يُشكر ، وأهلٌ أن يكبر ، وأنه الملك الحق الذي يستحق العبادة ولو لم يعط الجنة ، يستحق العبادة لذاته، ولأسمائه ، وصفاته، وأفعاله ، وخزائنه، وعظمة مُلكه ، وعظيم نعمه وإحسانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا

تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

فمن عرف ربه حقاً عبده حقاً: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

أما عبادة العبيد : فهم يعبدون الله، لأنهم يرجون ثوابه، ويخافون من عقابه ، يعبدونه لما يعطيهم من النعم ، فهم يرجون أن يدخلوا الجنة، ويأكلوا ويشربوا مما فيها فقط .

هذه عبادة مطلوبة ، وتلك عبادة مطلوبة ؛ ولكن أعلاهما هي عبادة الأحرار ، أن نعبد الله لذاته ، لأنه أهل أن يعبد وحده : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠] .

أنا أعبده لأنه أهلٌ أن يكبر، وأنه هو الكبير الذي لا أكبر منه ، وهو الملك الذي خلق جميع الملوك والممالك ، وهو العظيم الذي كلُّ شيء مُلكه ، وهو الخلاق الذي كل شيء خلقه ، وهو الرزاق الذي كل رزق في العالم من رزقه ، وهو العزيز الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ، الذي أذل كل ذليل وأعز كل عزيز : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون/ ٨] .

هو جل جلاله الرحمن الذي كل شيء في الكون من رحمته، فأنا أعبده لذاته ؛ ولهذا من عبدَ الله بموجب هذه الصفات ؛ عبده بالخشوع والانكسار، والحب الكامل، والتعظيم الكامل، والذل الكامل .

عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ قال : «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟** » متفق عليه (١) .

هو جل جلاله لأجل هذا الإنسان ، وإكرامًا لهذا الإنسان ، يقرب من عباده ، هو جل جلاله يسمع كل شيء ؛ يسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، ولكن محبته لعباده ، وسماع كلامه ، يقرب إليهم ، ليؤلف قلوبهم ، ويرغبهم في القرب منه : «**فَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ**

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ١١٤٥، ومسلم برقم: ٧٥٨.

ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ» متفق عليه[1] .

فالله ﷻ يحب عباده ، وهو أرحم الراحمين بخلقه ، وهو جل جلاله الملك الذي له الأسماء الحُسنى، والصفات العُلى، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى، فكلُّ فعلٍ في الكون من أفعاله، كلُّه جمال، وكله رحمة، وكله عدل ، وكله في غاية الحكمة ولو كان بصورة مكروهة للنفس ، هو الذي خلق الغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والأمن والخوف ، والحياة والموت ، وهو جل جلاله خالق كل شيء ، وهو لا يقضي قضاء إلا وفيه خير للإنسان : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [الزمر/ ٦٢].

واعلم أن الملك جل جلاله ملَّكك جوارحك وأوقاتك ، فاتقِ الله فيهما بالمواظبة على عبادة ربك العظيم، والدعوة إليه، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه، والزم بيئة الإيمان ، وأكرم الناس ، وازهد فيما في أيديهم ؛ يحبك الله، ويحبك الناس : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف/ ٢٨] .

واقنتْ لربك العظيم ، ولا يصرفنك عن وجهتك أقوال الغافلين ، وإشارات المستهزئين ، وكلام السفهاء ؛ فإن الأعمى لا يدرك فضل الضوء ، والأصم لا يعرف قدر الصوت : ﴿۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾[الرعد/ ١٩] .

أولو الألباب الذين عرفوا ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرفوا واجب العبودية ، وتلذذوا بهذه العبودية ، فهم بين يدي ملك الملوك مسبحين، ومستغفرين، ومكبرين، ومهللين، وسائلين، وحامدين، ومعتذرين ، وهم بين خلقه إما دعاة إلى الله وإما معلمين لشرع الله وإما محسنين لخلق الله ، هكذا هم في بيئة الإيمان، وفي بيئة الأعمال، أوقاتُهم كلها معمورة بما يحبه الله : ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٥٣٦، ومسلم برقم: ٢٦٧٥.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣] .

وهذا عطاء رب العالمين لمن يعلم أنه يصلح لهذا ، يُعطي فضله من يشاء، لأنه أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته، وأعلم بمن يشكر ممن يكفر : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣- ٧٤] .

والله ﷻ قادر أن يهدي الناس جميعًا ، وقادر أن يدخل الناس الجنة جميعًا ، ولكن له حكمة بالغة في مُلكه ، وله أوامر وله نواهٍ يبتلي عباده بذلك ؛ لينظر من يأتي إليه اختيارًا ممن لا يأتي إليه وهو قادرًا أن لا يأتي ، فهو جل جلاله حكيمٌ في خلقه وأمره ، وهو في هذه الدنيا خلق الإنس والجن ، وابتلاهم بالأوامر والنواهي ، ابتلانا الله ﷻ بالأوامر الملكية الشرعية ، وابتلانا بالشهوات الحيوانية ؛ وابتلانا بالمصائب القدرية .

فمن قدم الأوامر على الشهوات سعد في الدنيا والآخرة ، ومن قدم الشهوات على الأوامر شقي في الدنيا والآخرة : ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

[آل عمران/ ١٩٦ – ١٩٨].

فالله ﷻ في هذه الدنيا كلفنا بالإيمان والأعمال الصالحة ، وعرض لنا عروضات مما في الجنة ، وعروضات مما في النار، ونهانا أن نتعلق بهذه الدنيا ، فهذه الدنيا لا قيمة لها أمام الآخرة ، هذه الدنيا جزءٌ يسير من الآخرة ، هذه الدنيا قطعة من الآخرة ، هذه الدنيا لا يعمرها إلا المؤمن ؛ المؤمن هو الذي يعمر الدنيا العمارة الصحيحة ، المؤمن هو الذي يعمرها بالإيمان والتقوى، وحُسن الخلق، والإحسان إلى الناس ، والتعاون على البر والتقوى ، ونفع الناس ، أما الكافر فهو يُفسد هذه الدنيا ؛ يفسد هذه الدنيا بأخلاقه وأقواله وأعماله ، بظلمه وفساده وإفساده ، فالكافر مفسد لدنياه وآخرته ، والمؤمن مصلح لدنياه وآخرته : ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك/ ٢٢].

فهذه الدنيا مكان الاستثمار للعبد ، يستثمر فيها مع ربه فيربح ولا يخسر أبداً ، سواء

بالعبادة بين يديه بالصلاة والذكر وقراءة القرآن ، أو بالدعوة إلى الله، وتحبيب عباده إليه، ودعوتهم إليه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج/ ٧٧] .

فالله ﷻ ملك ، ومَنَّ علينا بشيء من صفاته ، وأعطانا إكرامًا منه الكفار لندعوهم إلى الله، وجعلهم محل دعوتنا ، ولو لم يوجد كافر ما استطعنا أن ندعو إلى الله، ولا نأخذ أجر الداعي إلى الله ، وأعطانا أهل الجهل، وجعلهم محل تعليمنا ، وأعطانا الفقراءوجعلهم محل صدقاتنا ، وأعطانا السفهاء وجعلهم محل حلمنا ، وهكذا الله ﷻ مَنَّ علينا بهذا وهذا ، فلو لم توجد هذه الأمور ما قمنا بشيء ، ولكن الله ﷻ ملك كريم يريد من هذا الإنسان أن يكون ملكًا على شاكلة العبودية ، يُملك الناس من الخيرات ، يُملك الناس من هذا الخير الذي ملَّكه الملك : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣].

فالله أعطاني الهداية وملَّكنيها ، لا بد عليَّ أن أوصل إلى البشرية هذه الهداية، وأدعو إلى الله والله على كل شيء وكيل ، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء ، لكن الله وكَّلني بنشر الهداية كما وكَّل الشمس بالإنارة ، فعلي أن أمشي بالدعوة إلى الله في العالم :
﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾
[إبراهيم/ ٥٢] .

كذلك الله وكلني بالعلم ، الصلاة عالمية ؛ لا بد أن أنشر صفة الصلاة في العالم ، الوضوء عالمي ؛ لا بد أن أنشر صفة الوضوء في العالم ، الزكاة عالمية ؛ لا بد أن أنشر أحكام الزكاة في العالم ، الصوم عالمي ؛ لا بد أن أنشر الصوم في العالم كي يصوم الناس لرب العالمين : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر/ ١ -٣] .

الله ﷻ أعطانا الدعوة إليه، وشرفنا بذلك، ورغبنا في ذلك : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

الله ﷻ مَنَّ علينا بأن جعلنا من البشر ، وجعلنا من المؤمنين ، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس ، وأعطانا وظيفة الأنبياء والرسل التي هي الدعوة والعبادة ، فجميع الأنبياء أُعطوا الدعوة والعبادة ، وهذه الأمة أُعطيت ما أُعطيه الأنبياء : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ

﴿أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾

[آل عمران/ ١١٠].

- **والله ﷻ أكرم هذه الأمة وتوجها بأربعة تيجان :**

١- تاج ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[آل عمران/ ١١٠] .

٢- تاج ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾[الحج/ ٧٨] .

٣- تاج ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة/ ١٤٣] .

٤- تاج ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[البقرة/ ١٤٣] .

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[آل عمران/ ١١٠] :

في الدعوة ، في العبادة، في التعليم ، في حُسن الأخلاق ، في صلة الرحم ، في الإحسان إلى الخلق .

(هُوَ اجْتَبَاكُمْ) [الحج/ ٧٨] .

اختاركم من بين الأمم كما اختار الأنبياء من بين الناس وخصكم بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج .

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة/ ١٤٣].

فأنتم خيار الأمم وأعدلهم، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلوا ولا تقصير .

﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[البقرة/ ١٤٣].

تشهدون للأنبياء بالبلاغ، وتشهدون على الأمم يوم القيامة أن الرسل بلغوهم رسالات ربهم .

فعلينا أن نشتغل بهذه التيجان التي توجنا الله ﷻ بها ، علينا أن نشكرها، ونمشي بها في العالم ، نمشي بهذه التيجان، نبلغ دين الله، في أرض الله، إلى خلق الله ، فنحن خير أمة ، ونحن أمة مجتباة ، والله أكرمنا وأعطانا الإيمان ، وأمرنا بنشر الحق في العالم ، ننشر لا إله إلا الله لقلوب البشرية أكثر من ستة آلاف مليون كافر في العالم يحتاجون إلى لا إله إلا الله لقلوبهم ، ويحتاجون إلى محمد رسول الله لأبدانهم : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾[آل عمران/ ١٠٤].

كيف تجعل حياة كل إنسان في العالم مطابقة لحياة النبي ﷺ ؛ في نيته وفكره، وتوحيده، وإيمانه، وأقواله، وأعماله، وأخلاقه ؟ هذه مسئولية كبيرة ، إذا نوينا هذه النية ، اللهُ ﷻ يعطي عبده بقدر هذه النية ؛ لأن الأعمال بالنيات المقرونة بالأعمال، ليست بالأقوال والأماني، بل لا بد من إتباع النية بالعمل ، إذا ما استطعت أن أكمل العمل فالله يؤتي الأجر على قدر النية .

عن عُمَرَ بْن الخَطَّابِ رَضِي الله عَنْه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى دُنيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ». متفق عليه(١).

فنبدأ برقم واحد حتى ننتهي بآخر واحد من ستة آلاف مليون ، ننوي هداية البشرية كلها ؛ بل ننوي هداية الإنس والجن، حتى لا يبقى في الكون كافر ، نجتهد ونيتنا العالم، كل العالم ، كما أن الشمس تنور على كل العالم ، الداعية نيته ينشر الهداية في العالم ، ينشر دين الملك ، يعرِّف الناس بملك الملوك ، يعرف الناس بأوامر ملك الملوك ، حتى يسكنوا في أرضه، ويأكلوا من رزقه، ويعبدوه بأوامره ، فيرضى الله عنهم ويرضونه بعبادته وحده .

إذا تركناهم عاشوا في أسفل الدركات ، عاشوا أسفل شيء في الرتبة الحيوانية ، ثم انتقلوا إلى أسفل منها الرتبة السبعية ، ثم انتقلوا إلى أسفل منها الرتبة الإبليسية : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل/ ١٢٥] .

وهكذا المسلم إذا قام بالدعوة جاءت البشرية كلها إلى نور الإيمان، وتنور العالم بهذا النور ، نور القلوب ، كما الشمس نورت للأبصار ، هذه الدعوة نور للقلوب ، أن أعرف الملك الحق ، وماذا يريد الملك ؟، وما هو مرادي من الملك ؟، وما هو مراد الملك مني ؟، ما هي أوامر ملك الملوك على القلوب ؟ وعلى الآذان ؟ وعلى الألسنة ؟، وعلى الجوارح ؟، وعلى الأوقات ؟ وعلى الرجال ؟ وعلى النساء ؟

لله أوامر مختلفة على البشر في جميع الأحوال والأوقات : ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٩٠٧).

﴿ وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [الأنعام/ ١٦١ – ١٦٣].

هذه مهمة المسلم أن يكون كالجبل في الثبات والاستقامة، وكالشمس في الإنارة والحركة، فهو صالح ومصلح، وعالم ومعلم، وذاكر ومذكر: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠ ﴾ [الأعراف/ ١٧٠].

فاستقم كما أمرت، لا كما اشتهيت .

والاستقامة : أن تستقيم على أوامر الله الانفرادية والاجتماعية ، وتجاهد من أجل إعلاء كلمة الله : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ ﴾ [هود/ ١١٢].

هو سبحانه الملك الخلاق العليم الحكيم، خلق الكبير والصغير، وخلق العالي والسافل، وخلق الجامد والسائل .

فالله خلق العرش العظيم الذي استوى عليه جل جلاله ، ما هي سعة هذا العرش العظيم ؟، لا يعلم بها إلا الله ﷻ ، لكن هذا العرش العظيم خلق في مقابله أصغر شيء وهي الذرات ، ومن أصغر شيء هذه البعوضة التي نراها ، هذه البعوضة التي نراها لا نعرف منها إلا أنها تلدغ الإنسان وتأخذ من دمه ، هذه البعوضة الصغيرة التي نراها لها، مائة عين ؛ في كل عين طبقات ترى فيها الألوان والأحجام والأشكال ، ولها ستة سيوف أو ستة سكاكين تشق بها جلد الإنسان ، ولها ثمانية وأربعون سناً، ولها ثلاثة قلوب ، وتشم من مسافة ستين كيلومتر .

هذا مخلوق ضعيف ، مخلوق ضعيف يسبح بحمد ربه ، وله أوامر من ربه ﷻ ؛ بل كل ذرة في الكون لها ثلاثة أوامر من الملك :

أمر بالإيجاد.. وأمر بالبقاء.. وأمر بالنفع والضر .

فسبحان من أظهر قدرته في خلق الكبير والصغير، والليل والنهار، والحياة والموت، والنور والظلام، والذكور والإناث : ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١ ﴾ [لقمان/ ١١].

والكل يسبح بحمده ، والكل يدل على جلاله وجماله ، والكل طائعٌ لربه ، خاضعٌ لإرادته ، ومستجيبٌ لمشيئته ، ومسرعٌ لإرادته جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ

﴿ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].
وأنا عبد اللهُ خلقني وأعطاني الخيار أن أطيع أو أعصي ، أفأشتغل بالنعمة عن المنعم ، وأشتغل بالدنيا عن الآخرة ، وأشتغل بالأموال عن الأعمال ، وأشتغل بما تحب النفس عما يحب الرب !، وأطيع هواي واعصي مولاي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار/ ٦ – ٨] .
يجب علينا أن نجلس في مجالس الإيمان ، مجالس العلم ؛ حتى نعبد الله على بصيرة ، وحتى تعرف قلوبنا من تعبد ؟، من هذا الرب الكبير العظيم الذي يجب أن نعبده جل جلاله ؟ لا بد أن أعرفه ، فأنا في مُلكه ، وكيف أجلس في ملكه، وآكل من رزقه، وأنا لا أعرفه ؟ الله دعاني إلى معرفته : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾[المائدة/ ٩٨] .
الله سبحانه خلق الكون كله من اجل أن نعرفه، وإذا عرفناه عبدناه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].
مفاتيح أبواب التوحيد والإيمان والسعادة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .
الله ﷻ أمرنا أن نعرفه أولًا ؛ نعرف الآمر قبل الأوامر ، ونعرف المعبود قبل العبادة ، فالحمد لله أن مَنَّ علينا، وجعلنا من أهل قبضة اليمين ، فعلينا أن نشكر هذه النعمة ، وعلينا في كل يوم أن نلبس لباسًا جديدًا، ونعمل عملًا جديدًا وأن نتفكر بفكر جديد ، كل يوم يُجدد الإنسان إيمانه، وأعماله، وأقواله، وأخلاقه ، كل يوم يترقى المؤمن، بحسب المعرفة يكون التعبد ، بحسب المعرفة تكون اللذة في مناجاة الخالق جل جلاله ، بحسب المعرفة تكون اللذة في قيام الليل .
وكان النبي ﷺيقوم الليل حتى تتفطر قدماه ؛ لأنه يعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويعرف ماذا يجب له ، فهو بين يدي ربه حامدًا وعابدًا ، وشاكرًا ومستغفرًا ، ومتذللًا ومعتذرًا ، وهو بين يدي خلقه داعٍ إلى الله ومعلِّم لشرعه، ومحسن لخلقه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

● **فالدين ركنان :**

عبادة الحق.. ومحاسنة الخلق .

إن لم أكن بالعبادة بين يدي الرب ، أكون في إحسانٍ إلى الخلق ؛ إما بدعوة ، وإما بتعليم ، وإما بإحسان ، وإما بمواساة فقير ، وإما بمساعدة محتاج ، وهكذا كل إنسان عمرُه بهذا الشكل عبادة ودعوة، وتعليم وإحسان : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧** ﴾

[الحج/ ٧٧].

فلا بد أن نعبد الله بموجب هذا الاسم العظيم اسم الملك ، كيف أملك جوارحي ؟ وأسخر الأذن لتسمع كلام الله، وكلام الرسول ؟ وأسخر اللسان في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة، والقول الحسن ؟ كيف أسخر هذه العين لترى وتنظر في الآيات الكونية، وتنظر في الآيات القرآنية، وتنظر في كتب العلم ؟ كيف أسخر هذه الجوارح لتقف عابدة بين يدي الله ، وقت الصيام تصوم ، وقت الصلاة تصلي ، وقت الحج تحج ، وقت الذكر تذكر ، وتُحسن إلى الناس ؟ كيف أعيش ملكًا تخرج مني المنافع للناس ؟ : ﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤** ﴾

[آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤].

كل مخلوق تخرج منه المنافع إلى الناس فهو محبوب ، الشمس محبوبة، لأنها تخرج منها المنافع من الإنارة والحرارة ، السحب محبوبة، لأنها تخرج منها المنافع من المطر والغيث، والأرض محبوبة، لأنها تخرج منها النباتات والأشجار : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨﴾[الشورى/ ٢٨] .

والأنبياء والرسل خرجت منهم منافع كثيرة ، وأنا لابد أن أقتدي بهم في حياتهم، حتى تخرج مني المنافع ، والله أعطاني الطاقة حتى أنفع الخلق ، والله مَنَّ عليَّ بأن أعطاني هذه الطاقات ، الله ملَّكني خيراً فلابد أن أملِّك الناس ، أنا أملِك مالاً، وأملك علماً، وأملك أخلاقاً، وأملك منافع ، لا بد أن أنفع الناس كما أمرني ﷻ ، وأن أتعاون معهم على الخير : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ**

ﭐلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج/ ٧٧].

فالمؤمن كله منافع لنفسه ولغيره، فهو بين يدي ربه عابداً، وبين يدي خالقه داعياً ومعلماً ومحسناً.

فالحمد لله أن مَنَّ الله ﷻ علينا بهذه النعمة، وجعلنا مسلمين، وجعلنا من خير أمة أُخرجت للناس، وكما أن الله ﷻ مَنَّ علينا بهذه النعم لا بد أن نشكر الله كثيرًا، ونحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ونملأ الكون بحمده كما ملأه لنا بنعمه، هواء نستنشق منه في أي مكان، وشمس نمشي بضوئها في كل مكان، وماءٌ نشرب منه في كل مكان، وطعام نأكل منه في كل مكان، وصحة في الأبدان، وأمن في الأوطان، ونتقلب في النعم في كل مكان؛ فلابد أن نشكر الله ﷻ في جميع الأحوال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

- **الحمد الله رب العالمين، نحن بفضل الله في مثل هذه المجالس الإيمانية الله ﷻ يكرمنا بست كرامات:**

تنزل علينا السكينة.. وتغشانا الرحمة.. وتحفنا الملائكة.. ويذكرنا الله فيمن عنده.. ثم ينادي منادٍ: انصرفوا مغفورًا لكم، قد بُدلت سيئاتكم حسنات.

لماذا؟ لأننا نتعرف على ربنا بأسمائه وصفاته، ونتعرف على دينه وشرعه، ونتعرف على ثوابه وعقابه، فنحن في روضة من رياض الجنة، والحمد لله على ذلك حمداً كثيراً طيباً مباركاً، ملء السموات، وملء الأرض: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

والله ﷻ هو الملك، وكل الكون مُلكه جل جلاله، وله في مُلكه على خلقه أوامر ملكية، وأوامر شرعية.

- **فأوامر الله على خلقه نوعان:**

أوامر كونية.. وأوامر شرعية.

فالأوامر الكونية مستمرة في الدنيا والآخرة، والأوامر الشرعية محدودة قد كملت وانتهت بعد موت النبي ﷺ: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ

لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة/ ٣] .

- **وأوامر الله الكونية تنقسم إلى ثلاثة أقسام :**

القسم الأول : أمر الإيجاد ، وهو متوجه من الله إلى جميع المخلوقات ، بالإيجاد والخلق والتكوين : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر/ ٦٢] .

وبسببه أوجد الله ﷻ الكون وما فيه من المخلوقات ، كالعرش والكرسي، والسماء والأرض، والملائكة والروح، والشمس والقمر، والنجوم الكواكب، والجمادات والنباتات، والإنسان والحيوان، وغير ذلك من المخلوقات : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢] .

والثاني : أمر البقاء ، وهو متوجه من الله إلى جميع المخلوقات بالبقاء، في العالم العلوي والعالم السفلي ، وبسببه تبقى الكائنات كلها بأمر الله وحده ، ولولا أمر الله بالبقاء لزالت جميع الكائنات فوراً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾[فاطر/ ٤١] .

الأمر الملكي الثالث : أمر الحركة والسكون ، والحياة والموت ، والنفع والضر ، والتدبير والتصريف ، وهو متوجه من الله إلى جميع المخلوقات ، وجميع المخلوقات لا تتحرك ولا تسكن إلا بأمره : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤].

فسبحان الملك الذي بيده ملكوت كل شيء : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾[آل عمران/ ٢٦ – ٢٧].

وجميع المخلوقات لا تنفع ولا تضر إلا بأمر الله وحده : ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[الأعراف/ ١٨٨] .

والإحياء والإماتة بيد الله وحده ، فلا يحصل في الكون شيء إلا بأمره : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾[غافر/ ٦٨] .

وهذه الأوامر الملكية لا بد من وقوعها كما أراد الله ، فالله لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، سبحانه هو الواحد القهار : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

أما الأوامر الشرعية : فهي الدين ، وهي موجهة من الله إلى الثقلين الإنس والجن ، وذلك يتم بواسطة الأنبياء والرسل الذين يبلغون رسالات الله إلى الناس : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل/ ٣٦] .

- **والأوامر الشرعية من الله ﷻ إلى خلقه خمسة أقسام ، هي :**

الإيمانيات.. والعبادات.. والمعاملات.. والمعاشرات.. والأخلاق .

ومن الناس من يقبل هذه الأوامر الشرعية، فيسعد في الدنيا والآخرة ، ومنهم من لا يقبلها فيشقى في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه لآدم وحواء وإبليس : ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة/٣٨- ٣٩] .

وهذا الدين محفوظ إلى يوم القيامة بحفظ الملك جل جلاله ، وللحصول على أعلى مراتبه لا بد من المجاهدة للعلم به، والعمل بأحكامه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

وأوامر الملك الشرعية جل جلاله نوعان :

الأول: أوامر محبوبة للنفس : كالأمر بالأكل من الطيبات ، ونكاح ما طاب من النساء الأربع ، وصيد البر والبحر ، ونحو ذلك من الطيبات والمباحات .

الثاني : أوامر مكروهة للنفس البشرية .

- **وهي نوعان :**

أوامر خفيفة : كالأدعية، والأذكار، والصلوات ، وتلاوة القرآن ، والسنن والآداب ونحوها .

وأوامر ثقيلة على النفس : كالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله .

والإيمان يزيد بامتثال الأوامر الخفيفة والثقيلة معًا ، والقيام بالأعمال الانفرادية والاجتماعية معًا ، فإذا زاد الإيمان صار المبغوض محبوبًا ، وصار الثقيل خفيفًا ، وتحقق مراد الله من العبد بالدعوة والعبادة لربه ، واطمئن بذلك قلبه ، وتحركت بذلك جوارحه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢ – ٤].

ويتم ذلك بتغير اليقين ، بأن يعيش الإنسان في الجو الإيماني ، فيتغير اليقين من التعلق بالمخلوق إلى التعلق بالخالق الذي بيده كل شيء ، وتغيير العواطف من المخلوق إلى الخالق ، وتغيير الفكر من الدنيا إلى الآخرة ، ومن الأموال والأشياء إلى الإيمان والأعمال الصالحة ، وتغيير العمل من العمل للدنيا إلى العمل بأعمال الدين من صلاة، وصيام، وزكاة وحج، وجهاد ودعوة وغيرها ، والانتقال من بيئة المعاصي إلى بيئة الطاعات ، ومن محبوبات النفس إلى محبوبات الرب جل جلاله : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠ – ٥١].

فالأوامر الشرعية أنزلها الله إلى الثقلين الإنس والجن، وهي الدين ، وهذه الأوامر تنزل من الملك إلى العباد ، والأعمال تصدر من داخل النفس ، فإذا تطابقت الأعمال البشرية مع الأوامر الإلهية، سعد هذا الإنسان في الدنيا والآخرة ، وإذا خالفت أعمال العباد أوامر الله الشرعية شقي الإنسان في الدنيا والآخرة : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء/ ١٣ – ١٤].

وفي كل يوم ، بل في كل ثانية ، بل في كل لحظة، يصدر من ملك الملوك ما لا يحصيه إلا الله، ولا يعلمه إلا الله، من مليارات الأوامر الملكية ؛ أوامر الخلق والإيجاد ، وأوامر البقاء ، وأوامر النفع والضر ، وأوامر التصريف والتدبير ، وأوامر التغيير والتبديل ، وأوامر الحياة الموت ، وأوامر العافية والمرض ، وأوامر العطاء والمنع ،

وأوامر الأمن والخوف ، وأوامر الحرب والسلم .
وفي كل يوم ، بل في كل ثانية ، بل في كل لحظة، يصدر من العباد ما لا يحصيه إلا الله ، من الأقوال والأعمال، والطاعات والمعاصي، والحسنات والسيئات ، وكل ذلك بإذن الله ﷻ ، والكل معلومٌ لربنا علام الغيوب جل جلاله : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس/ ٦١] .
فسبحان الله ما أعظم ملكه، وما أرحمه بعباده، وما أحلمه على من عصاه .
وأوامر الله الشرعية التامة كاملة ، وهي متعلقة بجميع أحوال العباد ، والله يحب أن يطاع، وتُمتثل أوامره في جميع الأحوال، من جميع العباد ، فالمُلك مُلكه ، والخلق خلقه ، والأمر أمره ، والعبد ليس له عمل إلا طاعة سيده ومولاه الذي أفاض عليه من نعمه بما لا يحصى ، ووعد من أطاعه بالدار الحُسنى ومن عصاه بنار تلظى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ١١٥] .
وأوامر الله الكونية والشرعية متعلقة بجميع أحوال الإنس والجن ، وأوامر الله الكونية متعلقة بجميع المخلوقات ، وكل ذرة في الكون العظيم لها ثلاثة أوامر من ربها :
أمر بالإيجاد ، وأمر بالبقاء ، وأمر بالنفع والضر .
ولله حكمة في خلق كل شيء ، وكل المخلوقات مملوكة في قبضة الله ، والإنسان مأمور أن ينظر إلى المخلوقات التي خلقها الله في هذا الكون ولا يتعلق بها ؛ بل يتجاوزها إلى خالقها .
فينظر إلى الصور ويتجاوزها إلى المصور ، وينظر ماذا يريد منه ؟ وماذا هو يريد منه ؟ وينظر للمخلوقات العجيبة ويتجاوزها إلى الخالق ؛ وذلك حتى لا تأتي عظمتها في القلوب مكان عظمة الله الذي يستحق التعظيم الكامل وحده لا شريك له ، ولا تأتي محبتها مكان محبة الله الذي يستحق المحبة الكاملة وحده لا شريك له .
وينظر في ملكوت السماوات والأرض نظر تفكر واعتبار، لا نظر متعة وتفرج .
فكلٌّ ينظر إلى الشجرة الكبيرة : الغافل ينظر إلى جمالها ولا يذكر الجميل الذي زيَّنها ، والنجار ينظر إلى خشبها ، والطبيب ينظر إلى الدواء الذي فيها ، والمزارع

ينظر إلى ثمرتها ، والمؤمن ينظر إلى عظمة خالقها ؛ فيذكر من خلقها، ويشكره على منافعها، فهذا أعظم الناس نظرًا وفِكرًا واعتبارًا وعملاً : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس/ ١٠١] .

﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ ﴾[الأنبياء/ ٣٠] .

وقد أنزل الله ﷻ الدين الكامل الشامل لجميع أحوال العباد ، كما قال سبحانه : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ٣ ﴾ [المائدة/ ٣] .

فالله أنزل برحمته الدين الكامل، ويريد من عباده العمل الكامل، ليعطيهم الأجر الكامل الدائم: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩ ﴾[المائدة/ ٩] .

والله ﷻ هو الملك الحق ، له أوامر يجب أن تُمتثل في جميع الأحوال :

له أوامر يجب أن تُمتثل عند الوضوء، وعند الصلاة، وعند الزكاة، وعند الصيام والحج وغيرها من العبادات .

وله أوامر جل جلاله يجب أن تُمتثل لا تظهر إلا بوجود الأهل والزوجة والأولاد ، وله أوامر يجب أن تمتثل لا تظهر إلا في التجارة والبيع والشراء وسائر المعاملات .

وله أوامر جل جلاله يجب أن تُمتثل لا تظهر إلا في الزراعة أو الصناعة، أو التجارة ونحوها ، وله أوامر جل جلاله يجب أن تُمتثل لا تظهر إلا في ساحات الجهاد، وحلق الذكر، ومجالس العلم .

وله أوامر يجب أن تُمتثل لا تظهر إلا في حال الغنى أو الفقر، أو الصحة أو المرض، أو الحياة والموت أو السِّلم والحرب .

وله أوامر جل جلاله يجب أن تُمتثل في حال الرضا والغضب، وفي حال الفرح والحزن، وفي حال الرخاء والشدة .

فبيده الأحوال ، وبيدنا الأعمال ، الله يأتي بالأحوال، ليبتلينا بالأعمال ، لنتعبد له في حال السراء والضراء .

في حال السلم ، في حال الحرب ، في حال الأمن ، في حال الخوف ، في حال

العافية ، في حال المرض ؛ له أوامر لا بد أن تُمتثل في كل حال : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧] .

وله أوامر يجب أن تُمتثل في البيوع، وفي الأسواق، وفي المساجد، وفي المجالس .

وله أوامر يجب أن تُمتثل عند الزواج، وعند المعاشرة، وعند الولادة .

وله أوامر على السمع والبصر، والقلب والبدن، وسائر الجوارح .

فهو جل جلاله ملك له الخلق كله والأمر كله : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

فهذه الأوامر وغيرها مما أمر الله ورسوله به ، هي الدين الذي يحبه الله ويرضاه، ويحب من قام به ، وهي الدين الذي يجب على الإنسان قبوله، والعمل به، والدعوة إليه، ليسعد في الدنيا والآخرة : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

- **وقد خلق الله الناس في الدنيا على نوعين :**

مسلم له أوامر ، وكافر له أوامر ، وعالم له أوامر، وجاهل له أوامر، وغني له أوامر ، وفقير له أوامر ، وقوي له أوامر ، وضعيف له أوامر ، وصحيح له أوامر ، ومريض له أوامر ، وكبير له أوامر ، وصغير له أوامر ، وبصير له أوامر ، وأعمى له أوامر ، ورجل له أوامر ، والمرأة لها أوامر ، وحي له أوامر ، وميت له أوامر ، ومقيم له أوامر ، ومسافر له أوامر ، ومتزوج له أوامر ، وأعزب له أوامر ، وخليفة له أوامر ، ورعية لها أوامر وهكذا ، والنتائج يوم القيامة بحسب الإيمان والعمل : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨] .

فالحمد لله ﷻ على نعمه التي لا تُعد ولا تحصى ، فهذا العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، من أعظم العلوم ، به تحيا القلوب ، وبه تصلح الجوارح ، وبه تحسن الأخلاق ، وبه يرضى الرب ﷻ عن عباده : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢] .

وهذا باب عظيم ، بل هو أعظم أبواب التوحيد ، والنفس تستثقل هذه المعاني ، وتستصعب الأعمال الصالحة ؛ لأنها مولعة بحب الشهوات ، تريدك عبدًا لها لا عبدًا لربك ، وهي مجبرة على ذلك، لأنها حيوانية تشتهي ، حيوانية شهواتها حيوانية ؛ مركوبات وملبوسات ومسكونات ومطعومات ومشروبات ومنكوحات .

لكن هذه النفوس إذا لزها العقل ، وأحاط بها الإيمان ، وساقها الخوف من ربها ، وقادها الرجاء ، وجرها الحب ؛ سارعت إلى ربها ، وانقادت لطاعته ، واطمأنت بذكره ، وصدقت بوعده ووعيده : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس/ ٧-١٠] .

فالمؤمن إذا جلس في بيئة الإيمان، يتعلم الإيمان ، وإذا جلس في بيئة العلم، يتعلم العلم الذي يعبد به ربه ، ثم انطلق بين يدي الناس داعيًا ومعلمًا ومحُسنًا ، في الليل بين يدي ربه عابداً ، وفي النهار بين يدي خلقه داعيًا ومعلمًا ومحُسنًا : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة/ ٧١].

و كلما وجدت الباب مغلقًا دونك في أي عمل صالح ، ورأيت السبيل إليه حَزَنًا ؛ فاعلم أن ذلك من آثارِ ذنوب لم تحُسن التوبة منها ، فنستغفر الله ونتوب إليه ، نستغفر الله ونتوب إليه ، نستغفر الله ونتوب إليه من كل ذنب نعلمه أو لا نعلمه .

وذِكرٍ لم يُصحب بفِكر ، نذكر الله ونقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وذكر باللسان لم يصحبه ذكر بالقلب ؛ هذا لا ينفع .

وأسرٌ من عدوك لم تحس به ، الشيطان يأتي للإنسان، ويملك جوارحه ويتصرف فيها.

وغفلةٍ حبستك عن الذاكرين : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

وفتح تلك الأبواب، لتستعد النفس للعمل بأربعة مفاتيح :

بالتوبة من كل ذنب.. وقرن الذكر بالفكر.. والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.. والإكثار من ذكر الله .

فاسأل ربك الكريم ، وتضرع إليه ، وتب إليه من جميع الذنوب التي حبستك عنه ، ودع كل فِعلٍ لا يرضاه عنك ربك ﷻ ، واعلم أن الله غفور رحيم : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة/ ٣٩] .

وتبرأ إلى ربك من حولك وقوتك وعلمك ، وقل بلسانك وقلبك ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا يغير من حال إلى حال إلا الله ﷻ ، وقل كما قالت الملائكة : ﴿ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٣٢] .

واعلم ؛ نور الله قلبك بالإيمان والتقوى أن الذي أغلق الباب دونك عنده مفتاحه ، فألقِ دلوك في الدلاء، ومُد يديك إليه بالدعاء ؛ تنال حظك من العطاء من ربك العظيم جل جلاله : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

وإياك والعجز والكسل، والركون إلى الدعة والراحة ، واحذر العُجب والكبر والرياء ؛ فذلك سبب كل خيبة وحرمان، وشقاء وخسران : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر/ ٦٠] .

وأقبل رحمك الله على طاعة مولاك بقلبك ولسانك وجوارحك ، وسارع إلى ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق ؛ تكن من الربانيين المتقين المفلحين : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٦] .

واحمد الله الذي هداك للإسلام ، وحبَّب إليك عبادته ، وخصك بمزيد إحسانه وفضله : ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس/ ٥٨] .

واحذر أيها العبد معصية ربك ؛ فهو الملك العزيز الجبار ، وأنت عبده الذليل الصغير الضعيف ، وإياك أن تستعمل ما أنعم به عليك في معصيته ، واعلم بأنه يراك ويسمعك

في خلوتك وجلوتك ، فاعبده كأنك تراه : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠] .

والزم باب الملك الكريم ، وتعرض لمحابه وعطاياه ، وتيقنْ أنه أقرب إليك من نفسك ، وما دعاك لسؤاله إلا ليعطيك من نواله : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات / ١٥-١٩] .

وتيقنْ أيها المسلم أنه من المحال أن تتوكل على ربك ، وتعمل بطاعته ، ثم يُسلمك ويخذلك ؛ بل سيفضي بك من ذلك إلى معرفته، والقرب منه، وحُسن عبادته ، ثم يفضي بك بعد العلم والمعرفة والتعبد والذكر والتسبيح ، يفضي بك من ذلك إلى حياض واسعة ، ثم إلى أنهار جارية ، ثم إلى بحار عذبة صافية من معرفته ومعرفة أسمائه الحُسنى، وصفاته العُلى، وأفعاله الجميلة : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥].

واعلم أن الملك من الناس هو الذي يحكم ولا يملك ، والمالك هو الذي يملك ولا يحكم ، والله سبحانه ملك ومالك ومليك ، فهو مالك يملك كل شيء ، وملك يملك التصرف في كل شيء ، ومليك يملك كل شيء : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١] .

فسبحان الملك الذي يملك كل شيء :

فله مُلك السماوات ، ومُلك الأرض ، ومُلك النجوم ، ومُلك الملائكة ، ومُلك الإنس ، والجن ، والنباتات ، والحيوانات ، والجمادات ، والرياح والنور، والظلام، والذرات : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠] .

واعلم أن كل شيء فيك أو لك أو عندك ، هو مُلك لله في يدك ، سمح الله لك أن تتصرف فيه في حياتك، ثم يعود إليه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم/ ٤٠] .

فسبحان الملك الحق الذي استغنى بذاته عن كل موجود ، واحتاج إليه كل موجود .

واعلم أن كل مخلوق مفتقر إلى ربه في خلقه وبقائه ، وفي إمداده وتدبيره ، وفي حركته وسكونه : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

واعلم أن المَلك الحقيقي من البشر هو الذي يملك هواه، ولا يملكه هواه ، ويملك نفسه، ولا تملكه نفسه ، ويستعمل ما آتاه الله في طاعة مولاه، لا في معصيته : ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف/ ١٠١] .

واعلم أنك إذا ملكت نفسك وهواك وشهواتك وجوارحك واستعملت ذلك في طاعته، فأنت ملك ، وإذا قادتك نفسك وهواك وشهواتك وجوارحك إلى معصية الله فأنت مملوك لمملوك ، وشتان بين الملك والمملوك ، ولا ينفع الإنسان مُلك العالم كله إذا لم يملك نفسه ، وكل إنسان إما أن يكون عبدًا لله، أو عبدًا لعبد الله ، إما أن يكون عبدًا للملك أو عبدًا لعبد الملك : ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٣] .

- **واعلم أن المُلك الذي يهبه الله لعباده نوعان :**

الأول : مُلك يؤتيه الله من يشاء من عباده ، وهذا مُلك زائل .

الثاني : مُلك حقيقي ، وهو أن يملك الإنسان نفسه عن الهوى والمعاصي بعون الله ، ويحملها على الإيمان والطاعات بفضل الله .

والمؤمن من أعظم ملوك الدنيا والآخرة ، فمن كان مؤمنًا مستقيمًا، مالكًا لهواه وشهواته ، فقد وعده الله في الدنيا بالخلافة في الأرض : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور/ ٥٥] .

وأما في الآخرة ، فهو ملك من ملوك الدار الآخرة في مُلك كبير : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان/ ٢٠-٢٢] .

فهو مَلك في مُلك كبير ، وهو ملك في مقعد صدق عند مليك مقتدر : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤- ٥٥] .

فسبحان الملك الحق الذي يدور بحكمه الفلك ، وسبحان الملك الحق الذي يُملِّك من يشاء من عباده مُلك الدنيا، أو مُلك الآخرة، أو مُلك الدنيا والآخرة : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

واعلم رحمك الله أنك كلما شربت من هذه الأنهار العذبة الصافية، ازدت إيمانًا ويقينًا ، وكلما ازدت شربًا طهر عقلك وقلبك ولسانك وجوارحك من كل ذنب ، وامتلأ قلبك بالإيمان واليقين ، وتجملت جوارحك بالطاعات ، وتزينت جوارحك وروحك بأحسن الأخلاق ، وكلما ازداد الإنسان من هذا العلم ازداد إيماناً وازداد تعبدًا، وازداد أعمالًا : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد/ ١٩-٢٢] .

وإذا علمت ذلك أيها المسلم أعانك الله على العمل به والدعوة إليه ، وسُررت به وحققت أمر الله فيك في طاعته في جميع الأوقات والأحوال ، كما قال سبحانه : ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣] .

وبهذا الإيمان وبهذه التقوى تنال محبة الله ورضوانه ، فيأخذك منك إليه ، ويُشغلك بأحسن الأعمال لديه ، الله ﷻ كلما تقربت منه اصطفاك واجتباك وأشغلك بطاعته وعبادته ، وبهذا تنال محبة الله ورضوانه ، فيأخذك منك إليه ، ويُشغلك بأحسن الأعمال لديه ، وما أحسن الأعمال ؟ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣] .

وأعلم رحمك الله أنك إن كنت تعلم أنك عبد مملوك لملكٍ عظيم قادر سميع بصير رحيمٍ كريم ، ثم تبارزه بالمعاصي ؛ فاعلم أنك عبد سوء، يأكل من نِعم سيده،

ويسكن في مُلكه، ويعصي أمره، ويطيع عدوه ، ومن عميت بصائرهم لن تنفعهم أبصارهم : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج/ ٤٦] .

وسلِّم الأمر كله لله ، ولا تعترض على شيء من أقداره وأحكامه ، فهو الحكيم العليم بكل شيء : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٢] .

واعلم بأن الإيمان الكامل والتسليم الكامل يثمر اليقين الكامل ، والثواب الكامل وتلك حقيقة التوحيد الكامل ، وسلِّم تسلم وتسعد : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥] .

فالزم رحمك الله ذلك ما استطعت ، واطلبه بدوام الاتصال بمن يملكه ويهبه : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة/ ٤] .

وكمال الإيمان واليقين يحصل للعبد بدوام الذكر والتذكر وموالاة الفكر والتفكر ، ولزوم النظر والاعتبار في المُلك والملكوت ؛ وذلك طريق الإيمان، وقوام التوحيد : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦-٨] .

واعلم أيها الإنسان أن الله خلقك في هذه الدنيا مختارًا ، فإما أن تعيش عبدًا لمولاك ، وإما أن تعيش عبدًا لهواك ، وأنت مملوك لربك من جميع الجهات .

فإن عشت في الدنيا عبدًا لمولاك الملك القدوس ، جعلك يوم القيامة في مُلك عظيم عند ربك العظيم : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤- ٥٥] .

وإن عشت عبدًا لهواك خسرت دنياك وأخراك : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

﴿وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٦].

فألزم نفسك أيها العبد على سهر الليل مع مولاك الكريم، في حنادس الظلمات، تجد الأنوار الغائبات، ولذة الأنس بمناجاة مولاك، وقف بين يديه حامدًا وشاكرًا وذاكرًا ومنيبًا ومستغفرًا، واصدق في ذلك ترى العجب، فأنت تخلو بملك الملوك الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

واعبد ربك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وذلك دأب الأنبياء والصالحين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ [الذاريات/ ١٥-١٨].

واعلم أنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تجد طعم مناجاة مولاك؛ إلا بعد معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة إنعامه وإحسانه، ولا يصرفك عن خدمة جسدك إلا عِلمك بسرعة فنائه، ولن يصرفك عن التشمير للدنيا إلا معرفتك بسرعة زوالها، ولا تستحلي الصبر في ذات الله إلا بعد معرفتك بربك العظيم، وما يجب له وما سيكرمك به: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ [طه/ ١٣٠-١٣٢].

واعلم وفقك الله لحُسن العمل أن الملك جل جلاله ملَّكك جوارحك، لتستعملها في طاعته، فأدِّ الأمانة، ولا تستعملها في معصيته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ [المائدة/ ٣٥].

ورزقك الرزاق من رزقه، لتستعين به على طاعته وعبادته، فكل واشكر، وأحسن إلى الخلق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة/ ١٧٢].

واعمل رحمك الله لمُلك دائم لا يفنى، في جوار مَلك كريمٍ غفور رحيم .

واعلم رحمك الله أن الملك الحق جل جلاله يتصرف في ملكه بالعدل والإحسان ، بكل عطاء وحرمان ، ونصر وخذلان ، وفي كل رفع وخفض ، فإذا ولاك الملك الحق ولايةً ، فارفع من يستحق الرفع ، واخفض من يستحق الخفض ، وأكرم من يستحق الإكرام ، وأهن من يستحق الإهانة ، واقهر من يستحق القهر ، واجبر من يحتاج إلى الجبر ، وقم بإغاثة المكروب ، ونصر المظلوم ، وإطعام الجائع ، وكسوة العريان ، وإغاثة المحتاج : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[النساء/ ٥٨] .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النحل/ ٩٠].

فمن فعل تلك المكارم ابتغاء وجه الله ، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وكان من أهل البر والإحسان ، ونال من ربه المغفرة والجنة والرضوان : ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران/ ١٣٣- ١٣٤] .

ينفقون العلم ، ينفقون الحلم ، ينفقون المال ، ينفقون مما آتاهم الله من خيرات، ويكظمون الغيظ عمن أساء إليهم، بل يعفون عن زلاتهم، ويحسنون إليهم بما يسرهم .

واعلم أيها الإنسان أن الخلاق العليم خلقك من تراب، ثم من ماء مهين ، وأنت عورة ، خرجت من عورة ، ودخلت في عورة ، ثم خرجت من عورة ، وأنت عورة بدون الدين .

وبعد الحياة سوف تموت ، وبعد الموت سوف تُبعث وتحاسب ؛ فاذكر البداية والنهاية، لتعرف من أنت ؟، ومن تعبد ؟، وماذا ينتظرك بعد الموت : ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[الغاشية/ ٢٥- ٢٦] .

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء/ ١٣ – ١٤].

واشكر الملك الكريم الذي بدأك بالإحسان إليك حيًّا ، وأمدَّك بنعمه الظاهرة والباطنة ، وهداك للإسلام ، ثم يعيدك إليه، ليثيبك يوم القيامة بما لا تُحسن أن تصفه ؛ جزاء إيمانك به، وعبادتك له : ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾﴾[طه/ ١٥-١٦] .

واعلم أن كل آتٍ قريب ، وكل حي سيموت ، وأن من جمع الجواهر الثمينة ملك بها السلع النفيسة ، وأن من دخل أبواب العبودية في الدنيا، فُتحت له أبواب القصور الملكية في الآخرة : ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾﴾[الإنسان/ ٢٠-٢٢] .

وكلما تحرك المسلم بأنواع العبادات والطاعات والبركات والحسنات منه لنفسه ولغيره، فالإنسان يأكل الأطعمة ، وبهضمها فتسير في الجسم، فتعطي كل عضو طاقته ، وكذا المسلم إذا تكلم عن الله، وعن عظمة الله، وعن إحسانه، وعن أسمائه وصفاته ، تأثر قلبه، وأثَّر بمن حوله .

فالمسلم إذا تكلم وحده عن العظيم عظم الله في قلبه ، وعظم في عين الله .

- **وإذا تكلم عن ربه أمام خلقه حصلت أربع فوائد :**

يعظم الله في نفسه هو.. ويعظم هو في عين الله.. ويعظم الله في أعين الناس.. ويعظم الناس في عين الله ﷻ .

فهذا التعظيم ، وهذا الذكر ، وهذا الثناء ، وهذا التمجيد ، وهذا الحمد لربنا ﷻ ، الله ﷻ يحبه من عباده ، فالله ﷻ أثنى على نفسه ، وبيَّن لنا في كتابه أسماءه وصفاته وأفعاله ؛ لنمجده بها ، ونحمده عليها ، ونذكره بها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١ – ٤٣].

التعبد بالأوامر سهل ، لكن معرفة القلب للرب حتى يوجل القلب من الرب ، لا بد له

من معرفة الملك ، القهار ، العزيز ، الرزاق ، الحي ، القيوم ، العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، المحيط بكل شيء ، ملك السماوات والأرض لا بد من معرفته ، إذا تأثر القلب بهذا عظَّم العظيم ، ثم عظم أوامره ، ثم عظم كتابه ، ثم نال ثوابه العظيم ، فمن عرف العظيم امتثل أمره العظيم ، ونال ثوابه العظيم يوم القيامة :

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩] .

فالله تبارك وتعالى هو الذي خلق هذا الكون العظيم ، وهو الملك الذي له الكون العظيم ، سماواته وأرضه ، وشمسه وقمره ، وليله ونهاره : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فسبحان من خلق هذا الكون العظيم، وما فيه من مخلوقات عظيمة: من خلق ، ومن أمم ، ومن سنن ، ومن جماد ونبات ، ومن إنسان وحيوان .

والله وحده هو الذي خلق هذا الليل الطامي السادل ، وهو وحده الذي خلق هذا الفجر الأبيض ، وهو سبحانه خالق هذا الصبح الذي تنفس ، وهو سبحانه خالق هذه الظلال للأشجار والجبال وغيرها ، وهو سبحانه خالق هذا النبات النامي ، وهو سبحانه خالق هذا الطير الرائح الغادي ، وهو سبحانه خالق هذه الخلائق الذاهبة الآيبة من النجوم والحيوانات والذرات وغيرها ، وهو سبحانه خالق جميع المخلوقات التي تدب على وجه الأرض، وتسير في الفضاء، وتسبح في البحار:

﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١ ﴾ [لقمان/ ١١] .

هذه المخلوقات من هداها إلى دورها ؟ ومن ساق إليها طعامها ؟ ومن أمسكها في الجو ؟ ومن دبرها ؟ هو الله وحده جل جلاله ، هو خالق البشرية كلها من نفس واحدة ، وخالق هذه الأرحام التي تدفع ، وهذه المواليد التي تولد ، والقبور التي تبلع ، هو سبحانه خالق هذه الشمس الجارية ، والقمر الساري ، والكواكب المبثوثة في السماء، والرمال المنثورة على الأرض : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [الزمر/ ٦٢] .

فمَن هذا خلقه ، ومن هذه قدرته ، ومن هذه عظمته ، ومن هذا مُلكه ؛ أيحتاج إلى البشر أو إلى عبادة البشر ؟، أيليق بالعاقل أن يُشرك به، ويعبد معه غيره ؟ ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩١- ١٩٢] .

والعبادة هي الحب ، فمن أحب شيئًا وتعلق به من دون الله فقد عبده .

الله ﷻ خلق هذه المخلوقات العظيمة ودبرها ، هو الذي يليق أن يكون ربًّا يدين له الناس بالعبودية ولا يشركون به شيئًا من خلقه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر/ ١٣ – ١٤].

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فلا إله إلا الله ، كم مَنَّ علينا بنعم لا تُعد ولا تحصى ، وذكر في كتابه العظيم من المعارف التي لا تُعد ولا تحصى، من أسمائه الحُسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى، ما يغذي القلوب بالإيمان والتقوى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل/ ٨٩] .

القرآن الكريم يعمل مباشرة إلى إيقاظ القلوب والعقول ، لتتدبر ما في هذا الكون من العجائب والآيات، والبصائر والعبر ، هذه المخلوقات العظيمة الواسعة من الصور والأشكال هي في مُلك الملك جل جلاله ، هذه المخلوقات العظيمة الواسعة من الصور والأشكال ، والحركات والأحوال ، والمشي والرواح ، والبقاء والفناء ، والحياة والموت ، والذبول والنماء ، والشروق والغروب ، والحركة الدائبة في هذا الكون الكبير التي لا تسكن ولا تتوقف لحظة من ليل أو نهار ؛ إن هذا كله ليحرك كل خالجة في كيان الإنسان بالتأمل والتدبر والتفكر .

فمتى يستيقظ القلب، ويتفتح لمشاهدة الآيات العظام المبثوثة في ظواهر الكون وخفاياه ؟ ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا

يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ [يونس/ ١٠١] .
﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ ﴾ [عبس/ ٢٤-٣١] .

متى يستيقظ القلب ليعرف قدرة الرب ، وعظمة ملكه ، ليؤدي له واجب العبودية؟: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٤].

فلا إله إلا الله كم يخلق لله في كل ثانية من المخلوقات التي لا يُحصيها إلا هو ، ومن النعم التي لا يُحصيها إلا هو ، فليقف الإنسان ويراقب ، ليقف يراقب وينظر ما خلق الله في السماوات والأرض ، ويستعرض هذه المخلوقات العظيمة التي لا تُحصى من الأنواع والأجناس، والهيئات والأحوال، والأوضاع والأشكال ، لو وقف لحظة واحدة لامتلأ قلبه بالإيمان ، وفاض بما يغنيه في حياته كلها ، ويُشغله بالتدبر والتفكر، والتأثر وحلاوة العبادة ما عاش : ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق/ ٦ – ١١].

ولا يدرك العبد هذا إلا بالتقوى ؛ التقوى التي تجعل القلوب سريعة التأثر ، سريعة الاستجابة للخالق ، سريعة الاستجابة لخالق هذه المخلوقات ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٠ – ١٩١] .

الله ﷻ عليمٌ بما خلق ، يخاطب قلب الإنسان وفطرته بآيات الله الكونية المبثوثة حول الإنسان في هذا الكون ، والتي يعلم سبحانه أن بينها وبين فطرة الإنسان لغة مفهومة ،

لغة عن طريق المرئيات، وعن طريق المسموعات : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات/ ٢٠ – ٢٣].

فعبادة التفكر والتدبر تثمر كمال التوحيد والإيمان والتقوى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٤٧ – ٥١] .

فسبحان الله ، هذا النظر وهذا التفكر كم يجعل القلب يتغير ويتأثر، ويوجل من عظمة ربه جل جلاله ؟ : ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يونس/ ٦].

فالله ﷻ أعطانا هذه الطاقات ، وأعطانا الوقت ، وأنزل علينا هذا القرآن ، وأمرنا بالتفكر والنظر والتدبر ؛ حتى يأتي الإيمان ، ويأتي ذِكر الله ﷻ ، وإذا ذكرنا الله ﷻ أحبنا وأحببناه ، وعظمناه وكبرناه وامتثلنا أمره، ونلنا ثوابه العظيم جل جلاله : ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٢].

فالله ﷻ كريم ، الله ﷻ عظيم وخلاق، وملك بيده ملكوت كل شيء ، ملأ الكون بآياته الكونية ، وملأ كتابه بالآيات الشرعية، التي تكشف للإنسان دنياه وآخرته ، وأسرار هذا الكون وغيوبه، وما ينفع الإنسان وما يضره ، وما يُصلحه وما يفسده ، فهل من متفكر ؟ وهل من متدبر ؟ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء/ ٨٢] .

- **القرآن الكريم مُتعبد بتلاوته ، ومُتعبد بفهمه ، ومُتعبد بجهده :**

متعبد بتلاوته : فـ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢] .

الفاتحة مائة وخمسون حرفًا في قراءتها ألف وخمسمائة حسنة مثلًا .

ومتعبد بفهمه : نحن نفهم لماذا ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢] .

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ). هذه جملة اسمية ، فيها التوحيد ، وفيها الإخلاص، وفيها الشكر ، وفيها العبادة .

هو مالك الحمد كله ؛ لأن كل النعم منه ، هو الذي أنعم علينا، وأنعم على غيرنا ، وأعطانا خيرًا وكف عنا الشر ، هو ملك كريم نعمه علينا في بطن الأم، وفي بطن الدنيا، وفي القبر وفي الجنة : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣] .

وإذا عرفت ذلك امتثلت أوامره، واجتنبت نواهيه، وسارعت إلى كل ما يحبه الله ويرضاه .

فالقرآن متعبد بتلاوته ، ومتعبد بفهمه : هذه درجة أعلى من الدرجة التي قبلها ، لأنها تثمر زيادة الإيمان ، ومتعبد بجهده ، بالعمل الصالح من العبادة والدعوة والإحسان .

هذه السورة متعبد بتلاوتها ، آخذ الأجر عليها : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١ - ٤] .

ثم لا بد أن أفهم أن الله واحد أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

هو القوي الذي ليس له شريك في القوة ، الغني الذي ليس له شريك في الغني ، الرحمن الذي ليس له شريك في الرحمة : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾[الإخلاص/ ١] .

ليس كمثله أحد ، هو الواحد الأحد، المحيط بكل أحد ، فأتدبر هذه المعاني .

أولًا أكسب الأجر وآخذ الأجر على كل حرف الحسنة بعشر أمثالها ؛ هذا باب قد انتهى ، نرقى منه إلى باب أعلى منه وهو الفهم والتفكر والتدبر ، لماذا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾[الإخلاص/ ١] ؟ .

ثم ترقى إلى باب أعلى منه، وهو العمل بموجب هذه المعرفة بعبادة الواحد الأحد، والدعوة إليه .

فإذا عرفته لا بد أقول للبشرية كلها ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١ - ٤] .

فهو الواحد الأحد الصمد، الذي صمد لجميع حوائج البشرية ، وصمد إليه كل أحد في حاجته، لأن عنده خزائن السماوات والأرض ، وبيده كل شيء ، بيده العافية

والمرض ، بيده الأمن والخوف ، بيده العطاء والمنع : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص/ ١-٣] .

كان الله ولم يكن شيء قبله ، هو الأول والآخر ، هو الأول فليس قبله احد، وهو الآخر الذي ليس بعده أحد، ثم خلق الخلق : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد/ ٣].

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص/ ٤] .

ليس له شريك في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وملكه.

فلا بد من قراءة القرآن لكسب الأجور ، ثم قراءة القرآن للتدبر والفهم ، ثم قراءة القرآن للعمل والبلاغ : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص/ ٢٩].

صاحب التفسير الكبير يقول : في الفاتحة أكثر من عشرة آلاف مسألة ، وبيَّنها للناس .

فلا بد أن نتدبر كتاب ربنا، ونعمل بموجبه : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء/ ٨٢] .

ولو قرأنا الآن أو ذكرنا شيئًا من إعجاز القرآن ، سواءً في الخلق والتدبير والأمر ، أو في الأحكام أو في الوعد أو في الوعيد ؛ لرأينا عجبًا ، لكن ليس هذا مجاله : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء/ ٨٨].

فما أعظم نعم الله على خلقه، هو العظيم الذي خلق كل عظيم، وأعطى كل عظيم .

فالله عظيم لا يعطي إلا العظيم ؛ ولذلك قال النبي ﷺ : «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ**» أخرجه البخاري (١).

اسألوه أعلى شيء ، يحب أنه لو أعطى كل الخلائق جنة الفردوس ، ولو أعطاهم ما نقص ذلك من خزائنه مثقال ذرة .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٢٧٩٠.

كم جنات الأنبياء ؟ وكم جنات النبي ﷺ ؟ وكم جنات كل مسلم كم له من الجنان ؟ أدنى إنسان في الجنة سيأخذ مثل هذه الدنيا عشر مرات كما ورد في الحديث(١) .

فالله ﷻ يريد لنا درجة عالية من الحياة ، أن نعيش مع ملك الملوك ، نتصف بالصفات الحُسنى ، ونتسمى بالأسماء الحُسنى ، ونتخلق بالأخلاق العالية ، ونقول الأقوال الحسنة ، ونفعل الأفعال الجميلة ، ونتشبه بالملائكة في الذكر والسمع والطاعة لأنهم أعرف الخلق بالله : ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠ ﴾[الأنبياء/ ١٩ - ٢٠] .

فالحمد الله ، الله ﷻ اختارنا ، وجعلنا في قبضة اليمين من غير أن نسأله ، فلنشكر هذه النعمة ، ونعبد الله ﷻ ، ونتقرب إليه ، فالآيات الكونية، والآيات الشرعية، منبه عظيم ، ومذكِّر فضيل يوقظ الحواس والجوارح ، ويُنبه العقول والقلوب للإيمان بالله : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ ﴾[الجاثية/ ٦] .

إن آيات الخلق ، وآيات النعم ، وآيات التدبير والتصريف ، وآيات العزة والتمكين ، وآيات البطش والانتقام ؛ من أعظم الأدلة على الخالق العظيم جل جلاله ، فهل من خالق غير الله يعبده الناس ؟ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣ ﴾[فاطر/ ٣] .

وهل يستوي من يخلق ومن لا يخلق ؟ ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝١٩ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ ﴾ [النحل/ ١٧ - ٢٠] .

أيجوز أن يُسوي إنسان بحسه وعقله وتقديره بين من يخلق ذلك الخلق كله، ومن لا يخلق لا كبيرًا ولا صغيرًا بل هو مخلوق : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ ﴾[الجاثية/ ٧ - ٨] .

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٥١١ ، وأخرجه مسلم برقم: ١٨٦ .

نعوذ بالله من الجهل والعناد، ومن سفاهة السفهاء، وإعراض المستكبرين : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ٣٥] .

والله تبارك وتعالى جعل في الماء حياة كل حي ، يحيي بها الأرض بعد موتها، ومن عليها من الإنسان والحيوان والنبات ، وخير ما أنزل الله على عباده الوحي الذي به حياة الروح ، ويليه الماء الذي به حياة الأجسام ، ومن الناس من يقبل وحي الله ، ومنهم من لا يقبله ، ومن الأرض ما يقبل الماء، ومنها ما لا يقبله : ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[الأعراف/ ٥٨] .

ومن ترك الهدى ركب الهوى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص/ ٥٠] .

فالحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تُعد ولا تحصى ، ونسأل الله ﷻ أن يفقهنا في الدين ، سبحان من أنزل الوحي شفاءً للقلوب ، فمن هذا خلقه ، ومن هذه قدرته ، وهذه عظمته ؛ هو الذي يستحق أن يُعبد، ويُشكر فلا يُكفر ، ويطاع فلا يعصى ، ويُذكر فلا يُنسى : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣] .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٠١] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

اللهم يا مالك الملك أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، يا أرحم الراحمين .

اللهم يا من له الخلق كله، وله الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، يسر أمورنا واشرح صدورنا، واختم بالصالحات أعمالنا .

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار، يا من له الملك والملكوت، وله العزة والجبروت .

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك .

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

الباب الثالث

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٨- ٩- اسم الله الواحد .. الأحد.

التعبد لله عز وجل باسمه الله.. الواحد.. الأحد.

١٠- اسم الله الصمد.

التعبد لله عز وجل باسمه الصمد.

١١-١٢- اسم الله الأول.. الآخر.

التعبد لله عز وجل باسمه الاول.. الآخر.

١٣-١٤- اسم الله الظاهر.. الباطن.

التعبد لله عز وجل باسمه الظاهر.. الباطن.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الواحد.. الأحد

اسم الله الواحد.. الأحد

الله ﷻ هو الواحد الأحد الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى في السماوات والأرض .

- **وأسماء الله من حيث معانيها أربعة أقسام :**

القسم الأول : الأسماء الدالة على صفة ذاتية للرب جل جلاله .

والصفة الذاتية : هي كل صفة لا تنفك عن الذات ، ولا تعلق لها بالمشيئة، ومن هذه الأسماء :

الحي ، القيوم ، السميع ، البصير ، الواحد ، الأحد ، العليم ، الخبير ، القوي ، العزيز ، العلي ، الكبير ، وأمثالها .

فهذه الأسماء لا تنفك عن الرب جل جلاله ، هذه صفات ذاتية لازمة لربنا ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

القسم الثاني : الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب ﷻ .

والصفة الفعلية : هي كل صفة تتعلق بالمشيئة ؛ إن شاء الله فعلها ، وإن لم يشأ لم يفعلها، ومن هذه الأسماء :

الخالق ، الرازق ، التواب ، العفو ، الغفور ، الرحيم ، المعطي، الكريم، وأمثالها .

فالخالق جل جلاله يخلق إذا شاء ، ويكرم إذا شاء ، ويرزق من يشاء ، ويتوب على من يشاء ، ويرحم من يشاء ، ويغفر لمن يشاء ، ويعفو عمن يشاء : ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٤﴾ [الفتح/ ١٤] .

القسم الثالث : الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب عما لا يليق بجلاله وعظمته ، ومن هذه الأسماء :

القدوس ، السلام ، السبوح ، وأمثالها، فهو سبحانه السلام من كل نقص وعيب وآفة ، فالقدوس السبوح المنزه عن جميع النقائص والعيوب ، المنزه عن كل ما ينافي

صفات كماله وجلاله وجماله ، المنزه عن الضد والند، والكفء والمثل : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١] .

القسم الرابع : الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة حسنى لربنا ﷻ .

ومن هذه الأسماء : العظيم ، الحميد ، المجيد ، الملك ، الصمد ، وأمثالها .

فالعظيم من له كمال العظمة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والحميد يدل على كثرة حمده، وكثرة الحامدين له، وكثرة ما يُحمد عليه ، والمجيد يدل على عظمة صفاته جل جلاله، وكثرتها وسعتها ، وعلى عظمة ملكه وسلطانه ، وتفرده بالجلال والجمال والكمال ، وهكذا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر/ ١٥] .

- **أما أسماء الله الحسنى من حيث دلالاتها فهي قسمان :**

القسم الأول : الأسماء الدالة على صفة ذاتية لازمة ، وهي كل اسم لا يتعدى أثره فاعله ، ولا يجاوزه إلى المفعول به ، ومن هذه الأسماء – كما مر معنا :

الحي ، والقيوم ، والواحد ، والأحد ، والعلي ، والعظيم ، والكبير ، والوتر ، والأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، وأمثالها .

فما كان من هذه الأسماء الذاتية التي لا تنفك عن الرب ، فإنه يتضمن أمرين :

الأول : ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ .

الثاني : ثبوت الصفة التي تضمنها .

فالواحد مثلًا يتضمن إثبات الواحد اسمًا لله ﷻ ، وإثبات الوحدانية صفة له، والعظيم يتضمن إثبات العظيم اسمًا لله ﷻ ، وإثبات العظمة صفة له ، وهكذا في بقية الأسماء .

القسم الثاني : الأسماء الدالة على صفة فعلية متعدية من الخالق إلى المخلوق ، ومن الفاعل إلى المفعول ، ومن الملك إلى المملوك ومن هذه الأسماء كما مر معنا:

الخالق ، البارئ ، المصور ، العفو ، الغفور ، الكريم ، الرحيم ، التواب ، الرزاق ، السميع ، البصير ، الرب ، الفتاح ، اللطيف ، وأمثالها .

- **وما كان من هذه الأسماء فإنه يتضمن ثلاثة أمور :**

الأمر الأول : ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل ، مثل اسم الرزاق .

الثاني : ثبوت الصفة التي تضمنها ، وهي أنه يرزق عباده .

الثالث : ثبوت حكمها ومقتضاها ، وهو أنه يرزق جميع من خلقه جل جلاله : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود/ ٦] .

- **فما كان من هذه الأسماء الدالة على صفة فعلية يتضمن ثلاثة أمور :**

ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل : كالخالق والرزاق .

وثبوت الصفة التي يتضمنها : وهو أنه يخلق ويرزق .

وثبوت حكمها ومقتضاها ، وهو أن يرزق من يشاء، ويعطي من يشاء .

فالله عز وجل له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلا ، وهو جل جلاله الملك الحق الذي تفرد بالوحدانية ، وهو الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة/ ١٦٣] .

والله عز وجل هو الواحد الأحد، رب كل أحد، وملك كل أحد، وإله كل أحد، وخالق كل أحد، ومصور كل أحد، البر بكل أحد، الكافي كل أحد، العليم بكل أحد، المحيط بكل أحد، المعطي كل أحد، الشافي كل أحد، الوارث كل أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١ – ٤].

وقد ورد اسم الله الواحد في القرآن (٢٢) مرة، أما اسم الله الأحد فقد ورد مرة واحدة في سورة الإخلاص.

والله عز وجل مَنَّ علينا بأن جعلنا عبيدًا له ، ولم يجعلنا عبيدًا لعبيده ، فالإنسان خلقه الله عز وجل فقيراً عاجزاً جاهلاً، وهو مضطر إلى العبودية ، مضطر لأن يَعبد ؛ فإما أن يكون عبدًالله ، وإما أن يكون عبدًا لعبد من مخاليقه ، وإنما النجاة في أن يكون عبدًالله ، والخسارة أن يكون عبدًا لعبد الله من شمس، أو قمر، أو إنسان، أو شجر، أو حجر، أو جن أو غيرها: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر/ ٦٥–٦٦] .

فلا بد أن نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فهذا العلم هو غذاء القلوب ، فإذا عرفنا الملك ، وإذا عرفنا العظيم ، وإذا عرفنا الرزاق ، وإذا عرفنا الحي ، وإذا عرفنا القيوم ، وإذا عرفنا اللطيف والرحيم ؛ عبدناه بموجب هذه الأسماء عبادة معرفة ، عبادة تطمئن لها القلوب ؛ لأنها تعلم أن ربها جل جلاله عظيم، له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلى، وصمد وواحد وأحد ، وهو رحمن رحيم ، فتقبل عليه وتعبده بمقتضى هذه المعرفة بالحب والتنظيم والذل له: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢–٤] .

ولهذا الله ﷻ أمرنا بمعرفته فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩] .

فالتوحيد أعظم شيء ، وأصفى شيء ، وأدق شيء ، وهو مقصود الله ﷻ من خلقه، أن يوحدوه جل جلاله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦–٥٨] .

الله ﷻ هو الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولا بد أن يحضر القلب ، وأن يحضر السمع ، وأن يحضر البصر، لتحصل المعرفة حقاً، والعبادة حقاً: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق/ ٣٧] .

في دروسنا هذه لا بد من حضور القلوب ؛ حضور القلوب بنية أن تتعلم، وأن تعمل وأن تُعلم، وأن تعبد الله بموجب هذه المعرفة ، فعبادة بدون معرفة ليست عبادة ، لا بد من العلم أولًا ، ثم العمل، ثم كذلك التعليم والدعوة ونشر هذا الخير في العالم ، لا بد من التعريف بالإله الواحد الأحد، ولا بد من التعريف بأوامر الإله ، ولا بد من التعريف بجزاء الإله ؛ هذه المطالب عظيمة يختص الله بها من يشاء من عباده: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو

﴿ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤] .
والله ﷻ هو الواحد الأحد جل جلاله ، هو الذي بين لنا أنه الواحد الأحد فقال :
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة/ ١٦٣] .
وقال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤] .
فلا بد أن نعرف الواحد الأحد جل جلاله ، حتى لا نعبد من دونه أحد.
هو الواحد الأحد الذي لا قسيم له ، هو الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وملكه وسلطانه ، فلا إله غيره يُعبد ، ولا رب سواه يعطي:
﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٤﴾ [الزمر/ ٤] .
والواحد والقهار متلازمان ، فالواحد لابد أن يكون قهاراً، والقهار لابد أن يكون واحداً.
هو الرب الواحد الأحد الذي لا شريك له، ولا مثيل له، ولا شبيه له ولا نظير له جل جلاله، وتقدست أسماؤه .
هو القوي الذي ليس كمثله أحد في القوة ، هو السميع الذي ليس كمثله أحد في السمع، هو الرحمن الذي ليس كمثله أحد في الرحمة ، هو الرزاق الذي لم يكن له كفوًا أحد في الرزق ، فهو جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١] .
هو الواحد الأحد، القادر على كل احد، الرقيب على كل أحد، المهيمن على كل أحد، الجبار على كل أحد، المستعان على كل أحد، الحليم على كل أحد، الوكيل على كل أحد، القيوم على كل أحد، القائم على كل أحد، الملك على كل أحد:
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].
والمؤمن حقًّا من يرى أن الله وحده بيده الخير ، وبيده كل شيء ، وغيره ليس بيده شيء ، وهذا هو التوحيد المطلوب من البشر ؛ توحيد الرب بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيد الله بأفعال العباد من صلاة ودعاء وذكر وغيره .
هذا هو المطلوب من العبد ، أن يعرف ربه، وأن يوحده بعبادته : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ

﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

ومن خرج عن هذا التوحيد وقع بلا شك في آلام وهموم لا تطاق ، وفتح عليه أبواب شقاء لا نهاية لها: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

والتوحيد الذي فيه الفوز والنجاة ألا ترى مع الله أحدًا ، فتعبده وحده، ولا تلتفت إلى أحد سواه ، وأن ترى كل شيء بأقداره وأحكامه ينتهي إلى خير .

لماذا ؟ لأنه هو مالك الملك ، وهو الذي له الخلق والأمر : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

هو الله الواحد الأحد الذي ليس له شريك ، واحد في ذاته لا شريك له ، واحد في أسمائه لا شريك له ، واحد في صفاته لا شريك له ، واحد في أفعاله لا شريك له ، واحد في ربوبيته لا شريك له ، واحد في ألوهيته لا شريك له : ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة/ ١٦٣] .

والله يذكرنا جل جلاله بأنه إله واحد ، ويذكرنا دائمًابصفة الرحمة : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ [الفاتحة/ ١-٣] .

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢] .

﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة/ ١٦٣] .

فرحمته وسعت كل شيء ، ومغفرته وسعت كل شيء ، وعلمه وسع كل شيء، ورزقه وسع كل شيء، وملكه وسع كل شيء: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر/ ٦٥] .

والتوحيد أن تؤمن بالله ربًّا وإلهًا واحدًا لا شريك له ، وتتيقن أن الله وحده بيده كل شيء ، وغيره ليس بيده شيء ، فتعبده وحده لا شريك له بموجب هذه المعرفة .

ولا ريب أن نهاية العلم التوحيد ، ونهاية العمل التقوى ، والتوحيد أفضل ما تعلمه العبيد ، وأوجب شيء على المخاليق، والتوحيد مأخوذ من اسم الله الواحد .

- **والتوحيد ينقسم إلى قسمين :**

الأول : توحيد الربوبية ، وهو توحيد الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، بأن تؤمن

أن الله واحد لا شريك له ولا مثيل له في أسمائه وصفاته وأفعاله ، واحد لا شريك له في ملكه وخلقه وتدبيره وأمره ؛ هذا هو توحيد الربوبية؛ توحيد الرب بملكه وحكمه، توحيد الرب بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، كما قال الله ﷻ : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

له الخلق والأمر كله في العالم العلوي والعالم السفلي ، هو خلق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل كما قال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر/ ٦٢] .

خلق الشمس وأوقدها بالنور بلا خشب ولا حطب ، صب فيها من نوره ، وهو الذي يحركها ، وهو الذي يجريها في الكون ويسيرها، وهو الذي خلق القمر وجعله يسير مع الشمس ، وهو الذي نثر النجوم في السماء، هو خالق كل شيء جل جلاله .

فهذا توحيد الربوبية ، أن نوحد الله ﷻ بأفعاله ، كل رزق من رزقه، وكل خلق من خلقه جل جلاله ، وكل حركة في الكون بأمره وإذنه وعلمه ، فهو جل جلاله واحد أحد في خلق هذا الكون، وفي تدبير ما في هذا الكون .

هذا هو توحيد الربوبية ، أن نوحد الرب بذاته فهو واحد لا شريك له ، ونوحده بأسمائه وصفاته وأفعاله فهو القوي ، وليس كمثله أحد في القوة ، وكل قوة في العالم من قوته ، وخزائن القوة عنده ، أعطى جبريل قوة، وأعطى البعوضة، قوة وأعطى القمر قوة، وأعطى الإنسان قوة ، فكل قوة في العالم ترجع إلى واحد ، جميع القوات الموجودة في العالم تعود إلى القوي وحده لا شريك له ، وكل رزق في العالم يعود إلى الرزاق جل جلاله ، وكل خلق في العالم يعود إلى الخالق الواحد لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فهذا توحيد الربوبية ، توحيد الرب بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله كالخلق والرزق، والإحياء والإماتة، فالله ﷻ يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات ، ويدبر الأمر،

ويقلب الأحوال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر/ ٨٦] .

هو وحده الذي خلق الإنسان، وخلق السماء ، هو الذي خلق الأرض، وخلق كل ما عليها من هذا النبات ، في كل يوم يولد لهذه الأرض ملايين المواليد من النباتات في بقعة من الأرض ، فكيف بالأرض كلها ؟ وكم يولد في البحار ، ولولا أن كبار الأسماك تأكل صغارها لتحول البحر إلى قطعة لحم من السمك ، ولولا أن الله يحيي ويميت هذه النباتات، لتحولت الأرض إلى قطعة خضراء لا طرق فيها ، ولكنه سبحانه يظهر قدرته بأنه يحيي ويميت .

هو الواحد الأحد ، الذي بيده أمر كل أحد ، المحيط بكل أحد ، ولا يحيط به أحد ، هو أحاط بكل شيء علمًا وخلقًا وقدرة جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

فهذا التوحيد يملأ القلب بالإيمان ، ويثمر الخوف والخشية لله ﷻ ، ويولد الحب لله ﷻ ، هو الذي يولد التعلق بهذا الرب الكبير، الغني، العلي، الأعلى، الملك الرحيم، التواب، اللطيف، الرزاق، الكريم ، هذه المعرفة هي التي تولد قوة العبودية في القلب ، وتجعل القلب يأمر الجوارح بطاعة الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

الثاني: توحيد الألوهية:

ثم ينشأ عن توحيد الربوبية توحيد آخر، هو توحيد الألوهية ، وهو توحيد الله بأفعال العباد من ذكر ودعاء وصلاة، وتوحيد الربوبية أفعال الرب في خلقه ، أفعال الرب في كونه ، هو وحده الخالق الرازق، الذي يحيي ويميت، ويقلب الليل والنهار، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع .

توحيد الربوبية توحيد الله بأفعاله ، وتوحيد الألوهية هي الفعل الصادر من العبد لربه بموجب تلك المعرفة ، فإذا عرف القلب أن الله هو الخالق الرازق ، وأنه ملك ، وأنه الحي القيوم الذي عنده خزائن كل شيء، وبيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء ؛ توجه إلى ربه بالعبادة ، وكيف يعبد الله ؟ لا بد من كتاب، ولا بد من رسول يشرح هذا الكتاب، ويبين للناس كيف يعبدون الله .

فهذا توحيد الألوهية هو توحيد الله بأفعال العباد ، وهو أن تؤمن أن الله وحده هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وتعبده وحده بما شرع ، ولا تعبد معه أحدًا غيره : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦] .

ومعنى (يعبدونِ) يوحدوني بالعبادة .

فالواحد الأحد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فما دام خالقًا ، وما دام رازقًا ، وما دام مالكًا ، وما دام وليًّا ، وما دام قويًّا ، وما دام قادرًا ، وما دام كريمًا ؛ فلا بد أن نعبده، لأن النفس تميل إلى من له هذه الصفات ، وكيف أعبده ؟ أعبده بالكيفية التي عبده بها رسوله ﷺ .

فهذا توحيد الألوهية ، هو توجيه العمل من الإنسان إلى ربه وحده لا شريك له .

توحيد الربوبية هو فعل الرب في هذا الكون ، فنوحد الله بأفعاله في ملكه، ونوحده بأسمائه وصفاته .

وتوحيد الألوهية هو توحيد الله بأفعال العباد من صلاة وصيام، وزكاة وحج، وذكر ودعاء، وتوحيد الله بالحب والتعظيم، والخوف والرجاء، وغير ذلك من العبادات : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨] .

والتوحيد لا يكون إلا بالجمع بين هذا وهذا ، لماذا ؟ لأن الدين علم وعمل ، ورؤية وعبادة ، وعقيدة وسلوك، فإذا عرفت الرب عبدته، وما عبدته إلا لأني عرفته .

ولا شك أن باب الطمأنينة هو التوحيد ، وأكبر مصادر الشقاء هو الشرك : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨] .

ومتى اطمأنت النفس بهذا الدين، وبهذا التوحيد ، الله ﷻ يعطيها الأمن والهداية في الدنيا : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

ويوم القيامة يقال لها : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر/ ٢٧-٣٠] .

ومن رأى أمره بيد ربه، الملك الرحيم اطمأن ، ومن رأى أمره بيد غيره من المخاليق

تعذب وشقي : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٣] .
من أحب غير الله عُذب به ، وهذا من رحمة الله أن يُعذب به . لماذا ؟، ليعود إلى ربه الذي إذا أقبل عليه رحمه ، وإذا استغفره غفره له ، وإذا استرحمه رحمه ، وإذا سأله أعطاه : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم/ ٤١] .
فهذا من رحمة الله أن الإنسان يتعذب بما أحب من دون الله ، لماذا ؟ ليعود إلى الله ﷻ ، ويحب الذي يستحق المحبة الكاملة، والتعظيم الكامل، والذل الكامل .
فالحمد لله أن جعلنا مؤمنين موحدين: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٤٣] .
فالله ﷻ هو الواحد الأحد الذي كمل في عظمته وسؤدده ، فلا شريك له ، ولا مثيل ، هو الواحد الأحد الذي يكفيك من كل أحد ، والكل لا يكفيك من الواحد .
هو الواحد الأحد الذي يحتاجه كل أحد ، الواحد الأحد الذي لا يحتاج إلى أحد : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٣] .
لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتكون مذموماً لا حامد لك، مخذولاً لا ناصر لك : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء/ ٢٢].
فلا تجعل مع الله إلهًآخر ، تطيع الله مرة، وتطيع المخلوق مرة ، فالله واحد أحد لا ثاني له، لا شريك له، لا مثيل له ، هو الغني وحده عن كل ما سواه : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النحل/ ٥١- ٥٢] .
هو الواحد الأحد الذي له السماوات والأرض كونًا ، وله الدين شرعًا، ومنه النعم فضلاً : ﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٢- ٥٣] .
ملايين النعم على العبد الواحد ، فكيف بالعبيد كلهم ؟ فكيف بالبشرية كلها ؟ فالله ﷻ كل نعمة منه جل جلاله : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل/ ١٨] .
نعمة واحدة لا تحصوها ، فكيف بالنعم ؟ فكيف بالنعم على كل مُنعَم عليه ؟ .

فيجب على الإنسان أن يتعرف على ربه الواحد الأحد ، ويعبد الواحد الأحد الذي بيده جميع الأمور وحده لا شريك له : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[هود/ ١٢٣] .

فما دام واحدًا أحدًا، وله الخلق والأمر وحده ، فعليَّ أن أتوجه إليه بالعبادة وحده لا شريك له ، ودلائل وحدانية الرب جل جلاله شائعة في مخلوقاته في السماوات والأرض ، وشواهدها ظاهرة ، ورسومها بينة ناطقة : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[ق/ ٥-٨] .

فلابد أن نعرف دلائل وحدانية الله ﷻ ، ودلائل وحدانية الله ﷻ مبثوثة في الكون ؛ ظاهرة في الآيات الكونية، وظاهرة في الآيات الشرعية ، ولا بد من التعرف على دلائل التوحيد ، فلن يعبد الله حقاً إلا من عرفه حقاً .

فدلائل التوحيد أظهرها الله في الكون، وأظهرها في كتابه، رحمة بعباده ؛ لأن التوحيد أحب شيء إليه ، وأن تتعرف على ربك هذا أحب شيء إليه ، وأن تعبده جل جلاله بموجب هذه المعرفة، فهذه هي المعرفة التي يجب على العبد أن يتعلمها، ويعبد الله ﷻ بموجب هذه المعرفة : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩] .

لا بد أن نعرف دلائل الوحدانية، ودلائل التوحيد، حتى نعرف ربنا ، فكل ذرة في الكون، وكل سورة في القرآن ؛ بل كل آية في القرآن، كلها دالة على وحدانية الله ، وشاهدة بعظمته وجلاله لا إله إلا هو ، مبينة كمال أسمائه وصفاته ، ناطقة بعظيم كرمه وإحسانه لا إله إلا هو ، مقررة كمال رحمته بعباده ، وشاهدة بعظمة ملكه وسلطانه وحُسن أحكامه وأوامره، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد .

جميع الآيات الكونية في السماوات والأرض ، كلها من دلائل التوحيد :

العرش والكرسي، والسماوات والأرض ، هذه كلها وما فيها من المخلوقات الكثيرة، والآيات العظيمة، والخلق والأمر، والتدبير والتصريف ؛ كل ذلك شاهد لله بالوحدانية والأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ

ﭐلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .
فهذه المعرفة من أعظم العبادات ، معرفة الوحدانية من أعظم العبادات ، إذا فُتحت للعبد هذه المعرفة انفتحت له أبواب الطاعات، وأبواب العبادات، وأبواب الحب، وأبواب الأخلاق، وأبواب الأقوال الحسنة، وأبواب الأعمال الصالحة .
هذا المفتاح هو أصل المفاتيح كلها، فإذا عرفت الواحد الأحد أغناك عن كل أحد ، وأطعت الواحد الأحد ، وأعرضت عن كل ما سوى الواحد الأحد .
فكل هذه المخلوقات دالة على عظمة الله، وكبريائه، ووحدانيته، وجلاله، وجبروته وكمال، علمه وقدرته، وعظمة ملكه وسلطانه ، وكذلك دالة على كمال رحمته، وسعة علمه، وعظيم كرمه .
فهذا الملك والملكوت العظيم كله مملوء بالدلائل على وحدانية الله ، كل ذرة منه، فكيف بالسماوات ؟، كيف بالعرش ؟، كيف بالكرسي ؟، كيف بهذه الجبال العظيمة ؟ كيف بهذه السحب والبحار المحمولة بين السماء والأرض ؟، كيف بهذه البحار العميقة ؟ كيف بهذه الكائنات وهذه الدواب التي تدب على وجه الأرض ؟، كل ذرة من هذه الكائنات دالة على وحدانية الله ، فكيف بمجموع الذرات ؟ وكيف بمجموع الكائنات، ألا يدل الملك على الملك؟، والخلق على الخالق ؟ والصور على المصور؟، والرحمة على الرحمان؟، والرزق على الرزاق؟.
ودلائل التوحيد ظاهرة في كل شيء ، بل هي أبين من كل شيء ، فكل ذرة في الكون، وكل آية في القرآن، وكل تدبير وتصريف ؛ كل ذلك شاهد للعلي الكبير بالوحدانية والأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢ - ١٠٣] .
هو خالق قبل أن يخلقنا ، ومحمود قبل أن نحمده ، وكبير قبل أن نكبره ، ولكننا نُسمع قلوبنا، ونذكرها بالعظيم الذي أقرت عنده بالفطرة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾[الأعراف/ ١٧٢] .
فنحن لا نُذكر هذه القلوب بالرب جل جلاله، وبأسمائه وصفاته وأفعاله، حتى يأتي التوحيد في القلوب ، فنوحد الله في أقوالنا وأعمالنا ، ونوحده بأسمائه وصفاته وأفعاله .

ولا شك أن دلائل التوحيد ظاهرة تراها الأبصار والبصائر والعقول تراها مبسوطة في الآيات الكونية، والآيات القرآنية، وفي كل شيء .

ولما كانت دلائل وحدانية الله لا نهاية لها، ويستحيل على الأبصار والعقول الإحاطة بها ، فحسبنا هنا أن نجمع أصولها، ونشير إلى أمهاتها من الآيات الكونية، والآيات الشرعية، من الوحي المنزل الذي فيه تبيان كل شيء .

وهذا بيان لأصول دلائل التوحيد من كتاب الواحد الأحد جل جلاله .

- **أصول دلائل التوحيد سبعة :**

الأول: دلائل الخلق : فالله خالق الكائنات كلها .

الثاني: دلائل التدبير : فالله وحده متولي تدبير المخلوقات بعد خلقها .

الثالث: دلائل الجلال : الدلائل التي تدل على جلال الله وعظمته وقوته ، فالعظيم لا يخلق إلا العظيم ، خلق أعظم شيء وهو العرش ، وخلق أصغر شيء وهو الذرة .

الرابع: دلائل الجمال : هذا الرزق الموجود في كل مكان ، وهذا الهواء اللطيف ، وهذا النور الجميل ، وهذه الأرض الممهدة ، وهذه السحب الممطرة ، وهذا الماء العذب ، وهذه الشمس المضيئة ، وهذا القمر المنير ، وهذه الرحمة، وهذا اللطف، وهذا التكريم، هذه كلها دلائل جمال للواحد الأحد .

الخامس: دلائل الإنعام : الله ﷻ أنعم علينا بالأقوات لنا ولأنعامنا ، وهذه النعم مبسوطة في كل مكان من نباتات وأزهار، وثمار وحبوب ومياه، وفوق ذلك أنعم علينا بالدين الحق .

السادس: دلائل النظر والتفكر : لما ننظر ونتفكر نعلم أن الله واحد أحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته ، فيجب أن نوحده بالعبادة ، فلا نسأل إلا إياه، ولا نتوكل إلا عليه، ولا نرجو إلا إياه، ولا نخاف إلا منه .

السابع: دلائل القرآن والشرع : دلائل القرآن الذي أنزله الله تبياناً لكل شيء ، والشرائع كلها تدل على أنها من واحد أحد ، أحكامه كلها في منتهى الحكمة والرحمة، والعدل والإحسان.

ولأهمية هذه الدلائل، وتأثر القلوب بمعرفتها، فصلها الله في القرآن، رحمة من الله بعباده، ليعرفوه، ويوحدوه، ويعبدوه، ويكبروه، ويحبوه، ويطيعوه.

- **ونحن نذكر هذه الدلائل العظيمة على وجه الإجمال:**

القسم الأول: دلائل الخلق والإيجاد :

من أعظم دلائل التوحيد دلائل الخلق والإيجاد ؛ كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

وقال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢] .

فلا إله إلا الله الذي خلق سبع سماوات، ومن الأرض مثلهن ، وملأهن بالمخلوقات العظيمة هذه وهذه ، يتنزل الأمر بين السماء والأرض ، وبين كل سماء وسماء ، وبين كل أرض وأرض .

أوامر التحريك والتسكين، والتصريف والتدبير، والخلق والإيجاد، والأوامر الشرعية .

لماذا؟: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢] .

وإذا عرفتم أن الله على كل شيء قدير، وأنه قد أحاط بكل شيء علمًا ؛ أحببتموه وعظمتموه ، ثم عبدتموه بموجب تلك المحبة، وبموجب تلك المعرفة، على طريقة رسوله ﷺ في نيته وأقواله وأعماله وأخلاقه .

فهذه دلائل الخلق تدل على وحدانية الله ، وتملأ القلب بالإيمان .

فاعلم أن ربك هو الخلاق العليم الذي خلق كل شيء .

خلق العرش والكرسي، والسماوات وما فيها من الملائكة، وخلق ما بين السماء والأرض من الشمس، والقمر، والنجوم ، ونثرها في السماء ، وأعطى كل كوكب أمر الإيجاد، وأمر البقاء، وأمر التحريك والتسكين، والنفع والضر ، وسير الشمس بهذا النور ، وسير القمر ، وخلق الأرض ودحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، وخلق على ظهرها مليارات المخلوقات، وملأ هذا الجو بمليارات الذرات التي كل ذرة منها تحتاج إلى ثلاثة أوامر :

أمر الإيجاد ، وأمر البقاء ، وأمر النفع والضر .

والله ﷻ من دلائل توحيده أن نعرف أنه هو الخالق وحده جل جلاله : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل/ ١٧ - ١٨] .

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩١] .

فالخالق هو الذي يستحق أن يُعبد ؛ لأنه هو الذي خلقنا، وخلق هذا الكون، وخلق الدنيا، وخلق الآخرة، وخلق الليل والنهار .

والإنسان بفطرته يحب أن يتصل بالقادر ليستفيد من قدرته، وبالعالم ليستفيد من علمه، وبالكريم ليستفيد من عطائه، وبالملك ليستفيد من ملكه .

فالذي يفتح علاقة مع الكبير ليس له حاجة بالصغير ، والذي يعرف الغني لا يتجه إلى باب الفقير ، والذي يعرف القوي لن يستعين بالضعيف ، والذي يعرف الشافي لا يتوجه إلى غيره ، إنما يفعل الأسباب المشروعة لكن قلبه معلق بربه .

والله سبحانه أثنى على نفسه بصفة الخلق فقال: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢ - ٦٣] .

هو خالق كل شيء وحده، خالق السماوات والأرض ، وخالق ما فيهما من المخلوقات، وما بينهما، وما عليهما .

هو خالق كل شيء ، خالق العزة، وخالق الذلة، وخالق الدنيا وخالق الآخرة، وخالق الأمن، وخالق الخوف، وخالق الصحة، وخالق المرض: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢] .

وكيل على جميع المخلوقات ، تصريفًا وتدبيرًا، وشكلًا وحجمًا، وحياة وموتًا،ونفعاً وضراً، ومفاتيح كل شيء بيده، وخزائن كل شيء عنده .

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

[الزمر/ ٦٤ - ٦٦] .

هذا هو الرب العظيم الذي خلق ، هو الذي يستحق أن يُعبد ويطاع ويشكر .

ومن دلائل توحيده جل جلاله : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ

كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١٠ – ١١] .

النظر للسماوات والأرض عبادة ؛ لأني أصل به من المخلوق إلى الخالق فأحبه ، لما أراه من عظمة ملكه ونعمه، وجلاله وجماله .

وهذا أعظم مقامات الدين أن أحب الله، وأرجوه وأخافه ، وأعبده بموجب هذه المحبة، وهذا الخوف، وهذه الخشية : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فلا إله إلا الله ما أعظم قدرة الله في الخلق والإيجاد، خلق السموات السبع الشداد، وخلق من الأرض مثلهن، الأرض فوقها رواسٍ ، ومقابل هذه الرواسي بحار عميقة ، يصل عمق بعضها إلى اثني عشر كيلو متر ، فهذه فوق الأرض، وهذه في بطن الأرض ، هذه صاعدة، وهذه نازلة ، وكل ذلك خلقه الله ﷻ، إظهاراً لقدرته، وتنبيهاً لبريته على وحدانيته وجلاله وجماله.

هذه الجبال الشاهقة مملوءة بالكائنات الحية والمعادن النفيسة ، فيها أكثر من مائة معدن، من الذهب والفضة، والحديد والمنجنيز، والألماس واليورانيوم وغيرها .

فالله خلق الجبال وأودعها منافع كثيرة ، في باطنها هذه المخلوقات التي نستفيد منها في حياتنا الحديد ، كم حديد في العالم ؟ كم صُنع منه من طائرات ، وقطارات ، وسفن وسيارات؟ .

فالحديد نعمة عظيمة كم أقيم به من جسور وعمائر ومبان وغيرها؟

والله ﷻ خلق كل ذرة في الكون ، وهي مخلوقة لحكمة ، وخلقها يدل على أمرين : يدل على جلال الله ، وعلى جمال الله .

جلاله أن خلق هذا الشيء الكبير والصغير، وجماله أن أكرم هذا الإنسان بهذه المخلوقات : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان/ ٢٠] .

وإذا رأيتم ذلك فيجب أن تؤمنوا بربكم الذي سخر لكم كل شيء .

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق كل ما يدب في السماء والأرض، وفي الفضاء والبحار: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود/ ٦] .

الله أكبر ! كم دابة في البحر ؟ كم دابة على ظهر الأرض ؟ كم دابة بين السماء والأرض ؟ كم من الملائكة التي تدب فوق السماوات ؟ الله ﷻ خلق هذه المخلوقات العظيمة، لتدل على جلاله وجماله، وتشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده، وتظهر بها عزته وقدرته ؛ لأنه خلق العبيد الذين يطيعونه ، هذه الأرض تطيعه في الإنبات ، والشمس تطيعه في الإنارة والجريان ، وهكذا كل سماء .

وكل المخلوقات قالوا : سمعنا وأطعنا إلا البشر ، منهم من قال : سمعنا وأطعنا كالملائكة ، ومنهم من قال : سمعنا وعصينا كإبليس وجنوده وأتباعه .

فهذا التذكير، وهذه المعرفة، تولد عند الإنسان قوة التوحيد والإيمان ، هذه أعظم المعارف ، وأُم المعارف أن نعرف الله بأسمائه وصفاته الموصلة إلى توحيده وحسن عبادته : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [لقمان/ ١٠] .

سبحان الله ! أنزل من السماء ماء فأنبت في الأرض من كل زوج كريم ، من كل نبتة من النباتات ذكر وأنثى ، كما خلق الله الإنسان ذكرًا وأنثى ، وكذلك الله ﷻ أنزل القرآن ، فنبتت نباتات من المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات ، كما أن الله ﷻ أنزل الماء من السماء على الأرض، فأنبتت من كل زوج كريم ، ذكراً وأنثى ، فسبحان الكريم الذي خلق كل كريم من نبات أو حيوان أو إنسان أو ملك .

حبة قمح تعطي سبعمائة حبة ، فكيف بعطاء الخالق إذا أعطى يوم القيامة ؟ هو كريم يحب أن يضاعف الأجر ؛ ولذلك الله يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .

هذا مخلوق حبة من مخلوقاته تعطي سبعمائة حبة، فكيف بعطاء من خلقها وأمرها؟ :
﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة/ ٢٦١].

هو جل جلاله ملك ، وأفعاله كلها على صفة الكمال ، ملك يعطي عطاء واسعًا ؛ لأنه ملك ، وخزائنه بكن فيكون، لا يفنى ولا ينقص أبداً: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان/ ١١] .

- **والضلال ثلاثة أقسام :**

ضلال كلي.. وضلال جزئي.. وضلال دعوي .

القسم الأول : الضلال الكلي : ضلال الكفار والمشركين واليهود والنصارى والهندوس وغيرهم ، هؤلاء ضلوا عن ربهم ، ضلوا وأضلوا وتعلقوا بالمخلوق من دون الله ، فهؤلاء واجب علينا دعوتهم ، ثم تعليمهم شريعة الله .

القسم الثاني :ضلال جزئي : وهو أن المسلم بسبب ضعف الإيمان يفعل بعض الطاعات، ويكثر من فعل المعاصي، ويخلط العمل الصالح بالعمل السيء .

فهذا لا بد له من تحريك الإيمان في قلبه، والنظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية ؛ ليزيد الإيمان في القلب ، فيقبل على الطاعات، وينفر من المعاصي، وكلما ذكرناه اتعظ وأناب واستقام .

القسم الثالث : ضلال دعوي : بعض الناس يقول نحن مسلمون نصلي ونصوم ؛ هذا أمر طيب ، وبالصلاة والصوم نأخذ من الدين ، وبالدعوة نعطي للدين ، يدخل مسلم جديد في الدين، ويتعلم جاهل، ويهتدي ضال ، فهذا الإنسان الذي يصلي ويصوم ويذكر الله ويسبح ويتصدق ويفعل هذه الأعمال ، هذا سيدخل الجنة، لكن سيحاسب على ترك العمل الاجتماعي وهو الدعوة .

العمل الانفرادي : ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[العصر/ ١-٣] .

والعمل الاجتماعي : ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ③﴾[العصر/ ٣] .

فالنجاة من الخسارة بأربعة أمور :

﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ③﴾[العصر/ ٣] .

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[البقرة/ ٤٣] .

هذا عمل انفرادي واجب بين العبد وربه ، وكذلك الدعوة أمر واجب بين العبد والخلق: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[النحل/ ١٢٥] .

والله سبحانه سيجازي بالثواب من قام بالعمل الانفرادي والاجتماعي، وسوف يحاسب كل من ترك العمل الانفرادي والاجتماعي أو أحدهما: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٨٥].

إقامة الصلاة أمر الله ، والدعوة أمر الله ، ولا بد من إقامة أمر الله في هذا وهذا ،

فالعبادة واجبة على جميع الأمة رجالًا ونساء ، والدعوة واجبة على جميع الأمة رجالًا ونساء ، لا يستثنى من ذلك أحد : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

فالعالم يعلم الناس، ويدعو إلى الله بما يعرفه من الآيات الكونية، والآيات الشرعية، كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [غافر/ ٣٨-٣٩] .

وغير العالم يقول للناس كما قال صاحب يس : ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يس/ ٢٠ - ٢١] .

فالذي عنده علم بعلوم الشريعة يدعو الى الله، ويعلم الناس، والذي ليس عنده علم يدل الناس على العلماء، ويدعو الناس ليحضروا مجالس العلم ؛ حتى يهتدوا ويزيد إيمانهم، وتحسن أعمالهم .

فالدعوة على الأمة جميعًا ، والعبادة على الأمة جميعًا ، ولا يستثنى من ذلك أحد ، ومن قصر في واحد فسوف يحاسب عليه .

فالنجاة في أربعة، أمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، فمن جاء بخمسين في المائة سيعطى أجرها، ويحاسب على ما ترك ، وهكذا في بقية الأعمال: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم/ ٣٠] .

إن دلائل الخلق والإيجاد من أعظم الدلائل على وحدانية الله ، ومن أعظم الأمور المحركة للقلوب لطاعة الواحد الأحد ، الكبير المتعال ، الخلاق العليم: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فهذا القسم الأول من دلائل التوحيد، وهو دلائل الخلق والإيجاد.

الثاني : دلائل التدبير والتصريف في الكون .

الله خلق هذا الكون ، خلق السماوات والأرض ، وخلق العرش والكرسي ، وخلق الجبال والأشجار والطيور والحيوانات ، وخلق عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان وعالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الملائكة ، لكن هذه المخلوقات تحتاج

إلى تدبير ، الذي بيده الخلق والأمر وهو الله عز وجل .
كيف ننظر إلى دلائل التدبير والتصريف في الكون ؟ .
يقول الله ﷻ : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة/ ١٦٤] .
هذه الآية جاءت بعد قوله : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة/ ١٦٣] .
كيف نعرف أنه إله واحد ؟ قال : انظر ببصرك وبصيرتك في ملك الله، لتعرف من يدبر الأمر .
انظر من يمسك السموات والأرض أن تزولا ؟، ومن يمسك السماء أن تقع على الأرض ؟ ، ومن يقلب الليل والنهار ؟، ومن يجري السفن في البحار بمنافع الناس ؟، ومن ينزل الماء من السماء على الأرض فتنبت من كل زوج بهيج ؟ ، ومن بث في الأرض من كل دابة ؟، ومن يصرف الرياح والسحب بين السماء والأرض ؟.
انه الواحد الأحد الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].
ومن دلائل التصريف والتدبير : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦] .
فالله مالك الملك، بيده الخير، والشر ليس إليه، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد هو من نعم ومصائب، ومن خير وشر، ومن عطاء ومنع، ومن بسط وقبض ، هو ملك ، وهذا الملك ملك له، ومن فيه ملك له : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠] .
ما هي أفعالك يا الله ؟، ومن يقوم بالتدبير والتصريف سواك : ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران/ ٢٧] .

الله أكبر ! كم خزائن الله مملوءة بالأرزاق ؟ كم الأرزاق التي تستهلكها الأسماك في البحار ؟ كم الأرزاق التي تستهلكها الغنم والبقر والإبل، وجميع الحيوانات، وجميع الطيور، والإنس والجن وغيرهم من المخلوقات التي لا يحصيها، ولا يحصي أرزاقها إلا الله ؟ كم المخلوقات التي تجلس على مائدة رب العالمين كل وقت ؟ في العالم العلوي والعالم السفلي وما بين السماء والأرض ؟ .

هو الرزاق الذي بيده رزق القلوب، ورزق الأجساد، وقوت البشر، وقوت الأنعام، يوصل بقدرته رزقه إلى كل أحد في ملكه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٦﴾ [هود/ ٦].

ومن دلائل التصريف والتدبير : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٩٥﴾ [الأنعام/ ٩٥] .

فالقُ حبة ميتة ، وضعناها في الأرض فنبتت ، قسم منها نزل إلى أسفل الأرض ، وقسم صعد إلى العلو ، ثم صارت أوراقًا ، ثم جاءت الأزهار ، ثم جاءت الثمار ، ثم جاء ابن آدم ليأكل من هذه المخلوقات المسخرة الطيبة .

الله سخر ذلك لهذا الإنسان الضعيف لأنه أكرمه وفضله على غيره ، الله سخر له أقوى المخلوقات ، الشمس أقوى منه تعطيه الإضاءة والحرارة ، والقمر أقوى منه، وأعظم منه، وأعلى منه، يعطيه كذلك الإنارة ، والأرض أقوى منه ، والجبال أقوى منه ، والبحار أقوى منه ، والمياه أقوى منه ، والله سخر كل هذه المخلوقات لهذا الإنسان تكريمًا له ؛ ليتفرغ لعبادة ربه، وحمد الله على نعمه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

فهذه أعظم العبادات ؛ أن نعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، أعظم العبادات في الدين عبادة التفكر التي تثمر خشوع القلب، وخضوعه لله، وانكساره بين يدي الله، والتوكل عليه، والحب له، والتعظيم له ، ثم تحريك الجوارح بطاعته بالصلاة والصيام والزكاة والحج والذكر والدعاء وغيرها .

ومن دلائل التصريف والتدبير : ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ٩٦﴾ [الأنعام/ ٩٦].

في جوف الليل أشد ما يكون من الظلمة، وفي الضحى أشد ما يكون من الإضاءة،

والله يقلب الليل والنهار كل يوم، جعل الليل سكناً، والنهار معاشاً، وجعل آية الليل القمر، وآية النهار الشمس: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس/ ٤٠].

فسبحان العزيز العليم القدير، العزيز في ملكه لا يعجزه شيء ، العليم بكل ذرة في ملكه ، والعليم بالكلمة قبل أن نقولها، وبالفعل قبل أن نفعله ، وإذا فعلناه ماذا نريد به ؟ هل نفعله ابتغاء وجه الله أو نعمله لأمر آخر ؟ فالله ﷻ عليم بكل شيء : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك/ ١٤] .

ومن دلائل التصريف والتدبير المثمرة لكمال التوحيد والإيمان : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٩] .

النجار ينظر إلى الشجر، ليستفيد من الخشب ، والطبيب ينظر إلى النباتات، ليأخذ منها الدواء، والمؤمن ينظر إلى المخلوق، ليصل إلى الخالق، وينظر إلى الصور، ليصل إلى المصور ، فيؤمن به ويعبده، ويشكره على ما أنعم عليه من النعم المادية والروحية: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

ومن دلائل التصريف والتدبير قوله ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم/ ٤٠] .

فالقلب إذا عرف هذه المعارف عبدَ الله حقاً، لأنه أهل أن يُعبد، وأن يحمد، وأن يكبر جل جلاله ، لا يعبده عبادة من يريد منه أجرة أو ثمنًا فقط ؛ هذه مطلوبة ، لكن أعلى منها أن نعبد الخالق لذاته وجلاله وجماله، ونطمع في ثوابه، ونخاف من عقابه ، فهو أهل أن يُعبد، وأن يكبر، وأن يعظم : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

هذه المعرفة التي يريدها الله ﷻ ، ولهذا أظهرها الله في الكون ظهورًا بينًا، وأظهرها في الآيات القرآنية ، حتى يمتلئ القلب بالإيمان، ويذوق حلاوة العبادة ، وكان النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه لكمال معرفته بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

كذلك نحن الآن ، هذه الأطعمة وهذه المأكولات نأكل منها فتصح أجسامنا ، كذلك إذا امتلأ القلب بالإيمان صح هذا القلب ، واطمأن بذكر الله ، وسارع إلى طاعة الله ، وسابق إلى ما يرضي الله ﷻ ، ونافس في كل طاعة يريد أن يكون الأول في الطاعة، في العبادة، في الدعوة، في التعليم، في صلة الرحم، في الأخلاق العالية، في قضاء الحاجات، في مواساة المساكين : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر/ ١١ – ١٢] .

فلا بد من المعرفة الإيمانية ، الذي يجعل الإنسان يخرج من الطاعات إلى المعاصي، أو يخلط المعاصي بالطاعات، هو ضعف الإيمان ، نقص مؤشر الإيمان، فقوي حجم الشهوات فاشتغلت النفس بالشهوات، ثم تدريجيًّا ذهبت الطاعات أو قلَّت ، فأصبح الإنسان يعيش عيشة الحيوانات، أو عيشة السباع، أو عيشة الشياطين .

فلا بد من التذكير المستمر بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ووعده ووعيده ودينه وشرعه، ليعرف العبد ربه، ويعبده بما شرعه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

القسم الثالث: دلائل صفات جلال الرب :

دلائل صفات جلال الرب ، أن نعلم أن الله عظيم ، وأنه قوي، وأنه قادر، وأنه قاهر، وأنه عزيز، وأنه جبار ، وغيرها من دلائل صفات جلال الرب، فصفات الجلال والعظمة تملأ القلب بعظمة الله، والخوف منه، والخشية له، وتجعل المسلم يقرأ القرآن قراءة عبد سامع للأمر الملكي، ممتثل له، معظم لربه عند أداء هذا الأمر، خاضع له ، فالقرآن متعبَّد بتلاوته ومتعبد بفهمه ومتعبد بالعمل به : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .

فلا بد أن نعرف الإله العظيم بصفات جلاله ، ربنا له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وله صفات الجلال ، ومن صفات جلاله كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

سبحان ربنا العظيم الذي لا أعظم منه ، الذي خلق العظمة في كل عظيم ، وأنزل

القرآن العظيم، وهو العظيم الذي خلق كل عظيم ، وكل عظيم دونه جل جلاله : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

ومن دلائل صفات جلال الله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

نعرف أن الله وحده ذو العزة والجبروت، والكبريا والعظمة، حتى نؤمن به ونوحده، حتى نخافه ونهابه، ونخشاه ونتقيه ، ونعبده ونطيعه .

نعرف أن ربنا سميع بصير، وأنه قادر قاهر، وأنه محيط بكل شيء، قاهر لكل شيء، عليم بكل شيء، فتتوجه قلوبنا وجوارحنا إليه وحده .

ومن دلائل صفات جلال الله علمه المحيط بكل شيء ﷻ : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٩] . ،

هذه صفة جلال تدل على أن الله ﷻ عنده مفاتح الغيب كلها لا يعلمها إلا هو ، ويعلم كل ما في البر والجو والبحر من المخلوقات، أجناسها وحركاتها، وألوانها، وأشكالها، وأحيائها، وأمواتها .

ويعلم كم في البحر من قطرة ؟ وكم في البر من ذرة ؟، وكم في كل شجرة من ورقة؟، وكم في جوف الأرض من حبة؟ ، وكم في الكون من رطب ويابس.

هذا الإله الذي له صفات الجلال، نعبده بموجب صفات جلاله، فيحصل لنا الخوف منه، والخشية له، والتوكل عليه، وإخلاص العبادة له : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٨].

فمن عرف ربه بأسماء جلاله استأنس به واستوحش من غيره، وتوكل عليه، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠ – ٥١].

ومن صفات جلاله كما قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الرعد/ ٢ – ٣] .

هذه قوته، فأنا عبد القوي، هذا خلقه، فأنا عبد الخالق، هذا ملكه، فأنا عبد الملك: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ومن دلائل صفات جلال الرب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد/ ١٢-١٣].

لا إله إلا الله ما أعظم قدرته، وما أوسع ملكه، وما أحسن تدبيره، وما أعظم جهل الإنسان بربه.

نستغفر الله ونتوب إليه، نستغفر الله ونتوب إليه، نستغفر الله ونتوب إليه، من جهلنا بربنا وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن تقصيرنا في عبادته وطاعته: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

القسم الرابع: دلائل صفات جمال الرب، وهي بما أظهره الواحد الأحد من لطفه ورحمته، وإنعامه وإحسانه، في هذا الكون، ودلائل صفات جمال الرب تدل على وحدانية الله ﷻ، وأنه المتفرد بالإنعام والإحسان إلى خلقه في الدنيا والآخرة.

ودلائل جماله وحسنه شائعة في كل ذرة من ملكه العظيم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

لو أن كل البشرية قامت بإحصاء نعمة واحدة لعجزت عن إحصاء هذه النعمة، شكلها وأنواعها، وعددها ومنافعها، وما يخرج فيها من الخيرات، فكيف بالنعم كلها من يحصيها؟ لا يحصيها إلا الذي خلقها، وعلم بأماكنها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر/ ١٣].

ومن دلائل صفات جمال الرب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

ولماذا تقع السماء على الأرض؟ لأنها تتفطر وتغضب على من عصى الرحمن، فهي

تريد أن تنتقم من العصاة ، وتسقط على الطغاة، لما ارتكبوا عليها من المعاصي : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم/ ٨٨ – ٩٥].

ولكن الله ﷻ ﴿ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ [فاطر/ ٤١] .

لماذا ؟ لأنه ﴿ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر/ ٤١] .

فما أعظم رحمة الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج/ ٦٥] .

رحمته ورأفته وسعت عموم الناس : المشرك والكافر، والبر والفاجر .

أعطاهم جميعاً الماء العذب، والهواء اللطيف، والأرض الساكنة، والأطعمة المتنوعة، وهذا الخلق السوي، والسمع والبصر والعقل، والعافية والمال والولد : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج/ ٦٥] .

فهذه نحن الآن نعيش في رحمة واحدة ، فكيف إذا كان يوم القيامة فانضمت هذه الرحمة إلى التسع والتسعين رحمة عند الله ﷻ ؟ كم يرحم الله ﷻ ممن خلق ؟.

فربنا رحمن رحيم ، فنحن نعبده بموجب هذه الأسماء العظيمة التي تبين لنا أنه جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، وهو الرحمن الرحيم : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨] .

هو الواحد الأحد الذي مَنَّ علينا بالنعم التي لا تُعد ولا تحصى ، أنعم علينا في بطن الأم ، وأنعم علينا في بطن الدنيا ، وأنعم علينا في بطن القبر ، وينعم علينا في عرصات القيامة ، وينعم علينا في دار القرار ، إذا دخلنا الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل/ ١٨].

فهذه النعم تأسر الإنسان وتقيده لأن يعبد هذا الرب المنعم المحسن ؛ لأن الإنسان بطبيعته يتعلق بأحد اثنين : إما عظيم، وإما محسن ، فهو يتعلق بالعظيم، ليحتمي به ، ويتعلق بالمحسن لينال من فضله ، ولا أعظم من الله ولا أحسن منه ، فنتعلق بالعظيم ، بالقوي القادر القاهر الذي له صفات الجلال ، ونتعلق بالكريم اللطيف الرءوف الرحيم ؛ لأننا نطمع أن ننال منه خيرًا ، كما نلنا منه خيرًا في بطن الأم وفي

بطن الدنيا ، وننال خيراً من ذلك إن شاء الله نحن وإياكم والمؤمنين والمؤمنات في الجنة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [المائدة/ ٩] .

كم الله ﷻ مَنَّ علينا بهذه المجالس الإيمانية ؟ كم الله ﷻ الآن يرانا ويسمع ما نقول ؟كم الله يرى هذه الوجوه التي تنصت لسماع الثناء عليه وذكره بأسمائه وصفاته ؟ كم يأتي هذا المجلس يوم القيامة له نور عند الله ﷻ ؟ هذه مجالس عظيمة محسوبة للإنسان ، هذه البيئة بيئة إيمان ، بيئة الصدق : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[التوبة/ ١١٩] .

نصدق الله ، نتعلم كيف نعبد الله؟، نتعرف على ربنا ، نتعرف على أحكامه، لنعبده بموجب هذه الأحكام وبموجب تلك المعرفة .

ومن دلائل جماله سبحانه ما قال عن نفسه : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ۝٤٨ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ۝٤٩ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ۝٥٠﴾ [الفرقان/ ٥٠] .

أعطاهم ليشكروه، ومنعهم ليسألوه ، وإذا سألوه فأجابهم ازدادوا ست كرامات : زاد إيمانهم ، وزاد حبهم لربهم ، وزاد حمدهم له ، وزاد تعظيمهم له ، وزاد تعلقهم به، وزاد ذلهم له، وزادت عبادتهم له .

فالله منع ليعطي ، وقبض ليبسط ، الله يمنع نزول المطر لنسأله، ونرجوه، ونعود إليه، ونتوجه إليه، ونسأله أن يسقينا، ونستغيث به ، فإذا نزل المطر زاد إيماننا، وزاد حبنا لربنا وزاد حمدنا له، وزاد تعظيمنا له، وزاد تعلقنا به، وزادت عبادتنا له.

فهذه دلائل تجعل الإنسان دائمًا إذا شرد عن ربه، وغفل عن مولاه ، الله يذكره بهذه المذكرات، فيعود إليه.

ومن دلائل صفات الجمال قوله ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ ﴾ [النحل/ ١٠ – ١١] .

كم أنواع الزروع ؟ أكثر من ثلاثمائة وخمسين نوعًا من القمح ، وأكبر تاجر قمح في

العالم الله ﷻ هداه بسبب الدعوة ، وهو من جمهورية كازاخستان .
هذا الرجل في قصره الأنهار وكل ما لذ وطاب ، ومزارع القمح يديرها بالطائرات ، ويعقد صفقات عالمية ، هو مسلم ويبني المساجد ، لكن لا يصلي ويشرب الخمر ، فالله ﷻ مَنَّ عليه بأن زاره أحد الإخوة ولما دخلوا في البيت وجدوا الخمارة أمامهم ، والأنهار الجارية ، والموسيقى التي تضرب في هذا القصر احتفالًا بالضيوف ، والأزهار والطيور، وكل ما لذ وطاب في هذا القصر العظيم ، ولكن ليس فيه الأذان، وليست فيه الصلاة .
فلما دخلوا وكان وقت الأذان ، فلما وجب الأذان قالوا : وجب الوقت الآن نطيع ربنا ﷻ بإقامة هذه الشعيرة في بيت عبد من عبيد الله ، فأذَّنوا ، ولما أذنوا تأثر من في القصر ، وقامت زوجته، وسمعت هذا الأذان ، فسبحان الله ذبحت لهم ثلاثة خرفان ، وأعدوا لهم طعامًا لذيذاً، وجلسوا وتذاكروا في الإيمان، وفي نعم الله ﷻ على صاحب هذا القصر، ثم صلوا في قصره .
وقالوا : الله ﷻ مَنَّ عليك في الدنيا بهذا القصر، ويوم القيامة سيعطيك أعظم من هذا بكثير ، بل أعظم من الدنيا ، بل مثل الدنيا هذه عشر مرات ، فزاد الإيمان في قلبه وتعلق بهم ، فخرجوا هم وإياه إلى المسجد وأقاموا الأعمال هناك ، فاطمأن قلبه في المسجد ، وقد يكون هذا المسجد من المساجد التي بناها ، ومن نعمة الله على هذا الإنسان يقول أحد من زاره : استقبلنا في اثنتي عشرة سيارة جديدة في المطار .
فسبحان الله ، الله ﷻ مَنَّ عليه بالهداية، وبدأ يصلي ، ثم بنى مسجداً في قصره، وجعله مسجدًا، وألغى الخمارة ، ثم جاء هذا الرجل إلى العمرة ، وما شاء الله اعتمر ، وجاء إلى الحج ، ثم اجتهد على بني جنسه من كبار التجار في العالم ، فأصبح الآن داعياً إلى الله، وعابداً الله ﷻ، وسخر تجارته في خدمة الدين : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤ ﴾ [الجمعة/ ٤] .
فالعابد ينقطع عمله بموته ، والداعي عمله مستمر إلى يوم القيامة ، فالدال على الخير كفاعله .
فالله ﷻ من صفات جلاله أنه : ﴿يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ [فاطر/ ٤١] عليكم ، ﴿غَفُورًا ٤١﴾ [فاطر/ ٤١] لذنوبكم .

وكل المخلوقات مسخَّرة لطاعة الله ، ومخلوقات اختارت المعاصي كإبليس وجنوده ، ومخلوقات مخيرة وهم الجن والإنس ، نحن البشر عندنا مصرف للطاعة، ومصرف للمعصية ، إذا فيه مُذكر زاد الإيمان ، فنقبل على الطاعات وننفر من المعاصي ، وإذا لم يوجد مُذكر غلبت النفس على الروح، فاشتغلت النفس بشهواتها وانقادت الروح تبعًا لها ، فاجتمعت النفس والشيطان على الإنسان على هذه الروح فغلبتها ، وكانت الإدارة لهذا الجسد بواسطة النفس والشيطان ، والنفس أمارة بالسوء ، فإذا جاء الإيمان صارت نفسًا مطمئنة، ونفساً لوامة تلوم صاحبها على التقصير في الطاعة ، على تأخير الطاعة ، على المعاصي ، وهكذا .

فمعرفة صفات جمال الرب جل جلاله أمر محرك في القلوب الحياء والاستحياء من رب العالمين، فهو يُنعم عليَّ ، وأنا أسكن في أرضه، وآكل من رزقه، وألبس من فضله واعصيه بنعمه ؛ هذا لا يليق بالإنسان ، فضلاً عن المسلم : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٤] .

هذه صفات جمال ، وما دام رحمانًا ورحيمًا أقبل عليه بالتوبة مهما عملت من المعاصي: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٥٣] .

لا إله إلا الله ما أعظم شأنه، وما أحسن صفات جلاله وجماله، وما أعظم نعمه وإحسانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [النحل/ ١٠-١٣] .

أفلا يرى الناس هذا ؟، ألا يستحون ممن هذا فعله، ألا يشكرون رب هذا الخلق الذي أمدهم بالنعم الكثيرة، والعطايا الكبيرة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

- **القسم الخامس من دلائل التوحيد، دلائل الإنعام والإحسان :**

فالله خلق الإنسان، وأنعم عليه بنعم لا تعد ولا تحصى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ

عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠] .

عالم الجماد ، عالم النبات ، عالم الحيوان ، عالم الملائكة ، عالم الجن ، كل هذه الخلائق مُسخرة لخدمة الإنسان ، وتدل على صفات جلال الرب وجماله ، وتسعى في مصالح عباده : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

ومن دلائل إنعامه وإحسانه : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

تلك نعم مادية، وهذه نعم روحية، فلله الحمد والمنة.

كل هذه من دلائل الإنعام والإحسان ، فلنعبد الله لأجل هذا الإنعام والإحسان إلينا : ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص/ ٧٧] .

وقد تمت علينا نعم الرب الواحد الأحد، فيجب علينا عبادته وحده لا شريك له: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة/ ٣] .

القسم السادس دلائل النظر والتفكر :

دلائل النظر والتفكر : أن الإنسان ينظر ويتفكر، ليعرف المعبود ، ليعرف الخالق ، ليعرف القوي القادر القاهر ، ليعرف الذي يستحق أن يطاع أمره، ويجتنب نهيه : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١] .

دلائل النظر والتفكر من أعظم العبادات : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠] .

من هؤلاء الذين حصل عندهم هذا النظر وهذا التفكر؟ : ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران/ ١٩١] .

سبحان الله ، الإنسان ينظر إلى هذا الكون العظيم، وما فيه من مخلوقات ، هذا يولِّد عنده ذكر الله وتسبيحه وتكبيره وتحميده وعبادته وطاعته .

الله ﷻ أعطانا العقول والأسماع والأبصار لننظر في الملك والملكوت، ثم نعبد الله

بموجب ذلك : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[الأعراف/ ١٨٥] .

فسبحان من يبين أسماءه وصفاته وأفعاله رحمة بعباده، ليعرفوه ويؤمنوا به ويعبدوه : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ ﴾[النبأ/ ٦ – ١٧].

فدلائل النظر والتفكر من أعظم الآيات التي تدل على وحدانية الله، وتثمر الإيمان به، وتعظيمه وتكبيره، وحبه وحمده، وحسن عباداته : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأنبياء/ ٣٠-٣٢] .

ومعنى ذلك أن الله فتق السماوات من سماء إلى سبع سماوات ، والأرض فتقها إلى سبع أرضين ، كانت السماوات والأرض طبقًا واحداً ، ففصلهما الله ﷻ، وجعل السماء في أعلى، والأرض أسفل، أو فتق السماء بالماء، وفتق الأرض بالنبات .

وجعل سبحانه الماء سببا لإحياء الأرض بالنبات، وكذلك جعل القرآن سبباً لإحياء القلوب بالإيمان والتقوى.

وكما أن الأرض بعضها قابل للإنبات، وبعضها غير قابل، فكذلك القلوب بعضها قابل للحياة، وبعضها غير قابل: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[النساء/ ٥٤ – ٥٥].

ومن دلائل النظر والتدبر : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾[الزمر/ ٢١].

ومن دلائل النظر والتفكر : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ

ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق/ ٦ - ١١] .

ومن دلائل النظر والتفكر : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح/ ١٣ - ٢٠] .

القسم السابع من دلائل التوحيد، دلائل القرآن والشرع :

فالقرآن العظيم يدل على أن الله واحد أحد لا شريك له ، وأحكامه الشرعية تدل على أنه واحد لا شريك له : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٨ - ٨٩] .

ومن دلائل القرآن على وحدانية الله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء/ ٨٢] .

ومن دلائل القرآن على وحدانية الله : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٢٣] .

ما أعظم احتفاء الله بهذا الإنسان ! خلقه بيده ، وأسجد له ملائكته ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وجعله خليفة في الأرض ، وأرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، وأكرمه بأحسن الشرائع ، وأنزل عليه أحسن كتاب ، وأعطاه أحسن دين : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

احتفاء الله ﷻ بهذا الإنسان عظيم ، وإكرامه له أعظم، ولكن الإنسان إذا كان جاهلاً غافلاً فإنه يضل، فالإنسان ظلوم جهول .

ظلوم كفار ، فلا بد له من البيئة الإيمانية، والجو الإيماني ليزيد الإيمان في القلب ويعرف الإنسان ربه ، ثم يعبده بموجب هذه المعرفة .

من دلائل القرآن على وحدانية الله ﷻ : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى

لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ [يونس/ ٣٤ ، ٣٥] .

ومن دلائل القرآن والشرع على وحدانية الله ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ [آل عمران/ ٧] .

ومن دلائل القرآن العظيم على وحدانية الله : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر/ ٢١] .

فنحن إن شاء الله إذا أردنا أن نقرأ القرآن ، نذكر هذه الأمور السبعة من دلائل التوحيد ، هذه أمهات دلائل التوحيد السبعة التي هي :

دلائل الخلق والإيجاد.. دلائل الإنعام والإحسان من ربنا ﷻ .

دلائل التدبير والتصريف في الكون.. دلائل النظر والتفكر في الملك والملكوت.. دلائل صفات جلال الرب.. دلائل القرآن والشرع.. دلائل صفات جمال الرب .

فهذه الدلائل العظيمة كلها تدل على وحدانية الله جل جلاله ، وعلى عظمته، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله ، وأنه واحد أحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته .

ربنا ﷻ مَنَّ علينا بهذه العقول التي تعقل ، وهذه الآذان التي تسمع ، وهذه القلوب التي تفقه ، مَنَّ علينا بهذه الكرامات ؛ فلنستفد من هذه الأشياء، لنعرف ربنا ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فهو سبحانه الذي يغذي القلوب بالتوحيد والإيمان ، ويغذي الأبدان بالطعام والشراب ، ويغذي العقول بالعلوم والمعارف ، وأعلى العلوم هو العلم الإلهي: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

هو سبحانه الواحد الأحد الذي يفعل ما يشاء ، وهو الحكيم العليم في خلقه وأمره ، الملك ملكه ، والخلق خلقه ، والأمر أمره :

أظهر المخلوقات وحجب خلقه عن رؤيته ، وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة ، وأظهر قيمة الأموال والأشياء وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة ، وأظهر الأجساد

وأخفى الأرواح ، وأظهر سننه وأخفى قدرته : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨] .

لا إله إلا هو، ولا رب سواه ، يفعل ما يشاء بقدرته، وهو الحكيم العليم، وله في خلقه وأمره القدرة النافذة، والحكمة البالغة، والحجة الظاهرة، والعلم المحيط، والتدبير الحكيم : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فلا إله غيره، ولا رب سواه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٤-٧] .

هذه أعظم المعارف ، وأعظم العبادات النظر والتفكر والتدبر في آيات الله ومخلوقاته.

ففي دار الأرقم كانت حلقة التعليم التي كان يقيمها النبي ﷺ في دار الأرقم قرب الكعبة تشتمل على ثلاثة أصول :

الأول : التعريف بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده .

الثاني : التعريف باليوم الآخر، وما للناس بعد القدوم على الله ، من الثواب بالجنة لمن أطاعه والعقاب بالنار لمن عصاه .

الثالث : قصص الأنبياء والرسل ، ماذا جرى على رسل الله وأوليائه وأتباعهم ؟ كيف نصرهم الله ، وجعل العاقبة لهم ؟ وكيف دمر أعدائهم ؟ فأغرق فرعون ، وأهلك عادًاوثمود وغيرهم من الأمم التي عارضت الأنبياء والرسل .

وبذلك قوى الإيمان بالله في قلوب الصحابة، واستعدوا للقيام بالأعمال، ثم نزلت الأحكام في المدينة.

ومن رحمة الواحد الأحد أن بسط لعباده دلائل التوحيد ، وكشفها لهم ، وبينها لهم في كل مخلوق صغير أوكبير ، وبثها في جميع عوالم الجماد، والنبات، والحيوان والإنسان ؛ لعظم حاجة العبد إلى معرفة ربه وتوحيده ، وتوقف فلاحه ونجاته عليه .

فإذا عرف الناس ربهم عبدوه وحده ، ولم يشركوا به غيره من الأرباب : ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف/ ٣٩] .

هؤلاء الذين جاءوا يستفتون يوسف ، الذين يعبدون غير الله جاءوا يستفتون من يعبد الله وحده لا شريك له ، فقال لهم : ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف/ ٣٩-٤٠] .

فهذه صفة المفتي : أن يعلم الناس التوحيد قبل الفتوى .

فسبحان من كشفت دلائل وحدانيته للمعتبرين ، وأبانها للناظرين ، وأظهرها للمتأملين ؛ ليصلوا بذلك إلى تحقيق التوحيد ، ويشهدوا أن الله هو الخالق الحق المبين وحده لا شريك له ، ثم يحبوه ويطيعوه ويعبدوه : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾

[الأنعام/ ١٠ - ١٠٢] .

لا إله إلا هو خالق كل شيء ، وحده لا شريك له، الأحوال بيد الله، والأعمال بأيدينا ، الله خلق الأحوال من صحة ومرض، وغنى وفقر، و ليل ونهار، وحر وبرد ، وأمن وخوف، خلق الأحوال للابتلاء ، وجعلها بيده ، خلق الأحوال للابتلاء ، وخلق الأعمال الصالحة وأمرنا بها ، للنجاة من النار، والفوز بالجنة .

فالله ﷻ بيده تغيير الأحوال ، ويستحيل أن تثبت الأحوال على أحد من البشرفي الدنيا ، لا بد من تغيير الأحوال على الإنسان ؛ ليختبر الله عبودية هذا الإنسان في حال السراء والضراء ، وفي حال الشدة وفي حال الرخاء ، وفي حال الغنى وفي حال الفقر ، وفي حال العافية وفي حال المرض ، وفي حال السفر وفي حال الإقامة : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت/ ٢-٣] .

فثبات الأحوال في الدنيا محال ، ثبات الأحوال يوم القيامة حين يقال لأهل الجنة : لكم حياة بلا موت، ونعيم بلا بؤس، وشباب بلا هرم، وخلود بلا موت ، هناك ثبات الأحوال .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالموتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحاً إِلى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إِلى حُزْنِهِمْ». متفق عليه(١).

أما في الدنيا فالأحوال تتغير ابتلاء ، ورزقنا الله الأعمال الصالحة في الدنيا، لنتقرب إلى ربنا بما يحبه ويرضاه ، فالأعمال للنجاة، والأحوال للابتلاء ، فنترك الأحوال لله ، تغيير الأحوال بالأعمال ، إذا أرضيناه بالأعمال الصالحة غير أحوالنا من فقر إلى غنى ، من شرك إلى توحيد ، ومن ضلالة إلى هداية ، ومن جهل إلى علم ، ومن مرض إلى عافية ، ومن فقر إلى غنى ، وغير ذلك .

الذي بيده الأحوال، وبيده ملكوت كل شيء هو الله وحده ، نحن بأيدينا الأعمال .

فالمطلوب في الدنيا تثبيت الإيمان والتوحيد والأعمال الصالحة، ثم الله يغير أحوال المؤمنين إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف/ ٩٦] .

والله ﷻ أعطانا، وأمرنا أن نعطي ، وكلفنا بالأعمال التي ترضيه ، وتكفل بأرزاقنا وحده : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦ – ٥٨] .

وهذه صفات الواحد الأحد : أنه واحد في ملكه ، واحد في تدبيره ، واحد في إحسانه إلى خلقه جل جلاله ، فالتوحيد يصحب الخلق في أنفسهم، ويرون دلائله فيما هو محيط بهم من المخلوقات العجيبة، والآيات العظيمة، في السماوات والأرض : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس/ ٣١ – ٣٢] .

وشهادة التوحيد (لا إله إلا الله) أعظم شهادة شهد الله بها لنفسه ، وشهدت بها ملائكته ، وشهد بها أولو العلم من خلقه ، كما قال سبحانه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٥٠).

﴿إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران/ ١٨] .

والتوحيد والوحدانية من الحق العظيم الذي خلق الله به السماوات والأرض وما فيهن وما بينهن : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٣٩﴾ [الدخان/ ٣٨ - ٣٩] .

واعلم أخي المسلم أن الذي بيده الملك والخلق والأمر هو الله وحده لا شريك له ، والإنسان ببصره يرى ظلمة أقوياء يفعلون ما يقولون ، فيقتلون ويفسدون ويدمرون فيقول : أين الله من هؤلاء ؟ وأحيانًا يرى أفعال الله في مخلوقاته قوية ، من زلازل وبراكين وخسوفات وعواصف ، يراها جلية بينة فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، هو الذي جاء بالخسف والصواعق، والزلازل والبراكين : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود/ ١٠٢] .

وهؤلاء وهؤلاء كلهم جنود من جنود الله ، أرسلهم الله بحكمته ؛ ليربي ويؤدب بهم من عصاه، لعلهم يتوبون إليه : ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٤١﴾ [الروم/ ٤١].

والحياة لا تستقيم إلا بالعدل ، فإذا شاع الظلم بين الناس عاقب الله الظالم الصغير بالظالم الكبير رحمة به ليتوب إليه ، ثم انتقم من الظالم الكبير بعده، كما سلط الله فرعون على بني إسرائيل لعلهم يتوبون إلى الله، فلما آمنوا أغرق الله فرعون وجنوده في البحر .

فهؤلاء الظلمة الكبار عصي بيد الله ، ينتقم بهم، ثم ينتقم منهم .

لماذا ينتقم منهم ؟ ليعدل الناس مسارهم إلى ربهم، ويصفوا توحيدهم ، فلا يليق بالله جل جلاله أن ينصر من أصر على معصيته وامتثل أمر غيره في ملكه ، لا بد أن يؤدبه ويربيه ، فإذا صفا توحيده، وصحت أعماله، وحسنت أخلاقه، واصطلح مع ربه ؛ الله ينصره ثم يهلك من تسلط عليه كما فعل بفرعون وجنوده : ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ٥٥﴾ [الزخرف/ ٥٥].

فدائمًا بعد كل محنة منحة من ربنا ﷻ : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦] .

وهذا الذي يحصل في العالم من ظلم الكبير للصغير ، واستعباد القوي للضعيف، ومن القتل وسفك الدماء كما نراه حاصلًا الآن ، هذا وهذا كله امتحان لضعاف الإيمان الذين يتأثرون بفعل المخلوقات، ولا يرون فِعل الله في مخلوقاته ؛ لأن الله في كل الأحوال هو الفعال وحده لا شريك ، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ، وعدل وإحسان .

وجميع المخلوقات عصي بيد الله يؤدب بها من يشاء، ويبتلي بها من يشاء، ويرسلها على من يشاء، ويهلك بها من يشاء، وينصر بها من يشاء : ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦] .

والله ﷻ بيده مقاليد الأمور كلها، فإذا صادفنا شرورًا من جهة المخلوقات تضرعنا إلى من أرسلها ليرفعها عنا كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام/ ٤٢ - ٤٣] .

وقال سبحانه عن فرعون وقومه: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٣٢ – ١٣٣] .

فيجري في الكون مصائب عظيمة ، يجري في الكون أحوال شديدة ، كما حصل في تسونامي الذي حصل في إندونيسيا ، وكما حصل في زماننا من تسلط الأعداء، وسفك دماء المسلمين وحصلت أمور عظيمة خفية لا يعلمها أكثر الخلق ، ومن رحمة الله ﷻ إذا لم ينتقم الناس بالجهاد في سبيل الله، ونصرة المظلوم ، الله ينتقم بآياته الكونية ، من زلزال في ثوانٍ معدودة يدمر بلدًا كاملًا ، أو خسفًا يبتلع دولة كاملة أو مدينة كاملة ، إذا لم ينتقم الناس بالدين ، بالشريعة ، بامتثال الأوامر الشرعية ، بالجهاد في سبيل الله ؛ انتقم الله بآية كونية، لئلا يفشو الظلم في الأمة، فتصعب عليهم الحياة .

فإذا أصابتنا هذه الشرور نتوجه إلى ربنا ليرفعها : ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام/ ٤٣] .

فسبحان من يسلط أولياءه على أعدائه ، أو يسلط أعداءه على أوليائه ، ثم يجعل العاقبة للمتقين ؛ لأن بيده كل شيء وحده ، هو الفعال لما يشاء وحده ، الخلق

والأمر كله له وحده : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [الزمر/ ٦٢] .

الأمور كلها بيد الواحد الأحد: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٧ ، ١٨] .

فسبحان من يعلم أنه واحد ، ويعلمنا أنه واحد ، ويأمرنا أن نعلم أنه واحد : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩] .

فإذا آمنت بالواحد أغناك عن كل واحد ، وتركت ما سواه من كل واحد : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر/ ٦٥].

بنو إسرائيل لما نقضوا العهد، وقتلوا الأنبياء، سلط الله عليهم فرعون ليتوبوا ، فلما اشتد طغيان فرعون أرسل الله إليه موسى ﷺ ، فلما أصر فرعون على كفره وظلمه أغرقه الله وجنوده وجعلهم عبرة لكل ظالم : ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ٥٦﴾ [الزخرف/ ٥٤-٥٦] .

فبنو إسرائيل لما أعرضوا عن الدين ، الله ﷻ سلط عليهم فرعون، ليرجعوا إلى ربهم ، ثم لما زاد فرعون في طغيانه وظلمه أرسل الله إليه موسى فدعاه إلى الله فلم يستجب ، فالله ﷻ أخذه أخذ عزيز مقتدر ، فخرج موسى مع بني إسرائيل الذين آمنوا به ، خرج بهم من مصر وتبعه فرعون، فوقفوا أمام البحر ، وبأمر واحد، في وقت واحد، في بحر واحد جاءت قوة الواحد الأحد ، فأنجى موسى ومن آمن به، وأغرق فرعون وجنوده : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨ ﴾ [الشعراء/ ٦١ -٦٨] .

فهؤلاء يقينهم على المشاهدات لا على الغيبيات ، والمؤمن يقينه على الله ، والله

غيب : ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء/ ٦١] .
البحر أمامنا، والعدو وراءنا، وعن يميننا وشمالنا جبلان عظيمان ، فقال موسى : ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء/ ٦٢] .
فقال الواحد القهار : ﴿أَضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الشعراء/ ٦٣] .
فلما ضرب البحر انفتح اثنا عشر طريقاً يابساً : ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء/ ٦٣] .
فدخل موسى ومن معه، وتبعهم فرعون ومن معه ، فلما خرج موسى أراد أن يضرب البحر ، فقال الله له : ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الدخان/ ٢٤] .
ولما استكمل موسى ومن معه خارجين من البحر، واستكمل فرعون ومن معه داخلين في البحر، انطبق البحر على فرعون وجنوده وغرقوا، ورفع الله فرعون على ظهر البحر، ليكون عبرة لمن خلفه، وأن يُرى هذا الذي يقول : ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات/ ٢٤] .
ويقول : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص/ ٣٨] .
إنه الآن فوق سطح البحر ميتاً ، بأمر الواحد ، في وقت واحد ، في بحر واحد، أنجى الله موسى ومن معه، وأغرق فرعون ومن معه : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر/ ٥١].
فهذه قدرة الواحد الأحد ، هذا هو الإله العظيم الذي يجب أن نعبده ، وكل الأوامر، وجميع العبادات والطاعات، وكل ما في الكون، من أجل أن نصل إلى الواحد الأحد ، فإذا وصلنا إلى الواحد الأحد، وعرفنا الواحد الأحد، امتثلنا أمرًا واحدًا وأطعنا ربًا واحدًا، وأطعنا رسولًا واحدًا، واتبعنا كتابًا واحدًا ، وعبدنا إلهًا واحدًا ، فتكون علاقتنا بهذا الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة/ ١٦٣] .
فسبحان الله ، ما أعظم بيان أسماء الله وصفاته وأفعاله في الملك والملكوت ، وفي الآيات الكونية، وفي الآيات الشرعية ، والإنسان الله ﷻ أعطاه سمعًا وبصرًا وعقلًا ، وأمره بالتفكر والنظر في الملك والملكوت، في الآيات الشرعية، ليصل إلى اليقين الذي يعبد به ربه : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨] .

فاعلم علم اليقين أن جميع مجاري حكمة الله في الدنيا والآخرة جارية على سنن الواحد الأحد ، على سنن الواحد القهار ، في دوائر محكمة ، وعلى ذلك أحكم الله خلقه وأمره في السماء والأرض ، وما عليهما، وما فيهما، وما بينهما : ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾[الزمر/ ٤] .

ما دام واحدًا لا بد يكون قهارًا ، وما دام قهارًا لا بد يكون واحدًا ، القهار قهر كل واحد ، والواحد قاهر كل قاهر ، هو واحد قاهر لكل قاهر ، واحد قاهر ، وقهار واحد ، اسمان متلازمان .

فسير بوحدانيته وبقدرته وقهره الشمس والقمر ، الشمس تجري بأمر واحد ، والقمر يجري بأمر واحد ، والنجوم تجري بأمر واحد .

وأرسل الرياح بأمر واحد ، وأنزل الغيث بأمر واحد ، وأجرى الأنهار بأمر واحد ، وسخر البحار بأمر واحد ، وأرسى الجبال بأمر واحد ، وفجر العيون بأمر واحد ، وأنبت النبات بأمر واحد ، وسخر الليل والنهار بأمر واحد ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه، وأعقب الحر بالبرد بأمر واحد ، وأعقب النور بالظلام بأمر واحد ؛ كل ذلك فعل الواحد القهار : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ۝٦٦﴾[ص/ ٦٥ - ٦٦] .

فكل مخلوق، وكل أمر، وكل تدبير، إنما صدر عن أمر الواحد الأحد وحده لا شريك له ، من كبير وصغير ، وعالٍ وسافل ، وظاهر وباطن ، ومتحرك وساكن ، كل المخلوقات خلقت بأمر واحد أحد ، لو كان الخالق اثنان لاختلفا في الحجم واللون ، والتصوير، هذا يخلق هذا بصفة كذا وهذا بصفة كذا ، لكن كل الأمر صادر عن واحد، وعن قهار ، واحد أحد : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢﴾[الأنبياء/ ٢٢] .

فسبحان من إليه وحده يُرجع الأمر كله ، وإليه تصير الأمور كلها : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣﴾[هود/ ١٢٣] .

فلا إله إلا الله وحده ، كل سورة في القرآن، وكل آية في القرآن، وكل ذرة في الكون، داعية إلى توحيد الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشاهدة بوحدانيته ، وداعية إلى عبادته وحده لا شريك له : ﴿هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ

﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم/ ٥٢] .

هذا الكتاب بلاغ للناس ولينذروا به ، لماذا ؟ ليعلموا أنما هو إله واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته ، لا شريك له في العبادة ، لا شريك له في دينه، وفي خلقه وأمره : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠] .

- **هذا القرآن العظيم تبيان لكل شيء، والقرآن كله أخبار وأوامر:**

فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ فهذا هو التوحيد العلمي الخبري ، وهذا هو أعظم شيء : أن يعرف الإنسان من هو الرب الواحد الأحد ، الخالق الرازق، الحي القيوم ، الملك القادر، الغفور الرحيم، أن يعرف التوحيد العلمي الخبري ؛ لأن التوحيد العملي، الذي هو توحيد العبادة مبني على هذه المعرفة ، فلا تعبُّد إلا بعد معرفة الرب الخالق جل جلاله، وما يستحق من العبادة ، أما كيفية العبادة فنأخذها من حياة النبي ﷺ .

وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع كل ما يُعبد من دونه ؛ فهذا هو التوحيد العملي الإرادي الطلبي ، وهذا يأتي بعد معرفة التوحيد العلمي الخبري : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢] .

وبعد هذه المعرفة نحبه ونعظمه ؛ ونحمده ونشكره، ونطيعه ونعبده لأنه ملك كريم، لأنه خالق عظيم ، ونعظم أمره فنعبده بما يحب ويرضى ، ما الذي يحبه ويرضاه ؟ ما جاء به رسوله ﷺ : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران/ ٣١] .

وكذلك القرآن إما خبر عن إكرام الله لأهل توحيده وعبادته في الدنيا والآخرة ؛ فهذا جزاء أهل توحيده ، كما أن الله ﷻ ذكر لأهل التوحيد الأمن في الدنيا، والهداية، والخلافة في الأرض ، وفي الآخرة لهم من النعم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠ – ٣٢] .

وإما خبر عن عذاب أهل الشرك في الدنيا والآخرة ؛ فهذا خبر عمن خرج عن حكم التوحيد : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ ﴾ [النساء/ ٥٦] .
والله ﷻ، أرسل رسله إلى الناس، ليعبدوا الله وحده : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾ [النحل/ ٣٦] .
فلا إله إلا الله ، كم امتلأت قلوب الأنبياء بصفاء التوحيد، وعظمة الله، ومحبة الله، وما يجب له من الحمد، وما يستحقه من العبادة : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .
فسبحان من نزل القرآن تبيانًا لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى بكل خير : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾ [النحل/ ٨٩] .
فلننظر ، لينظر الإنسان إلى ملكوت السماوات والأرض ، فسيرى ببصره، ويعرف ببصيرته، أن خالقها واحد لا شريك له ، فليعبده وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

لا إله إلا هو حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولينظر الإنسان إلى نفسه مِمَّ خُلق، ثم كيف صار ؛ ليرى عجائب صُنع ربه الواحد الأحد في قطرة ماء مهين، من جزء من مليون جزء من ماء مهين : ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ ﴾ [الذاريات/ ٢٠ – ٢٢] .
وأين يُصنَّع هذا الإنسان ؟ يصنعه الله في الظلمات ، أرأيتم صنعة تُصنع في الظلمات ؟ ! جميع مصانع الدنيا تضاء بالأنوار، حتى الناس يعرفون يركبون هذا على هذا، وهذا يكون لهذا ، هذا الإنسان خُلق في الظلمات : ﴿ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦ ﴾ [الزمر/ ٦] .
فسبحان الخلاق العليم الذي يخلق هذه المخلوقات في هذه الأرحام ، كم يخلق من مليارات المخلوقات في ظاهر وباطن الأرض ، وكم يخلق من مليارات الكلمات في باطن اللسان ، وكم يخلق من مليارات المخلوقات في باطن الإناث من الإنسان

والحيوان : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الطارق/ ٥-١٠] .

فسبحان الله ، ما أعظم دلائل التوحيد التي بسطها في هذا الكون ، وسبحان من بسط دلائل التوحيد وعظمته في ملكوت السماوات الأرض، ودعانا للاعتبار لها ، وأعطانا الأبصار والبصائر التي نعرف الله بها : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

فنتفكر في مخلوقات ربنا الواحد الأحد ، وننظر إلى عالم النبات والشجر وغيرها من المخلوقات ؛ نجدها أممًا وقبائل مختلفة الأشكال، والألوان، والأحجام، والطعوم والثمار، والأعمار، والمنافع، وكلها تشهد بأن خالقها ومبدعها واحد لا شريك له : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [النحل/ ١٠ - ١١] .

ثم انظر رحمك الله كيف يعود كل نبات وحيوان وإنسان إلى أصل واحد ، فالبشرية كلها تعود إلى أصل واحد : هو آدم ﷺ ، وكل نوع من الحيوان يعود إلى أصل واحد ، وكل نوع من النبات يعود إلى أصل واحد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء/ ١] .

فسبحان من خلق هذه الأصول ثم أتبعها بالفروع واحدًا تلو الآخر ، فكلنا موجودون في صلب أبينا آدم ، ثم نخرج فرداً فرداً، وقرناً بعد قرن، وأمة بعد أمة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

وكل هذه المخلوقات تشهد بأن خالقها هو ربنا الواحد الأحد لا شريك له، الذي له الملك والخلق والأمر وحده لا شريك له : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١١] .

فسبحان من خلق هذه العوالم والأمم والقبائل التي لا يحصيها ولا يعلمها إلا هو ،

وجعل نسلها وتكاثرها مستمرًّا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس/ ٣] .

نحمد الله جل جلاله على ما أحيانا وهدانا، ومَنَّ علينا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، ومَنَّ علينا بهذه اللقاءات المباركة التي نعرف فيها ربنا ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونتعرف على ما يحبه ويرضاه من أحكام دينه، ومن ثوابه وعقابه : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[الحديد/ ٢١] .

- **فالله ﷻ كريم ورءوف بالعباد ، أنعم علينا بثلاث نعم أساسية :**

أولها : نعمة الخلق والإيجاد .

والثانية : نعمة القوت والإمداد .

والثالثة : نعمة الهداية والإسعاد .

فهذه النعم الله ﷻ تكرم بها على الإنسان : الخلق والإيجاد نعمة من رب العالمين ، وأن أمدنا بالأقوات من طعام وشراب هذه نعمة فوق الخلق والإيجاد ، وأن هدانا للدين من بين سائر الناس هذه نعمة كبرى : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

[آل عمران/ ٧٣ – ٧٤] .

فلله الحمد على كمال نعمه وإحسانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة/ ٣] .

فكما أكرمنا الله بالأولى خلقًا، وأسعدنا بالثانية قوتًا ، كذلك لا بد أن نقبل النعمة الكبرى، والتي خُلق من أجلها الخلق ، وهي نعمة الهداية إلى الطريق المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم .

بعض القلوب شهواتها في الزينات وألوان الجمال ، وبعض القلوب شهواتها في معرفة المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وبعض القلوب ترغب في الجنة، وما فيها من ألوان النعيم واللذات، والمأكولات والمشروبات، وغيرها من ألوان النعيم ، وبعض القلوب تخاف من النار وما فيها من عذاب السعير، والعذاب الأليم، في نار جهنم ، ولكن الله ﷻ يريد من عبده أن يعمل عملًا له خالصاً، ولا يشرك في عبادة ربه أحدًا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

[الكهف/ ١١٠].

والعمل الصالح هو الموافق للسنة، نعبد الله به، لأنه أهل أن يعبد، وأهل أن يكبر، وأهل أن يشكر، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة.

ثم هو كريم ، يعطي على الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ويعطي يوم القيامة الجنة ، ويعطي في الجنة ألوان النعيم ، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧].

فنحن نعيش في جنة المعرفة في هذه الدنيا ، ويوم القيامة ندخل بفضل الله ورحمته جنة الآخرة ، وأعظم نعيم في جنة الآخرة هو رضوان الرب، ورؤيته، وسماع كلامه، والقرب منه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٢].

فلا أعبد الله حق عبادته حتى أتعرف عليه ، أعرف من هو بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فهو جل جلاله الواحد القهار، الرحمان الرحيم، الواحد الأحد ، أتعرف على هذا الاسم العظيم ، وأعبد الواحد الأحد ، وأتصل بالواحد الأحد ، وأقطع علاقتي مع كل أحد ، إلا في ثلاثة أمور :

دعوة كل أحد إلى دين الله.. وتعليم كل أحد شرع الله.. والإحسان إلى كل أحد .

هذه النية عظيمة ، ولكن الإنسان لا يستطيع أن يمر على كل الناس ، ولكن ينوي النية الكبيرة ، فالله يعطي على النية، لا فقط على قدر العمل ؛ بل العمل روحه النية .

قال النبي ﷺ : «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وإنما لكل امرئٍ ما نوى**» متفق عليه (١).

فننوي هداية البشرية ، وننوي هداية أنفسنا ، وأن ندعو كل كافر ، وأن نعلم كل جاهل ، وأن نحسن إلى كل مسكين ، هذه الأصول عظيمة ، إذا عرفها الإنسان تلذذ بها وصرف فيها أوقاته في ليله ونهاره .

فالله ﷻ جعل القلوب محل الإيمان ومحل معرفته ، وجعل المعدة محل الطعام والشراب ، وجعل العقول محل المعلومات ، فهذا القلب لا بد من ملئه بأعظم شيء ، وأعظم شيء هو معرفة الرب المعبود بأسمائه وصفاته، حتى تأتي العبودية

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ١، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٩٠٧ .

الكاملة بالحب والتعظيم والذل لربنا ﷻ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

ربنا ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، وهو الواحد القهار وحده لا شريك له ، هو القاهر فوق عباده ، العالي بذاته وأسمائه وصفاته على كل ما سواه .

هو قاهر العدم بالإيجاد، وقاهر الموجود بالعدم ، وقاهر النور بالظلام، وقاهر الظلام بالنور ، وقاهر الليل بالنهار، وقاهر النهار بالليل ، وقاهر الأحياء بالموت ، وقاهر الأرواح في الأجساد ، وقاهر النجوم على مسار معين ، وقاهر الشمس على هذا النور ، وقاهر كل شيء جل جلاله : ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤].

فإذا عرفته اطمأن القلب بهذه المعرفة ، وعرف أن ربه عظيم ، وأنه واحد أحد لا شريك له ، وعبده بموجب هذه المعرفة : ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر/ ١١ – ١٢].

والله ﷻ لا بد أن نعرف مَن هو بأسمائه وصفاته ، حتى يتغذى القلب بهذه المعرفة ، ثم يُقبل على طاعة ربه ، ويوحد ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله .

هذه المعرفة أعظم المعارف ، وهي أول درس وآخر درس ، يستمر مع المسلم من حين يعقل إلى أن يموت ، وهو معه التوحيد ؛ إذ كل عمل لا بد له من روح ، وروح كل عمل هو التوحيد ، فالله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه ، لنعبده وحده لا شريك له، فقال: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

فاستغفر لذنبك من جهلك بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وجهلك بدينه وشرعه ، وجهلك بوعده ووعيده ، استغفر لذنبك وللمؤمنين الذين لم يعلموا بسببي ؛ لأن الله وكلني بنشر الهداية، وتعليم الناس ، ولكني قصرت فلم أتعلم، وقصرت فلم أُعلم .

فما أجهلنا بربنا الواحد الأحد: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

فالله ﷻ يريد أن يوحَّد ، خلق هذا الكون من أجل التوحيد ، من أجل أن نوحده جل جلاله في كل شيء ، فالتوحيد هو إفراد الله ﷻ بما يختص به، وما يجب له ، فما يختص بالله أن يعتقد المسلم أن الله واحد لا شريك له، ولا مثيل له، في ذاته وأسمائه

وصفاته وأفعاله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص] .

وما يجب له التوحيد والإيمان ، وعبادته وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧﴾ [الحج/ ٧٧] .

- **والتوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب قسمان :**

القسم الأول: توحيد المعرفة والإثبات ، وهو توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ، فنُثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه أوأثبته له رسوله، من الأسماء والصفات والأفعال ، على ما يليق بجلاله ؛ إثباتًا بلا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ ، على حد قوله سبحانه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى/ ١١] .

فهذا التوحيد يسمى توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد المعرفة والإثبات، أما الإثبات أن يثبت العبد لله وجهًا ويدًا وأعيناً ، ولكن ليس كوجه المخلوق، ويد المخلوق، وعين المخلوق ، نرد المحكم إلى المتشابه ، الله ﷻ له وجه وله يد ، ونثبت له صفة العين وغيرها من الصفات التي اتصف بها جل جلاله ، ولكنْ إثبات على حد قوله ﷻ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى/ ١١] .

ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

كلام الإنسان يحتاج إلى فم ولسان ، ولكن الله ﷻ يتكلم بما شاء، كيف شاء، في أي وقت شاء على ما يليق بجلاله .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى/ ١١].

في كلامه، ولا في خلقه، ولا في تدبيره، ولا في أسمائه وصفاته ، ولا في فعله : هو ينزل من العرش إلى السماء الدنيا، ليتقرب إلى عباده ، كيفية نزوله ليست كنزول المخلوق ؛ لأن المخلوق إذا نزل من أعلى إلى أسفل فرغ أحد المكانين ، يفرغ الأعلى إذا كان في الأسفل ، لكن الله ﷻ مستو على عرشه، وهو ينزل إلى السماء الدنيا نزولًا يليق بجلاله على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى/ ١١] .

فالنزول فعل من أفعال الله نرده إلى المحكم .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى/ ١١] .

فا الله وأحد أحد، ليس كمثله أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص] .

وبهذا نسلم من التشبيه والتمثيل، والتكييف والتعطيل .

القسم الثاني : توحيد القصد والطلب فإذا عرفت ربي بأسمائه وصفاته توجهت إليه وقصدته ؛ لأني عرفته، وعرفت كماله ، فلا بد أن أتوجه إليه .

توحيد القصد والطلب هو إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة التي شرعها : كالدعاء، والصلاة، والتوكل، والمحبة، والخوف، والرجاء، والاستعانة وغير ذلك من أنواع العبادة ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة/ ٥] .

إخلاص العبادة لله وحده هذا هو التوحيد القصدي الطلبي ، فالله وحده هو الحق المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، ومن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغيره فهو مشرك كافر حبط عمله : ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر/ ٦٥ – ٦٦].

فكل من عبد مع الله غيره فهو مشرك كافر: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١١٧﴾ [المؤمنون/ ١١٧] .

ويسمى هذا التوحيد : توحيد الألوهية، وتوحيد العبادة، وتوحيد الرب بأفعال العباد من صلاة ودعاء وغيرها .

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات مستلزم لتوحيد الألوهية والعبادة ، لماذا ؟ لأن من أقر بأن الله وحده هو الرب الخالق الرازق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، لزمه أن يقر بأنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له ؛ لأنه هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله جل جلاله ، فلا يدعو إلا الله وحده، ولا يستغيث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا منه، ولا يرجو إلا إياه وهكذا .

فلا بد أن يعرف القلب أن ربه جل جلاله هو الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس/ ٣] .

وتوحيد الألوهية كذلك مستلزم لتوحيد الربوبية ، فكل من عبد الله وحده دون سواه

لا بد أن يكون قد اعتقد بقلبه، وعلم أن الله وحده ربه وخالقه ورازقه ومالكه، ورب كل شيء : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥] .

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات هو الأصل ؛ إذ لا بد لكل عبد أن يعرف معبوده بأسمائه وصفاته وأفعاله قبل العبادة ، فأولًا لا بد أن أعرف الجهة، ثم أتوجه إلى الجهة ، لا بد أن أعرف أن لله بيتًا في مكة، وأن أعرف جهة هذا البيت، لأتوجه إليه ، لا بد أن أعرف أن لله أمرًا في الصلاة أو الصيام أو الزكاة، ثم أتوجه إليه في هذا العمل متقربًا به إليه، فالعمل يصدر من العبد الفقير الضعيف العاجز ، إلى الرب الغني القادر الحكيم جل جلاله : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

ولا يغلط أو يُقصر في توحيد الألوهية والعبادة إلا مَن لم يعط توحيد الربوبية حقه من المعرفة واليقين ، بل توحيد العبادة هو ثمرة توحيد الربوبية ، بل أعظم ثمار توحيد الربوبية هو توحيد العبادة أو توحيد الألوهية ، فتوحيد العبادة من أعظم ثمار توحيد الربوبية الذي هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله .

وما وقع الشرك في توحيد العبادة إلا بسبب الجهل بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ، ما وقع الشرك في توحيد العبادة إلا بسبب الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولهذا الله ﷻ أمرنا بمعرفته ، ودوام الذكر له، والدعاء، وحسن العبادة، والصبر، والتوكل، والخوف والرجاء والمحبة وكل ذلك وغيره من نتائج ثمار توحيد الربوبية .

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩] .

ولهذا التوحيد لا بد أن يكون صافيًا ، فيدنسه أدنى شيء ، حتى المعصية تدنسه ؛ لأن المعصية هذه طاعة لغيره ؛ طاعة الهوى، والانصراف عن الهدى إلى الهوى ، يذهب التوحيد ويخدش التوحيد، لا بد من المحافظة عليه ؛ لأنه أصفى شيء، ولا بد أن يكون صافيًا .

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠] .

فنحفظه مما يدنسه أو يشينه أو ينقصه ؛ لأن الله أغنى الشركاء عن الشرك .

قال ﷻ في الحديث القدسي: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» أخرجه مسلم [(١)].

فالله غني ، إنما أنا الفقير الذي أحتاج إليه ، أحتاج إليه في خلقي، وفي إمدادي، وفي بقائي في هذه الحياة ، فأنا عبد محتاج إلى ربي ، والحمد لله الذي جعلنا فقراء إليه في خلقنا، وفي طعامنا، وفي شرابنا، وفي نومنا، وفي كل حالة من حالاتنا ، جعلنا فقراء إلى الغني ، وجعلنا ضعفاء أمام القوي ، وجعلنا أذلة أمام العزيز ، وصغارًا أمام الكبير ؛ حتى نتوجه إليه، ولا نلتفت إلى غيره ممن هو مثلنا، أو من هو دوننا من الأشخاص والأحجار والأصنام وغيرها .

وتوحيد الربوبية مركوز في الفطر ولكنه يحتاج إلى سقي بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم/ ٣٠] .

أن كل إنسان يعلم أن ربه هو الله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ ﴾[الأعراف/ ١٧٢] .

ولكن الله مَنَّ علينا فأرسل الرسل، وأنزل الكتب، لتحريك هذه الفطرة وترقيتها ، وليزيد الإيمان بالنظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾[الغاشية/ ٢١] .

ذكر بالعهد الأول، الست بربكم قالوا بلى، إنما أنت مذكر بذلك .

ثم نسقي هذه الفطرة بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات القرآنية ، فيزيد إيماننا، وتزيد أعمالنا، وتصلح أحوالنا: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس/ ١٠١] .

توحيد الربوبية بفضل الله مركوز في الفطر ، ولهذا أقر بها أكثر الخلق ، لماذا ؟ لشدة ظهوره ، ولم ينكره إلا شواذ الخلق في الظاهر لا في الباطن ، كما أخبر الله عن فرعون أنه قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾[النازعات/ ٢٤ - ٢٥] .

أو كما قال سبحانه عنه أنه قال : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[القصص/ ٣٨] .

ولهذا أنكرت الرسل على من أنكر وجحد وجود الرب جل جلاله ؛ لأن وجود الله ﷻ أبين وأظهر وأوضح من ملايين الشموس التي لا تخفى إلا على الأعمى:

---

(١) أخرجه مسلم برقم/ ٢٩٨٥.

﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[إبراهيم/ ١٠] .

وتوحيد العبادة أو توحيد الألوهية كَفر به وجحده أكثر الخلق ؛ لأن الشياطين صرفت الناس واجتالتهم عن دين رب العالمين، وعن معرفة الله بأسمائه وصفاته ، ودعتهم إلى عبادة غير الله ؛ لأنهم لم يعرفوه ، ولو عرفوه ما انصرفوا إلى غيره .

من عرف الغني سبحانه لم يذهب إلى الفقير ، ومن عرف الكبير لم يذهب إلى الصغير ، ومن عرف الخالق لم يذهب إلى المخلوق ، فلا بد من معرفة الإله ﷻ حتى يأتي الوجل في القلب ، وجل من الله العزيز الجبار ، وجل عند تلاوة كتابه ، وجل عند النظر في ملكوته ، والقلب إذا وجل تحرك بالعمل الذي يُرضي ربه ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال/ ٢ – ٤] .

ومن أجل هذا ، من أجل الشرك في توحيد العبادة بسبب الجهل بمعرفة توحيد الربوبية ، من أجل هذا أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه ؛ ببيان أسماء الله وصفاته وأفعاله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل/ ٣٦] .

نسير في الأرض لنرى الآيات الكونية ، ونسير في الأرض لنرى مصارع الظالمين من قوم نوح وقوم عاد وقوم هود وقوم صالح، وفرعون وقومه وغيرهم من الأمم، نسير في الأرض لننظر كيف كان عاقبة الظالمين كما قال سبحانه : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت/ ٤٠] .

وتوحيد الربوبية هو أساس توحيد الألوهية ، وهو الذي يجب أن نصرف له الوقت الكثير، لنتعرف على الله ، وبقدر معرفة الرب تكون قوة العبادة والتعبد، وقوة الامتثال لأوامر الله، وقوة الحب لله، والتعظيم له، والذل له ، ولهذا توحيد الربوبية هو الذي

يبني عليه توحيد الألوهية لماذا ؟ لأنه لابد من معرفة الإله الذي أعبد ، وإذا عرفت ربي آمنت به، وأحببته، وعظمته من دون غيره ، وتعلقت به وانصرفت عن غيره : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

ولكن توحيد الربوبية لا يكفي للدخول في الإسلام حتى يقترن به توحيد العبادة ؛ لأن توحيد الربوبية ظاهر جدًّا ، بين لا يكاد ينكره أحد ، لكن لا بد من علامة عليه ، علامة توحيد الربوبية الموجود في القلب هو توحيد العبادة ، امتثال الأمر بعد معرفة الآمر .

فلا يكفي توحيد الربوبية للدخول في الإسلام حتى يقترن به توحيد العبادة ، فهما متلازمان في حياة كل مسلم ، هذا مبني على هذا، ولا يقبل هذا إلا بهذا، ولا يصلح عمل إلا بهذا وهذا .

فمن عرف ربه آمن به، ومن عرف العظيم عظمه، ومن عرف الكبيرة كبره، ومن عرف الجبار خضع له، ومن عرف الكريم أحبه، ومن الغني سأله، ومن عرف الملك أطاعه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩] .

فالإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله ، أستسلم لله بالتوحيد، ثم أبادر إلى العمل بالطاعات فعلًا ؛ فعل الأوامر، واجتناب النواهي ، ثم أتبرأ ممن سوى الله ﷻ ، فمن استسلم لله وحده فهو مسلم ، ومن استسلم لله ولغيره فهو مشرك جعل مع الله شريكًا، سواء في العبادة، أو كان في الخلق والتدبير ، ولكن هذا قليل جدًّا في الأمة ، إنما الشرك وقع في العبادة .

ومن لم يستسلم لله فهو كافر مستكبر ، والله ﷻ أرسل الرسل، ليأمروا الناس بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل/ ٣٦] .

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾[الكهف/ ١١٠] .

لا يشرك بربه أحدًا ، سواء كان من نعيم أو من طعام أو من أي مطلب ، لا يشرك بعبادة ربه أحدًا من خلقه .

ومن استسلم لله ظاهرًا وباطنًا فهو مؤمن ، ومن كفر بالله ظاهرًا وباطنًا فهو كافر ، ومن أسلم ظاهرًا وكفر باطنًا فهو منافق ، أخطر من الكافر وأشد عذابًا منه : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء/ ١٤٥] .

والكفر أعظم من الشرك ، لماذا ؟ لأنه جحد للرب بالكلية ، والشرك أخف منه ؛ لأنه تنقصٌ للرب ، وكل منهما يطلق على الآخر ، وكل منهما نجس وقبيح ، وكل منهما ظلم كبير وعظيم ، وكل منهما في النار ، وأهلهما مخلدون في النار كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب/ ٦٤- ٦٥] .

وقال سبحانه : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة/ ٧٢] .

فالحمد لله رب العالمين أن جعلنا من أهل التوحيد ، وأهل التوحيد كلهم في الجنة ، لكنهم على ثلاثة أقسام :

منهم ظالم لنفسه.. ومنهم مقتصد.. ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله .

وكل هؤلاء مآلهم إلى الجنة : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٤] .

فالظالم لنفسه : إما أن يعفو الله عنه، أو يدخله النار حتى يتطهر، ثم يدخل الجنة .

ومنهم المقتصد : يفعل الأوامر، ويجتنب النواهي ، ويفعل الواجبات من دون المستحبات ، ويجتنب المحرمات من دون المكروهات .

ومنهم سابق بالخيرات : له في كل وادٍ راية ، سابق في كل شيء ، يكون أولًا في الدعوة ، أولًا في العبادة ، أولًا في التعليم ، أولًا في صلة الرحم ، أولًا في الإحسان إلى الخلق ، أولًا في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة للمسلمين ، أولًا في الجهاد ، أولًا في امتثال أوامر الله ، هذا هو السابق، بالخيرات، يسعى ليكون الأول في كل عمل صالح : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-١٢] .

هؤلاء هم ورثة الأنبياء والرسل، ومن لم يقم بهذا وهذا فليس من ورثة الأنبياء والرسل في الأمة نائب النبي ﷺ في أمته في التوحيد والإيمان والعبادة على حد سواء: ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ ﴾ [آل عمران/ ٢٠] .

وكذلك هم في الدعوة على حد سواء : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

فالعبادة والدعوة فرض عين على كل مسلم ومسلمة، والنجاة من الخسار لا تكون إلا بهما : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾ [العصر/ ١ -٣] .

فمن قام بالعمل الأول الذي هو: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[العصر/ ٣] .

فسوف يأخذ أجر هذا ، ولكن سيحاسب على ترك العمل الآخر : ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾[العصر/ ٣] .

الدعوة وظيفة الأمة كلها : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

الدعوة أمر الله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[النحل/ ١٢٥] .

والعبادة أمر الله : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ﴾ [البقرة/ ٤٣] .

والعبادة عمل الأمة كلها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ ﴾ [الحج/ ٧٧] .

فالدعوة لها كل الوقت ، وبقية الأعمال لها بعض الوقت ، فالصلاة ساعة من أربع وعشرين ساعة ، والصوم شهر من السنة ، والحج مرة في العمر ، والزكاة تجب على من ملك النصاب .

فالحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ملء السماء وملء الأرض ، أن مَنَّ علينا بأن جعلنا من أمة محمد ﷺ ، ومَنَّ علينا بأن جعلنا من أهل السنة والجماعة ، نعبد الله ﷻ ، ونوحده بأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته .

فالتوحيد أساس الدين، وأصل كل شيء .

وكمال التوحيد لا يتم ولا يكون إلا بعبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه كما قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[النحل/ ٣٦] .

• **والتوحيد يقوم على أصلين عظيمين :**

شهادة أن لا إله إلا الله .. وشهادة أن محمدًا رسول الله .

نوحد الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونوحد رسوله بالإتباع .

شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي من العبد ما يلي :

أن يحب الله ، ويحب ما يحبه الله ويفعله ، ويبغض ما يبغضه الله ويتركه ، ولا يحب إلا في الله ولا يبغض إلا في الله ، ولا يعطي إلا لله ولا يمنع إلا لله ، ولا يرضي إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يسأل إلا الله، ولا يعبد إلا الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧] .

أما شهادة أن محمدًا رسول الله، وتوحيد الرسول ﷺ بالإتباع ، فهو يقتضي من العبد ما يلي :

طاعة الرسول ﷺ فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يُعبد الله إلا بما شرع ، وأن نحبه ونوقره ﷺ ، ونبلغ ما جاء به للناس كافة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

فالتوحيد من أعظم ما مَنَّ الله به على عباده ، ولهذا هو مركوز في كل فطرة ، في كل إنسان ؛ بل في كل مخلوق ، بل في كل جماد ، بل في كل ذرة : ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤﴾ [البقرة/ ٧٤] .

فالتوحيد مركوز وموجود في كل مخلوق ، كل ذرة في الكون دالة على وحدانية الله ، ودالة على جلاله ، ودالة على جماله .

فالتوحيد والإيمان أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده ، والتوحيد كرامة خاصة من رب العالمين، يؤتيه الله من يعلم أنه يصلح، ويزكو به ، ويمنعه من يعلم أنه لا يصلح له، ولا يزكو به : ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ [الأنعام/ ٥٣] .

فسبحان من يعلم هذا وهذا ، فيعطي هذا ، ويمنع هذا ، لكمال علمه بخلقه : ﴿مَن

﴿يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ [الأنعام/ ٣٩] .

والتوحيد به صلاح القلوب والأبدان ، وصلاح الأقوال والأعمال ، وصلاح الدنيا والآخرة ، فالقلب إذا صلح بالمعرفة والتوحيد والإيمان صلح الجسد كله بالطاعة والتسليم لرب العالمين ، ثم صلح حال هذا العبد ظاهرًا وباطنًا ، فرضي الله عنه وأسعده في دنياه وأخراه : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس/ ٦٢-٦٤] .

وإذا فسد القلب بالجهل والشرك والكبر فسد الجسد كله بالمعاصي والطغيان ، بل فسد الكون، والله لا يحب الفساد ولا المفسدين، ولا يقر ذلك، لأن الحياة تصعب مع الفساد : ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦﴾ [القصص/ ٤-٦] .

وقال النبي ﷺ : «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**» متفق عليه(١) .

ولحبِّ الله ﷻ للتوحيد، ولعظمة التوحيد، ومحبة الله لأهله ، وحَّد نفسه جل جلاله في الأسماء والصفات والأفعال ، فلا شريك له في ذلك كله : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨] .

ووحد نفسه في الألوهية ، فأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وقبل ما كان خالصًا له وحده ، وأبطل كل عمل أشرك فيه الإنسانُ مع ربه غيره : ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر/ ٦٥-٦٦] .

ووحد نفسه في الشريعة، في الأمر والنهي، والتحليل والتحريم ، فلا شرع إلا ما شرعه الله وحده لا شريك له ، وما سواه مردود غير مقبول : ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف/ ٤٠].

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم/ ٥٢ ، واللفظ له، ومسلم برقم/ ١٥٩٩ .

ومن أعرض عن الهدى ركبه الهوى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[النساء/ ١١٥] .

فلا بد من معرفة ربنا ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأن نملأ القلب بهذا الإيمان ، حتى نوحد الله كما يجب، حتى نُعظم الله كما يجب، ونحبه كما يجب، ونتقرب إليه بما يحب جل جلاله .

فالله ﷻ خلق هذا الكون، وبناه كله على التوحيد ، كل المخلوقات التي نراها في العالم العلوي والعالم السفلي، اللهُ أقامها شاهدة بوحدانيته، وخاضعة لعظمته، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته لا يتأخر ولا يمتنع منها شيء ، إذا أراد الله ليلًا يكون الليل ، إذا أراد نهارًا يكون النهار ، إذا أراد حرًّا يكون الحر ، إذا أراد بردًا يكون البرد، وإذا أراد أمناً يكون الأمن، وإذا أراد خوفاً يكون الخوف، وإذا أراد ذكراً كان، وإذا أراد أنثى كانت: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[يس/ ٨٢-٨٣] .

يعيش الإنسان مع ربه ، وينظر لهذه المخلوقات العظيمة على أنها مخلوقات مثله، شاهدة بوحدانيته ، وخاضعة لعظمته، لكن هي مسخرة للشهادة بالتوحيد ، ونحن مخيرون : إما نطيعه وإما نعصيه ، إما نوحده وإما نشرك به .

فهذه شواهد كثيرة تدل على وحدانية الله ، فندخل مع الشاهدين لله بالوحدانية ، هذه المخلوقات التي تشهد بأن خالقها ربنا الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته ، ولا شريك له في عبادته ، ولا شريك له في ملكه ، ولا شريك له في حكمه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢] .

هذه مخلوقاته تدل على وحدانيته: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾ [لقمان/ ١٠-١١] .

جميع الآيات الكونية، والآيات القرآنية، كلها تدل الإنسان على ربه، والاعتراف بأن الله هو الواحد الأحد ، وإذا عرفت الواحد الأحد قطعت العلاقة مع كل أحد ، إلا كافرًا أدعوه، وجاهلًا أعلمه، ومسكينًا أحسن إليه ، أصبحت هذه علاقتي مع الناس ،

كعلاقة الرب بخلقه ، الرب مع خلقه أحياهم، وأمدهم بالأرزاق، وعلمهم وهداهم وأحسن إليهم .

أنا كذلك أتجمل بهذه الصفات : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤] .

﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

فسبحان الخالق العظيم الواحد الأحد الذي خلق هذه العوالم من العالم العلوي والعالم السفلي ، وهذه العوالم الكبيرة من الأمم، والقبائل، والشعوب، والحيوانات، والجمادات، والنباتات، والكائنات، والذرات التي لا يحصيها ولا يعلمها إلا هو ، وجعل نسل هذه المخلوقات وتكاثرها مستمرًّا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وساق إليها أرزاقها في أماكنها : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس/ ٣] .

هذا الخالق العظيم إذا عرفته أحببته وحمدته ؛ لأنه محسن إليَّ وإلى غيري ، وأرى إحسانه في كل شيء .

وعظمته وكبرته، لأنه خالق كل شيء، خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، والجبال والبحار والأنهار ، وخلق الإنس والجن ، فأنا أعظمه وأحبه بحسب المعرفة ، وأعبده بحسب المعرفة ، لا بد أن تتبع معرفة القلب حركة الجوارح، ونطق اللسان : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وإذا تفكرنا ونظرنا في ملكوت السماوات والأرض ، وما فيهما من المخلوقات ، رأينا كيف يعود كل حي من نبات وحيوان وإنسان إلى أصل واحد إذا قُطع مات ، فالإنسان والحيوان سبحان الله يعود إلى أصل واحد وهو الرأس ؛ إذا قُطع الرأس مات الإنسان، ومات الحيوان .

إذًا جميع أجزاء البدن مربوطة بالرأس ، وجميع أجزاء النبات ترجع إلى أصل واحد هو الجذر ؛ إذا قُطع الجذر مات النبات ، هذا مربوط بأسفله وهو النبات ، وهذا مربوط بأعلاه وهو الإنسان والحيوان .

جميع النباتات مربوطة بأسفلها ، كلها ترجع إلى أصل واحد هو الجذر ، إذا قُطع

ماتت ، والإنسان والحيوان يرجع إلى أصل واحد هو الرأس ، إذا قُطع مات : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾[لقمان/ ١١] .
فسبحان الواحد الأحد الذي خلق كل أحد بقدرته وعلمه وحكمته، ودبره بأمره وحده: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[الزمر/ ٦٢].
فالله ﷻ ملأ الكون بالآيات التي تدل على الوحدانية ، بل جعل الشريعة كلها قائمة على الوحدانية ، والإنسان من جهة حياته وموته يرجع إلى واحد هو الرأس ، ومن جهة التدبير، يرجع إلى واحد هو القلب؛ فالإنسان من جهة البقاء يرجع إلى واحد هو الرأس ، ومن جهة التدبير، والاستقامة، والانحراف، والطاعات، والمعاصي، والتوحيد والشرك، يرجع إلى أصل واحد هو القلب ؛ هذا القلب مضغة إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله ، ولهذا ؛ القلبُ لا بد من العناية به ، لأن هذا القلب مكان التوحيد والإيمان، ومحل نظر الله من الإنسان .
ومغذِّيات التوحيد في القلب سبعة :
أن نعرف الله.. ونعرف أسماءه.. وصفاته.. وأفعاله.. وخزائنه.. ووعده.. ووعيده .
هذه مغذيات القلوب التي تُغذي القلوب، ليأتي فيها التوحيد الكامل، واليقين الكامل، والإيمان الكامل ، والتقوى الكاملة : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[الحج/ ٣٢].
فالإنسان من جهة قوامه يرجع إلى واحد هو الرأس ، ومن جهة التدبير والصلاح والاستقامة يرجع إلى واحد هو القلب ؛ ولهذا لم يقصد الله بخطابه في القرآن من ابن آدم إلا قلبَه الذي عليه مدار صلاحه وفساده، وحركة جوارحه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء/ ١٩٢ - ١٩٥] .
الله مَنَّ علينا فيجب أن نفرح بهذا الدين الذي نزل من الواحد الأحد ، وأنه نزل من العلي الأعلى، لا من مماثل لي ولا ممن هو دوني : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾[الشعراء/ ١٩٣-١٩٤] .
أمين يوصِّل لأمين ، جبريل أمين، يوصل للأمين محمد ﷺ ، ومحمد ﷺ يستقيم عليه، وينذر الناس به، والقلب هو الإنسان، والجسد حامل له، ومطيع له، والقلب هو محل نظر الله من العبد .

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا لِأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»أخرجه مسلم(١) .

الله ﷻ لا ينظر إلى الصور، ولا إلى الأجساد، ولا إلى الأموال ؛ بل ينظر إلى القلوب ماذا فيها من التوحيد والإيمان، واليقين والإخلاص؟ ، أن نعرف أن الله واحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته، وملكه وخلقه، وعبادته وطاعته، وإذا عرفت الواحد الأحد أغناني عن كل أحد : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر/ ٦٥] .

فالقلب إذا امتلأ بالتوحيد صلح ، ثم صلحت الجوارح ، ثم صلحت الحياة ، ثم رضي الله عنه، ثم جاءت له السعادة في الدنيا ، ثم ازدادت عند الموت ، ثم ازدادت في القبر ، ثم بلغت كمالها في الجنة : .

وإذا فسد القلب، وصار فيه الشرك بدل التوحيد ، ساءت حال الإنسان ، وفسدت حياة الإنسان : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[طه/ ١٢٤] .

فالقلب إذا فسد فسدت حياة الإنسان ، ثم فسدت أعماله ، ثم فسدت أخلاقه ، ثم ساءت أحواله ، ثم سخط الله عليه ، ثم زاد شقاؤه في الدنيا ، ثم ازداد الشقاء عند الموت ، ثم ازداد الشقاء في القبر ، ثم بلغ كمال الشقاء في نار جهنم ؛ حيث فيها من العذاب العظيم والأليم والتحريق ما هو أعظم من كل عظيم : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء/ ٢١٣].

فالقلب إذا فقد التوحيد فسد ، كما أن الجسد إذا فقد الرأس فسد ، والنبات إذا فقد الجذر فسد ، ولا يصلح البشر في الدنيا والآخرة أبدًا إلا أن يكونوا موحدين : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت/ ٣٠ - ٣٢].

وسنة الله ﷻ في الوحدانية سارية في المخلوقات كلها ، لا بد لنا كما نبحث في أحكام الطهارة والصلاة والزكاة والحج ، لا بد أن نبحث في الوحدانية ، نبحث في الملك

---

(١) أخرجه مسلم برقم/ ٢٥٦٤.

والملكوت عن عظمة ربنا ، وعن عظيم نعمه وإحسانه، وعن عظمة أسمائه وصفاته وأفعاله ليمتليء القلب بعظمة الله ومحبته ؛ لنستحيي منه، ونعظمه، ونحبه، ونتوكل عليه، ولا نخاف إلا منه، ولا نرجو إلا إياه، ولا نتوكل إلا عليه ولا نستعين إلا به . إذا جهلناه لم نلتفت إليه ، بل التفتنا إلى أسباب ظاهرة ، وهذه الأسباب الظاهرة فتنة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾[التغابن/ ١٣] .

من يتوكل على الله ؟ يتوكل عليه من عرفه ، من هو الذي عرفه ؟ الذي عرفه هو الذي وصفه الله عز وجل بقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾[الأنفال/ ٢] .

تعظيمًا وتمجيدًا وتحميدًا وحياءً منه ؛ لما يرون من عظمته وعظمة أسمائه وصفاته : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ﴾[الأنفال/ ٢] .

وبعد قوة الإيمان تأتي قوة العبودية وعظمة الأجر : ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال/ ٣- ٤] .

هذا هو المستوى الذي نريد أن نصل إليه ، الآن إذا ذكرنا اسم الله يمر علينا مرورًا عادياً كغيره ، أقل ما نقول : جل جلاله ، أونقول : عز وجل ، أو نقول : سبحانه ؛ لكن لا يوجل القلب ولاينظر الإنسان لنفسه أنه يسكن في ملك الله، ويأكل من رزقه، ويخالف أمره، ويعصيه بنعمه ، لا يكون عنده المسلم الحياء من ربه، حتى يعرف القوي القادر، السميع البصير، العليم الخبير، الكريم اللطيف، الرحمن الرحيم، العفو التواب ، لا بد أن أعرف ربي بأسمائه وصفاته، حتى لا أفعل شيئًا يسخطه جل جلاله ، وأبادر إلى طاعته، وأجتنب معصيته : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩] .

وسُنة الله في الوحدانية سارية في المخلوقات كلها، رحمةً من الله، حتى يُذكرنا بتوحيده ، فكل نبات وحيوان وإنسان يرجع إلى أصله ، وأهل البيت الواحد لا بد لهم من واحد يرجع أمرُهم إليه هو بمنزلة الرابط لهم وهو الأب .

فالأمة ترجع إلى واحد، وهو الحاكم، وأهل البيت يرجعون إلى واحد، وهو الأب، والكل يرجع إلى واحد، وهو الرب الواحد الأحد : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾[البقرة/ ١٦٣] .

والبيوت الكثيرة تجمعها بلدة واحدة ، والقرى والمدن تجمعها دولة واحدة ، والدول الكثيرة تجمعها قارة واحدة ، والقارات المختلفة تجمعها أرض واحدة .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢] .

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام/ ٣٨] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم شأنه، وما أعظم حكمته وقدرته وملكه وسلطانه، وما أجهل الناس بربهم .

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣] .

نشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدًا رسول الله ، ونستغفر الله ونتوب إليه من جهلنا وتقصيرنا في حق ربنا ﷻ : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

والسماوات السبع، والأرضين السبع، وما فيهما، وما بينهما من العوالم التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا مَن خلقها ، من أعظم دلائل الوحدانية لله ﷻ : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد/ ٢] .

أوامر الله ﷻ في ملكه ثلاثة وهي: الأوامر الملكية الكونية.. والأوامر الشرعية.. والأوامر الجزائية .

والأوامر الملكية الجارية على جميع الكائنات في العالم العلوي، والعالم السفلي ، أوامر ملكية على السموات والأرض، أوامر ملكية على النجوم ، أوامر ملكية على الشمس ، أوامر ملكية على القمر ، أوامر ملكية على الرياح ، على الجبال ، على البشر ، على الإنس ، على الجن ، على الملائكة ، على البحار ، أوامر ملكية على كل مخلوق ، يدبر الأمر، ويصرف أمره، في ملكه كيف شاء، متى شاء، في أي وقت شاء، سبحانه هو الواحد القهار .

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد/ ٢] .

وفي معرفة هذا تقوية للتوحيد، وتقوية للإيمان ، حتى يزيد الإيمان، فتزيد العبادة ، فيأتي رضوان الرب بصلاح الأحوال، والسعادة في الدنيا والآخرة .

هو سبحانه الواحد الأحد ، لم يجعل معبودنا مثلنا، ولا دوننا، ولا علَّقنا بغيره ؛ بل أمرنا أن نتوكل عليه وأن نسأله وأن نتوجه إليه وحده في كل حال ، ليس بيد المخاليق شيء من العرش حتى أصغر ذرة ، ومن جبريل حتى أدنى مخلوق ، الأمر والتدبير كله بيد الله وحده.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

فلنتوجه إليه وحده ونعبده بالمحبة والتعظيم والذل بما جاء عن رسوله ﷺ .

وهذه الخلائق في العالم العلوي، والعالم السفلي، كلها خلقًا وإيجادًا، وتدبيرًا وتصريفًا وقُوتًا ، كلها ترجع إلى واحد ، يرجع الجميع إلى الخلاق العليم، الرب الواحد الأحد، الخالق لها، الجامع لها، الحاكم عليها الذي له الخلق والأمر وحده لا شريك له، وإليه المصير والمنتهى .

فالنظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية، يثمر كمال الإيمان واليقين: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية/ ٣-٦] .

وإذا جاء الإيمان جاء العمل، وجاء الحب والتعظيم لله، وجاء امتثال أمره .

فسبحان الواحد الأحد الصمد الذي خلق كل واحد ، وخلق كل أحد ، ولم يكن له كفوا أحد .

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص] .

سبحانه هو الواحد الأحد الذي أحاط بكل واحد وأحد ، والله لا يحيط به أحد ، هو المحيط بكل أحد جل جلاله ، القوي الذي ليس كمثله أحد في القوة ، الرحيم الذي ليس كمثله أحد في الرحمة ، العزيز الذي ليس كمثله أحد في العزة ، وهكذا :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١] .

هو العظيم وحده لا شريك له ، والعرش العظيم وما دونه كحبة خردلة في قبضته ، هو الأول قبل كل أحد ، الآخر بعد كل أحد ، الظاهر فوق كل أحد ، الباطن دون كل

أحد ، العلي الأعلى فوق كل أحد، القريب الرقيب على كل أحد : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فالذي خلق كل شيء هو الذي يستحق العبادة وحده، والذي أنعم بكل نعمة هو الذي يستحق العبادة: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النحل/ ١٧ – ١٨] .

وهذه الأصنام التي يعبدها السفهاء من دون الله ماذا بيدها : ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٞ يَمْشُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٖ يَبْطِشُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٞ يُبْصِرُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٞ يَسْمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾ [الأعراف/ ١٩٥].

فنحن نعبد الواحد الأحد، لأنه هو الخالق ، ويجب أن نعبده، لأنه هو العليم بكل شيء ، ونعبده، لأنه هو القادر على كل شيء ، ونعبده لأنه هو السميع لكل شيء، ونعبده، لأنه هو البصير بكل شيء ، ونعبده ؛ لأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٥ –٨] .

هو الواحد الأحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته وأفعاله ، لا شريك له في عبادته، ولا شريك له في حكمه .

لا نعبد مع الله أحدًا ، ومَن عبد مع الله أحدًا تعذب : ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾ [الشعراء/ ٢١٣] .

وصار مذموماً مخذولاً: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومٗا مَّخْذُولٗا ٢٢﴾ [الإسراء/ ٢٢].

هو سبحانه رب كل أحد ، وقاهر كل أحد ، لا نهاية لعلوه ، ولا فوقَ لسموه ، ولا نفاد لكلماته وأوامره ، ولا نهاية لكرمه وإحسانه : ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ [الكهف/ ١٠٩] .

لا إله إلا الله ! هذه كلمات الله ، بحرفين من كلامه خلق هذا الكون ، خلق السماوات ومن فيها ، وخلق الأرض ومن فيها ، وخلق آدم بيده تكريمًا له، وتشريفًا له ، وجعله خليفة في الأرض وجعله مخلوقًا مختاراً إما أن يوحد أو يشرك ، إما أن يطيع أو يعصي ، إما أن يؤمن أو يكفر . أما الملائكة فقد طبعهم الله على الطاعات ، والشمس

طبعها الله على الإنارة ، والأرض طبعها على الإنبات ، فهي تستجيب للمؤمن والكافر : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

هو الواحد الأحد الكريم الذي لا نهاية لكرمه ، العزيز الذي لا نهاية لعزته ، القوي الذي لا نهاية لقوته ؛ الملك الذي لا نهاية لملكه، وأسماؤه وصفاته وأفعاله لا بداية لها ولا نهاية : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد/ ٣] .

هو الواحد الأحد الذي لا نهاية لكلماته : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٧] .

سبحان من جمع هذه البحار العظيمة من قطرات ، قد مَنَّ الله علينا فمشينا في هذه البحار ساعات ، اثنتا عشرة ساعة وأنت تمشي في البحر ، كل بحر عذب فرات، ملح أجاج : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [فاطر/ ١٢].

الماء أكثر من ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ، من خلق هذا الماء ؟ ومن شكله بهذا الشكل ؟ ومن حبسه في هذا المكان ؟ ومن ملأه بهذه الكائنات الحية ؟ ومن جعل مذاقه حلوًا كالأنهار، ومالحًا كالبحار ، لهذا حكمة، ولهذا حكمة ؟ .

الذي ملأ هذه البحار بالمياه قادر أن يملأها نارًا ، لكنه حليم لطيف بعباده ، تسبح له السماوات السبع، والأرضين السبع، وكل شيء يسبح بحمده وعظمته، فمتى يسبح الناس بحمد ربهم؟ .

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

فسبحان الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، الغفور الذي يغفر الذنوب جميعاً .

إن الصلاة التي نؤديها ثم نعود إلى المعاصي ، فهذه صلاة لا روح فيها ولا ثمرة لها ، يفرح بها الشيطان ؛ لأنه أعطانا ساعة، وأخذ ثلاثًا وعشرين ساعة منا ، نسير في أقوالنا وأعمالنا وطريقة حياتنا على هوانا لا على هدى ربنا ، لكن الصلاة يأذن لنا نصلي

بالأجساد والقلوب عنده إما تنمية للأموال وإما إكمالًا للشهوات وإما اتباعًا للهوى ، والهوى أشكال وأنواع : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص/ ٥٠].

والنجاة والفلاح بالتوحيد المقرون بالعمل الصالح : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

فلا إله إلا الله الواحد الأحد ، الذي بكلماته التامات يفعل ما يشاء ، يخلق ويرزق ، كلماته التامات كن فيكون ، يقول للشيء : كن فيكون ، لا يحتاج إلى مساعدين له ، هو الغني له ما في السموات وما في الأرض، وهو الواحد الأحد الذي بيده الملك والملكوت، والخلق والإيجاد، والتصريف والتدبير : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢ – ٨٣] .

هو الملك والإله الحق الواحد الأحد ، الذي يستحق أن يُعبد لذاته، وجلاله وجماله، وإنعامه وإحسانه، وكرمه وجوده، جل جلاله .

هو الواحد الذي يخلق ويرزق ، ويعز ويذل ، ويعطي ويمنع ، ويرحم وينتقم ، ويكرم ويهين ، ويحيي ويميت ؛ لأن الخلق خلقه ، والملك ملكه ، والأمر أمره : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

الله لا يفعل إلا كل خير جل جلاله ، وبيده الملك ، وكل ملك وكل رئيس يسعى إلى تثبيت ملكه ، والله ﷻ هو الملك المالك لهذا الكون ، هو الذي يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء جل جلاله :

نزعه من الفرس، ونزعه من الروم، ونزعه من فرعون، ونزعه من اليمن ، وأعطاه أمة محمد ﷺ .

هو الواحد الأحد، المحيط بكل شيء ، العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، البصير الذي يرى كل شيء ، السميع الذي يسمع كل شيء ، العليم الذي يعلم بكل شيء ، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض ، جميع الذرات

والقطرات، والكائنات والمخلوقات، والحركات والسكنات، وجميع المخلوقات كلها معلومة حاضرة بين يديه يراها ويسمعها، ويدبر أمورها وأحوالها : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١)﴾ [يونس/ ٦١] .

هو سبحانه الواحد الأحد الغني عن كل أحد، الكافي عن كل أحد، العفو عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦)﴾ [لقمان/ ٢٦].

هو الواحد الأحد العليم بكل أحد، الخبير بكل أحد، البصير بكل أحد، الرحيم بكل أحد، اللطيف بكل أحد، البر بكل أحد : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)﴾ [البقرة/ ١٦٣].

فلا إله إلا الله ، له الحمد كله ، ومنه الفضل كله ، وإليه يرجع الأمر كله، خلق عباده حنفاء على التوحيد دينًا واحدًا، قيمًا لا عوج فيه ، ثم تفرقوا واختلفوا ، فرحمهم الله بإنزال الكتب، وإرسال الرسل الذين يدعونهم إلى الرجوع إلى أصلهم الذي فطرهم الله عليه وهو التوحيد : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣)﴾ [البقرة/ ٢١٣] .

فاليهود والنصارى وعلماؤهم، بدلوا وحرفوا كتاب ربهم، وأرادوا أكل الدنيا بالدين : ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣)﴾ [البقرة/ ٢١٣] .

فالحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، والتوحيد هو أعظم شيء في خزائن الله ، والهداية أعظم شيء في خزائن الله ﷻ ، فنحمد الله ﷻ على نعمة التوحيد والهداية، وعلى نعمة الاستقامة والعبادة : ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فأعظم العلوم وأوجبها معرفة التوحيد ، ومعرفة أركانه وثوابه ونواقضه ؛ حتى نعبد

الله بالتوحيد الخالص، ولا نشرك مع الله أحدًا في عبادتنا .

• **والتوحيد له أركان خمسة :**

الركن الأول : أن نعرف أن الله واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فله وحده الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميد : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨] .

الركن الثاني : أن نعرف أن الله سبحانه هو الواحد الأحد الذي لا شريك له في أفعاله : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤] .

وقال عز وجل : ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾[الروم/ ٤] .

فالله وحده له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله وحده لا شريك له .

الركن الثالث : أن نعرف أن الله ﷻ واحد لا شريك له في الملك :﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك/ ١] .

هو الملك وكل ما سواه مملوك له، يجب أن نعرف أن مالك الملك واحد ، فنتصل بالملك، ولا نلتفت لما سواه من المماليك ؛ لأنه ليس بأيديهم شيء ، الأمر كله بيد الملك العزيز الجبار ، مالك الملك في الدنيا والآخرة : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾[فاطر/ ١٣].

الركن الرابع : أن نعتقد أن الله سبحانه واحد لا شريك له في الحكم :﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف/ ٤٠] .

هذا هو اللائق بنا ألّا نعبد إلا الملك الحق، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، الخالق الرازق، الحي القيوم، العلي الكبير، الذي ليس كمثله شيء جل جلاله .

الركن الخامس من أركان التوحيد :أن نعتقد أن الله سبحانه واحد لا شريك له في العبادة : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[النساء/ ٣٦].

والعبادة لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله وحده، موافقة لما جاء به النبي ﷺ : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

فالقلب إذا عرف هذه الأمور الخمسة عبد الله ﷻ على بصيرة ، ووحد ربه حقاً، وعظمه حقاً، وأحبه حقاً، وحمده حقاً: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢] .

فمن كمل إيمانه وتوحيده وأعماله اللهُ ﷻ يكرمه في الدنيا والآخرة .

فالله ﷻ واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولهذا استحق أن يُعبد وحده لا شريك له ؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى والأفعال الجميلة ، وذلك يستلزم أن يكون هو المعبود الحق الذي تألهه القلوب، وتخضع له، وتحبه غاية الحب، وتعظمه وتكبره، وتسبحه وتقدسه، وتحمده وتشكره : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤] .

والقلوب إذا عرفت ذلك أثمر لها أعظم ثمرات في الدنيا والآخرة :

أما الثمرات في الدنيا فهي التوكل على الله وحده ، والإنابة إليه ، والسكون إليه ، والطمأنينة بذكره ، وتعظيمه ، وإجلاله ، وخوفه ، ورجائه ، وخشيته ، وتقواه .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣] .

ويثمر لها كذلك في الدنيا : محبة الله ، ومحبة ما يحب ، وفعل ما يحب ، والصبر على ما يحب ، والأنس بالله ، والتلذذ بطاعته ، ورحمته ، فمظاهر رحمة الله لا تخفى على أحد ، ويأتي في قلوبنا رحمة خلقه ، والتسليم لحكمه ، والتوجه إليه في كل حال ، وعدم الالتفات إلى ما سواه ، ودوام ذكره وشكره وحسن عبادته وتقواه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق/ ٢- ٣] .

في القرآن له وله ؛ المؤمن له، والكافر له، المؤمن له كل الكرامات، ولو كان ليس بيده شيء من أمور الدنيا ، وإن كان مَن حوله في ضلال : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق/ ٢-٣] .

والمؤمن له علاقة مع الرب بالعبادة ، وعلاقة مع الخلق بالدعوة والتعليم والإحسان .

والكافر كذلك له أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا

يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٤] .

فالكافر لو كان عنده كنوز الدنيا : ﴿لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه/ ١٢٤] .

الذي أعرض عن ربه له معيشة ضنكًا، ضنك وتعب وشدة في الحياة : ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة/ ٥٥] .

شتان بين أهل التوحيد، وأهل الشرك: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الملك/ ٢٢] .

فثواب التوحيد في الدنيا هو الهداية والأمن : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٨٢] .

وكذلك الحياة الطيبة: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

والخلافة في الأرض : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور/ ٥٥] .

أما ثواب أهل التوحيد في الآخرة فهو أن الله ﷻ يُكرم أهل التوحيد والإيمان يوم القيامة بثمان كرامات :

١- وهي دخول الجنة . ٥- والفوز برضوانه .

٢- ورؤية الرب جل جلاله . ٦- والنجاة من النار .

٣- والقرب منه . ٧- والتلذذ بنعيم الجنة .

٤- وسماع كلامه . ٨- والخلود في دار النعيم في ملك كبير .

أما دخول الجنة والخلود فيها ورضوان الرب ، فيقول الله عنه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٢] .

وأما رؤية الرب فهو كما قال سبحانه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢ - ٢٣] .

وأما القرب منه جل جلاله ، فيقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤–٥٥] .

وأما سماع كلام الرب ، فيقول الله عن أهل الجنة : ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس/ ٥٧ - ٥٨] .

وأما الملك الذي يعيش فيه الإنسان في الجنة كما عاش في الدنيا مالكًا لجوارحه وشهواته، ومسخرها في طاعة الله، وعاش عبدًا لمولاه ، الله يوم القيامة ينقله من العبودية إلى الملكية، في القصور الملكية ، فهو ملك في قصر ملكي في جوار مليك مقتدر فالمؤمن يوم القيامة ملك، في نعيم ملكي، في قصر ملكي، فيه كل شيء: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان٢٠–٢٢] .

الله يعطيهم صفات الملك جل جلاله ، فالمؤمن إذا رغب أي شيء يشتهيه أتاه فوراً، ويعطى صفة الخلود أبد الآباد ، وصفة السلام أبدًا، في سلام لا أمراض في الآخرة ولا نوم ، يكون حيًّا ومخلدًا، في شباب بلا هرم، ونعيم بلا بؤس ، وأمن بلا خوف .

اللهم إنا نسألك الفوز بالجنة، والنجاة من النار، برحمتك يا أرحم الرحمين .

هذا التوحيد العظيم الذي يوصل إلى هذا الشرف العالي ، لا بد أن نفقه هذا التوحيد، ونحرص عليه، ونحافظ عليه ، وهو كالثوب الأبيض أي شيء يخدشه وأي شيء يدنسه ، فلا بد من المحافظة عليه حتى لا نقع في الشرك ؛ لا بد أن نحافظ على هذا التوحيد، لئلا ينتقض بشيء من نواقض التوحيد .

والتوحيد له نواقض ، كما أن للوضوء نواقض كذلك التوحيد له نواقض ، فلنتعرف على هذه النواقض حتى لا ينتقض توحيدنا، وتذهب أعمالنا هباءً منثورًا .

وهذه النواقض قبل معرفتها لا بد من معرفة طرق الوصول إلى تحقيق هذه الكلمة العظيمة ، تحقيق كلمة التوحيد لا إله إلا الله، حتى ترسخ في القلب ، لا بد من تضافر القلب والجوارح واللسان على هذا الإنسان حتى يأتي بكلمة التوحيد كاملة ، فكلمة التوحيد هي أعظم الكلمات ، وهي التي خلق الله ﷻ الكون من أجلها ، وخلق الجنة والنار من أجلها، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل من أجلها .

فلا بد لهذا الإنسان أن يعرف كلمة التوحيد، وأن يعرف أنها حق، وأن ما دلت عليه حق ، ويصدق باطنه بظاهره، وسره بعلانية، وأقواله بأفعاله .

ويشترط لتحقيق كلمة التوحيد ثمانية شروط :

الشرط الأول: هو العلم المنافي للجهل ، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩] .

فالتوحيد إذا انتقض بطل العمل . لماذا ؟ لأن التوحيد أصل، والعمل فرع له ، وإذا فسد الأصل فسد الفرع ، كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر/ ٦٥ – ٦٦] .

فإذا عرفنا الله عبدناه وحده لا شريك له .

الشرط الثاني : اليقين المنافي للشك كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات/ ١٥] .

الشرط الثالث من شروط كلمة التوحيد : القبول المنافي للرد ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء/ ٦٥] .

فكلمة التوحيد اعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح ، ونطق باللسان .

نسلم لله في كل شيء ، الصلاة حكمتها معقولة، والوضوء حكمته معقولة، والحج كذلك ، لكن في مكة حجران : حجر يُقبل، وحجر يرمى ، نحن نسلم لله، ونفوض الأمر لله ﷻ ، هذا يقبل، وهذا يرمى ، فنسلم لله، ونرد المشتبه إلى المحكم، ونسلم لله الأمر ، فالعلة في امتثال الأمر هو أن الله أمر به، ولا يشترط أن نعرف الحكمة ، إن عرفنا الحكمة فهذه زيادة خير ، وإن لم نعرفها فلنطع الله والرسول في كل أمر، وفي كل نهي، ونسلم التسليم الكامل .

الشرط الرابع : الانقياد المنافي للترك ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر/ ٧] .

ننقاد لله في كل أمر ونهي، وفي كل قول وفي كل فعل ، حسب ما جاء به رسوله ﷺ .

الشرط الخامس : الصدق المنافي للكذب ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة/ ١١٩] .
نصدُق الله في أقوالنا، وفي أعمالنا، وفي أخلاقنا، وفي نياتنا ، ونخرج مخرج صدق وندخل مدخل صدق، ونجلس مجلس صدق وهكذا.
نكون في بيئة الصدق ، لا بد من البيئة الإيمانية بيئة الصدق، حتى نمتثل أمره الصدق ، ولا نشرك مع الله أحدًا في ذلك الأمر .
الشرط السادس : الإخلاص المنافي للشرك ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة/ ٥] .
الشرط السابع : الاستقامة المنافية للانحراف : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢﴾ [هود/ ١١٢] .
فلا يكفي أن أؤمن فقط بأن الله هو الخالق الرازق فقط ، بل لا بد أن يصحب ذلك نطق باللسان، وعمل بالجوارح ، فأستقيم على أوامر الله، فامتثل الأوامر، واجتنب النواهي، لأفوز برضوان الله، وأدخل الجنة.
الشرط الثامن : المحبة المنافية للبغض ، كما قال سبحانه : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة/ ١٦٥] .
وحب الله كما يليق بجلاله بحسب ما عرفت من أسمائه وصفاته وأفعاله .
أحب الله، لأنه جل جلاله هو المنعم بكل نعمة، العزيز الكريم ، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، أحب الله لجلاله ، أحبه لجماله ، أحبه لإحسانه وإنعامه ، أحبه لما أنزل علينا من الدين القيم ، أحبه لما أمرنا به من هذه التكاليف التي باستطاعتنا ، أحبه لأنه خلقنا ورزقنا وأمدنا، وأنعم علينا بالهداية، واستضافنا في بطن الأم، واستضافنا في بطن الدنيا، ويستضيف كل مؤمن في القبر في روضة من رياض الجنة ، ويستضيفنا في دار القرار في الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨﴾ [الكهف/ ١٠٧-١٠٨] .
فهذه هي الهداية ، إذا جاء التوحيد جاءت الهداية التامة، وجاء اليقين الكامل، وجاء العمل الكامل، وجاء الحب الكامل، وجاءت الرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا .

قال النبي ﷺ : «**الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ**» أخرجه مسلم [1].

الدنيا سجن المؤمن، لأنه قد حُبس عن النعيم، ورؤية الله، وسماع كلامه ؛ لأنه في دار العمل ، الله ﷻ ابتلاه في هذه الدنيا بالشهوات وبالأعمال ، شهوات تحبها النفس، وأعمال صالحة تحبها الروح ، فلا بد من المجاهدة المستمرة لتقوى الروح على النفس، وتُقبل على الطاعات، وتنفر من المعاصي : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعلى/ ١٤– ١٧].

- **ولهذا الناس اثنان فقط :**

فالإنسان إما أن يسير على الهوى.. وإما أن يسير على الهدى .

فالذي سار على الهدى هو المؤمن ، والذي سار على الهوى هو الذي اجتاله الشيطان وصرفه عن الدين باتباع الهوى ، فالهوى أعظم صنم معبود من دون الله ﷻ : ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص/ ٥٠].

والهوى ضد الهدى ، كما أن الليل ضد النهار ، والحر ضد البرد ، والذكر ضد الأنثى ، والحق ضد الباطل ، كذلك الهوى ضد الهدى ، والهوى هو الذي يزيغ القلوب عن الهدى ، ولكل هوى مفتاح ، ولكل إنسان مفتاح لهواه .

- **ومفاتيح أبواب الهوى ستة:**

من الناس من مفتاح هواه الذي يأتي إليه الشيطان من قِبله النساء فتراه يتعرض للنساء ، ترى المرأة تتعرض للرجال، هذا اتبع هواه من دون الله ، بالكلام المحرم، والصور المحرمة، وفعل الفاحشة .

ومن الناس من مفتاح هواه الأولاد ، يحب أن يرعاهم أحسن رعاية، فيسرق ويغش ويأكل الحرام من أجلهم .

ومن الناس من مفتاح هواه جمع المال من حلال وحرام ، فهو يجمع المال، ويحب جمع المال، ويتألم لفراقه، ولا ينفق منه شيئًا فيجمعه فيكون عليه غرمه، وللورثة غنمه ، والإنسان إذا مات قالت الملائكة : ماذا قدم من الأعمال الصالحة ؟ وقال الناس : ماذا أخر من المال ؟ .

---

(١)أخرجه مسلم برقم/ ٢٩٥٦.

فنحرص أن نكون يوم القيامة وارثين لأعمالنا الصالحة لا مَوروثين تُورث عنا الأموال ، بل نكون وارثين لأعمالنا الصالحة، ونصرف أموالنا في طاعة الله ﷻ .

- وجوه إنفاق المال أربعة:

الوجه الأول : أن نصرف المال في سبيل الله ﷻ لإعلاء كلمة الله: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٨٨].

في سبيل الله تبذل المال ؛ لأن بذل المحبوب لما هو أحب برهان على الإيمان ، ولهذا الصدقة برهان .

فالوجه الأول من وجوه إنفاق المال العليا هو الإنفاق في سبيل الله ، كما أنفق أبو بكر ماله ، وعمر ماله ، وعبد الرحمن بن عوف والصحابة ، أنفق أبو بكر ماله كله ، وعمر نصف ماله ، وأكثر الصحابة ثلث ماله ، وكلٌّ ينفق على الدين، حتى تكبر شجرة الدين، وتثمر شجرة الدين ، فالإنفاق الأول في سبيل الله .

الوجه الثاني : الإنفاق في الصدقات ، وفي الزكوات الواجبة : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة/ ٦٠] .

الوجه الثالث : الإنفاق على الأهل والأولاد والإهداء للأصدقاء والإحسان إلى الفقراء : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر/ ٩] .

الوجه الرابع : الإنفاق على النفس .

نحن الآن بسبب ضعف الإيمان عكسنا ترتيب إنفاق المال .

الأصل أول شيء إنفاق في سبيل الله ، ثم إخراج الزكاة الواجبة ، ثم إخراج الصدقات العامة ، والإهداء للناس ، ثم الإنفاق على الأهل والأولاد ، ثم آخر شيء الإنفاق على النفس .

نحن عكسنا، أولًا ننفق على النفس ، ثم ننفق على الأهل والأولاد ، ثم نخرج الزكاة الواجبة، ثم ننفق المال القليل على الدين.

فبسبب ضعف الإيمان قدمنا ما أخر الله، وأخرنا ما قدم الله .

فالشاهد أن الهوى ضد الهدى ، وكل إنسان له مفتاح لهواه والشيطان يبحث عن مفاتيح قلوب الناس ليضلهم: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر/ ٦].

ومفاتيح أبواب الهوى الستة ، مذكورة في القرآن : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[آل عمران/ ١٤] .

هذه مفاتيح أبواب الهوى ، وكل إنسان يفتح عليه الشيطان من الباب الذي يسرُّه ويأنس به .

منهم من يفتح عليه ليصرفه عن الهدى في باب النساء.. ومنهم في حب الأولاد.. ومنهم من في جمع الأموال من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.. ومنهم من مفتاح هواه حب المراكب وتنويعها والموديلات الجديدة والخيل المسومة، وتغيير المراكب، كل يوم له سيارة، ويركب كذا، وعنده كذا ويريد كذا.

ومنهم من مفتاح هواه الحرث والزراعة ، فلا تجده إلا في المزارع وما يزرع فيها ، وإن كان هذا بعضه مطلوب ، لكن نحن نأخذ من الدنيا بقدر الحاجة، ونعطي للدين بقدر الطاقة ؛ ولكل واجب وقته، والدعوة لها أكبر الأوقات، فوقت المسلم كله للدعوة ، كله لنشر الهداية في العالم: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف/ ١٠٨] .

فوقت المسلم دائر بين عبادة الله، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، وكسب ما يحتاجه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام/ ١٦٢- ١٦٣] .

وحب الدنيا ، وحب المال ، وحب النساء ، وحب الشهوات ليس شركًا ؛ الشرك هو التعلق بها من دون الله وعبادتها من دون الله ﷻ .

قال النبي ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ**» أخرجه البخاري (١) .

فحب الشهوات فطرة وفتنة : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ

(١)أخرجه البخاري برقم/ ٢٨٨٦.

﴿وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء/ ٣٥].
فالشيطان وأتباعه ينظرون إلى مفتاح شخصية مَن أرادوا فتنته، ويضلوه بالمفتاح الذي يحب من هذه مفاتيح الستة ، وهذه الأشياء كلها مباحة ، لكن يجب استعمالها حسب أمر من أباحها جل جلاله .
فأعظم الصوارف عن الهدى إلى الهوى هو حب هذه الشهوات الست، والتعلق بها من دون الله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾[آل عمران/ ١٤] .
لهذا مَن كَمل توحيده، وكمل يقينه، لا يكاد يغفل عن ربه ، فهو دائمًا في الأعمال الانفرادية من صلاة وصيام، وعمرة وحج، وذكر ودعاء، وقراءة القرآن ، أو في الأعمال الاجتماعية : كالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله ونصيحة المسلمين، لا تجد عنده فراغًا أبداً ، وهو دائمًا مشغول بهذه الأعمال الصالحة : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون/ ٦١].
هذه الأعمال تزيد التوحيد والإيمان، وترفع درجات العبد في الدنيا، وتجعله شمسًا مضيئة تنشر الأعمال بالصفات، وتنشر اليقين بالصفات ، فالدنيا كالجسد العظيم روحها الدين ، وروح الدين هو الدعوة ، وروح الدعوة هو التضحية ، وروح التضحية هو البذل والترك من أجل إعلاء كلمة الله، والهجرة والنصرة ، من أجل نشر دين الله أن أترك من أجل الله ؛ أترك ما أحب لما يحب ، والبذل من أجل الله ؛ أبذل ما أحب لما يحب، ولما جاءت الهجرة والنصرة من أجل إعلاء كلمة الله ، جاء الرضوان عن الرب، والرضا من الرب : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[التوبة/ ١٠٠] .
فلنعرف قيمة هذه الكلمات العظيمة ؛ لأننا نحن المخاطبون بها ، لا بد أن نعلمها، ونعمل بها، وندعو الناس إليها ، لأننا أمناء على أمة محمد ﷺ ، وأمناء على آذانهم وعلى أبصارهم وعلى عقولهم وعلى أوقاتهم وعلى جميع جوارحهم : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

لا بد أن نؤدي الأمانة ؛ أمانة ما يسمعون، وما يقرءون، وما يعملون، وما يأكلون، وما يشربون، وما يحبون، وما يبغضون ، علينا أمانة عظيمة لكل فرد في العالم ، لا بد أن نُعلِم كل إنسان ماذا يسمع، وماذا لا يسمع ، بماذا يتكلم، وبماذا لا يتكلم ، ماذا يفعل، وماذا لا يفعل ، ماذا يحب، وماذا يكره ، من يعبد، ومن لا يعبد : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٢-٧٣] .

وقلوب البشرية كلها لا بد لها من لا إله إلا الله ، ولأبدان البشرية كلها لا بد من محمد رسول الله، وإلا كانت حطباً لجهنم .

هذه مسؤلية أهل التوحيد، صبغة البشرية كلها بصبغة الله: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

وللفوز بالجنة، والنجاة من النار، لابد أن تكون حياة كل فرد في العالم مطابقة لحياة النبي ﷺ في خمسة أمور :

في نيته.. وتوحيده.. وفي أقواله.. وفي أعماله.. وفي أخلاقه .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

وبقدر كمال التوحيد، وبقدر قوة التضحيات ، وبقدر قوة الأعمال، الله يُنور القلب، فيرى الحق حقًّا، ويعمل به ، ويرى الباطل باطلًا ويجتنبه ، ويستأنس بالله ويستوحش من غيره ، ويقبل على ربه عابدًا وذاكرًا وداعيًا ومعلمًا ومحسنًا ، فهو لا يلتفت إلى غيره ، فهو يرى المخلوقات كلها أواني ليس بأيديها شيء ، وأن علاقته بهذه المخلوقات علاقة رحمة : كافر يدعوه ، وجاهل يعلمه ، وفقير يحسن إليه، وعالم يتعلم منه .

فإذا تم التوحيد جاءت قوة الأعمال ، وجاءت قوة الأخلاق ، وجاءت قوة التعبد لله ﷻ ، وإذا عاش الإنسان في الجو الغافل، أو مر بالجو الغافل، نقص التوحيد، فجاءت المعاصي ، ثم إذا ذهبت حسنة جاءت مكانها سيئة ، ذهبت سُنة جاء مكانها بدعة ، ذهب الذكر جاء بعده الغفلة : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام/ ٦٨].

فلا بد أن نعيش في مثل هذه الأجواء الإيمانية، حتى يرتفع منسوب الإيمان ، ثم تأتي قوة الأعمال، ويأتي بعد ذلك رضوان الرب ، فنحافظ على التوحيد ، فالتوحيد أعظم شيء، نحافظ عليه حتى لا ينقص ، بل نحافظ على زيادته كل يوم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤] .

وإذا حافظنا على توحيد الله ﷻ يحفظنا من كل سوء ، ويكرمنا بطاعته، وبأداء الأعمال بالمحبة والتعظيم والذل لله ﷻ ، فالتوحيد عظيم ، إذا نقص التوحيد بطل العمل ؛ لأنه أساس والمباني تأتي فوقه ، أركان الإسلام وأركان الإيمان كلها تأتي بعد الإيمان بالله ﷻ .

بعد التوحيد ، بعد أن نعلم بأنه لا إله إلا الله يأتي البنيان ، تأتي الصلاة والصوم والزكاة والأعمال الأخرى، ويأتي في القلب حب الله وتعظيمه، والخوف منه، والتوكل عليه .

فإذا لم يكن هناك أساس لا يمكن أن نقيم الأعمال ، الأعمال لا تقام إلا على المباني العظيمة ، لا تقام إلا على أساسات متينة . فالتوحيد هو الأصل ، والعمل فرع له ، وإذا فسد الأصل فسد الفرع.

فيجب على كل مسلم تجديد التوحيد والإيمان لربه العظيم ، والتوحيد ألذ شيء ، ألذ من المأكولات، والمشروبات، والمسكونات، والمركوبات، والمنكوحات ، ألذ من كل شيء ، فالتوحيد هو أعظم شيء في خزائن الله ، وأعظم شيء يُكرم به العبد، وأعظم شيء يثاب عليه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾

[الرعد/ ٢٨-٢٩] .

وجميع العبادات كلها مذكِّرة بالله ﷻ ، جميع الأذكار والأدعية، والصلوات، وأنواع العبادات ، كلها تُذكِّر بالله ، وإذا ذكرت الله وحدته، وسبحت بحمده، وامتثلت أمره واجتنبت نهيه، وفعلت ما يرضيه، واجتنبت ما يسخطه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم

مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

وإذا نقص التوحيد نقص العمل ، إذا انتقض التوحيد بطل العمل ، وينقص من العمل بقدر نقص التوحيد ، فلا بد من تجديد التوحيد لربنا العظيم، واجتناب ما يبطله أو يكدر صفاءه .

• **نواقض التوحيد كثيرة ، ويمكن حصر أصولها فيما يلي :**

الأول: أعظم نواقض التوحيد هو الكفر بالله ، وهذا هو الضلال البعيد : ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٥] .

فالكافر : ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحج/ ١٢].

وهذه الأمة شرفها الله بالعبادة والدعوة، وتلك فريضتان على كل مسلم ومسلمة، فمن لم يقم بالدعوة فقد لفظ جهد النبي ﷺ من حياته ، أخذ دينه ولفظ جهده ، ولا بد لتستقيم الحياة أن نقوم بما أوجب الله علينا ؛ لأننا نحن خير أمة ، النبي ﷺ سيد الأنبياء ، ونحن أفضل الأمم ، هذه الأمة أفضل الأمم ؛ لأن الله اجتباها وشرفها على سائر الأمم .

• وقد توج الله هذه الأمة بأربعة تيجان عظيمة :

تاج ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

وتاج ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ [الحج/ ٧٨] .

وتاج ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

وتاج ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

تكونون شهداء على الناس، لأنكم دعوتموهم إلى الله فآمنوا أو لم يؤمنوا ، فالله جعلنا شهداء ، كذلك الرسل شهداء على أممهم ، كذلك نحن شهداء على من ندعوهم ، وشهداء على الأنبياء أنهم بلغوا وصدقوا وبلغوا أممهم ؛ لأن الأمم تنكر يوم القيامة ، فنحن شهداء على الأنبياء السابقين وشهداء على الناس الذين ندعوهم

إلى الله ﷻ، وشهداء على الأمم من قبلنا .
فنحن تُوِّجنا بهذه التيجان، لنقوم بجهد النبي ﷺ ، وهو جهد العبادة، وجهد الدعوة .
جهد العبادة أن آخذ من الدين حسنات، بأداء العبادات أصلي وأصوم، وأزكي وأحج، وأذكر الله وأنفق ، آخذ من الدين حسنات على العبادات .
أما الدعوة فهي أن أوسع الدين في المشرق والمغرب، والشمال والجنوب ، حتى يكون التوحيد عالمياً، ويكون الإيمان عالمياً، وتكون الصلاة عالمية، والصوم عالميًّا، والحج عالميًّا، والزكاة عالمية، وسبحان الله عالمية، والحمد لله عالمية، وصلة الرحم عالمية، واللباس الإسلامي عالميًّا، والحجاب الإسلامي عالميًّا، والأكل على السنة عالميًّا، والنوم على السنة عالميًّا، هكذا حتى يكون الدين في العالم كله لله وحده:
﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾
[إبراهيم/ ٥٢] .
والدين شيء، وجهد الدين شيء ، الله أعطى محمداًﷺ هذا وهذا، فالعبادة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل/ ١] .
وأعطاه الدعوة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر/ ١-١٧] .
نحن الله أعطانا الدين، وجهد الدين ، فمن قام بنصف الدين :﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[العصر/ ٣].
أخذ من الدين، وسيدخل الجنة ، لكن سوف يحاسب على النصف الثاني الذي هو الدعوة : ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر/ ٣] .
فأعظم شيء هو عبادة الواحد الأحد، والدعوة إلى عبادة الواحد الأحد .
لكن العبادات خفيفة وسهلة على النفس ، لكن الدعوة فيها تضحية ، الدعوة فيها بذل ؛ الدعوة فيها ترك من أجل الله ، والتضحيات الكبرى من أجل إعلاء كلمة الله، تتحقق بستة أمور كما ضحى المهاجرون والأنصار بذلك ، فانتشر الدين في العالم .

- فالمهاجرون والأنصار ضحوا بستة أشياء :

بالأوقات.. والأموال.. والأنفس.. والشهوات.. والأهل.. والبلاد .
من أجل إعلاء كلمة الله المهاجرون تركوا مكة ، وخرجوا مع النبي ﷺ إلى المدينة ،

وجاهدوا معه ، ولم يرجعوا إلى مكة إلا لحج أو عمرة ، استقروا في المدينة، وانتشروا دعاة في العالم ، والأنصار ناصروه بكل ما يستطيعون .

فإذا جاءت الهجرة والنصرة جاء الثالث ، وهو العزة ، والهداية، وانتشر الدين، وحصل الأمن في الدنيا ، والفوز بالجنة في الآخرة : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٠].

وكما لا يأتي النور إلا بمولد ولمبة، كذلك جهد التضحية الصادقة بالترك والبذل من أجل الدين ، الله ﷻ يظهر الثالث وهو الدين : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٣].

لكن دين بدون تضحية ، بدون اقتطاع وقت وفكر، وبدون بذل المال، لا يمشي ولا ينتشر الدين ، الدين لا بد أن ننفق عليه حتى تكبر شجرة الدين ، لا نأخذ منه فقط ، ولا نأكل بالدين الدنيا ، وهو ما حصل من بعض الناس الذين يدعون إلى الله اكتسابًا لا احتسابًا .

هذا الدين نظامه : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الأنعام/ ٩٠] .

أعلم من أجل الله ، وأدعو من أجل الله ، لا أبتغي في ذلك أجرًا من أحد : ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ١٨٠] .

ولهذا كلام الداعي إلى الله إما داء وإما دواء ، كلام الداعي يكون دواءً إذا خرج من القلب ابتغاء مرضاة الله، وامتثالًا لأمره، وحبًّا في نشر دينه ؛ ليُعبد الله وحده ويُشكر وحده ، هذا كلام الداعي الصادق، كلامه مؤثِّر في العالم ، بث مباشر على البحار والأشجار ، وكل يستغفر له، وكل يتأثر به حتى الحيتان في البحر، والطيور في السماء ؛ لأن النبي ﷺ بُعث رحمة للعالمين ، بث مباشر للعالَم ، يتأثر به العالم العلوي، والعالم السفلي : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

فإذا كنت تحب الواحد الأحد، وتحب عبادة الواحد الأحد، فادع إليه كل أحد: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

أما كلام الداعي إذا كان غير خالص لله، وبدون تضحية، يكون داء ، وتنتشر الأعمال بدون الصفات ، ويكون الإنسان مصليًا، لكن كصلاة المنافقين لا يبالي بها ، لقاء قصير مع ربه، ولكن لا يبالي بعد أن يخرج من المسجد أن يحلق اللحية، ويشرب

الدخان، ويشرب الخمر، أو ينظر إلى النساء ، أو امرأة تفعل بعض الأمور المنكرة وهكذا .

فالصلاة إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر فلا قيمة لها: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤٥].

هذا التوحيد متصل مع الإنسان داخل الصلاة وخارج الصلاة ، في الشارع، وفي البيت، وفي غرفة النوم، وعلى ظهر السيارة، وعند الكعبة وعلى ظهر الطائرة، وفي القطار، وفي السوق وفي أي مكان ، يمشي التوحيد على العين فلا ترى ما حرم الله ، وعلى الأذن فلا تسمع ما حرم الله ، وعلى اللسان فلا يتكلم بالغيبة والنميمة بل يذكر الله ويسبحه ، وعلى الجوارح فتمشي إلى الطاعات من دعوة أو حج أو عمرة أو غير ذلك : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٢ – ١٦٣].

هذا ألذ شيء ، مع أن فيه مجاهدة للنفس ، ولكن الله ﷻ جعل العسل من وراء قرص النحل ، وجعل الثمار في بعض الأشجار من ورائها الشوك ، وجعل الذهب في وسط الحجارة .

فلا بد من التضحية حتى نتحصل على الذهب ، ولا بد من التضحية حتى يأتي اليقين .

ولهذا روح الدين اليقين ، وروح الرسالة الرحمة ، اليقين يمنع المخلوقات أن تضرني، والرحمة تمنعني أن أضر المخلوقات .

واليقين أن تتيقن أن كل شيء بيد الواحد الأحد : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

فلننظر إلى قوة اليقين في قلب الرسول ﷺ منعت الأعرابي أن يضره ، وقوة اليقين على الله أنه الواحد الأحد الذي بيده كل شيء تمنع المخلوقات أن تضرني ، كلمة «الله» قالهاالنبي ﷺ من قلبه ، فمنعت الأعرابي أن يقتله ؛ بل سقط السيف من يده فورًا .

قوة اليقين على لا إله إلا الله في قلب المؤمن تمنعه من شر المخلوقات ، وقوة الرحمة في قلب الداعي تمنعه أن يضر المخلوقات ، قوة الرحمة في قلب الرسول ﷺ منعته أن ينتقم من هذا الأعرابي ، فقيل إنه أسلم ، وقيل لم يسلم ولكن قومه أسلموا ، وظهرت

رحمة النبي ﷺ لأعدائه فأسلموا : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

وهكذا ظهرت رحمة النبي ﷺ بأعدائه، وهكذا تكون الرحمة العالمية لليهود والنصارى، والكفار والمجوس ، ندعوهم إلى الله ، وندعو لهم ، ونسأل الله ﷻ أن يهديهم ؛ لأن المؤمن الداعي إلى الله الأرض دكانُه، والدِّين سلعته، والناس زبائنه ، كافر يدعوه ، وجاهل يعلمه ، وفقير يحُسن إليه .

هذا من فضل الله ﷻ أن أعطانا هذه الفرص حتى نحصل بها الحسنات ورضوان الله والجنة : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ ﴾ [آل عمران/ ٧٣] .

فالحمد لله ، هذا التوحيد هو الأساس لجميع الأعمال ، والتوحيد والإيمان واليقين هو المحرك القوي لجميع الأعمال ، فهذا التوحيد له نواقض ، وأعظم نواقض التوحيد هو الكفر : ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥ ﴾ [المائدة/ ٥] .

الناقض الثاني : الشرك بالله ، والكفر هو جحد الرب بالكلية ، أما الشرك فهو أن أثبت ربوبية الله وأشرك معه غيره فأجعل معه شريكًا في الخلق والرزق، وفي العبادة ، وشرك قريش كان في العبادة، لأنهم مقرون بالرب : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦ ﴾ [لقمان/ ٢٥ - ٢٦] .

ليس عندهم شرك في الربوبية، وإنما عندهم شرك في الألوهية أن يعبدوا مع الله غيره من أصنام وأحجار وأشجار .

والكفر أعظم من الشرك ، إذًا الكفر جحد للرب بالكلية ، أما الشرك فهو إثبات شريك لله معه ، وكلاهما نجس وقبيح ، وكلاهما ظلم كبير ، وكلاهما صاحبه مخلد في النار : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨ ﴾ [التوبة/ ٦٨] .

فالناقض الثاني الشرك بالله وهو مبطل لجميع الأعمال، وهو ظلم كبير، لما فيه من تنقص لرب العالمين بإثبات شريك له : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨ ﴾ [النساء/ ٤٨] .

الناقض الثالث: من نواقض التوحيد النفاق ، بأن يظهر الإسلام، ويبطن الكفر ، وكل

النفاق الموجود في القرآن هو النفاق الأكبر ، أما النفاق المذكور في السنة فهو النفاق العملي.

ومن صفات أهله أنه إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر .

فهذا هو النفاق العملي ، أما النفاق ألاعتقادي فهو الكفر ، فهذا النفاق الأكبر بأن يظهر الإسلام ، ويبطن الكفر : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾[النساء/ ١٤٥-١٤٦] .

الناقض الرابع : الردة ، بأن يرتد الإنسان عن الإسلام طوعًا ، يخرج من الإسلام ، بعد أن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، يرتد عن الإسلام .

وهذا من أعظم نواقض التوحيد بعد الكفر ، والشرك، والنفاق، وهو من أعظم جهود إبليس وأتباعه على المسلمين : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾[البقرة/ ٢١٧] .

الناقض الخامس : البدع ، بأن يبتدع المسلم في الدين ما ليس منه من البدع المكفرة : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[الأنعام/ ١٤٤] .

فالمبتدع يدخل في الدين ما ليس منه، كأنه ناقص حتى جاء وأكمله ببدعته : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء/ ١١٥].

المبتدع يبتدع عبادة لم يشرعها الله ﷻ من البدع المكفرة ، أن يقول على الله بلا علم ، أو عبادة عملية ، أو غير ذلك من البدع المكفرة : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأعراف/ ٣٣] .

الناقض السادس : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم الشفاعة ، فهذا مشرك بالله الواحد الأحد : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[يونس/ ١٨] .

الناقض السابع : من لم يُكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم فهو كافر ، كما قال سبحانه : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة/ ٤] .

الناقض الثامن : من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أفضل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، فهو كافر ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران/ ٨٥] .

الناقض التاسع: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به ، أو استهزأ بشيء مما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر ، كما قال سبحانه : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة/ ٦٥ ، ٦٦] .

الناقض العاشر : من اعتقد أن بعض الناس يسعهم الخروج عن شريعة محمد ﷺ، فهو كافر ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/ ١١٥] .

الناقض الحادي العاشر: من أعرض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة/ ٢٢] .

الناقض الثاني عشر: مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين ، كما قال سبحانه : ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران/ ٢٨] .

الناقض الثالث عشر: السحر ، فمن فعله أو رضي به فهو كافر ، كما قال سبحانه : ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة/ ١٠٢] .

فهذه أهم نواقض الإسلام، وأعظم نواقض التوحيد، فانتبه واحذر أن ينتقض توحيدك بواحد منها : ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر/ ٦٥–٦٦].

فالله ﷻ هو الواحد الأحد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض ، خلق هذا الإنسان بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وخلقه خلقًا مميزًا على كافة المخلوقات ، خلق جميع المخلوقات بكن فكانت ، وخلق هذا الإنسان بيده تكريمًا وتشريفًا له ؛ لأنه يريده أن يكون خليفة في الأرض، يؤمن بالله، ويعمل بما جاء عن الله، ويدعوا إلى دين الله ، فهو خليفة في الأرض، يؤمن بالله، ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه ، يطيع ربه الواحد الأحد : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة/ ٣٠] .

هو سبحانه الواحد الأحد، السميع لكل احد، الظاهر لكل أحد، المبين لكل أحد، الرزاق لكل أحد، الشكور لكل أحد، الغفور لكل أحد، الحافظ لكل أحد، الفتاح لكل أحد، المجيب لكل أحد، الوهاب لكل أحد، الشافي لكل أحد : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١–٤].

فالله ﷻ هو الواحد الأحد الذي يريد منا أن نكون أمة واحدة ، ندين بدين واحد ، هو الإسلام ، ونعبد ربًّا واحدًا لا إله إلا هو ، ونتبع رسولًا واحدًا ، هو محمد ﷺ ، ونعمل بكتاب واحد ، وهو القرآن : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٢].

فالله ﷻ أحكم هذا الكون العظيم بالتوحيد ، وأنزل أوامره الكونية والشرعية شاهدةً لله بالتوحيد ، والله ﷻ أحكم هذا الكون العظيم بالتوحيد :

خلق السماوات ، وخلق الأرض ، وخلق الجبال والبحار ، وخلق الليل والنهار ، وأحكم خلق هذا الكون العظيم بالتوحيد ؛ لأنه لا يصلح أن يحكم هذا الكون إلا واحد ، وأنزل أوامره الكونية والشرعية شاهدة بالتوحيد ، وداعية إلى التوحيد الذي لا فلاح ولا نجاة لأحد إلا به ، كما قال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢] .

وتذكيرًا بالتوحيد، وتقوية له، ومحافظة عليه ، أمرنا الله الواحد الأحد أن نجتمع في الصلاة على إمام واحد ، ويجتمع أهل البلد في صلاة الجمعة على إمام واحد ، ونجتمع في السفر على إمام واحد ، ونجتمع في الحج على إمام واحد .

وأمرنا أن نجتمع في أمور ديننا ودنيانا على إمام واحد يكون أفضلنا وأشرفنا وأتقانا ، وأمرنا بطاعته في غير معصية الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء/ ٥٩] .

وهذا كله تنبيهًا على فضل الواحد وشرفه ، وليدل سبحانه عباده على وحدانيته ، ولينبههم بذلك على المراد الأكبر منهم ، وهو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾ [الروم/ ٣٠] .

فالتوحيد هو مقصود الرب الأعظم من خلقه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ [التوبة/ ٣١] .

وجزاء أهل التوحيد الجنة ورضوان رب العالمين ، فالتوحيد هو مفتاح الجنة ، والموحدون هم سكانها ؛ أُعدت لهم قصورها ، وفُتحت لهم أبوابها ، وتساووا في الخلود فيها ، ألا تراهم على طول رجل واحد ، طول آدم ستون ذراعًا ، وشكل واحد ، وعمر واحد ، على عُمْر عيسى ﷺ ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة ، وعلى قلب رجل واحد ، وعلى خلق رجل واحد ، وهم أُخوة في الدنيا والآخرة ، أصفياء لا غِل في صدورهم ؛ لأن إيمانهم واحد ، وأعمالهم واحدة ، وأخلاقهم واحدة ، وإكرامهم من ربهم واحد ، وهم يتفاوتون في النعيم لكن لا يشعر به أحد : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ [السجدة/ ١٧] .

فهم أصفياء لا غِل في صدورهم ، ولا غش في قلوبهم ، ولا عيب في أبدانهم ؛ لأنهم في دار السلام ، ولا تباغض بينهم ؛ لأن كل إنسان في نعيم مقيم ، لأدنى مسلم في الجنة مثلُ هذه الدنيا عشر مرات ببحارها، وأرضها، وسهولها، وثمارها، ومعادنها، وسمواتها، وأرضها ، له مثل هذه الدنيا عشر مرات ؛ لأن الله واسع الفضل، واسع الرحمة، واسع العطاء، يعطي على قدر شأنه لا على قدر سؤال العبد : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ

﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].
فالله ﷻ كريم يريد من عبده أن يتقرب إليه بأي شيء ليعطيه على ذلك العطاء العظيم ، فمن جاء بمثقال مثقال ذرة من إيمان له مثل هذه الدنيا عشر مرات ، مع الخلود الأبدي، والرضوان الإلهي، في أمن وسلام، بلا خوف ولا غل ولا حسد : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر/ ٤٧] .
فمن عاش بالأخوة الإيمانية ، وأحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وعاش في الدنيا بلا تحاسد ولا تباغض، ولا تقاطع ولا تدابر ؛ عاش يوم القيامة مع إخوانه المؤمنين :
﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٥] .
فكُونوا عباد الله إخوانًا، لتكونوا يوم القيامة : ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر/ ٤٧] .
فهم بهذه الصور الجميلة الواحدة، أخلاقًا وصفاتٍ وأعمالًا ، قد تباعدت عنهم كل معاني الفرقة ، وانفردوا جميعًا بمعاني الوحدانية وجوار الواحد الأحد يوم القيامة :
﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .
ثم قصورهم وجمالهم وحسنهم بعدُ على قدر ارتقائهم في درجات التوحيد والإيمان والعمل الصالح ، قصورهم وجمالهم وحسنهم يُشكَّل على قدر ارتقائهم في درجات التوحيد ؛ فمَن وحد الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعبده كما يجب أن يُعبد ، وأخلص عمله لله ، وسابق في كل عمل صالح ؛ فهذا في أعلى الدرجات، وهي درجات الأنبياء ، ثم من يليهم من الصديقين وغيرهم : ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء/ ٢١].
فالقصور والجمال والحسن يوم القيامة على قدر ارتقاء الناس في درجات التوحيد والإيمان والعمل الصالح : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-١٤] .
السابقون السابقون إلى كل عمل صالح ، الذين يقتدون بالنبي ﷺ في نيته وتوحيده وأقواله وأعماله وأخلاقه ، فهم دائمًا لهم في كل وادٍ راية ، بساتينهم معمورة بالباقيات الصالحات ، يغرسون من الأشجار والأعمال الصالحات في حياتهم على حد قوله : ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ

﴿أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣] .
أنا أول مَن سلَّم ، أنا جئت إلى ربي اختيارًا ، محبة وتعظيمًا وذلًّا لربي جل جلاله ، جئت أعبده جل جلاله ؛ لما له من الكمال والجلال والجمال ، ولما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، طمعًا ورجاءً في ثوابه ، وخوفًا من عقابه : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .

- **فالعبادة التي يحبها الله ﷻ تقوم على ثلاثة أركان :**

الركن الأول : محبة الله ﷻ .

الركن الثاني : الخوف من عقاب الله ﷻ .

الركن الثالث : رجاء ثواب الله ﷻ .

- **فالركن الأول: محبة الله ﷻ :**

محبة الله أهم أركان العبادة ، فيجب على كل مسلم أن يحب الله ورسوله ودينه، ويحب كل ما يحبه الله ويرضاه من الطاعات، وأهل الإيمان ، أكثر مما يحب نفسه وأولاده وأمواله ، ويكره كل ما يكرهه الله من المعاصي والذنوب ؛ هذه أعظم أركان العبادة : ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٥ – ١٧] .

ومحبة الله كيف تنشأ ؟ تنشأ من معرفة الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى ، ومن معرفة نعمه وإحسانه، وعفوه ورحمته ، ومن النظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية ، وكلما زادت معرفة العبد بربه زادت محبته له، وزاد حب الله له، وزادت طاعته لربه ، والمحبة الكاملة مقرونة مباشرة بالطاعة الكاملة : ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [آل عمران/ ٣٢].

ولهذا الملائكة لا يعرفون إلا طاعة الله ﷻ، ولا يعرفون المعاصي أبداً ، فهم دائماً : ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء/ ٢٠] .

وفي تنفيذ أوامر الله: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم/ ٦] .

فنتيجة معرفتهم بالله ﷻ أحبوه، فأطاعوه طاعة كاملة ، ونحن يجب علينا أن نتشبه

بهم ، ونتشبه بالأعلى لنصل إلى الأعلى جل جلاله ، ولا نتشبه بالأدنى وهو الكافر، حتى لا نسقط في الأدنى وهو نار جهنم بالشرك والمعاصي : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .

فسبحان الله ، كلما زادت معرفة العبد بربه زادت محبته له ، وزاد حب الله له ، وزادت طاعته لربه جل جلاله ، ثم تنوعت طاعاته لربه :

يطيع ربه في العبادة فيما بينه وبينه ، ويطيع ربه في أقواله وأعماله ، ويطيع ربه في الإحسان إلى خلقه، والدعوة إليه، وتعليم شرعه : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ ﴾ [يونس/ ٦٢ - ٦٤] .

فالمحبة الكاملة لله ﷻ نتيجة معرفة العبد ربه بأسمائه وصفاته، ونعمه وإحسانه ، والمحبة الكاملة مقرونة بالطاعة الكاملة لله ﷻ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩] .

فهذه جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة ، جنة المعرفة في الدنيا ؛ أن نعرف الله ﷻ، ونعرف أسماءه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده ، ونعرف أركان الإيمان الستة ، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

ومن دخل جنة المعرفة في الدنيا أدخله الله يوم القيامة جنة الآخرة ، ومن عرف الصفات الإلهية في الدنيا وتعبد لله بها، أدخله الله القصور الملكية في الآخرة : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال/ ٢ - ٤] .

فالذي يعرف ربه يحبه ، ومن أحب ربه أطاعه، وامتثل أمره فيما أمر به، وما نهى عنه ، واستقام مع كافة المخلوقات المسخَّرة ، المخلوقات كلها تسبح بحمد ربها ؛ لأنها كلها الله طبعها على المعرفة التامة .

فجميع المخلوقات شاهدة بوحدانية الله، ومسبحة بحمده، ومستجيبة لمشيئته،

ومسرعة إلى إرادته وخاضعة لأمره : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

فهذه المحبة العظيمة لله نتيجة معرفة صفات الجلال والجمال لله ، ونتيجة معرفة نِعم الله وإحسانه إلى خلقه ، ونتيجة معرفة من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى وأنا أحب الشيء لذاته، وأحبه لصفاته ، فأنا أحب الله لذاته ؛ لأنه هو الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد في أسمائه وصفاته : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١] .

هو القوي الذي ليس كمثله أحد في القوة ، هو القادر الذي ليس كمثله أحد في القدرة ، هو العليم الذي ليس كمثله أحد في العلم ، وهو الرحمن الذي ليس كمثله أحد في الرحمة.. وهكذا .

والإنسان يحب العظيم، ويحب أن يتخلق بأخلاق العظيم ويقدّر فلانًا لما له من القوة، ويحب أن يقتدي به في قوته ، ولله المثل الأعلى : إذا أحببت وعرفت العظيم بأسمائه وصفاته تخلقت بالأخلاق التي يحب جل جلاله ، فالله ﷻ يحب المحسنين ، يحب المؤمنين ، يحب المتقين ، يحب الصادقين .

فمقصود الله من خلقه هو عبادته بموجب أسمائه وصفاته ، فالله مؤمن يحب المؤمنين ، شكور يحب الشاكرين ، تواب يحب التوابين، عفو يحب العافين ، وهكذا في بقية الأسماء .

فهذه المحبة العظيمة أعظم مولِّد للعبودية ، فالإنسان يستغرق في العبادة ؛ لأنه عرف المعبود، فامتثل أمره في عبادته ، فخشع قلبه ، والمقصود من الصلاة خشوع القلب ، حركة الجسد جعلها الله سبيلًا لجمع القلب على الله ﷻ ، أن أجمع قلبي على ربي لأني عرفته بأسمائه وصفاته فأكبره ، وعرفت نعمه فأشكره ، وعرفت عفوه فأسأله أن يعفو عني ، وعرفت أنه الرزاق فأسأله الرزق ، وعرفت أنه الرحمن فأسأله الرحمة ، وعرفت أنه الغفور فأسأله المغفرة ، فالمقصود من العبادات خشوع القلب : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون/ ١ – ٢] .

لماذا خشعوا ؟ لأنهم استحيوا من ربهم ، وعرفوا عظمته وجلاله وكبرياءه، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعظمة نعمه وإحسانه فهم خاشعون بين يدي ربهم ، لأنهم عرفوا أنه هو القوي وهم الضعفاء ، وهو الغني وهم الفقراء ، هو الرحمن وهم الذين يريدون

الرحمة ، هو الرزاق وهم المرزوقين .
فهم محتاجون إلى ربهم، وهو غني عنهم، وهم يعصونه وهو يحلم عليهم ويغفر لهم: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧٤ ﴾ [المائدة/ ٧٤] .
فكلما زادت طاعة العبد لربه فإنما هذا دليل على معرفته بربه ، والمعرفة بالرب تولد التعظيم والمحبة ، والمحبة الكاملة مقرونة بالطاعة الكاملة ، وكلما نقصت معرفة العبد بربه نقص حبه له ونقصت طاعته له ، وكلما عصى العبد ربه جل جلاله نقصت محبته لله بقدر معصيته ، وكلما أطاع العبد ربه زاد حب الله له بقدر طاعته ، وإذا ضعفت محبة الله في قلب العبد بسبب كثرة معاصيه ؛ فقَدَ لذة العبادة، واستولى عليه الشيطان ، فيؤدي العبادة وهو لاهٍ غافل عن ربه ، ويجد قسوة في قلبه ، ويشعر بلذة المعصية، ويحس بثقل الطاعة .
ومما يُقوي محبة الله في قلب العبد ، معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة نِعم الله عليه ، وأداء الواجبات، واجتناب المحرمات ، والإكثار من نوافل العبادة .

- **أما الركن الثاني من أركان العبادة فهو الخوف من الله تعالى :**

فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف ، أعرف الله بأسماء جلاله أنه القادر القاهر، الملك العزيز الجبار الذي بيده ملكوت كل شيء ، إذا شاء جعل الزمان نهارًا ، وإن شاء جعله ليلًا ، وإن شاء جعله حرًّا، وإن شاء جعله بردًا .
نظر إلى فعل الله في ملكوته : هذه البحار العظيمة ، وهذه الجبال الراسية ، وهذه النجوم المنتشرة ، وهذه الشمس الملتهبة ، وهذا الكون العظيم بسماواته وأرضه، وجباله وبحاره وأنهاره، ونباتاته وحيواناته وطيوره ورياحه ؛ هذا المُلك العظيم لمالك عظيم جل جلاله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].
فالخوف يولد الخشية والرهبة، والحذر من المعصية ، والخوف من الله ﷻ من أركان العبودية : فيجب أن أخاف الله، وأن أخاف من عقوبته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر/ ١٨] .
وقال ﷻ : ﴿ وَٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٢٨١ ﴾ [البقرة/ ٢٨١] .
عند الله يوم عظيم يكرم فيه من أطاعه، ويهين من عصاه ، يُنعم على من أطاعه،

ويعذب من عصاه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾ [النساء/ ١٣ – ١٤] .

والخوف المحمود هو ما حال بين العبد وبين معصية ربه جل جلاله .

والخوف من الله ﷻ كيف ينشأ ؟ ينشأ من معرفة الله ، ومعرفة أسمائه وصفاته ، ومعرفة وعيد الله لمن عصاه بالعقوبة ، ومعرفة شدة عقوبة الله لمن عصاه بأنواع العذاب: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ ﴾ [النساء/ ٥٦] .

فجهنم سجن ، وفي داخل السجن ألوان العذاب، بحسب ذنب العبد، وبحسب كثرته وبحسب شدته : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨ ﴾ [النحل/ ٨٨] .

لأنهم كفروا وصدوا عن سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وأوقاتهم .

فالنار دركات ، والجنة درجات ، ولهذه سكان متفاوتون ولهذه سكان متفاوتون ، بحسب الإيمان والكفر ، والبر والفجور ، والطاعات والمعاصي : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣ ﴾ [آل عمران/ ١٦٢ – ١٦٣] .

وكلما قوي إيمان العبد وتصديقه بعذاب الله، ومعرفة شدة عذابه لمن عصاه ، اشتد خوفه من الله، ومن عذاب الله ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥ ﴾ [آل عمران/ ١٧٥] .

فسبحان الملك العزيز القادرعلى كل شيء، ما أوسع حلمه على من عصاه وأشرك به، يجب أن نخاف الله، وأن نوقر الله ، وأن نقدر الله حق قدره: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

- **أما الركن الثالث : فهو رجاء الله تعالى :**

وهو الطمع في ثواب الله ورحمته ومغفرته ، والمسلم دائمًا يحب الله، ويخاف من عقابه، ويرجو ثوابه : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ

رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩].

● **والرجاء ثلاثة أقسام :**

الأول : رجاء مَن أطاع الله في أن يتقبل الله عمله ، من أطاع الله يرجو ربه أن يتقبل صلاته وصيامه وحجه وإحسانه وصدقاته ، وأن يثيبه عليه بالفوز بالجنة، والنجاة من النار : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٩ – ٣٠].

أما الرجاء الثاني : فهو رجاء من أذنب ذنوبًا ثم تاب منها ، أن يغفر الله ﷻ له ذنوبه ، وأن يعفو عنه ، ويبدلها حسنات . فالله ﷻ رحمن رحيم ، وعفوا كريم : ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٥٣] .

فالمؤمن يرجو ربه أن يكرمه على ما عمل من عمل صالح ، وأن يغفر له ذنوبه ، فكلنا يرجو من ربه ثواب الطاعات، وتكفير السيئات ؛ لأن الله ﷻ هو الغفور الرحيم .

وهذان النوعان محمودان، مأمور بهما شرعًا : أن أرجو الله أن يثيبني على ما عملت من عمل صالح ، فهو أهل لذلك ؛ بل هو يعطيني فوق ما أطلب ، لأنه يعطي على قدر شأنه لا على قدر عملي ، فالجنة ليست على العمل ؛ إنما العمل سبب لدخول الجنة ، ودخول الجنة برحمة الله كما قال النبي ﷺ : «**لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنْكُمُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ**» ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : «**وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِفَضْلٍ مِنْهُ وَرَحْمَةٍ**» متفق عليه (١) .

فإن الفضل كله لله ، هو الذي خلقنا ، وهو الذي هدانا ، وهو الذي يسر لنا العمل ، وهو الذي حبب إلينا العمل ، وهو الذي أثابنا على العمل ، وهو الذي استضافنا في بطن الأم ، وهو الذي أوجدنا من عدم ، وهو الذي أسكننا في هذه الدنيا ، وهو الذي أمدنا بالنعم وهو الذي أعطانا الأسماء والعقول والأبصار ، فالله ﷻ له المنة والفضل في جميع ما نراه ، وفي كل ما نعمل : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣ – ٧٤].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم/ ٦٤٦٣ ، واللفظ له، ومسلم برقم/ ٢٨١٦.

فهذان النوعان محمودان مأمور بهما شرعًا ، رجاء الثواب على العمل الصالح ، ورجاء العفو عن السيئات .

أما الرجاء الثالث : فهو رجاء من هو متماد في التفريط في الواجبات، والوقوع في المحرمات ، ومع ذلك هذا الإنسان الغافل يرجو رحمة الله ، فهذا هو المغرور، وهو المتمني الذي يرجو رجاءً كاذبًا مذمومًا .

هذا رجاء من هو مقيم على المعصية، مفرط في الواجبات، وواقع في المحرمات ، ومع ذلك يرجو رحمة الله ؛ مفرط في الواجبات : لا يصلي ولا يصوم ولا يفعل الواجبات الشرعية ، ويقع في المحرمات من غش وربا وسحر وزنا وقتل وغير ذلك من المحرمات ، ومع ذلك فهو يرجو رحمة الله ، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٨] .

الذين عندهم هجرة، وعندهم نصرة، وعندهم جهاداً وعندهم أعمالاً صالحة هؤلاء هم الذين يرجون رحمة الله ، فيجب علينا جميعًا أن نعبد الله الواحد الأحد محبة له، وطمعًا في ثوابه، وخوفًا من عقابه : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩] .

فنحن الحمد لله الله ﷻ مَنَّ علينا بهذا الدين العظيم الذي نعبده جل جلاله به في هذه الدنيا، لنصل إليه يوم القيامة .

والله ﷻ مقصوده من خلقه هو التوحيد : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦] .

أي : يوحدون ، فالله ﷻ بنى الأوامر الكونية والأوامر الشرعية كلها على التوحيد ؛ ليعود العقل ويعود القلب إلى ربه الواحد الأحد في خلقه وأمره ، ولهذا يجب علينا أن نعبد الواحد الأحد، ونشهد وحدانيته، ونشهد عظمته، ونشهد كبرياءه، ونشهد إحسانه إلى خلقه ، ونخبت لجلاله، وننكسر بين يديه لننال بشراه بالجنة والرضوان : ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج/ ٣٤-٣٥] .

الله ﷻ هو الواحد الأحد ، ويريد منا أن نتخلق بهذا الخُلق العظيم ، نتخلق بهذا الاسم

العظيم ، فتوحيد الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بربوبيته، وتوحيده بألوهيته، وتوحيده بعبوديته ؛ هذه أول العلوم وأعظمها وأشرفها ، وأعظم واجب على العبد معرفته، والشهادة لله به، والعمل بمقتضاه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩] .

فنحن إذا عرفنا الله بأنه هو الواحد الأحد، الذي خلق السماوات والأرض وما فيهن، وهو على كل شيء قدير ، وأنه واحد في ذاته، واحد في أسمائه، واحد في صفاته، واحد في أفعاله .

فماذا يجب علينا بعد هذه المعرفة ؟ .

يجب علينا إخلاص العبادة للواحد الأحد ، والتخلق بهذا الخلق العظيم .

الله ﷻ أول وأعظم من شهد لنفسه بالوحدانية ، أعظم الشهادات شهادةُ الذات لذاته بالتوحيد ، ثم شهادة الملائكة ، ثم شهادة العلماء كما قال سبحانه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ [آل عمران/ ١٨] .

فيجب على المسلم أن يترقى إلى هذه الرتبة رتبة العلماء ؛ ليكون عارفًا بالله، وعارفًا بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويكون نورًا يُستضاء به ، ويكون شمسًا تضيء العالم بالتوحيد ، ويكون أرضًا تسقى بالماء فتنبت، تقبل وتنبت ، قبلت الماء فأنبتت من كل زوج بهيج ، كذلك الإنسان يقبل العلم، ثم ينقل هذا العلم الإلهي إلى غيره لينبت المؤمنين والمحسنين، والصادقين والصابرين، والمنفقين والمستغفرين، وأهل الإحسان والتقوى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم/ ٥٢] .

التعبد لله عز وجل باسمه الواحد.. الأحد

التعبد لله باسمه الواحد الأحد هو عبادة العبد لربه ، وتوحيد الربوبية، أفعال الله بخلقه ، وتوحيد الألوهية ، أفعال العباد الموجهة إلى ربهم الواحد الأحد من الدعاء والصلاة الذكر وغير ذلك من الأعمال : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فنوحد الله بهذا وهذا، ونعبد الله بموجب ذلك : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة/ ٣١].

والله ﷻ أمرنا أن نُعرف القلب بأن الله هو الواحد الأحد الذي لا شريك له في ملكه، وخلقه، وأمره، وحكمه، وتدبيره ، هو الواحد الأحد الذي لا شريك له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته وأفعاله ، لابد أن يَعرف القلب هذا الشيء ، وإذا عرف هذه المعرفة جاءت عنده عبودية الطاعة، والتسليم، والحب، والخوف، والرجاء لربنا ﷻ ، فإذا عرف القلب أن المُلك كله في قبضة الله، والخزائن كلها بيده، والكون كله باقٍ بمشيئته، وجميع المخلوقات خاضعة لأمره ، أطاعه وأحبه، وخافه ورجاه ؛ لأنه يعلم أنه الملك الحق الواحد الأحد الذي بيده كل شيء، وله الخلق والأمر ، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢- ٨٣] .

والمسلم لابد له في العبادة كالصلاة أن يؤدي صورتها، ويستحضر عظمة من أمر بها . وبعض الناس في الصلاة يقف مع صورة العبادة، ويغفل عن المعبود ، وبعض الناس يقف مع المعبود، ويغفل عن العبادة ، وهذه وهذه صلاة ناقصة، جسد الصلاة القيام والركوع والسجود تزيد أحكامها على مائتي سنة عن النبي ﷺ أقوالًا وأفعالًا وحركات ؛ هذا قالب العبادة ، أما قلب العبادة فهو الخشوع، والخضوع، والخوف، والرجاء، والمحبة لله ﷻ .

فأنا أقف بين يدي ربي بخمس صفات :

مكبرًا له الله أكبر ، بداية الصلاة، وعند الركوع والسجود، وحامدًا له : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة/ ٢] ومستغفرًا له كما أقول بين السجدتين اغفر لي ، وسائلًا له : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة/ ٦] .

ومُقدِّمًا التحية له في آخر الصلاة «**التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ**» متفق عليه (١) .
لأنه خلقني، وخلق الكون كله ، وأنعم عليَّ، وأنعم على غيري ، وأعطاني خيرًا، وصرف عني شرًّا ، فأنا في ملكه ، استضافني في بطن الأم، ثم استضافني في بطن الدنيا، وسوف يستضيفني في القبر، ثم يستضيفني إما في دار الكرامة إن أطعته وآمنت به ، أو في دار العذاب إن عصيته وكفرت به ، فأنا في ملكه وفي قبضته .
فإذا عرفته فلابد أن هذا القلب يتعبد لله ﷻ بالمحبة، والتعظيم، والذل، والانكسار ، طمعًا في ثوابه وخوفًا من عقابه، وإجلالًا له، وتعظيمًا له، وحباً له ، فهذا روح العبادة ، روح العبادة تكبير الله ﷻ، وحمده ، وسؤاله، واستغفاره، وتقديم التحية له جل جلاله .
وأما جسدها فهو القيام والركوع ، تمرينًا للسان، وللأذن، وللعين، ولكافة الجوارح على الانقياد التام، والطاعة الكاملة لله في كل حال ، فمن أطاع الله واستقام داخل الصلاة قيامًا وركوعًا وسجودًا، وأقوالًا وأفعالًا ؛ استقام خارج الصلاة في أقواله وأفعاله وأخلاقه .
فالمقصود أن أحقق العبودية الكاملة ، والعبودية الكاملة أن أخرج من الصلاة المحدودة إلى الصلاة المطلقة ، فأطيع الله في جميع الأحوال : ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٦٢﴾﴾[الأنعام/ ١٦٢] .
فمن امتثلت أمره بين يديه في الصلاة ، امتثل أمره مع خلقه في خارج الصلاة.
داخل الصلوات الخمس ساعة من أربع وعشرين ساعة ، وخارج الصلاة ثلاثة وعشرون ساعة ، فأكون عبدًا لله هنا، وعبدًا هنا ، داخل الصلاة، وخارج الصلاة ، أعبد الواحد الأحد الذي خلقني، وأكرمني، وأنا عبده وهو سيدي ومولاي جل جلاله .
فإذا عرف القلب أن الله هو الجبار في مُلكه العظيم ، وأنه عالم الغيب والشهادة الذي يعلم بالمخلوقات كلها، والذرات كلها على اختلافها، بصفة من صفاته ، كما قال سبحانه : ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ** ﴿٩﴾﴾[الرعد/ ٩] .
هذا هو ربي الذي أقف بين يديه ، هذا هو الواحد الأحد الذي يجب أن أوحده :

---
(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم/ ٧٣٨١، واللفظ له، ومسلم برقم/ ٤٠٢ .

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)﴾[البقرة/ ١٦٣] .

هذا هو عالم الغيب والشهادة ، علم ما كان وما يكون وما سيكون جل جلاله ، يعلم بما أقول قبل أن أقول ؛ بل كل شيء قد كُتب وسجل في اللوح المحفوظ : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)﴾ [الحج/ ٧٠] .

فالله ﷻ يريدنا أن ندخل في جنة المعرفة ، سهل علينا امتثال الأوامر، واجتناب النواهي ، متى عرفنا المعبود بعظمته وجلاله، وعرفنا نعمه وإحسانه ، جاء في قلوبنا التعظيم له، والحياء منه، والاستغفار من الذنوب، والإقبال على الطاعات، والنُّفرة عن المعاصي .

وبقدر قوة المعرفة تأتي قوة المحبة ، وبقدر قوة المحبة، تأتي قوة العبادة، وبعد قوة العبادة يأتي الثواب، ويأتي الحب من الله لعبده ، وتوضع لهذا العبد الهيبة والمحبة بين الناس، والقبول في الأرض والسماء : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا (٩٦)﴾ [مريم/ ٩٦].

فلابد للقلب أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم تأتي العبودية حقاً من القلب ، فإذا عرفت الواحد لم أشرك معه أحدًا في ملكه وخلقه وتدبيره ، ولا أسأل إلا هو ، ولا أتوكل إلا عليه ، ولا أخاف إلا منه ، ولا أرجو إلا إياه : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾[الكهف/ ١١٠] .

الله ﷻ هو العزيز الجبار في ملكه العظيم ، لا بد للقلب أن يعرف من هو الجبار ؟ جبار السماوات والأرض ، الجبار الذي يَجبر القلوب المنكسرة ، الجبار الذي له ملك السماوات والأرض ، هو الجبار في ملكه العظيم وحده لا شريك له ، هو عالم الغيب والشهادة ، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ذرات الرمال ، يعلم بجميع ما في الكون من الذرات ، وكل ذرة في الكون وكل هباءة في الكون ، لها من ربها ثلاثة أوامر :

أمر بالخلق والإيجاد.. وأمر بالتدبير والتصريف.. وأمر بالنفع والضر .

فسبحان من هذه عظمته، وهذا ملكه، وهذا فعله: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾[الأنعام/ ١٠٢].

والله ﷻ حكيم عليم ، خلق الكبير كالعرش ، وخلق الصغير كالذرة ، وخلق اليابس

كهذه الجمادات في الأرض والسماء ، وخلق الرطب كالبحار والمياه . ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾ [الزمر/ ٦٢ – ٦٣] .

هو الله الواحد الأحد يفعل ما يشاء في ملكه، ولا يعجزه شيء، ولا يَندُّ عنه شيء، ولا يهرب منه شيء : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

هذا هو الواحد الأحد الذي أعبده لذاته، وجلاله وجماله، وإنعامه وإحسانه ، وطمعًا في ثوابه، وخوفًا من عقابه ، وأنه أهل أن يحمد، وأهل أن يعبد .

وإذا عرفت الواحد الأحد أغناني عن كل أحد ، فهو الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد ، أنا أتشرف أن ربي هو الواحد الأحد ، الذي عنده خزائن القوة، وخزائن العزة، وخزائن الغنى، وخزائن الرحمة، وخزائن السعادة، وخزائن الذهب، وخزائن الفضة، وخزائن الحبوب، وخزائن المياه، وخزائن الرجال، وخزائن النساء، وخزائن النجوم، وخزائن جميع المخلوقات : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾[الحجر/ ٢١] .

هذا ربي العظيم جل جلاله ، ولهذا العبد المؤمن يفتخر بسيده ، والكافر يفتخر بقدرته وملكه وما له .

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨ ﴾ [البقرة/ ٢٥٨] .

فالعبد المؤمن يفتخر بسيده ، والكافر يفتخر بما يملك من علم أو مال كما قال قارون : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ ﴾ [القصص/ ٧٨] .

أو يفتخر بملكه كما قال فرعون : ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ ﴾ [الزخرف/ ٥١].

فالله ﷻ واحد أحد ، يسمع جميع مخلوقاته ، ويرى جميع مخلوقاته ، وكلها في قبضته ، وكلها بين يديه كذرة واحدة ، وكل ذرة في هذا الكون تسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيته، وتدل على صفة جلاله وجماله:

هو الواحد الأحد الذي بيده ملكوت كي شيء .
أمر الخلق والإيجاد بيده، وأمر التدبير والتصريف بيده : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك/ ١].
وأمر النفع والضر بيده : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٧] .
هو القاهر فوق الأسباب فوق السماوات فوق الأرض فوق كل قوي فوق كل مخلوق : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٨] .
وأمر العطاء والمنع بيده : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر/ ٢].
هو الحكيم في أفعاله يضع الشيء في موضعه ، وهو الخبير بخلقه كلهم : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك/ ١٤] .
هذا هو الواحد الأحد بأسماء وصفاته وأفعاله، فلا أقضي ثانية واحدة مع غير الواحد الأحد ، علاقتي مع الواحد الأحد عبادة، وذكرًا، ودعاءً، وصلاةً، وصيامًا، وتعبدًا ، وعلاقتي مع غيره الكافر أدعوه إلى الله ، والجاهل أعلمه ، والمحتاج أواسيه ، والضال أهديه ، والمنحرف أوجهه ، وهكذا علاقتي مع الخلق علاقة إحسان ورحمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج/ ٧٧] .

- **فالدين ركنان :**

عبادة الحق.. ومحاسنة الخلق .
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء/ ٢٣] .
عبادة الحق بالأوامر الشرعية بما جاء عن الله ﷻ وعن الرسول ﷺ من أنواع العبادات ، كالصلاة والزكاة والصيام والحج والأذكار والأدعية ، والأعمال الانفرادية ، من قراءة القرآن وصدقات وتهجد .
والأعمال الاجتماعية، كالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم شرع الله، والنصيحة للمسلمين .
فنتعبد لله بأعمال انفرادية خمسة ، وأعمال اجتماعية خمسة ، نتعبد بهذه وبهذه لربنا

وَعَجَلَّ : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر/ ١١ – ١٢].

فإذا عرف القلب ذلك فلا يكفي للقلب أن يعرف فقط ، إبليس عرف لكن تخلف العمل عن العلم فطرده الله ولعنه ومقته : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة/ ٣٤].

فبعد المعرفة يأتي التعبد لله عَجَلَّ ، فالله عَجَلَّ هو الجبار في ملكه العظيم ، وهو عالم الغيب والشهادة ، يجب أن أوقره فلا أسمعه إلا ما يحب، ولا أسمع إلا ما يحب، ولا أفعل إلا ما يحب، ولا أتقرب إليه إلا بما يحب .

أسرع إلى طاعته، وأسابق إلى مغفرته وجنته، وأسعد وأتلذذ أني أطيعه إذا أذن للصلاة، وأطيعه إذا دخل رمضان ، وأطيعه إذا دعاني للحج والعمرة ، وأطيعه إذا أمرني بالجهاد ، وأطيعه إذا أمرني بالدعوة ، وأطيعه إذا أمرني بالإنفاق في سبيل الله .

محبوبات الأنبياء، وشهوات الأنبياء في إكمال الأعمال الصالحة ، وشهوات الكفار في تكبيل شهوات النفس الخمس من المطعومات، والمشروبات، والمركوبات، والمنكوحات، والمسكونات وغير ذلك من محبوبات النفس، فالمؤمنون : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠] والكافرون: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد/ ١٢] .

فالله عز وجل خلق المخلوقات على قسمين :

مخلوقات أطاعت ربها، وسجدت لعظمته بقهر الربوبية : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج/ ١٨] .

جميع المخلوقات مطيعة لربها ، السماوات والأرض، والشمس والقمر، والجمادات والنباتات، والحيوانات ، وكافة المخلوقات : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة/ ١] .

ونحن البشر إذا عرفناه عبدناه، فإذ عرفنا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، أحببناه وعظمناه، لجلاله وجماله ، ثم أطعناه تعبدًا له اختيارًا لا

إجبارًا ، فكل إنسان يستطيع أن يؤمن بالله، ويكفر بالله ، ويستطيع أن يعصي الله، وأن يطيع الله : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف/ ٢٩] .
فالله جعلنا نطيعه اختيارًا ، من جاء إليه اختيارًا أعلى ممن جاء إليه إجبارًا ، فالله جعل هذه المخلوقات تسبح بحمد ربها، وتطيع أمره، إظهارًا لقدرته جل جلاله ، وجعلنا نحن من الخلق الذي يأتي إليه اختيارًا لا إجبارًا ، ومَنَّ علينا بالفطرة الأولى على التوحيد .
ثم مَنَّ علينا بالأسماع والأبصار والعقول ، ثم مَنَّ علينا بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، والترغيب في الطاعات، والتحذير من المعاصي ، ثم الله ﷻ مَنَّ علينا بالفضائل والكرامات : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦٠ ﴾[الأنعام/ ١٦٠] .
ومضاعفة الحسنة إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ويعطي الثواب العظيم على العمل القليل، وهذا فضل من ربنا ﷻ ، فنحمد الله أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ، وأن أعطانا هذا الدين الجميل ، وأن أعطانا هذا الدين الميسر ، فله المنة والفضل : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾[الحجرات/ ١٧] .
ونحمد الله ﷻ أن بعث إلينا سيد الأنبياء والرسل: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾[آل عمران/ ١٦٤] .
لو لم يصلنا هذا الدين لكنا نعبد المخلوق ، نعبد الأصنام ، لكن الله مَنَّ علينا وأحبنا وأعطانا عطاءً لعموم الناس ، فالحمد لله بعد العطاء يأتي القابل والرافض ، المؤمن قابل للهداية فاهتدى ، أما الحجر القاسي فهذا لا يقبل المطر ، فينزل منه إلى ما هو أسفل ، فتُنبت الأرض من كل زوج بهيج .
كذلك الله ﷻ أنزل القرآن هدى وشفاء ، يهدي به من يشاء، ومن يصلح لعبادته وحده لا شريك له .
فالله ﷻ أنزل الهدى للناس كافة ، منهم من يقبل، ومنهم من لا يقبل ، فالقابل هو المؤمن ، وغير القابل هو الكافر .
لماذا هذا قابل، وهذا غير قابل ؟ لأن الله يعلم أن هذا يقبل، وأنه يزكو بالإيمان ، والله

أعلم حيث يجعل الرسالة ؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما سيكون ، ولهذا فتح له أبواب الهداية، ويسر له معرفة هذا الدين، ولم يجعل بينه وبينه حجابًا .

أما الكافر فهو يعلم أنه لا يؤمن والله لا يمنعه، لكنه علم أنه سيختار الكفر على الإيمان ، فالله ﷻ أعطاه من عطاء الربوبية في الدنيا ، وأقام عليه الحجة بالسمع والبصر والعقل، ونزول الكتاب، وإرسال الرسل، ووصول الحق إليه ، فالله لا يعذب أحداً حتى يبعث رسولًا ، والذين لم يبلغهم الدين يجعل لهم يوم القيامة امتحانًا حتى يظهر فيهم عدل الله ﷻ : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء/ ١٥] .

فلا بد بعد معرفة القلب أن يأتي التعبد لله ، لا يكفي أن أقول آمنت بالله ولم أتعبد لله، بعد المعرفة تأتي المحبة ، وبعد المحبة تأتي الطاعة ، فكلما كانت المحبة للواحد الأحد جل جلاله أعظم كانت الطاعة أقوى ، ثم جاءت أنواع الطاعات ، ثم جاء رضوان الله ، ثم جاءت السعادة في الدنيا ، ثم جاءت السعادة في القبر ، ثم جاءت السعادة في الجنة ؛ حيث الخلود في دار النعيم والرضوان من رب العالمين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٠–٣٢] .

فالله ﷻ هو الملك الحق، الواحد الأحد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، وعلمنا من أسمائه وصفاته ما نتعبد به له جل جلاله ، جعل الرزق عنده، والعلم عنده، والقوة عنده، والشفاء عنده، والرحمة عنده، والغفران عنده ، لم يجعلها بيد أحد سواه؛ لأن كل ما سوى الله عبد ، والإنسان إما أن يعبد الواحد الأحد، أو يعبد عبد الواحد الأحد ، كل ما سوى الله عبدٌ ، فكل إنسان إما عابد لله، وإما عابد لعبد الله من شجر أو حجر أو صنم أو هوى ، وأعظم صنم معبود من دون الله هو صنم الهوى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص/ ٥٠] .

فالله ﷻ ملك عظيم ، وله هذا الملك العظيم ، وله ملك السماوات بما فيها من المخلوقات ، وملك الأرض بما فيها من المخلوقات ، وله ملك الدنيا وملك

الآخرة ، الملائكة له، والسماوات له، والعرش له، والكرسي له، والأرض له، والفضاء له، والرياح بيده، والأرزاق بيده، والعلم بيده، والقوة بيده، والخوف بيده، والأمن بيده، والعطاء بيده، والمنع بيده والعزة بيده، والذلة بيده : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة/ ١٢٠] .

العزة كلها للواحد الأحد .

وكل عزة في العالم من عزته ، وكل قوة في العالم من قوة الواحد الأحد ، وكل رحمة في العالم من رحمة الواحد الأحد ، وكل ما في الكون مما يجري فيه من الأحوال كلها ترجع إلى واحد ، كل شيء يرجع إلى واحد هو الواحد الأحد جل جلاله ، فالجسد يرجع إلى واحد في حياته، ويرجع إلى القلب في صلاحه ، والجماعة ترجع إلى إمام واحد ، والدولة ترجع إلى حاكم واحد ، والمخلوقات ترجع إلى خالق واحد ، والأرزاق ترجع إلى رازق واحد : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فسبحان الواحد الأحد الذي بيده ملكوت كل شيء ، له الخلق والملك والأمر كله، حجب سبحانه ذاته بالصفات ، وأظهر الصفات بالأفعال ، وكشف العلم بالإرادة ، وأظهر الإرادة بالحركة والتدبير والاختلاف ؛ هذا كلام عظيم رصين متين ، يحتاج إلى إيضاح ، بالجلوس في البيئات الإيمانية ومتابعة المذاكرات والبكاء والتضرع بين يدي الله جل جلاله ، فالله ﷻ حجب سبحانه ذاته بالصفات ، لا يمكن أن نرى الله ؛ لأننا إذا رأيناه أحطنا به ، والله محيط بكل محيط، هو المحيط بكل أحد، ولا يحيط به أحد : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

حجب ذاته بالصفات ، وأظهر الصفات بالأفعال ، أفعال الله في مخلوقاته تدل على الخالق ، الله خلَقَ السماوات والأرض، والجبال والبحار، والشمس والقمر وغيرها ، هذه المخلوقات تدل على صفات : أن فيه خالقًا ، وأن هذا الخالق قادر ، وأنه غني ، وأنه قوي ، وأنه حكيم يضع الشيء في موضعه ، وأنه خبير ، وأنه عليم ، وأنه عزيز ، وأنه عليٌّ .. وهكذا

هذه المخلوقات تدل على صفات للخالق ، أنه ملك قوي قادر قاهر عظيم ، والصفات تدل على ذات الله ؛ لأنه لا يمكن أن تقوم الصفات إلا بذات ، وهذه الذات

ليس كمثلها ذات ، فاللهُ حي ليس كمثله أحد في الحياة ، الله هو الحي الكبير وأنا الحي الصغير ، الله هو الحي الذي خلق الحياة في كل حي ، ولو رفع عنه أمر الحياة لعاد ميتًا : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر/ ٦٥] .

وكل حياة في العالم من آثار اسمه الحي ، فالحياة بيده ، الأحياء بيده ، متى شاء جعلهم أحياء ومتى شاء جعلهم أمواتًا ، فالحياة والموت بيده ، والخلق والأمر بيده ، والعطاء والمنع بيده ، والبسط والقبض بيده ، فلا إله إلا هو وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾[فاطر/ ١٣].

هذا هو ربنا الذي يجب أن نعبده ونحمد الله أن مَنَّ علينا بأن جعلنا من عبيده ، وأن جعلنا نقف بين يديه في كل يوم خمس مرات ، وألا تشغلنا النعمة عن المنعم ، والرزق عن الرزاق ، والخلق عن الخالق .

فالله ﷻ ابتلانا في هذه الدنيا ليتبين المؤمن من الكافر ، ليتبين من يؤمن بالغيب ممن يؤمن بالشهادة فقط .

فسبحان من حجب ذاته بالصفات ، وأظهر الصفات بالأفعال ، وكشف العلم بالإرادة ، فانظروا إلى هذه الصواعق، وهذه السحب، وهذه النباتات ، كشف العلم بالإرادة .

قال النبي ﷺ : «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ ، قَالَ : اكْتُبْ ، قَالَ : وَمَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**» أخرجه أبو داود (١) .

فكل شيء كتبه الله، وشاءه، وخلقه، وعلمه، من الكائنات والمخلوقات، ومن الأقوال والأعمال والنيات، والتحريك والتسكين، والتدبير والتصريف ، كل ما هو كائن إلى يوم القيامة ، فكتب القلم كل ما هو كائن ، فالآن كلها تخرج ، هذه الحركات والأقوال والأفعال كلها تجري على وفق ما خطه القلم : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر/ ٤٩ - ٥٠] .

فهذا كتبه الله عنده ، لكن نحن لا نعلم عن هذه الكتابة ؛ ولهذا أُمرنا بفعل ما أمر الله

(١) حسن/ أخرجه أبو داود برقم/ ٤٧٠٠.

به واجتناب ما نهى الله عنه ، والله يُيسر لليسرى لمن أقبل عليه، وييسر للعسرى من أدبر أو أعرض عنه : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) ﴾ [الليل/ ٤ – ١٠].

فالله ﷻ كشف العلم بالإرادة ، وأظهر الإرادة بالحركة ، أظهر إرادته بالحركة ؛ لننظر ما في هذا الكون من الحركات ، حركات الرياح ، حركات النجوم ، حركات الشمس ، حركات القمر ، حركات الزلازل ، حركات البحار ، حركات النبات وأظهر الإرادة بالحركة والتدبير والاختلاف : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ﴾ [البقرة/ ١٦٤].

فسبحان من ملأ هذا الجو بهذا البحر العظيم من المياه في هذه السحب التي تحملها الرياح ، فهذه السحب العظيمة لها ثمان رياح :

رياح تثيرها من البحار.. ورياح تحملها.. ورياح تجمعها.. ورياح تؤلف بينها.. ورياح تسوقها.. ورياح تلقحها.. ورياح تدبرها بأن تمطر هنا، ولا تمطر هنا.. ورياح تُفرق الماء إذا نزل ، فلو نزل جملة واحدة لنزل على الأرض كالحجر العظيم فأهلك من تحته .

فسبحان من هذا خلقه، وهذه قدرته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) ﴾ [الروم/ ٤٨].

فكل قطرة من هذه المياه اللهُ ﷻ جمعها في البحر الجوي ، ثم فرقها لتنزل رذاذًا على الناس ، ثم يجمعها كذلك في البحر الأرضي ، فهو الذي جمع بين المتفرقات، وفرّق بين المجتمعات بقدرته ، جمعها بحاراً، وفرقها أمطاراً : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) ﴾ [الأعراف/ ٥٧] .

هو الواحد الأحد الذي جمع الرمال في مكان ، ثم فرقها في الكون، رملة في المشرق ورملة في المغرب ورملة في الشمال، ورملة في الجنوب، وهباءة في الغرب، وهباءة

في الشرق .

فسبحان الله لا يعزب عنه مثقال ذرة ، جميع الذرات تحت تدبيره ، جميع المخلوقات كمخلوق واحد أمام الله ، جميع قلوب البشرية كقلب واحد أمام الله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

فجميع ما في ملكه في العالم العلوي والعالم السفلي بين يديه أصغر من الخردلة ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم ، ونحن من عبيده جعلنا خلفاء، وأعطانا هذا الدين الكامل .

فما بالنا نعرض عن ربنا العظيم، ولا نأتي إليه إلا بالاتجار، أو لا نأتي إليه إلا بالتكاسل ؟.

يجب أن نعبد الله محبة وتعظيمًا وذلًّا له جل جلاله ؛ لأنه أهل أن يعبد، وأهل أن يحمد ، فهو ملك عظيم يجب أن نطيعه ، أطاعته الرياح، وأطاعته النجوم، وأطاعته الشمس والقمر وأطاعه الليل والنهار، والجبال والبحار، والنباتات والحيوانات ، كل ما في السماوات والأرض عبيده، مطيعون له، مستجيبون لمشيئته، مسرعون لإرادته جل جلاله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النور/ ٤١ – ٤٢].

فمن عرف الله أحبه وعبده، وإذا وحدناه وعبدناه جاء حب الله لنا، وزاد حبه في قلوبنا ، ثم زادت طاعتنا له ، ثم تنوعت طاعتنا له في جميع الأعمال حتى لا نمل ، تارة صلاة ، وتارة ذكر ، وتارة إنفاق ، وتارة تعليم ، وتارة تعلم ، وتارة عمرة ، وتارة حج ، وتارة دعوة ، فهكذا الله نوَّع لنا الطاعات، ليختبر العباد ، ولئلا تسأم النفوس من تكرار الطاعة ، هذا فضل من ربنا ﷻ ، فلله الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤١ – ٤٣] .

فسبحان الواحد الأحد الذي أخفى قدرته في سننه ، وأظهر قدرته في أفعاله في ملكه العظيم .

والله ﷻ حكيم عليم ، وله الخلق والأمر كله .
أظهر سبحانه المخلوقات وحجب خلقه عن رؤيته.. وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة.. وأظهر قيمة الأشياء والأموال وأخفى قيمة الإيمان والأعمال ، فكم عملنا من أعمال مخفيَّة لا نعلمها ، فلو علمناها ورأيناها لاغتر الإنسان وقعد ؛ فهذا من رحمة الله .
فالله ﷻ أظهر المخلوقات لنا لنستدل بها على قدرته وعظمته وإحسانه ، وحجب خلقه عن رؤيته لأن الله محيط بكل محيط ، ولا يحيط به محيط، لكن المؤمنين يرونه يوم القيامة هو إنما نراه يوم القيامة ، فمن رآه في الدنيا ببصيرته رآه في الآخرة ببصره ، يراه ولا يحيط به : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢- ٢٣] .
والرؤية غير الإحاطة ؛ الإحاطة إحاطة بالشيء كله ظاهره وباطنه ، والرؤية : أن ترى جهة من الجهات .
فالله ﷻ يوم القيامة يُرى ولا يحاط به ؛ لأنه هو المحيط بكل محيط ولا يحيط به أحد من خلقه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾
[الأنعام/ ١٠٢ - ١٠٣].
فالله ﷻ أظهر بعض المخلوقات ، وأخفى بعضها، إظهاراً لعظمته وقدرته في ملكه العظيم من وجوه:
الأول: الله ﷻ أظهر المخلوقات وأخفى نفسه عن خلقه .
الثاني: أظهر الدنيا وأخفى الآخرة .
الثالث: أظهر قيمة الأشياء والأموال وأخفى قيمة الإيمان والأعمال .
الرابع: أظهر الأجساد وأخفى الأرواح .
الخامس: أظهر اللسان وأخفى فيه الكلام .
السادس: أظهر سنته وأخفى قدرته .
سنته : أن ينزل الماء من السماء على الأرض فتنبت .
أسباب علوية مع أسباب سفلية ينتج منهما ثالث وهو النبات ؛ هذه سنته ، وقدرته مخفية في سنته ، فالمؤمن يرى قدرة الله في سنته ، يرى قدرة الله مخفية في سنته ، والكافر يرى سنته ولا يرى قدرته ؛ فالمفعول لا يمكن أن يكون فاعلًا أبداً ، لا الماء ولا الأرض، هذه أسباب لا تفعل شيئًا ؛ بل هي مفعولة مسيرة مأمورة مقهورة بيد

القاهر الواحد الأحد جل جلاله : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢] .
فالمؤمن يرى فِعل الله في مخلوقاته ، ويخترق المخلوقات إلى خالقها ، والصور إلى المصور ، ويخترق الدنيا، ليعمل للآخرة الباقية ، ويخترق المخلوقات، ليتصل بالخالق، ويمتثل أمره، ويجتنب نهيه، وينظر ماذا يحب وماذا يكره؟، بماذا أمره وبماذا نهاه؟.
هذا هو المؤمن الذي عرف ربه المؤمن الذي بيده الأمن والذي أمن خلقَه من أن يظلمهم ، عرف المؤمنَ فاتصل به، ووحده، وآمن به ، عرف الواحد فوحده في الخلق والرزق، ووحده في الدعاء والذكر والعبادة .
فالله ﷻ أظهر الأجساد وأخفى الأرواح ، وأظهر سنته وأخفى قدرته ، لأنه القادر على كل شيء، والسنن الكونية تنفعل بأمر الله للإنسان إما انفعالا مباشراً بلا جهد ، كالشمس تعطي النور والحرارة ، والسحب التي تمطر، والرياح التي تهب .
أو تحتاج إلى جهد كالأرض تنبت لمن تفاعل معها، واجتهد عليها وزرعها، من مؤمن أو كافر، بر أو فاجر .
فسبحان من سخر هذا وهذا لهذا الإنسان، لعله يذكره بربه، فيؤمن به ويوحده ويعبده.
فالدنيا لها أسباب، والآخرة لها أسباب ، ومن أسباب الآخرة الإيمان والعمل الصالح .
فالله ﷻ أخفى قدرته في سننه، وأظهر قدرته في أفعاله ، الله قادر ، كيف نعرف أنه قادر ؟ أخبرنا أولاً أنه قادر ، نرى قدرته العملية في إمساك السماء أن تقع على الأرض ، وخَلْق السماء ، وخلق الأرض، وخلق الملائكة ، وخلق الشمس ، وخلق القمر ، وخلق النجوم ، وخلق الجمادات بأنواعها ، وخلق الجبال ، وخلق البحار ، وخلق الأنهار ، وخلق الأنس ، وخلق الجن .
خَلْق هذه العوالم الكبرى السِّت : الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والإنس، والجن، والملائكة ، هذه العوالم العظيمة الله ﷻ خلقها إظهاراً لقدرته، وتنبيهاً لبريته، ودلالة على وحدانيته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .
فالله ﷻ أخفى قدرته في سننه، وأظهر قدرته في أفعاله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾ [النحل/ ١٠-١٢] .

وإذا عقلوا عرفوا أن الخالق القادر يجب أن نهابه ، وأن المنعم المحسن يجب أن نحبه ، وأن الكريم الوهاب يحب أن نحمده ونعبده .

فالله ﷻ هو الواحد الأحد ، العليم بكل شيء ، الذي لا يشغله شأن عن شأن ، لا إله غيره ولا رب سواه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٣ ، ١٠٢] .

خالق السماوات والأرض ، خالق العرش والكرسي ، خالق الفضاء ، خالق النجوم ، خالق الرياح ، خالق الجمادات، وخالق الجبال بما فيها من المعادن التي تزيد على أكثر من مائة نوع من المعادن كالذهب والفضة والحديد والألماس وغيرها من الأنواع ، وخالق البحار بما فيها من العوالم الحية والنباتات والحيوانات ، خالق كل شيء ، خالق العزة والذلة ، خالق الأبيض والأسود ، خالق الكبير والصغير ، خالق الرطب واليابس ، خالق كل شيء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

مادام خالقاً لكل شيء فيجب أن نعبده ، الذي لا يخلق لا يستحق العبادة : ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾ [النحل/ ١٧] .

خالق كل شيء هو الذي يجب أن نعبده ، هو خالق النعيم وخالق الجحيم ، وخالق الدنيا وخالق الآخرة ، وخالق الليل وخالق النهار ، وخالق الحياة وخالق الموت ، وخالق الذكر وخالق الأنثى : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

وكيل على الشمس لا تخرج عن مدارها ودرجة الحرارة فيها ، وكيل على القمر يقلبه بهذه الأدوار، هلالاً ثم قمراً ثم بدراً، ثم يعود كما بداء ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [فصلت/ ٣٧].

هو الواحد الأحد القوي الذي ليس كمثله أحد في القوة ، العزيز الذي ليس كمثله أحد في العزة ؛ له عزة الذات ، وله عزة الأسماء والصفات ، وله عزة القهر ، وله عزة الجبروت ، هو العزيز الذي خلق العزة في كل عزيز ، ولو سلب عنه العزة لعاد ذليلاً كما أذل فرعون وألقاه في البحر، وأذل كل من حكم الناس بغير شرع الله كما هو حاصل ويحصل في العالم .

فسبحان من بيده ملكوت كل شيء، بيده العزة ، بيده الملك : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

الملك له ، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء بيده الخير، وهو على كل شيء قدير . فلا بد أن أعيش معه بقلبي وجوارحي ووقتي ، في أي مكان، وفي أي زمان، وفي أي حال . أنا عبد لا يحق لي أن أصرف ثانية واحدة على هواي ، بل أسير وفق هداه : ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر/ ١١ - ١٢] .

أمشي على الصراط المستقيم ، وأسأله أن يهديني الصراط المستقيم الموصل إلى رضوانه وجنته ، فمن سار على الصراط المستقيم في الدنيا سار على الصراط المستقيم المنصوب على متن جهنم إلى الجنة : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٥٣] .

ولماذا يمر الناس على متن جهنم ؟ ولماذا المؤمن يمر على متن جهنم ؟ .

الكفار يذهبون إلى النار مباشرة ولا يمرون على الصراط ؛ لأنه ليس لهم حق في دخول الجنة ، فهم إلى النار يحشرون مباشرة : ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم/ ٨٥- ٨٦] .

فيبقى المؤمنون والمنافقون فيسقط المنافقون في النار، ويعبر المؤمنون الصراط إلى الجنة، لماذا يمر المؤمنون ويرون النار ؟ ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم/ ٧١ - ٧٢] .

يردون النار، ليروا فضل الله عليهم في النجاة من النار، ثم الفوز بالجنة ، فيحمدون الله على النجاة من النار، والفوز بالجنة، وهذا هو الفلاح، فالفلاح هو الفوز بالمطلوب،

والنجاة من المرهوب ، والفلاح مركب من أمرين :
الأول: النجاة من المرهوب وهو غضب الله والنار .
الثاني: الفوز بالمطلوب وهو رضوان الله والجنة .
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨٥].
نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يعبروا الصراط إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، نحن نمر على الصراط، لنرى فضل الله علينا في النجاة من النار ، ثم نرى فضل الله علينا في دخولنا الجنة برحمته .
فالأصل النجاة من النار ؛ لأن مخالفة الملك في ملكه أمر عظيم له عقوبة ، من عاش تحت ولاية، ثم خالف أوامر الملك ، فهذه استهانة بأمر الحاكم، تؤدي إلى فساد المملكة ، وتؤدي إلى فساد الحياة ، فهذا الملك لا بد أن يسجن هذا العاصي ، وهكذا الإنسان إذا عصى الله ﷻ في ملكه ، فلا بد أن يعاقبه يوم القيامة ، الكافر يعاقبه بالخلود في النار ، وأما عصاة الموحدين فهم يُعذبون بحسب معاصيهم ثم يُخرجون من النار ، فمن عاش في الدنيا على هدى رب العالمين ، سار على الصراط المستقيم يوم القيامة .
ونحن لا بد أن نعلم أن المؤمن في هذه الدنيا يعيش في السجن، والكافر يعيش في جنة الشهوات ؛ لأن ما بعد الموت سجن للكافر ، وجنة للمؤمن .
قال رسول الله ﷺ : «**الدنيا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ**» أخرجه مسلم (١) .
لماذا الدنيا سجن المؤمن ؟ لأنه مسجون عن الحياة الأبدية، وعن دار السلام وعن رؤية الرب، وعن سماع كلام الرب، وعن القرب من الرب، وعن الخلود في النعيم في جنة عرضها السماوات والأرض ، فهو في دار العمل يؤدي الأعمال الصالحة التي هي سبب لدخول الجنة ، فلا يجوز للمسلم أن يصرف ثانية واحدة على هواه ، ومن ضل عن الهدى وقع في الهوى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾
[القصص/ ٥٠].

(١)أخرجه مسلم برقم/ ٢٩٥٦.

فلا بد إذا عرفت الواحد الأحد أن أعظمه كما يجب، وأكبره كما يجب، وأحمده كما يجب، وأحبه كما يجب ؛ لأني عرفته ، وبقدر المعرفة تكون المحبة ، وبقدر المحبة تكون الطاعة ، وبقدر الطاعة يكون الثواب، ويكون النعيم يوم القيامة .

فالدنيا سجن المؤمن ، والسجين له أربع صفات ، والمؤمن كذلك له في الدنيا أربع صفات ، المؤمن مثل السجين ، والدنيا سجن المؤمن ، الدنيا ليست دار تكميل الشهوات والمحبوبات ؛ إنما الدنيا دار تكميل الإيمان، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية ، وتكميل محبوبات رب العالمين، ليكمل الله لنا يوم القيامة ما نحب : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤] .

- **فالسجين له أربع صفات :**

الأولى: السجين عنده اليقين على رزقه ، مادام سجنوه فسوف يأتون له بالطعام والشراب .

الثانية: السجين عنده القناعة والزهد يرضى بما يُعطى ؛ لأن همه بأن يخرج من السجن لا أن يأكل ويشرب .

الثالثة: السجين عنده مزاج الطاعة ، يقال له قم فيقوم ، أقعد فيقعد ، افعل كذا ولا تفعل كذا فهو سامع مطيع لأوامر من سجنه .

الرابعة: انتظار الفرج ، ينتظر متى يُفتح له الباب ليخرج من سجنه إلى أهله وأولاده .

وكذلك المؤمن عنده هذه الصفات ، كصفات السجين تمامًا .

فالمؤمن عنده اليقين على رزقه : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود/ ٦] .

إذن الأرزاق مقسومة ، ما تكفل الله به لا يشتغل من أجله ؛ إنما يفعل الأسباب المشروعة، ويترك أمر الرزق على الرزاق، ويفعل أسباب الرزق من الكسب والتجارة ، ويعلم أن الأسباب لا التي تأتي بالرزق ؛ إنما يفعل الأسباب تعبدًا وامتثالًا ، وإنما الرزق يأتي من الرزاق ، والنصر يأتي من الناصر جل جلاله ، والأسباب مخلوقة، بفعل الله بها، وبضدها وبدونها، لكن نحن في دار الأسباب، ولا بد من فِعل الأسباب امتثالا لأمر الله في الكسب، المؤمن عنده اليقين على رزقه ،

وعنده القناعة ، والزهد في الدنيا : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٨] .

فالدنيا ليست لنا ، الدنيا محل العمل والاستثمار ، وأخذ الأرباح يوم القيامة ، وأخذ الأرباح بعد إنهاء العمل ، إذا جاء المساء استلمنا أجرة العمل من الصباح حتى المساء، والإنسان بعد موته يجني الأرباح .

فالمؤمن له في الدنيا أحسن الكرامات :

له الأمن.. وله الهداية.. وله الحياة الطيبة.. وله العزة.. وله الخلافة في الأرض :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٨٢] .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور/ ٥٥] .

هذه له في الدنيا ، وأما في الآخرة فله الكرامات الثمان التي سبق أن ذكرناها من دخول الجنة، والخلود فيها، ورضوان الرب، ورؤيته، وسماع كلامه، والقرب منه .

فالمؤمن عنده اليقين على رزقه، وعنده القناعة بماذا ؟ بما قسم الله له فقط ، أي شيء يكفيه من طعام وشراب كما كانت حياة النبي ﷺ .

والأمر الثالث : عنده مزاج : ﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .

إذا سمع الله يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٢] .

أو يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ ﴾ [آل عمران/ ١٣٠] .

أو يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج/ ٧٧] .

إذا سمع ذلك من ربه استجاب لأمره، واجتنب نهيه، وسارع لطاعته .

فالسجين عنده مزاج : ﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .

لا يستطيع أن يخالف، لكن السجين يسمع ويطيع قهرًا ، أما المؤمن فيسمع ويطيع اختيارًا ومحبة ؛ لأنه عرف العظيم فعظمه ، وعرف الكريم فأحبه ، فطمع في ثوابه،

وخاف من عقابه، فعمل بطاعته، واجتنب معصيته ، تعظيمًا له، وتكبيرًا له، ورجاءً لثوابه، وخوفًا من عقابه ، هذه المحبة العظيمة التي يحبها الله ، أن نعبد الله بالحب والتعظيم والذل له جل جلاله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

والأمر الرابع: المؤمن ينتظر الفرج ، ينتظر متى يعطى كتابه بيمينه ، متى تبشره الملائكة بالجنة ، ينتظر الفرج ، فهو يعمل في الدنيا، وينتظر الموت على الإسلام .

فِطرنا في الصيام إذا أذن المغرب على الطعام والشراب ، لكن فِطر المؤمن يوم القيامة على زيادة كبد الحوت في الجنة، والشرب من نهر الكوثر يوم القيامة .

هو صائم في هذه الحياة صائم عن اللغو والرفث، والفسوق والجدال، والمعاصي ، ممتثل للأوامر، مجتنب للنواهي ؛ هذا صيامه ، هذا الصوم الذي نصومه في رمضان صوم خاص محدود بوقت، نصومه في الدنيا تنبيهًا على الصوم العام الكبير .

الصوم الكبير هو أن أصوم عن جميع المعاصي ، عن جميع الأقوال السيئة، والأعمال القبيحة، وأجتنبها ، فالزكاة إعطاء ، والصوم امتناع ، ونحن نتعبد لله بالعطاء تارة كالزكاة، وبالامتناع تارة عن الشهوات كالصوم ، فكذلك نحن نمتثل هذه الأوامر محبة وتعظيمًا وطاعة لله .

فهذه الدنيا دار تكميل محبوبات الله، لا دار تكميل محبوبات النفس .

فهذا الدين لو عرفه الناس بهذه الصورة لأقبلوا عليه، ودخلوا فيه أفواجًا، كما دخلوا فيه أفواجًا في وقت النبي ﷺ ، كما قال سبحانه : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[النصر/ ١-٣] .

لأنه هو الذي هدى الناس : ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ لما قصرت فيه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾[النصر/ ٣] فتب إليه.

الله ﷻ له ملك عظيم، ونحن مخلوق صغير من مخلوقاته .

جبريل ملك له ستمائة جناح ، لو مد جناحًا منها سد الأفق، فصارت الدنيا كلها ظلامًا ، رفع بطرَف جناحه خمس قرى من قرى قوم لوط وقلبها عليهم ، حتى صارت الآن البحر الميت، فكيف بعظمة من خلقه؟.

وإسرافيل ينفخ في الصور نفخة واحدة فيصعق من في السماوات ومن في الأرض ، ثم ينفخ فيه أخرى فتعود الأرواح إلى أجسادها ، ثم إذا أنزل الله المطر بُعثت هذه

الأجساد وأخرجت الأرض ما أُودع فيها من هذه المخلوقات ، ثم إلى ربهم يحشرون: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الكهف/ ٤٧ – ٤٨].

فهذه عظمة الملك إسرافيل، فكيف بعظمة من خلقه ؟ .

فالله ﷻ الذي خلق جبريل وإسرافيل ، وخلق ميكائيل الذي يَكيل القطر والنبات في هذا الكون ، كيف عظمته وقدرته ؟ وكم عظمة من خلقه ؟ .

ومَلَك من ملائكة حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة ، كم عظمة هذا الملك ؟ وكم طوله من رأسه إلى أخمص قدميه ؟ وكم عظمة العرش الذي يحمل هذا المُلك ؟ وكم عظمة العظيم الذي استوى على العرش العظيم برحمته ؟ .

فمن عرف العظيم عظَّمه، وعظم كتابه العظيم، وامتثل أمره العظيم، ونال ثوابه العظيم .

ومن لم يعرف العظيم اشتغل بالنعمة عن المنعم، وبالرزق عن الرازق، وشغلته الدنيا عن الآخرة وشغلته شهوات النفس عن محبوبات الرب فهذا أخسر الناس : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٣ – ١٠٦] .

فلا بد أن تأتي في قلوبنا هذه الأمور الأربعة :

١ – أن يكون عندنا اليقين على رزق الله ﷻ .

٢ – وعندنا القناعة والزهد في الدنيا .

٣ – وعندنا مزاج سمعنا وأطعنا.

٤ – وعندنا انتظار الفرج كالسجين الذي ينتظر الخروج .

ننتظر الفرج ، عسى الله ﷻ أن يختم لنا ولكم بخير ، ويجعلنا وإياكم من عباده الصالحين، ومن الدعاة إلى الله، وممن يُعلمون شرع الله، ومن يحسنون إلى الخلق، وممن يعبدون الله حق عبادته ، وأن يستعملنا في إنارة قلوب البشرية بالهداية والعلم، والإحسان إلى الخلق كما أنار الكون بهذه الشمس ، فالشمس محبوبة، لأنها تخرج

منها منافع للناس ، والقمر محبوب لأنه يخرج منه هذا النور للناس ، والأرض محبوبة، لأنها تخرج النباتات ، والرياح محبوبة لأنها تأتي بهذا الهواء اللطيف .
وهكذا المؤمن إذا خرجت منه المنافع أحبه الله والملائكة والناس .
والملائكة محبوبون لماذا ؟ لأنهم يدعون لنا، ولأنهم يطيعون ربنا، ولأنهم يمتثلون أمره، ويستغفرون لنا : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ ﴾ [غافر/ ٧].
كذلك المؤمن محبوب لأنه تخرج منه المنافع ، الأنبياء محبوبون لماذا ؟ لأنهم خرجت منهم المنافع التي نفعت البشرية ، والنبي ﷺ أحق من يُحب بعد ربه جل جلاله ؛ لأنه هو الذي دل الناس على الهدى ، ولا يمكن لأحد أن يدخل الجنة إلا بعد النبي ﷺ ؛ لأنه هو الذي دل الناس على كل خير : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .
فيجب أن نحبه ﷺ لكمال أخلاقه، ومجاهدته، وصبره، وهجرته، وجهاده من أجل أن يصل إلينا الدين الكامل، والإيمان الكامل، والتوحيد الكامل ، والعبادات الكاملة .
ولهذا رضي الله عن كل من اتبعه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾ [التوبة/ ١٠٠] .
لا بد أن يكون عند المسلم هذه التضحيات ، كما فعل النبي ﷺ وأصحابه، هذه التضحيات هي المولد للإيمان ، وهي المولد للمحبة ، وهي التي تجعل الإنسان يستأنس بالله ويستوحش من غيره ، وهي التي تجعل الإنسان يقدم محبوبات الرب على محبوبات النفس ، ويعمر آخرته، ويقنع بما في دنياه بالشيء اليسير ، ويعمل بالدين بقدر طاقته، ويأخذ من الدنيا بقدر حاجته ، لا يجعل الدنيا تشغله عن المنعم جل جلاله .
فهذه جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة يوم القيامة ، نسأل الله ﷻ أن يجمعنا وإياكم في جنة عرضها السماوات والأرض : ﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥ ﴾ [القمر/ ٥٥] .

فلا إله إلا الله، كم عظمة هذا المجلس الإيماني؟، كم مَن حضر وسمع معنا من الملائكة والمؤمنين، هذا الكلام عن الله وعن دينه وعن شرعه؟ ، كم له من الأجر العظيم ، كم الله ﷻ أعطانا من الخير وربط على قلوبنا، وجعلها تربط نفسها وتقعد لسماع الذكر ، فهذه من أعظم العبادات :

أن أعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم أعبده بدينه وشرعه على ما جاء به رسوله ﷺ ، هذه من أعظم العبادات ، هذا الإيمان محرك للأعمال ، والأعمال موجودة وميسرة ؛ في كتب السنة أنواعها وأشكالها ، فرضها ونفلها ، واجباتها ومستحباتها ، فنحن نعبد الله جل جلاله بما جاء عن رسوله ﷺ عبادة عظيمة بالحب والتعظيم والذل لربنا ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء/ ١٣٦] .

الله ﷻ هو الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد، الأحد الذي خلق كل أحد ، الذي لا تراه العيون في الدنيا ولا تدركه العقول ولا تكيفه الأوهام ، هو واحد لا شريك له ولا مثيل له، ولا كفء له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى/ ١١] .

هو الواحد الأحد : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم/ ٦٥] .

لا أعلم له سميًّا لا في ذاته، ولا أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله .

فات العقولَ إدراكُه ، العقول لا يمكن أن تحيط به ، لو جمعنا عقول البشرية كلها في شخص واحد ثم شكلنا جميع ذرات الكون على شكل هذا العقل ، ما استطاعت أن تحيط بالله ولا أن تصف الله كما يجب، ولا أن تحيط بصفة من صفاته، أو نعمة من نعمه : ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه/ ١١٠] .

فالله ﷻ محيط بكل محيط ، ولا يحيط به أحد من خلقه ، هو الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد ، فات العقول إدراكه، كما فات الأبصار رؤيته، وفات الألسن وصفه ، لو أتينا بالعالم كله وذراته وصغناهم على شكل رجل واحد ، وقلنا لهذا الواحد : صِف ربنا بلسانك ؟ ما استطاع أن يصفه كما يجب .

فسبحان من فات العقول إدراكه، وفات الألسن وصفه، وفات الأبصار الإحاطة به :

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾

[الأنعام/ ١٠٢ - ١٠٣] .

لا يمكن أن يحيط به أحد جل جلاله ، فالله ﷻ محيط بكل محيط ، وهو القاهر فوق عباده، وهو العلي العظيم جل جلاله ، وهو معنا ولكنه عليٌّ فوق عرشه العظيم ، ليس كمثله أحد في الخلق ، وليس كمثله أحد في النزول ، وليس كمثله أحد في الرحمة ، فالخلق كلهم خلقه ، ونواصيهم بيده، وهم إنما وُجدوا بأمره، ويبقون بأمره، ويحيون بأمره ويموتون بأمره : ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

هو الواحد الأحد ، ليس لذاته كيفٌ ، ولا لأسمائه كيف ، ولا لصفاته كيف ، ولا لأفعاله كيف ، له وحده الأسماء الحسنى، والصفات العلى .

هو القوي الذي ليس كمثله شيء في القوة ، هو العزيز الذي ليس كمثله شيء في العزة ، هو الرحمن الذي ليس كمثله أحد في الرحمة : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى/ ١١] .

هو السميع لكل المخلوقات، البصير بكل المخلوقات ، من الذرات والجمادات، والنباتات والحيوانات، وكل من في العالم العلوي، والعالم السفلي وكل من في الدنيا، والآخرة : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى/ ١١] .

هو الواحد القهار الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾[الزمر/ ٤] .

خلق الجبال وقهرها بالحديد الذي يكسرها ، وقهر الحديد بمخلوق أعلى منه وهو النار التي تُذيبه ، وقهر النار بالماء الذي يطفئها ، وقهر الماء بالرياح التي تُقلبه وتنقله من مكان إلى مكان ، والله ﷻ قاهر لكل قاهر في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾[الزمر/ ٤] .

هو الواحد الأحد الملك على كل أحد، الأول على كل أحد، القيوم على كل أحد، الأعلى على كل أحد، القادر على كل أحد، المستعان على كل أحد، الظاهر على كل أحد : ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد/ ٣] .

هو الواحد الأحد الذي خلق وحده جميع المخلوقات ، وقارب بين المتباعدات ،

سبحان الله ! قارب بين المتباعدات ، قطرة ماء نزلت في اليابان ، وقطرة ماء نزلت في جنوب أفريقيا ؛ هو قارب بينها وجعلها في بحر واحد ، ودرة أو هباءة في المشرق جعلها في المغرب .

قارب القادر سبحانه بين المتباعدات ، وباعد بين المتقاربات ، فرّق هذه السحب العظيمة من البحار المتراكمة في الجو فباعد بين المتقاربات .

وألف بين المتناقضات من النفوس، وطاوع بين المتعاصيات .

سبحانه هو الواحد القهار طاوع بين المتعاصيات ، فلا يعجزه شيء .

وحرك الساكنات، وسكن المتحركات، وجمد السائلات، وأسال الجامدات وقهر جميع المخلوقات : ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾[الزمر/ ٤] .

جعل سبحانه لكل شيء بداية ونهاية ، وجعل لكل مخلوق حدًّا وعملًا لا يخرج عنه أبدًا ، لا إله إلا هو ، فكل مخلوق من هذه المخلوقات يعمل بخاصته، من موضع حدِّه المحدود له ، كل مخلوق يسبح بحمده من موضعه الذي خلقه الله فيه ، هو جل جلاله جعل لكل ما سواه بداية ونهاية.

خلقني بهذه الصورة، وأعطاني الفرصة لأعمل ، فكل مخلوق يعمل بخاصته ، النباتات والجمادات، والسماوات والأرض، والحيوان والطير، والجن والإنس، والملائكة والروح، كلٌّ يسبح بحمده ، فكل مخلوق يعمل بخاصته من موضع حده المحدود له في مكانه الذي خلقه الله فيه : ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾[يس/ ٣٧-٤٠] .

والكل يشهد لله بالوحدانية ويسبح بحمد ربه العظيم : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

كلٌّ أحد مطيع له ، كل واحد مستجيب لمشيئته، ومطيع لإرادته، وخاضع لأمره ، وأنتم الذين أكرمكم الله، وجعلكم من بني آدم وخلق أباكم بيده، وأنزل عليكم الوحي، تعرضون عنه ؟ ! إنه كان حليمًا على من عصى منكم، غفورًا لذنوبكم ، فأقبلوا عليه وتوبوا إليه ، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ

﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ومعرفة حقيقة التوحيد تُطلب بالمداومة على الاستدلال بالآيات الكونية، والآيات القرآنية، على الوحدانية ، فلا بد من تعاهد التوحيد بالنظر في الآيات الكونية والنظر في الآيات القرآنية، التي تولد قوة التوحيد ، وإذا قوي التوحيد زاد الإيمان ، وإذا زاد الإيمان جاءت محبة الله ، ثم جاءت الطاعات، وإذا جاءت الطاعات، جاءت محبة الله ورضاه ، وإذا جاءت محبة الله جاء تنوع الطاعات، وجاء الإخلاص، وجاء حب الطاعات وعبادة الله بالمحبة والتعظيم والذل له جل جلاله : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

فالآيات الكونية المبسوطة في السماء والأرض من أعظم دلائل الوحدانية ، وهي الكتاب العظيم المفتوح للمسلم والكافر، والبر والفاجر ، والآيات القرآنية الدالة على الوحدانية في كتاب ربنا العظيم خاصة بالمؤمنين ، لكن الكتاب المفتوح العظيم هو الكون العظيم المفتوح : خلق السماء، وخلق الأرض والجبال والبحار، ومظاهر الرزق والأرزاق، وهذه العظمة والرحمة ، تدل على أن فيه رباً واحدًا ، وأن هذا الواحد ملك ، وأن هذا الملك له صفات الملك من القوة، والقدرة، والعزة، والكرم، والإحسان، والرحمة والعفو، والجبروت، والعظمة والكبرياء : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

فالله ﷻ ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وما أرسل رسله، وأنزل كتبه إلا بالحق ، وأحق الحق ما هو ؟ أن يُعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويُدان له بالتوحيد والعبادة وحده لا شريك له : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢] .

وإذا نظرنا عرفنا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، إذا عرفتم ذلك عظمتموه لما رأيتم من عظمته وقدرته وسعة علمه ، وأحببتموه لما رأيتم من نعمه وإحسانه ، وإذا عرفتموه أحببتموه ، وإذا أحببتموه أطعتموه ، وهذا هو مقصود الرب من خلقه ، أن يطيعوه ويمتثلوا أمره ، ويتعبدوا بأسمائه وصفاته على شاكلة العبودية .

فالله كريم فيجب أن أكون كريمًا ، والله واحد فيجب أن أكون واحدًا متميزًا عن

غيري ، عن الحيوان وعن الكافر ، متميزًا بأن أكون مع مجموعة المؤمنين الذين وحدوا ربهم، وآمنوا به، واتقوه، وأطاعوه، وعبدوه، فهذا توحيد المعرفة، الذي يبني عليه توحيد العبادة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد/ ١٩] .

يجب أن أعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، هذا توحيد المعرفة، وهو أعظم أنواع التوحيد ، أن أعرف الله بأسمائه وصفاته ، ثم يأتي بعده توحيد العمل والعبادة .

وهذا وهذا كلاهما لازم ، توحيد الربوبية، وتوحيد الإلوهية ؛ ولا يتم التوحيد إلا باقترانهما .

توحيد العبادة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨] .

مادام رزاقًا ومادام كتب رزقي ، فعليَّ أن أشتغل بما أمرني به، ولا يُشغلني ما تكفل الله لي به من الرزق عما أمرني به من الأوامر الشرعية .

ومن الأوامر الشرعية ، أوامر العبادة، وأوامر الدعوة، وأوامر التعليم، وأوامر الإحسان إلى الخلق ، لا بد أن أعرف أوامر الدعوة ، لأنها أم الأعمال كلها من عبادات ومعاملات وغيرها .

والدعوة إلى الله تقوم على أربعة أصول :

١ – تعظيم الله وتكبيره، ليعظمه الناس ويكبروه .

٢ – وذكر أسمائه وصفاته ونعمه وإحسانه، ليحبه الناس ويعبدوه .

٣ – معرفة وعده لمن أطاعه بالجنة، ليقبل الناس على عبادته .

٤ – ومعرفة وعيده لمن عصاه بالنار، ليحذر الناس معصيته .

الدعوة إلى الله يدور على هذه الأمور الأربعة : تعظيم الله بذكر أسمائه وصفاته وأفعاله، ليهابه الناس ويخافوه ويخشوه ، وذكر نعمه وفضله وجوده على خلقه، ليحبه الناس ؛ لأن الناس فطرة يحبون العظيم، ويحبون الكريم ، يحبون العظيم لأنهم يلتجئون إليه، ويحتمون به، لقوته وعظمته .

ويحبون كذلك أن يلتقوا بالكريم لينالوا من فضله ، والله أعظم عظيم، وأكبر كبير، وأعظم كريم، وأعظم محسن .

والله ﷻ وعدنا بالأمن والهداية والخلافة في الأرض في الدنيا ، وفي الآخرة وعدنا

بالنعيم المقيم في الجنة وبرضوان من رب العالمين . فنذكر وعد الله لمن أطاعه بالجنة ووعيده لمن عصاه بالنار ؛ليقبل الناس على الطاعات، ويبتعدوا عن المعاصي .

وإذا عرفنا هذه الأمور الأربعة أحببناه ، وإذا أحببناه فيجب أن نطيعه ؛ ونطيعه على طريقة رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣١].

وحياة النبي ﷺ تقوم على ثلاثة أصول :

الأصل الأول : طريقة الحياة ، أن تكون حياتي مطابقة لحياة النبي ﷺ في نيته وفكره وأقواله وأعماله وأخلاقه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

والأمر الثاني : فرائض حياة؛ وهي الأمور الواجبة على المسلم ، وهي قسمان :

أوامر انفرادية.. وأوامر اجتماعية .

الأوامر الانفرادية : كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من العبادات التي بين العبد وربه .

وأوامر اجتماعية : كالبيع والشراء، والوفاء بالعقود، وأداء الحقوق وغير ذلك مما يكون بين العبد وبين الخلق : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج/ ٧٧] .

الأمر الثالث: مقصد حياة، وهو الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله ،والإحسان إلى الخلق، وهذا مقصد حياة النبي ﷺ أن يعبد الله، ويأمر الناس بعبادة الله وحده : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤٥ – ٤٨] .

فحياة النبي ﷺ مجموعة في ثلاثة أمور :

طريقة حياة.. فرائض حياة.. مقصد حياة .

طريقة حياة أكثر من ألف أدب إسلامي، وسنة إسلامية حسنة ، يتميز بها المسلم عن

غيره في طريقة الحياة : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

المرأة المسلمة تتميز عن النساء في كلامها ولباسها وطريقة حياتها ، والرجل المسلم يتميز عن الكفار في بيعه وشرائه، وفي دخوله وخروجه، وفي لباسه، وفي أكله، وفي نومه، وفي سفره، وفي أخلاقه .

أما فرائض الحياة فهي الواجبات اليومية على الإنسان ، والواجبات الشهرية ، والواجبات السنوية ، واجبات على اللسان ، واجبات على السمع ، واجبات على الجوارح ؛ وغير ذلك من الفرائض والواجبات .

أما مقصد الحياة ، فهو الدعوة إلى الله، والإحسان إلى الخلق ، وتعليمهم شرع الله .

لذا يجب أن يكون مقصد حياتي كمقصد حياة النبي ﷺ ، مقصد حياة النبي ﷺ أن يعبد الله، وأن يأمر الناس بعبادة الله ، ومقصد حياتنا نفس مقصد حياة النبي ﷺ، لأنه لا نبي بعده ، وهذه الأمة خير أمة أُخرجت للناس ، ونحن نواب النبي ﷺ في أمته: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

فلا بد أن تكون حياتي مطابقة لحياته ﷺ، ومقصد حياتي كمقصد حياته : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

ما مقصد حياة النبي ﷺ الذي يجب أن يكون مقصد حياتي ؟ .

مقصد حياة النبي ﷺ أعظم المقاصد : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤٥ – ٤٨] .

هذه عشر صفات كانت في حياة النبي ﷺ ، ثم انتقلت إلى الصحابة ، ثم إلى التابعين ، ولا زال الباب مفتوحاً لمن أراد أن يمشي خلف سيد الأنبياء ، والذي لا يمشي خلف الأنبياء سوف يمشي وراء الكفار، ويعيش حياته كالأنعام أو السباع أو الشياطين ومصير هؤلاء إلى النار ، وكل من لم يتبع النبي ﷺ في نيته وفكره، وأقواله وأعماله، وأخلاقه وعبادته، وطريقة حياته، ومقصد حياته ، كل من لم يتبعه سوف يذهب إلى النار ، وسوف يتبع الشياطين والكفرة إلى جهنم : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء/ ١١٥] .

ومن ضل في الدنيا خسر الدنيا والآخرة : ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٢] .

فالأعمى إذا اقتدى بالأعمى ، فالنهاية السقوط في الحفر : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه/ ١٢٣ – ١٢٦] .

فلنرتقِ إلى العلي الأعلى ، ولنأخذ بالدين الأكمل، لننال الثواب الأكبر: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣] .

فالحمد الله حمدًا كبيرًا طيبًا مباركًا، ملء السماء، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد ، أن جعلتنا مسلمين، وجعلتنا من خير أمة أخرجت للناس ، ويسرت لنا المعرفة والجلوس في موائد الإيمان ، وأنعمت علينا بالأسماع والعقول، والأبصار والبصائر ، وهديتنا لمعالم دينك ، وبصرتنا بسنن نبيك محمد ﷺ : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

وإذا علم المسلم أن الله ﷻ واحد لا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله ، فليحقق التعبد له بالتوحيد عمليًّا في أقواله وأفعاله ، ويحقق توحيد رسوله ﷺ بالإتباع : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور/ ٥٢] .

متى أطيع الله ؟ إذا أحببته . متى أحبه ؟ إذا عرفت أسماءه وصفاته ، أسماء جلاله وجماله ، إذا عرفت نعمه وإحسانه ، لا بد أن أعرفه ، وإذا عرفته عبدته بالمحبة والتعظيم والخوف والذل له جل جلاله .

وإذا كان الإنسان يوقن بأن الله خلقه وحده، ورزقه وحده، وقام بأمره وحده ، لم يشرك في ذلك أحدًا ؛ فليعبده وحده، ولا يشرك بعبادة ربه أحد : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

فالله أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملًا أشرك فيه غيره تركه وشركه ، وكما وحدك ربك بصفاتك، وتكفل برزقك، وربَّاك بنعمه، وخصك بالإكرام والإحسان، وأخلص لك ذلك كله وحده ، ما جعل يدك مرتبطة بإنسان آخر، ولا لسانك مرتبطًا بلسان آخر ، جعل لك لسانًا واحدًا، وجعل لك أذنين وحدك، ورزقًا مستقلًّا بك، وعينين مستقلة بك ، فكما وحدك ربك بصفاتك، وتكفل برزقك، ورباك بنعمه، وخصك بالإكرام والإحسان، وأخلص لك ذلك كله، وحده بأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته كما أمرك ؛ فأخلص له العبادة وحده لا شريك له تكن من الفائزين : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة/ ٥] .

فيجب أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونحذر أن نتعبد لسواه بأعضاء وحواس وقوى ونعم أنعم الله بها علينا وحده لا شريك له، فنحرم من الجنة، وندخل النار : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٢] .

فيجب أن نستعمل الوقت والمال والقلوب والجوارح في عبادة الواحد الأحد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج/ ٧٧] .

فالجوارح تطيعك في الطاعة أو المعصية، فإن أطعت الله بها أطاعتك وشكرتك، وإن عصيت الله بها أطاعتك ولعنتك؛ لأنك استعملتها في غير ما خُلقت له .

فالله خلق القلوب للإيمان، وخلق الجوارح للأعمال الصالحة .

فإذا استعملها الإنسان في الطاعة أطاعته ، إذا استعمل اليدين والرجلين والبصر والسمع والعقل في الطاعة أطاعته وحمدته ، وإن أمرها بالمعصية أطاعته ولعنته .

فما من ذرة في هذا البدن إلا وتلعن صاحب المعصية ؛ لأنه عصى الله فيها، وهي مطيعة له ، ويوم القيامة سوف تشهد عليه بما عملت من خير أو شر: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[يس/ ٦٥] .

فمرجعنا إلى الله وحده لا شريك له وسيجازينا يوم القيامة بما عملنا في الدنيا من خير أو شر ، فليختر الإنسان من الأعمال ما يسرُّه أن يراه يوم القيامة : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة/ ٦-٨] .

سبحان الله ! تأتي لَقطة والإنسان يصلي، والإنسان يطوف بالكعبة، والإنسان يرمي الجمرات، والإنسان يحسن إلى الفقراء، والإنسان يُعلم، والإنسان يتعلم .

وتأتي لَقطة والإنسان يقتل، والإنسان يزني، والإنسان يشرب الخمر، والإنسان يرى الصور المحرمة ، تصور الأعمال كلها محفوظة للحساب والجزاء : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾[القارعة/ ٦ – ١١].

فاعبد الله مخلصًا له الدين ، واعلم أن الله غني عنك وعن عملك ، لا يقبل إلا عملًا خالصًا له وحده لا شريك له ، وعلى ما يرضاه هو، لا على ما تحبه أنت: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود/ ١١٢] .

فلا قيمةللأعمال مهما عظمت إذا ذهب توحيدها : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر/ ٦٥ – ٦٦] .

واستعن أخي المسلم بالله الواحد الأحد في جميع أمورك ؛ لأن جميع الحاجات بيد الرب الواحد الأحد ، وهي وغيرها مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته فورًا : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر/ ٤٩ – ٥٠] .

واعلم أن من أسقط الدعوى مع ربه ، لا يقول : أنا صليت ، أنا صمت ، أنا دعوت ، أنا عملت ، من أسقط الدعوى مع ربه، وجعل مكانها التفويض والتسليم لربه، والفضل له، والمنة له، وتوكل عليه وحده، عصمه ربه مما يكره، واختار له ما يسره، ودفع عنه ما يضره : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التغابن/ ١٣] .

فلا نتوكل على أعمالنا، ولا على ما عملناه وقدمناه ؛ بل نتوكل على الله وحده ، هو جل جلاله ربنا وهو الذي يعطينا من فضله .

ومن تبرأ من حوله وقوته أيده الله بالمعونة ، ويسر له أموره : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢ – ٣] .

وهذا هو الموحد الذي استبدل الشرك بالتوحيد، والجهل بالعلم، والظلم بالعدل ، وأدى الأمانة في كل أمر : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٢] .

لماذا ؟ ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٣] .

هذه الأمانة أننا نمتثل أمر الله، ونطيعه ونأتي إليه طوعًا بالمحبة والتعظيم والذل له، ونقدم محبوبات الرب على شهوات النفس، ونستجيب لأمره الشرعي في الأوامر والنواهي .

وإذا مَنَّ الله عليك أخي المسلم بالتوحيد، وكنت من الموحدين ، فاعلم أن أحسن ما تقوم به بعد الإيمان دعوة الخلق إلى توحيد الله ؛ لأن الله ختم النبوة بمحمد ﷺ ، وكلف أمته بما جاء من الدعوة إلى التوحيد والإيمان والتقوى ، وأنت بفضل الله منهم .

والنبي ﷺ جاء بالتوحيد ، ونحن ورثة النبي ﷺ في أمته ، ونحن مكلفون جميعاً بالدعوة إلى التوحيد والإيمان والتقوى ، وشرفنا وعزنا وفلاحنا بالدعوة إلى

التوحيد : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣] .

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف/ ١٠٨].

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة/ ٤ - ٥] .

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣] .

اللهم إنا نشهد أنك أنت الله الواحد الحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، نسألك أن ترزقنا حلاوة التوحيد والإيمان وصدق التوكل، وكمال اليقين، وحسن العبادة .

اللهم يا واحد يا أحد، أنت الغني عن كل أحد، القادر على كل أحد، الكافي من كل أحد، ولا يكفي منك أحد، أنت الواحد القهار، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .

سبحانك أنت الأحد الذي ليس كمثله أحد .

اللهم يا واحد يا أحد، يا من بيده مقاليد الأمور، انقطع الرجاء إلا منك، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، فاغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا إنك أنت الغفور الرحيم.

سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك .

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسـم الله

الصمد

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة
اسم الله . . الصمد

الله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلا ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى في السموات والأرض ، والله ﷻ أمرنا أن نعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأن نعبده بمقتضى هذه المعرفة ، على ما جاء به رسوله ﷺ .

- **فالدين يقوم على أصلين عظيمين هما :**

العلم.. والعمل .

وأعظم العلم هو : العلم بالله ﷻ وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم العمل يأتي بعد هذه المعرفة بالعبادة ، فأعظم المعارف هو : معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته كما قال سبحانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

فهذه المعرفة مطلوبة من المسلم أولاً : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٨] .

ومطلوب كذلك من الداعي إلى الله أن يقول : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١ – ٤] .

- **ولهذا الله ﷻ أرسل رسله إلى خلقه بثلاثة أمور :**

الأمر الأول : تعريف الخلق بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ليعبدوه وحده لا شريك له، ويتركوا عبادة ما سواه ، إذا عرفوه أحبوه ، وإذا أحبوه عبدوه وأطاعوه ، وتركوا عبادة ما سواه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

الأمر الثاني : تعريف الخلق بالطريق الموصل إلى الله وهو عبادته وحده بالدين الذي شرعه على ألسنة رسله، وأنزل به كتبه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر/ ٧] .

الأمر الثالث : تعريفهم بما لهم بعد الوصول إليه في دار كرامته من النعيم المقيم في

الجنة لمن آمن ، والوعيد لمن كفر بالخلود في النار: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء/ ١٣ - ١٤] .

فالله ﷻ فطر الناس على وجوده ، وأمرنا بالتعرف عليه من خلال آياته ، ومخلوقاته ، وكتبه ، ورسله ، فإذا هذه القلوب عرفت ربها ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله اطمأنت إليه، وعظمته ، ثم عظمت أمره ، ثم أطاعته ، ثم نالت ثوابه العظيم في دار كرامته: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤] .

وكلما كانت معرفة العبد بربه أعظم كانت محبته وخشيته وعبادته أتم وأكمل ؛ لأن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تملأ القلب بالإيمان ، وتقوي محبة الله وتعظيمه في القلب ، وتثمر أنواع العبادة وعظيم الأجر ، فكلما كانت معرفتنا بربنا ﷻ أعظم وأتم وأكمل ، كان الإيمان أقوى ، والعبادة أحسن وأكمل : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩] .

وكلما كان العبد بالله أجهل كان من الله أبعد ، وإليه أكره ، ومن بين خلقه أخسر .

ولا شك أن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه ، فإن البدن سيارة، وراكبها هو هذا القلب ، الذي هو محل الإيمان والكفر، ومحل التقوى والفجور ، ومحل الحب والبغض.

هذا الإنسان مربوط بقلبه من ناحية سيره وسوكه، ومن ناحية حياته مربوطٌ بأعلاه وهو رأسه ، فإذا قطع الرأس فسد الجسد ، وإذا فسد القلب فسدت جوارح البدن .

حياة الإنسان في حياة قلبه وروحه ، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره ، حياة الجسد في الأكل والشرب ، أما حياة القلب فلا تكون إلا بمعرفة فاطره ، ومحبته ،

وتوحيده ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤] .

- **والله ﷻ خلق في الإنسان ثلاث أواني :**

آنية المعلومات.. وآنية الإيمانيات.. وآنية المطعومات .

القسم الأول : آنية المأكولات وهي المعدة التي تستقبل الطعام والشراب ، ثم تكون سببًا لبقاء هذا الجسد وصحته وعافيته ، ونحن نشترك في هذا الآنية مع الحيوانات ومع غيرها .

القسم الثاني : آنية المعلومات، وهى العقول التي تستقبل المعلومات من الخارج ، ونحن نشترك في هذه الصفة مع الكفار .

القسم الثالث : آنية الإيمانيات: وهي القلب ، فالقلب محل الإيمان والكفر.

فالمؤمن خصه الله بالهداية ، لأنه علم أنه أهل لها فوهبها له، والله ﷻ يهدى من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله ، يهدى من يستحق الكرامة ، ومن يعلم أنه يزكوا بالإيمان والتوحيد ، ويضل من يعلم أنه لا يزكو بذلك : ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف/ ١٧] .

فهذا القلب آنية الإيمانيات ، والعقول تدرك العلوم الكيفيات ، كيفية الوضوء ، كيفية الصلاة ، كيفية الصوم ، كيفية سبك المعادن ، كيفية المباني وهكذا ؛ لكن القلوب محل الإيمانيات ، والإيمان هو أن يصدق القلب بشيء غيبي ، فالمحسوس مشاهد يشترك فيه الإنسان والحيوان ، الحيوان إذا رأى الماء شرب منه ، وإذا رأى النبات أكل منه ، وكذلك الكافر ، لا يرى إلا المحسوسات فقط.

لكن الإيمان هو التصديق بالغيب ، والله غيب ، وكتبه غيب ، ورسوله غيب ، وملائكته غيب ، والقدر غيب ، واليوم الآخر غيب .

فالإيمان هو : التصديق بالغيب تصديقًا لا يأتي معه شك ، فإذا آمنت بالغيب، وصدقتُ بالغيب ؛ تميزت عن الكافر الذي لا يؤمن إلا بالمشاهدات ، وتميزت عن الحيوان الذي لا يرى إلا المشاهدات .

هذا الإيمان هو الذي أمرنا الله ﷻ بأن نزيده ، لأنه يثمر كثرة الأعمال الصالحة .

- والإيمان ينقسم إلى قسمين :

إيمان فطري ، وإيمان كسبي .

الإيمان الفطري : فطر الله عليه جميع المخلوقات من الذرات ، والجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، والأنس والجن والملائكة ، كل الخلائق كل ذرة في الكون مفطورة على معرفة بارئها ، وفيها دلالة على صفات جلاله، وصفات جماله : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم/ ٣٠] .

هذا الإيمان الفطري فطر الله عليه الناس ، فطرة الله التي فطر الناس عليها حينما قال لذرية آدم حينما أخرجها من صلبه ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا أنت ربنا الذي يربينا بنعمه المادية والروحية ، وأقروا بذلك : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾[الأعراف/ ١٧٢] .

هذا التوحيد الموجود ، وهذا الإيمان الموجود تأتي الشياطين وتدور على قلوب بني آدم ، فتصرفهم عن عبادة الواحد الأحد إلى عبادة غيره ، ومن تكميل محبوبات الرب إلى تكميل محبوبات النفس ، وتعلقهم بالمخلوقات التي تفعل في الظاهر ، وهى في الحقيقة لا تفعل إلا بأمر ربها الخالق لكل شيء : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الأنعام/ ١٠٢].

هذا الإيمان الفطري لابد من تغذيته بإيمان كسبي بشري ، ويتم ذلك بأمرين :

الأول : بالنظر في الآيات الكونية بالكتاب المفتوح العظيم : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس/ ١٠١] .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ ق/ [٦-٨] .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق/ ٦ -٨] .

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [عبس/ ٢٤-٣١] .

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الغاشية/ ١٧ – ٢١] .

ذكر الناس بربهم الذي أقروا له بالربوبية ، فيجب هنا أن يقروا له بالإلوهية والعبودية ، فيعبدوا الرب العظيم الذي له ملك السموات والأرض ، الخالق القوي القادر ، الخالق الرازق، الواحد الأحد الصمد ، الذي له الملك والملكوت ، الخالق لكل شيء، والذي ينعم بكل شيء: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

فليعبدوه ويطيعوه ؛ لأنه هو القادر وحده ، هو الملك وحده ، هو الغني وحده ، هو القاهر وحده ، هو الحكيم وحده ، هو الرازق وحده ، فكما أخذوا عطاء ربُوبيته، وعرفوا عطاء ربُوبيته ، فليؤدوا واجب أُلوهيته بعبادته وحده لا شريك له.

المؤمن يأخذ عطاء الربوبية وعطاء الألوهية في الدنيا والآخرة ، أما الكافر فيأخذ عطاء الربوبية في الدنيا، ويُحرم من عطاء الألوهية يوم القيامة ، لأنه لم يؤمن بربه الذي خلقه ، وساق الله إليه رزقه.

فالمؤمن استفاد من عطاء الربوبية ، فعطاء الربوبية لجميع الخلق للإنسان ، والحيوان ، والمؤمن ، والكافر ؛ لأنه لا خالق إلا الله ، ولا رازق إلا الله ، فجميع الخلائق تأكل من رزقه ، وتسكن في أرضه ، وتجلس على موائد نعمه ، حيوانٍ أو إنسانٍ ، مؤمن أو كافر ، تقي أو فاجر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١ – ٢٢] .

هذا عطاء الربوبية لجميع الخلق ، فمن آمن بالله أخذ عطاء ربُوبيته وأخذ عطاء ألوهيته في الدنيا بالأمن ، والهداية ، والخلافة في الأرض ، وأخذ عطاء ربُوبيته يوم

القيامة بدخول الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ، يأخذ عطاء رُبوبيته في الدنيا وفى الآخرة ، ويأخذ عطاء الألوهية بأن يرى ربه يوم القيامة : ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣] .

ويسمع كلام ربه جل جلاله ، ويقرب منه لأنه سمع كلامه في الدنيا، وآمن به : ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

أما الكافر فهو ينكر عطاء الربوبية ، لأنه لا يؤمن بالله فاجتهد على الأرض التي سخرها الله لكل أحد فزرعها ، واجتهد على المعادن وصنَّعها ، واجتهد على الحديد فاستخرج منه أنواع المصنوعات، والله علمه ، والله خلقه ، وخلق عقله ، وخلق المادة التي صنع منها هذه الأشياء : ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ۝٣٠﴾ [الأنبياء/ ٣٠] .

فالله ﷻ له المِنة أولاً وأخرًا ، لكن الكافر استفاد من عطاء رُبوبيته المعطى لكل أحد، فصنع واخترع واكتشف حتى لو كان غير مفيد ، استفاد من السنن الكونية التي سخرها الله لكل أحد، فصنع ما ينفع وما يضر ويدمر.

أما المؤمن فهو وحده الذي يستفيد من عطاء الربوبية ، وعطاء الألوهية ، في الدنيا والآخرة ، بالأمن والهداية والخلافة في أرض الدنيا ، وبالجنة والرضوان يوم القيامة .

فلابد للإنسان من هذه المعارف ، وهذه المعرفة هي الواجب الأول على الإنسان أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم يعبد الله بموجب هذه المعرفة: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩﴾ [محمد/ ١٩] .

أسماء الله ﷻ كلها حسني، والعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة معانيها، والتعبد لله بموجبها، أول علم يجب تعلمه، والله عرفنا بأسمائه وصفاته، لنسأله وندعوه بموجبها : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

فلابد من معرفة هذه الأسماء ، وهذا الدرس في بيان اسم الله الصمد، فالله هو

الصمد كما قال سبحانه : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤] .

وقد ورد اسم الله الصمد في القرآن مرة واحده في سورة الإخلاص.

هو القادر فليس كمثله أحدٌ في القدرة ، ولم يكن له كفوًا أحد في القدرة جل جلاله ، وهو العليم الذي لم يكن له كفوًا أحد في العلم ، هو الكريم الذي ليس كمثله أحد في الكرم ، هو الملك الذي ليس كمثله أحد في المُلك ، هو العزيز الذي ليس كمثله أحد في العزة ، ولم يكن له كفوًا أحد في المُلك .

هكذا نجري الأسماء والصفات هو السميع الذي لم يكن له كفوًا أحد في السمع ، ليس كمثله أحد في السمع ، ولا في البصر ، ولا في القوة ، ولا في الرحمة :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى/ ١١] .

الله ﷻ هو القوي الذي خلق القوة في كل قوى ، هو القوي الذي قوته ذاتية، وقوة المخلوق موهوبة له ، والموهوب قد يسلب، ولا يسلبه إلا من خلقه ، فالله هو القوي الذي وهب الضعيف القوة ، والقادر الذي وهب العاجز القدرة ، وهو الغني الذي وهب الفقير الغني، وهو العليم الذي وهب الجاهل العلم.

أما نحن فقوتنا ، وقدرتنا ، وحكمتنا موهوبة لنا من الوهاب الذي وهب الخلق الحياة، وأمدهم بالنعم، ومدهم بالصفات : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل/ ٥٣] .

فهو جل جلاله الواحد الأحد الصمد، الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى ، في العالم العلوي والعالم السفلى ، فيجب علينا أن نعرفه أولاً بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم نعبده بما جاء به رسوله محمداً ﷺ :

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

الله ﷻ هو الواحد الأحد الصمد الذي صمدت إليه جميع المخلوقات ، وقصدته كل الكائنات ، المقصود عند الحوائج ، الذي تقصده الخلائق عند الرغائب ، السيد

المُطاع الذي لا يقضي دونه أمر: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك/ ١] .

هو جل جلاله الواحد الأحد الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق ، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، الكامل في السؤدد والشرف والغنى والكرم، مالك الحاجات ، ومفرج الكربات ، ومجيب الدعوات : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل/ ٦٢] .

هو الصمد الذي تقصده جميع الخلائق عند النوائب والكريهات ، وتستغيث به إذا مسها الضر ، وأصابتها المشقات ، وتضرع إليه عند الشدائد والكربات والكريهات : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣] .

منه نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهداية ، ونعمة الليل، ونعمة النهار ،ونعمة الخلق، ونعمة العافية ، ونعمة الأمن ، ونعمة الزرق : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤] .

الله ﷻ هو الواحد الأحد الصمد الحي الذي لا يموت ، ولهذا مدح نفسه أنه حيٌ قيوم ، وحي بجميع صفات الكمال ، كمال الأسماء الحُسنى، والصفات العلا : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

هو الواحد الأحد الصمد الحي الذي لا يموت ، الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، الغني عن كل أحد ، القادر على كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

جميع الخلائق محتاجةٌ إلى ربها ، وجميع المخلوقات من أعلاها إلى أسفلها ، ومن أصغرها إلى أكبرها ، مطبوعة على أربع صفات :

ضعيف .. فقير .. عاجز .. محتاج .

العبد محتاج إلى ربه ليمسكه ، السموات والأرض محتاجة إلى ربها ليُمسكها ، كلُّ أحد محتاج إلى ربه الصمد جل جلاله ، الصمد هو الكريم الذي صمد لجميع حوائج الخلق ، هو الذي يملك الحاجات، وجميع الحاجات مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، وخاضعة لأمره: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢ - ٨٣].

كل شيء بيده: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦] .

مُلك السموات بيده ، ومُلك الأرض بيده ، ومُلك الرياح بيده ، ومُلك النجوم بيده ، ومُلك النباتات بيده ، ومُلك الجمادات بيده ، مُلك الأسماع بيده ، ومُلك الأبصار بيده ، مُلك العقول بيده ، مُلك الأزواج بيده ، وملك الأرزاق بيده، وملك التدبير بيده: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس/ ٣١ - ٣٢] .

كل ذره في الكون محتاجة إلى ربها في خلقها وإيجادها ، وفي تحريكها وتسكينها ، وفي نفعها وضرها .

وهذه الذرة الصغيرة التي تملأ الفضاء ، وتدخل في كل كائن ، هي مُسبحة بحمد ربها ، وشاهده بوحدانيته ، وخاضعة لأمره .

جميع المخلوقات خاضعة لأمر الله، ومستجيبة لمشيئته ، إذا أراد ليلاً كان ليلاً ، وإذا أراد نهارًا كان نهارًا ، وإذا أراد أمنًا كان أمنًا ، وإذا أراد خوفًا كان خوفًا ، وإذا أراد فقرًا كان فقراً ، وإذا أراد عزًا كان عزًا لفلان ، وإذا أراد ذلاً له سلب العزة عنه فصار هذا العزيز ذليلاً : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ

مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو الملك الذي له الخلق والأمر، و بيده المُلك والملكوت ، بيده التصريف والتدبير ، والتحريك والتسكين ، هو الصمد جل جلاله، صمد لجميع حوائج الخلق ، فإذا عرف القلب ربه بأسمائه الحسني، وصفاته العلا، صارت عبادته لربه فيها حلاوة ، وفيها لذة ، وفيها طعم .

قال النبي ﷺ : « **ذَاقَ طَعْمَ الإيمانِ : مَنْ رَضِيَ بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمَّدٍ رَسُولاً** » أخرجه مسلم(١) .

متى أرضى بالله ربًا إذا عرفته ، وكيف لي أن أعرفه ؟ لابد أن أسمع عنه، وأتكلم عنه كثيرًا ، لا يكفي أن أسمع عنه ، بل إذا سمعت عنه في مثل هذا اليوم لا بد بعد هذا السمع أن أُسمع الناس ؛ لأن الكلام في الدعوة أول ما يفيد الداعي : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

فلا بد أن نعرف ربنا بأسمائه وصفاته ؛ حتى نعبده بموجب هذه المعرفة ، عبادة فيها حلاوة ، وفيها طعمُ ، وفيها لذة، وعبادة حقيقية : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢ - ٤] .

ولا يعبد الله حقًا إلا من عرف ربه حقًا ، فالله ﷻ من رحمته وفضله علينا أن عرفنا بأسمائه وصفاته، لنعبده بموجب هذه الأسماء والصفات : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢ – ٢٤] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم : ٣٤.

- **وأسماء الله الحسنى من حيث معانيها ستة أقسام :**

القسم الأول : الأسماء التي تدل على ذات الله ووحدانيته مثل الله ، الإله، الواحد الأحد، الحق، الحي، القيوم، الأول والأخر، والظاهر والباطن وغيرها من الأسماء الحسنى التي تدل على ذات الله ووحدانيته.

والله هو المألوه المحبوب لذاته ، وجماله ، وجلاله ، وإحسانه ، وإنعامه ، وعظمته ، وجلاله جل جلاله ، هو المعبود المألوه ، فأنا أحب الله، لأنه أنعم عليّ بنعم لا تعد ولا تحصي ، وأنعم عليّ وأنعم على غيري ، أنعم عليّ في بطن الأم ، وأنعم عليّ في الدنيا بالإيمان والقوت ، وينعم علي كل مؤمن في القبر بأن يكون روضة من رياض الجنة ، وينعم على المؤمنين يوم القيامة بالجنة والرضوان .

فبقدرهذه المعرفة تأتي محبة الله ﷻ ، وتألهه القلوب وتحبه ؛ لأنه هو المنعم، وله الحمد في الأولى والآخرة على جميع مخلوقاته ، وعلى جميل إنعامه وإحسانه وعلى كمال وحدانيته : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر/ ١٣] .

لا بد أن نعرف أننا خَلقٌ نعود إلى خالق ، وصور نعود إلى مُصور ، ومرزوقين نعود إلى رزاق ، وعلماء نعود إلى عالمِ ، وفقراء نعود إلى غني ، وهكذا ، نحن نعود إلى واحد كما يعود البدن إلى واحد وهو الرأس ، هكذا نعود إلى الخالق : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فلا بد للقلب أن يعرف هذه الأمور فيعرف أن الله ربٌ واحد ، وهذا الواحد له الخلق والأمر كله.

الخلق: هو أن يخلق شيئاً مثل السماء والأرض، والشمس والقمر.

والأمر : هو التدبير لهذه الشمس ، تشرق من المشرق، وتغرب في المغرب ، وأن تأخذ مسارًا معينًا لا تعلو ولا تنزل، تأخذ مسارًا معينًا محكماً ، فلا تخرج عنه قدر أنمُلة ، ولو خرجت قدر أنمُلة لفسد العالم .

فالشمس مثلاً نارٌ ملتهبة صب الله ﷻفيها من نوره جل جلاله ، هذه الشمس درجة

الحرارة في داخلها أكثر من عشرين مليون درجة ، ودرجة الحرارة خارجها أكثر من ستة آلاف درجة ، ويمتد لهيبها خمسمائة ألف كيلو متر تقريباً ، جعلها الله تسير في الكون، لها طلوعٌ واستواءٌ ونزول ، فهي تطلع من المشرق ، وتستوي في كبد السماء ، ثم تغيب في الأُفق ، هذه حركاتها في الفضاء ، ولها ثلاثمائة وستون مشرقاً وثلاثمائة وستون مغرباً .

فسبحان من خلق هذه النار الملتهبة، وسبحان من أضاء بها الكون، وسبحان من سيرها في ملكه العظيم.

هذه الشمس لو ارتفعت قليلاً لتجمد الكون كله وأصبح أشد من الحجارة ، فلا تتحرك الأعضاء، ولا تنمو النباتات، ولا يتحرك الحيوان .

ولو نزلت قليلاً لاحترقت الأرض، وعادت دخانًا وبخارًا ، ولكن الله هو ربها ، فهي من آياته التي أحكم سيرها وضياؤها، وقدره تقديرًا : ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ [يس/ ٤٠] .

هو جل جلاله مالك هذا المُلك العظيم بآياته ومخلوقاته : ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [فصلت/ ٣٧] .

هذه المخلوقات الله خلقها وأودع فيها أسماءه وصفاته ، لنستدل بالمخلوق على الخالق ، وبالصور على المصور ، وبالحكمة على الحكيم ، وبالرزق على الرزاق ، فنرضيه و نعبده كما أنعم علينا بنعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهداية .

القسم الثاني : الأسماء الدالة على الملك والقدرة مثل الملك ، العزيز ، الجبار ، المهيمن ، القهار ، الصمد ، القادر ، القوي ، المقدم ، المؤخر ، وأمثالها من الأسماء التي تدل على المُلك والقدرة .

إن القلب لابد أن يعرف الملك الجبار ، لابد أن يعرف الواحد الأحد، حتى يتوجه إليه وحده ولا يلتفت لمن سواه ، ولابد أن يعرف أن هذا الواحد : ملك ، وعزيز ، وجبار ، ومهيمن ، وقادر ، وصمد ، وقاهر، حتى يتوجه إليه فيطيعه ويبتعد عن معصيته ، لابد أن يعرف أن هذا الملك القادر ، القاهر ، القوي بيده ملكوت كل

شيء، وإذا عرف ذلك خافه وهابه، وسارع إلى طاعته، وابتعد عن معصيته.
القسم الثالث : الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد مثل الخالق ، البارئ ، المصور ، الرزاق ، الوهاب ، الكريم ، البَرّ ، المقيت ، وغيرها من الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد .
لابد أن يعرف المسلم أن الله خالق كل شيء ، خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلَّم هذا الإنسان أسماء كل شيء ، و أكرمه بأنواع التكريم، وجعل هذا الإنسان خليفة في الأرض ، فلابد أن نعبده فالإنسان أعظم المخلوقات عبادة وطاعة لربنا ﷻ ؛ لأن الله خلق جميع المخلوقات بأمره الكوني قال : كُن فكانت .
وخلق هذا الإنسان بيده إكرامًا له ؛ لأنه يريده في الدنيا خليفة في الأرض ، ويوم القيامة جليسه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .
القسم الرابع : الأسماء الدالة على العلم والإحاطة كالعليم والسميع والبصير، لابد للقلب أن يعرف أن الله محيط بكل شيء ، عليم بكل شيء ، فالأسماء الدالة على العلم والإحاطة تفيد القلب مراقبة الله ، وأن كل كلمة الله يسمعها ، وكل حركة الله يراها ، وكل خلجة في القلب الله خبير بها ، وكل عمل في الظُلمات الله شهيد عليه ، يراه كما يراه في النور ، وكل شيء أعمله فهو محفوظ عند ربي ، وكل شيء قريب أو بعيد الله محيط به .
فالأسماء الدالة على العلم والإحاطة تفيد القلب مراقبة الله في كل حال ، ومن هذه الأسماء :
السميع ، البصير ، العليم ، الخبير ، الرقيب ، الشهيد ، الحفيظ ، المحيط ، وأمثالها .
القسم الخامس : الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة مثل الرب ، الرحمن ، الرحيم ، الرؤوف ، الحليم ، الحميد ، الشكور ، الودود ، الولي ، النصير ، القريب ، المجيب ، العفو ، الغفور ، التواب وأمثالها .

هذه الأسماء تفيد القلب بأن يعلم أن رحمة الله قريب من الناس ، وأن الله رحيم بخلقه ، رؤوف بالعباد ، أرسل إليهم هذا الهواء اللطيف ، وأسكنهم في هذه الأرض المستقرة ، وملأ هذه الأرض لهم بالطعام والشراب ، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

لابد أن أعرف أن ربي رحمن رحيم فأتوجه إليه وحده، واستغفره من ذنوبي ؛ لأنه هو الرحمن الذي يُحب أن يرحم ، وهو الغفور الذي يُحب أن يغفر الذنوب لعباده .

فالله ﷻ اسمه الغفور ، والمغفرة تقتضي ذنبًا يغفر ، فلابد من خلق خلق يختارون أن يطيعوا أو يعصوا ، وأحينًا يطيعون ، وأحينًا يعصون .

فالطاعة : الله يشكر الطاعة، ويعطي عليها الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة .

أما المعصية فالله ﷻ يحب من عباده أن يتوبوا منها ليتوب عليهم ، ويستغفروا منها ؛ لأنه هو الغفار ، وهو الغفور ، غافر الذنب، وقابل التوب ، وهو الرحمن الرحيم: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة/ ١٦٣] .

القسم السادس من الأسماء الحُسنى : الأسماء الدالة على الهداية والبيان : مثل الهادي، والمبين، والوكيل، والكفيل وأمثالها، حتى لا أتوكل على عقل ، ولا ذكاء ولا على علمي ، ولا على قوتي ، الله ﷻ هو الواهب لهذه النعم وغيرها .

لابد أن أعرف أن الهادي واحد، والهداية بيده وحده: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣] .

هو الهادي الذي فطر القلوب على التوحيد والإيمان، وعلى الربوبية ، ولكن الشياطين ما تركت بني آدم ، فجاءتهم فاجتالتهم عن دينهم، حتى عبدوا مع الله غيره من حجر ، أو شجر ، أو غيره من الأصنام ، فلابد أن أعرف الهادي، وأتوجه إليه، وأسأله الهداية .

ولهذا أعظم سؤال في القرآن : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة/ ٦] .

اهدنا لما يرضيك ، اهدنا لمعرفة الحلال والحرام ، اهدنا لمعرفة ما تحبه وترضاه مما تسخطه وتكرهه ، اهدنا لمعرفتك ، اهدنا لمعرفة ملائكتك ، اهدنا لمعرفة

كتبك ، اهدنا لمعرفة حكمتك في قضائك وقدرك ، اهدنا لمعرفة أحوال اليوم الآخر ، اهدنا لمعرفة ما هو غيبٌ عنا ، فنحن محتاجون إلى هدايته في كل شأن.

وأبواب الهداية بيده ، هو الذي يفتح أبواب الهداية كما يفتح أبواب الرزق ، هو الهادي الذي هدى كل مهتد ، هداه فاهتدى، ولو تركه لضل : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٧] .

فالله بين نفسه لعباده ،وهداهم إليه ، وأودع أسماءه وصفاته في مخلوقاته ، فهذا المُلك العظيم ، وهذه المخلوقات العظيمة تدل على ملك عظيم ، هذه الملوك كلها ، وهذه الممالك كلها، تعود إلى ملك واحد، يتصرف فيها كيف يشاء : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

فمعرفة هذه الأقسام الستة لأسماء الله وصفاته تسهل على الإنسان معرفة معانيها، وحلاوة التعبد لله بها.

الله ﷻ الواحد الأحد جل جلاله ، وهو الصمد الذي تصمد إليه جميع المخلوقات في حوائجها ، فهو مالك الحاجات ، وهو قاضي الحاجات ، وهو مجيب الدعوات.

هو جل جلاله الصمد الذي تصمد إليه جميع الخلائق في حاجاتها .

هو سبحانه الواحد الأحد الصمد الحي الذي لا يموت ، وحياته ذاتيه، وحياتي موهوبة ، وهو القادر أن يسلبها عن كل حي فيعود ميتًا ، ثم يعود حيًا في دار الكرامة في الجنة، أو دار العذاب في النار .

هو الحي الذي خلق الموت والحياة، ليعرف الناس الحي الذي لا يموت، من الحي الذي يموت ، والحي صفة ذاتيه لله لا تنفك عنه، والحي المخلوق حياته موهوبة، من نبات أو حيوان، أو إنس أو جن ، وهذه الحياة تُسلب بأمر الحي، فهو الذي يملك الحياة والموت ، هو الذي يحُيي ويميت جل جلاله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك/ ١ - ٢] .

فسبحان الأحد الصمد الحي الذي لا يموت ، القادر على كل أحد ، الغني عن كل أحداً ، المحيط بكل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد ، وهو الغني عن كل أحد ، كان أحداً حيث لا أحد ، وكل شيء سواه بيده، مخلوق له، وبقاؤه وفناؤه بيده وحده: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٦ - ٢٧] .

لم يتقدمه والد كان عنه ، ولم يتأخر عنه ولد يكون عنه ؛ لأنه الغني ، وليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، هو الواحد الأحد الصمد الذي له وحده الأسماء الحسنى ، و الصفات العلا : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١ - ٤] .

هو أحد لا شريك له ، ولا مثيل له ، ولا نظير له، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

هو الواحد الأحد في الخلق والملك والأمر ، هو الواحد الأحد في العبادة ، فلا معبود بحق إلا هو ، وهو المستحق للعبادة لذاته وجلاله وجماله : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

فالحمد لله أن كان ربنا أحد ، لم يكن معبودنا مخلوقاً مثلنا، ولا مخلوقاً دوننا ، بل ربنا هو العلي الأعلى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [الأعلى/ ١ - ٥] .

هو الله الواحد الأحد الصمد، وما سواه مخلوقٌ له ، ففي الكون اثنان :

خالق ومخلوق ، ومصور وصور ، ورازق ومرازيق : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

فالله ﷻ واحد أحد ، صمد، الذي صمد لجميع حوائج الخلق، وتصمد إليه جميع الخلائق في حاجتها ، فنحن فقراء نحتاج إلى الغنى ، وضعفاء نحتاج إلى القوي، وعاجزون نحتاج إلى القادر، وخائفون نحتاج إلى الأمن من المؤمن ، ونحتاج إلى ربنا في كل شيء .

هو الصمد الذي يقضي جميع حوائج الخلق كلهم في كل زمان ومكان وحال : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس/ ٣١ – ٣٢] .

هو الصمد، لأنه غني عن كل ما سواه، وخزائنه ملئى بكل شيء ، صمد لجميع من في العالم العلوي، والعالم السُفلي ، خلقهم بأمره الكوني فوجدوا ، وأمدهم بالأقوات، وحركهم، وهو يعلم أقوالهم ، ويسمع أصواتهم ، ويرى أفعالهم ، ولا يغرب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم : ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك/ ١٣ – ١٤] .

هو الملك الحق الصمد الذي تصمد إليه جميع مخلوقاته من الملائكة، والإنس، والجن، والحيوانات، والنباتات، والجمادات .

هذه ستة عوالم كبرى خلقها الله في السموات والأرض :

عالم الملائكة ، وعالم الجن ، وعالم الإنس ، وعالم الحيوان ، وعالم النبات ، وعالم الجماد ، الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ، هو خلقهم، ويعلم أفعالهم ، ولا يفعل أحد من الخلق شيئا إلا بأذنه وعلمه وأمره ، إذا أذن كان الشيء ، وإذا لم يأذن لا يكون إلا ما يريد الله القهار الصمد: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١ – ٢] .

وهو سبحانه الملك الأحد الصمد، السيد الذي كمل في سؤدده ، العظيم الذي كمل في عظمته ، له عظمة الذات، وعظمة الأسماء، و عظمة الصفات ، وعظمة العلم ، وعظمة العلو، وعظمة الملك ، وعظمة الخلق ، وعظمة القدرة ، وعظمة الحكم ، وعظمة التشريع ، وعظمة الجزاء ، وعظمة التصريف والتدبير: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

هو العظيم الذي خلق كل عظيم ، فيجب أن أعرف العظيم، لأمتثل أمره العظيم ،

وأنال ثوابه العظيم .

هذه المعرفة يأنس بها القلب كما تأنس المعدة بالطعام والشراب ، ويأنس العقل بالمعلومات والاختراعات.

أنس القلب ولذته أن يعرف فاطره ومعبوده بأسمائه وصفاته ، يعرف العظيم ليعبده ، ويعرف الكبير ليترك الصغير ، ويعرف الغني حتى لا يقف بباب الفقير، ويعرف الواحد الأحد حتى لا يتوكل إلا عليه ، ولا يخشى إلا هو ، ولا يرجو إلا إياه، ولا يلتفت لأحد سواه :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

لا ريب أن القلب يتلذذ بمعرفة ربه ، ويجد الحلاوة في هذه المعرفة، معرفة العظيم ، متى يكون الإنسان عظيماً ؟ إذا اتصل بالعظيم ، متى يكون كبيراً ؟ إذا اتصل بالكبير ، متى يكون غنياً ؟ إذا اتصل بالغني ، متى يكون عزيزاً ؟ إذا اتصل بالعزيز : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[المنافقون/٨] .

فلنتصل بالعزيز لنكون أعزة في الدنيا ، وأعزة في الآخرة ، ونتصل بالقوي حتى الله ﷻ يعطينا من قوته، وتكون قوتنا معنا ، فننتصر بهذه القوة على الأعداء : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[الحج/ ٤٠] .

والله ﷻ يحب ظهور معاني هذه الأسماء والصفات في خلقه ، يحب أن تظهر أثار أسمائه وصفاته في خلقه ، فمقصود الله من خلقه تحصيل صفاته، وعبادته بموجب هذه المعرفة :

فالله شكور يحب الشاكرين، والله كريم يحب الكريم من خلقه، والله مؤمن يحب المؤمن الذي يأمنه الناس ، والله ﷻ عزيز يحب المسلم العزيز ، والله ﷻ عفو يحُب العافين عن الناس ، والله لطيف يحب اللطيف من عباده، والله رحيم يحب من يرحم عباده ، والله محسن يحب المحسنين ، والله تواب يحب التوابين وهكذا في بقية الأسماء والصفات: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف/ ١٨٠].

هو العظيم الذي كمل في عظمته ، الغني الذي كمل في غناه ، القوي الذي كمل في

قوته ، الرحمن الذي كمل في رحمته .
هو الرحمن الذي خلق الرحمة في كل راحم ، وخزائن الرحمة عنده وبيده، ، هو خلق مئة رحمة ،أنزل منها واحدة يتراحم بها الناس، والطير، والحيوان ، وجمع هذه الرحمة مع تلك يوم القيامة ، ليرحم بها عباده .
الله ﷻ بين لنا من هو في كتابه ؟ هو الرحمن الرحيم .
كما قال سبحانه : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾[الفاتحة / ١-٣] .
﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة/ ١٦٣] .
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر / ٢٢] .
الله ﷻ دائمًا يذكرنا باسمه الرحمن الرحيم، ليشعرنا بأنه الرحمن الرحيم فلنتصف بهذا الاسم الكريم على شاكلة العبودية ، نرحم جميع الخلق ، ونحسن إلى من أساء إلينا ، ونعفو عمن ظلمنا ، ونصل من قطعنا، وهكذا نتصف بهذه الصفة والله ﷻ يحب عباده الرحماء .
هو جل جلاله القوي الذي كمل في قوته ، الرحمن الذي كمل في رحمته ، الجبار الذي كمل في جبروته :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه/ ٨] .
فسبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة .
هو الجبار الذي قهر كل شيء بقدرته ، جبار السموات والأرض ، خلق السموات وقهرها على ما أراد ، وخلق الأرض وقهرها وما فيها من نباتات على ما أراد ،وخلق الجبل على ما أراد فكان بهذه الصورة ، وخلق جبريل على ما أراد فكان بهذه الصورة ، خلق الإنسان على ما أراد فكان بهذه الصورة ، خلق السماء على ما أراد فكانت بهذه الصورة :﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾[الزمر/ ٤] .
وهو الجبار الذي يجبر قلوب المنكسرة قلوبهم ، يجبرهم ، ويعافيهم ، ويرزقهم ، ويكشف كرباتهم ، ويؤنس وحشتهم .
هو الجبار بذاته الذي له أسماء وصفات القوة ، والقدرة ، والقهر ، والعظمة ،

والكبرياء ،والجلال ، والجمال ، والعزة ، هو جبار، وكل ما سواه ضعيف فقير، عاجز محتاج إليه: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٦] .

هو العليم الذي كمل في علمه ، علم ما كان وما يكون ومن سيكون ، علمه ذاتي لا ينفك عنه، وعلمي موهوب قد ينفك عني، وقد يسلب مني ، أنا علمني العليم ، ورزقني الرزاق ، وخلقني الخلاق ، فلابد كما رأيت آثار قدرته في الربوبية ، لابد أن استجيب لأوامر ألوهيته بالعبودية ، فأعبده وحده ، وأنا المستفيد ؛ لأني أسأله الرحمة فيرحمني ، واسأله الرزق فيرزقني، واسأله العفو فيعفو عني، واسأله التوبة فيتوب علي ، واسأله الهداية فيهديني ، عنده خزائن كل شيء : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١] .

والله أمرنا أن نسأله وحده ، ومنَّ علينا بأن نسأل الخالق، ولا نسأل مخلوق مثلنا يذلنا، ونقف ببابه ولا يعطينا : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

فنسأل الصمد ، والله ﷻ لا يستفيد من عباده أبدًا ، لأنه الغني عن كل ما سواه، نحن الذين نستفيد من الهداية ، أن هدانا ربنا إلى الصراط المستقيم ، الله ﷻ غني عن جميع الخلق ، هو الملك الأحد الصمد، كريم عنده خزائن كل شيء ، وبيده كل شيء جل جلاله ، فإذا عرف القلب هذه الأمور زاد الإيمان فيه وتلذذ بعبادة الله ، ولهذا الأنبياء أعظم الناس عبادة ، لماذا ؟ لأنهم أعرفهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .

وكان النبي يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ : «**أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**» متفق عليه[١] .

على هذه النعم من ربي ﷻ ، أفلا أشكره على ما أعطاني من عقل ، وما أعطاني من

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٤٨٣٧، ومسلم برقم: ٢٨١٩.

خير، وما منع عني من شر ، وأن أعطاني هذه الحياة، ولم يجعلني مجنونًا، ولم يجعلني أعمى ، ولم يجعلني ضالًا ، الله هداني وحبب إلي الطاعات ، وفقني إلى القيام بالأعمال الصالحة ، وأثابني على الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وأنا أسكن في ملكه العريض، وسأعود إليه ، فلابد أن أرجع إليه بثلاث صفات : صفة الحب له، وصفة التعظيم له ، وصفة الذل له ، وهذا هو لب العبادة أن أعبد الله بالمحبة والتعظيم له، والذل له جل جلاله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

فهو جل جلاله الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الحميدة وهو الحكيم الذي كمل في حكمته ، الذي يضع الشيء في موضعه ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام/ ١٠١] .

صمد لا يحتاج إلى ولد، ولا يحتاج إلى صاحبة، فكل الخلائق مفتقرة إليه ، وكلٌ أحد محتاج إليه : ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾ [الزمر/ ٤ – ٥].

خلق كل شيء جل جلاله في العالم العلوي، والعالم السفلي ، وخلق أعظم شيء خلق وأبدع، بديع السموات خلقها على غير مثال سابق ، خلق السموات على هذا الشكل ولم تكن قبل ذلك ، خلق الأرض كذلك ، خلق النباتات ، والجمادات ، والحيوانات، خلق جميع المخلوقات : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

مواليد الأرض أكثر من أربعين مليون مولود من النباتات والأشجار ، خلقها الله على صور وأشكال متباينة في الأحجام والطعوم، والأشكال، والألوان، والأعمار .

هو الخلاق العليم الذي يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات من النباتات ،

والحيوانات ، والطيور ، والذرات ، والكائنات وغيرها : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر/ ٨٦]

وخلق من كل جنس نوعين : ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٤٩ – ٥١] .

هو وحده العليم بكل شيء، عالم الغيب والشهادة: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

بل كل الكائنات الله ﷻ خلقها من قبل ، أول ما خلق الله القلم قال له : أكتب ، قال : وما أكتب ؟ قال :أكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، من الحركات ، والسكنات ، والأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، والحوادث ، وجميع ما يجري في الكون إلى أن تقوم الساعة : ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج/ ٧٠] .

هذا هو العليم جل جلاله ، وهو الخلاق الذي خلق كل شيء بقدرته، فليصمد العباد إليه بعبادته : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

هو الواحد الأحد الذي خلق المخلوقات ، ولم يتركها تعمل بنفسها ، خلق الشمس وهو الذي يسيرها ، وخلق الليل ، وخلق النهار ، وخلق الملائكة ، وخلق الإنس ، هو رب العالمين الذي خلقهم ، وتكفل بأرزاقهم ، وتدبيرهم وتصريفهم ، وهو وكيل عليهم ، يعلم ما يقولون وما يفعلون ، ولا يقع في ملكه إلا ما شاء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر/ ١٣].

فالله ﷻ هو الغني عن جميع الخلائق ، هو الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا، والأفعال العظمى ، والمثل الأعلى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[الروم/ ٢٧] .

الله يحب العدل ، ويحب الإحسان ، وحرم الظلم على نفسه ؛ وحرمه على عباده ، لأن الظلم فيه جور وعدوان وأعظم الظلم هو الشرك ، لأن الشرك وضعٌ للعبادة في غير موضعها ، وصرفها لغير مستحقها ، أن أعبد قبراً ، أعبد ميتاً ، أعبد الملائكة ، أعبد أي مخلوق من دون الله ، هذا أعظم الظلم ، وأقبح القبيح ، وأشر الشر ، هذا الشرك بالله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان/ ١٣] .

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي : « **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا** » أخرجه مسلم (1) .

فلا يظلم نفسه في عبادة غير الله ، ولا يظلم غيره بأن يأخذ ما ليس له ، أو يمنع ما ليس له ، أو يحرم نفسه من الطاعات ، أو يجرها إلى المعاصي والسيئات.

«**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فاستهدوني أهدكم**» أخرجه مسلم (2) .

الهداية والضلالة بيد الله ، والعطاء والمنع بيده ، والبسط والقبض بيده ، وإيتاء الملك ونزعه بيده ، والحياة والموت بيده ، فهو جل جلاله بيده كل شيء ، له الخلق والأمر، والتدبير والتصريف : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

و الله ﷻ فطر العباد على التوحيد ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لكن الشياطين جاءت إلى بني آدم فاجتالتهم عن دينهم .

والمطلوب منا أن نجاهد أنفسنا لنعود إلى صفاء الفطرة والتوحيد ، ويُذكر بعضنا بعضا بالعهد الأول ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا، وذلك بالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات القرآنية ، حتى يأتي الإيمان الكسبي مع الإيمان الفطري، وذلك نور على نور: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥] .

وبهذا يزداد الإيمان في القلب ، ويقوى نور الإيمان في القلب ، فهذا النور الكبير في القلب إذا امتلأ القلب به خشع القلب لربه ، واستكان بين يديه ، وخضع وخشع له ،

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

(٢)أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

وعظمه وكبره ، وذل له وأحبه ، ثم انقادت الجوارح بأمر القلب للطاعة قيامًا وقعوداً، وركوعًا وسجودً ، وتسبيحًا وتحميدًا ، وبذلك تحصل العبادة لا نمل منها ، ونتسابق إليها كما تتسابق الملائكة إلى الطاعات ، وتنفيذ أوامر الله: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء/ ١٩ – ٢٠].

فالله فطر الملائكة على الطاعة والتسبيح والتقديس ، وفطرنا نحن على التوحيد والإيمان، وفطر البهائم على حب الطعام والشراب .

فنحن إذا نقص مؤشر الإيمان جاءت الغفلة والمعاصي ، وإذا زاد مؤشر الإيمان في القلب جاءت قوة المحبة لله ، ثم تأتي قوة الطاعة ، ثم تأتي الطاعات المتنوعة من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، ونؤدي هذه الطاعات بالمحبة ، ونسارع إليها ، لماذا ؟ لأن القلب امتلأ بمحبوبات الرب ، من الإيمان به، والتوكل عليه ، والخوف منه ، ورجائه ، وطاعته ، ومحبته ، وعبادته.

فإذا امتلأ القلب بمحبوبات الرب انقادت الجوارح لطاعة الرب ، وإذا امتلأ القلب بمحبوبات النفس انقادت الجوارح للشهوات .

فالقلب لمن سكنه ، إذا سكنه التوحيد والإيمان أمر الجوارح بالتقوى ، وإذا سكنته محبة الأموال والشهوات أمر الإنسان بعبادة الأموال والشهوات ، وشغل الإنسان بهذه الأشياء عن ربه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾[آل عمران/ ١٤ – ١٥].

والله ﷻ ملأ الدنيا بمحبوباته هو ، وملأ الآخرة بمحبوباتنا نحن .

ومحبوبات الرب هي الدين الكامل ، وقد ذكر الله هذه المحبوبات في قوله : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ

وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٥] .

وذكرها في قوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون/ ١ -١١] .

وذكرها في قوله : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢] .

فبشر المؤمنين بالجنة والرحمة ، وسماع كلام الرب ، والقرب منه ، ورضوانه ، ورؤيته ، وأن لهم يوم القيامة مقامًا كريمًا ، ونعيمًا عظيماً ، وملكًا كبيرًا .

الله ملأ الدنيا بمحبوباته هو من أنواع العبادات والقربات ، وملأ الآخرة بمحبوباتنا نحن من أنواع المأكولات والمشروبات ، والمرئيات والمسموعات ، والملبوسات والمركوبات ، والمسكونات والمنكوحات وغير ذلك من نعيم الجسد ، ونعيم القلب من رضوان ربنا ، اليوم أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢] .

هذا القلب ، محتاج أن يعرف هذه الأمور العظيمة حتى يتنور ، ويزداد نوره بالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات القرآنية ، فإذا زاد هذا النور أنار سبل الطاعات والعبادات ، وأحرق ما سواه من المعاصي والمنكرات والفواحش ، وأحرق ما سوى الرب من حب الشهوات، ولم يلتفت إليها ، ولم يتعلق بها ، واستأنس بالله واستوحش من غيره : ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ

مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥ - ١٦] .

فسبحان الواحد الأحد الصمد الذي لا شريك له ، في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، هو الصمد الذي تصمد إليه جميع المخلوقات ، هو الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق من العلم والرزق والأمن والرحمة وكل ما يحتاجه الخلق .

والله ﷻ غني عن العالمين وعن عبادتهم ، لا تنفعه طاعتهم ، ولا تضره معصيتهم ، «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**» أخرجه مسلم (١).

نحن محتاجون إلى الهداية ، الهداية لمعرفته ، والهداية لما يصلح أحوالنا في الدنيا والآخرة ، والهداية للصراط المستقيم ؛ حتى نطيع ربنا ﷻ ، ونجتنب معصيته : ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام/ ٨٨] .

و الله ﷻ يقول : «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**» أخرجه مسلم (٢).

جميع الخلائق مفتقرون إلى الله في الخلق والإيجاد ، والتحريك والتسكين ، والتدبير والتصريف ، والنفع والضر .

الله خلقهم جميعاً ثم أمدهم بالنعم ، وهداهم إلى ما يرضيه ، فمن قبل الهداية أكرمه الله في الدنيا والآخرة ، ومن رد الهداية ضل في الدنيا ، ويوم القيامة مصيره إلى النار : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣ - ١٢٦] .

وقال ﷻ : ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء/ ٧٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.
(٢) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

وقال ﷻ : « **يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ** » أخرجه مسلم (١) .

نستغفر الله ، ونتوب إليه من كل ذنب صغير وكبير ، ومن سيئات القلوب والجوارح .

وكان ﷺ يستغفر الله سبعين مرة وتارة مائه مرة في المجلس الواحد ، وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فكيف بنا نحن الذين دائمًا في الغفلة والمعاصي فنحتاج للاستغفار المستمر من أعمالنا وأقوالنا ، وأخلاقنا ونياتنا ، نحتاج للاستغفار دائماً ، فالعين ترى أحياناً ما لا يحب الله ، والأذن تسمع أحياناً ما لا يحب الله ، والجوارح تمشي أحياناً إلى ما لا يحب الله ﷻ ، و الأوقات تقضى أحياناً فيما لا يرضي الله.

فنحتاج إلى الشكر عند الاستطاعة ، وإلى الاستغفار عند المعصية : ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠] .

فالجوارح كلها مماليك عند القلب ، الله ﷻ ملك الجوارح للقلب تطيعه فإن أمرها بالطاعة أطاعته وحمدته ، وإن أمر القلب الجوارح بالمعصية أطاعته ولعنته ، وقالت: أتق الله فينا، فإنما نحن بك.

فسبحان الملك الغني عن كل ماسواه ، والغني من لا تنقص خزائنه أبداً مع كثرة الإنفاق ، وجميع الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي ، كلها ذرة صغيرة من ملكه : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

«**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا**»أخرجه مسلم(٢).

فالله غني ، وغناه في ذاته ، والغني لا تنقص خزائنه مثقال ذرة ، أما المخلوق لو ملك مليارات الأطنان من الذهب ، ونقصت مثقال ذرة ، فيعتبر فقيرًا ؛ لأنه في الأصل

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

(٢)أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

فقيرٌ بذاته ، والله أعطاه الغنى ، والله قادر أن يسلب الغنى منه ، فيعود فقيرًا ، الله واهب الحياة لو سلبها عن الحي لعاد ميتًا ، هو واهب الرزق لو سلبه عن الإنسان لعاد فقيرًا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥].

فسبحان من لأتزيد الطاعات في ملكه شيئاً، ولا تنقص المعاصي منه شيئاً : « **يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا** » أخرجه مسلم(١) .

فلو أن جميع البشرية كلها كانوا على أفجر قلب رجل واحد ، ثم هذا الرجل الواحد عصى الله بأنواع المعاصي ، ما نقص ذلك من ملك الله شيئاً، لأن الله كامل الغني قبل أن يخلق الخلق : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٦] .

فسبحان من خزانه لا تنقص مثقال ذرة مع كثرة الإنفاق.

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: « **يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ** » أخرجه مسلم(٢) .

لماذا ؟ لأن المحدود إذا أُخذ من المحدود نقص ، أنا عندي ألف ريال مثلاً ، أخذت منها مائة نقصت ، فالمحدود إذا أُخذ من المحدود نقص ، والمحدود إذا أُخذ من غير المحدود لا ينقص أبدًا ؛ لأن خزائن الله لا تنقص أبداً : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص/ ٥٤] .

ولو نفدت أو نقصت لكان الله محتاجاً إلى ما نقص ، والله غني ، وكل ما في الكون ملكه: ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة/ ١٢٠] .

فسبحان القادر الذي بحرفين من كلامه خلق هذا الكون العظيم : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢ – ٨٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.
(٢) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

هو الصمد الذي بيده ملكوت كل شيء ، كل شيء خاضع لأمره ، ومستجيب لمشيئته ، ومسرع إلى إرادته ، ومُسبح بحمده ، وشاهد بوحدانيته ، ودالٌ على عظمته وجلاله وجماله : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء/ ٤٣ - ٤٤] .

هذا ربنا ، هو الملك العظيم ، الواحد الأحد الصمد ، الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الكبرى ، أحسن إلى عباده بأنواع الإحسان ، وسوف يحاسبهم على ما فعلوا من خير وشر .

قال الله ﷻ في الحديث القدسي : «**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللهَّ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**» أخرجه مسلم[1] .

هذه الأعمال مسجلة مكتوبة ، كتبها العليم الخبير الذي لا يخفي عليه شيء ، ولا يعزب عنه شيء ، وستعرض يوم القيامة علينا : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة/ ٦-٨] .

هو سبحانه الأحد الصمد الذي تصمد جميع المخلوقات إليه ، وتتوجه إليه ، وتخضع لأمره ، وتسأله وتدعوه ، وتسرع إلى إرادته ، وتقف ذليلة صاغرة بين يديه .

هو جل جلاله الواحد الأحد الصمد وضع اسمه على السموات فاستقلت ، ووضعه على الأرض فاستقرت ، ووضعه على الجبال فرست ، ووضعه على الأرض فأنبتت ، ووضعه على المياه فسالت ، ووضعه على الرياح فهبت ، ووضعه على العين فرأت ، ووضعه على الأُذن فسمعت ، ووضعه على اللسان فتكلم ، ووضعه على الليل فصار ليلاً ، ووضعه على النهار فصار نهارًا : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

هو جل جلاله بيده مقاليد الأمور ،وجميع الخلائق تُسبح بحمده ، وتقف ذليلة

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

صاغيرة بين يديه : ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود/ ٥٦] .

هو جل جلاله الواحد الأحد الصمد الذي تكفل بجميع أرزاق الخلائق على مر القرون والدهور ، في الليل والنهار ، في العالم العلوي والعالم السُفلي ، ملأ الجو بمخلوقات لا نعلمها ، وملأ السماء بمخلوقات لا نعلمها ومنهم الملائكة ، وملأ ما بين السماء والأرض بمليارات الذرات والطيور التي لا تعيش إلا في الجو ، وملأ الأرض بمخلوقات عظيمة ، وذرات عظيمة ، من الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، كل هذه الخلائق تُسبح بحمد ربها وتشهد بوحدانيته جل جلاله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١﴾ [النور: ٤١] .

هو جل جلاله الخلاق العليم الذي خلق البحر وملأه بالكائنات التي لا تعلم بما على ظهر الأرض ، وما على ظهر الأرض لا يعلم بما في بطن البحر ، وما في بطن البحر مخلوقات عظيمة تزيد على مليون أمة من الأمم التي خلقها الله: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾ [فاطر: ١٢] .

ومن هذه المخلوقات العظيمة الحوت ، والحوت يأكل في كل يوم ، أربعة أطنان من اللحوم .

سبحان الله حوت واحد من مليارات الأحوات في البحر قوته في اليوم أربعة أطنان ، طوله ثلاثون متراً تقريباً ، ووجبته اليومية أربعة أطنان من اللحم ، ووزنه مائة وخمسون طناً ، خمسون طنًا من العظام ، وخمسون طنًا من اللحم ، وخمسون طنًا من المياه وغيرها .

فسبحان من خلقه وأطعمه وسيره في تلك البحار العظيمة.

هذا المخلوق العظيم الذي خلقه هو الذي التقم يونس ﷺ في البحر : ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾ [الصافات/ ١٤٢] .

هذا الحوت يسبح بحمد ربه ، ويشهد بعظمة خالقه ، ويخضع لأمر ربه ، استلم يونس ، ولم يكسر له عظماً، أو ينهش له لحمًا ، احتضنه في هذا المستودع ، في فترة معينة ، ثم أمره الله بأن يلقيه على الساحل ، وأنبت عليه شجرة من يقطين : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٨] .

كم من الأحوات في البحر ؟ كم من الأسماك في البحر ؟ كم من الطيور التي تأكل من الحبوب ؟ كم من الحيوانات ؟ هذه الخلائق الله خلقها ، وخلق أقواتها، وأطعمها في مكانها في البر والبحر والجو: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦] .

هذا هو الخلاق العظيم الذي يجب أن نعرفه ، وإذا عرفناه أحببناه ، وإذا أحببناه أطعناه وعبدناه جل جلاله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر: ٣] .

نسأل الله الهداية لما يرضيه ، والتسديد إلى محابه ؛ لأنه لا حول لنا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لا نتحول من حال إلى حال ، لا نتحول من الضلال إلى الهداية ، ولا من الجهل إلى العلم ، ولا من الشرك إلى التوحيد إلا بالله ﷻ : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف:١٧] .

ولا قوة لنا إلا إذا أخذنا القوة من القوي ، فالقوي أعطانا من قوته ، وكل قوة في الكون خلقها القوى ، فإذا سلب عنا القوة صرنا ضعفاء ، فلنتوجه إلى ربنا الصمد العليم العظيم الذي بيده كل شيء ، وعنده خزائن كل شيء ، ونحمده على نعمه التي لا تعد ولا تُحصى ، فربنا رحمن رحيم ، وهو ملك عظيم ، فلنخلص له العبادة ، ونتوكل عليه ، ونستعين به : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر: ١١ - ١٢] .

ولا يمكن لأحد أن يعبد الله إلا بالاستعانة به: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن: ١٣].

نسأل الله ﷻ أن يهدينا للصراط المستقيم ، ويفتح لنا أبواب الهداية حتى نعرفه ، ويفتح لنا أبواب الهداية حتى نعبده حق عبادته ، وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم الذي يوصل إليه ، إلى رضوانه ، وإلى جنته : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ -٧] .

الحمد لله رب العالمين أنعم عليَّ ، وأنعم على غيري ، وأعطاني خيرا وصرف عني شرا ، واستضافنا في بطن الأم ، واستضافنا في بطن الدنيا ، والحكمة من بقاء الجنين تسعة أشهر في بطن الأم تكميل الأعضاء والجوارح ، إذا كمل الإنسان بأعضائه الداخلية ، وجوارحه الخارجية ، أخرجه الله من بطن الأم إلى بطن الدنيا ، والحكمة من بقاء الإنسان في الدنيا تكميل الإيمان والأعمال الصالحة .

تكميل الإيمان بأركانه الستة : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

فالله ﷻ خلق العوالم ، وسخرها للإنسان ، وجعلها آيات تشهد بوحدانيته :

عالم الجمادات ، عالم الذرات ، عالم النباتات ، عالم الحيوانات ، هذه كلها مخلوقات مسخرة ، لكن أنا المخلوق الوحيد الذي خلقني الله مختارًا ، اختار الحق أو الباطل ، اختار الخير أو الشر ، أختار الطاعات أو المعاصي ، اختار عمارة الدنيا أو عمارة الآخرة ، اختار الأعمال الصالحة أو الأعمال السيئة ، اختار الأخلاق الطيبة أو الأخلاق السيئة :﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان: ٢ – ٣] .

فالإنسان له مصرفان :

مصرف للطاعة.. ومصرف للمعصية .

فإذا وجد المذكِّر قويت الروح فأكملت محبوبات الرب ، وإذا فقد المذكر جاءت الغفلة واجتمعت النفس مع الشيطان على هذا الإنسان فأقبل على المعاصي، وترك

الطاعات ، ودخل في الشرك والبدع ، وضل عن ربه بعد أن هداه ، وفطره على التوحيد ، وأكرمه بالسمع والبصر والعقل ، وأرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾ [البقرة: ٢٤٣] .

فلنكن دائمًا إما ذاكرين وإما مذكرين ، إما نتذكر وإما نُذكر ، إما نتكلم أو نسمع ، إما أن نتكلم عن الله وأسمائه وصفاته ، ودينه وشرعه ، ووعده ووعيده ، وإما أن نسمع ذلك من غيرنا ، فنحن على خير في هذا وهذا .

قال النبي ﷺ : «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» أخرجه البخاري (١) .

فكن ربانياً تتعلم الدين وتعلمه: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

جميع الخلائق تعود إلى خالق واحد ، وجميع الصور تعود إلى مصور واحد ، هو الصمد الذي يجب علينا أن نصمد إليه في جميع حوائجنا ، ونقصده بأنفسنا ، ونتوجه إليه في جميع أمورنا : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر/ ٦٥] .

فاصمد أخي المسلم وأختي المسلمة إلى ربك العظيم الصمد ، واقصد بنفسك إليه ، وتوجه إليه وحده ، وفرغ قلبك من ذكر كل شيء إذا ما قصدت إليه ، ولا تشرك معه أحداً : ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر/ ٦٥-٦٦] .

كن عابدًا لله ، معلمًا لشرع الله ، داعيًا إلى الله ، محسناً إلى خلق الله .

فأنا عبد الصمد ، أحمده على نعمه ، واستغفره من ذنوبي ، وافعل ما يحب ، واجتنب ما يكره ، واصبر على بلائه ، وأنا بين يد الخلق أدعوهم إلى الله ، وأعلم جاهلهم ، وأواسي فقيرهم ، وأُحسن إلى مُسيئهم : ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٥٠٢٧.

ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة/ ٧١] .

فالمؤمن يطلب حوائجه من ربه الواحد الأحد الصمد ، وأعظم المطالب التي يطلبها العبد من ربه ، وأعظم الحوائج التي يسألها ربه ، هو الهداية للصراط المستقيم ، ومن هداه الله لمعرفته ، هداه سبل رضاه ، والتقرب إليه بماء يحبه ويرضاه .

ولحاجة العبد إلى الهداية في كل وقت أمره بطلب الهداية في كل ركعة من صلاة فريضة أو نافلة:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٦] .

وأعظم أبواب الهداية العلم بالله : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

والعلم بآياته ومخلوقاته : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

ننظر في الملك والملكوت ، ننظر في هذه الخلائق ، ننظر إلى مخلوقات الله الكثيرة، وآياته العظيمة في الكون ؛ حتى نعرف الخالق من المخلوق ، والرازق من المرزوق ، والقادر من العاجز ، والغني من الفقير ، والكبير من الصغير : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦ – ٨] .

هذا النظر يولد الحب لله ، والتعظيم له ، والإنكسار بين يديه ، ويثمر خشوع القلب ، و كمال التوجه إلى الله في كل حال ، ونعرف به حكمة خلق المخلوقات.

إن الله خلق هذه المخلوقات ، لتدل على كمال قدرته وعظمته ، ومطلوب مني بعد هذه المعرفة أن آتي بالعمل ، ما هو العمل ؟ عبادة الله وحده الذي خلق هذا الكون العظيم ، وأظهر لنا فيه أنه القادر ، أنه القاهر ، أنه الخالق ، أنه الرزاق ، أنه العليم ، أنه الخبير ، أنه الرحمن ، أنه الرحيم ، أظهر لنا هذا بآياته ومخلوقاته:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ

ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ [فصلت/ ٣٧] .

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [فصلت/ ٣٩] .

النظر والتفكر من أعظم العبادات ، ثم إتباع ذلك بعمل الجوارح : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ [الطلاق/ ١٢] .

وإذا عرفنا ذلك أحببناه ، وعظمناه ، وأطعناه ، وعبدناه بما جاء به رسوله ﷺ .

بقدر ما أعرف أن هذا غني ، وهذا قادر ، وهذا طبيب ، أذهب للطبيب عند مرضي ، وأذهب إلى الغني عند حاجتي ، وأذهب إلى من يعرف عند جهلي ، هذه فطرة خلقها الله في الإنسان .

والله ﷻ هو العزيز الجبار المتكبر ، هو الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة ، فإذا عرفته بأسمائه وصفاته عبدته بموجب هذه الصفات ، لأني أنا محتاج إليه وهو غني عني ، أنا محتاج إليه في خَلقي ، وفي رزقي ، وفي ديني ، وفي حياتي ، وبعد موتي ، وفي بقائي ، وفي كل شيء ، محتاج إلى الأمن ، محتاج إلى العافية ، محتاج إلى الشفاء ، والله عنده خزائن كل شيء ، فتوجه لمن يملك هذه الحاجات : ﴿وَإِن مِّن شَىۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعۡلُومٍ ﴿٢١﴾ [الحجر/ ٢١] .

والله سبحانه خلق هذه المخلوقات التي تفعل في الظاهر ، وهي في الحقيقة لا تفعل ، الفعال واحد لا إله غيره ولا رب سواه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٍ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

إن شاء جعل هذه المخلوقات تفعل ، وإن شاء أبطل مفعولها ، النار تحرق ، ولكن الله جعلها بردًا وسلامًا على إبراهيم : ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرۡدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ [الأنبياء/ ٦٩] .

والبحر يغرق ، ولكن الله ﷻ بقدرته فتحه لموسى بعصىً صغيرة ، فبأمرٍ واحد ،

وبعصا واحد ، وفي وقت واحد ، انفتح البحر فصار طريقًا يبسًا اثنا عشر طريقاً ، وفي نفس هذا البحر ، بهذا الأمر الواحد انطبق في وقت واحد ، فأغرق فرعون وجنوده ، ونجا موسى وقومه : ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥﴾ [الشعراء/ ٦١ – ٦٥] .

لأن البحر مخلوق عبد ضعيف أمام الله ، مخلوق من مخلوقات الله المسخرة المطيعة ، يغرق من شاء الله ، وينجي من شاء الله ، وهو مملوك أمره ربه فانفتح اثنا عشر طريقًا ، ثم أمره فانغلق ، وانطبق على من فيه ، ورجع إلى حاله .

والحجر مخلوق من مخلوقات الله ، الحجر ليس فيه ماء ، ولكن موسى لما استسقى لبني إسرائيل حين طلبوا الماء ، الله ﷻ أمر موسى أن يضرب الحجر بالعصا أمامهم ، فأخذ حجرًا ثم ضربه بالعصا ، فلما ضرب الحجر بالعصا خرج منه أثنتا عشرة عيناً ، في هذا الحجر خمس معجزات :

عصا يابسة ، وحجر يابس ليس فيه أثر للماء ولكن الله بقدرته جعل فيه الماء .

فضرب موسى الحجر بالعصا ، فظهر خمس معجزات :

خروج الماء من الحجر ، وكمية الماء ، ونوعية الماء لكل قبيلة من القبائل الاثنتي عشرة ، وأنه يخرج وقت الحاجة وينقطع عند قضاء الحاجة : ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠﴾ [البقرة/ ٦٠] .

هذا هو معنى التوحيد ، معنى التوحيد : هو التوجه إلى الله ، والعلم أن جميع الخلق ليس بأيديهم شيء ، وأن الله وحده بيده كل شيء : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢] .

فموسى ﷺ ضرب البحر بالعصا فخرج الحجر ، ثم لما خرجوا وطلبوا الماء من موسى ضرب بالعصا الحجر فخرج البحر ، الأولى إضرب بحر يخرج حجر ، طريق

يابس ، والثانية إضرب الحجر يخرج بحر : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود/ ١٠٧].

هذه هي حقيقة لا إله إلا الله ، الله يفعل بقدرته ما يريد ، هو فعال يفعل بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب ، هذا هو الملك الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق ، وجميع المخلوقات كبيرها وصغيرها كلها صامدة إليه في حوائجها، جميع المخلوقات منقادة إليه ، وآخذ بناصيتها ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره، ودالة على وحدانيته، ومُسبحة بحمده جل جلاله .

جميع المخلوقات خاضعة لأمر الكبير المتعال ، القادر على كل شيء ، المحيط بكل شيء ، هذا هو الملك الحق الواحد الأحد الصمد الذي يجب علينا أن نعبده ونوحده .

والله ﷻ يظهر تلك الآيات العظيمة حتى نعلم أنه حيٌ قيوم ، قائم على ملكه ، ولا يستطيع أحد أن يخرج عن ملكه ، فلنصمد إليه ، ولنتوجه إليه ، عند المرض نطلب منه الشفا ، وعند الجهل نطلب منه العلم ، وعند الخوف نطلب منه الأمن ، وعند البلاء نطلب منه العافية ، وعند الهزيمة نطلب منه النصرة ، وعند الفقر نطلب منه الرزق .

هو صمد لجميع حوائج الخلق ، فجميع الخلق تصمد إليه في جميع حوائجها ، لكن الله ﷻ يعطي عطاء الربوبية لجميع الخلق المطيع والعاصي ، لكن العطاء الخاص للخواص كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ، وكما رزق مريم رزقاً بلا سبب، وإبناً بلا ذكر ، وطعامًا بلا شجر ، وكما فتح البحر لموسى ، وكما شق الحجر لموسى حين استسقى لقومه ، وهكذا في جميع الأمور هذا باب الخواص من بعض المؤمنين ، لمن صدق إيمانه ، وكمل يقينه : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣٧].

وقال ﷻ : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ

ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٧ – ٨٨] .

● **فالاستفادة نوعان :**

استفادة من المخلوقات.. واستفادة من الخالق .

الاستفادة من المخلوقات : نشترك فيها نحن وجميع المخلوقات من حيوانات ، ومن مؤمن أو كافر ، أو بر أو فاجر ، استفادة من الأرض ، استفادة من الشمس ، استفادة من الهواء ، استفادة من الطعام ، كلٌ يستفيد من هذه ، وكلٌ يجتهد في الزراعة مسلم أو كافر ، فهي تطيع لأنها مسخرة المنافع بامر الله: ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠] .

أما باب الخواص فهو بابٌ خاص ، لمن ؟ لأهل التوحيد ، فالناس جميعًا عبيدٌ لربوبيته ، هو ربهم يتولى تربيتهم في خلقهم ، ، وإمدادهم وأرزاقهم.

والمؤمنون عبيدٌ لربوبيته ، وعبيدٌ لألوهيته ؛ لأنهم آمنوا به فأطاعوه ، فاستفادوا من عطاء ربوبيته بالبركة ، واستفادوا من عطاء ألوهيته بالأمن والهداية والخلافة في الدنيا ، والجنة والرضوان ورؤية الرب يوم القيامة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .

فنحن عبيد ربوبيته وعبيد ألوهيته ، والكفار عبيد ربوبيته ؛ لأنهم يأكلون من رزقه ، ويسكنون في ملكه ، ويتنعمون بنعمه ، وليس يخلق الله خلقًا فيتركهم سُدا لا يطعمهم ولا يسقيهم ، بل هو يطعمهم ، لأن في إطعامهم وسقيهم إظهارًا لقدرته ، وإشعارًا لهم بهذا الخالق الرازق الكريم الرحيم ، فليستحوا منه ويطيعوه ويعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فالمسلم من طلب حوائجه من ربه الأحد الصمد ، وأعظمها قدرًا طلب معرفته بأسمائه وصفاته ، والعلم بآياته ومخلوقاته ، ومعرفة حكمتها فالله ﷻ حكيم عليم ،

خلق هذا الكون العظيم، ليدل على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأنه ملك عظيم ، وأنه صمد ، وأنه غني ، وأنه قادر ، وأنه قاهر ، لا إله غيره ولا رب سواه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

هو الملك الذي له الخلق والأمر في ملكه العظيم .

له الأوامر الكونية على خلقه ، وله الأوامر الشرعية ، وله الأوامر الجزائية : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

فلا إله إلا الله كم ينزل منه من مليارات الأوامر الكونية على النباتات ، والجمادات ، والحيوانات ، والرياح ، والشمس ، والقمر ، والنجوم .

له جميع الأوامر الكونية من إنزال المطر ، وإنبات النبات ، وخلق الخلائق ، وخلق الكائنات : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

وله الأحكام الشرعية التي هي الإيمانيات ، والعبادات ، والمعاملات ، والمعاشرات ، والأخلاق، هي الدين الكامل الذي من الله به علينا : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

وله الأحكام الجزائية يوم القيامة ، فمن آمن بالله وأطاعه فله الجنة .

ومن كفر بالله وعصاه فله النار : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

فالله ﷻ له الأحكام الكونية ، وله الأحكام الشرعية ، وله الأحكام الجزائية : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف: ٤٠] ذ.

هو أحكم الحاكمين الذي يضع الشيء في موضعه قدراً وشرعاً وجزاءً .

هذا القلب إذا عرف ربه بأسمائه الحُسنى ، وصفاته العلا ، وعرف دينه وشرعه ، وعرف آياته ومخلوقاته ، وعرف حكمتها ، والحق الذي خلقها به، انشرح صدر هذا الإنسان بالإيمان ، وامتلأ القلب بالتوحيد ، وانطلق اللسان بالذكر والشكر والحمد ، وتحركت الجوارح بالطاعة ، وأقبل على ربه، وأعرض عما سواه كما قال إبراهيم : ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ [الأنعام/ ٧٨-٧٩] .

يعني أعرض عن النجم والكوكب ، وأعرض عن القمر ، وأعرض عن الشمس ، وجميع المخلوقات وتوجه إلى ربه وحده : ﴿وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ [الأنعام/ ٧٩] .

لا أُشرك بالله في الخلق ، ولا في الأمر ، ولا في العبادة ، ولا في الحكم ، ولا في الملك ، ولا في التصريف والتدبير : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٦ – ١١٧] .

فأعظم العبادات التفكر والتدبر في الملك والملكوت ، فإذا أطلق الإنسان بصره في ملكوت السموات والأرض ، ونظر إلى الشمس والقمر والنجوم ، ونظر إلى الجماد والنبات والحيوان ، ونظر إلى السُحب والجبال البحار والذرات ، علم عظمة ربه ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعلم أن ما علمه من مخلوقات الله بالنسبة لما لا يعلمه كالذرة بالنسبة للجبل : ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥] .

وقيمة الإنسان بصفاته لا بذاته ، وأعظم الصفات الإيمان ، والعلم ، والتقوى ، والصفات التي يحبها الله ﷻ من الإخلاص والصدق والحمد والشكر وغيرها.

فإذا الإنسان عرف صفة من صفات الله ﷻ كالعلم ، عرف شيئاً من عالم الجماد والنبات والحيوان ، وعرف سنن الملك والملكوت ، ونظر إلى الشمس والقمر والذرات المختلفة في العالم العلوي، والعالم السفلي ، فزاد إيمانه ، وزادت أعماله الصالحة : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ

زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾
[الأنفال: ٢ – ٤] .

- **العلم ثلاث درجات :**

الدرجة الأولى: تولد الكبر .

الدرجة الثانية: تولد الحياء والتصاغر لله ، لأن ما أعلمه بالنسبة لما لا أعلمه كالذرة بالنسبة للجبال .

الدرجة الثالثة تولد التواضع ، لمن ؟ للكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فالله وحده العظيم الكامل في عظمته ، القادر الكامل في قدرته ، العليم الكامل في علمه ، لأنه يعلم ما كان وما يكون وما سيكون ، ويعلم ما يكون قبل أن يكون ، لأن علمه محيط بكل شيء ، وكل علم في العالم من خزائن علمه ، وخزائن علمه من ذاته جل جلاله ، وعلمه صفة ذاتيه له لا تنفك عنه أبداً ، فالله بكل شيء عليم ، يعلم الذرات ، والكائنات ، والهباءات ، والحركات ، والسكنات ، وكل شيء في ملكه العظيم : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

ربنا عظيمٌ ، ومجيدٌ ، وحميدٌ ، وصمد ، صمد لجميع المخلوقات ، لابد أن نعرفه حتى نتوجه إليه بالعبادة ، فأطيع أمره بالمحبة والتعظيم ، واجتنب معصيته خوفًا منه وخوفًا من عقابه ، وأطيعه طمعًا في رحمته وجنته ورضوانه جل جلاله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

هذه المعارف لابد للقلب من معرفتها ؟ والعبادة لا تقبل ولا روح لها إلا بعد هذه المعرفة .

أولاً : فاعلم أنه لا إله إلا الله ، ثم بعده : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١] .

فأعبد ربي إذا عرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرفت عظمة ملكه وسلطانه ،

وعرفت عظمة نعمه وإحسانه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

فالقلب إذا علم هذه المعلومات ، علم أن ما يعلمه عن ربه بالنسبة لما لا يعلمه كالذرة بالنسبة للجبال : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧] .

فسبحان من منا يعد أنفاسه ؟ كل يوم أتنفس ٢٤ ألف نفس ، كم إنسان في العالم يتنفس في اليوم ؟ كم يولد كل يوم ؟ يولد أكثر من نصف مليون نسمة ، كم إنسان في العالم ؟ أكثر من سبعة مليارات نسمة ، كل واحد يتنفس ٢٤ ألف نفس ، ولله في كل نفس على كل إنسان نعمة يجب أن يشكر الله عليها .

كم كلمة طارت مني ؟ كم شعرة في بدني ؟ كم شعرة في أبدان البشرية ؟ كم ذرة في الجمادات ؟ كم ذرة في الحيوانات ؟ كم ذرة في المخلوقات ؟ كم قطرة في البحر ؟ كم قطرة في السحب ؟، كم ذرة في الرمال ؟: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام: ٥٩] .

فالعين لا تستطيع أن ترى في كل يوم أكثر من نصف مليون صورة ملونة ، وتحفظها كلها في الدماغ ، فيذكر الإنسان قبل عشر سنوات كنا نعمل كذا في البحيرة الفلانية ، ورأينا كذا في الطائرة الفلانية ، والسوق الفلاني رأينا كذا قبل خمسين سنة ، هذا كله محفوظ ، والله ﷻ حفيظ لكل محفوظ ، وخلق آنية الحفظ في دماغ هذا الإنسان : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢١] .

فالله ﷻ عظيم وصمد ، وخلاّق وكبير ، هو الذي يستحق العبادة لذاته ، وجلاله وجماله ، فلنرفع حوائجنا إلى الواحد الأحد الصمد ، ونتعرف على ربنا ، حتى تأتي العبودية لله بالحب والتعظيم والذل له .

ولا يعبد الله حقاً ، إلا من عرفه حقاً .

● **ومعرفة الله حقًا تتم بسبعة أمور :**

معرفة ذاته ، ومعرفة أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده .

هذه المعرفة تثمر قوة الإيمان في القلب ، ثم كلما جلسنا في حلقات الذكر يزداد نور الإيمان في القلب ، ثم يزداد خشوع القلب ، ثم تزداد الطاعات ، وإذا زادت الطاعات صلح حال العبد ، ثم صلحت حياتة ، ثم جاء رضوان الرب ، ثم سعد هذا المسلم في الدنيا ، ثم زادت سعادته عند الموت ، ثم زادت سعادته في القبر ، ثم بلغ كمال السعادة في الجنة : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧] .

فهذه المعارف الإيمانية تثمر للعبد الخوف والخشية من الله ، والحب والطاعة له ، والإكثار من ذكره ، وحسن عبادته .

وإذا تصورنا هذا الخلق الذي عرفناه كله ، نجمع العالم كله في عقولنا ، ونراه كسفينة صغيرة مشحونة في بحرٍ عظيم واسع ، هذا العالم كله بالنسبة لملك الله ﷻ كالذرة بالنسبة للجبل .

فسبحان الخلاق العليم ، الذي خلق كل شيء ليدل على كمال قدرته ، ويشهد بوحدانيته ، وعظمة ملكه وسلطانه .

والله ﷻ هو الكبير المتعال ، وكل ما سواه مملوك كله ، فلنتصور هذا المُلك العظيم كسفينة صغيرة في بحر واسع ، فالله ﷻ يخلق في كل يوم مليارات المخلوقات ، ويسوق إليها أرزاقها وحده .

فنحن نعلم أن الله خلق سبع سموات ، عرفنا بواحدة وهي السماء الدنيا ، وأخفى عنا ست سموات ، وخلق سبع أراضين وأظهر لنا واحدة وأخفى عنا ست أراضين .

لنعلم أن عقولنا لا تحتمل مثل هذه المعارف الواسعة ، وليبتلينا الله بالإيمان بالغيب ، والله ﷻ علمنا ما نحتاج إليه من معرفته وتعظيمه وعبادته : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء: ١١٣] .

فإذا عرفنا هذه المعارف علمنا أن مثل هذه المعارف كسفينة صغيرة مشحونة في بحر

عظيم واسع ، والواسع العظيم الكبير خالق له ، قاهر له ، محيط به : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

سبحان الله هو وكيل على كل شيء ، وكيل على النباتات في إنباتها ، وفي حياتها ، وفي ثمراتها ، وفي أحجامها وأشكالها ، وحياتها ومماتها ، وكيل عن الحيوانات في البر والجو والبحر ، وكيل عن الألسنة في الكلام ، وكيل على الأبدان ، وكيل على الأقوات ، وكيل على العقول ، لو سلب الله العقل من الإنسان لعاد مجنونًا ، ولو سلب الرزق عن الإنسان لعاد فقيرًا ، هو ﷻ وكيل على جميع المخلوقات ، خلقها وتوكل عليها وتكفل بها : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢] .

وما نعلمه بالنسبة لما لا نعلمه من المخلوقات كالذرة بالنسبة للجبل ، فكيف بمعرفة الإله ؟ هذه مخلوقاته عظيمة ، كم من الوقت الذي تحتاجه لمعرفة الجمادات والنباتات والحيوانات والإنس والجن والملائكة،والعالم العلوي، والعالم السفلي؟

فكيف بمعرفة الله الواحد الأحد الصمد ؟.

فمعرفته ﷻ لا تتناهى ، هو القوي الذي لا نهاية لقوته ، العزيز الذي لا نهاية لعزته ، الصمد الذي لا نهاية لصمديته ، الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء ، والقاهر فوق كل شيء ، والباطن دون كل شيء جل جلاله ، الغني الذي لا نهاية لغِناه ، المخلوق له نهاية لغِناه ، وغِناه مستمد من الغني جل جلاله : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣] .

ثم ننتقل درجة ثالثة ونعيد النظر والتفكر في ملكوت العالم العلوي والسفلي ، فنراه كله قائمًا بأمر ربه ، يمسكه الله بقدرته ، ويحركه بقوته ، ويطيع من خلقه، ويصمد لمن هداه ، لا يخالف أمره : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] .

جميع المخلوقات من الرياح ، والنجوم ، والشمس ، والقمر ، والنباتات ،

والجمادات ، والجبال ، والبحار ، صامدة لمن هداها ، مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة لإراداته ، تُسبح بحمده وتشهد بجلاله وجماله ووحدانيته .

هذا النظر الثالث نعيد النظر في ملكوت العالم العلوي والعالم السفلي ، نراه قائمًا بأمر ربه ، هو الحي القيوم ، وكل شيء قائم بأمره ، يمسكه الله بقدرته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر/٤١] .

ويمسك السماء أن تقع على لأرض إلا بأذنه ، ويحركه كل ما في الكون بقوته ، هو الذي يحرك السحب ، ويحرك الرياح ، هو الذي يجعل المتحرك ساكناً ، والساكن متحركاً ، و يجعل الحي ميتاً ، والميت حياً ، والعزيز ذليلاً والذليل عزيزاً ، والغني فقيراً والفقير غنياً ، والمريض صحيحاً ، والصحيح مريضاً ، والآمن خائفاً والخائف آمناً .

هو الذي يقلب الأحوال ليتوجه العباد إليه لتغيير الأحوال ، فمن جعله الله فقيرًا يريد منه أن يتوجه إلى ربه لطلب الغنى منه ، وإذا به يشرد عنه لغيره ، ليطلب الغنى من غيره ، فيعذب به ويذل به ليعود إلى ربه ، فلو توجه إلى ربه عند فقره لأغناه ، ولو توجه إلى الشافي في مرضه لشفاه جل جلاله : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

والمطلوب منا في الدنيا أن نفعل الأسباب بجوارحنا ، ونتوجه بقلوبنا إلى ربنا ؛ لأننا في دار الأسباب ، ولابد أن نأخذ بالأسباب ، فالدنيا لها أسباب ، والجنة لها أسباب ، والنار لها أسباب : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن: ١٣] .

فنحن في دار الأسباب ، لكن المؤمن تسبق عقيدته عمله ، العمل فرع عن الاعتقاد ، الاعتقاد أن أتيقين أن ربي بيده كل شيء وقادر على كل شيء ، وصمد يقضي جميع حوائج الخلق ، والخلائق كلها تصمد إليه في حوائجها ، وهو صمد غني ، له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان: ٢٦].

ولو أن جميع الخلق سألوه سؤالا عظيما بقدر ما يستطيعون ، ثم صاغ الله الخلق كلهم على مثل هذا الإنسان وسألوه لم ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة ؛ لأن خزائنه بكن فيكون ، ولا تنقضي خزائنه أبدًا : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ [ص/ ٥٤] .
الذي له نفاد الذي في يد المخلوق ، أما الذي عند الخالق لا نفاد له ، ولا ينقص مثقال ذرة .
فسبحان من جميع الكون صامد له ، وشاهد بوحدانيته : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١﴾ [النور/ ٤١] .
لا إله إلا هو يعلم ما في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، يعلم الأقوال والأعمال والحركات ، يعلم بما في النفوس : ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ١٣ – ١٤].
الله له ملك السموات والأرض ، وأنا مملوك من المماليك ، فلابد أن أطيعه ، لأني عبده ، وأعبده جل جلاله بموجب هذه المعرفة ، أعبده محبة وتعظيمًا ، وذلاً له ، واحتياجًا إليه ، وافتقارًا إليه ؛ لأن هو الغني وأنا الفقير ، وهو القوي وأنا الضعيف ، وهو القادر وأنا العاجز ، فكل نعمة منه ، وكل فضل منه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥] .
ثم المرحلة الرابعة نعيد النظر ، ونبصر الملكوت ببصائرنا ، فنراه قائمًا لمن توجه إليه ، صامدًا لمن أقبل عليه ، خاشعًا لربه ، مستسلمًا لأمره ، لا يتحرك من ذاته ، ولا يعلم من تلقاء نفسه ، بل بإذن ربه القوي العزيز : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ [الرعد/ ٢] .
فكل ما في الكون قائم بين يدي ربه ، صامد ومتوجه إلى من أقبل عليه ، السموات في مكانها ، والأرض في مكانها ، والنباتات تنبت في كل يوم ، والمواليد من الحيوانات تخرج كل يوم ، والكل صامد إليه ، يسبح بحمده ، ويسجد لعظمته ، ويشهد بوحدانيته : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ

﴿وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ [الحج: ١٨].

- **والأرحام التي خلقها الله كثيرة، وأظهرها ثلاثة :**

الأول: الأرض رحم للنباتات ، ومواليدها أكثر من أربعين مليون مولود ، وكل مولود مكون من أمم وقبائل وشعوب وأزواج ، النخيل قبائل وشعوب وأمم ، والعنب قبائل وشعوب وأمم ، والزروع ، كلها قبائل وشعوب وأمم ، هذا الرحم الأول ، وهو أكبر الأرحام التي تدل على قدرة الله عز وجل .

الثاني : رحم الحيوان من إناث الإنسان والحيوان والطير ، ليبقى النسل مستمراً .

الثالث : رحم اللسان يخرج منه الكلام ، يولد منه الكلام بأنواعه ولغاته.

والأرحام منها ما هو مخلوق للخالق ، ومنها ما هو مصنوع للإنسان ، فيوجد نباتات من البلاستيك لكن ليس فيها حياة ، فهي ميتة لا تتحرك ، التي فيها حياة هي خلق الله : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ٥﴾ [الحج/ ٥] .

وكذلك الحيوانات والطيور توجد حيوانات وطيور بلاستيكية ، لكن ليست فيها حياة وليس فيها روح ، لكن مخلوقات الله فيها حياة تتحرك وتنمو ، وتتناسل وتتكاثر : ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١١﴾ [لقمان: ١١] .

وكذلك كلام الداعي وكلام المعلم إذا خرج من القلب يصل إلى القلب ، واللسان رحم للكلام ، يخرج منه الكلام ، وهذا الكلام إما أن يخرج فيما يحبه الله ويرضاه ، أو يخرج فيما يحبه الشيطان وما تحبه النفس والهوى ، إما أن يخرج من القلب واللسان، أو يخرج من اللسان دون القلب .

فليكن لنا مواليد في كل يوم عبادة ، ودعوة ، وذكرًا ، وحمدًا ، وتسبيحًا لربنا ﷻ ، ثم نعيد النظر مرة خامسة فنرى الكون بأجمعه متحدًا بين يدي الواحد الأحد الصمد ، وكل ما فيه سامع مطيع لربه ، خاشع لعظمته ، مستجيب لأمره ، مسرع إلى إرادته مسبح بحمده : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ

ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ [الجمعة: ١].

فسبحان الواحد الأحد الصمد، ما أعظم قدرته، وما أوسع علمه، وما أعظم ملكه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فما أعقل من آمن بالله وأطاعه، وما أسفه من كفر به وعصاه، وضل عنه واتبع هواه: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

- **والناس في الضلال ثلاثة أقسام:**

الأول: من ضل ضلالاً كبيراً وهم: الكفار، والمشركون، واليهود، والنصارى، والمجوس، والهندوس وغيرهم من الكفار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

الثاني: من ضل ضلالاً جزئيًا: فهو يطيع ربه مرة، ويعصي مرة، فهؤلاء: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: ١٠٢].

الثالث: من ضل ضللاً فكريًا: فهو يأخذ من دين الله ما شاء، ويترك ما شاء، حسب ما يروف له، ويسهل عليه.

فالعابد مثلاً فقط يعبد الله ويفعل ما يحبه ويرضاه من العبادات والأذكار، والأدعية، وقراءة القرآن والصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها، ولكن ليس له هم في تعليم شرع الله، ولا في الدعوة إليه.

والفهم الصحيح أن نعلم أن الإنسان مأمور بالصلاة: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة/ ٤٣].

ومأمور بالدعوة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ [النحل/ ١٢٥].

ومأمور بالتعلم والتعليم: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

فنحن الآن بحاجة إلى الوصول إلى هذا المفهوم حتى نخرج من الضلال كله إلى

الهداية كلها ، بأن نعمل بما أمر الله ورسوله به ، فالصلاة أمر الله ، والدعوة أمر الله : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر/ ١-٣] .

هذا عمل العابد : ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ٣] .

هذا عمل الداعي ، عمل العالم الذي يُعلم الناس .

فالمؤمن حقاً يأخذ الدين كله ، ويعمل به كله ، لينال الأجر كله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٠٨] .

فلا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد الذي يعبده كل من في ملكه ، كل يسبح ربه بلغته من جهته ، ويحمده في مقامه ، ويوحده في عبادته ، من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في ملكه : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور/ ٤١] .

كلٌ يسبح ربه ، ويحمده ، ويوحده ، ويكبره ، بألسنة شتى ، في أوقات شتى ، على عدد الخلائق كلهم ، من صغير وكبير ، وعال وسافل ، ورطب ويابس ، وناطق وصامت : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة/ ١] .

كلٌ عابد لله في إسلامه إليه ، مُصليًا في جميع أحواله بين يديه ، ومسجده موضع قيامه بين يديه ، قبلته العرش الكريم ، أوالبيت المعمور ، أوالبيت العتيق : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف/ ٨٤] .

- **ومتعبدات الخلق ثلاثة :**

الأول: العرش الكريم : يطوف حوله حملة العرش والملائكة .

الثاني: البيت المعمور : تطوف به الملائكة فوق السماء السابعة .

الثالث: البيت العتيق : يطوف به الإنس والجن في الأرض.

وبقية المخلوقات كل يعبد ربه في محرابه ، ويسبح ربه في جهته : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

فسبحان الواحد الأحد الصمد الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه ، فلا يملك الإنسان بعد هذا إلا أن يبكي على جهله وتقصيره ، وضعفه عن أداء حق ربه ، وقلة حيائه من معصية ربه الملك الحق ، فلنكثر من الحمد والاستغفار : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه/ ١١٤] .

ونسأل الله أن يزيدنا من فضله ، ولنسارع إلى الخيرات ، ونبكي على الغفلة التي قطعتنا عن ربنا ، والجهل الذي حجبنا عن تسبيح مولانا ، ونتقدم بأنفسنا إلى صفوف العابدين المُسبحين والدعاة الصادقين ، ونقتدي بالملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون .

الله ﷻ هو الصمد ، ونحمده ﷻ أن خلقنا في أحسن تقويم ، ومنَّ علينا بهذ الدين ، وهدانا للصراط المستقيم ، وملأ الدنيا بمحبوباته ، وجعل عملنا عائد إلينا : ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٦] .

والعابد إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث، والداعي إذا مات استمر عمله إلى يوم القيامة ؛ لأن علمه ينتشر في الناس ، والعلم يولد في كل إنسان ، وهكذا من علم غيره فله مثل أجره فالمرجع كله إلى الأول ؛ لأن الله ﷻ واسعٌ عليم ، ويريد منا أن نُعلم الناس ، هو العليم الذي علمنا ، ويريد منا أن نتعلم ، وأن نعمل ، وأن نُعلم الناس : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

هو جل جلاله الرازق الذي رزقنا ويريد منا أن نرزق الناس ، فنحمد الله ﷻ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ملء السماء ، وملء الأرض ، على نعمه التي لا تعد ولا تُحصى ، ونحمده جل جلاله على أن يسر لنا مثل هذا العلم العظيم : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦ – ٣٧] .

وما سمعناه لابد أن نتكلم به ، وننفع به الناس ، ونعظم ربنا إرضاء له ؛ لأنه يحب أن يحمد ، ويحب أن يُشكر ، ويُحب أن يُعظَم ، فلنكبر الله كثيرًا ، ونحمده كثيرًا ، ونُثني عليه بين خلقه لأن الله أثنى على نفسه في كتابه فقال : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢] .

وقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة/ ٢ – ٤] .

الله أثنى على نفسه ، ويريد منا أن نُثني عليه تعبدًا ، وأن نثني عليه أمام خلقه ، حتى الناس يكبرونه ويعظمونه ويحبونه ، ثم بعد ذلك نعرفهم بأحكامه ليعبدوه ويرضوه ، فمن عرف الله اشتاق لمعرفة أحكامه ، ومن عرف أحكامه عرف أنها أحكم الأحكام ، فامتثلها ونال ثوابها من ربنا ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧ ﴾ [الحج/ ٧٧] .

نحمد الله ﷻ على أن أبقانا أحياء مسلمين مؤمنين ، ونحمده جل جلاله على أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ، ونحمده ﷻ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

الحمد لله رب العلمين الذي سخر لنا ويسر لنا مثل هذه المجالس الإيمانية التي نعرف فيها عن ربنا جلاله ، وجماله ، وكماله ، وأسمائه الحُسنى ، وصفاته العُليا ، وأفعاله الجميلة ، ومثله الأعلى في السماوات والأرض .

الحمد لله رب العلمين أولًا وأخرًا أن أجلسنا في موائد الأيمان ، ومنَّ علينا بهذا المجلس فالله ﷻ هو الذي يختار من يجلس ، ويقدم من يشاء ويؤخر من يشاء ، ولكن على الإنسان الخطوة الأولى .

قال الله ﷻ في الحديث القدسي عن العبد: «**إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا**» متفق عليه[(١)] .

هذه المجالس يتغذى فيها القلوب بالتوحيد والإيمان ، كما تتغذى الأبدان بالطعام والشراب ، وتتغذى العقول بالعلوم والمعارف .

والإيمان أعظم حاجات النفس البشرية ؛ لأني بالإيمان أعرف ربي بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم أحبه ، ثم أعبده بما يحبه ويرضاه ، بما أنزله من شرعه في كتابه ، وبينه رسوله ﷺ في سنته : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩ ﴾ [محمد/ ١٩] .

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٤٠٥ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٦٧٥.

ولا يذكر الله كثيراً إلا من عرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وكلما زاد ذكره زادت طاعته ، ومن زادت طاعته لربه فاز في الدنيا والآخرة : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١] .

• ذكر الله ثلاثة أقسام :

الأول: ذكر الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، لتأتي في قلوبنا عظمته ، وكبرياؤه ، ومحبته، وطاعته : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١ - ٤٣] .

الثاني: ذكرالله بنعمه وإحسانه لنحبه ؛ لأننا نعلم أنه الذي أنعم علينا ، وأنعم على غيرنا ، وأعطانا خيراً وصرف عنا شراً ، واستضافنا في بطن الأم تسعة أشهر ، واستضافنا في بطن الدنيا هذا العمر الذي أعطانا الله ﷻ ، ويستضيفنا في القبر في روضة من رياض الجنة للمؤمنين ، وحفرة من حفر النار للكافرين ، ويستضيفنا في دار المقام في الجنة يوم القيامة في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر .

الثالث: ذكر الأمر والنهي، والحلال والحرام ، لنعبد الله بما أمر ، ونجتنب ما نهى عنه.

فمقصود جميع العبادات وجميع الأعمال من : صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج ، وأذكار ، وأدعية وغيرها أن نذكر الله كثيراً ، فإذا أكثرنا من ذكر الله وجل القلب من ربه ، وصار يرجو ثوابه ، ويخاف عقابه ، ويحب طاعته ورضاه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤] .

فإذا توجّه القلب إلى الله ، وعرف معبوده ، طلب ما يتقرب به إليه ، وهذا موجود في سُنَّة النبي ﷺ ، فالأصل أن نعرف أولاً الآمر جل جلاله ، ونعرف المعبود قبل العبادة ، ونعرف الآمر قبل أوامره ، ونعرف الحكيم قبل معرفة أحكامه ، فإذا عرفته آمنت به ، وإذا آمنت به أطعته إذا أمرني أو نهاني .

• فالله ﷻ له ثلاثة أوامر على خلقه :

أمر الإيجاد.. وأمر الإمداد.. وأمر البقاء .

فسبحان من بيده الخلق ، والرزق ، والحياة والموت ، والتدبير والتصريف : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] .

هو الصمد الخالق القدير الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ، لا يعجزه شيء ، ولا يفوته شيء : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] .

ولابد لهذه القلوب من غذاء ، لتعرف ربها ، وتحبه ، وتكبره ، وتحمده ، وتوحده .

- **وغذاء القلب بسبعة أمور :**

أن نعرف الله.. ونعرف أسماءه الحُسنى.. وصفاته العلا.. وأفعاله الجميلة.. وخزائنه العظيمة.. ووعده . . ووعيده .

هذه سبعة أمور تغذي القلوب بالتوحيد والإيمان والتقوى ، وكلها مذكورة في القرآن ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

نعرفه حتى نتوجه إليه في كل حال فنحن في الصلاة نتوجه إلى الكعبة بأبداننا ، ونتوجه إلى الله بقلوبنا ، فالبيت الحرام (الذي هو الكعبة) ، هو قبلة الناس باختيار الله ، ومساجدنا بيوت الله ، بإختيار خلق الله ، تتوجه إلى القبلة التي شرعها الله .

ولكن نحن نتوجه إلى القبلة بأجسادنا ، ونتوجه إلى الله بقلوبنا ، فنحن لا نعبد البيت ولكن نعبد رب هذا البيت كما قال سبحانه : ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ٣ – ٤] .

فالله يريد منا أن نتوجه إليه في جميع أمورنا ، لماذا ؟ لأنه هو الصمد ، والصمد هو الذي تصمد إليه الخلائق كلها في جميع حوائجها ، تصمد إليه لأنه هو الغني القادر الذي بيده ملكوت كل شيء ، وعنده خزائن كل شيء ، وبيده كل شيء ، وهو القادر على كل شيء ، بيده مقاليد الأمور ، وله الخلق والأمر وحده لا شريك له : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٢] .

فمن الجميل ، بل من الواجب أن نتوجه إليه وحده لا شريك له ، لأن له الخلق

والأمر ، خلق جميع المخلوقات باسم واحد من أسمائه الحسنى ، هو الخالق : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر/ ٨٦] .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤] .

لله في كل ثانية مليارات المخلوقات من الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، والإنس ، والجن ، والملائكة وغيرهم ، الله ﷻ يخلق ما يشاء ، وهو على كل شيء قدير : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣] .

هذا هو الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق ، هو الصمد الذي تصمد إليه الخلائق في جميع حوائجها ، هو الصمد الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى في السماوات والأرض .

هو جل جلاله الذي بيَّن لنا أسماءه وصفاته وأفعاله عن طريق مخلوقات في كونه المشهود ، وفي كتابه المقروء .

• **فنعرف أسماء الله وصفاته وأفعاله من جهتين :**

الأولى: من جهة النظر في المخلوقات في الآيات الكونية : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

والنظر والتدبر والتفكر في الكون والمخلوقات من أعظم العبادات التي تجعل هذا الإنسان يعرف ربه فيقصده ، ويصمد إليه في جميع حوائجه ، ولا يلتفت عنه إلى غيره ، فهو الصمد الذي أغنى عباده فيما أرادوا ، يجيب سائلهم ، ويعطي طالبهم ، في كل حين : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

الثانية: من جهة النظر والتدبر في الآيات القرآنية ، والتي فيها ذكر الله بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤] .

هو الصمد الذي يعطي جميع الخلق ما طلبوه ، ولا ينقص ما في خزانه مثقال ذرة .

هو الصمد الذي لا تنقص خزائنه أبدًا على كثرة الإنفاق ، ويده سحاء بالعطاء بالليل والنهار .

هو جل جلاله الملك الحق ، هو جل جلاله القادر القاهر ، هو جل جلاله العفو

الغفور التواب الرحيم ، فالله ﷻ بيَّن لنا أسماءه وصفاته ، حتى نصمد إليه في جميع حوائجنا .

والله ﷻ جعل أحوالنا تختلف من فقر إلى غنى ، ومن مرض إلى صحة ، ومن أمن إلى خوف ، وهكذا ثبات الأحوال في الدنيا محال ، و دوام الأحوال محال ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ، ويصبح غنياً ويمسى فقيراً ، ويصبح متعافيًا ويمسى مريضًا ، فالله يقلب الأحوال على العباد ، كما يقلب الليل والنهار : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور: ٤٤] .

والله يقلب الأحوال حتى نذكر نعمة الله ﷻ علينا في حال السراء ، ونتضرع إليه إذا فقدنا هذه النعم ، فالدنيا دار تثبيت الإيمان ، تثبيت الإستقامة ، والآخرة دار تثبيت الأحوال حياة بلا موت ، ونعيم بلا بؤس ، وأمن بلا خوف .

فهذه الدنيا دار تغيير الأحوال ومن رحمة الله أنه غير علينا الأحوال حتى نتوجه إليه ، ولا نلتفت لأحد سواه .

والله ﷻ أعطانا الإيمان التي تكون سبباً في تغيير الأحوال : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

ولكن الله ﷻ امتحانًا وابتلاءً خلق الأسباب ، وجعلها تعمل بإذنه ومشيئته ، وهي في الحقيقة لا تفعل ؛ لأن الفعال في الكون واحد لا شريك له ، هو الذي يسيركم في البر والبحر ، وهو الذي يحرك الشمس ، ويسير القمر ، وينبت النبات ، ويحيي الأموات ، وهو الذي بيده مقاليد الأمور كلها : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

ولكن الله جل جلاله جعل هذه الأشياء تفعل امتحاناً وابتلاءً ، فالمؤمن يتجاوز المخلوق إلى الخالق ، والصور إلى المصور ، لإيمانه بأن القادر واحد ، وأن الغني واحد ، وأن الخلاق واحد ، وأن الفعال واحد ، وكل ما سواه مخلوق ، أما الكافر فيرى المخلوق من دون الخالق ، ويرى الصور من دون المصور .

والكون فيه اثنان :

خالق.. ومخلوق .

المخلوق أقسامه كثيرة ، الله ﷻ خلق عوالم مختلفة ، ومن أعظم هذه العوالم ستة عوالم ، خلقها الله ﷻ دالة على كمال قدرته ، وكمال حكمته ، وكمال علمه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

- **وهذه العوالم الستة هي :**

عالم الجماد.. وعالم النبات.. وعالم الحيوان.. وعالم الإنسان.. وعلم الجن.. وعالم الملائكة : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١١] .

هذه مخلوقات عظيمة ، والمؤمن يتجاوز هذه المخلوقات إلى خالقها ، ويعلم أنها كلها مملوكة لله ﷻ ، جميع هذه المخلوقات كانت غير موجودة ، كان الله ولم يكن شيءٌ قبله ، وكان عرشه على الماء وخلق كل شيء ، وخلق القلم وأمره أن يكتب كل ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة من الخلائق ، ومن الحركات ، والسكنات ، والنيات والأقوال ، والأعمال ، والأرزاق .

كتب الله مقادير الخلائق كلها كما قال النبي ﷺ : «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» أخرجه مسلم [١] .

فأول ما خلق الله القلم قال له : اكتب ، فقال : وما أكتب ؟ قال له : اكتب ما هو كائن حتى تقوم الساعة .

فالقلب إذا عرف معبوده بأسمائه الحُسنى ، وصفاته العلى ، توجه إليه وحده ، وأطاعه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

- **فالمؤمن حقاً يرى في الكون اثنان :**

الأول: رب موجودٌ ، هو الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء ، له ملكية الزمان ، وله ملكية المكان : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) أخرجه مسلم برقم : ٢٦٥٣.

شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

الثاني: مخلوق مربوب هو هذه المخلوقات العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي .

وجميع هذه المخلوقات خاضعة لأمر ربها ، ومُسبحه بحمده ، وشاهدة بوحدانيته ، ومستجيبة لإرادته ، ومسرعة إلى مشيئته وإرادته جل جلاله : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

هو جل جلاله حليم على خلقه ، وإلا السموات تريد أن تسقط على من عصى الله ﷻ : وتكاد السموات يتفطرن من قول بعض الناس أن الله ثالث ثلاثة ، أو أن الله ليس بقادر ، أو أن الله له ولد .

والسموات والأرض وجميع المخلوقات بيد الله ، ولكن الله يمسكها أن تقع على من عصى الله ، وعلى من افترى على الله ، وتكلم على الله بما يسخطه ، لماذا ؟ لأن حلمه وسع كل شيء : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣] .

فماهو المخلوق ؟ المخلوق أيا كان الإنسان ، أو السماوات ، أو الأرض ، أو الجبال أو البحار كلها صغيرة أما الله ﷻ ، وليس بأيدي الخلق من الأمر شيئاً : ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم: ٤ - ٥] .

وماذا يملك الخلق مع الله ؟ ! الله هو القادر على كل شيء ، الخالق لكل شيء ، القاهر لكل أحد ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، وماذا يستطيع الإنسان أن يعمل ؟ ولكنه ﷻ حليم على من عصاه بنعمه في ملكه ، لعله يتوب إليه : ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر/ ٤٥] .

فمن حكمة الله أن يخلق آدم وذريته ، ويسكنهم في هذه الدار ، ويبتليهم بالأمر والنهي حتى يبلغ أهل الجنة عددهم ، وأهل النار عددهم ، وتتم أيام الله ، ويؤكل رزق الله ، وتتم الآجال ، وتقضى الأعمار إما فيما يحب الله ، وإلا فيما يسخط الله ، ثم يكون بعده الحساب والجزاء : ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦] .

خلق الله الإنسان ، ونزل من بطن أمه مليحًا مكتمل الأعضاء والجوارح ، وفطره على التوحيد والإيمان ، فعليه أن يعود إلى ربه بهذه الصورة ، بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وكما أن الله تعالى أعطانا عطاء الربوبية من الخلق والرزق والإمداد ، فكذلك يجب علينا أن نطيع أمره بالتكليف ، نطيع أمر الألوهية بالتكليف بالشريعة التي هي في صالحنا : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠] .

أكرمنا بهذا الكون العظيم ، وأعلمنا بأنه هو الذي خلق السموات والأرض ، وخلق الجبال والبحار والأنهار ، وحلق الإنس والجن ، وخلق الأقوات والأرزاق ، فلابد أن نستجيب لأمره الإلهي ، الذي يُصلح حياتنا في الدنيا ، ويصلح حياتنا في الآخرة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

- **فأحكام الله على خلقه ثلاثة :**

فالله ﷻ له الحكم الكوني ، وله الحكم الشرعي الذي شرعه لعباده ، وله الحكم الجزائي وهو ما يجزي العباد عليه يوم القيامة ، بالجنة لمن أطاعه ، وبالنار لمن عصاه .

فما أعظم هذه المعرفة ، هذه المعرفة هي التي كان النبي ﷺ يعرف أصحابه بها في بداية الدعوة في دار الأرقم في مكة .

- **كان ﷺ يعلمهم ثلاث مسائل :**

الأولى: يعرفهم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده .

الثانية: يعرفهم بالأنبياء الذين سبقوه ، وكيف قاموا بالدعوة إلى الله ﷻكنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وهود وصالح ، وغيرهم من الأنبياء ، وبين لهم كيف كانت العاقبة للرسل وأتباعهم ، وكيف كان الخذلان والهزيمة لأعدائهم حتى وصلت الشريعة والدين إلى محمد ﷺ وأمته .

الثالثة: يبين لهم ﷺ ما هو جزاء المؤمنين بالله ، الذين اتصلوا بالله ، وعبدوه وحده لا شريك له ، وكذا جزاء الكفار بالنار .

وبين لهم صفة الجنة ، وصفة النار ، وما يكون يوم القيامة من الأهوال .

فهذا هو المطلوب من هذا الإنسان ، المطلوب أن يملأ محل نظر الله وهو القلب بالإيمان ، والإيمان يزيد بمعرفة الآيات الكونية ، ومعرفة الآيات الشرعية ، حتى يتحقق في القلب الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وجميع الأقدار الإلهية كلها خير ، ولكن قد يكون بعضها بالنسبة للعبد شر ، ولكن كم من مكروه في باطنه محبوب ، فدائمًا يعقب المرض عافيه ، ويعقب الفقر غنى ، ويعقب الهم فرح ، ويعقب الخوف أمن ، فالله ﷻ لا يكتب القضاء إلا وفيه حكمه ورحمة ، وعدل وإحسان : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن/ ١١] .

فلابد أن نعرف ربنا ﷻ بأسمائه الحُسنى ، وصفاته العلا ، وأفعاله الحميدة.

هذه المعرفة تجعل الإنسان يقترب من صفات الأنبياء والرسل ، ويقترب من صفات ربنا ﷻ ، فالله ﷻ يحب ظهور صفاته في مخلوقاته ، فهو كريم يحب الكرم ، ويحب أهل الكرم ، وهو مؤمن ويحب الأيمان ، ويحب أهل الإيمان ، ويحب المتقين ، ويحب المحسنين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، ويحب الصابرين .

فالله ﷻ يحُب من عباده أن يتصفوا بصفاته على شاكلة العبودية ، ولكن ليس لهم حظ في بعض أسمائه : كالله.. وكالخالق ونحوهما ؛ لأنه الله لا نعلم له سميا ، الله منع جميع الخلق أن يسموا اسم الله لواحد منهم ، سواء كان مؤمنًا أو كان كافرًا ، لا نعلم أحدًا سمى نفسه الله : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/ ٦٥] .

فالله منع جميع الناس منذ خلق الله البشر أن يسمي أحد منهم اسمه الله ، فالله مختصٌ بالله المعبود الذي يستحق أن يوله ويُحب أشد الحب ، نحبه أشد الحب ؛ لأنه هو ذو الجلال والإكرام ، الرحمن الرحيم ، العزيز الجبار ، القوى القادر ، الخالق الرازق، ذوالعزة ، والجبروت ، والملكوت ، والكبرياء ، والعظمة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

ونحبه لأنه هو المحسن المتفضل على خلقه ، خلق الهواء ، وخلق الماء ، وخلق الشمس والقمر ، وخلق الأرض المستقرة ، وخلق لنا من كل ما نحب : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ

كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤] .

ونحبه لأنه سخر لنا كل شيء: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠] .

هذا هو ربنا الصمد الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى .

صمد لجميع حوائج الخلق ، وصمد الخلق إليه في حوائجهم ، فيجب علينا أن نحبه حبًا شديدًا ، لما له من الجلال والجمال ، والإنعام والإحسان ، نحبه ونتقرب إليه بامتثال أوامره ، امتثال الأوامر الشرعية ، واجتناب المعاصي : ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الحج/ ٣٤ - ٣٥] .

هو الصمد الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ؛ لأنه هو الذي له الأسماءالحُسنى، والصفات العلا ، وله صفات الجلال ، وله صفات الجمال : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢ - ٢٤] .

فيجب علينا أن نحب الله ونعبده ، لماذا ؟ لأن الإله هو المحبوب أشد الحب الذي تألهه القلوب وتحبه ، لما له من الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا : ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ [طه/ ٨] .

الله ﷻ خلق هذا الكون العظيم ، ووضع فيه مائدة كبرى من الطعام والشراب وسائر النعم لخلقه ، هواء نتنفس منه في أي مكان ، وماء نشرب منه في أي مكان ، وطعام نأكل منه في أي مكان ، ونور نمشي فيه في أي مكان ، فهذه بعض نعمه في الدنيا ، فكيف تكون نعمه يوم القيامة ؟ : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢] .

الموت سهم مرسل إليك ، وسوف يتجاوزك إلى غيرك ، والعاقل يفرح به ، هو لا يحبه ، لأنه يريد الاستكثار من الأعمال الصالحة ، وعبادة الله ﷻ ، ولكن يفرح بالموت لأنه ينتقل من النعمة إلى خالق النعمة يوم القيامة : ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾ [مريم/ ٨٥] .

الموت ينقل الإنسان من الدنيا إلى الآخرة ، ومن النعمة الفانية إلى النعيم الأبدي ، ومن الدار الفانية إلى الدار الباقية ومن دار الغرور إلى دار السرور .

والله جل جلاله جعل الموت معبراً من الدنيا إلى الآخرة ، فهناك تصل إلى الخالق ، وتصل إلى الملك ، وإلى النعيم المقيم في الجنة .

والله ﷻ الملك الحق المبين يكرمك يوم القيامة بما لم تره عين ، ولم تسمعه أُذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، نحن في الدنيا في السجن ، ومن هو في السجن عليه أن يمتثل أوامر من سجنه وحبسه في هذه الدنيا ، إلى أن يفرج له بعد الموت إلى الجنة .

- **وأوامر الله ﷻ علينا خمسة :**

طاعات نؤديها.. ومعاصي نجتنبها.. ونِعم نشكر الله عليها.. وذنوب نستغفر الله منها.. وابتلاءات نصبر عليها .

جميع أوقاتنا مع الخالق عبادةً وذكرًا ، وتسبيحًا وتحميدًا ، جميع أوقاتنا مع ربنا ﷻ نمتثل أمره فيما بين يديه في العبادات ، وقراءة القرآن ، وذكر ، وصلاة ، وصيام ، وغير ذلك من العبادات ، ونمتثل أمره بين خلقه نحسن إلى الفقير ، ونهدي الضال ، ونُعلم الجاهل ، وندعو إلى الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

وما جزاء من قام بذلك : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة: ٢٥] .

هذا هو المؤمن الذي اتصل بربه ، المؤمن الذي يؤَّمنه الله في الدنيا والآخرة .
والمؤمن سبحانه هو الذي يملك الأمن ويمن به على من شاء من عباده المؤمنين .
فالله ﷻ أمرنا أن نتصل به الذي يتصل بالقوي قوي ، والذي يتصل بالعزيز عزيز ، والذي في معية العزيز عزيز ، وعبد العزيز عزيز .
فنكون في الدنيا مع أوامره الشرعية ، وأسبابه الكونية ، ويوم القيامة نكون : ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٥] .
وتنقطع الأسباب ، ونبقى أبد الآباد مع مسبب الأسباب ، ويوم القيامة الله يحل رضوانه على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدًا ، وما بين المؤمن وبين هذا إلا أن يقال مات فلان ، والله ﷻ لا يُعلِم أحداً متى يموت ، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله وحده ولكن الله أظهر أو كشف الموت كشفًا ليس بعده بيان ، أخفاه مكاناً وزمانًا وحالًا ، لا يعلم الإنسان في أي مكان يموت ، ولا في أي زمان يموت ، ولا في أي حال يموت ، وهذا أعظم بيان للموت أن يتوقع الإنسان الموت في لحظة : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨] .
ومادام يتوقع الموت في كل لحظة فعليه أن يُرضي ربه ، ويمتثل أمره ؛ لأنه جاء منه، ويعود إليه : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة/ ١٥٦] .
فلابد أن نرجع إلى الله بلباس الإيمان ، بلباس التقوى ، بلباس الأخلاق العالية ، ومن آمن بالمؤمن في الدنيا أمنه يوم القيامة : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ – ٣٠].

التعبد لله عز وجل باسمه الصمد

كيف نعبد الله ﷻ باسمه الصمد ؟ الله ﷻ هو الواحد الأحد الصمد ، الذي صمد لجميع حوائج الخلق لكمال غناه من الرزق ، والأمن ، والعافية ، والحكمة ، والهداية ، والمغفرة ، والرحمة ، والحلم ، صمد لجميع حوائج الخلق ، ولا يقدر أحد على قضائها إلا هو : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥] .

هو الصمد الذي تصمد نحوه القلوب بالرغبة ، لما ترى من نعمه وإحسانه وكرمه ، والرهبة لما تراه من قوته ، وعظمة ملكه وسلطانه .

ترى الجبال العظيمة ، وترى السماء المرفوعة ، والأرض الممهودة ، والبحار الزاخرة ، والأنهار الجارية ، والشمس المشرقة ، والنجوم المنتثرة ، والنباتات المختلفة، والعوالم العظيمة .

نرى هذه المخلوقات العظيمة ، ونرى أن وراء ها خالق عظيم ، هو الذي خلق هذه المخلوقات بقدرته ، وعلمه ، وحكمته ، خلقها وأبدعها بأمره الكوني : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾[يس/ ٨٢] .

ولهذا نصمد إليه في جميع حوائجنا ، ولا نتجه لأحد سواه ، ونفعل الأسباب امتثالاً لأمر المسبب جل جلاله ، لا نلتفت إليها ، بل نتوكل على الله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٣﴾[التغابن/ ١٣] .

كل مخلوق ليس بيده شيء ، الأمر كله بيد الخالق ، الخلق كله بيد الخالق ، والقوت كله عند الخالق ، والملك كله للخالق ، فنحن في مُلكه عبيد له مع مماليكه ، لكن الله خصنا من بين المخلوقات ، وجعلنا مخلوقات مخيَّره ، وكافة المخلوقات الأخرى مُسخرة ومُسيرة .

السماوات الأرض ومن فيهن ، والجبال ، والبحار ، وكافة المخلوقات في العالم العلوى والعالم السفلى ، كلها مخلوقات مُسخرة تطيع ربها ، وتمتثل أمره ، وتُسبح بحمده ، وتشهد بوحدانيته ، هذا قسم ، ويقابل لهذا القسم مخلوقات مخيرة ، وهم الإنس والجن ، هذا الإنسان خلقه الله مخيرًا ، خلقه الله إما أن يتبع الحق أو يتبع الباطل ، إما أن يؤمن ، وإما أن يكفر : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ

فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣٠] .

هذا المخلوق الله جعله مختارًا ، إما أن يطيع ربه ، وإما أن يطيع عدوه وهو الشيطان ، جعله الله مختارًا ، ولكن الله ما تركه بل أعطاه السمع ، والبصر ، والعقل ، وكشف له الآيات الكونية ، حتى يستدل بالقدرة على القادر ، وبالرحمة على الرحمن ، وبالأرزاق على الرازق ، وبيّن له في كتابه العظيم أسماءه الحسنى ، ليخافه ويحبه ويرجوه ، وبيّن له وعده بالجنة لمن أطاعه ، وبالنار لمن عصاه ، وأرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، وأقام عليه حجته .

ثم بعد ذلك إما أن يؤمن ، وإما أن يكفر ، فإن آمن فبفضل الله ، الله علم أنه أهل للطاعة ، وأهل للجنة ، وأهل للرضوان ، بعلمه الغيبيّ لا بعلمه الإجباري ، الله ما أجبر الإنسان ، إنما الله أنزل الهدى ورغبه فيه ، وترك له الخيار : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ [المزمل/ ١٩] .

فمن اتخذ إلى ربه سبيلا ، أو اتخذ إلى الشيطان سبيلا ، هو المختار ولا أحد ألزمه أو أكرهه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩].

فالله ﷻأعطاه هذا الاختيار، والشيطان استغل هذا الاختيار، فبدأ يزين للإنسان العاجلة، ويزين له الشهوات والمحبوبات، ليصرفه عن أوامر الرب إلى شهوات النفس، فإن العبد بين أمرين: بين أوامر الرب.. وبين شهوات النفس.. والبدن للغالب منها .

- **ومحبوبات الرب خمسة :**

الإيمانيات.. والعبادات.. والمعاملات.. والمعاشرات.. والأخلاق .

- **ومحبوبات النفس خمسة :**

المأكولات.. والمشروبات.. والمركوبات.. والمسكونات.. والمنكوحات .

تلك محبوبات الرب ، وهذه محبوبات النفس ، فالإنسان مع الذكر والتذكير يذكر الله ، ثم يذكر أوامره ، ثم يذكر وعده لمن أطاعه ووعيده لمن عصاه ، فيقبلُ على طاعة ربهِ بالمحبة والتعظيم والذل له ، والخوف منه ، والرجاء له كما وصف الله الأنبياء بقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

وإن لم يكن لديه مذكر ، قوي منسوب الشهوات على منسوب الإيمان ، فحركت النفس القلب بالشهوات ، ثم اقترن بها الشيطان ، وبدأ ينقل هذا الإنسان من مباحٍ ، إلى صغيرةٍ إلى كبيرةٍ إلى ردة ، وهكذا يجري بالإنسان شيئًا فشيئًا حتى يجعلهُ في أسفل سافلين ، فإن الإنسان إما أن يعيشَ مؤمنًا في عيشة ملائكية ، الملائكة الذين مزاجهم سمعنا وأطعنا ، وإما أن يعيش كافراً ضالاً يقضي حياته في الدنيا على ما تحب نفسه وتهواه ، وإما أن يعيش حيوانيًا يأكل ويشرب ويلهو ويلعب ، وإما أن يعيشُ إبليسيًا يفسد ويُفسد : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨] .

والناس اثنان : إما صالح مصلح.. أو فاسدٌ مفسد ، والنجاة لا تحصل إلا بأربعة أمور : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١ - ٣] .

فآمنوا وعملوا الصالحات جهد على نفسي ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر جهد على غيري .

فالتواصي تفاعل ، أوصي غيري إذا وقع في معصية أوصيه بالحق ، حتى ينتقل من المعصية إلى الطاعة ، وإذا ضعف إيماني ووقعتُ في معصية هو يوصيني بالحق ، حتى أنتقل من المعصية إلى الطاعة ، المجتمعُ الإسلامي متلاحم متراحم ، كل واحد فيه ذاكِرٌ ، ومُذكِرْ ، ومُوصٍ وموصَى ، وصالح ومصلح ، وعالم ومعلم .

فالمجتمع الذي كله موصٍ وموصى لا يفسد أبدًا ، ولذا الله قال عن هذه الأمة : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

واللهُ عَجَلَّ ميز هذه الأُمة عن غيرها ، كما ميز الشمس والقمر عن النجوم ، ميز من خلقهِ الأنبياء والرُسل ، وميز من خلقه الأُمم ، وأفضل الأُمم هي هذه الأُمة .

- **والمؤمن يقتدي بالنبي ﷺ في خمسة أمور :**

نقتدي بالنبي ﷺ في نيته وفكره ، وفي توحيده وإيمانه ، وفي أقواله ، وفي أعمالهِ ، وفي أخلاقه : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ

ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

فالقرن الذي بعث فيه النبي ﷺ هو شر القرون ، وببركة دعوة النبي ﷺ ، وبركة هذا الدين الذي جاء به النبي ﷺ ، صار هذا القرن خير القرون ، أنقلب شرُ القرون إلى خير القرون .

قال النبي ﷺ : «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** » متفق عليه (١).

هذا خير القرون كان فيه من قبل الشرك ، وكان فيه الظلم ، وكان فيه الجهل ، وكان فيه الفرقة ، كان هذا القرن في أسفل سافلين ، فيه أربعة صفات مهلكة مدمرة :

فيه الشرك.. وفيه الجهل.. وفيه الظلم.. وفيه الفرقة .

ولما جاء هذا الدين حول الناس من الشرك إلى التوحيد ، ومن الكفر إلى الإيمان .

كان عند العرب علم النبات ، وعلم الحيوان ، وعلم الأصنام ، ليس عندهم العلم الإلهي ، عندهم ثلاثة علوم كلها دنيوية ، بعضها خير وبعضها شر :

أحدها: علم النبات : يعرفون منابت الشجر ، والربيع ، ونزول المطر .

الثاني: وعندهم علم الحيوان : يعرفون الإبل وأسنانها ، والبقر والغنم وأسنانها ، والخيل وأجودها ، والحيوانات والسباع وغيرها .

الثالث: عندهم علم الأصنام : فهم يصنعون ويستوردون الأصنام ، ويضعونها في مكة وما حولها ، ويصدرون الأصنام لغيرهم ، فكانوا مشركين ، ويصدرون الشرك وينشرونه في العالم .

فكانوا شر القرون ، لانشغالهم بالدنيا والشهوات عن الدين ، وإنحرافهم عن التوحيد إلى الشرك ، وعبادة الشيطان بما زينه لهم من الكهانة والسحر وعبادة الأصنام :

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠ – ٦٢] .

فالنبي ﷺ لما جاء بهذا الدين نقل الأمة بأمر الله من شر القرون إلى خير القرون ، نقلهم من الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الظلم والطغيان إلى

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٢٦٥٢، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٥٣٣.

العدل والإحسان ، ومن الفرقة إلى الوحدة : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٣] .

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

فإذا ضللنا عن الصراط المستقيم ، وجاءنا التعب ، فلنعد إلى ربنا ، ونعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونعرف أحكامه الكونية ، وأحكامَهُ الشرعية ، وأحكامَهُ الجزائية ، ونعرف آياته ومخلوقاته ، ونعرف آياته الشرعية ، ونعرف جزاءهُ لمن أطاعه ، وجزاءهُ لمن عصاه ، حتى نقبل على عبادته بالمحبة والتعظيم والذل له : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

فهذه الدنيا دار ممر ، لا دار مقر ، هذه الدنيا العظيمة التي نحن فيها الله ﷻ خلقنا في هذه الدنيا لنستثمر لأنفسنا بالأعمال الصالحة مع ربنا ﷻ الذي يُعطي على الحسنة عشر ، أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة .

فالدنيا هذه اللهُ سماها دنيا ، حتى لا نتوجه إليها ، ولا نتعلق بها : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

[العنكبوت: ٦٤].

وهذه الدنيا التي نراها خلقها الله ، وهي من عالم الشهادة التي نراها ، ولا نرى من الدنيا إلا الشيء اليسير ، هذه الدنيا خلقها الله ﷻ لحكم عظيمة .

هذه الدنيا جسدٌ كبيرٌ جدًا ، فيه السماوات والأرض ، والمخلوقات في الجو والبر والبحر ، فيها الكائنات كلها : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ

﴿ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١] .
هذه الدنيا جسد كبير يدل على خالقه العظيم ، وأنه قادر ، وأنه عليم ، وأنه قدير .
هذه الدنيا جسد ، وكل جسد لابد له من روح ، روح هذا الجسد ، روح هذه الدنيا الدين ، فالدنيا جسد روحها الدين ، فإذا لم يكن دين ، فإن هذه الدنيا تفسد ، كما يفسد الجسد إذا خرجت منه الروح ويتعفن .
فالإنسان ما دام حيًا فيه الروح فهو عالمٌ ، ومعلم ، ومجاهدٌ ، وداعٍ ، وطبيبٌ ، ومهندس ، فإذا خرجت الروح صار جثماناً يتعفن ، ثم يردإلى الترابً الذي خُلق منه : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥] .
فالدنيا جسد وروحها الدين ، وما هو روح الدين ؟ روح الدين هو الدعوةالتي تُنبت الأعمال الصالحة في هذا الجسد ، وتنتج المسلمين والمؤمنين، والصالحين والمتقين، والمحسنين ، فهذا الجسد متحرك بأوامر الله الكونية ، ويرجع في خلقه إلى واحدٌ أحد صمد ، هو الذي خلقه ورزقه ، وهو الذي يحركهُ ويسكنه ، فكذلك يجب عليه أن يتحرك ويعمل بأوامر الله الشرعية ، لتصلح دنياه وأخراه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .
فالدنيا جسد وروحها هذا الدين ، وروح الدين هو الدعوة ، الذي ينشر الدين هو الدعوة ، كما أن المطر الذي ينزل من السماء على الأرض فتنبت من كل زوجٍ بهيج ، فكذلك بالدعوة ينتشر الإيمان في العالم ، ينتشر التوحيد في العالم ، تنتشر الصلاة في العالم ، ينتشر ويظهر : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢] .
ونظهر أحسن الصفات في العالم : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٥] .

وهكذا بقية الصفات ، يتحرك الجسد بالصفات التي يحبها الله كما يتحرك هذا الكون بالآيات الدالة على وحدانية الله ، وعظمتِهِ ، وكبريائِهِ ، وجلاله ، وجماله .

فالدنيا جسد وروحها الدين ، وروحَ الدين هو الدعوة إلى الله الواحد الأحد الصمد ، وروح الدعوة هو الشورى ، وروح الشورى هو الطاعة نتشاور عند إقامة المباني في البلد ، وعند تمديد الهاتف في البلد ، وعند إجراء عملية كبيرة ، وعند أي عمل مهم نحن نتشاور ، وهذا حسن لمصالح دنيانا ، فكذلك يجب أن نتشاور في إقامة الدين ، كيف ننشر ديننا في العالم ، لنصلح لهم دنياهم وأخراهم : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

فروح الدعوة هو الشورى أن نتشاور ، كم إنسان في العالم ؟ كم كافر في العالم ؟ كم ضال في العالم ؟ كم مُصلٍ في العالم ؟ كم صائم في العالم ؟ كم نقص الإيمان في العالم ؟ كم حجم الظلم في العالم ؟ كم حجم الفساد في العالم ؟ فنتشاور لإقامة الدين، ونشر الدين في العالم .

وروح الشورى إذا تشاورنا أن نُطيع ونمتثل الأمر ، فالرسول ﷺ كان يجمع الصحابة ويُشاورهم في إقامة الدين : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى/ ٣٨] .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] .

فنتشاور في أمر الدين ، الآن العالم أكثر من (٢٤٥) دولة ، كم في كل دولة من مدينة ؟ وكم يتبع كل مدينة من قرية ؟ وكم في كل قرية من بيت ؟ وكم في كل بيتٍ من الرجال والنساء والأطفال ؟ ، وهؤلأ هم مسؤليتنا ، ونحن مسؤلون عنهم : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٦ – ٧] .

فنجتهد لتصل لا إله إلا الله لقلوبهم ، وتصل محمد رسول الله لأبدانهم ، واجبنا الجهد عليهم ، لتصلح قلوبهم بالتوحيد والإيمان والتقوى ، وتصلح أجسادهم بالأعمال الصالحة التي أنزل الله بها كتبه ، وأرسل بها رسله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ

﴿ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

هذه مسؤوليتنا ، علينا أن نحقق الدين في حياتنا ، ونحقق الدين في حياة البشرية ، لماذا ؟ لأن الله أعطانا وظيفة الأنبياء والرُسُل ، فكما وكل الله السُحب بنقل المياه في العالم ، ووكل الشمس في نشر النورِ في العالم ، ووكل الهواء لتستنشق منه النفوس في العالم ، ووكل الأرض بالإنبات في العالم ، فكذلك الله وكلنا نحنُ بنشر الدين كله في العالم كله : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

وبهذا نؤدي الأمانة التي حملناها فننجو ، ولا نخون الأمانة فنخسر : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ٧٣ ﴾ [الأحزاب: ٧٢ – ٧٣].

وإذا تركنا الدعوة قل أهل الإيمان والتوحيد ، وكثر عدد الكفار والمشركين .

إذا تركنا الدعوة يموت المؤمن المُهتدي ، ولن يبقى في الأرض إلا الكُفار ، فيُقاد العالم بالكفار والشياطين ، وتفسد حياة الناس أجمعين ، ثم يموتون ويساقون إلى نار الجحيم .

والله ﷻ يُريدُ أن نكون خُلفاء في الأرض ، نتولى على أهل الأرض ، وننقل لهم الإيمان والتوحيد والأعمال التي جاء بها نبينا ﷺ .

فلابد أن يضع المسلم وقتَهُ ، وماله ، ونفسَهُ ، وفِكرَهُ للدين ، ليحيا الدين في العالم كله : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

فروح الشورى الطاعة ، أن نقول : ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ﴾ [النور/ ٥١] .

فبعض الصحابة لما خالفوا أمر النبي ﷺ في أُحد ، الله رفع عنهم النصرة ، فقُتِلَ منهم من قُتل ، أكثر من سبعين رجلاً بسبب مخالفة أمر النبي ﷺ .

ففي غزوة بدر الله أظهر قدرَتَهُ ، وأظهر قوَتَهُ ، وأظهر سُنَّته في أُحد ، وأظهر قدرتَهُ وسُنَّته في حُنين ، فلا يكفي أن نقول : لا إله إلاالله ، بل لابد أن نقرنها بمحمد رسول الله ، فنطيعه فيما أمر ، ونصدقه فيما أخبر ، ولا نعبد الله إلا بما شرع.

الصحابة أطاعوا الله ورسولَهُ في بدر كمال الطاعة ، فنصرهم الله بلا عُدة ولا عدد ، وأطاعوا الله ﷻفي أُحد ، وخالف بعضهم أمر رسوله ﷺ ، وهم الرماة الذين على ظهر الجبل ، فالله ﷻ رفع عنهم النصرة بسبب المخالفة فلابد من التوحيد، توحيد اللهﷻ بالعبادة ، وتوحيد رسولِهِ بالإتباع : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فروح الشورى الطاعة، وروح الطاعة التضحية، وروح التضحية والبذل والترك من أجل الله .

فالمهاجرون بذلوا ما يملكون ، وضحوا بجميع ما يملكون ، بالأوقات ، والأموال ، والأنفس ، والشهوات ، والأهل ، والأوطان .

والأنصار بذلوا كل شيء من أجل الدين ، فالمهاجرون تركوا ، والأنصار بذلوا ، فجاء الثالث وهو رضوان الله : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

فالتضحية : تضحية بالمحبوب لما هو أحب ، والتضحية بالأدنى لما هو أعلى.

فروح التضحية البذل والترك ، البذل للمحبوب ، والترك للمحبوب ، من أجل الله ﷻ وبهذا يقوم الدين ؛ لأن الدين شيء ، وتوسيع الدين شيء آخر ، الدين أن يأتي في حياتي ، وتوسيع الدين أن يأتي في حياة غيري ، ولا نجاة من الخسران ولا فلاح إلا بهذا وهذا ، أن يأتي الدين في حياتي ، وأن أنقل الدين إلى غيري : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣] .

فهذا خِطابٌ للرجال ، والنساء ، والعلماء ، والعامة ، والأبيض ، والأسود ، والعرب ، والعجم ، لا يجوز لأحد أن يترك الدعوة ، كما لا يجوز لأحد أن يترك

العبادة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

فهذا هو ربنا ﷻ أعطانا أحسن العبادات ، وأعطانا حُسن الدعوة إلى الله ﷻ ، فجُهد الأنبياء وجهد المؤمنين أن يصلوا إلى ربهم ﷻ ، ويصلوا الخلق به ، لكن جهد العباد فقط أن يصلوا إلى الخالق ، ويطيعوه ويعبدُوه بما جاء به الرسول ﷺ فقط ، لكن جهد الأنبياء والدعاة والعلماء أن يصلوا إلى الخالق ، ويوصلوا الخلقَ إلى الخالق ، فيحبُوه ويعبِدُوه ، لما يرونه من عظمتة وعظمة نعمِهِ التي لا تُعدُ ولا تُحصى .

فاللهُ ﷻ هو الواحد الأحد الصمد الذي لم يكن له كفوًا أحد في أسمائه وصفاته وأفعاله ، له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

هو الغني القادر الذي كل شيء له ، هو الغني الذي أغنى كل غني ، وعنده خزائن الغنى ، ويُعطي الخلائق كلها ، وجميع ما في السماوات والأرض ، وجميع ما في الجنة كله من خزائنه ، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة ، وخزائنه في علم غيبه جل جلاله: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١] .

هو سبحانه الحي ، حي بحياة كاملة بالعلم ، بالقدرة ، بالعزَّة ، بالرحمة ، بالحكمة ، بالعفو ، حيٌ بالأسماء الحُسنى ، والصفات العلا .

هو القادر الذي خلق القدرة في كل قادر ، ولو سلب عنه القدرة لعاد ضعيفًا ، هو القادر الذي خلق القدرة في الجبال ، وفي السحب ، وفي الرياح ، وفي الأسود ، وفي الإنسان ، فيُعطي من قدرته لمن شاء من خلقه ، فكل قدرة في كل قادر راجعة للقادر الواحد الأحد الصمد ، الذي صمد لجميع حوائج الخلق ، وصمد إليه جميع الخلق : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

فإذا سلب عنا القدرة ؛ فلنتوجه إليه أن يرد علينا هذه القدرة ، فعنده خزائن القدرة ، وإذا سلب عنا الصحة ؛ نسأل الشافي أن يشفينا ، وإن سلب منا الرزق نسألهُ أن يرد علينا الرزق ، فالله حكيم ما منع إلا ليعطي ، ولا ابتلى إلا ليعافي : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن

﴿ ... نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٥٤ ﴾ [النحل: ٥٣ – ٥٤] .

فالله ﷻ حكيم عليم ، رحيم بعباده ، ما قبض إلا ليبسط ، وما منع إلا ليعطي ، ما منع بُخلاً وإنما منع الصحة ، منع المال ، منع الأمن ؛ لنتوجه إليه ونسألهُ لأنه هو الذي بيده ملكوت كل شيء ، هو الذي يقلب الأحوال كما يقلبُ الليل والنهار ، فنتوجه إليه ليُغير حالنا من حالٍ إلى الحال الذي يرضيه ، وإذا خرجنا عن طاعتِهِ وعصيناه منع عنا الخير وأذلنا لنعود إلى العزيز ، ونعود إلى الغني ، ونعود إلى التواب ، ليتوب علينا ، وإلى الرزاق ليرزُقنا ، وإلى العليم ليُعلمنا ، وإلى الهادي ليهدينا ، فتغير الأحوال على العباد في الدنيا رحمة ؛ حتى يتوجهوا إليه إذا فقدوها ، ويخلصوا التوحيد لله : ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢ ﴾ [الإسراء: ٢٢] .

أما ثبات الأحوال فلا يكون إلا يوم القيامة حين يقال لأهل الجنة يا أهل الجنة أما آن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا ، وتنعموا فلا تبأسوا أبدًا ، وتحيوا فلا تموتوا أبدًا ، وتصحوا فلا تسقموا أبداً ، هذا ثبات الأحوال يوم القيامة .

والواجب على المسلم تثبيت الأعمال الصالحة ، تثبيت التوحيد ، تثبيت الطاعات .

فثبات الأحوال في الدنيا محال ، وتغيرها بأمر الله ، والعزة بالأحوال مُحال ، العزة بالأعمال فقط أنا لا أكون عزيزًا بالمُلك ، ولا بالمال ، ولا بالجاه ، ولا بالعلم ، إنما أكون عزيزاً باتصالي بالعزيز ، وامثال أوامر العزيز ، أكون ملكًا بامتثال أوامر الملك ، وطاعة الملك في مُلكهِ ، فأسباب العزة المادية ليس فيها فلاح ، الفلاح في امتثال أوامر الله فقط : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

فنسأل الواحد الأحد الصمد الذي يغير الأحوال أن يُغير أحوالنا من الشرك إلى التوحيد ، ومن الكُفرِ إلى الإيمان ، ومن المعصية إلى الطاعة ، ومن الجهلِ إلى العلم ، ومن الفرقة إلى الوحدة ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن الإساءة إلى الإحسان، ومن الغفلة إلى الذكر ، وهكذا في سائر الصفات : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض ، مادام هو الغني فتوجه إليه ،

فعلى العبد أن يداوم على طاعة مولاه الصمد الذي يسمع كلامه ، ويرى أفعاله ، ويعلم بأحوالِهِ ، جميع الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي ، وجميع الذرات والمجرات في العالم العلوي والعالم السفلي بين يدي الله أصغر من الخردلة : ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد: ٩].

يسمعُ كل الخلائق ، ويبصركل ذرَّة ، ويعلم بكل حال ، والإنسان مكشوف عُريان أمام ربِهِ في ظاهره وباطنِهِ : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٣ - ١٤] .

فليكن في قلوبنا ما يحب الله ، وليكن في نيتنا ما يحبه الله ، لا ما يُسخط الله من الأخلاق السيئة ، والأعمال السيئة ؛ لأن الإنسان مكشوف أمام خالقه ، بل كل ذرة في الكون لا تعزب عن ربها ﷻ : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١] .

هذا هو الرب الملك الصمد الذي يجب علينا أن نعبده وحده لا شريك له ، وأن نتخلق بالأخلاق التي يحبها جل جلاله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

ومن جلس في بيئة الذكر ازداد إيمانًا ، ومن جلس في بيئة الأموال زاد مالًا .

ونحن يجب أن تكون شهواتنا إيمانية ، لا شهوات بهيمية ، شهواتنا في مرضاة ربنا ، وفي جنة الخلد ، وفي النعيم المُقيم ، وهذا سببه الإيمان والأعمال الصالحة ، فالعاقل يداوم على طاعة الله الصمد جل جلاله ويصمد إليه في جميع الأمور : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

فنصمد إلى الصمد في جميع الأمور الدينية والدنيوية ، لأن مقاليد الأمور بيده ، وله الخلق وله الأمر ، ولا ملجأ منه إلا إليه ، ولا نصرف العبادة إلا له ، ولا نحب إلا هو ، ولا نتوكل إلا عليه ، ولا نخضع إلا له ، ولا نطلب الحاجات إلا منه ، ولا نستعين إلا به ، ولا نلتفت لأحدٍ سواه : ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود/ ١٢٣] .

فكل الأمور بيد الله أمر الإيجاد والخلق ، وأمر التدبير والتصريف ، وأمر العزةِ

والذلة ، وأمر الحياة والموت ، وأمر الدنيا والآخرة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر: ١٣].

لا نستطيع أن نعبدهُ إلا بعونه ، فالفضل كلهُ منه ، والأعمال الصالحة كلهامن فضل الله ، كل ما يفعله الإنسان من فضل الله ، وإنما الإنسان حسبه أن يوجه الطاقة بالاختيار إلى الفعل الذي يحبه الله ، ويجتنب الفعل الذي يُسخط الله : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٩ – ٣١].

والله ﷻ خلق الإنسان ، وخلق أعماله؛ لأنه خالق كل شيء ، وإنما الإنسان إذا هداه الله وجه الفعل إلى ما يحبه الله ، واجتنب ما يُسخط الله ، ولهذا يقول النبي ﷺ : «**لاَ يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْكُم الجَنَّة عمله قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ منه وَرَحْمَةٍ**» متفق عليه [1] .

لأن الله هو وحده الذي خلقنا ، وهو الذي أمدنا بالنعم ، وهو الذي أبقانا ، وهو الذي هدانا ، وهو الذي أعطانا السمع والبصر والعقول التي نعرف بها ربنا ، ونتقرب إليه ، وهو الذي أعاننا على القيام والركوع والسجود والحركة ، وهو الذي حبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وهو الذي استضافنا في بطن الأم ، ويستضيفنا في الدنيا ، ويستضيفنا في القبر ، ويستضيفنا في الجنة : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس/ ٥٨] .

أعمالنا سبب لدخول الجنة ، وأعمالنا جاءت بإذن ربنا ومشيئته ، فنحن نوجه هذا الجسد إلى ما يحبه الله ويرضاه ، ونجنبه ما يسخط الله ، فاستقم كما أُمرت ، إذا قال لك : فاستقم ، فأنت قادر على أن تستقيم ؛ لأن الله أعطاك الاختيار ، إما أن تستقيم وإما أن تنحرف ، فللاستقامة لابد من الجو الذاكر ، وللبقاء على الاستقامة لابد من الانقطاع عن الجو الغافل ، للثبات على الاستقامة لابد من البقاء في الجو الإيماني الذاكر الذي نتعلم فيه أركان الإيمان فيزداد علمنا ، ويزداد إيماننا ، ويزداد عملنا ، وننقطع عن الجو الغافل ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم ٥٦٧٣، واللفظ له ، ومسلم برقم ٢٨١٦ .

﴿ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

ولابد أن نبتعد عن الجو الغافل ؛ لأن الإنسان مركب من شهوات :

شهوات يحبها الله وهي أوامره الشرعية .

وإما شهوات يبغضها الله وهي المحرمات والكبائر وغيرها من شهوات النفس : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

فتحريك الشهوات من النفس والشيطان ، وتحريك الأوامر الشرعية من ربنا ﷻ بواسطة الروح ، الروح محبوباتها محبوبات الرب جل جلاله .

فجسد الإنسان لما خلقه الله ، وخلق فيه الروح ، تحرك فيه الثالث وهو النفس ، والجسد مادي مخلوق من تراب ، لما دخلت فيه الروح من الله ﷻ تحرك هذا الجسد ، ولما دخلت الروح تحركت النفس ، تحركت النفس مع الروح ؛ لأن الروح في مقابل النفس ، وهذا محل الابتلاء .

الروح محبوباتها محبوبات الرب ، والنفس محبوباتها حيوانية أرضية سفلية ، والروح محبوباتها علوية إلهية ربانية ، فلتقوية محبوبات الروح الله بعث الأنبياء والرسل ، وأنزل الأوامر الشرعية ، وأمرنا بالنظر ، والتفكر ، والتدبر ، في الآيات الكونية ، والآيات الشرعية : ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل: ٣٦] .

وإذا ترك الإنسان بلا تذكير غفل ، وعاد إلى طبيعته ، كالماء يكون حاراً ، فإذا ترك عاد إلى طبيعته فيبرد ، وكذ إذا تركت النفس بلا تذكير عادت حيوانية ، ثم نزلت سبعية ، ثم نزلت إبليسية ، فلابد لنا من هذا الجو الإيماني الذي يذكرنا بالله ، ويثمر طاعته وعبادته.

والله ﷻ جعل العبودية له شرف لكل إنسان ، وحقيقة العبودية أن أحب كل ما يحبه الله وأفعله ابتغاء مرضاته ، وأكره كل ما يبغضه الله واتركه ابتغاء مرضاته : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥] .

والعبادة للواحد الأحد الصمد هي التوجه إلى الله في كل حال ، وامتثال أمر الله في كل حال ، فالعبادة لا تنفك عن العبد أبدًا ما دام حياً ، فهو عبدٌ لربه ﷻ في نيته وفكره، وهو في أقواله وأفعاله عبد ، وهو داخل المسجد وخارجه عبد : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٣] .

وملة إبراهيم ﷺ هي التضحية بكل شيء من أجل الدين :

ضحى بالبلد ، وضحى بالزوجة ، وضحى بالولد ، وضحى بالبدن ، فالله جعل ملة إبراهيم هي التضحية ، ونحن لابد أن نُضحي كما ضحى إبراهيم : ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣ ﴾ [النحل/ ١٢٣] .

فإبراهيم ﷺ ضحى بالنفس فوهب الله له الحياة ، وجعل من نسله الأنبياء ، وضحى بالبلد فأعطاه الله أحسن البلاد مكة ، وضحى بالولد إسماعيل فحفظه الله ، وأخرج من نسله أحسن ولد محمد ﷺ ، وضحى بأم الولد هاجر فصبرت فجعل الله خطواتها بين الصفا والمروة نسكاً يتعبد المسلمون به إلى يوم القيامة : ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ ﴾ [النحل: ١٢٠] .

فكل نبي بعد إبراهيم من نسله ، فهو أبو البشرية الثالث ، أبو البشرية الأول آدم ، ثم الثاني نوح ، ثم الثالث إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

فذرية إبراهيم فرعان :

فرع إسحاق ومنهم أنبياء بني إسرائيل.. وفرع إسماعيل ومنهم نبينا محمد ﷺ .

ففي الدنيا العبد يختار أن يسلم أو لا يسلِّم ، أن أؤمن أو أكفر ، أن أُطيع أو أعصي ، ويوم القيامة استسلام : ﴿ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ٢٦ ﴾ [الصافات/ ٢٦] .

لأن الكفار رأوا المُلك لله وحده ، والأمر كله بيد الله وحده ، فهم مستسلمون خاضعون ، لأنهم عرفوا الحق ، ولكن لا يفيد لأنه فات الأوان .

فالعبادة التي يريدها الله ﷻ هي أن امتثل أمر الله في كل حال ، ولكن بعض الناس يكون عبدًا لله داخل الصلاة ، وعبد لهواه خارج الصلاة ، يرى ما يشاء ، ويأكل ما يشاء ، ويسمع ما يشاء ، ويفعل ما يشاء ، وينام كيف شاء كالحيوان ، بلا حد ولا قيد، ولا أمر ولا نهي : ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن

يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨٥] .

والعبودية حقًا أن أكون عبدًا لله داخل الصلاة وخارج الصلاة ، وفى كل حال من الأحوال .

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة خزائنه ووعده ووعيده هي الأصل في باب الدعوة إلى الله وهي بمنزلة الرأس من الجسد .

ولذلك أولًا : لابد أن نعلم أنه لا إله إلا الله ، ثم نعمل بموجب لا إله إلا الله ، ثم ننشر لا إله إلا الله ، فإذا عرفت الله وأحببته ، فلابد أن أطيعه ، وامتثل أمره ، ولابد أن أنشر هذا الخير في العالم : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

أعرفهم بالله الواحد ، الأحد ، الصمد ، الغني ، القادر ، الذي له كل شيء ، وبيده كل شيء ، وله الخلق والأمر ، ليتوجهوا إليه ، ويُعظِموه ويوحدوه ويعبدوه وحده لا شريك له .

- **والدين علاقتان :**

علاقة مع الله بحسن عبادته.. وعلاقة مع المخلوق بحسن الخُلق .

لأن حسن الخُلق يجذب الناس إلى سماع كلام المسلم ، ولهذا الله ﷻ خلق الكون وجمله ، وملأه بآياته الكونية التي تولد العظمة في القلوب ، وتولد المحبة في القلوب ، وهذه هي العبودية : أن نحب الله ، وأن نطيعه ، ونمتثل أوامره .

فثمرة معرفة أن الله الصمد أن نصمد إليه في جميع حوائجنا ، فلا نسأل إلا هو ، كل من في السموات والأرض يسأل الرحمن ﷻ : ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٩] .

وهو يقضي حاجتهم جميعًا ، ويسمعهم جميعًا ، ويعطيهم جميعًا ، ولا يشغله شأن عن شأن ، ولا سائلٌ عن سائل ، ولا مكروب عن مكروب ، ولا ضاحكٍ عن باكٍ .

هو الصمد الذي صمد لجميع المخلوقات بأسمائه وصفاته ، ويسمع كل شيء ويبصر كل شيء ، ويقدر على كل شيء ، محيط بكل شيء ، عليم بكل شيء : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ

﴿ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

هو حيٌّ قيوم نحن ننام وهو لا ينام ، حيٌّ قيوم قائم على كل نفس ، كل إنسان قائم على نفسه قائم على أعضائه ، قائم على قوته ، يحتاج إلى الهواء ، يحتاج إلى الماء ، يحتاج إلى الطعام ، لكن الله ﷻ قائم على كل نفس ، وغيره قائم به ، هو أقامه ولو لم يَقُم عليه لم يقم ولم يكن ، وإذا رفع عنه أمر البقاء فني وذهب إلى حيث شاء الله ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

هذا ربنا جل جلاله لابد أن نعرفه ، حتى تكون جميع الأعمال التي تصدر منا شهوات، صادرة عن الحب والتعظيم والذل لله ، لا نرى فيها ثُقلًا ، ولا تكليفًا ؛ ولا مشقة ، لأن الدين هُدى وشفاء ورحمة لا تكليف ومشقة ، ولذلك كان النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، لماذا ؟ لأنه عرف ربه بأسمائه الحُسنى ، وصفاته العلا ، فصار أسعد الناس عند مناجاة ربه ، والوقوف بين يديه.

فيسجد المسلم بوجهه وقلبه وبدنه إلى ربه الواحد الأحد عند طلب جميع حوائجه ، ويسأله ما شاء من خيريّ الدنيا والآخرة ، فالله صمد لجميع حوائج الخلق ، والمؤمنون يصمدون إليه لأنهم يعلمون أن كل شيء بيده ، فلا يسألون إلا هو ، ولا يتوكلون إلا عليه ، ولا يرجون إلا هو وحده لا شريك له ، فهو وحده الغني الكريم الذي بيده خزائن كل شيء : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾ [الحجر/ ٢١] .

خزائنالذهب ، خزائن الفضة ، خزائن الحديد ، خزائن الماء ، خزائن الهواء ، خزائن المال ، خزائن الحبوب ، خزائن العافية ، خزائن الأمن ، خزائن الهداية ، خزائن الضلالة ، خزائن العلم ، خزائن الرحمة : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾ [الحجر/ ٢١] .

الله ﷻ يُنزل بقدرٍ معلوم فيعطى هذا ، ويمنع هذا ؛ لأنه يعلم من هو أهل لهذا ،

ومن هو أهل لهذا ، فعلى العبد أن يلزم عبادة ربه الصمد ، وإن اعترض على ذلك معترض من هواه أو غيره فليصبر ويصطبر على ما أُمر به ؛ لينال به ما وعد ربه : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم/ ٦٥] .

فأقصده وتوجه إليه في قضاء الحوائج ، فليس في الكون إلا اثنان : خالق ومخلوق ، وغني وفقير ، ورازق ومرازيق ، فنعبد الله ونتوجه إليه ، ومعنى عبادة الله أن نسأله ونرجوه ، ونحبه ونخافه ، ونتوجه إليه في كل حوائجنا ، ولا نشرك معه أحدًا ، من الأسباب الفاعلة بإذن ربها ﷻ ، ومن الأسباب التي نفعلها نحن ، لا نتوجه إلى أي مخلوق دونه من شجر أو حجر أو صنم أو هوى ، لا نجعل مع الله إلهاً آخر ، ومن جعل مع الله إلهًا آخر عذبه الله به ، ليعود إلى ربه : ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾ [الشعراء/ ٢١٣] .

والنجاة: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات/ ٥٠ - ٥١] .

والله ﷻ مقصوده من خلقه عبادته بموجب أسمائه وصفاته ، والله هو الصمد الذي له الأسماءالحُسنى ، والصفات العلا ، فعلينا أن نتخلق بالصفات التي يحبها الله ، وبالصفات التي يحب الناس الدين من أجلها :

يكون الإنسان كريمًا بما في يده ، رحيمًا ، لطيفًا ، ودودًا ، عفوًا ، غفورًا ، منفقًا ، محسنًا ؛ حتى يحبه الله ويحبه الناس ، ويحبوا الدين من خلال صفاته .

فنحن نحب الله لجلاله لما له من أسماء الجلال ، ونحبه لما له من صفات الجمال ، نحبه ونعظمه ونعبده بموجب هذه المحبة ، بالعبادة التي عبده بها النبي ﷺ ، ولا نزيد على ذلك .

قال النبي ﷺ : «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهوَ رَدٌّ**» أخرجه مسلم (١) .

فأولًا : نحرص أن نتخلق بالأخلاق العالية التي يحبها الله ، ونفعل كل ما يحبه الله ويرضاه ونجتنب ما يسخط الله ؛ ليحبنا الله ، ويحبنا الناس ، ثم الناس يتبعونا ، ويسمعون كلامنا إذا كنا من المتقين ، وبحسب العلم تكون التقوى ، وبحسب

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ١٧١٨.

التقوى يزداد العلم : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٢] .

بقدر ما نتقي الله ، الله عَزَّ وَجَلَّ يعلمنا ويعطينا من خزائنه ما يسعدنا .

فأولًا نتجمل بالصفات التي يحبها الله ثم نُجمل الناس بهذه الصفات ، هذا هو الدين، عبادة ودعوة .

- **فالدين ركنان :**

عبادة الحق.. والإحسان إلى الخلق .

فعبادة الحق جل جلاله بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، في الحياة ، وفي نفسي .

والإحسان إلى الخلق بالدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والإحسان إلى الخلق ، والنصيحة لهم .

عبادة الحق : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء/ ٣٦].

والإحسان إلى الخلق: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء/ ٣٦] .

وأعظم الإحسان للخلق من دلهم على خالقهم ، وأمرهم بعبادته وتوحيده ، هذا أعظم الإحسان ؛ لأنهم بهذا يكسبون الدنيا والآخرة ، ويرضون ربهم الذي خلقهم ورزقهم .

وللحصول على هذه الصفات لابد من الجو الإيماني الذي يذكر باللهعَزَّ وَجَلَّ ، وبأسمائه وصفاته ، وبخزائنه ، ووعده ووعيده ، لابد من الجلوس في الجو الإيماني حتى يزداد إيماني ، وتأتي فيّ الصفات التي يحبها الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة/ ١١٩] .

ثم إذا كانت هذه النعم من الله ، عليَّ أن أنقلها من نفسي إلى غيري ، أتخلق بها ، وأعبد الله بموجبها ، ثم انقلها إلى غيري : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦] .

عبادة فيما بينهم وبين ربهم ، ودعوة فيما بينهم وبين خلقه ، أعبد الله وأوجه الناس إلى عبادته : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

نحن جلوسنا في هذا المجلس ليس باختيارنا ، الله مالك الزمان ، ومالك المكان ، ومالك الأشخاص ، ومالك الأقوال والأعمال ، الله ﷻ عَلِّم من قلوبنا حبه وحب هذا العلم ، فساق هذا ليسمع هذا ، وساق هذا ليُسمِعَ هذا ، وهذا سببه أن لنا أعمالاً صالحة الله أحبنا من أجلها فساقنا إلى المجالس التي يحبها ، وساقنا إلى المساجد نصلي فيها ، وساقنا إلى الفقراء نطعمهم ، وساقنا إلى الكفار ندعوهم ، وساقنا إلى أهل الجهل نعلمهم ، وساقنا إلى بيته لنؤدي العمرة والحج ، وساقنا إلى ساحات الجهاد لنجاهد في سبيله ، ونثبت الشهادة لله بأن هذا الدين حق ، ونشهد الناس على أن ما ندافع عنه أغلى من نفوسنا .

فالله ﷻ كما يسير الكواكب في السماء ، يسير الخلق في الأرض إلى ما يحبه الله ويرضاه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ [يونس/ ٢٢] .

فإذا ساقنا الله إلى البيئات الإيمانية ، وإلى الجو الإيماني الذاكر ، فلنحمد الله أن انتزعنا من بين الغافلين ، وأدخلنا في بيئة الذاكرين ، لنتذكر ونخرج من هذا المجلس مُذكرين : ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [الغاشية/ ٢١] .

الله أمرنا أن نتذكَّر ثم نُذكِّر ، نُذكِّر الناس بالتوحيد ، بالإيمان ، بالتقوى ، بالأعمال الصالحة ، نوجه الناس إلى الله ، نرغبهم في الدين ، نرغبهم في أن يكونوا صالحين ، ثم نُرَغِبهُم في أن يكونوا مُصلحين رجالًا ونساءً ، فما جاء الظلام إلا بسبب فقد النور ، إذا ذهبت الشمس جاء الظلام ، إذا تُركت الدعوة جاءت الظُلمات والبدع ، ثم أصبح الشيطان ينقل الناس من الصغائر إلى الكبائر إلى الكفر والشرك ، إلى أن يصدوا عن دين الله ، ثم يقولون على الله قولًا عظيما كما نسمعه الآن ، وكما سمعناه من قبل ، وكما ذكره الله في القرآن : ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٣] .

وهؤلاء خرجوا عن الصراط المستقيم ، فلا نتركهم ، بل ندعوهم إلى أن يتوبوا إلى ربهم : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٤] .

فإذا رأينا أحدًا خرج عن الصراط المستقيم ، فلابد من دعوته إلى الله ، أولًا ندعو له بالهداية ، لأنه من بني آدم ، ونحن مأمورون بالدعوة ، استجاب الناس أو لم

يستجيبوا ، هذا بيد الله ، فلابد أولًا أن تكون في قلوبنا الرحمة ، لأن روح الدين اليقين ، وروح الرسالة الرحمة : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة/ ٢٤] .

فقوة اليقين تمنع المخلوقات أن تضُرني ، قوة اليقين على الله أنه قوي صمد ، واحد أحد ، بيده كل شيء ، قادر على كل أحد ، قاهر لكل أحد ، قوة اليقين تمنع المخلوقات أن تضرني مهما كانت من أرض أو سماء ، أو صواعق أو زلازل ، أو شياطين أو فراعنة أو ظلمة ، قوة اليقين على الله تمنع المخلوقات أن تضرني ، وقوة الرحمة في قلبي تمنعني أن أضر المخلوقات .

هذا الأعرابي الذي جاء ليقتل النبي ﷺ حقه أن يُقتل ؛ لكن قوة الرحمة في قلب النبي ﷺ جعلته يَمُّن عليه ، فذهب إلى قومه وقال : جئتكم من عند خير الناس فأسلموا ، وكان سببًا لهداية قومه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

فلابد أن يكون عندنا قوة الرحمة : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] .

هذه من صفات ربنا الصمد جل جلاله ، فالأمور كلها بيده ، فإذا خرجت الأمة عن الصراط المستقيم عليّ أن أصلحها ، القتل سهل ، لكن العملية الجراحية صعبة تحتاج إلى تضحية بالوقت ، والمال ، والنفس ، والدعاء ، والبكاء والتضرع ، لعل الله ﷻ أن يهدي من خرج عن الصراط المستقيم من المسلمين : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ونحن نعلم أنه في بعض الأحيان يخرج عن الصراط المستقيم من يقول على الله غير الحق ، ويقول قولًا عظيمًا : ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾ [مريم/ ٩٠-٩١] .

ولكن الله حليم ، حتى المخلوقات تستأذن لتنتقم لربها ، ونحن ما هو واجبنا ؟، واجبنا أن نجتهد ليأتي الإيمان في قلبه ، وندعو له ، ونزوره ، ونتحدث إليه ما دام حيًا فهو ميدان تجارتنا ، الداعي إلى الله الأرض دكانه ، والناس زبائنه ، وأوامر الله سلعته ، فنحن هذه وظيفتنا ، الذي استقام نستقيم مثله ، وننافسه في الأعمال ، والذي خرج عن الصراط المستقيم ندعو له ، ونتودد إليه ، لعله يتوب كما تودد الله

إلى من قال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة/ ٧٣] .
﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة/ ٧٤] .
لا يكون في قلوبنا حب الانتقام من المشرك أو العاصي ، أو الدعاء عليه ، بل ندعو له بالهدايته ما استطعنا فالمشركون ، لما جرحوا النبي ﷺ في أُحد ، وكسروا ثنيته ، وشقوا جبينه ، وتألم من ذلك ودعا لهم بقوله : «**اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يعْلَمُونَ**» متفق عليه(١) .

هم ضربوه وآذوه في نفسه وجسده ، لكن لما شغلوه عن طاعة الله ، وعن الصلاة كما حدث في غزوة الأحزاب حين شغلوه عن الصلاة دعا عليهم بقوله : «**اللَّهُمَّ املأ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا ، كَمَا شَغَلُونَا عَنْ الصَّلاةِ الْوُسْطَى**» متفق عليه(٢) .
فكن صمداً ، واسع الرحمة ، واسع الإحسان ، عظيم الإكرام ، جميل العفو .
فنحن مهما قيل فينا ، مهما فعل الناس بنا نجتهد أن ندعوهم إلى الله ، ونعلمهم ، لأنهم ماتجرؤوا إلا لجهلهم ، وزوال الجهل بالعلم ، والعلم النافع هو العلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله ، هذا العلم كفيل بأن يذيب المعاصي ، ويذيب الشرك ، ويذيب كل ما يسخط الله ﷻ ، إذا عرفنا الله أحببناهُ ، وإذا أحببناهُ أطعناه وعبدناه : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].
هذا الاسم العظيم الصمد جامعٌ لأسماء الله الحُسنى ، وصفاته العُلا ، هو صمد لما له من الأسماءالحُسنى ، والصفات العُلا ، وإذا كان ربي هو الصمد ، وتصمد إليه الخلائق فعلينا أن نتعبد لله بهذا الاسم العظيم ، وأتجمل به ، وأدعو الناس إلى ذلك .

وإذا توكل الإنسان على الله وحده كان معه ، ونصره وأيده ، وعزه في الدنيا ، وأدخله الجنة في الآخرة : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: ١٣].

فتوكل على الله وحده ، وإلا حرمك بركة هذا الاسم الكريم ، وخيب أمالك ، وأبطل رجاءك ، فما هو الحل ؟.

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٣٤٧٧ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٧٩٢ .
(٢)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٢٩٣١ ،ومسلم برقم: ٦٢٧، واللفظ له.

الحل : ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس: ١٠٥ – ١٠٦] .

ظالم لنفسك ، وظالم لغيرك ، ظالم لنفسك بسؤال غير الله الغني القادر الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق ، وظالم لغيرك أن كنت قدوة للناس في سيئات أفعالك ، وصفاتك .

والعبد لا شك أنه لا يصحبه في أُخراه إلا عمله في دنياه ، والعمل في الدنيا إما على الهوى وإما على الهدى ، فمن سار على الهوى ؛ هواه حمله إلى نار جهنم في أسفل سافلين ، وهوى به في الدنيا إلى الأخلاق السيئة ، والأعمال السيئة ، وشدة الحياة ، وهوى به في النار في أسفل سافلين حسب كفره وأعماله الكفرية : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠] .

فما هو الحل ؟ الحل : أن نحسن العمل ، ونتخلق بأحسن الأخلاق ، وأن نُحسن إلى النفس بإلزامها حق الله ، ونُحسن إلى الناس ، ونحاسب أنفسنا ، وننتظر الارتحال إلى دار مقرنا ، والقدوم على مولانا العليم الخبير : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر/ ١٨] .

يا أيها الذين آمنوا ، هذا خطاب لمن دخل في الإيمان ، يا أيها الذين آمنوا تكليفات ومكاسب للمؤمنين ، الكفار لا يؤمرون بالتكاليف إلا إذا آمنوا ؛ لأنهم ما اتصلوا بالله، فإذا اتصلوا بالله يقال لهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [الحشر/ ١٨] .

والتقوى أن لا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يجدك حيث نهاك ، وروح التقوى أن تعمل بطاعة الله ، على نور من الله ، ترجو ثواب الله .

تنظر ما قدمت لغدٍ هل هو عمل خالص لله ؟ وهل هو عمل موافق لسُنَّة رسول الله ؟ وهل هذا العمل ابتغى به وجه الله ؟ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر: ١٨] .

الله خبير بما تعملون قبل أن تعملون ، ولكن لابد من العمل ، تؤدي هذا العمل ، ثم تأتي صورة العامل وهو يعمل العمل الصالح ، أو العمل السيئ : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ

ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨] .

والله ﷻ إذا أنعم عليك بنعم لا تُعد ولا تُحصى ، وأقامك مقامًا تكون فيه ملجئاً للملهوف ، وغياثًا للمكروب ، في جاه أو رئاسة أو ذات يد ، فصدقت وأحسنت ، فقد أخذت من مقتضى اسم الله الصمد بحظٍ وافر ، وكنت من المفلحين الفائزين : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، هو الفلاح ، فالفلاح هو الفوز بالمطلوب ، والنجاة من المرهوب ، النجاة من النار فوز ، ودخول الجنة فوز آخر ، كما أن حرمان الجنة خسران ، ودخول النار خسران آخر : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة/ ٧٢] .

فنحن نحمد الله ﷻ ونرجو ثوابه ، ونخاف من عقابه ، نرجو النجاة من النار ، ونرجو الفوز بالجنة : ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

وكيف نعبد الله بموجب إسمه الصمد ؟، نتوجه إليه في جميع الأمور ، ونسأله وحده لا شريك له ، ولا نتوجه إلى غيره ، فلا نسأل الفقير المحتاج ، ولا نقف بباب الصغير، لأننا عرفنا الكبير ، ولا نقف بباب الفقير ، لأننا عرفنا الغني ، ولا نقف بباب العاجز ، لأننا عرفنا القادر ، وهكذا نعرف ربنا الصمد بأسمائه وصفاته ونصمد إليه في جميع حوائجنا : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فالله ﷻ الصمد الذي له الأسماءالحُسنى ، والصفات العُلا ، ومصمودٌ إليه في جميع الحوائج ؛ لأن له صفات الكمال ، وأسماء الكمال ، وله صفات الجلال والجمال ، فنتوجه إليه في جميع الأمور ، ونعبده وحده لا شريك له ، ولا نسأل الفقير

المحتاج ، بل نقف بباب الملك الصمد ، قاضي الحاجات كلها للخلائق كلها ، الذي يعطينا ما نحب ، ويصرف عنا ما نكره ، ويغفر ذنوبنا ، ويستجيب دعاءنا ، فلنتقرب إليه بما يحبه ويرضاه : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح/ ١٧] .

وتوسل أيها المسلم إلى ربك عند سؤاله بما تعرفه من أسمائه الحُسنى ، وصفاته العُلا ، وأقصِدهُ في بيوته ، واعتكف في مواطن محابه ، وهي أوامره الشرعية ، يكرمك بالخلود في قصور جناته .

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧] .

أعطاك الله لسانًا سبح به ، وأثني على الله به ، وادعوا إلى الله به ، وأذكره كثيرًا ، وأحمده كثيرًا ، وأمر بالمعروف ، وأنه عن المنكر ، واعتكف في مواطن محابه قولية أو فعلية أو أخلاقية .

الله ﷻ يحب القول الحسن ، ولا شيء أحسن من الدعوة إلى الله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣] .

الله ﷻ منَّ عليك بمعرفته فأعبده بموجب هذه المعرفة ، وعرف الناس به ، ليعبدوه بحسب هذه المعرفة ، يكون ذلك كله في صحيفتك يوم القيامة : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

[آل عمران: ١٠٤] .

واسمع بأذنك ما يحبه الله ويرضاه ، وانظر بعينك إلى ما يحبه الله ويرضاه ، وأمش بقدمك إلى ما يحبه الله ويرضاه ، فالليل والنهار خزانتان من خزائن الله ، فلينظر أحدكم بما يملأ خزانته أقولًا ، وأعمالًا ، وأخلاقًا : ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

[آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤] .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد/ ١٢] .

يدخله جنة المعرفة في الدنيا ، فيسعد بطاعة الله وعبادته ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، يجد بذلك لذة ليس فوقها لذة .

فمن دخل جنة المعرفة في الدنيا ، أدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة ، وجنة المعرفة هي جنة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وخزائنه ووعده ووعيده ، ودينه وشرعه ، ومعرفة أحكامه الكونية ، وأحكامه الشرعية ، وأحكامه الجزائية ، وعبادة الله بموجب ذلك : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة/ ٥] .

كل إنسان يجعل نفسه قبلة للناس في أقواله وأعماله وأخلاقه ، ويجعل نفسه قدوة للناس حتى الناس يقتدون به ؛ لأنه مقتدٍ بسيد الأنبياء والرسل في أقواله وأفعاله وأخلاقه ، فإذا ملك الإنسان شيئًا عليه أن ينتفع به وينفع غيره به ، وهذا هو الدين ، إذا هداني الله توجهت إليه ، ووجهت الناس إلى إليه : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الشورى/ ١٥].

نأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، ونعطى للدين بقدر الطاقة : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ ﴾ [الحج/ ٧٨] .

وهي ملة التضحيات ، التضحية بالأوقات ، بالأموال ، بالأنفس ، بالشهوات ، بالأهل ، بالديار ، من أجل إقامة دين الله ، فلابد من بذل الغالي من أجل ما هو أغلى من أجل الدين ، من أجل رضوان الله ، ودخول الجنة ، فنبذل المحبوب لما هو أحب ، ونعطي الغالي عندنا لما هو أغلى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٥] .

- **فأحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك، والإحسان ينقسم إلى قسمين :**

إحسان مع الخالق.. وإحسان إلى الخلق .

فالإحسان مع الخالق : يكون بتوحيده والإيمان به ، وفعل ما أمر الله به ، واجتناب من نهى الله عنه ، وطاعته وطاعة رسوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء/ ١٢٥] .

والإحسان إلى الخلق : يكون بدعوتهم إلى الإسلام ، وتعليم جاهلهم ، ومواساة فقيرهم ، وهداية ضالهم ، والإحسان إليهم بضروب الإحسان .

فهذا وهذا هو الإحسان ، وهو الدين الذي يريده الله .

هذا هو أحسن الحسن ، أحسن الحسن هو الدين ، فالدين فيه حسن وأحسن ، وجميل وأجمل ، فالحسن هو الدين ، ونشر الدين يزيد المسلم حسنًا ، فالحسن : ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [العصر/ ٣] .

والأحسن : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

الله نزل أحسن الحديث ، فأعطانا أحسن الحديث ، وأمرنا بأحسن الأقوال وهو الدعوة ، ويوم القيامة يكون الجزاء : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس/ ٢٦] .

الذين أحسنوا بالتوحيد والإيمان وطاعة الله وعبادته ، وطاعته وطاعة رسوله ، وأحسنوا إلى خلقه بالدعوة والتعليم والإحسان بالمال والجاه ، هؤلاء المحسنين يقال لهم يوم القيامة : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن/ ٦٠] .

لأن الله كريم يعطى على قدر شأنهِ ، لا على قدر أعمالنا ، هو العظيم الذي لا يعطي إلا العظيم ، فالله لا يعاملنا بعدله ، بل يعاملنا بفضله ، العدل حسن لكن الإحسان أحسن ، فالعدل أن يعطي على الحسنة مثلها ، وعلى السيئة مثلها هذا عدل ، ولكن الإحسان أن يعطي على الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة ، وفوق هذه المضاعفة يؤتى من لدنه أجرًا عظيما هذا بالعمل الذي يعمله المسلم .

لكن هناك عطاء من باب الخواص ، يعطي من لدنه أجرًا عظيمًا ، من لدنه هذا عطاء خاص وتفضل من الرب ﷻ خارج العمل .

فلنحسن في أقوالنا وأعمالنا ، ولنحسن في عبادة ربنا ، ولنحسن إلى الخلق ، لنكون من الموعودين بقول الله ﷻ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس/ ٢٦] .

والزيادة هي رؤية الله ﷻ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢ – ٢٣] .

- **والناس اثنان :**

إما صالح مصلح.. أو فاسد مفسد .

فإن لم تقم بالدعوة إلى الله ، وتحسن كما أمرك الله ؛ انتقلت إلى الفساد ، والفساد إفساد ما كان صالحًا ، خاصةً في البشر الذين أكرمهم الله ﷻ ، وخلقهم لعبادته وتوحيده والإيمان به : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص/ ٧٧] .

الله لا يحب المفسدين ، ولا يحب الظالمين ، ولا يحب الكافرين ، لكنه يحب المتقين ويحب المؤمنين ، ويحب المحسنين ، فأكون مع المجموعة التي يحبها الله ، لا مع المجموعة التي يبغضها الله ، ويسخطها ويلعنها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [هود/ ١٨] .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٦٨] .

فكن في الفريق الذي يحبه الله ، وهذا الفريق له أعمال على نفسك وأعمال مع غيرك ، فهناك جهد على النفس بالإيمان والاستقامة ، وجهد على الغير بالدعوة والتعليم والإحسان : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

فحظنا من هذا الاسم أن نتخلق بالأخلاق العالية التي يحبها الله ؛ حتى يأتي الناس إلينا ، ويتعلموا من علمنا ، ويستفيدوا من خيرنا ، فننافس في طلب العلم وننافس في طلب المال ، حتى نكون من المنفقين لا من الآخذين ؛ واليد العليا أحب إلى الله من

اليد السفلى ، ونبذل أموالنا في سبيل الله ، وفي نشر دين الله ، وننفق من أخلاقنا على السفهاء وننفق من علمنا على أهل الجهل ، وننفق من أوقاتنا ومما نملك في سبيل تقريب الناس إلى ربهم وتعريفهم به : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢ – ٤] .

فأنفق من علمك على جاهلهم ، وأنفق من مالك على فقيرهم .

والصلاة عبادة ، وطلب العلم عبادة ، وطلب الرزق عبادة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

ابتغ من فضل الله ؛ لأن البيع والشراء عبادة من العبادات ، إذا طلبناه بالوجه الشرعي، وأنفقناه بالوجه الشرعي صار عبادة ، فأنفق من مالك على فقراء الناس ، وأكرم شريفهم ، وأحسن إلى ضعفائهم ، فالمسلم لابد أن يكون صالحًا مُصلحًا ، كالثلج باردٌ لنفسه مبردٌ لغيره ، وهو محبوب لأنه بارد في نفسه مبرد لغيره ، وكالشمس تنور لنفسها وتنور لغيرها وتذكر بربها وتسبح بحمده وتشهد بوحدانيته : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

فالمؤمن في جميع أحواله مُسبح بحمد ربه ، وداعٍ إليه ، ومحبوب إليه ، ومحبوب إلى خلقه ؛ لأن الله ﷻ يحب من أطاعه ، ويحبب الناس إليه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم/ ٩٦] .

فالله خلق الحديد وفرقه في التراب ، لنجتهد عليه ونخرجه ، ونصنع منه السيارة والطائرة والدبابة والثلاجات والمكيفات وغيرها من المصنوعات النافعة .

كذلك خلق الله هذا الإنسان ، لنجتهد عليه بالإيمان ليوحد الله ، وبالدين ليعبد الله بما شرع رسوله ﷺ .

قال النبي ﷺ : «**لَأَنْ يهدي الله بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**» متفق عليه[1] .

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٣٠٠٩ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٤٠٦ .

فالله جعل ميدان جهدنا الناس لندعوهم إلى الله ، ولابد أن نعرف الله لنعرف الناس بالله ، إذا عرفنا الله عبدناه ، ووجهنا الناس لعبادته ، فالله ﷻ وكل السُحب بنشر المياه في العالم فاستجابت وأمطرت فهي محبوبة ، والشمس وكَلها الله بنشر النور فاستجابت وأطاعت فهي محبوبة ، لأنها خرجت منها منافع ، كذلك المسلم إذا قام بالدعوة يكون محبوباً إلى الله ، ومحبوباً إلى خلقه ، ومصلح للحياة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

كما أن المطر يصلح الأرض بالنباتات ، ونور الشمس يصلح الأرض بالنور الذي تتحرك فيه المخلوقات والحيوانات والناس في الحياة ، كذلك هذا الدين إذا التزمنا به ، ونشرناه في العالم ، تغيرت أحوال اليابان ، وأحوال الصين ، وأمريكا ، وأوروبا ، وروسيا ، وأفريقيا ، وكل بيت ، وكل دولة ، وكل مدينة ، وكل قرية : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨] .

نجتهد في أن تمر سحب الدين على الناس حتى تمطرهم ، وهذا مزاج الدعاة إلى الله، ينتقلون من مكان إلى مكان ، ومن دار إلى دار ، ومن طائرة إلى قطار ، ومن مدينة إلى قرية ، هكذا نتجول في العالم ، حتى ننشر الدين ، وننشر التوحيد ، وننشر الإيمان في العالم : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

هذه وظيفتنا وليست وظيفتنا الأكل والشرب فقط ، الأكل والشرب والهواء والماء سخره الله لنا في كل مكان وزمان : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ [هود/ ٦] .

أما الواجب علي فأن أسير في ملكه داعيًا إليه ، ومعلماً لشرعه ، ومحسناً إلى خلقه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

هكذا المسلم كالشمس وكالقمر وكالأرض وكالسحب ، تخرج منه المنافع للناس في مشارق الأرض ومغاربها بالإصلاح والدعوة والتعليم والإنفاق .

قال النبي ﷺ : «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**» أخرجه الطبراني في الأوسط [1] .
فسبحان العظيم الذي لا يعطي إلا العظيم .
ننظر للأمة الإسلامية كلها في صحيفة رجل واحد ، وهو محمد ﷺ ، وله من الجنات بقدر من آمن به ﷺ ، لماذا ؟ لأنه ضحى بنفسه ، وماله ، ووقته ، وشهواته ، وأهله ، وبلده ، ضحى بستة أشياء من أجل أن ينشر الحق ، وينتشر الدين في العالم : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة/ ٨٨ – ٨٩] .
وقال النبي ﷺ : «**لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ ومَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ ، ومَا يُؤْذَى أَحَدٌ** » أخرجه الترمذي [2] .
فيجب على كل إنسان أن يقتدي بالنبي ﷺ ، لأنه بشر قدوة لكل البشر ، يقتدي به في نيته ، وفكره ، وأقواله ، وأعماله ، وأخلاقه ، وعبادته ، ودعوته ، وتعليمه ، وهكذا في سائر الصفات والأفعال : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .
فيا عبد الصمد كن صمداً حسناً محسناً ، فيك جميع المحاسن ، تطعم الخلق ، وتحسن إليهم ، وتنفق عليهم مما آتاك الله : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص/ ٧٧] .
كن مؤمناً صمداً يقصدك الناس في قضاء حوائجهم ، أطعم محتاجهم ، وعلم جاهلهم وأحسن إلى مسيئهم ، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضاً ، وكاليدين تسفل إحدهما الأخرى .
كن صمداً في الخير والإحسان ، كن إماماً قي التوحيد والإيمان والتقوى ، كن إماماً في العلم والعمل والتعليم ، كن إماماً في الذكر والدعاء ، وفي العبادة والدعوة :

---

(١)صحيح/ أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٦٠٢٦.
(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: ٢٤٧٢.

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤] .

وإذا أكرمني الله الصمد بما يحبه ويرضاه من الصفات الجميلة ، والأخلاق الحسنة ، والأقوال الحسنة ، والأعمال الحسنة ، فعلي أن أشكر الله على هذه النعمة ، وأن أنقلها إلى الناس ، ليتخلقوا بها ، وأحبب الناس إلى الله بالاتصاف بها ، ودعوة الناس إليها، فيتوجه الخلق إلى ربهم اختيارًا ، فمن جاء إلى ربه اختيارًا أحب إليه ممن جاء إليه مسخراً ، جميع المخلوقات مسخرة في عبادة الله وطاعته ، لكن الإنسان مخير ، إذا جاءه مذكر تذكر ، وأناب إلى ربه ، وإن لم يأته مذكر جره الشيطان إلى الشرك ثم النار .

فالحمد لله رب العالمين أن جعلنا مسلمين ، وجعلنا من خير أمةٍ أخرجت للناس ، فلابد للإنسان أن يجتهد على نفسه بالاستقامة ، وعلى غيره بالدعوة ، ويجعل نفسه مقصودًا من قِبل الناس للمنافع والخيرات ، يأتون إليه ، ويستفيدون منه ، ويكون معينا لهم على قضاء حوائجهم ، إبتغاء مرضات الله : ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ ﴾ [النساء/ ١١٤] .

لابد من عبادة الحق ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾

[آل عمران/ ١٣٣-١٣٤] .

فالمؤمن يقوم بعبادة ربه ، ويجعل نفسه مقصودًا من قِبل الناس ، يكون منارًا للجاهل ليتعلم ، وللفقير ليأخذ منه حاجته ، ويكون مكاناً يأوي إليه الناس ويقصدونه ؛ لأنهم يرون فيه مكارم الأخلاق ، فالناس يحبون الدين من خلال صفاته وأقواله ، ومن خلال بذله وإنفاقه .

والدين قام على تضحيات المهاجرين والأنصار ، ومن تبعهم باحسان .

والله ﷻ ذكر الأصناف الثلاثة فقال عن المهاجرين : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر/ ٨] .

وقال عن الأنصار ، ومن اتبع المهاجرين والأنصار : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر/ ٩-١٠] .

هذه نحن فيها ، علينا أن نتحلق بما عليه الأنصار ، وما عليه المهاجرون من العبادة والدعوة ، والتضحية بالوقت ، والمال ، والنفس ، والشهوات ، وترك الأهل ، والأموال ، وكل شيء ، من أجل إعلاء كلمة الله ، وإبلاغ دين الله ، ترك المحبوب لما هو أحب ، وبذل المحبوب من أجل الله ﷻ ، حتى الله ﷻ إذا أكملنا محبوباته في الدنيا الله يكمل محبوباتنا يوم القيامة : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء ، وأن نكون مقصودين من الناس ، ننفق من العلم على أهل الجهل ، وننفق من المال على الفقراء ، ونكرم الأشراف ، ونحسن إلى الضعفاء ، ونصلح فيما بين الناس ، ونتعاون على البر والتقوى ، ولا نتعاون على الإثم والعدوان ، ونتقي الله في جميع أحوالنا ، ونعبد الله كأننا نراه ، ومن علم أن الله يراه وأن الله يسمعه ، وأن الله عليم به ؛ أقبل على طاعته ، واجتنب معصيته ، واستحيا منه ؛ لأنه يسكن في ملكه ، ويأكل من رزقه ، فلا يليق به إلا أن يطيعه ، ولا يليق به أن يعصيه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢ - ٤] .

وأحب الأعمال إلى الله بعد التوحيد : سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كُربة ، أو تقضي عنه دينًا ، أو تزيل عنه همًا ، أو تهديه من ضلالة ، أو تنقله من جهلٍ إلى علم ، ومن شرك إلى توحيد ، ومن بدعة إلى سنة : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة/ ٤].

هذه أحب الأعمال إلى الله النفع المتعدي ، النفع المتعدي بالنسبة للعمل القاصر كالبحر بالنسبة للقطرة ، العمل الاجتماعي بالنسبة للعمل الانفرادي كالذرة بالنسبة للجبل ، فالعمل القاصر مثلاً أذكر الله ، وأقرأ القرآن وأصلي النوافل ، هذا عمل صالح له وقت ، لكن أعظم منه العمل الاجتماعي ، لكثرة منافعه ، واستمرار أجره .

● **والعمل الاجتماعي أربعة أمور :**

الدعوة إلى الله.. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. وتعليم شرع الله.. والنصيحة للمسلمين : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

هذه أعمال اجتماعية عظيمة تؤثر في الناس وتغير الحياة ، وتنقل الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن البدعة إلى السنة، ومن غضب الله إلى حب الله .

تنقل الناس من اتباع الهوى إلى اتباع الهدى ، ومن السفل إلى العلو ، ومن التخلق بالأخلاق السافلة إلى التخلق بالأخلاق العالية ، ولذلك الله أعطى هذه الأمة وظيفة الأنبياء والرسل وهي الدعوة إلى الله ، لأنها آخر الأمم : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فعلينا إذا علمنا أن الله الصمد له الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة والمثل الأعلى ، وأعطانا من هذا على شاكلة العبودية ، فأعطانا مالًا ، وأعطانا علمًا ، وأعطانا أخلاقًا ، علينا أن نعبد الله بمقتضاها ونحبب الناس إلى الله بموجبها ، نكون مناراً ، نكون قدوة ، نكون في الصف الأول في الدين ، في الصف الأول علمًا ، في الصف الأول دعوةً ، في الصف الأول عبادةً ، في الصف الأول

أخلاقًا ، ليقتدي الناس بنا ، إذا ركعنا ركعوا ، وإذا سجدنا سجدوا ، وإذا سبحنا سبحوا ، وإذا دعوناهم استجابوا وسمعوا : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

هكذا المسلم يكون في الدين إماماً وفى الدنيا مأموماً ، في الدنيا نأخذ منها بقدر الحاجة وفي أمور الدين نعطي بقدر الطاقة ونتسابق في هذا : ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد/ ٢١] .

وقال سبحانه : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨] .

فإذا أكرمنا الصمد جل جلاله ببعض صفاته ، فعلينا أن نتخلق بها ، وندعو الناس إليها .

فافتح قلبك ، ووقتك ، وبيتك ، ومالك للناس ؛ يحبك الله والناس ، افتح قلبك يمتلىء بالإيمان ، يمتلىء برحمة الخلق ، يمتلىء بالإحسان إلى الخلق .

والله يحب الأخلاق الحسنة ، ولهذا أثنى على رسوله ﷺ بحسن الخلق فقال له : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

والمؤمن يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ، فالخلق العظيم جوهر من الجواهر العظيمة يهبه الله لمن جاهد في سبيله ، وأقبل على ربه ، واهتدى بهداه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

- **وأصول الأخلاق بين الناس أربعة :**

أن تعطي من حرمك.. وتعفو عن من ظلمك.. وتصل من قطعك.. وتحسن إلى من أساء إليك .

أربعة أصول تقوم عليها جميع الأخلاق ، والأخلاق التي يحبها الله كثيرة : الكرم ،

والصدق ، والإحسان ، والعفو ، والرحمة ، والحلم ، وغيرها لكن أصولها هذه الأربعة .

هذه الأربعة شديدة المرارة ، فعود نفسك عليها ، لعظم منافعها ، واشغل وقتك ليلًا ونهارًا بالدعوة إلى الله ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣ – ٣٦] .

فكما ملأ الله المكان والزمان بنعمه ، أملأه أنت بحمده وتسبيحهِ ، وذكره والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١] .

فأملأ قلبك ووقتك وبيتك بما يحبه الله ورسوله ، املأ بيتك بالناس ، افتح حلقات التعليم ، نحب الناس ، نكرم الناس ، نذكرهم بالله ، ويكون ضيوفنا ضيوفاً مكرمين بغذاء القلوب وغذاء الأبدان ، ونفتح أموالنا نجعلها للناس ، نحسن للفقراء والمساكين وابن السبيل ، طباعة كتب الدين ، طباعة القرآن ، نقل الناس ، وعلاج الناس ، وغيرها من الخير والمنافع .

وبهذا يحبك الله ، ويحبك الناس ، وتفوز بمغفرة الله وجنته ورضوانه : ﴿ **وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾** ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

هكذا نكون ، نتخلق بالأخلاق الحسنة أولاً ، فنجمل أنفسنا بهذه الصفات الجميلة ، بهذه الأخلاق العالية ، وبهذه الأعمال الصالحة نكون قِبلة للناس ، يتوجه الناس إلينا ، فيستفيدون من أموالنا ، ومن أوقاتنا ، ومن علمنا ، ومن أخلاقنا ويقضون أوقاتهم معنا عبادةً ، وتعليمًا ، وإحسانًا ، وهكذا الإنسان يكون مقصوداً

لما يملك من الأخلاق العالية .

والله مقصود ، والجنة موعود ، هو مقصود نتوجه إليه بالعبادة ، والجنة من موعوداته ، ولكن قصدنا إرضاء ربنا ﷻ امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢ ﴾ [التوبة: ٦٢].

﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾ [الممتحنة/ ٤] .

﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل/ ١٩] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ ﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم بك أمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت .

اللهم أنت الواحد الأحد الصمد ، آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

اللهم طهر قلوبنا من الشرك ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، ومجالسنا من الغيبة والنميمة ، يا أرحم الراحمين .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك واتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـم الله

الأول.. والآخر

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله الأول.. والآخر

الحمد لله الأول قبل كل شيء ، الآخر بعد كل شيء ، الظاهر فوق كل شيء ، الباطن دون كل شيء ، الحمد لله الأول بلا أولٍ كان قبله ، الآخر بلا آخرٍ يكون بعده ، لا إله إلا هو : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣] .

الحمد لله الذي ابتدع الخلق بقدرته ابتداعاً ، وجعلهم في قبضته أحياءً وأمواتًا ، وجعل لكل روحٍ منهم قوتًا معلومًا ، ورزقًا مقسومًا ، ثم ضرب له في الحياة أجلًا محدودًا ، ونصب له أمدًا معلومًا ، يخطو إليه بأيام عمره ، حتى إذا بلغ أقصى أثره ، واستوعب حساب عمره ، قبضه إليه ، ثم ساقه إلى ما ندبه إليه ، من عظيم ثوابه ، أو شديد عقابه : ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [سبأ: ٤ – ٥] .

والحمد لله الذي عرفنَّا بنفسه ، وعرفنَّا بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرفنا بآلائه ونعمه وإحسانه ، وفتح لنا أبواب العلم بربوبيته ، وأبواب العلم بألوهيته ، وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وهدانا إلى الإخلاص له في توحيده ، وعصمنا من الإلحاد والشك في أمره .

والحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ملء السماء وملء الأرض أن جعلنا مسلمين موحدين نعرفه ونعبده ونطيعه .

والحمد الذي اختار لنا محاسن الخلق ، فخلقنا في أحسن تقويم ، وأحسن خلقنا ظاهرًا وباطنًا ، وأجرى علينا طيبات الرزق ، فغذى أبداننا بالطعام والشراب ، وغذى قلوبنا بالتوحيد والإيمان ، ومعرفة أسمائه وصفاته وآلائه ، وسخر لنا ما في السموات والأرض ، فكل المخلوقات منقادةٌ لنا بقدرته ، مسخرة لنا بمشيئته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠] .

فلابد أن نحمد الله كثيرًا كما أنعم علينا كثيرًا ، وكما ملأ الكون لنا بنعمه فلنملأه بحمده وشكره وذكره وعبادته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

والحمد لله الذي أغلق عنَّا باب الحاجة إلا إليه ، فنحن الموحدون لا نسأل إ لا هو ، ولا نتوكل إلا عليه ، ولا نخشع إلا له ، ولا ندعو إلا إياه : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فالحمد الله الذي أغلق عنَّا باب الحاجة إلا إليه ، هو الصمد الذي نصمد إليه ، وركب فينا أعضاء البسط والقبض ، وخلق فينا جوارح الأعمال ، لسانٌ نذكر به الله ، وأذنٌ نسمع بها كلام الله ، وعيونٌ نرى بها الملك والملكوت ، وبدنٌ نركع ونسجد به لربنا الواحد الأحد : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وغذَّانا بطيبات الرزق ، فأحل لنا الطيبات ، وحرَّم علينا الخبائث ، ثم أمرنا ونهانا ، ليختبر طاعتنا ، وابتلانا بالسراء والضراء ، ليختبر صبرنا وشكرنا ، ثم خالفنا أمره ، وركبنا نهيه ، فلم يُعاجلنا بعقوبته ؛ لأنه الحليم الكريم ، أكرمنا بواسع رحمته ، وشملنا بحلمه وعفوه ، وانتظر توبتنا ورجعتنا إليه برحمته : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠] .

الحمد لله الذي فتح لنا أبواب فضله ، وفتح لنا أبواب رحمته ، وفتح لنا أبوا ب إحسانه .

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وأرسل إلينا سيد الأنام ، ووضع عنَّا ما لا طاقة لنا به، ولم يكلف أنفسنا إلا وسعها : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢].

فله الحمد كثيرًا ، كما ينعم كثيرًا ، ويعطي كثيرًا ، والحمد لله حمدًا يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده ، عدد ما أحاط به علمه ، حمدًا لا منتهى لحده ، ولا حساب لعدده ولا بلوغ لغايته ولا انقطاع لأمده : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧] .

والحمد لله الذي منَّ علينا ببعثة محمدٍ صلى الله عليه وسلم دون الأمم الماضية ، فأدى الأمانة ، وبلَّغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه

اليقين فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه أجمعين : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

والحمد لله الذي جعلنا من خير أمةٍ أُخرجت للناس ، وأعطانا وظيفة الأنبياء والرسل وهي الدعوة إليه وعبادته وحده لا شريك له .

فالحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وأمسكهما بقدرته ، ورفع السماء بقوته ، ودحا الأرض بمشيئته ، وملأ الكون برحمته : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام: ١] .

والحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته وميز بينهما بقدرته ، وجعل لكل واحدٍ منهما حدًا محدودًا ، وأمدًا ممدوداً ، ونفعًا معلومًا : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الإسراء: ١٢] .

والحمد لله عدد ما خلق في الأرض والسماء ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ملء السماء ، وملء الأرض .

فالحمد لله عدد ما خلق في الأرض والسماء ، وعدد ما علا في الهواء ، وعدد ما كَنَّ تحت الثرى ، ليس لنا من الأمر إلا ما قضى ، ولا من الخير إلا ما أعطى ، لا إله لنا إلا هو ، ولا رب لنا سواه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

اللهم إنَّا على هذا نشهدك ، وكفى بك شهيدًا ، ونشهد ملائكتك ، ونشهد جميع حملة عرشك ، وجميع سكانك أرضك وسمواتك ، ونشهد كل ذرةٍ في الملك والملكوت ، أننا نشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا هو ، ونشهد أن محمدًا عبدك ورسولك : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

أنت المنَّان بالجزيل ، والغافر للعظيم ، والرحمن بالعبيد، والجابر للكسير فارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، لا إله إلا أنت .

أنت المفزع في الملمات ، وأنت المدعو للمهمات ، لا يندفع منها إلا ما دفعت ، ولا ينكشف منها إلا ما كشفت ، اكشف ما بنا من الضُّر والبلاء يا أرحم الراحمين .
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْت ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْت ، ولا مقدّم لما أَخّرت ، ولا مؤخّر لما قدّمت ، وَلا فاتِحَ لِمِا أَغْلَقْتَ ، وَلا مُغْلِقَ لِمِا فَتَحْتَ ، وَلا مُيَسِّرَ لِمِا عَسَّرْتَ ، وَلا ناصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ ، وَلاَ بَاسِطَ لِمَا قَبَضْت ، ولاَ قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْت : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢].
سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» متفق عليه (١) .
الحمد لله رب العالمين على ما منَّ به علينا من هذه المجالس المباركة التي نذكر الله فها كثيرًا ، ونذكر أسماءه وصفاته ، ونثني عليه بها .
الحمد لله الذي ساقنا إلى هذه المجالس ، وأجلسنا في موائد الإيمان وجعلنا نسمع بأذاننا ، ونتكلم بألسنتنا ، ما يرضي ربنا عزَّ وجلّ ، والحمد لله الذي جعلنا شركاء في الأجر المتكلم والسامع سواء ، وجعلنا بفضله في روضة من رياض الجنة .
قال النبي ﷺ : «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قَالُوا : وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ يا رَسول الله ؟ قَالَ : حِلَقُ الذِّكْرِ**» أو قال : «**مجَالِس الذِّكْر**» أخرجه أحمد (٢) .
فهذه الجنة الموجودة في الدنيا هي جنة المعرفة بالله ، ومن دخل جنة المعرفة في الدنيا أدخله الله جنة الأخرة يوم القيامة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].
والله عزَّ وجلَّ هو العلي الأعلى الذي له ملك السموات والأرض ، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم .
ونحن إذا تدبرنا في هذا الكون رأينا فيه ثلاثة :
الأول: موجودٌ لا أول له ولا آخر ، وهو الله عزَّ وجلّ ، هو الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣] .

متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٦٦١٥ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٤٧١ .
(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: ١٢٥٤٥.

الثاني : مخلوقاتٌ لها أول ولا آخر لها ، ولا نهاية لها ، وهم الثقلان الإنس والجن ، هؤلاء المكلفون في الدنيا بالإيمان والأعمال الصالحة ، ويوم القيامة هم مخلدون أبد الآباد في الجنة أو النار ، في الجنة من أطاع الله وآمن به ، وفي النار من عصى الله وكفر به .

وكذلك من مخلوقات الله التي لها بداية ، ولا نهاية لها ما أخفاه الله عنا من العرش والكرسي ، واللوح والقلم ، والجنة والنار وغيرها مما أخبر الله أنه خلقه .

الثالث من المخلوقات : هو بقية المخلوقات ، لها أول ، ولها آخر ، فكل مخلوق له أولٌ وآخر ، والله يبقي منها ما شاء ، ويفني منها ما شاء ، يبقي منها ما له وظيفة وينهي منها ما ليس له وظيفة مثل : السموات والأرض ، والشمس والقمر تنتهي ، لأنها مخلوقاتٌ أدت الوظيفة ، ودلت على خالقها ، وجميع الكون وما فيه من المخلوقات كلها مخلوقاتٌ عظيمة ، خلقها الله عزَّ وجلَّ لحكمٍ عظيمة .

خلقها الله عزَّ وجلَّ لحكمٍ أكثر من عشر :

فخلق الله عزَّ وجلَّ جميع المخلوقات العظيمة ، الكبيرة والصغيرة ، في العالم العلوي، والعالم السفلي شاهدةٌ بوحدانيته ، وخاضعة لأمره ، ومسبحةٌ بحمده ، ومستجيبةٌ لمشيئته ، ومسرعةٌ إلى إرادته ، ودالةٌ على عظمته ، ومظهرةٌ لكمال قدرته ؛ خلقها تثبيتًا لحكمته ، وتنبيهًا لعباده ، وتذكرة لبريته لينتقلوا من الصور إلى المصور ، ومن الخلق إلى الخالق ، ومن الدنيا إلى الآخرة ، ومن الشهوات إلى الأعمال ، ومن الشرك إلى التوحيد : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦-٨] .

فسبحان من خلق العقول والأسماع والأبصار ، وجعلها سبباً لمعرفته : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فالحمد لله رب العالمين أن منَّ علينا بكل نعمه ، وخلق هذه المخلوقات تسبح بحمد ربها ، وتشهد بوحدانيته ، ونحن من هذه المخلوقات خلقنا الله عزَّ وجلّ في أحسن تقويم ، وخلق فينا مخلوقاتٌ عظيمة ظاهرة وباطنة ، وجعل هذا الإنسان هو العالم

الأصغر ، هذا الإنسان الله طوى فيه العالم الأكبر ، هذا المخلوق الصغير الضعيف جعله الله مركباً من ثلاثة أشياء :

أحدها: جسدٌ غذاؤه الطعام والشراب ، ويشترك فيه مع الحيوانات .

الثاني: عقلٌ غذاؤه العلم والمعرفة ، ويشترك فيه المؤمن مع الكافر .

الثالث: قلبٌ غذاؤه الموعظة والذكر ، والإيمان والتوحيد ، ويشترك فيه المؤمن مع الملائكة .

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تفانى في طاعته ؛ لأنه عرف أنه الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، والملك الحق المبين، والقوي القدير ، والغني الكريم ، والسميع البصير ، والعليم الخبير .

ومن عرف أوامر الله ، ولم يعرف ربه كما يجب تفنن في التفلت من امتثال أوامره .

والله عزَّ وجلّ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ، هذه الصفات ثبوتية لله عزَّ وجلّ ، والله يريد منَّا أن نعرف هذه الأسماء .

فحمد الله نفسه ، وأثنى على نفسه في بداية خمس سور فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾
[الفاتحة: ٢ – ٧] .

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام/ ١] .

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف/ ١] .

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر/ ١] .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ
ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [سبأ: ١] .

ومجد نفسه ، وأثنى على نفسه فقال : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ
ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ
ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢] .

الله عزَّ وجلّ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، وقد نزَّهه نفسه وسبَّح نفسه ، وقدس نفسه عن النقائص والعيوب ، فقال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء/ ١] .

وقال : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[يس/ ٨٣] .

هو جلَّ جلاله سبح نفسه قبل أن يسبحه المسبحون ، وقبل أن يخلق المسبحين ، وحمد نفسه قبل أن يحمده الحامدون ، فلا أعرف من الله بنفسه إلا الله عزَّ وجلّ ، فالله عزَّ وجلّ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا .

ونزَّه نفسه عن صفات النقص بأساليب شتى :

فأولًا : سبح نفسه بنفسه ؛ لأنه أعلم بنفسه من خلقه فسبح نفسه قبل المسبحين فقال : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴿٦٨﴾ ﴾[يونس/ ٦٨] .

وقال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[الطور/ ٤٣] .

وقال : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[الصافات: ١٨٠ – ١٨٢] .

ثم أخبر عمن سبحه من مخلوقاته في الزمن الماضي فقال : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾[الحديد/ ١] .

ثم أخبر عن تسبيح المخلوقات له حالًا ومستقبلًا فقال : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾[الجمعة/ ١] .

وقال : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء/ ٤٤] .

ثم أمرنا بالتسبيح فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب/ ٤١-٤٢] .

نذكره بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونسبحه وننزهه عما لا يليق بجلاله من صفات النقص والعيب من النوم والغفلة ، ومشابهة الخلق ، فالله عظيم ليس كمثله أحد : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ١ – ٤] .

فالله عزّ وجلّ ملكٌ عظيم ، وملكه عظيم ، وخلقه عظيم ، وأمره عظيم ، وثوابه عظيم .

- **ويتجلى ملك الله العظيم من أكثر من عشرة أوجه :**

فالله له ملك السماوات والأرض.. وله ما في السماوات والأرض.. وله غيب السماوات والأرض.. وله خزائن السماوات والأرض.. وله مقاليد السماوات والأرض.. وله جنود السماوات والأرض.. وله ميراث السماوات والأرض.. وله ملك العالم العلوي والسفلي.. وله ملك الدنيا والآخرة.. وله ملك عالم الغيب والشهادة .

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١].

فالسموات والأرض ظرفان للأشياء ، والليل والنهار ظرفان للأعمال .

فالسماء : ظرفٌ للملائكة ، ومن شاء الله من المخلوقات .

والأرض : ظرفٌ للمخلوقات المختلفة .

والمخلوقات التي فيها لا يحصيها إلا هو ، وعادةً المظروف أعظم من الظرف ، المظروف كالذهب نضعه في علبة ، وقيمة العلبة أقل من قيمة الذهب .

فهذه الظروف كالسماء والأرض فيها مخلوقاتٌ عظيمة خلقها الله ، وجعلها ظرفًا للمخلوقات ، وأعظم من في ظرف السموات هم الملائكة ، وأعظم من في ظرف الأرض هو الإنسان .

فالسماء : ظرفٌ للملائكة ، ومن شاء الله من المخلوقات ، والأرض : ظرفٌ للمخلوقات ، وهذان الظرفان الكبيران كل منهما ومن فيهما يسبح بحمد ربه ، وهذان الظرفان ومن فيها كلها مخلوقاتٌ فيها حياةٌ مستقرة ثابتة ، فلا يسبح الله إلا حي ، ولكن لكل مخلوقٍ حياةٌ تخصه :

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٣ - ٤٤].

جميع المخلوقات كلها أحياء تسبح بحمد ربها ، فالطاعة فرع الحياة ، فالذي يسبح هو الحي الذي يسبح مطيع ، والمطيع لابد أن يكون حياً يسبح بحمد ربه بلغته ، كلٌ يسبح بحمد ربه في محرابه ، ويصلي صلاته التي علَّمه الله ، كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه فعالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنس ، وعالم الجن ، وعالم الملائكة جميع هذه العوالم مكونةٌ من ذرات ، وكل ذرة تسبح بحمد ربها ، وكل ذرةٌ في الكون حية ، فلا يعبد الله ولا يسبح الله ولا يحمد الله إلا حي :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور: ٤١].

فالتسبيح والسجود واقع من كل المخلوقات ، وذلك لا يقع إلا من حي .

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة/ ٧٤] .

فهذه الجمادات والذرات لها حس تتحرك وتدرك وتعرف ، وهي مظهر لجلال الله في خلق الكبير والصغير ، والقوي والضعيف ، والقادر والعاجز .

ومظهرٌ لجمال الله بأن جعل هذه المخلوقات زينة ، وجعل فيها ثمرات ، وسخرها لنا .

فجميع المخلوقات شاهدةٌ بوحدانية الله ، ومسبحة بحمده .

وهي مظهرٌ لجلال الله في خلق الكبير : كالعرش والكرسي ، والسموات والأرض ، وخلق الصغير : كالذرة والبعوضة والهباءة ، وغيرها ، فهي مظهر لجلال الله ومظهرٌ لكمال قدرته ، ومظهر لجماله .

والله خلق جميع المخلوقات أحياء ، ولكن لكل مخلوقٌ صلاةٌ تخصه ، وطاعة تخصه ، وذكر يخصه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: ١٨] .

وجميع المخلوقات التي خلقها الله كانت معدومة فأوجها اللهَ ؛ لأن الله هو الأول ، فلا شيءً قبله ، والآخر فلا شيء بعده ، فالله عزَّ وجلّ هو الأول قبل كل شيء ، ثم خلق السماوات والأرض وغيرها .

فالله خلق السماوات والأرض ومن فيهنَّ من العوالم .

الأرض ظرف فيها عوالم كثيرة ، فيها عالم الجماد أوسع العوالم ؛ هذه الأرض الواسعة ، والجبال الشاهقة ، والبحار الزاخرة هذه الأرض مملوءة بمليارات المخلوقات من عالم الجماد .

وعالم النبات أكثر من أربعين مليون صنف كل صنف مكون من ذكر وأنثى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وكل صنف له ذرية ، فالنخلة الأولى خلقها الأول جلَّ جلاله ، وخلق كل أولٍ من النخل ، من النبات ، من الحيوان ، من الملائكة خلق كل أول ، هو الأول الذي أول الأول ، وأخر الآخر بقدرته : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣].

فهذه الأرض ظرفٌ عظيمٌ ، وظرفٌ كبير ملأها الله بالمخلوقات أعظم المخلوقات عالم الجماد ثم يليه عالم النبات الذي هو أكثر من أربعين مليون صنف من النباتات ! ثم خلق الله فوق عالم النبات عالم الحيوان ، وهم أكثر من مليون صنف تقريبًا على ظهر الأرض ، ومثلهم مليون صنف في باطن البحر ، والكل يسبح بحمد ربه ، ويشهد له بالجلال والعظمة والكبرياء ، ويشهد له بالجمال والرحمة والإحسان: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

ثم فوق عالم الحيوان عالم الإنسان ، وعالم الإنسان جاء من آدم ، والله خلق من آدم زوجه حواء ، وجاء منهما النسل إلى يوم القيامة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

ففي كل إنسان من بني آدم ثلاثة أشياء :

الأول: فيه ذرةٌ من الخلق الذي خلقه الله بيده ، فالله خلق آدم بيده ، ففي كل واحد منَّا ذرةٌ حيةٌ من آدم ﷺ ؛ ولذلك يجب أن نحترم الإنسان ، ونقدر الإنسان ، ونكرم الإنسان من حيث هو إنسان ، سواءٌ كان كافراً أو مسلماً بر أو فاجر ، المؤمن نتعاون معه على الخير ، والكافر ندعوه إلى الله ، والجاهل نعلمه ، والمحتاج نواسيه : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

نحن نقدر ونحترم الإنسان ، ونكره الصفات التي لا يرضاها الله فيه ، فالبشر كلهم يرجعون إلى واحد وهو آدم ، وآدم يرجع إلى الأول جلَّ جلاله الذي أول هذا الأول ، آدم أبو البشرية ، وفي كل واحد منَّا ذرة من آدم ، فلابد أن نكرم هذا الإنسان ، ونحتفي به ؛ لأن الله شرفه ، وفينا من هذا التشريف الذي كرم الله به آدم له .

الثاني: في كل واحد منَّا روح من الروح التي نفخها الله في آدم ﷺ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر: ٢٨ – ٢٩] .

الثالث: في كل واحد منَّا حياةٌ مستقرة من آدم إلى أن تقوم الساعة ، فالله ﷻ جعل هذا النسل بواسطة النكاح يتكاثر ، فهذا النسل يتكاثر بواسطة الماء ، والماء يتكون من الطعام والشراب ، والطعام والشراب يخرج من الأرض .

هذا الجسد الذي شهد خلق الله له بيده جسدٌ شريفٌ عظيم خلق الله هذه الأنفس البشرية بيده ، ففيها ذرة من الذرة الموجودة في آدم التي شهدت خلق الله تعالى.. وفيها روح من الروح التي نفخها الله في آدم.. وفيها حياة من الحياة المستقرة في آدم إلى أن تقوم الساعة هذه ثلاث صفات في آدم وذريته : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

فالله جمع ذرية آدم في صلبه ، ثم أخرجهم من صلبه ، وأشهدهم على ربوبيته ووحدانيته فأقروا له بذلك ، ثم أعادهم إلى صلب آدم يخرجون منه واحداً واحداً : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣] .

ثم بعد ذلك الله ﷻ يقدِّر الأعمار ، الله يخلق ما يشاء ، خلق يوماً مدته أربعة وعشرين ساعة كأيام الدنيا ، وخلق يوماً مقداره سنة ، وخلق يوماً مقداره ألف سنة، وخلق يوماً مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة ، وخلق يوماً لا نهاية له ، وهو بعد القرار في الجنة أو النار : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦] .

فهذه الأعمار تزيد وتنقص جعل آدم عمره ألف سنة ، ونوحاً ألف سنة إلا خمسين عامًا جعل الأعمار تختلف ، ثم بدأ العمر ينقص حتى استقر في هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين.

قال النبي ﷺ : «**أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ**» أخرجه الترمذي (١) .

فلا إله إلا الله ، ما أعظم قدرته ، وما أعظم خلقه : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١١] .

فسبحان الأول الذي ليس قبله أول ، والآخر الذي ليس بعده آخر .

فالله عزَّ وجلّ أمرنا أن نسبحه ، أمرنا أن نعظمه ونكبره ، ونثني عليه بأسمائه الحسنى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

سبح نفسه قبل أن يخلق أحد : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢] .

سبح نفسه قبل أن يسبحه المسبحون ، وحمد نفسه قبل أن يحمده الحامدون ؛ لأنه جلَّ جلاله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، هو الأول قبل كل أول ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣] .

وجميع ما في السموات والأرض وجميع من في هذه الظروف ، كل الظروف ، وكل المظاريف التي فيها كلها لا تساوي مثقال ذرة مما في خزائن الله ، وما في خزائن الله لا يساوي ذرة مما في غيب الله ، فالله يخرج من غيبه إلى خزائنه ، وخزائنه ، في السماوات والأرض ، فالسماوات والأرض ومن فيهن والدنيا والآخرة لا تساوي ذرة من خزائنه ، وخزائنه لا تساوي ذرة مما في غيبه ؛ لأن غيبه في كُنّ فيكون ، غيبه لا يعلمه إلا هو : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩] .

فسبحان من بيده الملك والملكوت ، والخلق والتصوير ، والتدبير والتصريف : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك/ ١] .

كم من سبحه ؟: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ [الحديد/ ١] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: ٢٣٣١.

وأنت متى تسبحه؟: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ٥ ﴾ [الأعلى: ١ – ٥].

فعلينا إثبات أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، ونفي ما لا يليق بجلاله من الأسماء والصفات: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢ ﴾ [الحديد/١-٢].

ومن أفعال الأول سبحانه: ﴿ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ ﴾ [الحديد/ ٢].

يحيي عالم الجماد، عالم النبات، عالم الحيوان، جميع المخلوقات يحيها ويميتها، وجميع المخلوقات حيَّة فلا يقوم بالطاعة والتسبيح إلا حي، الميت ليس له قدرة على الحركة، ولا يشعر بأحد، فجميع المخلوقات حية، ولكن لكل مخلوقٌ حياةٌ تخصه، ونحن أحياء، والموت إنما ما هو مَعبرٌ من الدنيا إلى القبر، ثم في القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، والنعيم والعذاب لا يكون إلا على حي، ثم يوم القيامة تكون الحياة المستقرة، حياة بلا موت، في دار القرار في الجنة أو النار.

فالله له ملك السماوات والأرض، ومن أعظم صفاته العلم والقدرة، والخلق والرزق، والتدبير والتصريف، والإحياء والإماتة له ملك السموات والأرض: ﴿ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢ ﴾ [الحديد/ ٢].

نحن نرى الحياة والموت في كل يوم في النبات والحيوان، فسبحان القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣ ﴾ [الحديد/ ٣].

وقد ورد اسم الله الأول والآخر في القرآن مرة واحده.

هو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، هو الأول قبل خلق الأشياء، الباقي بعد فناء الأشياء، هو الأول في القوة، هو الأول في الرحمة، هو الأول في العزَّة، هو الأول في الصدق، هو الأول في الإحسان، هو الأول في الملك والملكوت، هو الأول قبل كل أول، والأخر بعد كل آخر: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ٤٢ ﴾ [النجم/ ٤٢].

هو الأول والآخر في الملك، هو الأول والأخر في العظمة، هو الأول والأخر في الكبرياء، هو الأول والآخر في الكرم والعطاء، هو الأول والأخر في القوة والقدرة، هو الأول والأخر في الرحمة والمغفرة، هو الأول والأخر في الحكم والحكمة، هو

الأول والأخر في العلم والإحاطة ، هو الأول والأخر في الحمد والشكر ، هو الأول والآخر في البر واللطف ، هو الأول والأخر في الإنعام والإحسان ، هو الأول والآخر في الحلم والعفو : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣] .

هو العلي الأعلى ، له علو الذات ، وله علو الأسماء والصفات ، وله علو القدر والمهابة والجلال جلَّ جلاله .

هو الأول في الأسماء الحسنى ، هو الأول في الصفات العلا ، هو الأول في الأفعال الجميلة ، هو الأول في المثل الأعلى ، هو الأول في الدنيا وفي الآخرة وله الحمد في الأولى والآخرة : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣] .

عليمٌ بالعمل قبل أن نعمله ؛ لأن الله خلق الإنسان وخلق أعماله ، وخلق نيته ، وخلق سرَّه وجهره فالله عليمٌ بكل شيء .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك/ ١٤] .

هو الأول في العلم ، فهو وحده العليم بما كان وما يكون وما سيكون ، لكن علم الإنسان ناقص ؛ لأنه موهوبٌ من العليم ، وهبني العليم علمًا فصرت عالمًا ، وعلمي مأخوذٌ من علم الله ، وعلم الله مطلق وعلمي محدود ، وعلم الله كامل وعلمي ناقص، فالله عزَّ وجلّ عليمٌ بكل شيء ، خبير بكل شيء : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد/ ٣] .

عليم بكل شيءٍ مهما كان صغيراً أو كبيراً هو جلَّ جلاله العليم الخبير ، يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ذرات الرمال ، ويعلم الرطب واليابس ، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض ، لا تواري منه سماءٌ سماءً ، ولا أرضٌ أرضًا ، ولا جبلٌ ما فيه وعره ، ولا بحرٌ ما في قعره : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

هو الأول الذي خلق هذه المخلوقات الكبيرة والصغيرة ، الظاهرة والباطنة ، وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي لها أولٌ وآخرٌ ، واستثنى الله من هذه

المخلوقات الجن والإنس وما خصَّ الله عزَّ وجلّ من الجنة والنار فهؤلاء لهم أولٌ ، وليس لهم آخر .

فالله عزَّ وجلّ هو الأول والآخر ، فكيف نعرف الله باسمه الأول والآخر ، نعرف الأول الذي ليس قبله شيء ، ولم يزل كذلك أولًا ، ولا يزال كذلك أبدًا ، له سبحانه أولوية الشرف والسؤدد ، وله أولوية الجلال والجمال ، وله الأولية في الأمثال والمراتب ، وله المعالي والمحاسن كلها ، لأنه العظيم الذي له جميع الأسماء الحسنى بحقائقها ، وله جميع الصفات العلا بكمالها وجميع الأمثال الكبرى بكمالها : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/٨] .

الله عزَّ وجلّ هو القوي ، وهو الأول في القوة ، وكل قوة في العالم من القوي الأول الذي وهب الضعيف القوة ، فصار قويًا ، وعنده خزائن القوة ، وهو القوي الذي لم يكن له كفوًا أحد في القوة ؛ لأن القوة صفة ذاتيه له ، والقوة في كل مخلوق هبةٌ منه ، وإذا شاء سلبها ، هو الذي أعطى النار قوة الإحراق ، وإذا شاء سلبها منها كما سلبها لإبراهيم ﷺ فصارت بردًا وسلامًا عليه : ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩] .

ليس القصد فقط إنجاء إبراهيم ، الله قادر أن ينجي إبراهيم بإطفاء النار ، أو برفع إبراهيم ، أو بإعماء بصائرهم عنه ، ولكنَّ الله عزَّ وجلّ أراد أن تبقى النار مشتعلة ، ثم الله عزَّ وجلّ بحسب يقين إبراهيم جعلها برداً وسلاماً عليه وهي تشتعل ، جعل الله الضار نافعاً ، والمحرقة حافظة ، إظهاراً لقدرته ، وتنبيهاً لبريته ، ليعلموا أن الله وحده له الخلق والأمر : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر: ١٣].

فهذه النار سلبها القوى قدرة الإحراق ، وسخرها له ، فصارت جنديًا من جنود الله تحفظه لا يقترب منها أحد ، وظل إبراهيم فيها حياً آمناً ، ظلت تشتعل وظل إبراهيم فيها ، لماذا ؟ بحسب قوة اليقين جاء النصر .

وهذه سنةٌ شرعيةٌ من ربنا عزَّ وجلّ إلى يوم القيامة ، من كان يقينه على الله فالله يمنع المخلوقات أن تضره ، ومن كان يقينه على غير الله أذله بهذه المخلوقات ، وعذَّبه بها حتى يعود إلى ربه : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن

﴿ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣] .

فبكمال اليقين يحصل النصر والحفظ والتمكين .

إبراهيم ﷺ استسلم لأمر ربه حين أمره بذبح ابنه اسماعيل، واستسلم إسماعيل للذبح .

فالله عزَّ وجلّ بسبب استسلام إبراهيم وإسماعيل ، وإسلامهم لقضاء الله وقدره ، ورضاهما بما أمرهم الله به ، فذبح البشر محرم إلا بحق ، وذبح الإنسان لا يجوز ، بل هو من الكبائر ، لكن إذا أمر الله به ، فهو طاعة فإبراهيم استسلم للتنفيذ ، وإسماعيل استسلم للذبح ، وكلاهما صادق ، فجاء الفرج من الله .

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الصافات/١٠٣-١٠٦] .

لما استسلم إبراهيم وإسماعيل فدى الله إسماعيل بذبحٍ عظيم ، ولم يكتف بهذا بل أعطى الله إبراهيم إسحاق بعد إسماعيل ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب .

فبقدر اليقين على الله تأتي نصرة الله لأي مخلوق ، ما دام مؤمناً راضياً بقضاء الله وقدره، والله قدَّر علي هذا الشيء من مرضٍ أو بلاءٍ أرضي به ، وأصبر عليه ، وأسأل الله أن يرفعه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١] .

إذا كان عند المؤمن اليقين الحق على الأول القادر الذي جاء بالبلاء ، وهو الذي يزيده ، وهو الذي ينقصه ، وهو الذي يرفعه ، ثم دعا بعد هذا اليقين أجاب الله دعاءه فوراً ، كما دعا نوح فاستجاب الله له : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القمر: ١٠ – ١٤].

هذا القلب إذا امتلأ بمثل هذا اليقين الله عزَّ وجلّ يستجيب دعاءه فورًا كما استجاب دعاء الأنبياء : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ – ٨٨] .

من أمن بالله نفعه التوحيد في الظلمات ، ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت .

فيونس ﷺ طلب مغفرة الله ، وسبح الله ، ونزهه عما لا يليق به ، فماذا كانت الإجابة : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٨] .

فهذه سنة جارية من ربنا إلى يوم القيامة .

من تيقن على الله في بلاءٍ نزل به ، ورضي بما قدَّر الله عليه ، وسأل الله وحده أن يرفعه ، الله عزَّ وجلّ يرفع هذا البلاء بقدر قوة اليقين ، ويمنع هذا المخلوق الضار أن يضر هذا الإنسان كما منع النار أن تحرق إبراهيم ، ومنع البحر أن يغرق موسى ، ومنع الحوت أن يهشم ضلعًا من أضلاع يونس ﷺ ، كما أنه القادر أن يجعل غير القابل قابلاً : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٩ – ٩٠].

فالله عزَّ وجلّ من رحمته بنا أن عرفنا بأسمائه وصفاته ، ومن أسمائه الأول ، يريد أن نعرف الأول ؛ لنعود إلى الأول ، ونرجع إلى الأول ، ونسأل الأول ، ونقف بباب الأول ، ونطلب العفو من الأول فليس عند الثاني شيء : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

في الكون اثنان : خالق ومخلوق، وصور ومصور، وقادر وعاجز ، ورازق ومرزوق .

فالأول : هو الخالق البارئ المصور الرازق ، فنعود إلى الأول ونسأله ، وهذا الأول جلَّ جلاله هو الأول بذاته ، هو الأول بأسمائه الحسنى ، هو الأول بصفاته العُلا ، هو الأول بأفعاله الجميلة التي تجري على وفق الحكمة والرحمة والعدل والإحسان : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

له سبحانه أولوية الشرف والسؤدد ، وله أولوية الجلال والجمال ، له صفة الجلال هو الأول في الجلال والجبروت ، والملكوت والكبرياء الله أكبر الله أكبر مطلقًا ! ، الله أكبر من كل شيء ، أكبر مما عرفت ومما لا تعرف ، والعرش كبير ، وجميع المخلوقات العرش قد أحاط بها ، السماوات والأرض هذه الظروف فيها مظاريف

كثيرة ، وجميع هذه الظروف والمظاريف كلها في داخل الكرسي : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

فالعرش محيط بجميع المخلوقات ، والله محيطٌ بالعرش ، ومحيطٌ بكل محيط ، هو الأول الذي يعود إليه ، ويرجع إليه ، كل الأول من مخلوقاته كبيرها وصغيرها ، حيها وميتها ، فله سبحانه أولوية الشرف والسؤدد ، وله أولية الجلال والجمال فلا أتعلق بمخلوقٍ غيره بل أتعلق به وحده جلَّ جلاله ، وله الأولوية في المراتب والمعالي ؛ لأنه العظيم الذي له جميع الأسماء الحسنى ، والصفات العلا بحقائقها : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/٨] .

هو سبحانه الخالق الأول ، الرازق الأول ، الإله الأول ، الرب الأول ، الملك الأول ، المبتغى الأعلى ، الكبير الذي إليه المنتهى .

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم/ ٤-٥] .

هو سبحانه الأول قبل الأشياء ، الباقي بعد فناء الأشياء ، الذي كتب كل أولٍ وآخر ، وخلق كل أول وآخر ، وأحصى كل أول وآخر ، وقهر كل أول وآخر : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

هو الأول الذي علم كل شيء ، وكتب كل شيء من النيات والأقوال والأعمال ، والحركات ، وكافة المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي كتب كل يوم وما فيه من الحركات والكائنات ، في كل ثانية مليارات المخلوقات يخلقها الله ، ومليارات الحركات ، ومليارات الأقوال ومليارات الأعمال التي لا يحصيها إلا هو : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

والإنسان يتنفس في اليوم أربعة وعشرين ألف نفس ، ويتكلم بكلام كثير فمن يحصي هذه الأنفاس؟، وهذه الألفاظ؟، وهذا الكلام؟، من يحصي الملائكة؟، من يحصي الذرات في الهواء؟، من يحصي الحبوب والثمار؟ : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

فلا إله إلا الله العليم بكل شيء القادر على كل شيء . هو الأول الذي خلق كل أولٍ وآخر ، خلق آدم وخلق آخر إنسان من البشر ، خلق السماوات ، وخلق جميع الذرات ، خلق الأرض ومن فيها ، وخلق في الأرض كل أولٍ وآخر من عالم الجماد ، وعالم النبات وعالم الحيوان ، في كل ثانية يخلق الله مليارات النباتات ، ومليارات الحيوانات في البر والبحر ، والجو .

فسبحان من هذا خلقه ، وهذه قدرته ، وهذا ملكه : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١١] .

هذا الإله الخالق العظيم هو الأول الذي يستحق أن يعبد ، وأن يشكر وأن يكبر ، وأن يحمد ، ونحن نعبده لا ذلةً ولا مذلة ، بل تشريف لنا بأن نرتبط ونتصل بالخالق ؛ لأن الذي في معية الكبير كبير ، والذي في معية العزيز عزيز ، والذي في معية الغني غني ، والذي في معية القوي قوي ، فأنا أتصل بالخالق الأعلى ، وأخذ منه طريقة الحياة ؛ لأن الله عزَّ وجلّ لا يريد أن يذلنا بهذه العبادة بل يريد أن يصلنا به جلّ جلاله ، يصلنا بمن له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ، بأن نتصل به في جميع أحوالنا : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

نعبده لأنه هو الذي خلقنا ، وهو خالق كل شيء وبيده ملكوت كل شيء .

والله عزَّ وجلّ أمرنا بعبادته ، لنحقق الخلافة في الأرض ، بأن نتصف بالصفات العالية، ونقوم بالأعمال بمزاج سمعنا وأطعنا لما أمرنا به ربنا ، فالتكليف بالأوامر والنواهي تشريفٌ لنا ، وخضوعٌ لربنا العلي الأعلى لا يريد الله عزَّ وجلّ أن يذلنا ، بل هو العزيز الذي له العزَّة ، وخص من شاء من عباده بالعزة : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون/ ٨] .

والله أعزَّنا بالاتصال به وسؤاله هو ؛ لأنه العزيز ، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز ونحن الأعزة مادمنا مؤمنين بالعزيز ، فكن عبد العزيز تكن عزيزاً : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ فاطر: ١٠

الله عزَّ وجلّ هو الأول الذي خلق كلِ أولٍ وآخر ، وهو الملك الذي ملك كل أولٍ وآخر ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠] .

فسبحان الملك الذي ملك كل أولٍ وآخر ، الأول الذي أعطى كل أولٍ وآخر ، العطاء منه كل عطاءٍ منه ، الله أعطاني فأعطيت ، الله أعطاني مالًا فأنفقت ،وأعطاني رحمة فرحمت ، وأعطاني أخلاقًا فحلمت ،وأعطاني علمًا فعلمت ،وأعطاني قدرة فأعنت .

هو واهب النعم كلها جلَّ جلاله : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

هو المعطي الذي يعطي ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، والإنسان وسيلة فالله يعطي بالأسباب ، وأحيانًا بدون الأسباب ، وأحيانًا بضد الأسباب .

هو الأول الذي يفعل ما يشاء ، وكل ما سواه ثاني ، وهذا الثاني مخلوق عاجز ، والله هو الخالق القادر ، والمخاليق كلهم عبيد للخالق الأول جلَّ جلاله ، هو الأول في الخلق ، الأول في الملك ، الأول في الرحمة ، الأول في العدل ، الأول في الصدق ، الأول في كل شيء : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣] .

وعنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ** » أخرجه البخاري(١) .

كَانَ الله وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ثم خلق المخلوقات ، وكل ما سوى الله مخلوق ، وكل مخلوق مربوب ، وكل مربوب لابد له من طاعة من رباه ، وعبادة من خلقه ، لكن المخلوقات كلها أمرها الله بالطاعة فأطاعت ، وأما الإنس والجن فمنهم المطيع والعاصي ، والمؤمن والكافر .

جميع المخلوقات الله عزَّ وجلّ من كَرمه وإحسانه إلى الخلق خير جميع المخلوقات ، وعرض عليها الأمانة فأبت لعظمة المسؤلية ، وحملها الإنسان : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٢] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: ٧٤١٨.

فكافة المخلوقات عرض الله عليها الأمانة بأن تكون مختارة تطيع أو تعصي، فأشفقت من حمل الأمانة؛ لأنها خافت أن تعصي ربها وهي قد عرفته، فاختارت أن تكون مسخرة، لا مخيرة.

اختارت اختيارًا واحدًا، اختارت أن تكون مسخرةً مسيرة تسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيته، فاختارت اختيارًا واحدًا أن تكون مسخرة مستجيبةٌ لمشيئة الله، ومسرعةٍ إلى إرادته، وخاضعة لأمره لكنَّ الإنسان لما عُرضت عليه الأمانة وهي التكليف في الدين حملها، إنه كان ظلومًا لنفسه حين تحمل الأمانة، جهولا يجهل العواقب.

ثم سخر الله لمن يحمل الأمانة كل شيء: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

ولهذا لما تحمل الإنسان الأمانة جعله الله مختارًا في طول عمره يموت هذا ويخلفه هذا إلى أن تقوم الساعة، لكن السماوات والأرض، والجبال والمخلوقات الأخرى اختارت أن تكون مسخرة، ولهذا فهي طائعة لربها، باقية إلى قيام الساعة: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

تلك المخلوقات مجبولة على التسبيح والتقديس لله عزَّ وجلّ، لكن هذا الإنسان حمل الأمانة، والأمانة هي قبول التكليف، والتكليف أن آتي إلى ربي طوعًا بالمحبة، والمخلوقات كلها جاءت إليه تسخيرًا وقهرًا، اختارت هذا الاختيار الأول، أما نحن البشر فلنا اختياراتٌ مختلفة في حياتنا تنزل علينا الأوامر من ربنا، فإما أن نطيع أو نعصي، إما أن نؤمن أو نكفر: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وهكذا حمل الإنسان هذه الأمانة لما قبل الإنسان الأمانة الله عزَّ وجلَّ أعطاه السمع والبصر والعقل، وسخر له ما في السموات وما في الأرض إكراماً واعتباراً.

﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

سخر الله له كل شيء لماذا؟، ليعرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، ويعرف إحسانه إليه، وإنعامه عليه، فيستحي من ربه فيطيعه إذا أمره بالطاعة، ويطيعه إذا نهاه

عن المعصية ، ولكن الإنسان بحسب بيئة التذكير إذا وجد المذكر تذكر ثم ذكر ، وإن لم يوجد مذكر عاش في الغفلة ، ثم جاء الشيطان وفتح له أبواب المعاصي من الصغائر والكبائر : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

ولهذا أرسل الله الرسل تترًا على الأمم ؛ لأن كل أمة لهم سكنٌ في قطعةٍ من الأرض ، والاتصال كان صعبا بين الناس في مناطق متباعدة ؛ ولهذا الله عزَّ وجلَّ بعث في كل أُمةٍ رسول ؛ لأنه كلما ظهر داءٌ في الأمة أرسل الله إليهم رسولاً ليعبدوا الله وحده : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦].

ثم الله عزَّ وجلَّ لما علم أن هذه الأمة ستجتمع وستتقارب ، وستكون كالقرية الواحدة أرسل لها سولًا واحدًا ، وكتابًا واحدًا ، وشريعةً واحدة ، وجعل العلماء في هذه الأمة خلفاء لنبيه صلى الله عليه وسلم في بيان وتعلم وإبلاغ جميع ما جاء عن الله ورسوله : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

فلما علم الله أن هذه الأمة ستكون كقرية واحدة ، وأن الشر إذا وقع في بقعة انتشر في العالم في بضع ثواني أو دقائق ، والخير إذا انتشر في بلد أو في أي مكان في بضع دقائق يأتي بوسائل الاتصال التي نحن الآن ننعم بها.

الحق نقوله نسمع العالم كله ، الرذيلة تنتشر في العالم بسرعة ، الفضيلة تنتشر في العالم بسرعة فعلينا أن ندخل مع هذه الأبواب لنقول للبشرية : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٧٣] .

وتقول للناس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .

واتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأطيعوه ؛ لأنه الله عزَّ وجلّ أرسله إلينا ، وأكمل به لنا الدين فلنا رسولٌ واحد ، ولنا كتابٌ واحد ، ولنا شريعةٌ واحدة : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

فيجب أن ندخل في هذه المنابر ونتكلم مع الناس ، ونسمع الله ، ونسمع الخلق ما يجب لله من التوحيد والإيمان والعبادة ، وندلهم على الأول جلَّ جلاله ، ولا نعلقهم بغيره بل نأمرهم أن يعودوا إلى الأول الذي أول كل أول ، وخلق كل أول ، ورزق كل أولٍ من خلقه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠١ – ١٠٢] .

فنحن تحملنا هذه الأمانة فعلينا أن نمتثل أمر الله عزَّ وجلّ في كل شيء ، فلا بد من بيئة الإيمان ، وبيئة الذكر ، حتى نقوى على طاعة الله ، ويأتي في القلوب الحب و الإيمان ، ثم إذا جاء الإيمان ، جاء حب الأعمال الصالحة وصارت شهواتنا في محبوبات الرب ، وطاعتنا في محبوبات الرب ، وأصبحنا نقف بين يدي الله ليلًا بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ ﴾ [المزمل: ١ – ٢] .

ونقف بين يدي الخالق نهارًا بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧ ﴾ [المدثر: ١ – ٧] .

فهذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، وعليها واجبات عظيمة كالرسل :

الواجب الأول : واجب الدعوة للتوحيد والإيمان بالله عز وجل : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

والواجب الثاني: واجب عبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧ ﴾ [الحج: ٧٧] .

والواجب الثالث : تعليم الناس بعد الهداية لشرع الله : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

والواجب الرابع : الإحسان إلى الخلق : ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

هذه واجباتٌ متكاملة لابد من عبادة الحق ، والإحسان إلى الخلق ، ليعبد الحق ، الحق لا بد أن نعرفه ، ثم نعبده ، ونعرف الناس به ، ونؤلف الناس بالكلام الجميل بالإحسان بالإكرام بالإنعام ، حتى الناس يحبون الدين من خلال صفاتنا ، ثم إذا انفتحت قلوبهم زرعنا فيها ووضعنا فيها ما يحبه الله ورسوله من الإيمان التقوى .

فالله عزَّ وجلّ هو الأول الذي خلق كل أول من الجماد والنبات والحيوان ، والإنس والجن والملائكة وجميع المخلوقات ، في كل يوم يخلق الله عزَّ وجلّ أوائل لا يحصيها إلا هو من المخلوقات التي يخلقها لأول مرة ، وكل يوم يولد مواليد الأول لفلان ، الأول لفلانة ، والأول من كذا ، والأول من كذا ، هو أول الأولين ، فلا شيء قبله ، وهو آخر الآخرين ، فلا شيء بعده: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢ ﴾ [النجم/ ٤٢] .

هو سبحانه الأول الذي ابتدأ خلق كل شيء ، هو الأول الذي أول الأول من المخلوقات ، هو الذي أول الليل ، وأول النهار ، وأول الإنس ، وأول الجن .

هو الأول الذي خلق الأول من كل أول خلق آدم من الجنس البشري ، وخلق الشمس، وخلق القمر ، وخلق النجوم ، وخلق السماوات ، وخلق الأرض ، وخلق الذرات ، وخلق الجمادات ، وخلق النباتات ، وخلق الحيوانات ، هو الأول الذي أولَّ كل أول ، هو سبحانه الأول الذي ابتدأ خلق كل شيء : ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣ ﴾ [الحديد: ٣] .

هذا الاسم العظيم لابد أن نعرفه ، ولابد أن يكون لنا حظٌ من هذا الاسم العظيم كيف نعبد الله بموجب هذا الاسم ؟ لكن قبل أن نعبد الله به ، لابد أن نعرف الأول ، لنعبد الأول ، ونتوكل على الأول ، ونسال الأول .

فالأول عنده خزائن كل شيء ، عنده العلم أساله أن يرزقني العلم ، وعنده الرحمة أسأله أن يرحمني ، وعنده الحكمة أسأله أن يهبني حكمة وحكمًا ، وهو جلَّ جلاله الذي يملك كل شيء ، وعنده خزائن كل شيء ، وبيده ملكوت كل شيء ، فلابد لكل

ثاني أن يرجع إلى الأول فكلٌ راجعٌ إلى الله : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦].

هو سبحانه الأول الذي ابتدأ خلق كل شيء ، الأول الذي أول الأول من المخلوقات ، والآخر الذي أخر الآخر من المخلوقات ، نحن لا نعلم من يكون الآخر من ذرية آدم ، من الآخر من النباتات ، من الآخر من الحيوانات.. وهكذا.

فسبحان من خلق الأول والأخر من كل مخلوق ، وعلم الأول والآخر من كل كائن : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد: ٣].

وجميع المخلوقات لها أولٌ وآخر إلا الله ، فهو الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية لا إله إلا هو ، ولا رب سواه : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد: ٣] .

هو الأول الذي أول الأول من المخلوقات ، أول من شاء من الأمم ، وأخر من شاء ، ونحن آخر الأمم ، لكن نحن أولهم يوم القيامة في الحساب ودخول الجنة .

هو الأول الذي يقدم من شاء ، ويؤخر من شاء ، وهو الذي أول اليوم على الليل ، هو الذي قدم الصيف على الشتاء وقدم المخلوقات بعضها على بعض ، وفضلَّ هذا على هذا .

هو الأول الذي أول الأول من المخلوقات ، وأخر الآخر من المخلوقات ، وهو إله الأولين والآخرين ورب الخلق أجمعين .

هو الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، ليس كمثله شيءٌ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١] .

هو الأول والآخر في الأسماء الحسنى ، الأول والآخر في الصفات العلا ، هو الأول والآخر في الجلال والجمال ، هو الأول والآخر في الأنعام والإحسان ، هو الأول والآخر في العدل والإحسان ، هو الأول والآخر في الإيجاد والإمداد ، هو الأول والآخر في الهداية والإسعاد ، هو الأول والأخر في التصريف والتدبير : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد/ ٣] .

هو الأول والآخر في القوة ، هو الأول والآخر في العلم ، هو الأول والآخر في الصدق ، هو الأول والآخر في الملك ، هو الأول والآخر في الرحمة : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ

يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

هو الأول بلا ابتداء ، والآخر بلا انتهاء ، أما مخلوقاته فلها أولٌ ولها آخر ، هو الذي خلق الأول ، وهو الذي خلق الآخر ، وهو الذي أول الأول ، وآخر الآخر ؛ لأنه الأول الذي أول الأول ، والآخر الذي آخر الآخر ، هو الأول في الإحسان ، والآخر في الإحسان .

هو الأول والآخر في الذات ، والأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/٨] .

فالحمد لله رب العالمين أن لنا ربًا له الخلق والأمر والملك كله وهو الأول الذي خلق كل أول ، ومادمت عرفت الأول فليس لك حاجةٍ بالثاني ، الثاني عندما جاء من الأول ، والله واحدٌ لا ثاني له : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

الحمد لله رب العالمين أن منَّ علينا بمعرفة الأول ، ومنَّ علينا بنعمة الهداية ، والله عزَّ وجلّ أعطانا هذه الحياة ، لنعرف الأول ونعبده وحده لا شريك له .

والحياة إما أن تكون حياة حيوانية ، أو حياة سبُعيه ، أو حياة إبليسيه ، أو حياة ملكية ، والله يريد منَّا أن نترقى حتى نصل إلى الحياة الملكية التي مزاجها سمعنا وأطعنا .

ونحن في هذه الحياة لنا جزءٌ من الدنيا نعيش فيها هذا العمر ، فالحياة عبارة عن قوس ، والموت قوسٌ آخر مقابلٌ لها ، وما بينهما بأيدينا إن شئنا أن نؤمن أو نكفر ، أو نطيع أو نعصي ، أو نصدق أو نكذب ، فبمثل هذه البيئات والمجالس الإيمانية يزيد حبنا لله ، وتزيد طاعتنا له ، وتتحسن أخلاقنا ، نحن بحاجة إلى هذه البيئات الإيمانية ، قبل أن يأتينا الموت .

والموت سهمٌ مرسلٌ من الله إليك ، وعمرك بقدر وصوله إليك : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الجمعة: ٨] .

الله خلق الموت والحياة وجعل الملائكة تقبض الأرواح ، الله عَزَّ وَجَلَّ خلق هذا الموت وأمرنا أن نستثمر حياتنا بالأعمال الصالحة التي ترضيه ، وتقربنا إليه قبل أن نموت .

فالموت سهمٌ أرسل إليك يأتيك ليلاً أو نهارًا ، ذكرًا أو أنثى ، صغيرًا أو كبيرًا ، مطيعًا أو عاصيًا .

يأتيك في أي حال ، ولهذا الموت أبين ما يكون ، الموت الله عز وجل أظهره وأشهره إشهارًا ليس بعده إشهار ، ليظل المؤمن دائمًا خائفاً وجلاً فيتقرب إلى ربه مسارعاً بالطاعة ، ويتجنب معصية الله ، وما يسخطه .

الله عز وجل أخفى الموت زمانًا ومكانًا وحالًا ، حتى يتوقع الإنسان الموت في كل مكان ، وفي كل زمان ، وفي أي حال ، قد يقبضك ملك الموت وأنت على ظهر الطائرة ، وأنت في دورة المياه ، وأنت في غرفة النوم ، وأنت في المكتب ، وأنت تأكل ، وأنت تصلي ، وأنت راكع ، وأنت ترمي الجمرات ، وأنت تفعل الفاحشة ، وأنت تسمع الغناء ، وأنت تسخر من الناس : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨] .

الموت سهمٌ أرسل إليك ، وعمرك بقدر سفره إليك ، فإذا وصل إليك خرجت الروح .

والفرق بين الموت والقتل أن القتل هدم الجسد الذي تحل فيه الروح ، والروح لا تحل إلا في جسد ، فإذا هدم البنيان خرج الساكن منه ، هذا القتل ، وهذا القتل سبب في خروج الروح ، لكن الموت نزع الروح من الجسد بلا هدم ، وهو بيد الله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [غافر: ٦٨] .

ولكن القتيل مات بأجل الله ، والذي قام بقتله بغير حق سيحاسب على ذلك ، والروح لا تستقر إلا في بدنٍ صالحٍ للسكن ، فإذا قطع الرأس فإن هذا المكان لا يعود صالحًا لسكن الروح .

أما الموت فهو سلب الروح مع سلامة البدن ، والله عز وجل هو الذي خلق الموت والحياة ، وهو الذي يملك الموت والحياة ، والذي يحْي هو الذي يُميت ، والذي يُميت هو الذي يحُيي جل جلاله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٠] .

هو الأول في الإحياء ، هو الأول في الإماتة ، هو الأول الذي أول كل أول من المخلوقات ، كل أول له أول من مليارات المخلوقات ، كل المخلوقات لها أول ، ولها آخر أعداد ، وأشكال ، وألوان ، هو الذي أول كل أول من المخلوقات ، وآخر

كل أخر من المخلوقات ، لكن الله ﷻ هو الأول بلا بداية والأخر بلا نهاية : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣].
فهذه مغذيات القلوب لابد أن أعرف ربي بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم إذا عرفت ربي العظيم اتبعت كتابه العظيم ، وامتثلت أمره العظيم ، ونلت ثوابه العظيم .
إذا عرفت الأول فليس لي حاجةٌ بالثاني ، إذا عرفت الكبير فليس لي حاجة بالصغير ، إذا عرفت الغني فليس لي حاجةٌ بالفقير : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .
فكن على اتصال بالأول دائماً ، والله ﷻ مَنَ علينا بهذه الصلاة التي نتصل بها بربنا ﷻ فنكبره ، ونحمده ، ونسأله ، ونستغفره ، ونقدم التحيات له ، ونصلي ونسلم على مَن كان سببًا في الوصول إليه .
فأنا عرفت الله ﷻ بآياته ومخلوقاته ، والعقل يوصلك إلى مكون هذا الكون ، وإلى خالق هذا الكون ، لكن العقل لا يوصلك إلى كيف ترضيه ، وكيف تعبده ، ولا بماذا تعبده ؟ فلابد من رسول يبين لك أن مكون هذا الكون هو الله ، وأن هذا الإله هو الرب الذي خلق كل شيء ، وبيده كل شيء ، وهو الإله الذي يستحق أن يعبد ، وأن يذكر ، وأن يشكر ، وهذا الرب هو الله ، أمرك بكل خير ، ونهاك عن كل شر : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .
فالله عز وجل أكرم البشرية بإرسال الرسل منهم وإليهم : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل/ ٣٦] .
وإذا انقطع هدي الرسل جرهم الشيطان إلى الشرك والمعاصي ، واللهو واللعب ، فصار منهم من يعبد الشمس ، أو يعبد القمر ، أو يعبد الأحجار ، أو الأشجار، فالأنبياء جاءوا إلى الناس ؛ ليدلوا لناس على أن خالق هذا الكون هو الله ، ومكون هذا الكون هو الله ، من هو الله ؟ الله غيب ، لكن الله أظهر آياته ومخلوقاته ، أظهر أسماءه وصفاته وأفعاله في مخلوقاته العجيبة ، هذه المخلوقات تدل على أن لهذا الكون رب، خالق، رازق، قادر، قوي، قاهر، حي، قيوم ، غني ، حليم، كريم، لطيف ، عزيز : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

فالنبي ﷺ يبين لنا من هذا الإله الذي خلق هذا الكون ؟ ومن هذا الرب الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، ومنه هذه النعم ، وماذا يجب له ؟ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢] .

فالرب عطاء الربوبية ، والله واجب الألوهية ، الله هو المألوه المحبوب ؛ لعظمته وعظمة أسمائه وصفاته ، وعظمة نعمه وإحسانه .

والعبادة التي يحبها الله لا يمكن أن أعرفها إلا بواسطة رسوله ، ولذلك الله أنزل الكتاب والميزان ، أنزل الكتاب الذي يهتدي به الناس ، وأنزل الميزان الذي يزن به الحق والباطل ، ويكشف الخير من الشر ، ويميز التوحيد من الشرك : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٥] .

إذا لم يؤمن الناس بالكتاب الذي أنزله الله ، والرسول الذي بعثه الله ، ضلوا عن سواء السبيل : ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٨] .

فلابد من الميزان الذي يزن الطاعات والحسنات ، ويزن المعاصي والسيئات : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد/ ٢٥] .

فالله معلوم بالعقل ، والعقل يدلني على الخالق ، لكن من هذا الخالق ؟ وماذا يريد من خلقه؟، لابد من رسول يبين ذلك : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] .

فالقرآن يدلني على الأول الذي خلق هذا الكون ، ولا أعرف مراد الله مني إلا بواسطة رسول الله ، ولا أعرف هذا إلا بواسطة ما خلق الله فيَّ من السمع ، والبصر ، والعقل .
﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل/ ٧٨] .

فلابد من العلم ، لابد للإنسان أن يتعلم ، وأهل العلم ثلاثة :

عالمٌ بالله.. وعالمٌ بأوامر الله.. وعالمٌ بأيام الله .

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله غذاء للقلوب ، وحياة للقلوب : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨].

والعلم بأوامر الله هو العلم بأحكام الشريعة من الأوامر والنواهي ، ومعرفة الأحكام القدرية التي قدرها الله ﷻ ؛ لأن الذي أنزل الأحكام الشرعية هو الذي أنزل الأحكام القدرية ، وهو الذي وعد بالأحكام الجزائية من الوعد والوعيد .

فلابد أن أعرف الله ، ثم أعرف أحكامه القدرية ، ثم أعرف أحكامه الشرعية ، ثم أعرف أحكامه الجزائية ، أعرف الجنة وما فيها من نعيم ، وإن الله وعد بها المتقين ، وأعرف النار وما فيها من العذاب ، وأن الله وعد بها الكفار والعصاة : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨] .

فلابد للقلب أن يعرف هذه العلوم من العلم بالله ،ومعرفته بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ووعيده ، والعلم بأوامر الله ، والعلم بأحكام الله القدرية ، وأحكامه الشرعية من الحلال والحرام ، والأوامر والنواهي ، والعلم بأحكامه الجزائية من الوعد والوعيد ، ومعرفة الحساب والجزاء ، والجنة والنار.

والعلم بأيام الله : كيف نصر الله الأنبياء ، وأتباعهم ، وخذل أعداء الأنبياء على مر القرون ؟ ، لابد أن نتعرف على حياة الأنبياء : ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم/ ٤١] .

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم/ ٥٤] .

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ [مريم/ ٥١] .

ذكر حياة الأنبياء تجعلنا نقتدي بهم في توحيدهم وإيمانهم ، في أقوالهم ، وأعمالهم ، وأخلاقهم ، ذكر أحوال الأنبياء تجعل الإنسان يحب محبوبات الرب ، ويتقرب إلى الرب بما يحبه ويرضاه .

لماذا ؟ لأن ذكر حياة الأنبياء تجعلنا نأخذ طريقة حياتهم ، وجهدهم ، ودعوتهم ، وأقوالهم ، وأخلاقهم ، ذكر حياة الأنبياء تجعلني أتشبه بهم ، وذكر حياة الأغنياء يجعلني أقضي وقتي في طلب الأموال ، وقضاء الشهوات بأنواعها فيما تحب نفسي ، وذكر حياة الحكام تجعلني أتعلق بالمناصب والجاه والرياسة .

فالحمد لله ، الله ﷻ مَنَ علينا بهذا العلم الإلهي ، والعلم الإلهي هو أعظم العلوم ، وهو أولها ، وأعظمها ، وأشرفها وأوجبها : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

والعلم خمسة أقسام :

الأول: علمٌ هو حياة الدين : وهو علم التوحيد الإيمان ننتقل بسببه من الكفر إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم .

ويحصل هذا العلم بواسطة الأنبياء والرسل : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

الثاني: علمٌ هو غذاء الدين :

وهو العلم بسبعة أمور هي: العلم بالله.. وبأسمائه.. وصفاته.. وأفعاله.. وخزائنه.. ووعده.. ووعيده .

فنذكر الله ﷻ بأسمائه ، وصفات الجلال والجمال له ، وأذكر نعمه وإحسانه ، فيتغذى القلب بالإيمان ، فأعظم العظيم ، وأكبر الكبير ، وأحب الكريم ، واسأل الغني الذي عنده خزائن كل شيء ، وأستغفر الغفور ، وأشكر المنعم بكل بعمه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

الثالث: علمٌ الفتوى : وهو دواء الدين ، فالإنسان تشكل عليه بعض المسائل ، ويتألم بجهله بها ، فيطلب من يفتيه فيها ، فإذا أفتاه العالم اطمئن قلبه وارتاح كأنه ردت إليه عافيته ، وعلم بعد أن كان جاهلًا ، فهذا دواء الدين علم الفتوى .

الرابع: علمٌ هو داء الدين : وداء الدين هو علم السحر ، والكهانة ، والبدع وغيرها .

الخامس: علمٌ هو هلاك الدين : وهو العلم الذي يصرف الإنسان عن طاعة ربه ، إلى إتباع هواه وشهوته : ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص/ ٥٠] .

فالعلوم الثلاثة الأولى محمودة مطلوبة واجبة ، والعلمان الآخران مذمومان مهلكان : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦].

فسبحان الأول الذي دعا كل أول وآخر إلى العلم به ، وتوحيده ، والإيمان به ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

- **والإيمان ثلاثة أقسام :**

إيمانٌ مطلوب.. وإيمانٌ موجود.. وإيمانٌ مفقود .

الأول: الإيمان المطلوب : وهو معرفة أركان الإيمان الستة وهي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وعبادة الله بموجب هذه المعرفة.

الثاني: إيمان موجود ، فالإيمان بالله عندي جزءٌ منه ، لكن ليس عندي إيمانٌ بالملائكة على الوجه المطلوب معرفته أعدادهم ، وأعمالهم ، وصفاتهم .

وكذلك الإيمان بالكتب والرسل ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، كله عندي إيمان ضعيف ، لا يحرك لطاعة ، ولا يزجر عن معصية .

الثالث : إيمان مفقود ، فنجتهد على الإيمان الموجود ، بالإيمان المفقود ، ليأتي الإيمان المطلوب : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

فنأخذ العلم الذي هو حياة الدين ، والعلم الذي هو غذاء الدين ، والعلم الذي هو دواء الدين وهو علم الفتاوى ، ونتجنب العلم الذي هو داء الدين ، وهو علم البدع و الشبهات والسحر والكهانة وغيرها ، والعلم الذي هو موت الدين ، وهو العلم الذي يجر الإنسان من الهدى إلى الهوى ، ويصرفه عن طاعة ربه .

التعبد لله عز وجل باسمه الأول والآخر

كيف نتعبد لله ﷻ باسمه الأول والآخر ؟ نحن عرفنا أن الله هو الأول الذي أول كل أول من المخلوقات ، والذي أخر كل آخر من المخلوقات ، هو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء .

هو الأول الذي أحاط بالزمان كله ، وأحاط بأول الزمان وآخر الزمان ، أحاط بأول المخلوقات ، وآخر المخلوقات ، أحاط بأول الحركات ، وآخر الحركات : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

هو الأول الذي خلق كل أول في العلم ، في الطاعة ، في الإنارة ، في الإنبات ، في الحركة ، في الصوت ، في اللون ، في الشكل .

هو الأول الذي أول كل أولٍ من المخلوقات شكلًا ، ولونًا ، وطعمًا ، وثمرةً ، وغير ذلك من الأوليات: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣].

فإذا عرفنا أن الله هو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، تيقنا أن الله لا إله إلا هو ، فيجب علينا توحيده وعبادته : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

هو الأول الذي بدأ الخلق بالنعم جميعًا ، هو الذي أوجد السكن قبل نزول الساكن ، خلق الجنة ثم أدخل فيها آدم ، وأنزل آدم وأسكنه في الأرض ، خلق السكن قبل نزول الساكن ، وخلق الأرزاق قبل خلق المرزوق ، وخلق الأرض وخلق فيها أقواتها قبل أن ينزل إليها آدم ، فالله ﷻ من رحمته أن خلق السكن قبل أن يخلق الساكن ، وخلق الأرزاق قبل خلق المرزوق وهو الإنسان والحيوان وغيرهما .

هو الله الذي لا إله إلا هو ، هو الأول الذي ابتدأ الخلق بالنعم ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل إليهم الكتب .

هو الأول قبل كل شيء ، هو الأول الذي أول الأول من كل مخلوق ، الآخر بعد كل شيء ، الأخر الذي آخر الأخر من كل مخلوق : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ

﴿وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢] .

مادام الله هو الخالق فهو أولى أن يُعبد ، فنحن نعبد الله لذاته ، وجلاله ، وجماله ، وإحسانه ، فهو أهلٌ للعبادة ، وأهلٌ أن يحمد ، وأهلٌ أن يكبر : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾ [يونس: ٣] .

هو المقدم والمؤخر في خلقه وأمره ، قَدم الدنيا على الآخرة ، وقدم الليل على النهار ، والمقدم والمؤخر في خلقه وأمره ، وهو الذي خلق الحركات والسكنات ، ولكن الإنسان هو الذي يصرف الحركات والسكنات ، يوجهها إما إلى طاعة الله إن كان مؤمناً ، أو يوجهها إلى معصية الله ، فالله ﷻ خلق الإنسان ، وخلق فعله ، ولكن الإنسان موجه للفعل ، إما طاعة أو معصية : ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)﴾ [الكهف/ ٢٩] .

الإنسان يوجه الفعل حسب الإيمان إن كان مؤمنًا وجهه إلى طاعة الله ورسوله ، وإن كان كافرًا وجهه إلى معصية الله ، ومعصية الرسول ، واتباع النفس والهوى .

هو المقدم والمؤخر في خلقه وأمره ، هو المقدم والمؤخر في ملكه وملكوته ، الله ﷻ يفعل ما يشاء ، في ملكه العظيم يفعل ما يشاء ، ويقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء ، ويظهر ما يشاء : ويخفي ما يشاء .

أظهر المخلوقات وحجب خلقه عن رؤيته ، وأظهر عالم الشهادة وأخفى عالم الغيب، وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة ، وأظهر قيمة الأموال والأشياء وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة ، وأظهر الأجساد وأخفى الأرواح ، وأظهر سنته وأخفى قدرته : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)﴾ [هود: ١٠٧] .

الله ﷻ فعال لما يشاء ، يفعل بالأسباب ، ويفعل بدون الأسباب ، ويفعل بضد الأسباب .

يفعل بالأسباب كما جعل الماء سبباً للإنبات ، وجعل النكاح سبباً للإنجاب .

ويفعل بدون الأسباب يقول للشيء : كن فيكون : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ

﴿كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس/ ٨٢]

يفعل بدون الأسباب كما رزق مريم طعامًا بلا شجر ، وابنًا بلا ذكر ، ويفعل بضد الأسباب كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ، وفتح البحر لموسى ، وفجر الحجر لموسى وقومه بالماء العذب : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك: ١] .

لا مقدم لما أخر ، ولا مؤخر لما قدم ، يقدم ما شاء من الأقوال ، والأعمال ، والخلائق ، ويؤخر ما يشاء من الأقوال ، والأعمال ، والخلائق .

فسبحان الأول الذي أحاطت أوليته وآخريته بكل شيء من المخلوقات ، وأحاطت بالمكان والزمان ، فما من أول إلا والله قبله ، وما من آخر إلا والله بعده ، هو بديع السموات والأرض ، وهو البديع الذي خلق كل أول من المخلوقات ، هو الخالق الذي صور كل أول من المخلوقات ، هو بديع السموات .

هو الخلاق العليم ، هو الأول الذي خلق كل شيء ، هو الأول في الخلق ، وهو الأول في القدرة ، وهو الأول في العلم ، وهو الأول في الملك ، له ملك السموات والأرض ، وهو العليم بكل شيء ، المحيط بكل شيء ، القادر على كل شيء : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد: ٣] .

وإذا عرفنا أن الله هو الأول ، وهو الذي يملك الأوائل والأواخر فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر ، فما من أول إلا والله قبله ، وما من آخر إلا والله بعده ، أحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، وأحاطت بالأيام والشهور ، وأحاطت بالأعوام والقرون ، وأحاطت بالمكان والزمان ، وأحاطت بالدنيا والآخرة : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد: ٣] .

وإذا عرفت أن ربك هو الأول في كل شيء ، وعرفت سبقه بالخلق ، والفضل ، والإحسان في كل شيء وجب عليك إفراده وحده بالتوحيد ، وإفراده بالتعظيم ، وإفراده بالذل له ، وإفراده بالمحبة له ، وإفراده بالتوكل عليه وحده ، وعبادته وحده لا شريك له ، وعدم الالتفات إلى أحدٍ سواه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ

﴿... مُّسْتَقِيمٌ ٥١﴾ [آل عمران/ ٥١] .
وإذا عرفنا أن الله هو الأول والآخر ، وإليه ترجع الأمور ، فالأمور كلها ترجع إلى الأول ، كل الخلائق من البشر كلهم يرجعون إلى آدم ، وكل نبات يرجع إلى النبات الأول ، وكل حيوان يرجع إلى الحيوان الأول ، وهكذا كل المخلوقات ، إلى وحدة الله ترجع الأمور كلها ، الله ﷻ هو الذي أول كل أول من المخلوقات ، وإليه ترجع الأمور ، وإليه المنتهى : ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ٤٢﴾ النجم: ٤٢ .
فالمؤمن يجعل الله غاية مراده ويرضيه بأقواله وأفعاله ويتقرب إليه بحسن عبادته ، وفعل ما أمره به ، واجتناب ما نهاه عنه ، وإكمال محبوباته : ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ٦٢﴾ [التوبة/ ٦٢] .
ولكن على الإنسان أن يمتثل أمر الله ﷻ فيما أمره به ، فالدنيا لها أسباب من الحرث ، والزراعة ، والصناعة والتجارة حتى نقيم أمور دنيانا : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة/ ١٠] .
فالله ﷻ جعل هذه الأسباب امتحاناً وابتلاءاً ، فإن الدنيا جعلها دار الأسباب ، أسبابٌ نَعمر بها دنيانا ، وأسبابٌ نَعمر بها أخرانا ، فالدين الجنة لها أسباب ، والنار لها أسباب ، والدنيا حتى نعيش بها في حياةٍ آمنة لابد من فعل الأسباب ، ونجتهد لنأخذ قوت الأبدان من الأرض ، ونأخذ قوت القلوب وهو التوحيد والإيمان ، والقرآن من ربنا جل جلاله ، بفعل الأسباب بجوارحها ، والتوكل على الله بقلوبنا : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن: ١٣] .
ونتجرد من التعلق بالأسباب إلى التعلق بالأول الذي منه الإمداد خلقًا ، والإمداد قوتًا ، وفضله وإحسانه سابقٌ على الوسائل والأسباب ، الله خلق الرزق قبل المرزوق ، وهيأ السكن قبل الساكن ، حتى الجنة أعدت للمتقين قبل أن يصلوا إليها ، والنار أعدت للكافرين قبل أن يصلوا إليها .
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .
هو الأول الذي خلق المخلوقات ، وهو الوكيل عليها ، يدبرها ، ويصرفها ،

ويحركها ، ويثبتها ، ويسكنها ، حتى أفعال العباد مخلوقة لله ، لكن توجيهها للخير ، وتوجيهها للشر ، وتوجيهها لتعمل الطاعة ، وتوجيهها لتعمل المعصية ، هذا اختيار الإنسان ، والله بين ما يحب وبين ما يكره ، وبين الأوامر وبين النواهي ، ورغب في الطاعات ، وحذر من المعاصي ، ووعد على الطاعات الأمن ، والهداية ، والخلافة في الأرض ، والجنة والرضوان في الآخرة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] .

فكل شيء خلقاً وتدبيراً بيد الله وحده لا شريك له ، فنحن في دار الأسباب ، ومأمورون بفعل الأسباب المشروعة ، فنفعلها لنؤجر عليها ، ونمتثل أمر الله في فعل الأسباب ، فالله بيده الأسباب ، أحيانًا الأسباب تفعل ، وأحيانًا لا تفعل ، الشمس تنير، ولكن يصيبها الكسوف ، والنار من طبيعتها الإحراق ، ولكن الله سلبها الإحراق وجعلها بردًا وسلامًا على إبراهيم .

الله يفعل بالأسباب فينزل المطر على الأرض فتنبت من كل زوجٍ بهيج ، وجعل الشمس مملوءة بالنور والحرارة ، وجعل الأرض مكانًا للإنبات هذه أسباب ، ولكن الله ﷻ هو خالق الأسباب ، ففي الدنيا نعيش على الأسباب ، ومن خلقها غائبٌ عنا ، ويوم القيامة نعيش مع من خلقها .

في الدنيا نعيش مع النعمة ، ولا نرى المنعم ؛ لأن رؤيته بجلاله وجماله تبطل التكليف ، والله قادرٌ غير مقدورٍ عليه ، فإذا رأيناه قدرنا عليه ، فالله ﷻ يوم القيامة يجعل المؤمنين يرونه كما قال سبحانه : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣] .

ففي الدنيا نعيش مع النعمة ، ونذكر المنعم ، وفي يوم القيامة نعيش مع النعيم ، ونرى المنعم ، ونسعد بنعيم الجنة ، ولكن الرضوان من الله أكبر : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢] .

ففي الدنيا نعيش مع النعمة ولا نرى المنعم ، نعيش مع الصور ولا نرى المصور ؛ لأنه غيب لا ندركه ، ويوم القيامة نرى الله ولا ندركه ، لأن الإدراك إحاطة به ؛ والله محيط

بكل محيط ، ولا يحيط به محيط : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

فنحن الآن في دار الأسباب ، ونحن مأمورون بفعل الأسباب المشروعة ، وفعلنا لها نؤجر عليه ، لكن لا نركن إليها ، ولا نتعلق إلا بالأول ، والتعلق بالعزيز عزة ، والتعلق بالغني غنى ، والتعلق بالأول والآخر سبحانه وتعالى تعلقٌ بالحي الذي لا يموت : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣] .

ما هو حظي من هذا الاسم العظيم ؟ حظي أن أكون أول المسلمين في فعل الخيرات ، وسابقهم فيما يحبه الله ويرضاه من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق .

كن أول الناس في فعل الخيرات ، أول الناس في الطاعات ، أول الناس في العبادات ، أول الناس في الذكر ، أول الناس في الدعوة ، أول الناس في التعليم ، أول الناس في البكاء من خشية الله ، أول الناس في محبة الله ، أول الناس في الإحسان إلى الخلق : ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر: ١١ – ١٢].

فمن آمن بالله ، وتوكل عليه ، أعانه ، أعانه على طاعته ، وإذا كنا جميعًا مأمورين بالطاعة فلابد من السباق والمسابقة ، مسارعة لأن أكون أنا الأول الذي أسبق إلى مرضات الله .

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الواقعة/ ١٠-١١] .

فالسابق هو الأول ، فعلي أن أسابق ؛ لأني في ميدان السباق ، أسابق في جميع الطاعات التي ترضي الله ، وأعظم السباق في الدعوة إلى الله ، أن أسعى لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وإخراجهم من الهوى إلى الهدى ، بأن أدعو المشرك إلى التوحيد ، وأدعو المنحرف إلى الاستقامة ، فأكون الأول في الدعوة : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣].

أكون الأول في تعليم الخلق شريعة الله ، أعلمهم لله ، وأعرفهم بالله وأسمائه وصفاته ،

أذكرهم بالكريم المحسن ليحبوه ويشكروه ، وأذكرهم بأسمائه وصفاته ليكبروه ويعظموه ، وأذكرهم بشريعته لكي يعبدوه ، أذكرهم بالأحكام الشرعية ، حتى يصلوا على السنة ، ويتوضئوا على السنة ، ويصوموا على السنة ، ويحجوا ويعتمروا على السنة ، ويذكروا الله بسنة ، وينامو بسنة ، وينظروا بسنة ، ويسمعوا بسنة ، وأذكرهم بهذه الشرائع لأكون الأول في الدعوة والتعليم والإحسان ؛ لأن المسلم لابد أن يكون صالحًا مصلحًا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

فلا نجاة من الخسار أبداً إلا بأربعة أمور :

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ١ – ٣].

فالله إذا مَنَّ علي فآمنت وعملت صالحًا ، فلابد أن أنقل الإيمان والعمل الصالح للكافر وللفاسد ، حتى يكون الكافر مؤمناً ، ويكون الفاسد صالحاً ، لينتشر الإيمان والصلاح في العالم : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

لابد من هذه الأعمال صبرٌ على الطاعات ، وصبرٌ عن المعاصي ، وصبرٌ على الأقدار المكروهة للنفس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

فلابد أن أسابق إلى كل طاعة لله ورسوله ، حتى أكون الأول في الخيرات ، وأسابق الناس في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى الخلق .

وسابق إلى ما يحبه الله من الواجبات والسنن ، والصلوات فرضها ونفلها ، والصيام فرضه ونفله ، الحج فرضه ونفله ، الزكاة فرضها ونفلها ، الأقوال فرضها ونفلها ، شهادة التوحيد ، والأذكار ، والأعمال ، والأخلاق العالية .

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد/ ٢١] .

هذا كله من فضل الله ، هو خلقني ، وهداني ، وأكرمني ، وحبب إلي الطاعة ، وكره إلى المعصية، واستضافني في بطن الأم ، واستضافني في بطن الدنيا ، وأمدني بالأقوات ، وهداني إليه ، وأعانني على طاعته ، وضاعف لي الأجر ، ويستضيفني في القبر في روضة من رياض الجنة إن أطعته ، ويستضفني في الجنة فيما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤] .

فسبحان الأول والأخر الذي بيده مقاليد الأمور كلها ، يجعل الحي ميتاً ، ويجعل المين حياً ، ويجعل النافع ضاراً ، ويجعل الضار نافعاً ، ويهلك بأسباب النجاة كما خسف بقارون مع ماله ، وأهلك فرعون مع ملكه ، ويعز بأسباب الذلة ، ويذل بأسباب العزة ؛ لأنه فعال لما يشاء : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

وكن أول الناس في فعل الخيرات وأسبقهم إلى ما يحبه الله ويرضاه ، ولكي أفوز بالجنة والرضوان ، وأفوز بأعلى الدرجات أكون الأول في التوحيد ، وأكون الأول في الإيمان : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر: ١١ – ١٢].

الإيمان درجات ، الإيمان له لفظٌ ، وله صورة ، وله طعمٌ ، وله حلاوةٌ ، وله حقيقة .

فاجتهد في تقوية إيماني كما اجتهد لأنمي مالي ، اجتهد بالتفكير والتدبر ، حتى يزداد الإيمان ، ويزداد الإيمان بمعرفة أركان الإيمان ، وبالمذاكرات الإيمانية يرتفع منسوب الإيمان ، ثم يرتفع منسوب الطاعات ، ثم يستكثر المسلم من أنواع الطاعات ، ثم يأتي رضوان الله ، ومن رضي الله عنه أسعده في الدنيا ، وأدخله الجنة في الآخرة .

فأجتهد أن أكون الأول في التوحيد ، واجتهد أن أكون الأول في الإيمان ، وأجتهد أن أكون الأول في التقوى : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا

﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤] .

كيف أترقى؟ أجتهد وأسابق لأن أكون الأول في العبادات ، الأول في الصف الأول في كل عمل صالح ، الأول في الاستجابة إلى الله والرسول ، الأول في الصيام فرضه ونفله ، الأول في جميع العبادات الكبار ، الأدعية والأذكار .

فالله عز وجل هو الأول ، وقد أمرني أن أكون الأول في كل خير .

أن أكون الأول في جميع الأعمال الصالحة فرضها ونفلها ، أن أكون الأول في الأخلاق الحسنة ، الأخلاق الحسنة هي مقصود الرب من خلقه جل جلاله ، الله يريد من الخلق أن يتصفوا بصفاته على شاكلة العبودية : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والأخلاق الحسنة كثيرة منها :

الصدق ، البر ، الإحسان ، والعفو ، والكرم ، لكن أصول الأخلاق مع الناس أربعة : أن تصل من قطعك.. وتعطي من حرمك.. وتعفو عن من ظلمك.. وتحسن إلى من أساء إليك ابتغاء مرضاة الله .

هذه شديدة المرارة أن تعطي من حرمك ، وتعفو عن من ظلمك ، وتحسن إلى من أساء إليك ، يحسن إلي ، وأحسن إليه هذا شيء سهل ، يحرمني وأحرمه هذا شيء سهل ، لكن أن تعطي من حرمك ، وتعفو عن من ظلمك ، وتحسن إلى من أساء إليك هذا شيء صعب على النفوس ، وتعفو عن من ظلمك ، وهذا شيء شديد المرارة ، ولهذا أثنى الله على نبيه ﷺ بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم/ ٤] .

خلق عظيم ، خلق يستوعب جميع جهالات الخلق ، فيرحم جاهلهم ، ويعفو عن ظالمهم ، ويتودد إليهم ، ويتحبب إليهم : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ [آل عمران/ ١٥٩] .

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم/ ٤] .

فنعم الراكب ، ونعم المركوب : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وكل عمل له حد إلا الأخلاق والأذكار ، الصلاة لها حد ووقت ، والصيام له حد ووقت ، والحج له حد ووقت ، إلا الأخلاق الله أطلقها ولم يقيدها ، والأذكار ليس لها حد ولا وقت .

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾

[الأحزاب: ٤١ – ٤٢] .

فأحرص أن أكون الأول في العبادة ، الأول في الدعوة ، الأول في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وهكذا ، أكون الأول في كل الأعمال الصالحة ، وأكون الأول في الأعمال الحسنة ؛ فإذا كنت الأول في هذه الإعمال أكون من الأوائل في دخول الجنة : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤] .

فكن الأول في الإحسان ؛ لتكون يوم القيامة من السابقين إلى الحسنى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس/ ٢٦] .

والمحسنون كثيرون لهم أول ولهم آخر ، فأكون الأول في الإحسان ، إحسان العبادات ، إحسان المعاملات ، إحسان المعاشرات ، أكون الأول في كل إحسان ، حتى يوم القيامة أكون من السابقين المقربين : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الواقعة/ ١٠-١١] .

لأنهم أحسنوا في الدنيا بالدعوة ، وبالعبادة ، وبالإحسان إلى الخلق ، فلهم الحسنى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

فأكون في الصف الأول في الدعوة إلى الله ، وفي الصف الأول مع الآمرين بالمعروف ، وفي الصف الأول مع الناهين عن المنكر ، وفي الصف الأول مع المعلمين لكتاب الله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

هذه الفضائل لابد أن نتسابق فيها ونتسارع إليها ، وإذا آمنت أن الله هو الأول في الإحسان ، فأكون الأول في الإحسان إلى الخلق ، أكون الأول في الإحسان إلى نفسي ، بأن أعبد الله بما جاء به رسوله ﷺ ، وما أعطاني الله من العافية ، ومن المال ، ومن الخير استعمله في طاعة الله .

إذا أعطاني الله مالًا فأعلم أني لست وحدي في هذا المال .

المال فيه شركاء ثلاثة ، مالي الذي أملكه لي فيه شركاء ، أنا ، والحوادث ، والوارث ، أنت في مالك ، لك شريكٌ من الحوادث ، حوادثٌ تصيبك فتأخذ من مالك من حرقٍ ، وغرقٍ ، أو هدمٍ ، أو غير ذلك تذهب بمالك كله ، فاستفيد من مالك قبل أن تذهبه الحوادث ، فما لم نصرفه في طاعة الله، ونصرفه على أنفسنا في طاعة الله ، الحوادث سوف تأخذه ، والشهوات سوف تأكله ، ثم ما بقي يأخذه الوارث ، فالمال فيه شركاء ثلاثة : أنت ، والحوادث ، والثالث الوارث الذي سيأخذه بعد موتك : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ ﴾ [القصص/ ٧٧] .

آتاك الله دينًا فبلغوا للناس ، وآتاك الله علمًا فعلمه للناس ، وآتاك الله مالًا فانفق منه على الناس ، وآتاك الله أخلاقًا فأحسن بها إلى الناس وحببهم بها إلى الدين ، وأعطاك حلمًا فأحسن به إلى السفيه ، ليكون الشديد حليماً ، وتنقل الجاهل ليكون عالماً ، وتنقل الكافر ليكون مسلماً ، فكن الأول في الإنفاق مما أعطاك الله من الخيرات : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

أنفق مما أتاك الله ، حتى تشعر أن هذا فضلٌ من الله عليك ، ليس منك ، كل فضلٍ من الله وحده ، الله أقدرني فكنت قادرًا ، وأغناني فكنت غنيًا ، وعلمني فكنت عالماً : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾ [النحل: ٥٣].

نَنفق على أنفسنا ، وننفق على أهلنا ، وننفق في كل ما يرضي ربنا : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ

﴿ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص/ ٧٧] .

أحسن الله إليك خلقك بيده ، وخلقك في أحسن تقويم ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وجعلك خليفةً في الأرض ، وأمدك بقوت الأبدان ، وأمدك بقوت القلوب وهو الإيمان ، فأحسن كما أحسن الله إليك ، أحسن عبادة الله ، اعبد الله بما يحبه ويرضاه جل جلاله ، وكن الأول في التوحيد وفي الإيمان ، وفي العبادة ، وفي الدعوة ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، أَحسن إلى نفسك بحملها على طاعة الله ، وإبعادها عن معصية الله ، وأَحسن إلى الخلق بدعوتهم إلى الله ، وترغيبهم في طاعة الله ، ولا تبغي الفساد في الأرض إن لم تكن صالحًا جرك الشيطان لتكون عاصيًا ، فاسداً ، مفسداً : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِىۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس: ٦٠ – ٦٢] .

فالناس اثنان : إما صالحٌ ومصلح ، أو فاسدٌ ومفسد .

الصالح والمصلح : الله أصلحه ، الله ﷻ هو الذي يصلح الخلق : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات: ١٧] .

وأما الفساد والإفساد : فهو من عند أنفسهم ، فالله ﷻ أصلح الكون وما فيه ، والفساد من عند الناس : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٦] .

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١].

خلقنا الله على الفطرة موحدين ، فجاءت الشياطين فاجتالت الناس عن دينهم ، فمن جلس في بيئات الإيمان ، والذكر ، والهدى ، الله ﷻ يكون معه ، ويرقيه ، ويعينه ، ويحفظه ، ويضاعف له الأجر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩].

ومن كان في بيئة الغفلة ، الشيطان يجره للمعاصي ، ينقله من معصية إلى معصية ، ومن صغيرة إلى كبيرة ، حتى يكون الشيطان قدوةً له ، ثم يتجاوز الشيطان كما سبقه فرعون ، فرعون تلميذ من تلاميذ الشيطان ، لكنه سبق الشيطان في جحد الربوبية ، وإنكار الإلوهية .

الشيطان : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحجر: ٣٦-٣٨] .

لكن فرعون قال : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات/ ٢٤] .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴿٣٨﴾ ﴾ [القصص/ ٣٨] .

فيجب علينا أن ندرس سبل تقوية الإيمان في الجو الذي يملأ قلوبنا بالإيمان ، مثل هذه البيئات وهذه الدروس الإيمانية التي ترفع منسوب الإيمان في القلب ، فإذا ارتفع منسوب الإيمان زادت الأعمال ، كما أنه إذا كثرت الأموال زادت المشتريات وسهل تحصيل الحاجات من البيوت ، والمساكن ، والمراكب ، والمآكل ، والمشارب ، فنجتهد لزيادة الإيمان حتى تزيد الأعمال الصالحة ، كما يجتهد أهل الدنيا لزيادة الأموال حتى تزيد الأشياء ، وإذا تم حصول الأشياء تحقق مراد الناس من الأموال ، كذلك نحن إذا زاد إيماننا قويت عبادتنا ، وحققنا مراد الله منا : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١] .

نجتهد لنكون الأول في الدنيا ، نَعمر الدنيا بالطاعات ، والتجارة من أعظم العبادات إذا كسبنا المال من الحلال ، وصرفناه في الحلال ، فالله ﷻ يحب الغني والقوي ، يحب اليد المنفقة ، اليد المنفقة أغلى عند الله من اليد الآخذة ، والله أعطى هذا ، ومنع هذا بحكمتة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٠] .

فإذا رأيت فقيراً يسأل الناس فاعلم أن غنياً منع الزكاة ، أو تأخر في الصدقة ، فإن الله أعطى الأغنياء من المال ما يسدون به حاجة الفقراء يخرجون منه الزكاة والصدقة ، وقضاء الدين ، فإذا رأيت الفقراء يسألون الأغنياء من الخلق ، فاعلم أن هذا الغني قد

منع الزكاة ، واضطر هذا الفقير أن يذل لغيره ، إذا رأيت فقيرًا يسأل ، فاعلم أن الغني قد منع الزكاة ، أو أن الفقير محتال كسول قد عطل القدرة التي فيه ، فلم يجتهد لطلب معاشه ، وما يغنيه عن السؤال .

فالله أمر بالعبادة ، وأمر بكسب المعاش ، لئلا يحتاج المسلم إلى غيره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)﴾ [الجمعة: ٩ - ١٠] .

فنأخذ بالأسباب ، لأن الله جعل الأرزاق مخفية وراء الأسباب ، والله خلق كل شيء ، وهو القادر الذي يسوق الأرزاق إلى أهلها : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦)﴾ [هود: ٦].

والله فرغ إلى كل مخلوق من أربعة أمور :

من رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي ، أو سعيد .

فالله قدر الأرزاق ، وأمرنا بفعل الأسباب الدنيوية ، حتى نعمر بها دنيانا ، ونمتثل أمر الله فيها وأمرنا بفعل الأسباب الأخروية التي نصل بها إلى الخالق ، ونصل بها إلى الجنة ، فلننافس بها في الحياة ، لنكون من المؤمنين السابقين ، ونكون من السابقين الأولين ، في كل عمل صالح .

فإذا علمت أن الله هو الأول في الإحسان فكن الأول في الإحسان إلى الخلق ، وابتعد عن كل ما يؤخرني ، ويحبسني ، ويحرمني من فضل الله : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢)﴾ [الزمر: ١١ - ١٢] .

فليكن حظنا من اسم الله الأول : أن نكون من الأوائل في الدعوة ، وفي التوحيد ، وفي الإيمان ، وفي الطاعات ، وفي اجتناب المعاصي ، وفي فعل ما يحبه الله ، وفي الأخلاق الحسنة ، وفي الأمر بالمعروف ، وفي النهي عن المنكر ، أكون الأول ، حتى الله عز وجل يجعلني من السابقين في دخول الجنة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فالله ﷻ ملأ الدنيا بمحبوباته من الإيمان والأعمال الصالحة ، وملأ الآخرة بمحبوباتنا نحن من أنواع النعيم في الجنات ، فلنتسابق في معرفة محبوبات الرب ، حتى نأتي بما نستطيع من محبوبات الرب من الدعوة ، والعبادة ، والأخلاق الحسنة ، والأقوال الحسنة ، والأفعال الجميلة .

فالتعبد لله باسمه الأول من أعظم العبادات ، فنجتهد على أنفسنا لنكون الأوائل في الإيمان ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة ، وندعو الناس لأن يكونوا هم الأوائل في كل عمل صالح يقرب العبد إلى مولاه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران/٨] .

﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٧٩] .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣] .

اللهم اهدنا إلى أحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها ، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك ، والخير كله في يديك ، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِي عنا الدين، واغننا من الفقر .

اللهم أنت الأول قبل كل شيء ، وأنت الآخر بعد كل شيء اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك يا أرحم الراحمين .

اللهم إني أسالك من الخير كله عاجله وآجله ، أوله وآخره ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ، وأوله وآخره ، أنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

سبحانك اللهم بحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الظاهر.. والباطن

اسم الله الظاهر.. والباطن

الله ﷻ هو الأول والآخر، والظاهر والباطن: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣] .

الجامع الذي يجمع الناس ليومٍ عظيم ، وهو الجامع الذي يجمع الناس على موائد الإيمان ، وموائد العلم ، وعلى العبادات ، أما الشياطين فيجمعون الناس على الشهوات، ويجمعون الناس على المعاصي والمنكرات ، ولهذا الشيطان يركز رايته في السوق ، ويدعو الناس إلى أنواع المعاصي ، والكذب ، والظلم ، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق : ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١١٩ – ١٢٠] .

الحمد لله أن اختارنا ، واختار لنا هذا العلم الإلهي نتذاكر فيه أسماء الله وصفاته وأفعاله .

فالله ﷻ أمرنا أن نذكره بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأمرنا أن نذكر دينه وشرعه ، وحلاله وحرامه، وأوامره ونواهيه ، وأمرنا أن نذكر نعمه وإحسانه إلى خلقه ، وأمرنا أن نذكر اليوم الآخر وما فيه من النعيم لمن أطاعه ، ومن العقاب لمن عصاه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الأحزاب: ٤١ –٤٢] .

والله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه بآياته ومخلوقاته ، فمعرفة الآمر قبل الأوامر ، ومعرفة المعبود قبل العبادة ، فإذا القلب استقبل هذه المعرفة حرك الجوارح للطاعة ، وحرك اللسان بالذكر والدعاء والدعوة : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩] .

والله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى في السموات والأرض : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه: ٨] .

واسم الله ﷻ هو الاسم الجامع لجميع الصفات ، وكل صفة منها تدل على اسم الله .
فالله : هو الاسم الجامع لجميع الأسماء الحسنى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤] .
فالعزيز : يدل على ذات الله ﷻ ، ويدل على صفة العزة لله ﷻ .
والحكيم : يدل على ذات الله ، ويدل على صفة الحكمة لله ﷻ .
وهكذا اسم الله ﷻ اسمٌ خاص به ، هو الاسم الأعظم الجامع لجميع الصفات ، وبقية الأسماء صفات لهذا الاسم ، تدل على الذات ، وتدل على الصفات.
فاسم الذات هو الاسم الدال على ذات الله ، وهو الله ، الأول ، والآخر ، فهذه أسماء تدل على الذات واسم الله الأعظم هو الله الجامع لجميع الصفات ، فالله مُشعر بالعبودية والمحبة ، والله هو الإله المحبوب المألوه ، المعبود المطاع .
فالعقل إذا عرف هذا الإله العظيم أحبه حبًا عظيمًا ، لماذا ؟ لجلاله.. وجماله.. وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله .
صفات جلاله : أنه هو الرب القادر ، القاهر ، القوي ، العزيز ، الجبار ، الذي له ملك السموات والأرض ، وله ما في السموات والأرض ، وله غيب السموات والأرض .
وصفات جماله أنه هو الرزاق.. هو الكريم .. هو اللطيف .. هو الغفور .. هو الرحيم.. هو التواب .
فأنا أحب الله لجلاله وجماله وأعبده بموجب هذه المحبة ، أنا أحببت الله لما عرفته من آياته ومخلوقاته ، والله ﷻ أودع أسماءه وصفاته في آياته ومخلوقاته : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .
ولهذا من أعظم الفرائض في الدين ، النظر والتفكر والتدبر في آيات الله ومخلوقاته : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الطارق: ٥–٨] .

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [عبس/ ٢٤-٢٦] .

ننظر في آيات الله ومخلوقاته ، لنعرف الخالق ، ونعرف الرازق ، ونعرف القوي ، لنعلم أن وراء هذا الكون مكون ، ونعلم أن وراء هذه المخلوقات خالق ، ووراء هذه الأرزاق رزاق وهو الله جل جلاله لابد من التعرف عليه ، وأعظم العبادات أن أعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله .

ثم أعبده بموجب هذه المعرفة على مقتضى ما جاء به رسوله ﷺ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

- **والاقتداء بالنبي ﷺ يكون في خمسة أمور :**

في نيته وفكره.. وفي توحيده وإيمانه.. وفي أقوله.. وفي أعماله.. وفي أخلاقه .

هذا القلب لابد أن يُملأ بالإيمان ، وطريقة ملئه بالإيمان هو أن تنظر العين نظر فكر في المُلك والملكوت ، المُلك هو هذا المُلك الظاهر ، والله ﷻ أظهر هذه المخلوقات ، لنتعرف عليها ، ونخترقها إلى خالقها ، ونخترق الصور إلى مصورها ، ونخترق الدنيا إلى الآخرة .

فالله يريد العبادة القلبية ، ولذلك أي عبادة روحها الإيمان ، والإيمان في القلب ، حركة الجسد لا قيمة لها إذا كان القلب معطلاً ، منافق يصلي وينفق ، لكن الله لا يقبل عمله ؛ لأن في قلبه الكفر ، فالقلب محل الإيمان والكفر ، فلابد من نظافته وتزكيته .

أولاً : نخليه من الصفات السيئة ومن الشبه والشك والشرك ، ثم نزكيه بالإيمان والتقوى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧–١٠] .

- **والحصول على كمال الإيمان يكون بأمرين :**

النظر في الآيات الكونية.. والنظر في الآيات الشرعية .

العين ترى المرئيات وتصب في القلب مؤثرات ، والأُذن تسمع المسموعات وتصب في القلب مؤثرات ، والعقل يتحرك بهذه العلوم على وفق ما أسمع ، وعلى وفق ما أرى، والقلب يمجد المجيد ، ويعظم العظيم ، ويكبر الكبير ، ويحب الكريم ويُعرض عن الصغير ، ويُعرض عن الفقير ، هكذا القلب له معارف ، يحب الله ويكبره ويعبده بموجبها : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢] .

وأعظم المعارف معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم عبادته بموجب هذه المعرفة: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣] .

الله ﷻ هو الظاهر ، فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء .

هذا الإله العظيم له من الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ما أظهرها في كتابه ، ومنها ما علَّم به رسله ، ومنها ما أخفاه حتى يظهره يوم القيامة للنبي ﷺ في مقام الشفاعة ، ويظهر لنا من أسمائه الحُسنى ، وصفاته العُلى في الجنة ، ما لا عين رأيت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر من هذه المعارف العظيمة ، ومنها ما استأثر الله بعلمه وحده : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

والله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣] .

وقد ورد اسم الله الظاهر والباطن في القرآن مرة واحدة في سورة الحديد .

هو الأول بلا بداية ، والأخر بلا نهاية ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء ، هو جل جلاله الحي القيوم ،الملك الحق المبين .

المبين الذي هو أبين من كل بَين ، ولكن الله حجب الأبصار أن ترى وتدرك خالقها ، فلو أدركته الأبصار لكان مقدورًا عليه ، فيكون القادر مقدورًا عليه ، والله قادر على كل شيء وغير مقدور عليه ، هو المحيط بكل محيط في هذا الكون : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

فهذا المخلوق الصغير لا يمكن أن يرى بهذا التركيب الرب العظيم ، فنحن نرى صفة من صفاته ، أو اسم من أسمائه ، وهو اسم النور ، اسم النور الذي ملأ الشمس نورًا ،

وملأ الكواكب نورًا ، وملأ النجوم نوراً ، وملأ القمر نوراً : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس: ٥] .

هو النور الذي ملأ الكون بالنور : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور: ٣٥] .

- **والإنسان لكي يرى يحتاج إلى نورين :**

الأول : **نور الأبصار** : حتى لا يتعثر في طريقه ؛ فيصطدم بما هو أقوى منه ، أو يؤذي من هو أدنى منه ، وهذا نور داخلي لا يكفي ، بل لابد معه من نور خارجي كنور الشمس والقمر ، لتحصل الرؤية ، فإذا فقد أحد النورين امتنعت الرؤية .

الثاني : **نور البصائر** : التي يعرف بها خالقه ، ويتجاوز به المخلوق إلى الخالق ، ويتجاوز الصور إلى المصور ، ويتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، وهذا النور في القلب ، وطريقة الوحي ، ويكمل هذا النور بالنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية.

فهذا الآن اسم من أسماء الله ما استطعنا أن ندركه ، فنوره جل جلاله ملأ السموات والأرض، هذا تنويره ما استطعنا أن نحيط به ، فكيف بنوره ؟.

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [النور/ ٣٥].

فكل نور خرج من النور لكن هذا النور مخلوق ، النور في الشمس مخلوق ، النور في القمر مخلوق ، النور في السراج مخلوق ، لكن ما من نور إلا وله مُنور ، كما أنه ما من خلق إلا وله خالق .

فسبحان النور الذي خلق كل نور ، وكتابه نور ، ورسوله نور : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦] .

والله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، وأسماؤه وصفاته ليس لها مثيل ولا شبيه ، جميع أسماء الله ﷻ وصفاته التي يشترك فيها مع الخلق كالعلم ، والقدرة ، والكرم ، والعفو ، الله ﷻ له منها أعلاها وأكملها .

وأسماء الله وصفاته وأفعاله لابد إذا أثبتناها لله ﷻ أن توزن بميزان : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

ليس كمثله شيء ، أنا موجود ، والله موجود ، وجود الله مطلق ، وجود الله لم يسبقه عدم ، أما وجودي أنا فقد سبقه عدم ن ويأتي بعده عدم وهو موت هذا الإنسان ، أما الله فوجوده مطلق ، هو الأول بلا بداية ن والأخر بلا نهاية : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

هو الظاهر فوق كل شيء ، الباطن دون كل شيء ، هو الأول فليس قبله شيء ، هو الآخر فليس بعده شيء ، هو الظاهر فليس فوقه شيء ، هو الباطن فليس دونه شيء .

والله ﷻ من رحمته بنا أن عرفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وبينها في الكون المنظور ، فأنت إذا رأيت المخلوقات علمت أن لها خالق ، وإذا رأيت الأرزاق علمت أن هذه المخلوقات التي تُرزق لها رازق ، وكل شيء في الكون يدل على ذات الله ، وعلى أسمائه الحُسنى ، وصفاته العُلى ، وعلى صفات الجلال ، وعلى صفات الجمال : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦ –٨] .

هذا غذاء القلوب جميع الصلوات ، وجميع الزكوات ، والصدقات ، والصوم ، والحج ، والأذكار، والأدعية كلها من أجل أن نذكر الله ، فإذا ذكرنا الله عبدناه كأننا نراه، عرفنا قوته وجبروته وملكوته ، وعرفنا رحمته وإحسانه إلى خلقه ، فزرعت هذه المعرفة تعظيم الله وتكبيره ، ومحبته وحمده، وإخلاص العمل له .

القلب دائمًا يرجو الثواب ، ويخاف من العقاب ، القلب يرجو رحمة الله ، ويخاف عقاب الله، من هنا تأتي ثمرة أخباره وأوامره ، فالله ﷻ كريم ورحيم بالعباد ، الله أرحم من العبد بنفسه ، بل أرحم من الأم الشقيقة بولدها ، ولهذا الله ﷻ خلقنا وأمدنا بالأقوات، الأقوات المادية من طعام وشراب ، والأقوات الروحية التي هي الدين من

أذكار وصلوات وزكاة وغيرها : ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦].

فالله ﷻ هو الذي خلقنا وأمدنا بالنعم ، فهذا عطاء ربوبيته ، عطاءه ألوهيته تكليفٌ بما يحب هو ، لصالحنا لا لصالحه : ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت/ ٦].

المعدة تستقبل الطعام والشراب وقت الجوع فتجد اللذة ، وينمو الجسم سليمًا ، والعقول تستقبل المعلومات أيًا كانت فتسر بها ، أما القلوب فتستقبل الإيمانيات فتسعد بها ، وأعظم ما يغذي القلوب هو معرفة الله : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

- **ومغذيات القلوب بالإيمان سبعة :**

أن نعرف الله.. ونعرف أسماءه.. وصفاته.. وأفعاله.. وخزائنه.. ووعده.. ووعيده : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

إذا امتلأ القلب بهذه المعارف الإلهية نشط للعمل ، وأمر الجوارح بالطاعة ، وأصبحت حركاته في محبوبات ربه ، وشهواته في مرضات ربه وقصور الجنة .

إذا امتلأ القلب بالإيمان علم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطئه لم يكن ليصيبه ، وعلم أن مقدورات الله عليه من المحبوب والمكروه أنه خيرٌ له : ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

فالله ﷻ لا يقضي لعبده إلا بما هو خير:

قال النبي ﷺ : « **عَجبًا لِأَمْرِ المؤْمِنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خيرٌ ، إنْ أصابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خيرًا لهُ ، وإنْ أصابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خيرًا لهُ** » أخرجه مسلم [1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٩٩٩.

وجميع العبادات لها حد محدود في الثواب إلا الصبر ليس له حد : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر/ ١٠] .

فلنصبر على طاعة الله ، وعلى تعلم شرع الله ، وعلى أداء أوامر الله ، وعلى الدعوة إلى الله ، وعلى نشر دين الله ، وعلى النصيحة ، وعلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والإحسان إلى الخلق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

كم أجور الصابرين الذي صبروا على الطاعات ، وصبروا عن المعاصي ، وصبروا على أقدار الله ، وصبروا على أذى الخلق: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧] .

الله ﷻ الذي خلق هذه المخلوقات، والذي يدبر هذا الكون، لابد أن تكون له الأسماء الحُسنى، والصفات العُلى، والأفعال الحميدة، ومن أسمائه الحُسنى: الظاهر.. والباطن : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣] .

الله ﷻ هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، العالي فوق مخلوقاته ، الغالب لما سواه ، الظاهر في آياته ومخلوقاته بأسمائه الحُسنى ، وصفاته العُلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨] .

الله جل جلاله هو الظاهر الذي هو أظهر من كل ظاهر ، المبين الذي هو أبين من كل بين ، الظاهر الذي أظهر كل ظاهر ، الباطن الذي أبطن كل باطن ، الباطن الذي بطن دون كل باطن .

هو الظاهر والباطن الذي خلق كل ظاهر وباطن من عالم الغيب والشهادة : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة: ٦ – ٧] .

هو سبحانه الظاهر المبين الذي كل شيء يدل عليه ، وكل ذرة تشير إليه ، فهو أظهر من كل ظاهر ، وأبين من كل بين : ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣] .

هو سبحانه الظاهر للعقول والبصائر ، الباطن الذي لا تدركه ولا تراه الحواس والأبصار ، الباطن العليم ببواطن الأشياء والقلوب ، القريب من خلقه ، لا يخفى عليه منهم خافية : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٣ – ١٤] .

الله ﷻ له علو الذات ، هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، جميع الخلق دونه ، هو العلي الأعلى جل جلاله ، هو العلي بذاته ، العلي بأسمائه وصفاته ، العلي بأفعاله ، هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، الباطن الذي ليس دونه شيء .

فالله ﷻ هو الظاهر الذي استوي على العرش ، والعرش سقف المخلوقات جميعًا ، وله ثلاث صفات عظيمة :

صفة العلو ، وصفة الاتساع ، وصفة النور ، من أعظم صفات العرش أنه أعلى المخلوقات ، هو أعلاها المحيط بها، والعرش أوسع المخلوقات ، فهو محيط بجميع المخلوقات: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

والعرش أنور المخلوقات كلها ، قد استوي عليه النور بصفة الرحمة : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه/ ٥] .

ولابد لهذا الإنسان حتى يسعد في الدنيا والآخرة أن تطابق صفاته صفات العرش ، علواً ، واتساعاً ، ونورا .

فالمؤمن لابد أن يعلو بإيمانه وتوحيده على كافة المخلوقات ؛ لأنه أتى إلى ربه اختيارًا ، أما سائر المخلوقات المسخرة أتت إلى ربها قهرًا وإجبارًا ، فالمؤمن أعلى المخلوقات ، لأنه اعتلى بنفسه بالإيمان والتوحيد ، وصدره اتسع لجميع أنواع العبادات والقربات ، وقلبه امتلاء بالنور الذي يبدد الظلمات ، ويزيل كل الشبهات :

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

الله ﷻ خلق الخلق درجات .

فأعلى المخلوقات درجة هو أدم وذريته ، وأعلى بني آدم درجة هم المؤمنون ، وأعلى المؤمنين درجة هم الأنبياء والرسل ، وأعلى الأنبياء والرسل درجة هم أولوا العزم الخمسة وهم (نوح، وإبراهيم، وموسى ، وعيسى ، ومحمد) عليهم الصلاة والسلام، وأعلاهم الخليلان (إبراهيم ومحمد) عليهما أفضل الصلاة والسلام ، وأعلاهما وأكملهما وسيدهما (محمد) ﷺ الذي هو أحسن الناس خلقًا وخُلقًا ، وهو سيد الأولين والآخرين ، وسيد الناس أجمعين ، وكان خُلقه القرآن ، وأثنى عليه بقوله :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

وكل شيء من العبادات له حد محدود إلا الذكر وحسن الخُلق ، والله ﷻ أمرنا أن نتخلق بأحسن الأخلاق ، والأخلاق ليس لها حد : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

والله ﷻ يريد من هذا الإنسان أن تطابق صفاته صفات العرش ، بأن يكون عالياً ليطابق العرش علواً ، وأن يتسع قلب المؤمن للطاعات ، وأعمال البِّر ، وأعمال الخير ، والمصائب ، والمحبوبات ، والمكروهات ، وجميع الأعمال الصالحة ؛ ليتسع كما اتسع العرش الذي وسع جميع المخلوقات .

ولابد أن يكون قلبه متسعًا ؛ يرضى بقضاء الله وقدره ، يحب الله ، يعرف الله بأسمائه وصفاته ، يعمل بأحكامه وشرعه ، ويمتثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ، يتسع لأذى الخلق ، يتسع للصبر ، يتسع للإحسان ، يتسع للرحمة ، يتسع للحلم على الناس فيكون واسعاً كسعة العرش ، وكذلك هذا القلب إذا دخل فيه الإيمان اتسع وانفسح وانشرح : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [الشرح/ ١] .

فالصدر متسع بنور الإيمان ، والقلب يرسل هذا النور إلى جميع الأعضاء ، يرسل الدم مع النور إلى اللسان فيتكلم بذكر الله ، ويتلوا كتابه ، ويدعوا إلى دينه ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويرسل هذا النور للأُذن فتسمع ما قال الله ، وما قال رسوله ، تسمع القرآن ، تسمع الذكر ، ويرسل النور إلى العقل ؛ فيقدم الآخرة على الدنيا ، ويعمر دنياه بالأعمال الصالحة ، حتى يلقى الله ﷻ بأحسن الصفات ، وأحسن الأقوال ، وأحسن الأعمال ، ثم الله يوفيه أجره يوم القيامة على أحسنها : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧] .

يرسل القلب النور إلى الأقدام فتمشي إلى أماكن الدعوة ، أماكن العبادات من حج ، أو عمرة ، أو جهاد في سبيل الله ، أو دعوة إلى الله ، أو أي أمرٍ من الأمور المشروعة .

فالله ﷻ خلق هذا الإنسان ، وهذا الإنسان الذي آمن بالله ، واتسع قلبه للقيام بأنواع العبادات ، واستنار قلبه بنور الإيمان ، هذا المؤمن في الأرض لا يرضى له ربه إلا أن يكون سكنه في السماء تحت عرشه في الفردوس الأعلى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾
[الكهف: ١٠٧ – ١٠٨] .

وهذا الإنسان حيَّ منذ خلق الله آدم ، ولكنه ينتقل من صُلب إلى صُلب ، ومن رجل إلى امرأة ، وهكذا حتى يبلغ أهل الجنة عددهم ، وأهل النار عددهم ، ثم يقف التوالد والتناسل .

هذا الإنسان فيه ذرة من آدم شهدت مع غيرها لله بالوحدانية ، وجسد آدم شهد لله بالوحدانية بجميع ذراته وذريته ، وهذه الذرة حية ، لأن الطاعة فرع الحياة ، بل يطيع الله كل الأحياء من جماد

أو نبات أو حيوان أو إنسان أو ملك أو جن أو غيره من مخلوقات الله ، فكلٌ يسبح بحمد ربه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور: ٤١].

لكن نحن نعلم أوامر ربنا كبشر مما جاء في كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٥ – ٣٦].

فلابد أن نحترم هذا الإنسان لأن فيه ذرة من جسد آدم الذي شهد لربه بالوحدانية ، وهذا الإنسان حي ، حي بالحياة التي كانت في آدم ، ولكنه ينتقل من صُلب إلى صُلب، فهذا الإنسان حقه علينا أن نكرمه كما أكرمه الله ، وأن نبلغه الدين ، نبلغ هذا الدين الحق وننشره بين الناس : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

فالله بعطاء الربوبية نور العالم بنوره ، وأمطر العالم بهذه السحب ، وأمر الأرض بالإنبات للمؤمن والكافر ، من فعل الأسباب أخذ عطاء الربوبية ، فالهواء للجميع ، والماء للجميع ، والأرض للجميع ، والطعام للجميع : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

ولكن عطاء الألوهية هو الدين الحق الذي يجعل هذا الإنسان في أمنٍ في الدنيا يجعله في الدنيا مهتديًا آمنًا ، خليفة في الأرض ، ينفذ أوامر الله على نفسه وعلى غيره ، وفي الآخرة يكون في الجنة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

فأنا إذا آمنت بالله ، وقمت بعبادته فقط ، نفعت نفسي ، لكن إذا آمنت بالله ، وعملت بشرعه ، ودعوت غيري إلى الدين ، فأنا أستفيد شيئًا آخر ، وهو عمل من دعوته ؛ فكل ما يعمله من عمل خير فهو في صحيفتي .

لكن لو عبدت الله بدون أن أدعوا إلى الله استفاد الكافر مني كقدوة حسنة ، لكن أنا لم أستفد من خيره ؛ لأني أصلاً ما دللته على الخير ، ولو دللته على الخير ، وعمل خيرًا ،

فهو في صحيفتي ، وإن عمل شرًا فهو في صحيفته هو ، وهكذا يجب علينا أن نربط دائمًا الصلاح بالإصلاح ، والعبادة بالدعوة ؛ لأن هذه الأمة مبعوثة كالأنبياء : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

والمحرك للدعوة هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة أوامره ، ومعرفة وعده ووعيده ، ومعرفة نعمه وإحسانه .

فإذا وجدت الجواهر والذهب والفضة ؛ أقبلت عليها ، وحملت منها ما أستطيع ، وتركت السباخ والتراب ، فالنفوس العالية لا تأخذ إلا الجواهر الغالية.

وكذلك المؤمن لابد أن يكون عنده غيرة على نفسه ، وغيرة على غيره ، يغار على نفسه ، ولا يظلم نفسه ، ظلم النفس أن تحرمها من الأكل والشرب الذي به قوام البدن، وتحرمها من الدين الحق الذي به سعادة الدنيا والآخرة ، أما السوء فهو أن تسيء إلى غيرك بما يضره : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء/ ١١٠] .

فالمؤمن صالحٌ مُصلح ، والكافر فاسدٌ مفسد ، وكل يختار ما يشاء ، والحساب والجزاء غداً : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة: ١٨ – ٢٠] .

الله ﷻ هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، ونحن نجتهد حتى نُرقي أنفُسنا ، ونُرقي الناس إلى الصفات التي يحبها الله ، الصفات التي تطابق صفات أعظم مخلوق وهو العرش ، لابد صفاتي تطابق صفات العرش ، حتى يرضى الله عني ، أكون أعلى المخلوقات إيمانًا ، وتوحيدًا ، وأقوالاً وأعمالاً ، وأخلاقًا .

وأن يتسع قلبي للإيمان والتوحيد ، وجميع أنواع الطاعات ، وأتحمل من الناس كل أذى ، واصبر على آذاهم ، وأتحمل كل شيء في سبيل الله ، وأصبر على الابتلاء ، وأن

يمتلئ قلبي بالإيمان الذي يحرق أي شبهة ، ويسكت كل شهوة ، ويحرك البدن بالطاعات ، يحرك البدن بمحبوبات الرب ، وبذلك أصل إلى أعلى الدرجات عند الله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

- **والإيمان ثلاثة درجات :**

إيمانٌ مطلوب.. وإيمانٌ موجود.. وإيمانٌ مفقود .

وبمثل هذه البيئات الإيمانية يترقى إيمان العبد من الإيمان الموجود ، بمعرفة الإيمان المفقود ، ثم يحصل الإيمان المطلوب الذي في ذروته الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

فالإيمان المطلوب: هو الذي يجب أن نصل إليه ، وبه تتحقق موعودات الله في الدنيا والآخرة .

والإيمان الموجود: كل أحد إيمانه حسب معرفته بالله ، حسب المعارف يكون الإيمان، وحسب الإيمان تكون الطاعات ، تكون قوة العبادة ، وقوة الحب لله وقوة الخوف منه.

والإيمان المفقود : هو ما نقص من الإيمان ، وكلما نقص الإيمان قلت الطاعات ، وكثرت المعاصي .

فبهذه البيئة الإيمانية يترقى الإيمان ويزيد ، فإذا زاد الإيمان جاءت محبة الله وعبادته وطاعته .

ومن عرف العظيم آمن بكتابه العظيم ، وامتثل أمره العظيم ، ونال ثوابه العظيم ، لابد أن أعرف العظيم أولاً ، فإذا عرفت العظيم عرفت أن كلامه عظيم : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: ٨٧] .

أعظم القرآن ، لأنه مجيد ، لأنه كريم ، لأنه عظيم ، فالقرآن كلام الله ، وكلام الكامل

كامل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٢].

فالله ﷻ رحيمٌ بالعباد ، ولهذا أردف نعمه المادية ، بنعمه الروحية ، إظهار لثمار رحمته بخلقه ، ليرى العبد كمال إحسان الرب إلى الخلق ، فيعبد الله ، ويحسن إلى الخلق كما أحسن الله إليه : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس: ٢٦] .

والله جل جلاله خير السموات والأرض ، والجبال ، وكافة المخلوقات أن تقبل الأمانة ، تقبل التكليف من الإله بأن تفعل كذا ، وتترك كذا ، فأبت فرقًا من أن تخالف أمر الله ﷻ ، فاختارت اختيار واحدًا ، وهو أن تكون مُسخرة تسبح بحمد ربها ﷻ ، اختارت هي بنفسها أن تكون مُسخرة ، هي مخيرة في الأصل ، فاختارت التسخير : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: ١٨] .

أما الإنسان فاختار التخيير ، اختار التخيير ، طول حياته أما أن يطيع أو يعصي ، أما أن يؤمن أو يكفر : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ٣] .

وهذا التخيير يجعل الإنسان حُرًا ، والشيطان استغل هذا التخيير ، فحرك الشهوات في نفس الإنسان ؛ لأن الشهوات في مقابل الأوامر ، شهوات النفس في مقابل أوامر الرب.

- **ولهذا في الإنسان مخلوقان عظيمان :**

نفسٌ حيواني.. وروح ملكي .

الأول: **النفس** : حيوانية ، ومحبوباتها أرضية ، ولا ترغب إلا في التمتع بالشهوات كالبهائم .

الثاني: **الروح**: ملكية، ومحبوباتها علوية، فكل شهواتها في امتثال أوامر الله كالملائكة.

فمن غلبت شهواته على أوامر ربه صار أقل من الأنعام ، ومن غلبت روحه على شهوات نفسه صار أعلى من الملائكة : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

فعزة النفس دائمًا تكون في مقابلة عزة الروح ، وعزة النفس ، وعزة الروح ، أمران مخلوقان متقابلان .

فالنفس تريد العزة ، وعزتها تريد أحسن سُمعة ، وأحسن شهرة ، وأحسن أخلاق ، وأحسن شهوة ، النفس محبوباتها أرضية ، تريد أحسن المطاعم ، وأحسن المشارب ، وأحسن الملابس ، وأحسن المراكب ، وأحسن المساكن : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: ٥٣] .

النفس تريد أحسن سُمعة ، وأحسن شهرة ، تريد أحسن سُمعة في الجاه والمال والشرف، وأحسن شهرة تريد أن تشتهر بين الناس بشيء لم يكن عند الناس ، وأحسن شهوة ، لكن الدنيا ليست محل تكميل الشهوات ، الدنيا محل تكميل أوامر الرب ، والجنة محل تكميل الشهوات.

فالنفس تريد أحسن سُمعة ، وأحسن شهرة ، وأحسن شهوة ، وهذا هو القطاع الأكبر من البشرية ، كل البشر يريدون أحسن سمعة ، وأحسن شهرة ، وأحسن شهوة : ﴿ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ [ص: ١ – ٢] .

والروح تريد أحسن ذكر ، وهو ذكر الله ، وأحسن عبادة ، وأحسن أخلاق ، فالمؤمن بفضل الله وتوفيقه غلبت روحه نفسه ؛ لأنه استعمل عقله فيما خلقه الله ، ونظر في الآيات الكونية فعرف الله ، ثم تقرب إلى الله بما جاء به رسول الله ﷺ : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤] .

فالأنبياء جاءوا ليعرفوا الناس بالله ، وإن كان الله يُعرف بالعقل من آيات ومخلوقات ،

فهم يعرفون الناس بالله ، وبمراد الله من خلق الله ، مراد الله من خلق الله أن يطيعوه ، ويمتثلوا أوامره ، حتى يعيشوا أجمل حياة ، ثم يوم القيامة يصلون إلى الحياة الباقية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١٠٨] .

والمؤمن غلبت روحه نفسه فجاءت بالذكر الكامل ، بالعبادة الكاملة ، بالطاعة الكاملة لمن يستحق الطاعة ، لمن يستحق العبادة ، لمن يستحق الذكر : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

والكافر غلبت نفسه روحه ، فاقترن بها الشيطان ، النفس والشيطان اجتمعا على الإنسان فتحركت فيه الشهوات ، شهوة البطن ، شهوة الفرج ، شهوة البصر ، شهوة السمع ، شهوة المطعومات ، المشروبات ، المسكونات، الملبوسات : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

أما شهوات المؤمن فهي شهوات ملائكية ، مزاجهم سمعنا وأطعنا ، شهوات المؤمن في طاعة الله في قصور الجنة ، شهوات الكافر في محبوبات نفسه المادية ، والله أمرنا أن نأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، ونعمل للآخرة بقدر الطاقة : ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج/ ٧٨] .

وكل ما رزقنا الله ننفق منه على ما ينفعنا في الآخرة : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٧] .

فشهوات النفس في مقابل أوامر الله ، النفس تريد أحسن شيء ، أحسن أكل ، أحسن لباس ، هذه عزة النفس الحيوانية الكافرة .

أما عزة الروح فهي للمؤمنين ، عزة المؤمن في طاعة الله ، عزة المؤمن أن يتصل بالعزيز ، أن يعمل بالدين الحق ، أن يكون مع المجموعة المختارة ، المنتقاة ، المجتباة ، وهم المؤمنون الذين أعزهم الله بالإيمان : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون: ٨] .

لماذا جاءتهم العزة ؟ لأنهم اتصلوا بالعزيز ، فأعطاهم من عزته ، وأعزهم على غيرهم، وغلبوا غيرهم بقوة العزيز الذي أعزهم بهذا الدين الذي هداهم الله ﷻ إليه .

أما الكفار فهم في عزة وشقاق : ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص/ ٢] .

شقاق مع شهوات النفس المقابلة لأوامر الرب ، هذا امتحان وابتلاء من رب العالمين، الكافر ليس عنده شيء يعتز به إلا الشهادات العليا ، والجاه ، والمُلك ، والمال ، والترقي في الشهوات .

أما المؤمن فهو يستعمل هذه النعم من ربه ﷻ في طاعة الله ﷻ ، ويجعلها مطية للآخرة ، وعونًا له على طاعة ربه ، أما الكافر فهو في عزة كاذبة وشقاق مهلك .

أما العزة العليا فهي لله ولرسوله وللمؤمنين ، فعزة الكافر عزة نفس في شقاق مع الدين دائمًا ؛ لأن شهواته مقابل أوامر الله، النفس تريد أحسن شيء ، والله يريد أحسن شيء :

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت/ ٣٣].

﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة/ ١٩٥] .

﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة/ ٨٣] .

ففي الدنيا لا يجتمع للمؤمن عزة نفس ، وعزة روح ، عزة الروح تغلب عزة النفس ، وفي الجنة يجتمعان ، ففي الجنة جميع شهوات النفس من كل نعيم ، وجميع شهوات الروح من رضوان الرب ، ورؤيته ، وسماع كلامه ، وتسبيحه ، ففي الدنيا عزة الروح في إذلال النفس ، وهذا طريق العزة : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾ [فاطر: ١٠] .

فلا عزة إلا من العزيز ، وطريق العزة هو الإيمان والتوحيد ، والإحسان والتقوى ، والعمل الصالح : ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٥﴾ [يونس: ٦٥] .

فالله ﷻ يتودد إلينا بنعمه وإحسانه ، ويذكرنا ، ويأمرنا بالتذكر والتفكر ، فالتذكر والتفكر أعظم عبادة في الدنيا ، أعظم الفرائض أن نتفكر ونتذكر ونعقل ، من خالق هذا الكون ؟ وما هي أسماؤه ؟ وما هي صفاته ؟ وماذا يريد منا ؟ وماذا نريد منه ؟ نعرف ملكه وسلطانه ، ونعرف أحكامه الشرعية ، ونعرف أوامره الملكية ، ونعرف الدنيا ، ونعرف الآخرة ، ونعرف الإله الذي يستحق العبادة ، والرب الذي يستحق التعظيم ، والجميل الذي لا أجمل منه ، والرحيم الذي لا أرحم منه ، نتعرف على هذه الأمور ، ونعبد الله بموجبها : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] .

فهذا القلب إذا عرف ربه جل جلاله وقف في محراب العبودية باكياً خاشعاً ، راكعاً ساجداً ، في حضره وسفره : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩] .

في جميع الأحوال عابد لله ؛ لأنه عرف الله ، فاستغنى به عن خلق الله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١] .

- **وليس لهذا المؤمن علاقة مع الخلق إلا من ثلاثة أبواب:**

الكافر يدعوه إلى الله.. والجاهل يعلمه.. والمحتاج يُحسن إليه .

يُحسن إلى غيره ، يُحسن إلى المحتاج أيا كان ، يُطعم الفقراء ، ويهدي الضال ، ويعين المحتاج ، وهكذا : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨] .

- **والدين ركنان :**

عبادة الحق.. ومحاسنة الخلق .

فليس في الدنيا نعيم مثل نعيم الجنة إلا نعيم الإيمان بالله ﷻ وبأسمائه وصفاته

وأفعاله ، ومن دخل هذه الجنة في الدنيا أدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته أعظم العلوم ، وهو من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، لا قيمة لفعل الأوامر ، واجتناب النواهي ، إذا لم نعرف المعبود ، ونؤدي الأوامر ، ونجتنب النواهي ، بالحب الكامل ، والتعظيم الكامل ، والذل الكامل لله ﷻ ، فالإيمان أصل ، والأعمال فرع له.

وليست العبادة ذلة ، بل هي عزة ، وإنما الله فرض العبادات من أجل أن يتصل المخلوق بخالقه الذي خلقه ، ويأخذ منه غذاء بدنه بالطعام والشراب الحلال ، ويأخذ منه غذاء روحه بالإيمان والتقوى ؛ حتى يسعد في الدنيا ويحي حياة تنتهي في الدنيا ، ثم ينتقل إلى حياة أبدية مطلقة يوم القيامة ، ولكن إذا عاش في الدنيا بحياة الأنبياء والرسل ، بحياة سمعنا وأطعنا ، لا بحياة سمعنا وعصينا : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩ – ١٠] .

فالله ﷻ رحيم بالعباد ، هو الرحمن الرحيم ، وكل ذرة في ملكه العظيم دالة على عظمته ، وعلى كمال رحمته ، وكمال حكمته ، وكمال لطفه بعباده ، : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج/ ٦٥] .

ولكن الشيطان غر الناس وأجلسهم على موائد الغيبة والنميمة ، والقيل والقال ، ومتع أبصارهم بالنعم العاجلة ، وأنساهم النعم الآجلة ، وأسمعهم من المسموعات ما يُسخط الله ، وأراهم من المرئيات ما يغضب الله ، وشغلهم بالدنيا عن الدين : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ: ٢٠] .

الله ﷻ خلق الإنسان ، وخلق فيه الأعضاء ، وجعل هذه الأعضاء أمانات عنده ، وأمر اللسان أن يتكلم بما يحب الله من الذكر والدعاء ، والدعوة والتعليم ، والأذن تسمع ما يحب الله ، والعين ترى ما يحب الله ، والجوارح تتحرك في طاعة الله : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ

﴿ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢ ﴾ [الزمر: ١١ – ١٢] .

من عاش في الدنيا عبدًا لله ؛ هذا أعلى أنواع الحياة أن تكون عبدًا لله، فالإنسان لابد أن يكون عابدًا ، ولكنه إما عابدٌ لله ، أو عابدٌ لعبد الله ، والمعبود من دون الله من صنمٍ أو شجرٍ أو حجر لا يعلم بعابده ، ولو علم وسأله ما استجاب له ، وليس عند الأصنام منهج حياة ، لذلك الكفار يحبون عبادة الأصنام ؛ لأنها لا تأمر ولا تنهى وليس لها تكاليف تُكلف الناس بمناهج يعملون بها ، وليس عندها ثواب ولا عقاب ، ولكن الشيطان زين للناس سوء أعمالهم ، وأغرقهم في شهواتهم ، وإتباع أهوائهم : ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠ ﴾ [القصص: ٥٠] .

إنما الله ﷻ له منهج يقرب إليه ، ويجعل الإنسان يعيش في أعلى أنواع الحياة التي يحبها الله يعيش حياة ملكية ، يعيش عابداً لربه ، ممتثلاً لأمره ، فكما آمنت بان الله هو الخالق الرازق لابد أن أعلم أنه هو الإله المستحق للعبادة ، وأستقبل تكاليفه كما استقبلت نعمه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦ ﴾ [الزمر: ٦] .

والله برحمته قدم النعم المادية على النعم الروحية ، حيث ملأ الأرض بالطعام والشراب ، وهيأ السكن قبل نزول آدم ، ثم أنزله إلى الأرض ، حتى آدم ما أدخله الله الجنة إلا بعد أن خلق في الجنة من النعيم مالا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩ ﴾ [طه: ١١٨ – ١١٩].

ولهذا يجب على المسلم في الدنيا أن لا يشتغل بالنعمة عن المنعم ، ولا تلهيه الأرزاق عن الرازق ، بل يجلس على النعمة ، ويذكر المنعم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

فالمؤمن في الدنيا يعيش مع النعمة التي أنعم بها المنعم ، وتقرب إلى ربه بهذه النعم ، ويجعلها عونًا له على طاعة الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا

تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٥١].
استعينوا بالطيبات على العمل الطيب، والعمل الصالح، فالواجب على الإنسان أن يعيش عبدًا لملك لا عبدًا لعبد، لا أعيش عبدًا لعبد مثلي، أو عبد دوني، مثلي كالإنسان؛ كفرعون الذي استخف قومه فعبدوه: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾
[الزخرف: ٥٤ – ٥٥].
وصدقوه حين قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات/ ٢٤].
ولا أعيش عبدًا لمن هو دوني من شجرٍ أو حجرٍ أو صنم أو غيرها، بل أعيش عبدًا للعلي الأعلى الذي له الأسماء الحُسنى، والصفات العُلى، والأفعال الحميدة الظاهر فوق خلقه جل جلاله، القاهر لكل ما سواه، فلا أعلى منه، ولا أقوى منه، ولا أبين منه: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣].
هو الظاهر فوق كل أحد، هو الظاهر الذي يصمد إليه كل أحد، الأعلى فوق كل ظاهر، الظاهر القاهر لكل قاهر: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤].
هو الظاهر العليم بكل ظاهر وباطن، البصير بكل ظاهر وباطن، المهيمن على كل ظاهر وباطن، العزيز على كل ظاهر وباطن: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣].
هو الظاهر القادر على كل قادر، هو الظاهر القريب من كل ظاهر وباطن، هو الظاهر الوارث لكل ظاهر وباطن، هو الظاهر والباطن المقيت لكل ظاهر وباطن، هو الظاهر الذي جمل كل ظاهر وباطن، هو الظاهر المحسن إلى كل ظاهر وباطن: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣].
هو الظاهر جل جلاله الذي يظهر ما يشاء ويخفي ما يشاء، هو جل جلاله الظاهر بآياته ومخلوقاته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

فالله ﷻ له ملك السموات والأرض ، هذا الظرف الكبير ، وله ما في السموات والأرض من الأمور الظاهرة والباطنة ، هذه المظارف العظيمة أكرمها على الله آدم وذريته : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

فالسموات والأرض ظرفٌ الكبير ، ودائمًا الظرف أكبر من المظروف ، ظرف الرسالة لابد أن يكون أكبر من الرسالة ، ودائمًا الظرف تكون قيمته أقل من المظروف ، فالصندوق الذي تحفظ فيه الذهب أقل قيمة من الذهب ، وهكذا الإنسان أعظم مظروف في هذا الكون : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠] .

فهذا الإنسان هو أشرف المخلوقات التي خلقها الله ﷻ ، ولهذا هذا الإنسان الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، وجعله خليفة في الأرض ، هذا الإنسان لابد من إكرامه ، لابد من التعاون معه إن كان مؤمنًا على العمل بالحق ، والدعوة إلى الحق : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر/ ١-٣] .

وإن كان كافرًا لابد من دعوته ، والاحتفاء به ، وإكرامه ، ورحمته ، حتى يتصل بخالقه، ويعيش الحياة التي يريدها الله ، حياة الأنبياء والرسل التي ترضي الله ﷻ ، : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

فالله يريد ألا يعيش الإنسان لا حيوانيًا ، ولا سَبعياً ، ولا إبليسياً ، بل يعيش آدميًا ملكيًا، مؤمناً تقياً ، مزاجه سمعنا وأطعنا : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

فلابد دائمًا أن أعبد الله كأني أراه بعيني، وأسمعه بأذني، إذا تكلم بالقرآن أسمع كلامه، إن

أخبرني صدقته، وإن أمرني أطعته، وإن أطعمني شكرته، وإن أسأت استغفرته .

وإذا رأيت مخلوقاته كأني أراه ، وأعبد الله كأني أراه ، فإن لم تكن تراه فأنه يراك ، هذا ترغيب ، وهذا ترهيب ، تعبد الله كأنك تراه رغبة إليه ، وإن لم تأت فيك هذه الصفة فاعلم أنه يراك ، فاعبده خوفاً منه ، وعبادة الله بصفة الإحسان أعلى مراتب الدين ، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فسبحان الحي ، القيوم القريب ، المجيب ، الشهيد ، الظاهر ، المبين، لكن أبصارنا محجوبة أن تراه في الدنيا ، كما حُجبت أبصار الكفار عن رؤيته يوم القيامة ، وفُتحت أبصارنا لرؤيته يوم القيامة، نحن نراه يوم القيامة لكن لا ندركه ؛ لأن المدرك محاط به ، وهو يدرك الأبصار ، والأبصار لا تدركه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

هوالظاهر المحيط بكل شيء ، الظاهر فوق كل شيء ، له ما في السموات وما في الأرض ، وأنا من ضمن ممالكه ، فالبشرية كلها إذا نظرت إلى الأمام لا نهاية لها ، وإذا نظرت إلى الخلف رجعت إلى اثنين آدم وحواء، ثم رجعت إلى واحد هو آدم ، ثم رجعت إلى من خلق الواحد وهو الله الوحد الأحد : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

هو سبحانه ظاهر يرى كل شيء ، وباطن لا يغيب عنه شيء ، يعلم الأسرار والخفيات، ويعلم السر والعلن، والظاهر والباطن .

هو الظاهر الذي أظهر كل ظاهر ، والباطن الذي أبطن كل باطن ، يعلم كل ظاهرٍ وباطن ، ولا يخفى عليه ظاهرٌ أو باطنٌ ، يُظهر ما يشاء ويخفي ما يشاء : ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣ ﴾ [الحديد: ٣] .

- **والله ﷻ حكيمٌ عليم أظهر بحكمته أشياء ، وأخفى أشياء :**

أظهر المخلوقات وحجب خلقه عن رؤيته.. وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة وأظهر قيمة الأموال والأشياء وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة ، وأظهر سنته وأخفى

قدرته.. وأظهر الأجساد وأخفى الأرواح.. أظهر الماء وأخفى الهواء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

الأول: أظهر الله المخلوقات وحجب خلقه عن رؤيته ، أظهر السموات ، وأظهر الأرض ، وأظهر الجبال والبحار ، وحجب خلقه عن رؤيته ، لأن الله ﷻ لا يُرى في الدنيا ، هذه الأبصار لا يمكن أن تراه ، لا يمكن لمخلوق صغير أن يحيط بالخالق العظيم جل جلاله : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر: ٦٧] .

لكن يوم القيامة يُشكل الناس على خلق آخر تمكن فيه رؤية الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣] .

أما الكفار فلا يرونه : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين/ ١٥] .

فالله ﷻ أظهر المخلوقات ، لتدل على كمال قدرته ، وكمال علمه ، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله ، ويعلم هذا الإنسان أن هذه المخلوقات العظيمة ، وهذه المخلوقات العجيبة ، وهذه المخلوقات من الكبير والصغير ، ومن العالي والسافل ، كلها مُسبحة بحمد ربها ، وشاهدة بوحدانيته ، وخاضعة لأمره ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إراداته جل جلاله : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤]، هذا الأمر الأول .

والأمر الثاني : أن الله ﷻ أظهر الدنيا ، وأخفى الآخرة، فالدنيا عالمٌ مشهود ، وهي قطعة من الآخرة ، فيها طيبٌ وخبيث ، ومؤمن وكافر ، وغيب ومشهود ، وحلو ومر ، هي قطعة من الآخرة ، ما فيها من النعيم من الجنة ، وما فيها من المؤلم مأخوذ من النار، فهي مذكر وإشارة للآخرة ، فالدنيا دنيا ومن هذا الاسم يجب أن نرفع أيدينا عنها ، لماذا ؟ لأن الله علق عليها لوحة ، وكتب عليها أنها لا تليق بالمؤمن ، وليست ثوابًا لعمل المؤمن ، عمل المؤمن عظيم وكبير ، ليس له جزاء إلا الجنة ، ورضوان الرب جل جلاله : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة: ٧٢] .

أما الدنيا فلا قيمة لها بالنسبة للآخرة : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٤].

والله سماها بالدنيا حتى نزهد فيها ، ولا نلتفت إليها ، وكذلك الله علق على الدنيا لوحات كثيرة تبين أنها لا تليق بالمؤمن ، إنما هي دار جهاد ، ودار عمل ، ودار مسابقة للخيرات ، دار مسارعة إلى الفضائل ، والأعمال الصالحة ، دار فناء ، لا دار بقاء : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر/ ٥].

لا تغرانكم الحياة الدنيا ، فشهوات النفس متعلقة بالدنيا ، الدنيا زينة ، والآخرة مقصد، وما على الأرض زينة لها : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف: ٧].

لكن زينة المؤمن الإيمان الذي في قلبه : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات: ٧].

فالمؤمن يجب أن يعبد ربه الظاهر المبين ، فهوا ظاهر ، ولكننا لا نراه ، فالذي يعبد الظاهر الذي يراه يستحي منه ، لأنه يسكن في أرضه ، ويأكل من نعمه ، ويعصيه بنعمه، يستحي منه ، يخاف عقابه ويرجو ثوابه ، هو يعبده كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله ﷻ يراه ، وإذا رآه حاسبه على سمعه وبصره وفؤاده ، وجميع أعماله : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء/ ٣٦].

فالله ﷻ أظهر الدنيا وأخفى الآخرة ، أظهر الدنيا بما فيها من المخلوقات وأخفى الآخرة ، وأخبر عنها بالخبر الصادق ، أن فيها للمؤمن ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وفيها من العقاب للكفار العذاب المهين ، والعذاب الكبير ، والعذاب الشديد ، والعذاب العظيم ، والعذاب الأليم .

والأمر الثالث: الله ﷻ أظهر قيمة الأموال والأشياء ، وأخفى قيمة الإيمان والأعمال

الصالحة ، قيمة الإيمان لا نعلمه ، ليس له ميزان في الدنيا ، والأعمال الصالحة مسجلة ، لكن لا نراها ، هذا الإيمان الذي يزيد مثل المال الذي يزيد ؛ كلما زاد الإيمان زادت الأعمال ، وكلما زاد المال زادت الأشياء ، فنحن نجتهد لا لزيادة الأموال والأشياء ، وإن كانت مطلوبة لنا حتى تكون الأموال بأيدينا لا بيد عدنا ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، لكن في الدنيا حسن وأحسن ، وباق وفان ، فنحن نعمر الآخرة بالأعمال الصالحة في هذه الدنيا : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ ﴾ [القصص: ٧٧] .

فالله ﷻ أظهر الدنيا وأخفى الآخرة ، وأظهر قيمة الأموال والأشياء امتحاناً وابتلاءاً ، أظهر قيمة السيارة ، قيمة البيت ، قيمة المزرعة ، قيمة الطائرة ، قيمة الدبابة .

ولكن أخفى قيمة الصلاة ، قيمة الصيام ، قيمة الصدقة ، قيمة الذكر ، قيمة الأعمال أخفاها ، وجعل لها فضائل ومرغبات ، لكي نقوم بها ، ونأخذ ثوابها .

قال النبي ﷺ : «إِنَّ اللهَّ ﷻ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» أخرجه مسلم(١) .

هذا الرضوان من الله ﷻ نؤمن به ، لكن لا نراه ، لكنه عظيم ، الصلاة ، الصوم ، الزكاة، الحج ، التسبيح ، التهليل ، الدعوة ، كل هذه أعمال عظيمة ، لكن الله أخفى قيمتها ؛ حتى لا يغتر الإنسان ويقعد ، جعلها دائمًا محجوبة عنه ، فالمسلم مطلوب منه أن يعد معاصيه ، ولا يعد حسناته ، الله ﷻ محُصيها وسيضاعفها للإنسان يوم القيامة ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كبيرة ، ومع ذلك ما هو فوق ذلك : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾ [النساء: ٤٠] .

هذا الأجر لا يدخل الميزان ، الله ﷻ يعطي على الحسنة عشر أمثالها هذا وعد الحق ، ويعطي سبعمائة ضعف لجميع المؤمنين ، إلى أضعاف كثيرة ، لكن فيه باب عظيم فوق هذا كله : ﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء/ ٤٠] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٧٣٤.

بقدر الإيمان ، بقدر التقوى ينال هذا العطاء ، لا بقدر معرفة الرب بحال العبد ؛ الله ﷻ يعطيه من عطاء الربوبية عطاءً خاصًا؛ لأنه يحب العطاء، والعطاء أحب إليه من المنع.

والأمر الرابع : الله ﷻ أظهر الأجساد وأخفى الأرواح ، الجسد موجود ظاهر لكن الروح موجودة لكنها مخفية لا نراها : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

الأمر الخامس : الله ﷻ أظهر سنته وأخفى قدرته ، الكلام يخرج من فم وأسنان ولسان ، هذه سنة الله ، لكن هذا مخلوق لا يمكن أن يعمل شيئاً بذاته ، ولكن بأمر الله تكلم هذا اللسان ، بدليل أن هناك ألسنة كثيرة لا تتكلم ، ألسنة الحيوان ، ألسنة الطير ، لا تتكلم كلاماً نعرفه نحن، أما هي تتكلم بنفسها مع ربها ، ومع جنسها : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور: ٤١] .

والله أظهر سنته وأنزل الماء من السماء إلى الأرض فأنبتت من كل زوج بهيج ، هذه سنته ، لكن قدرته تُنبت هذه ، وتُثمر هذه ، ولا تُثمر هذه ، الفعال واحد ، حتى أفعال الإنسان ، الله خلق الإنسان ، وخلق صفاته ، وخلق أفعاله ، الإنسان صلى وصام فَعل ، ليس فَعل إنما وجه الفعل ، جاء الإيمان في قلبي ، فوجهت هذا البدن إلى الطاعة ، ليس في قلبي إيمان وجهت هذا البدن وهذه الجوارح إلى المعصية ، فالإنسان لا يفعل فعلاً حقيقيًا ؛ لأن الفعال واحدٌ لا شريك له ، كما أن الخالق واحد ، فالفعال واحد : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٥ – ٩٦] .

فالله خالق كل فعل ، ولكن الإنسان يوجه الفعل ، فإذا سمع الحق وآمن بالله امتثل أمر الحق جل جلاله ، أورد الحق وكفر به : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾ ﴾[الكهف/ ٢٩] .

- **فلكل إنسان مصرفان:**

مصرف للطاعة.. ومصرف للمعصية .

هذا هو الاختيار الذي اختاره الإنسان : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان: ٢ –٣] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩] .

والأمر السادس: أظهر الله الماء وأخفى الهواء ؛ والماء والهواء من أعظم حوائج الإنسان والحيوان ، والله أظهر الماء ، وأخفى الهواء ، إظهاراً لقدرته ، وتنبيها لبريته.. وهكذا : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١١] .

فنحمد الله ﷻ أن جعلنا من ذرية آدم ، ولم يجعلنا حجرًا يُبال عليه ، ولا حيواناً يُركب عليه ، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس ، ومنّ علينا بمعرفته ، ومنّ علينا بالنعم المادية والروحية ، واستضافنا في بطن الأم ، ليكمل خلقنا ، واستضافنا في بطن الدنيا، لنكسب الحسنات ، ويستضيفنا في روضة من رياض الجنة في القبر ، ويستضيفنا في دار الخلود في دار السلام يوم القيامة : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

نحمد الله ﷻ ونسأله ﷻ أن يثبتنا على دينه ، ويعيننا على طاعته ، وعلى ذكره ، وشكره ، وحُسن عبادته ، وأن نخلص أعمالنا لله ، ونجتهد على أنفسنا ، حتى نعيش في الجو الإيماني ، ونرغب في جميع الطاعات والقربات : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨] .

والله ﷻ هو وحده الذي يُظهر دينه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٣] .

ولكن من ضمن الأعمال الواجبة علينا أن نمتثل أمر الله في الصلاة والصيام والعبادة ، ونمتثل أمر الله في الدعوة ، ونمتثل أمر الله في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ونمتثل أمر الله في الإحسان إلى الخلق ، والدعوة أمر الله ، والصلاة أمر الله ، فنحن عبيد الله ، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

التعبد لله عز وجل باسمه الظاهر .. الباطن

طريق الإيمان هو النظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، ولزوم البيئة الصالحة، والانقطاع عن البيئة الغافلة : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف/ ٢٨] .

الله ﷻ هو الظاهر المبين بعظمته وجلاله وجماله، تراه الأبصار بأفعاله ، وتراه البصائر بذاته .

فكن ظاهراً متصفاً بكل خير ، ظاهراً متجملاً كل عمل صالح ، ظاهراً بيناً تعلن العبودية لربك في كل زمان ومكان ، وتدعوا الناس إليه ، وتعلمهم شرعه ، وتحسن إليهم بما تستطيع : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧] .

كن ظاهراً للناس بمحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق التي دعاك ربك إليها ، وجملك بها ، طاعة لمن هداك ، وترغيباً للناس فيما هداك ربك إليه : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص: ٧٧] .

كن ظاهراً عالماً للحق والهدى والإحسان ، منار للعلم والصدق ، والرحمة والعفو ، والكرم والعطاء : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

ويا عبد الظاهر تجمل بالصدق والإخلاص ، وأظهر الخوف والخشية من ربك ، واتق الله حيثما كنت ، وخالق الناس بخلق حسن : ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾ [البقرة: ١٣٨] .

يا عبد الظاهر كن ظاهراً فوق كل الناس ، كن أول الناس في كل خير ، تسارع إلى قربه، وتسبقهم في كل عمل صالح وتنفق مما أعطاك الله ، وتعفو عن الناس ، وتحسن

إليهم بأنواع الإحسان : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

كن ظاهراً غالباً لنفسك ، احفظها من عبادة الشهوات ، وأحملها على طاعة الله ورسوله ، والإكثار من ذكر الله ، وحمده على نعمه ، والاستغفار من الذنوب ، وفعل الواجبات ، وترك المحرمات ، والصبر على ما أصابك : ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧ – ١٠] .

وكن باطنا تدرك عواقب الأمور ، فطناً عليماً بكيد الشيطان وجنوده ، حذراً من وسوسة الشيطان ، وهوى النفس الأمارة بالسوء : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف: ٥٣] .

فالله ﷻ ظاهرٌ مبينٌ وهو معنا جل جلاله ، ولكن الله ﷻ لا يراه أحد في الدنيا، ولا يحيط به مخلوق من مخلوقاته ، بل هو المحيط بكل محيط .

والله ﷻ عليمٌ بكل شيء ، ومحيطٌ بكل شيء ، فلنعبد الله كأننا نراه : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١] .

الله ﷻ هو الظاهر الذي أحاط بكل شيء علمًا ، وأحصى كل شيء عددًا ، القاهر الغالب لكل ما سواه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس/ ٣] .

القادر على كل شيء ، الخبير بكل شيء ، المحيط بكل شيء : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦] .

ذلكم الله ربكم الذي منه عطاء الربوبية خلقًا وإيجادًا وإمدادًا ، ومنه عطاء الألوهية إكراماً وتشريفاً وهو هذا الدين الذي نتقرب به إليه جل جلاله : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [غافر: ٦٥ – ٦٦] .

هو العلي بذاته وأسمائه وصفاته ، العالي فوق خلقه ، الغالب الذي لا يُغلب ، هو الظاهر القاهر الغالب الفعال لما يريد .

هو الظاهر المهيمن ، النافذ أمره ، الدائم بره ، الشديد بطشه ، الذي إذا أراد شيئًا كان ، وإذا لم يُرد شيئًا لا يكون أبدًا : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣] .

هو الظاهر المبين الذي لا يخفى على أحد ؛ لكثرة البراهين الدالة عليه ، وكثرة الدلائل التي تشير إليه ، البين الظاهر بكثرة الأدلة عليه ، ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣] .

فما أبين ظهوره ، هل فيه مخاليق من غير خالق ؟ هل فيه صور من غير مصور ؟ هل فيه أرزاق من غير رازق ؟ هل فيه نِعم من غير منعم ؟ هل فيه موجودات من غير موجد؟ : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٦] .

فسبحان الله الظاهر ظهورًا أبين من كل بيِّن ، ولكننا لا نراه ، الظاهر الذي لا ترى ذرة في الكون إلا وهي شاهدة بوحدانيته ، ناطقة بتوحيده ، وهو يعلم مكانها ، ويسمع تسبيحها ، ويرى فعلها وصلاتها : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور/ ٤١] .

لابد أن نفهم القرآن كما ينبغي ، القرآن متعبدٌ بتلاوته ، ومتعبدٌ بفهمه ، ومتعبدٌ بالعمل به ، متعبد بفهمه ، أفهم ماذا يريد الله منا ، إذا أخبرنا فيجب أن نفهم هذا الخبر ، وإذا أمرنا يجب أن نعمل بهذا الأمر ، وإذا نهانا يجب أن نستمع إلى هذا النهي .

فالقرآن متعبدٌ بفهمه ، ومتعبدٌ بالعمل به ، ومتعبدٌ بتلاوته ، على كل حرف حسنة والحسنة بعشر حسنات.

الله ﷻ هو الظاهر الذي أظهر كل شيء ، والذي بيَّن كل شيء ، بيَّن الدين الحق ، وبين ما يحبه وما يكرهه ، وبين الصراط المستقيم من الصراط المعوج : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اهدنا لأحسن الأحوال والأعمال والأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها ، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت .

اللهم يا ظاهراً أبين من كل ظاهر ، يا ظاهراً فوق كل ظاهر وباطن ، أظهر دينك على الدين كله ، وأحيي الدين كله في العالم كله إنك على كل شيء قدير . سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

فهرس الموضوعات

الجزء الأول

الموضوع	الصفحة

المقدمة ٧

الباب الأول: ويشتمل هذا الباب على ما يلي: ٢٧

١- فقه التوحيد والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ٢٨

٢- حكم العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ٩٢

٣- أهم القواعد الشرعية في تأصيل أسماء الله وصفاته وأفعاله ١١٥

٤- شرح أسماء الله الحسنى على وجه الإجمال ١٤٨

الباب الثاني: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية ١٧٧

١-٢- اسم الله.. والإله ١٧٨

التعبد لله عز وجل باسمه الله.. والإله ٢٤١

٣- اسم الله الرب ٢٧٧

التعبد لله عز وجل باسمه الرب ٣٥٩

٤-٥- اسم الله الرحمن.. الرحيم ٤١٧

التعبد لله عز وجل باسمه الرحمن.. الرحيم ٤٧٦

٦-٧- اسم الله الملك.. المليك ٥١٥

الموضوع	الصفحة

التعبد لله عز وجل باسمه الملك.. المليك ٦٠٩

الباب الثالث: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية : **٦٤٧**

٨- ٩- اسم الله الواحد .. الأحد ٦٤٨

التعبد لله عز وجل باسمه الواحد.. الأحد ٧٤٧

١٠- اسم الله الصمد ٧٨١

التعبد لله عز وجل باسمه الصمد ٨٤٤

١١-١٢- اسم الله الأول.. الآخر ٨٨١

التعبد لله عز وجل باسمه الأول.. الآخر ٩١٤

١٣-١٤- اسم الله الظاهر.. الباطن ٩٢٩

التعبد لله عز وجل باسمه الظاهر.. الباطن ٩٥٩

الفهـرس **٩٦٣**